

# الكوثر

الجزء الأول

مجموعة من خطابات الإمام الخميني قدس سره التي  
تتضمن تسجيلاً لوقائع الثورة الإسلامية  
خلال الأعوام (١٩٦٢ - ١٩٧٨)

مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قده)

(الشؤون الدولية)

## هوية الخطاب رقم (١)

إيران / قم / المسجد الأعظم، في ١٣ جمادى الثانية ١٣٨٢ هـ، الموافق ١١/١١/١٩٦٢م.

- الموضوع: شجب صمت الحكومة إزاء الاستكبار الشعبي حول تعديل لائحة المجالس المحلية.

- المناسبة: الإفتاء في قضية لائحة المجالس المحلية.

- الحاضرون: المهنيون والكسبة من أهالي قم وطلبة العلوم الدينية وجمع من زائري السيدة المعصومة عليها السلام.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

يمكن اعتبار عام ١٩٦٢ م بداية فصل جديد في التاريخ الإسلامي وفي مسيرة الكفاح الديني للشعب الإيراني. فبعد سلسلة من الاعتراضات والانتقادات الحادة التي أطلقها العلماء، وخاصة الإمام قلندر ذلك العام والتي استهدفت الأساليب النظام الملكي في الحكم، وقعت بعض الحوادث التي انتهت إلى مواجهة مباشرة بين العلماء والنظام، أجبر الإمام قلندر فيها الملك - ومن خلال المواجهة الحازمة والمتواصلة - على التصرف بطريقة انفعالية تميزت بالاستعجال تارة، وبالاضطراب تارة أخرى.

عدّ الملك وأزلامه وفاة سماحة آية الله البروجردي (ره)، مرجع الشيعة الكبير قبل عام من ذلك التاريخ حادثة يمكن أن تؤدي إلى إضعاف العلماء في إيران - حسب تصورهم - وإقصاء مدينة قم عن موقعها الديني المتميز باعتبارها أحد مراكز النظام<sup>(١)</sup>. وفي العام نفسه توفي آية الله الكاشاني أيضاً، والذي يعدّ من المعارضين التقليديين للنظام.

وبناءً على اتفاق مسبق بين الملك والرئيس الأميركي "جان. إف. كينيدي"، أقدم الدكتور علي أميني على تقديم استقالته، رغم ما كان قد حصل عليه من شعبية، نتيجة لظاهره بالرغبة في الإصلاح، واستنكاره المرحلي والصوري للفساد الإداري<sup>(٢)</sup>. وأسند منصب رئيس الوزراء إلى الأمير "أسد الله علم"، الذي يعدّ أقرب وأوثق

---

(١) كان آية الله البروجردي مستاءً من برامج النظام الملكي وأغراضه، لذا فإنه لم يبدِ استعداداً لتأييد الإصلاحات الملكية التي دفعت إليها أميركا، ولم يخضع لها رغم تكرار زيارات المسؤولين في النظام له ورغم إرسال الملك ممثله الشخصي لمقابلته، وقد رد على أحد المبعوثين بالقول: هناك أمور أكثر ضرورة ينبغي التفكير بإصلاحها. وبوفاة آية الله البروجردي فإنّ أحد العوائق الحائلة دون تحقيق الإصلاحات التي تريدها أميركا يكون قد زال - حسب تصورهم - (راجع مجلة "ياد" الصادرة عن مؤسسة التاريخ، السنة الثالثة، شتاء ١٩٨٧، ص ٥١).

(٢) كان تولي شريف إمامي لرئاسة الوزراء (١٩٦٠ حتى ١٩٦١) نتيجة التنافس العلني في تلك الأيام بين الاتحاد السوفياتي والغرب من جهة، وإنكلترا وأميركا من جهة أخرى، للمحافظة على مصالحهم في إيران. فقد تولى شريف إمامي زمام الأمور نتيجة ضغوط لندن وموسكو، وبواسطة النشاطات السياسية للعناصر المرتبطة

أزلام الملك آنذاك<sup>(١)</sup>. وتم تنفيذ لائحة "الإصلاح الزراعي" - الأميركية المنشأ - بعد التصويت عليها في ٩ كانون الثاني ١٩٦١. وقد أشادت بها أجهزة الإعلام الروسية! رغم وجود اختلافات بين أميركا والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.<sup>(٢)</sup>

أما البرنامج الآخر الذي طرحه الملك فهو المشروع الموسوم بلائحة انتخابات المجالس المحلية، والذي أعلنت عنه الصحف في ١٩٦٢/١٠/٨ ولم يكن تفويض حق التصويت للنساء، والذي كان العنوان الأول للصحف<sup>(٣)</sup> عملاً مخالفاً للشرع، إلا أن النظام كان يريد من خلال هذا الغطاء إظهار المعارضة لهذه اللائحة

---

بانكلترا في البلاط الملكي. وخلال فترة حكمه ازداد نفوذ الإنكليز في إيران، كما منح الاتحاد السوفياتي امتيازات واسعة أيضاً، وبدأت مباحثات بين طهران وموسكو، واضطر الملك إلى عزل شريف إمامي وتعيين علي أميني، نتيجة رد الفعل الأميركي وضغوط أميركا على إيران. أما في فترة حكم أميني (١٩٦١ حتى ١٩٦٢) فقد تم تعطيل المجلسين، واعتقال عدد من أمراء الجيش، والوزير المستشار لشريف إمامي، وقيام أميركا بتقديم قرض إلى إيران، كما تعرضت العلاقات بين إيران والاتحاد السوفياتي إلى التوتر، وازداد نفوذ أميركا في إيران (أنظر إلى كتاب "سبعة وثلاثون عاماً"، ص ٤١-٤٤).

(١) بعد رسالة كينيدي إلى الكونغرس الأميركي في ١٩٦١/٣/٢٥ م، والتي ورد فيها: "لا يمكن لأي أسلحة أو قوات العمل على ثبات الأنظمة التي لا تستطيع أو لا تريد القيام بإصلاحات اجتماعية وتنمية اقتصادها". دخل الدكتور علي أميني - العميل الأميركي - إلى الساحة حاملاً شعار الإصلاحات الاجتماعية ومكافحة الفساد، وبعلائه عن الإنهيار التام للاقتصاد الإيراني فتح المجال أمام اقتراض مبالغ أجنبية كبيرة بفوائد مرتفعة، وإتاحة الفرصة للأميركان للاستثمار في المجالات المختلفة (راجع كتاب "إيران والتاريخ"، ص ١٢٤ و ١٧٦).

(٢) لقد ذهب مدعو الاشتراكية إلى أبعد من هذا في ما بعد، ففي ١٩٦٣/٦/٨ م، أي بعد ثلاثة أيام فقط على ملحمة الدم والشهادة كتبت جريدة "إيزفستيا"، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي، ما يلي: وقعت يوم أمس اضطرابات في العاصمة الإيرانية طهران، وكذا في مشهد وقم وبقية المراكز الدينية الكبيرة، بتحريك من العلماء المسلمين الرجعيين، وقد استفاد محرّكو الاضطرابات من أيام العزاء الديني المتعارف عليه الذي يقام كل سنة في يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إمام المسلمين، لمواجهة الإصلاح الزراعي للحكومة. ولم يؤثر إطلاق النار على المتظاهرين لإتمام الحجة، فقد قام عدد من الشباب المتعصبين المتخلفين بنهب عدد من المحال التجارية، وقلب عدد من السيارات، وقد تعرض تنفيذ الإصلاحات الزراعية والتي تهدد مصالح الإقطاعيين، وإعطاء النساء حق التصويت، إلى معارضة شديدة من قبل المالكين الكبار والعلماء الداعمين لهم، ويسعى الرجعيون الآن إلى الانتقال من مرحلة التهديد إلى مرحلة التنفيذ. (صحيفتنا "إطلاعات" و"كيهان" ١٩٦٣/٦/١٠ م).

(٣) صحيفة "كيهان"، ١٩٦٢/١٠/٨ م.

على أنها معارضة لحقوق المرأة وحرّياتها المشروعة، وذلك بإلغاء شرط الإسلام من شروط المرشحين والناخبين وأداء القَسَم بـ"الكتاب السماوي" بدل من أدائه بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى أنه نوع من الإزالة للإسلام، والاعتراف الضمني بالتيارات شبه الدينية التي افتعلها الاستعمار. وبعد وصول الجرائد إلى قم، عقد المراجع والعلماء، ومن بينهم الإمام فَارُخِي في نفس الليلة اجتماعاً في منزل المرحوم آية الله الحائري<sup>(١)</sup>، وأشبعوا الموضوع بحثاً وتحليلاً، حتى توصلوا إلى اتخاذ قرار بالإبراق إلى الملك، ويتضح من نصوص البرقيات التي تم إرسالها بأنّ برقية الإمام فَارُخِي كانت تتصف بلهجة أشد<sup>(٢)</sup>، وقد أحال الملك في جوابه على برقيات المراجع الموضوع إلى رئيس الوزراء. وفي ١٩٦٢/١٠/٢٠ م أرسلت برقيات جديدة إلى "علم"، وكانت الإمام وسائر المراجع في انتظار إجراءات الحكومة في هذا الصدد.

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة "علم" تعاني من ظروف سيئة، بسبب رد الفعل الشعبي وما بدر من الزعماء الروحانيين في داخل البلاد وخارجها<sup>(٣)</sup>. إتجهت جماعة من الكسبة والتجار في قم في صباح يوم ١٩٦٢/١١/١١ م، وبلا سابق إنذار، إلى المسجد الأعظم وليحضروا مجلس درس الإمام فَارُخِي، وبعد أن استمع الإمام إلى كلمة ألقاها أحد الحاضرين، ألقى خطاباً هاماً ومفصلاً - وفق ما ذكره الحاضرون - وكتبه المؤرخون، وللأسف فلم يتيسر لنا الإطلاع إلا على جزء قليل جداً من ذلك الخطاب.

(١) آية الله الشيخ مرتضى الحائري، النجل الأكبر آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري.

(٢) كانت البرقيات من كلّ من ذوي السماحة: الإمام الخميني، الكلّبايكاني، النجفي المرعشي والشريعتمداري - كلّ على حدة - والسادة: الزنجاني، الداماد، الآملي والحائري - بشكل مشترك - ومع أنّ لهجة برقية الإمام كان تتميز بانتحاء أسلوب الإحترام، إلا أنها إذا قورنت ببرقيات سائر المراجع والعلماء - التي انطوت على إسباغ ألقاب كثيرة على الملك - فإنها لم تكن عادية، فقد جاء في بعض جوانبها ما يلي: حسب ما ورد في الجرائد، فإنّ الحكومة لم تشترط "الإسلام" في الناخبين والمرشحين للمجالس المحلية، والأمر الذي يثير قلق العلماء الأعلام وسائر المسلمين، أنّ صلاح البلد يكمن في حفظ أحكام الدين الإسلامي المبين، وحفظ اطمئنان القلوب. لذا، نطالبكم بإصدار الأوامر بإلغاء جميع الأمور المخالفة للديانة المقدسة والمذهب الرسمي للبلد من البرامج الحكومية والحزبية. وقد رد الملك على برقية الإمام بعد عدة أيام على ردّه على سائر المراجع (راجع كتاب "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٣١).

(٣) علاوة على البرقيات التي أرسلت إلى الملك والحكومة حول موضوع المجالس المحلية، والتي أشير إليها في الهامش السابق، فقد أرسل آية الله الخوئي وآية الله الحكيم وذوو السماحة الآيات: مرتضى الحائري، الآملي، الداماد والزنجاني، برقيات إلى آية الله البهبهاني أيضاً، والذي قام بدوره بالإبراق إلى الملك، ذاكراً له فيها معارضة العلماء. كذلك، ودعماً لقيام المراجع، فقد صدرت عن جماعة علماء طهران وجماعة أهل المنبر في طهران وعلماء شميران والمهنيين والتجار في طهران بيانات تحمل أسماءهم وإمضاءاتهم. (نفس المصدر، ص ٤٩ - ٥٢).

وقد أدى الاجتماع الذي تم عقده بحضور الإمام عليه السلام وبقية المراجع في منزل المرحوم آية الله الحائري، والبيان الذي صدر عنه وأُبرق به إلى الملك، وكذلك الخطاب التفصيلي والحازم الذي ألقاه الإمام إلى تراجع النظام. وقد اقترح الإمام حينها أن يتم استنساخ نصوص البرقيات التي أرسلت إلى النظام وتوزيعها على الناس. وبالفعل فقد تم استنساخ وتوزيع نص برقية الإمام إلى الملك، كذلك فقد قام التجار والعلماء والوعاظ وبقية طبقات الشعب - والذين تحلّوا في تلك الظروف بجرأة كافية - بإصدار المنشورات وإرسال برقيات الاعتراض، وإلقاء المحاضرات من المنابر، مما أخرج موقف الحكومة.

وبعد إحالة الموضوع من قبل الملك إلى الأمير "علم" <sup>(١)</sup> أبرق إليه المراجع في قم <sup>(٢)</sup> بوصفه رئيساً للوزراء، وقد التزم "علم" الصمت عدة أسابيع، مما دفع الإمام إلى إرسال برقية أخرى إلى الملك في ١٩٦٢/١١/٦ م إتهمه فيها بعدم مراعاة الدستور وقوانين المجلس ونصائح العلماء. <sup>(٣)</sup>

في أول برقية للإمام عليه السلام إلى رئيس الوزراء في ١٩٦٢/١٠/٢٠ م حذّره الإمام قائلاً: "يلاحظ في الفترة التي عطل فيها المجلسين، ومنذ مدة طويلة عزم الحكومة على اتخاذ إجراءات مخالفة للشرع المقدس ومباينة لصريح الدستور.. إنّ العلماء الأعلام في إيران والعتبات المقدسة، وسائر المسلمين لا يسعهم السكوت على كل ما هو مخالف للشرع المطاع"، كذلك فقد ورد في البرقية اللاحقة للإمام في ١٩٦٢/١١/٦ م ما يلي: "حضرة السيد أسد الله علم"، إلحاقاً ببرقيتنا السابقة، يبدو أنكم لا تعتمدون الاستماع لنصيحة علماء الإسلام - الناصحين للشعب والمشفقين على الأمة - إذا ظننتم أنه يمكنكم من خلال لائحة خاطئة ومخالفة للدستور، تفويض أسس الدستور - الضامن لهوية البلاد واستقلالها - وفتح الطريق أمام الأعداء الخائنين للإسلام ولإيران، فإنكم على خطأ عظيم".

---

(١) تمت إحالة الموضوع إلى "علم" في البرقية رقم ٣٠٥ ك ٩٠ تاريخ ١٩٦٢/١٠/١٦ م، التي أرسلها الملك إلى الآيات العظام: الكلبيكاني، النجفي، الشريعتمداري والإمام عليه السلام، وبمضمون واحد. ("نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٣٦).

(٢) برقيات الإمام عليه السلام والسادة: آية الله المرعشي النجفي والسيد كاظم شريعتمداري، في ١٩٦٢/١٠/٢٠، وبرقية آية الله الكلبيكاني في ١٩٦٢/١٠/٢١ م. ("نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٣٨ - ٤٢).

(٣) جاء في جزء من البرقية الثانية للإمام إلى الملك: "مع أنني نَبّهت السيد "أسد الله علم" عن هذه البدعة التي يريد أن يضعها في الإسلام، وذكّرته بمفاسدها، إلّا أنه لم يخضع لأمر الله القاهر، ولم يهتم بالدستور وقانون المجلس، ولا بنصيحة علماء الإسلام.. إنّ الشعب المسلم يتوقع أن تُلزموا السيد "علم" بأمر أكيد بأن يتّبع الدستور، وأن يستغفر من الجسارة التي قام بها على ساحة القرآن الكريم المقدسة، وإلّا اضطر إلى التنبيه بمسائل أخرى في رسالة مفصّلة إلى جنابكم".

إنّ مواقف الإمام عليه السلام وما اتخذ من اجراءات هو وبقية المراجع والعلماء، وانتفاضة الشعب، دفعت النظام إلى التسليم إلى حد ما، حتى أنّ رئيس الوزراء أعلن في مقابلة صحفية أجريت معه في ١٢/١١/١٩٦٢ م عن استعدادة لمراعاة شرط "الإسلام" في الناخبين والمرشحين، وكذلك القسّم بالقرآن الكريم، وإحالة موضوع مشاركة النساء في الانتخابات إلى مجلس الشورى الوطني.

بعد هذه الوقائع، تساءل أبناء الشعب، وحتى المراجع حول مدى كفاية البرقية التي أبرق بها "علم" والتصريحات التي أدلى بها في المقابلة الصحفية في إقناع الإمام عليه السلام، وهل أنه سيعتبر قرار مجلس الوزراء بشأن المجالس المحلية نهائياً أم لا؟ غير أنّ الإمام الخميني (س) كان يفكر بالأساليب المخادعة، والخطط المعادية للإسلام من قبل الملك وحكومته العميلة، من موقعه كعالم حرّ واعٍ، وكان يتحين الفرص اللاحقة لاتخاذ الموقف المناسب.

### مقاطع من الخطاب رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من المناسب لأولئك الذين يكتبون هذه المنشورات والبيانات، أن يلفتوا نظر المسؤولين إلى عدم تحدي مشاعر الجماهير أكثر من هذا. إنّ علماء الإسلام قرروا أن لا ينسحبوا من الميدان.

إذا كان أولئك يتوهمون أنّ بإمكانهم أن يفقدوا الأمر<sup>(١)</sup> حيويته بالتسويق فإنهم واهمون، فالأمر ليس كذلك أبداً، إنّ الموضوع جدّي للغاية، فالإسلام يتعرض للخطر، ولا يمكن لعلماء الإسلام أن يقفوا مكتوفي الأيدي..

---

(١) في شهر تشرين الأول ١٩٦٢ م قدّمت حكومة "أمير أسد الله علم" لائحة جديدة إلى المجلس حول "المجالس المحلية" لإقرارها، الأمر الذي عدته المراكز الدينية والمراجع في قم مخالفاً للإسلام والدستور. فقد ألغت الحكومة في هذه اللائحة شرط (الإسلام) عن الناخبين والمرشحين، وأحلت القسّم بـ "الكتاب السماوي" محل القسّم بـ "القرآن المجيد".

وقد أجريت هذه التغييرات في الوقت الذي كانت فيه الشروط اللازم توفرها في الناخبين والمرشحين تنص - وفق المادة التاسعة من النظام الداخلي للمجالس المحلية، وكما هو الحال في الشروط اللازم توافرها في الناخبين والمرشحين في مجلس الشورى الوطني ووفقاً للمادة ١٢ من قانون انتخابات مجلس الشورى الوطني - على أن يكون المرشحون من الملتزمين بالدين الإسلامي المبين (باستثناء الأقليات الدينية: المسيحية، والزرادشتية، واليهودية)، وعلى أن يكون القسّم الذي يؤديه أعضاء مجلس الشورى الوطني (ويلحق بهم أعضاء اتحادات الولايات والمدن طبقاً للمادة التاسعة من النظام الداخلي للاتحادات المذكورة) بالقرآن المجيد، وذلك وفقاً للمادة (١١) من الدستور.

وبذا، تكون حكومة "علم" قد فتحت - بإصدارها لللائحة المذكورة - الطريق أمام إقصاء الإسلام عن الواقع الاجتماعي، وإشاعة الثقافة الغربية، وإتاحة الفرصة أمام غير المسلمين للتسلط على مصالح الشعب الإيراني المسلم، والتحكم في مصيره.

إنّ هذه القضية لا تقتصر على علماء إيران، فعلماء العراق<sup>(١)</sup> وعلماء مصر واليمن وسائر أنحاء العالم الإسلامي شركاء معنا في هذه المواجهة.

إذا تقرر في يوم ما أن نقف بوجه الحكومة بشكل عملي، فإنّ الجمع الذي سيجتمع لنا لن يكون بهذا المقدار، بل إنّ ما سيجتمع لنا سيضيق عنه هذا المكان، ولا بد لنا حينها أن نجتمع في الصحراء، غير أننا بانتظار أن تعي الحكومة عاقبة تصرفها، وأن لا تماطل في إعطاء جوابها. إصبروا أنتم بضعة أيام أخرى..<sup>(٢)</sup>

## هوية الخطاب رقم (٢)

إيران/ قم/ منزل الإمام عليه السلام، في ٢٥ / ج ٢ / ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٢/١١/٢٣ م.

- الموضوع: ضرورة ثبات الشعب في مقابل الحكومة في قضية المجالس المحلية.

- المناسبة: جواب الإمام على سؤال المهنيين والهيئات الحسينية في طهران.

- الحاضرون: المهنيون والهيئات الحسينية في طهران، وجمع من طلبة العلوم الدينية، ولقيف من أهالي قم

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

عندما انبرى الإمام عليه السلام في مواجهة مباشرة وشاملة لمعارضة ما أقرته الحكومة بشأن المجالس المحلية. لم يهمل سماحته مسألة دعم الجماهير له، معتبراً ذلك - رغم وعيه الكامل بتفاصيل المشروع ودور الملك وحاشيته - الدعامة الأساسية بعد التوكل على الله لمواصلة المواجهة. ورغم أنّ البرقيات التي أبرق بها الإمام إلى الملك وإلى "علم" كانت تمثل - حتى ذلك الوقت - من أشد المواجهات التي وقعت بين واحد من العلماء البارزين من جهة، والملك وأفراد نظامه الحاكم في إيران من جهة أخرى. إلا أنّ الإمام عدّ تلك الخطوات الفردية أمراً غير كافٍ، لذا فقد اقترح سماحته في الاجتماع التاريخي الهام والذي عقد في منزل المرحوم آية الله

---

(١) كانت مواقف علماء العراق تجاه التجاوزات على حرمة القرآن والإسلام والدول الإسلامية، في فترات معينة من العقود الأخيرة، مواقف مصيرية، وجديرة بالإشادة. والكثير من هؤلاء العلماء كانوا يتخذون من الحوزة العلمية في النجف مقراً لهم. وسوف نشير في الهوامش اللاحقة إلى الدور الحيوي للحوزة العلمية في النجف، وجهاد العلماء في هذا المركز الشيعي الهام، وذلك عند الحديث عن مسألة احتلال العراق من قبل المستعمرين الإنكليز. وكذلك عند الحديث عن معارضة العلماء للممارسات المعادية للإسلام والتي بدرت عن الملوك القاجار والسلطين البهلويين.

(٢) "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٨٧.

العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري في ١٠/٨ من تلك السنة، وبحضور ذوي السماحة الآيات: الكليكانى، مرتضى الحائري والسيد الشريعتمداري - والذي استمر حتى وقت متأخر من الليل - على أن تطبع نصوص البرقيات التي بعثها العلماء والروحانيون إلى الهيئة الحاكمة، وتوزع على الناس لإطلاعهم على الخطوات والفتاوى التي طرحها زعمائهم الإسلاميون حول اللائحة. فقد عدَّ الإمام - كما هو رأيه دائماً - أن تواجد الشعب في ساحة المواجهة أمر لا بد منه، مؤكداً للحاضرين في ذلك الاجتماع أنه لا يمكن تحقيق أي تقدم دون مشاركة الجماهير الواعية في المواجهة.<sup>(١)</sup>

من جانب آخر، فقد كان الملك في البداية يتوهم أنه قادر على الوقوف بوجه التحركات الثورية للعلماء - وخاصة الإمام الخميني قده - وذلك بإطلاق التهديدات والوعيد. لذا تراه يأمر "أسد الله علم" بالتحدث في الإذاعة وإطلاق التحذيرات، وذلك بالقول: لقد صدرت الأوامر لقوى الأمن بالقضاء على أي نوع من التحركات المخلة بالأمن، غير أن هذه التهديدات أدت إلى إثارة غضب الجماهير.

وبعد شهر ونصف من الإغضاء والسكوت أمام اعتراضات العلماء وأبناء الشعب، أبرق "علم" إلى ذوي السماحة الآيات العظام: النجفي والكليكانى والسيد شريعتمداري في ١٣/١١/١٩٦٢ م، مستثنياً الإمام الخميني قده. الأمر الذي يمثل أول رد فعل يتخذه النظام من الإمام. وفي وقتها اعتبر بعض العلماء أن برقية "علم" كافية لإنهاء غائلة المجالس المحلية، إلا أن الإمام كان يؤكد على أن البرقية تغصّ بالحيلة والمكر، وأن اللائحة التي طرحها مجلس الوزراء، وأتم إقرارها وإعلانها في الصحف أيضاً، لا تفقد صفتها الرسمية بكلمات المجاملة التي ذكرها "علم" في برقيته، فضلاً عن أن الحل النهائي للمشكلة كان قد أحيل إلى مجلسي الشيوخ ومجلس الشورى الوطني - اللذان كانا لا يمارسان دورهما في ذلك الحين - ولم يكن واضحاً الوقت الذي سيبدأ فيه عملهما مجدداً.

وعلى ما ذكره بعض العلماء، فإنه قبل أن يطّلع الشعب على موقف الإمام الخميني قده من البرقية، وكذلك من المقابلة الصحفية التي أجريت مع "علم" فقد أشيع أن الحكومة تؤيد رأي العلماء، وأن القضية قد انتهت. الأمر الذي أدى بالشعب - حين سماعه بذلك - إلى الإنطلاق بفرح في الشوارع متوجهين إلى منازل المراجع لتقديم التهاني. غير أن الإمام الخميني قده ألقى كلمة في الحشد الذي اجتمع في منزله، أشار فيها إلى المخططات المشؤومة للنظام البهلوي، وطالب الشعب بالوعي أمام حيل الحكومة، ومواصلة كفاحه في هذا المضمار. وبعد أن استمعت الجماهير إلى كلمة الإمام، بادرت إلى إنزال الأعلام التي علّقت على الأبواب

---

(١) برّر بعض السادة العلماء عدم رغبتهم في إطلاع الشعب على تفاصيل الأمور في البداية بأن ذلك قد يؤدي إلى استفزاز الحكومة وإغضابها، إلا أن الإمام قده أصرّ على الاقتراح المذكور، وتمكن في النهاية من إقناعهم بطبع ونشر البرقيات المتعلقة بالقرار. "دراسة وتحليل نهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ١٥٠.



والجدران استبشاراً بالنصر، وأنهت الاحتفالات المقامة بتلك المناسبة، واستعدت الجماهير مجدداً للمواجهات اللاحقة.

ثم وفي يوم الجمعة ١٩٦٢/١١/٢٣ م، أي بعد عشرة أيام من المقابلة الصحفية التي أجراها "علم" وبعد البرقية التي أبرق بها إلى العلماء الأعلام، قامت ثلاثة مجاميع من الكسبة، وأصحاب الهيئات الدينية في طهران، وعدد من الطلاب، ولقيف من أهالي قم بالتجمع في بيوت المراجع - بما فيها بيت الإمام الخميني قدس سره - ليعلموا عن دعمهم واستعدادهم الكامل لمواصلة المواجهة. وألقى الإمام في الحشد الذي أمّ منزله كلمة، لم يصلنا منها - للأسف - أكثر من بضع جمل.<sup>(١)</sup>

غير أنه من المؤكد أنّ المواقف الحازمة التي تجلّت في كلمته التي كشف في كل جملة، بل في كل كلمة منها عن مؤامرات النظام الملكي، أوجدت تحركاً في الجماهير لم يسبق له مثيل. كما أنّ الملك وحكومته أدركوا أنّ الإمام الخميني قدس سره يتحلّى ببعد نظره الثاقب في الأمور، وأنه ليس بذاك الذي تنظلي عليه الحيل القديمة للساسنة، أو الذي يتأثر بالتهديد والتخويف وأنواع الدسائس.

إنّ إصدار لائحة المجالس المحلية، وما رافقه من معارضة شديدة من قبل الحوزات العلمية وجماهير الشعب، هيأت مناخاً ملائماً يتيح للإمام الخميني قدس سره - وبصفته أحد الزعماء الدينيين - فرصة للكشف عن العلاقة الخفية بين النظام الملكي و"إسرائيل"، وأن يميّط اللثام عن حقيقة تدخل الصهاينة في أمور المسلمين. وبالفعل ولأول مرة في تاريخ جهاد الشعب الإيراني المسلم طرحت مسألة المواجهة مع "إسرائيل" على نطاق واسع، بل لعل طرح هذه المسألة هو الذي أثار هلع الملك وحاشيته أكثر مما كان متوقّعا، واضطّروهم إلى الانسحاب والتراجع. ولعل هذا التراجع كان يدفع من نفس أولئك الذين كانوا قد وضعوا لنظام محمد رضا شاه منذ البدء برنامج القضاء على الإسلام، فقد أدركوا أنّ خطابات الإمام الخميني قدس سره سوف لا تبقى ضمن إطار مخالفة لائحة المجالس المحلية. على أية حال في تلك الأيام كانت المحال التجارية قد عطلت أعمالها، وكان قد تقرر استمرار الإضراب حتى الحصول على نتيجة قطعية. وكانت أصفهان وشيراز وتبريز وخرم آباد وعدة مدن رئيسية أخرى تعيش حالة من التوتر، كما كانت الرسائل والبرقيات المؤيدة لموقف المرجعية تنهال تترى. كذلك، فقد أصدرت الأحزاب والتجمعات السياسية والهيئات الدينية بيانات<sup>(٢)</sup> مختلفة لشجب موقف الحكومة.

---

(١) لم تكن مسجلات الصوت رائجة في ذلك الزمان، كما أنّ عفوية التجمع حالت دون الاستعداد لتسجيل الكلمة.

(٢) بعد الوقفة الشجاعة لسماحة الإمام قدس سره وما اتخذته من خطوات، وبعد المواقف الحاسمة لذوي السماحة والمراجع في قم ومشهد. وكذلك بناءً على طلب الاتحادات والتجمعات الدينية، ومنها: مركز نشر الحقائق الإسلامية، اتحاد الإعلام الإسلامي، اتحاد التعاليم الإسلامية، اتحاد بني فاطمة وغيرها. أرسل آية الله الميلاني والسيد حسن القمي رسالة وبرقية أوضحوا فيها اعتراض جماهير الشعب على رئيس الوزراء، كذلك فقد أرسل

وكانت التقارير المرفوعة من قبل جهاز الأمن (السافاك) تشير قلق الملك ورئيس وزرائه. فحاولت الحكومة - التي كانت تسعى لنزع الفتيل بطريقة ما - الوصول إلى حل أساسي، جاهلة الأسلوب الأمثل الذي ينبغي استخدامه من أجل الحفاظ على جبروت الملك وعنفوانه.. وفي مقابل كل ذلك كان الإمام الخميني قدس سره يهتف بالقول: "إنني أحذر من الخطر! فالقرآن الكريم والإسلام يتعرضان للخطر".

## مقاطع من الخطاب رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. عليكم أن تتحلّوا بالإستقامة والثبات في جميع ممارساتكم، نحن كذلك مرابطون، فإنّ الخطر الذي يهدد الدين ليس مما يمكن غض النظر عنه. لذا، فإنّ على جميع المسلمين أن يتحلّوا بالجدية - بتمام معناها - حتى يتم القضاء على هذه الفتنة..

## هوية الخطاب رقم (٣)

إيران / قم / منزل الإمام الخميني قدس سره، في ٣ رجب ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٢/١١/٣٠ م.

- الموضوع: شجب إجراءات الحكومة الشكلية حول إلغاء لائحة المجالس المحلية.

- المناسبة: عدم نشر إلغاء اللائحة في وسائل الإعلام.

- الحاضرون: الكسبة والهيئات في طهران، وجمع من الطلاب، ولقيف من أهالي قم.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كانت معارضة الإمام الخميني قدس سره لممارسات نظام الملك محمد رضا أوسع كثيراً وأعمّ عن موضوع لائحة المجالس المحلية، وكانت طريقته في المعارضة تشير إلى أنّ الإمام يهيئ جماهير الشعب لمواجهة طويلة الأمد مع النظام البهلوي. لذا، فإنّ برقية "أسد الله علم" الجوابية على برقيات المراجع، ومقابلته الصحفية في ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٢ م، وإن كانتا تعتبران - برأي بعض العلماء - بمثابة اعتذار من قبل الحكومة أنهى الموضوع، إلاّ أنها برأي الإمام لم تكن كافية، لذا أعلن الإمام - وفي معرض ردّه المفصّل على سؤال التجار والكسبة - أنّ

---

كل من آية الله الخوئي (في النجف) وآية الله الآراكي (في قم) برقيات إلى الملك. كما وتواصل سيل البيانات وبرقيات العلماء والوعاظ والهيئات الدينية والكسبة في أنحاء البلاد، وقد أورد مؤلف كتاب "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ١٢٣-١٤٧، أسماء الموقعين مع نصوص الرسائل والبيّنات الصادرة عن علماء بهبهان وبروجرد ومازندران وتبريز وآذربيجان ودزفول وخرم آباد وزنجان ومحافظة فارس وقزوین وكاشان ولرستان وهمدان ورشت ويزد وطهران. وكذا بيانات ذوي السماحة الآيات: البهبهاني والآملي والخوانساري والتكابني، وكذلك بيان منظمة نهضة الحرية في إيران.

اللائحة التي أصدرها مجلس الوزراء لا تفقد صفتها الرسمية بمجرد برقية جوابية خاصة، بل إنّ الرد لكي يكون رسمياً ينبغي أن يعلن في الصحف من قبل رئيس الوزراء<sup>(١)</sup>. عليه وبمحض أن أدرك أهالي قم أن الإمام يرى أن انتهاء القضية يرتهن بإعلان قرار الإلغاء في الصحف المحلية، إنتفضوا مرة أخرى، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فقد استُنسخت برقيات الإمام الخميني قدس سره وسائر المراجع في قم، والتي كانت أرسلت إلى الملك ورئيس الوزراء "علم" في عشرات الآلاف من النسخ - رغم الرقابة الشديدة - لُنشر في كافة المحافظات والمدن، بل وحتى في القرى.

حتى أن نسخاً من هذه البرقيات وصلت إلى الصحفيين الأجانب، الذي قاموا بدورهم بإرسال نصوص تلك البرقيات إلى وكالات الأنباء المختلفة التي كانوا يعملون معها.<sup>(٢)</sup>

كذلك، فقد قام الإمام الخميني قدس سره بإرسال مبعوثين ورسائل إلى طهران وبعض المدن، طالب فيها سائر العلماء مواصلة المواجهة والثبات وعدم الإذعان بانتهاء القضية، ما لم يعلن خبر إلغاء القرار من قبل الحكومة بشكل رسمي في الصحف. وقد أدى انتشار الأخبار المتضاربة إلى نوع من الضياع، وكانت جماهير الشعب تواجه أموراً ثلاثة:

- برقية "أسد الله علم" التي تشير إلى إلغاء اللائحة.

- قبول بعض العلماء بفكرة انتهاء المخصصة بوصول برقية "أسد الله علم" وإصدارهم بيانات تشير إلى هذا المعنى.<sup>(٣)</sup>

- إصرار الإمام الخميني قدس سره على ضرورة الإعلان الرسمي عن إلغاء القرار في الصحف المحلية.

ونتيجة لحالة التردد تلك، توجهت جموع كثيرة من أهالي طهران وبعض المدن الأخرى إلى قم يوم الجمعة ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٢، للوقوف على حقيقة آراء العلماء ومواقفهم. وفي الساعة الثانية بعد الظهر من نفس اليوم إكتظت ساحة بيت الإمام وغرف منزله بالناس، الذي كانوا يكثرون من ترديد الصلوات إعراباً عن حبه للإمام. وبعد عدة دقائق خرج الإمام الخميني قدس سره ليلقي كلمة شكر أشاد فيها بثبات الجماهير المسلمة وإيثارهم ووفائهم، وأوضح في معرض ثنائه على دفاعهم عن أسس الإسلام وأحكام القرآن الكريم ومجمل آرائه بشأن البرقية التي أرسلتها الحكومة.

وبعد إتمام الإمام الإعلان عن رأيه الصريح، ألقى عدد من التجار المسلمين كلمات أعلنوا فيها دعمهم لعلماء الإسلام، وخصوصاً الإمام الخميني قدس سره، وحذّروا أقطاب النظام من أن الشعب الإيراني سوف يطيح

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قدس سره"، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) "نهضة علماء إيران"، ج ٢، ص ١١٧.

(٣) كان سماحة آية الله النجفي المرعشي قد أعدّ برقية تهنئة بالانتصار، غير أن صدور بيان الإمام حال دون طبعتها وتوزيعها.

بنظامهم، وسيلقي بهم خارج إيران، أو أنهم سيرسلونهم إلى أميركا إن هم لم ينصاعوا لفتاوى العلماء، ولم ينفذوا آراءهم بدقة<sup>(١)</sup>. وشيئاً فشيئاً ازدادت الأوضاع في طهران اضطراباً وتصاعدت وتيرة المعارضة للحكومة. وشهد مسجد "أرك" في طهران، وبدءاً من ليلة ٢٣ جمادى الآخرة، محاضرات الشيخ الفلسفي، التي كانت تثير حماسة الناس. وقد وصل حماس الجماهير ذروته في الليلة التي أعلن فيها عن موقف الإمام القاضي بعزم العلماء على مواصلة نهضتهم إذا امتنعت الحكومة عن الإعلان عن خبر إلغاء اللائحة في الصحف المحلية<sup>(٢)</sup>. من ناحية أخرى، توالى الرسائل والبرقيات على المراجع في قم من مختلف أنحاء البلاد. كما قام الخطباء أيضاً بإمالة اللثام عن مؤامرات النظام. وبذا، شعرت الحكومة بالخطر الجدي، خصوصاً بعد إطلاعها على التجمع المزمع عقده من قبل العلماء في طهران بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني في مسجد سيد عزيز الله، فبادرت إلى إرسال مبعوثها السيد عماد تربتي إلى اثنين من علماء طهران، وإلى ذوي السماحة الآيات العظام السيد البهبهاني والخوانساري في الساعة الثانية عشرة والربع من ليلة ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٢، الموافق: الأول من شهر رجب المبارك، حاملاً لهم رسالة من رئاسة الوزراء أشير فيها إلى عزم الحكومة على عدم تنفيذ اللائحة، وإثر ذلك وزعت وألصقت الكثير من الإعلانات في صباح اليوم التالي على الأبواب والجدران في السوق المركزي (البازار) تحمل تواريخ أربعة من علماء طهران، وتشير إلى إلغاء الاجتماع المزمع عقده في يوم الخميس الأول من شهر رجب في مسجد السيد عزيز الله، بمشاركة علماء وأهالي طهران. غير أن جماهير الناس تحركت في صباح يوم ٢٩/١١/١٩٦٢ نحو مسجد السيد عزيز الله، فقامت الشرطة - التي كانت قد انتشرت في المنطقة سلفاً - بإلغاف أنظار الناس إلى بيان علماء طهران، وطلبت منهم التفرق. لكن دون جدوى، فالجميع كانوا ينظرون إلى الأمر بشك وتردد، ولم يمض وقت طويل حتى اكتظ المسجد بالناس. وفي الأثناء وصل الشيخ الفلسفي إلى المسجد بطلب من المسؤولين في النظام، وشكر الناس لتواجدهم في الساحة، ومقاومتهم وثباتهم ودعمهم للمراجع، وأخبرهم بجلسة مجلس الوزراء، والإلغاء الذي صدر عنه.

وبسرعة وصل نبأ ما حدث إلى قم. وفي يوم السبت ١ كانون الأول ١٩٦٢ أعلن "أسد الله علم" في مقابلة صحفية، إلغاء القرار رسمياً وكتبت الصحف وبالخط العريض: تقرر في مجلس الوزراء أن القرار الصادر بتاريخ: ٦ تشرين الأول ١٩٦٢ غير قابل للتنفيذ<sup>(٣)</sup>. وبذا، إنتهت الأزمة، وعلى الأثر أصدر الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ بياناً موجهاً إلى الشعب، ثَمَّنَ فيه ثباتهم وإيثارهم وفاءهم للإسلام والعلماء، ودعا كافة الطبقات إلى رص صفوفها أكثر، والاستعداد بيقظة لقطع اليد الخيانية بمجرد تطاولها على الإسلام ومصالح البلاد. وبذا، فإن سماعته يكون قد ألفت نظر الجماهير المسلمة، مرة أخرى، أن موضوع الاختلاف مع الحكومة لم يكن مقتصرًا على مسألة

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ"، ج ١، ص ١٩١.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٩١.

(٣) صحيفة "كيهان": الأول من كانون الأول عام ١٩٦٢.

اللائحة فقط، حتى يعود الهدوء والاطمئنان إلى النفوس بمجرد إلغائه، بل إنّ هذه المسيرة طويلة. وفي الحقيقة، فإنّ مرحلة جديدة من كفاح الشعب الإيراني بقيادة العلماء قد بدأت توّأ.

### مقاطع من الخطاب رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. رغم أنّ مضمون البرقية المرسلة إلى العلماء في قم مقنع إلى حد ما، غير أنه ما لم يتم الإعلان في الصحف عن إلغاء اللائحة، وبشكل صريح، فلا يمكننا ترتيب أثر على هذه البرقية، ولتعلم الحكومة بأنه ما لم يتم الإعلان عن قرار إلغاء العمل باللائحة في الصحف، فإننا سنعتبر هذه البرقية وكأنها لم تكن، وسوف نواصل وقوفنا بوجهها..<sup>(١)</sup>

### هوية الخطاب رقم (٤)

إيران / قم / المسجد الأعظم، في ٢٤ رجب ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٢/١٢/٢ م.

١- الموضوع: الظروف السياسية والاجتماعية المؤسفة في إيران.

٢- خدمات علماء الشيعة وجهادهم.

٣- المناسبة: عودة الحياة إلى مجاريها في قم بعد انتهاء مسألة المجالس المحلية.

٤- الحاضرون: العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية، وجمع من أهالي قم

الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

أجبرت التحذيرات القوية للإمام الخميني عليه السلام وخطاباته شديدة اللهجة - والتي تواصلت حتى بعد البرقية التي بعث بها "أسد الله علم" والمقابلة الصحفية التي أجراها - الملك وحكومته على التراجع، وإعلان خبر إلغاء لائحة المجالس المحلية. ومع انتشار هذا الخبر اعتبرت القضية منتهية ظاهرياً، الأمر الذي مهّد للنظام انتزاع الفرصة التي أتيحت للعلماء وخاصة الإمام لتوعية الجماهير.

لقد أدرك الإمام الخميني عليه السلام - ومنذ بداية الوقوف بوجه اللائحة - بأنّ النظام سوف يضطر إلى التراجع أمام مطالب العلماء وجماهير الشعب، وأنّ العامل الذي توفر لمواصلة المواجهة مع النظام سوف يفقد، لذلك تراه - ومن أجل إدامة حالة المواجهة - قدّم اقتراحاً في الاجتماع الذي عقد مع العلماء بالسعي لعزل "علم" من منصب رئاسة الوزراء بجرم إهانة الساحة المقدسة للقرآن الكريم، وطلب إليهم في الوقت ذاته أن يجعلوا المواجهة تدور حول مسألة التعطيل غير القانوني لمجلس الشيوخ ومجلس الشورى الوطني. غير أنّ العلماء لم

---

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ١٩٠. وتجدر الإشارة إلى أنّ الإمام عليه السلام ألقى كلمة مفصّلة في ذلك الاجتماع، غير أننا - ورغم الجهود المبذولة - لم نوفّق للحصول على النص الكامل لها.

يوافقوا - للأسف - على هذا الاقتراح، مما اضطر الإمام لإصدار بيان في ٤ رجب ١٣٨٢، الموافق ٢ كانون الأول ١٩٦٢، أعرب فيه عن تقديره لإيثار وتضحية الشعب.<sup>(١)</sup>

وفي يوم الإثنين ٣ كانون الأول ١٩٦٢ عاد الإمام الخميني لممارسة التدريس مرة أخرى، بعد أربعين يوماً من المواجهة مع النظام الملكي. وكان قد حضر في مجلس درسه جماعة من العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينية وجمع من أهالي قم. وقبل البدء بمادة الدرس ألقى الإمام كلمة تعرّض فيها إلى أمور هامة، فقد أشار إلى أسباب تعاون الإمام علي عليه السلام مع الخلفاء، ثم مواجهته لخلافة معاوية، فأكد: "أن الأئمة المعصومين نهضوا - ولو بعدد قليل - لإقامة الفرائض حتى استشهدوا في هذا السبيل، وعندما كان أيّ منهم يرى عدم الصلاح في القيام، كان يجلس ويمارس دوره التربوي الإصلاحي..".

في هذا الخطاب، أشار الإمام إلى واقعتين مهمتين، الأولى: واقعة إلغاء امتياز التنبك بفتوى الميرزا الشيرازي. والثانية: كفاح الشعب العراقي بقيادة آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي (الميرزا الثاني)، وتناول في كلمته موضوع المجلس الذي أقيم في مسجد السيد عزيز الله في طهران اعتراضاً على قرار مجلس الوزراء، وقال: "لو كان علماء طهران قد تعرضوا - لا سمح الله - إلى إهانة لكنت اتخذت قراراً خطيراً، إلا أن الحكومة التفتت بعد منتصف الليل إلى أنها عاجزة عن مواجهة قوى الشعب، فأخذت تعهداً من علماء طهران الإعلام<sup>(٢)</sup> على إنهاء تلك الغائلة".

إلا أن حكومة "علم" زعمت - ورداً على اعتراض العلماء والإمام الخميني عليه السلام على إشراك النساء في انتخابات المجالس المحلية - بأن القيام بهذا العمل لم يكن بدعاً من الأمر، فقد تم إقرار مشاركة النساء في انتخابات البلديات أيضاً من قبل<sup>(٣)</sup>. ومع أن الإمام الخميني عليه السلام قد أجاب على هذا الموضوع في السؤال الذي طرحه التجار والكسبة في قم، فإنه تعامل مع المسألة تعامللاً أشد فقال: "كذلك فإنّ قياس المجالس المحلية بقانون البلدية على اعتبار أنه مشابه هو قياس باطل. إن شرط الرجولة والإسلام بنص القانون مدوّن هناك ومفروغ منه..".

---

(١) وأعرب آية الله الكلبيكاني وآية الله النجفي المرعشي والسيد الشريعتمداري في بيانات أصدروها عن شكرهم لدعم الشعب. "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ١٥٩.

(٢) يقصد الإمام بعلماء طهران آية الله الخوانساري، فقد أشيع أن آية الله الخوانساري قد تعرّض للضرب على أيدي الشرطة في المواجهات التي حصلت بين الشرطة والشعب في أطراف المسجد. وقد أغضب وأقلق هذا الخبر الإمام بشدة.

(٣) جاء في القسم الثالث من برقية "أسد الله علم" إلى المراجع في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٢: "ثالثاً: في مسألة إلغاء عدم مشاركة النساء في انتخابات المجالس المحلية التي ورد اعتراض عليها، نذكركم بأنّ مقررات سابقة مشابهة للمقررات المتعلقة بانتخابات المجالس المحلية قد أقرها المجلسان قبل سبع سنوات ولم يحصل اعتراض عليها" (نهضة علماء إيران، ج ٣، ص ١٠٦).

وقد اتهم الإمام في خطابه الملك وحكومة "علم" بنقض الدستور - الذي كان يستند عليه النظام في تلك الأيام - ولفت أنظار الجميع إلى المادة الثانية من تنمة الدستور التي تنص على عدم قانونية أي من قرارات المجلس التي لا يؤيدها خمسة من العلماء المجتهدين الجامعين للشروط. وأكد في الوقت نفسه على جامعية القانون الإسلامي. وأشار أيضاً إلى ضرورة تواجد أبناء الشعب في ساحات المواجهة، وركز على أهمية دور العلماء، وعرّج على ذكر واقعة ٧ كانون الثاني ونزع الحجاب وفاجعة مسجد كوهرشاد، والإعلام المعادي للعلماء في الصحف، والمسائل الثقافية والصحية في البلاد، إلى غير ذلك.

".. إن رقي البلاد بجامعاتها، وقد أوصلتم الجامعات - أتم - إلى هذه الحال. مئة عام مرت على تأسيس هذه الجامعة، غير أنهم إذا أرادوا استئصال لوزتي السلطان، فإنهم يستدعون طبيباً من الخارج!! وسد "كرج" يجب أن يبينه الأجانب! وطريق أو جادة يجب أن يأتي الأجانب لتعبيدها! أليست هذه الأمور مما تقتضي الخجل منها إزاء الأعراف والموازين الدولية؟!..".

كان النظام الملكي يتهم العلماء بالرجعية، وكان يدّعي أنّ العلماء يعارضون تطور البلاد<sup>(١)</sup>. فرد الإمام الخميني قدس سره في كلمته هذه أيضاً على هذه الاتهامات بشدة.

خلاصة الأمر، فقد كانت كلمة الإمام في ٣ كانون الأول ١٩٦٢ ذات أبعاد متنوعة. وحتى ذلك الوقت لم يكن المتجراًون على مواجهة المشاريع التي كان يؤكد الملك على تنفيذها إلا قلة. ولأول مرة قضى الإمام على هذه العادة القديمة بكلماته المؤثرة وبياناته وبرقيات التوجيهية. كما أنه - بعد أن اضطرت حكومة "علم" إلى التراجع أمام اعتراضات العلماء وإلغاء اللائحة - اختار كثير من الذين كانوا يدعون السير مع الإمام في تلك الأيام الصمت، أو إرسال برقيات شكر إلى الملك، في محاولة لاستمالة الملك وحكومة "علم". لكن الإمام الخميني قدس سره بين في هذه الكلمة موقفه الثابت والقوي في مقابل النظام.

من ناحية أخرى، فقد أدرك أبناء الشعب أيضاً أنّ على المرجع الروحاني مسؤولية قيادة المجتمع للثورة، ومواجهة حكومات الجور، بالإضافة إلى كتابة الرسالة العملية، وممارسة دور الهداية الأخلاقية. لقد أدركت جماهير الشعب أنّ الإسلام لا ينفصل عن السياسة، وأنّ الإسلام بلا سياسة ليس إسلاماً.

---

(١) في البرقيات الجوابية التي أرسلها الملك من قصر سعد آباد إلى قم رداً على البرقيات الاعتراضية للمراجع في قم، في ما يتعلق بلائحة المجالس المحلية، في تاريخ ١٥/١٠/١٩٦٢ م، ومن أجل إظهار عدم اهتمامه بدور مراجع التقليد، خاطبهم بعبارة "حجة الإسلام"، وقال: "نحن نسعى أكثر من أي شخص آخر إلى المحافظة على الشعائر الدينية.. وألفت نظر جنابكم إلى ظروف الزمان والتاريخ، وكذلك وضع سائر الدول الإسلامية في العالم. نتمنى التوفيقات لجنابكم المستطاب في إشاعة المقررات الإسلامية وهداية الرأي العام!!". "نهضة الإمام قدس سره"، ج ١، ص ١٥١.

وكان من التأثيرات الأخرى لخطاب الإمام الخميني عليه السلام إيجاد نوع من التضامن والائتلاف بين العلماء الذين كانوا عادة يتخذون قرارات منفردة في الأمور المختلفة، وهذا الأمر تحقق بشكل عملي في المواجهات اللاحقة، وخصوصاً في قضية مواجهة "الثورة البيضاء" للملك.

نعم، بعد إعلان هذه المواقف والكلمات عرف الشعب الإيراني الوجه الحقيقي للإمام الخميني عليه السلام، وعرف أساليبه الخاصة في المواجهة. وأدت هذه المعرفة إلى استجابة الشعب الإيراني المسلم في كل الأحوال إلى نداء الإمام، حتى في السنين التي كان يعيش فيها منفياً عن الوطن، وفي النتيجة فقد أرسى تلك الحوادث قواعد النهضة التي أثمرت عن الانتصار العظيم للثورة في ١١ شباط ١٩٧٩.

### الخطاب رقم (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

أود الإشارة هنا إلى بعض الأمور التي ينبغي على الحكومات الالتفات إليها. لقد كان المسلمون - منذ ظهور الإسلام - حَفَظَ الدين الإسلامي المبين، حتى أنهم تنازلوا عن الكثير من حقوقهم الشخصية حفظاً للدين. فأمر المؤمنين عليه السلام تعاون مع الخلفاء، لأنهم كانوا يعملون - ظاهراً - وفقاً لأحكام الدين، ولم يكن هناك ما يعكّر الصفو، إلى أن جاء معاوية<sup>(١)</sup> وانحرف عن طريقة الخلفاء وسيرتهم، وأبدل الخلافة بالسلطنة، حينها اضطر أمير المؤمنين عليه السلام للقيام، إذ لم يسعه القعود، فبحكم موازين الشرع والعقل لم يكن يمكنه أن يرى معاوية غاصباً الخلافة يوماً واحداً. وأولئك الذين كانوا ينصحونه عليه السلام - لغفلتهم

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (١٥ قبل الهجرة - ٦٠ هـ)، أول خليفة في الدولة الأموية، أسلم يوم فتح مكة (٨ هـ). وكان قائداً للجيش في خلافة أبي بكر، وحاكماً للأردن في خلافة عمر، ثم حاكماً لدمشق. ثم تولى الإمارة على بلاد الشام كلها في خلافة عثمان. وبعد مقتل عثمان عزله أمير المؤمنين عليه السلام من الإمارة فأبى التنازل، واتهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان، وطالب بدمه، فانتهى الأمر بحرب صفي، وحينها قارب جيشه على الانهزام، فأمر برفع المصاحف على الرماح، فأثار بهذا الاختلاف في صفوف أصحاب الإمام علي عليه السلام فتخلّى جيش الإمام عن الحرب، وبقي معاوية في إمارته. وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام اضطر ولده الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح المشروط مع معاوية نتيجة خيانات جيشه وقادة جيشه، فحوّل الخلافة له (٤١ هـ)، ومنذ هذا التاريخ اعتبر معاوية نفسه ولي الأمر وخليفة المسلمين (راجع: "الكامل" لابن الأثير، "تاريخ الخلفاء"، "تاريخ الإسلام"، وغيرها..).



- بترك معاوية حتى يستتب له عليه السلام أمر الخلافة والملك، ثم تنحيته بعد ذلك، لم يعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام لو صبر - كما قالوا - لواجه معارضة المسلمين، ولما أمكنه خلع معاوية بعد استحكام الأمور واستقرارها. (١)  
ولعل بعض الغافلين - الآن - يستحسنون فكرة ترك أمير المؤمنين عليه السلام معاوية، ثم خلعه بعد استتباب الأمر واستحكامه له. بيد أن ذلك محض اشتباه.

على أية حال، فإن أمير المؤمنين عليه السلام عندما رأى أن حكومة جائرة تريد أن تحكم، ورأى أن القيام كان تكليفاً إلهياً، عمل به.

وكذا ترى أن سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام قاموا - مع قلة الناصر - سعيًا في إقامة الفرائض، وتثبيت الأحكام، وبقي هذا ديدنهم حتى قتلوا ومن كان منهم لا يرى الصلاح في القيام، كان يلزم بيته، ويمارس دوره في نشر الهدى. وهذا المنهج - باتجاهيه - هو السائد منذ صدر الإسلام حتى عصرنا هذا.

وعليه، سار علماء الإسلام وزعماءه، فقد كانوا بدورهم ينصحون الناس دوماً بحفظ الهدوء ما أتاح لهم التكليف الإلهي فرصة لذلك. ولسنا بعيدين عن عهد الميرزا الكبير المرحوم محمد حسن الشيرازي (٢) ذلك المفكر العظيم الذي أقام في سامراء (٣) ففي حين كان يميل إلى الهدوء والإصلاح، إلا أنه حينما رأى الخطر

---

(١) رفض معاوية الانصياع لأمر العزل. وكان المغيرة بن شعبة (داهية العرب) وابن عباس (ابن عم الإمام) يعتقدان أن عزل معاوية أمر غير صحيح. وكان ينصحان أمير المؤمنين عليه السلام بمداواة معاوية، ثم يأخذ وخلال مدة سنتين البيعة له من أهل الشام بواسطتهم، ثم يبادر إلى عزله. غير أن الإمام عليه السلام لم يقبل بتسلط معاوية على نفوس وأموال المسلمين حتى لفترة قصيرة.

(٢) هو آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي، المعروف بـ "الميرزا الشيرازي الكبير" (الأول) المرجع الأعلّم في عصره، ومن علماء الإمامية الكبار (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ)، وهو الذي أصدر الفتوى المعروفة بشأن تحريم التنبك. سافر في بداية حياته من شيراز إلى أصفهان، ودرس على علمائها، ثم ذهب إلى العتبات المقدسة في العراق، وتلمذ على الشيخ مرتضى الأنصاري، ثم مارس التدريس والتعليم. وفي زمان مرجعيته وقعت شركة "ريجي" الإنجليزية اتفاقاً مع الملك ناصر الدين القاجاري عام ١٣٠٩ هـ تم بموجبه اعتبار هذه الشركة صاحبة امتياز التبغ المطلق في إيران. وللحيلولة دون نفوذ الإنكليز في إيران أصدر الميرزا الشيرازي فتواه المشهورة "إن استعمال التنبك والتوتون اليوم يعدّ بحكم محاربة إمام الزمان"، مما اضطر ناصر الدين القاجاري إلى إلغاء امتياز الشركة الإنكليزية، ودفع الغرامة.

(٣) سامراء، وتسمى قديماً "سرّ من رأى"، من المدن العراقية المقدسة لدى المسلمين، ومن المزارات المعروفة لدى المسلمين الشيعة. تقع على مسافة ١٢٠ كلم عن بغداد على الساحل الشرقي لدجلة. وقد هُدمت وبُنيت هذه المدينة عدة مرات، وفيها الإمام علي الهادي عليه السلام الإمام العاشر، والإمام الحسن العسكري عليه السلام الإمام الحادي عشر من أئمة المسلمين. وفيها غاب الإمام المهدي عليه السلام غيبته الكبرى.

يهدد الإسلام، ورأى أنّ الملك الجائر - آنذاك - يريد أن يقضي على الإسلام بواسطة شركة أجنبية اضطر - رغم شيخوخته وسكنائه في تلك المدينة الصغيرة، وحيث لم يكن حوله أكثر من ثلاثمئة من طلبة العلوم الدينية - أن ينصح السلطان المستبد - ورسائله ما زالت محفوظة - لكن ذلك السلطان لم يصغ لنصحه، وواجه ذلك الفاضل والعالم الجليل، بعبارات نابية غير مؤدبة، اضطرتّه أن يقول كلمته ليعيد للبلاد استقلالها.

والميرزا محمد تقي الشيرازي<sup>(١)</sup> أيضاً عندما رأى أنّ العراق عرضة للخطر، قال كلمته، وآزره على ذلك أهل العراق، فأعاد الحق إلى نصابه، ولولاه لمزّق العراق تماماً.

إنّ جميع البلدان الإسلامية مدينة لهؤلاء الصالحين، فإنّهم يعود الفضل في حفظ استقلال البلدان الإسلامية إلى الآن. وهم الذين كانوا يحولون - بنصائحهم دوماً - دون تهوّر المتهورين، وفي الوقت ذاته كانوا إذا رأوا الإسلام يوماً عرضة للخطر، بذلوا كل ما في وسعهم لمواجهة ذلك الخطر، فإنّ تمّ لهم ذلك - بنشر بعض الموضوعات، أو بالمحادثات، أو بإرسال المبعوثين - فيها. وإلاّ فإنّهم مستعدون دوماً للقيام والمواجهة. لقد امتاز هؤلاء بأنّهم رغم حرصهم على اتحاد ووحدة جميع فئات المسلمين، لكنهم يتأملون في الأمور بدقة وبعد نظر، إلى الحد الذي يطمئنون فيه تماماً إلى عدم تعرّض استقلال البلاد للخطر. يتأملون في أمور قد تكون الحكومات ذاتها متورطة فيها دون أن تشعر. والشرع هنا هو الذي عيّن تكليفهم، فقيامهم ليس بالأمر الذي يدعون أنه من عند أنفسهم، بل إنّ قيامهم دوماً كان قياماً قرآنياً ودينياً.

ففي الليلة التي كان مزماً في غدها إقامة مراسم الدعاء في مسجد "سيد عزيز الله" - لأجل إلفات نظر الحكومة<sup>(٢)</sup> - أطلعونا بأنّ الحكومة تنوي مواجهة ذلك. وقد رأيت أنّ العلماء كان لهم رأي آخر في تلك الظروف، فاتخذت قراراً نهائياً - بعد الابتهاال إلى الله تعالى - يختلف عن الآخرين، ولم أطلع أحداً على ذلك،

---

(١) هو آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي، المعروف بـ "الميرزا المجهاد" (الثاني) من مراجع الشيعة الكبار، من تلاميذ الميرزا الشيرازي الكبير (توفي ١٣٣٨ هـ)، وكان يعتبر - بعد السيد كاظم الطباطبائي - قائد ثورة العشرين التي شاركت فيها العشائر المسلمة الشيعية في العراق ضد الاستعمار الإنكليزي، بُعيد الحرب العالمية الأولى، وإبان الانتداب البريطاني على العراق، وقد نصّت فتواه: "أنّ المطالبة بالحق واجبة على أهل العراق".

(٢) بعد البرقيات المتوالية التي بعث بها العلماء إلى حكومة "علم"، والتي طالبوا فيها بإلغاء لائحة المجالس المحلية وإهمال الحكومة الرد عليها، قرر علماء طهران الاجتماع بعد ظهر الخميس ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٢ في مسجد السيد عزيز الله للدعاء والاستعداد والاستعانة بالقادر المتعال، وتوعية جماهير الشعب على خفايا الأمور، وقد تمّ إطلاع عامة الشعب على هذا القرار من خلال منشور وزّع بين الناس، كما قرر ذوو السماحة الآيات العظام والعلماء كبار السن من أمثال آية الله البهبهاني وآية الله التنكابني الاعتصام في مسجد السيد عزيز الله حتى إلغاء اللائحة من قبل الحكومة، وقد أشعل هذا الخبر فتيل انتفاضة عارمة ضد الحكومة، وتوجه الكثير من عامة المتدينين ممن أزعجهم سخط المراجع والزعماء الدينيين للمشاركة في الاعتصام في مسجد السيد عزيز الله. ومسجد السيد عزيز الله من المساجد المهمة في طهران، وقاعدة للثورة الإسلامية في فترة النهضة، ويقع في منطقة السوق الكبير.

لكن الله كفى الحكومة والملك والشعب وقوع المحذور نتيجة تبدل الموقف، وإلا فقد كنت مصمماً إلى تصعيد الموقف فيما لو تعرّض أحد علماء طهران - لا سمح الله - للإهانة. ولكن الحكومة انتبهت بعد منتصف الليل إلى أنه لا يمكنها مقاومة الشعب. فأرسل رئيس الوزراء إلى كبار علماء طهران، وطلب منهم التعهد بإنهاء تلك الغائلة.<sup>(١)</sup>

ثم ما أن أسفر الصبح حتى أرسل برقية إلى علماء قم حتى أرسل برقية إلى علماء قم أيضاً. وكنا حينها في منزل السيد شريعتمداري<sup>(٢)</sup>، وكانت البرقية جيدة، غير أننا خشينا أن تكون مكيدة، إلى أن انتفى ذلك الشعور بعد أن جرت أمس مفاوضات كثيرة بين قم وطهران، ونشرت نتائجها في الصحف<sup>(٣)</sup>. وإن كانت مقدمة

---

(١) بعد تأزم الأوضاع في قضية المجالس المحلية، دعا علماء طهران جماهير الشعب للاجتماع في مسجد السيد عزيز الله بتاريخ ١١/٢٩/١٩٦٢، مما أشعر حكومة "علم" بالخطر، فبادرت إلى عقد اجتماع في المساء تقرر خلاله إلغاء لائحة المجالس المحلية، وإطلاع علماء طهران على قرار الإلغاء. فبعثت الحكومة السيد عماد تربتي كممثل لرئيس الوزراء إلى منازل سماحة السادة: البهبهاني والخوانساري والآملي والتكابني، في منتصف الليل لأخذ تعهدات منهم على إلغاء مجلس الدعاء المزمع عقده يوم غد، ولما تم للحكومة ذلك وزعت في الساعة الخامسة صباحاً بياناً يحمل توابع ذوي السماحة أعلاه في سوق طهران الكبير والمناطق المحيطة به تضمن ما يلي: بالنظر إلى إعلان السيد رئيس الوزراء إلغاء لائحة تعديل قانون انتخابات المجالس المحلية بناءً على قرار صادر من مجلس الوزراء، لذا نشكر المساعي الجميلة لعموم المسلمين، ونعلن أن لا داعي للاجتماع المقرر عقده يوم الخميس - الأول من شهر رجب - في مسجد السيد عزيز الله.

محمد الموسوي البهبهاني، أحمد الموسوي الخوانساري، العبد محمد تقي الآملي، الأحقر محمد رضا التكابني.

(٢) في صباح يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٢ أرسلت برقية من قصر رئاسة الوزراء إلى السيد كاظم شريعتمداري والآيات العظام: الكلبيكاني والنجفي المرعشي في قم تضمنت أخبارهم بقرار التراجع، دون توجيه الخطاب إلى سماحة الإمام، مما يدل على شدة غضب النظام من مواقف سماحته.

(٣) رغم وعد الحكومة بنشر خبر إلغاء اللائحة الجديدة في الصحف، إلا أنها اكتفت بأخبار المراجع والعلماء الكبار بالإلغاء، الأمر الذي أثار غضب العلماء، وخصوصاً الإمام عليه السلام الذي بادر إلى إرسال رسائل جديدة، وإيفاد مبعوث خاص إلى طهران وبعض المدن مطالباً العلماء بمواصلة الضغط، إلى أن يتم نشر خبر إلغاء اللائحة في الصحف. واستجابة لهذا الضغط بادر رئيس الوزراء من جهته إلى إطلاع الشعب على خبر إلغاء اللائحة، وذلك في مقابلة صحفية أجريت معه بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٦٢ فخرجت صحف طهران يومها بعناوين عريضة تقول: قرر مجلس الوزراء عدم العمل باللائحة المصوّبة بتاريخ ٦ تشرين الأول ١٩٦٢.

حديث رئيس الوزراء ناقصة فيما يتعلق بقانون البلدية، إذ أنه ادعى بأن الأمر قد صوّب، في حين أنه لم يصوّب، وقد اعترض عليه أيضاً.

كذلك، فإنّ قياس المجالس المحلية بقانون البلدية على اعتبار أنه مشابه، هو قياس باطل.<sup>(١)</sup> إنّ شرط الرجولة والإسلام بنص القانون مدوّن، هنا وهناك ومفروغ منه. فضلاً عن ذلك، فإننا نناقشهم بناءً على قاعدة "ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم"<sup>(٢)</sup>، وهذا لا يعني أننا نعتبر الدستور كاملاً وتاماً. فالعلماء إن تحدثوا عن طريق الدستور فلأنّ المادة الثانية لمتتم الدستور جرّدت كل قانون يخالف القرآن عن صفته القانونية<sup>(٣)</sup>.

(١) بعد شهر من الانتظار الذي تحمّله العلماء والشعب لرأي الحكومة، أبرق رئيس الوزراء إلى السيد كاظم شريعتمداري والآيات العظام: النجفي المرعشي والكلبايكاني، جاء في جانب منها "... ثالثاً حول مسألة إهمال عدم مشاركة النساء في انتخابات المجالس المحلية التي اعترضتم عليها، نذكّر سماحتكم أنّ المقررات المذكورة شبيهة بالمقررات المتعلقة بانتخابات المجالس البلدية التي أقرّها المجلس قبل سبع سنوات، ولم يعترض عليها.."، فرد الإمام عليه السلام على سؤال الكسبة والتجار في قم والذين سألوه عن رأيه حول المقابلة الصحفية التي أجريت يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٢ مع رئيس الوزراء، فأجاب: إنه يرفض ادعاء علم حول التشابه بين اللائحة مع الانتخابات البلدية، بشكل تفصيلي واستدلالي، وقد طبع هذا الرد على شكل بيان يحمل رد الإمام على رئيس الوزراء (راجع "علماء نهضة إيران"، ج ٣، ص ١١٢-١١٥).

(٢) "ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم" هذه العبارة من القواعد الفقهية، تسمى بقاعدة "الإلزام"، وبموجب هذه القاعدة، وبناءً على شروطها، فإنّ الأشخاص ملزمون في المسائل الحقوقية والدعاوى بمراعاة المذهب القانوني الذي اختاروه. وهنا يقصد الإمام اختلاف لائحة المجالس المحلية مع الدستور الذي ينبغي أنّ الحكومة ملتزمة به. ونوّه الإمام أنه ورغم الإشارة إلى القاعدة المذكورة، فإنّ ذلك ليس معناه الاعتراف بصحة الدستور، أو القوانين الوضعية الأخرى، بل إنّ وجه الاعتبار إطلاقاً هو مطابقة القوانين مع أحكام الشريعة. ولمزيد من التفصيل حول قاعدة - الإلزام - (راجع "وسائل الشيعة"، ج ١٥، كتاب الطلاق، أبواب مقدماته وشرائطه، الباب ٣٠).

(٣) تنص المادة الثانية من متمم الدستور على أنه: يجب أن لا تخالف مواد الدستور المقر من قبل مجلس الشورى الوطني، المقدس والمؤسس برعاية وتأيد إمام العصر عليه السلام، القواعد الإسلامية المقدسة والقوانين التي وضعها خير الأنام عليه السلام في أي عصر من الأعصار. كما تشير المادة ذاتها إلى أنّ تشخيص مخالفة القوانين الموضوعة مع القواعد الإسلامية يقع على عاتق العلماء الأعلام - أدام الله بركات وجودهم - لهذا تقرر رسمياً أن يتم في كل عصر من الأعصار تعيين هيئة لا يقل عددها عن خمسة أشخاص من المجتهدين والفقهاء المتدينين المطلعين على مقتضيات الزمان، وبالشكل التالي: يعرف العلماء الأعلام وحجج الإسلام من مراجع التقليد لدى الشيعة، أسماء عشرين شخصاً من العلماء الذين تتوفر فيهم الصفات المذكورة، إلى مجلس الشورى

وإلا ما لنا والقانون، نحن لنا قانون الإسلام، علماء الإسلام علماء في القرآن الكريم، علماء الإسلام علماء في الأحاديث النبوية، علماء في أحاديث أئمة الإسلام عليهم السلام. إننا ندعن بمنتهى التواضع لكل ما هو موافق للدين ولقوانين الإسلام، ونخالف كل ما يخالف الدين والقرآن - وإن كان دستوراً أو أعرافاً أو موازين دولية<sup>(١)</sup> -

لكن الموضوع انتهى - بحمد الله - وقد تنبّه السيد "أسد الله علم" إلى ضرورة إنهائه فأنهائه، ونحن بدورنا نشن تلك النهاية التي حصلت بلا قتال أو نزاع، وبلا إراقة قطرة دم واحدة. فلم يُصنع أحد في هذه القضية التي رافقها قيام شعبي عظيم، وتحركت فيها جميع العشائر! فعادة قتل جماعة أو تجرح في اضطراب أو قتال محلي ومحدود لا يتعدى عدد المشتركين فيه الألف شخص، فكيف لم يحصل ذلك في قيام لعشرين مليوناً بل إن شخصاً واحداً لم يتعرض للأذى؟ إن الحكومة لا تعلم ما هو السبب وراء ذلك. ليأتوا ولينظروا الرسائل التي وصلتنا، والأشخاص الذين جاؤوا وتحدثوا إلينا، ماذا كتبوا وماذا قالوا<sup>(٢)</sup>. لقد جاءنا بعضهم بعيون باكية وقالوا: "أصدروا أوامرهم، اضمنوا لنا حقانية موتنا لنضمن الحياة الآخرة، ولتروا ماذا سيحدث". قلنا: إننا لسنا أهل هذا الكلام. ولو صدرت كلمة واحدة منا لتفجرت الأوضاع، فمن الذي أطفأ هذه النار؟ لماذا لا يريدون أن يصدقوا؟ لماذا يسعون بمختلف الوسائل إلى تحطيم هذا الظهير؟ لماذا يصرون بكل ما أوتوا من قوة على تدمير هذه القوة العظيمة الداعمة للاستقلال؟ يعلم الله أنني آسف لذلك!

---

الوطني، فيعين أعضاء مجلس الشورى الوطني بالإتفاق أو بالقرعة، خمسة أشخاص منهم، أو أكثر، بمقتضى العصر، بمنصب العضوية، حتى يتم دراسة وبحث المواد المطروحة في المجلس بدقة، ورفض أية مادة مخالفة لقواعد الإسلام المقدسة لكيلا تحصل على صفة قانونية. ويعتبر رأي الهيئة من العلماء مطاع وواجب الإتياع في هذا المضمار، ولا تتغير هذه المادة حتى ظهور الإمام حجة العصر عليه السلام.

(١) إتخذ الملك وحكومة "علم" - من اختلاف ظروف الزمان والتقدم والرقى والأعراف الدولية - مبرراً لهم في إصدار لائحة المجالس المحلية، والإعتداء على الإسلام، ونقض الدستور. وفي ردة على برقية المراجع قال الملك: إن هذه التغييرات ليست ذات بال، وهي نتيجة طبيعية لاختلاف ظروف الزمان. كما أدان "علم" في إحدى خطابه كل أشكال الإخلال بالأمن، وألمح إلى أن ممارسات العلماء الأخيرة هي حركة رجعية. وأضاف: إن عجلة الزمان لا تعود إلى الخلف، وإن الحكومة سوف لا تتخلى عن برامجها الإصلاحية.

(٢) تأييداً منهم للمراجع في قم، ودعمًا لفتاواهم في رفض لائحة المجالس المحلية، وإعراباً عن استنكارهم وقلقهم، أرسل علماء الطراز الأول في الحوزات العلمية داخل البلاد، والعلماء والهيئات العلمية والوعاظ والتجار والكسبة والهيئات الدينية رسائل وبرقيات وطومارات كثيرة تضمنت أحياناً آلاف التوقيعات، إلى الملك والحكومة والمراجع مطالبين بإلغاء اللائحة.

إنّ العلماء رغم هذه الأوضاع ما زالوا يمارسون دورهم خدمة لاستقلال البلاد. فلم لا يلتفتوا إلى المصير الذي جرّوا إليه ثقافتنا؟ لماذا لا يستندون إلى العلماء؟ ألا يتساءلون لماذا ينقبض العالم حزناً لوفاة العالم<sup>(١)</sup> في حين تحتفل الناس بهزيمة الحكومة<sup>(٢)</sup>؟ إنّ على الحكومة أن تكون على نحو إذا تعرضت معه للسقوط أقام الناس العزاء لفقدائها، وهبوا للدفاع عنها.

إنّ هؤلاء لا يحسنون التصرف حتى بما يؤدي إلى حفظ مصالحهم، وإلاّ فإنّ الناس لو أدركوا أنّ أولئك يعملون لصالح المسلمين فسيدّمون القروض الشعبية، ويبيعون حتى بيوتهم لمساعدتهم في تحقيق مصالح المسلمين.

لماذا يتركون هذه المطبوعات متحللة من أي قيد هكذا<sup>(٣)</sup>؟ ولماذا يسيئون وينشرون التهم الباطلة؟ ألم يعلموا أنّ العلماء إذا ذهبوا، بقيت البلاد دون عماد أو سند.<sup>(٤)</sup>

لماذا تتمتع هذه المطبوعات بالحرية إلى هذا الحد<sup>(٥)</sup>؟ لماذا يتركون احتفال السابع من كانون الثاني دون قيود<sup>(١)</sup>؟ إنّ هذا مدعاة للنفرة، فلا تجعلوا سلطان البلاد منفوراً عنه. إنّنا ننصح بعدم إقامة احتفال السابع من

---

(١) إشارة إلى مراسم تشييع جثمان سماحة آية الله العظمى البروجردي (رحمة الله عليه)، والذي فُجع به الملايين من الشيعة في داخل البلاد وخارجها.

(٢) إشارة إلى تراجع حكومة "علم" أمام العلماء في قضية لائحة المجالس المحلية، حيث احتفل الشعب في كثير من المدن بانتصار العلماء والإسلام، بعد إلغائها. وقد ألقى بعض الخطباء شعراً بتلك المناسبة، ولملاحظة الدور القيادي للإمام فَدَيِّكَ في تلك الفترة (راجع الشعر المذكور في الصفحة ٢٠٥ من كتاب "دراسة وتحليل نهضة الإمام فَدَيِّكَ"، ج ١. وراجع أيضاً "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ١٨٥-١٩٣).

(٣) ينتقد الإمام حرية الصحافة في إهانة المقدسات والعلماء، الذي كان أمراً رائجاً في تلك الأيام.

(٤) كتبت الصحافة الأجيّة للنظام تقول: إذا اعتبر العلماء أنفسهم معارضين للرقيّ والتقدم الذي أعلنه الملك في إمكانهم مغادرة البلاد.

(٥) نتيجة لقيام العلماء في مواجهة لائحة انتخابات المجالس المحلية، لجأ النظام البهلوي إلى تشويه سمعة العلماء وجهاد المراجع في مواجهة الرجعية، وذلك بأنواع الإعلام المضللّ والإشاعات الكاذبة، فمن إلقاءاته القول بأنّ قيام العلماء. إنّما هو بتحريك من الإقطاعيين وكبار الملاكين والرأسماليين، هادفاً من ذلك إثارة الفلاحين في مواجهة العلماء فقد كتبت مجلة "خوشة" تقول: أرسل أحد المالكين الكبار - الموجود في الخارج - مبلغاً ضخماً من أوروبا، ليضعه تحت تصرف العلماء، باسم سهم الإمام، وذلك لدفعهم لاتخاذ خطوات لصالح الإقطاعيين.

كانون الثاني هذا<sup>(٢)</sup> ونحن نعلم المفسد التي تترتب على ذلك. احفظوا هذه البلاد، فإن رقيها لا يكون بهذا الاحتفال.

إن رقي البلاد بجامعاتها، وقد أوصلتم الجامعات إلى هذه الحال، مئة عام مرت على تأسيس هذه الجامعة، غير أنهم إذا أرادوا استئصال لوزتي السلطان، فإنهم يستدعون طبيباً من الخارج!! سدّ "كرج" يجب أن يبنيه الأجانب<sup>(٣)</sup>! كل طريق أو جادة يجب أن يأتي الأجانب لتعبيدها! أليست هذه الأمور مخجلة منها إزاء الأعراف والموازين الدولية؟! فإذا كان لديكم مهندسون وأطباء، وإذا كانت لديكم وزارة معارف، وإذا قلتم لدينا ثقافة! لدينا طلبة، وهم ذخائرنا! لدينا أطباء ومهندسون. فلماذا إذاً توظفون الأجانب لديكم؟ ولماذا تدفعون مئة ألف تومان شهرياً إلى أجنبي واحد؟ أحيبوا؟ وإذا لم يكن لديكم (أطباء ومهندسون وغيرهم) فوا أسفاه على هذه البلاد! مئة عام ولديها مؤسسات تعليمية، وجامعات إلا أنها تفتقر إلى الأطباء والمهندسين.

هذا ما يقوله عالم الدين! فعالم الدين ليس مخالفاً لتقدم اقتصاد البلاد، إنهم يتهمونه بذلك فقط.

(١) بعد النهضة الدستورية، ومنذ أواسط سنة ١٩٢٧، تردد في بعض الأوساط المقربة من رضا خان كلام حول نزع الحجاب، حتى أنّ زوجة رضا خان وبناته ظهرن أمام الناس من دون حجاب في رأس سنة ١٩٢٨ م، ولكن قانون "كشف الحجاب" نفّذ بعد عودة رضا خان من تركيا (١٩٣٤) في يوم السابع من كانون الثاني ١٩٣٦. فقد شارك رضا خان وزوجته وابنتاه في ذلك في حفل افتتاح المعهد الإعدادي، وحضر معه الوزراء ورجال الدولة مع زوجاتهم اللواتي كنّ قد نزعن الحجاب. وفي هذا الاحتفال خاطب رضا خان النساء قائلاً: لقد كسرنا قضبان السجن! والآن نترك للسجين المطلق سراحه أن يصنع لنفسه بيتاً جميلاً بدل القفص الذي كان فيه سابقاً (راجع "الحجاب وكشف الحجاب في إيران"، مذكرات تاج السلطنة).

(٢) بعد فشل النظام في مؤامرة المجالس المحلية، قررت الحكومة - بهدف حرف الرأي العام عن هذه الفضيحة - القيام باحتفال وتظاهرات واستعراضات في الشوارع في يوم السابع من كانون الثاني ١٩٦٣ بالاستفادة من النساء المشبهوات والمرتبطات بالأوساط الاستعمارية والرجعية. وعندما علم الإمام بهذا القرار، أرسل رسالة إلى الهيئة الحاكمة حذّرها فيها من أنّ علماء الإسلام سيعلمون حداداً وطنياً عاماً بمناسبة فاجع مسجد "جوهر شاد" في يوم الفضيحة والعار (٧ كانون الثاني) إذا قررت الحكومة إقامة احتفالات فيه، وسيطالبون عامة الناس بتعطيل أعمالهم، والقيام بتظاهرات في الشوارع يعلنون فيها استيائهم من مسببي تلك الفاجعة الدامية. وقد أثرت هذه الرسالة إلى درجة جعلت النظام يتراجع عن عزمه.

(٣) تم الفراغ من بناء سدّ على نهر "كرج" في شهر كانون الأول ١٩٥٨ (١٧ كلم عن مدينة "كرج"، ٦٣ كلم عن طهران). وكانت الأعمال التمهيدية لهذا السد قد بدأت عام ١٩٥٢، إلا أنها لم تكتمل. وفي عام ١٩٥٦ أوعز إلى شركة "هارزا" الهندسية الدولية دراسة ومطالعة الأعمال التمهيدية لبناء السد. وبعد موافقة المهندسين المشاورين (الأجانب) وافقت دائرة التخطيط على عقد اتفاقية على بناء السد مع شركة "هارزا".

لقد حفظ العلماء جميع أقطاب الأرض خمسمئة عام<sup>(١)</sup> وأداروها. راجعوا التاريخ، فمع أن الخلفاء كانوا خلفاء جور، إلا أنهم حكموا العالم بهذه البرامج الإسلامية، فهل يمنع الإسلام من الرقي؟ ما هو الأمر الاقتصادي الذي خالفه العلماء؟ هل أردتم إقامة سد فوقفوا بوجهكم؟ أم أردتم استيراد مصنع فمنعوكم؟ إننا نقول: لا تدمروا "معمل الحديد الصلب"! أظنون بأننا لا نعلم ماذا صنعتكم بمعمل الحديد في "كرج"<sup>(٢)</sup>؟ العلماء ليسوا ضد الاستقلال، بل إن مذهب العلماء هو الاستقلال، بل إلا أن الدين يريد منا أن نتكلم. حرمننا الوسائل، والمطبوعات ليست بأيدينا، فشوهت سمعتنا. أنظروا أنتم لقد مرّتيف وعشرون عاماً على فضيحة نزع الحجاب، قولوا لنا! ماذا حققتم<sup>(٣)</sup>؟ أدخلتم النساء إلى دوائر الدولة! أنظروا كيف أصاب الشلل كل إدارة دخلتها. الأمر لا زال محدوداً الآن، والعلماء يقولون: لا تتوسعوا فيه، ولا ترسلوا النساء إلى مدن أخرى. فإن المرأة إذا دخلت إدارة ما، فسوف تترك أوضاعها، أتريدون لاستقلالكم أن تحققة النساء<sup>(٤)</sup>؟ إن من تحاكونهم يطيطرون الآن إلى عنان السماء، وأنتم تلهثون جرياً وراء النساء؟ فلا تشوهوا سمعة علمائكم أمام الدنيا، فذلك عار عليكم.

هذه هموم، هذه نصائح، ولكن ما الفائدة، إذا كان أولئك الذين ينبغي أن يسمعوها غير موجودين، وإن وُجد أحدهم، فلن يبلغهم بما يعتصر قلوبنا ألماً.

---

(١) المقصود هو العصر الذهبي للإسلام، والذي امتد حتى القرن الخامس الهجري.

(٢) كان رضا خان يطمح في تحقيق قدرة شبيهة بقدرة ألمانيا الهتلرية، وسعيًا في ذلك أصدر أمراً بإقامة معمل الحديد الصلب، وإنطة هذا الأمر بشركة "كروب" الألمانية. وبعد دراسة المشروع إرتأت شركة كروب أن قرب "كرج" من الثروة المعدنية المتوفرة في منطقة البرز، ووجود نهر "كرج" يؤهلها لأن تكون المنطقة المثالية لإنشاء ذلك المعمل، وبالفعل تم التعاقد معها لتنفيذ المشروع، فتم استيراد القسم الأغلب من التجهيزات اللازمة لإقامة المعمل، وصرفت مبالغ طائلة، وطرحت المعدات والتجهيزات في منطقة "كرج"، ولكن - وبعد احتلال إيران من قبل قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية - حيل دون استكمال التجهيز ومواصلة العمل، ووضعت الحكومة الإيرانية في موقف اضطررها إلى إتلاف تلك المعدات والأجهزة بأسرها. وهكذا ذهبت الأموال التي دفعت من ثروة الشعب الإيراني المظلوم أدراج الرياح.

(٣) الفترة الزمنية بين مؤامرة نزع الحجاب - والتي كانت عام ١٩٣٥ م - وتاريخ إلقاء هذا الخطاب هي ٢٧ عاماً.

(٤) كان تأكيد النظام الملكي على إدخال العنصر النسائي في الدوائر وغيرها مجرد غطاء لتنفيذ السياسات الاستعمارية والغربية، ونشر الفساد، وتخدير الشبان وإشاعة الثقافة الغربية. وقد تعرضت شخصية المرأة في عهد رضا خان وابنه إلى الإبتذال بمشاريع خططها بريطانيا أولاً، ثم أميركا بعد ذلك، فقد عمل على إبعاد النساء المؤمنات وإزوائهن عن ممارسة دورهن الاجتماعي.



أما أنتم أيها الإخوة المحترمون، فإنّ مسؤوليتكم هي أن تحفظوا للإسلام هيئته وكرامته، من أي موقع كنتم فيه، وإذا ما تصرّف أحدكم خلاف ما يقتضيه الزي الذي يرتديه، فإنه يشوّه سمعة العلماء قاطبة، فلترفضوا أن تكونوا عوناً للآخرين في تشويه سمعتنا.

عندما خضنا هذه الأحداث، واجهنا أموراً طيبة جداً، وأخرى مرة جداً: الأمر الطيب فيها - كما ذكرنا - هو أحاسيس الناس "اللهم أعلِ كلماتهم" وبعض الأمور أيضاً شعرنا أنها كانت مرة بسبب أشخاص "غفر الله لهم".<sup>(١)</sup>

إنّ استقلال البلاد وبقائها بأيديكم إن شاء الله، وكل ما سيقع فإنه إما أن يكون ضاراً، أو نافعاً. فإن كان فيه ضرر فلا تهنوا، ولا بأس إن كان ما يصيبكم وهن ظاهري، ولكن المهم هو أن لا تصابوا بالوهن لروحي، فإذا هُزم الإنسان روحياً فسيكون بحكم الأموات.

أنتم تستندون إلى ذات الله تعالى، أنتم علماء، وقلوبكم متعلقة في عالم ما وراء الطبيعة، وذلك العالم لا هزيمة فيه. الدنيا ليست بأمر ذي بال، إنّ المتعلق بالله لا يُهزم، فالهزيمة لمن كانت الدنيا أمله. إذا كانت الدنيا هي منتهى الأمل، فتلك هي الهزيمة. أما إذا كانت الآمال بالغيب، وبما وراء الغيب فلا هزيمة. الهزيمة لأولئك الأشقياء، والهزيمة لأولئك المعتمدين على الشيطان، والذين تمكنت زينة الدنيا من قلوبهم. فإذا وقع أمر فيه ضرر لكم، فلتكن قلوبكم قوية، واصمدوا إلى آخر رجل منكم. لا تظنوا أنّ الأمر قد حُسم بانكسار فلان! كلا، فأنت موحدٌ آخر، وأنت مسلم آخر، أنت مرتبط بالله، والله لا يُهزم ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>. وأما إذا استتبت لكم الأمور، وحسنت لصلحكم فلا تطيروا فرحاً، بل اثبتوا. لا تفزعوا هناك، ولا تندفعوا هنا. الحق ليس في أن يقال للحكومة ما لا يناسب، فأنتم أجلّ من أن تقولوا ما لا يليق بكم. إننا - ومنذ اليوم - مشغولون بعملنا، فخلال الشهرين الماضيين لم نستطع أن نمارس عملنا بشكل صحيح نتيجة ما حدث، فقد مرّت عليّ ليالٍ نمت فيها ساعتين فقط. لننشغل من الآن وصاعداً بدروسنا التي هي أعظم من جميع العبادات "إن كان القلب مخلصاً". ومرة أخرى أيضاً إذا رأينا شيطاناً توجه نحو بلادنا من الخارج، فنحن كما نحن، والحكومة كما هي، والشعب كما هو.

---

(١) بعد إلغاء لائحة انتخابات المجالس المحلية، اعتبر عدد من العلماء أنّ المواجهة قد انتهت، وأبرقوا إلى الملك يشكرونه على إلغاء اللائحة. أما الإمام فكان يعتقد أنّ المواجهة يجب أن تستمر حتى يتم نشر خبر إلغاء اللائحة في الصحف. وقد أدى هذا الاختلاف في الرأي إلى حصول إشاعات وأخبار متناقضة أوقعت الكثيرين في الحيرة. فتوجه الناس إلى قم لاستجلاء تكليفهم الشرعي، وقد أدى الإنذار الذي وجهه الإمام إلى الحكومة إلى انصياعها إلى رغبته، ونشر قرار الإلغاء في الصحف المحلية.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

إنّ هذا الاجتماع الذي يكلف الآخرين أموالاً طائلة يتم لنا بكلمة واحدة، فالناس قد أدركوا أننا إلى جانبهم ونحبهم، والناس يتعلقون بمن يقف إلى جانبهم وبمن يحبهم، إنّ العلماء آباء الجماهير، وهم يحبون أبناءهم. رجل عجوز<sup>(١)</sup> يكتب في منتصف الليل أن اجتمعوا للدعاء. فتهبّ طهران بأسرها، وليكتب رجل عجوز ها هنا بأننا نريد أن نجتمع لنؤدي دعاء ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرُ﴾ ثم انظروا ماذا سيحدث! ذلك لأنّ الشعب أدرك أنّ العلماء يريدون صلاحه. العلماء مصلحون، وليسوا مفسدين. نحن نرغب أن يكون ذلك للحكومة. نرغب أن يقيم الجميع العزاء إذا أعلنت الحكومة حداداً عاماً، نرغب أن يكونوا منسجمين. فكما أنّ قلوب الناس تهفوا إلى العلماء بحيث تجتمع الجماهير الغفيرة بإشارة منهم، نريد أن يكون الناس هكذا مع الحكومة أيضاً.

كتبوا لنا من "الري": إنّنا خمسة آلاف نفر مستعدون، وقد لبسنا أكفاننا. وكتبوا من "جابلق"<sup>(٢)</sup> إنّنا مئة ألف نفر على استعداد لتنفيذ أوامرهم. وكتبوا من "لرستان" إنّنا عشائر حاضرة بأكفانها. إنّ الناس يقظون؟! تخلّوا أنتم عن أسلحتكم ولنأت إلى طهران فقولوا أنتم: نريد من الناس الاجتماع في الشرق، ونقول نحن: نريد من الناس الاجتماع في الغرب. تعالوا إلى قم ثم قولوا: نريد من الناس الاجتماع ها هنا، ونقول نحن: نريد من الناس الاجتماع في "خاك فرج"<sup>(٣)</sup> على بعد فرسخين، أنتم على قرب، ونحن على بعد. اذهبوا إلى خوزستان أو أي مكان آخر. لكي تفهموا، ولا تفرطوا بهذا الظهير. إنني أنصح الملك ألا يفرض بهذه القوة. شاهدنا أيضاً قضيتين، إحداها وفاة آية الله البروجردي<sup>(٤)</sup> وقد شاهدوها. فليقارنوا ما حدث بما يحدث لموت أحدهم ويقولون: لا أهمية للعالم!! أيمن أن يكون ذلك؟ ويقولون: لا شأن لنا بالعالم<sup>(١)</sup>!! ولكن العالم له شغل معكم.

---

(١) إشارة إلى الشيوخ من العلماء كسماحة آية التنكابني، وآية الله البهبهاني اللذين تجاوزت أعمارهما التسعين عاماً في ذلك الوقت.

(٢) "جابلق" منطقة من توابع مدينة أصفهان.

(٣) إحدى المناطق السكنية في مدينة قم.

(٤) سماحة آية الله السيد حسين الطباطبائي، المعروف بآية الله البروجردي (١٢٩٢-١٣٨٠ هـ) الذي تزعم الحوزة العلمية في قم (بعد آية الله الحائري)، وهو واضع الحجر الأساس للمسجد الأعظم في قم، وأكبر مراجع التقليد للشيعة، خصوصاً بعد أيلول ١٩٤١ م أيام حكم الملك محمد رضا. سافر إلى أصفهان بعد دراسة المقدمات في بروجرد، ومارس هناك تدريس الفقه والفلسفة، ثم سافر إلى النجف ودرس هناك فترة ٨ سنوات على الآخوند الملام محمد كاظم الخراساني، ثم عاد إلى إيران، ومارس تدريس العلوم العقلية والنقلية في بروجرد. وفي عام ١٩٤٤ م دعي إلى قم من قبل الإمام قدس سره ومجموعة أخرى من العلماء. وبعد فشل الحركة الدستورية، ووقوع بعض الحوادث المؤسفة كإعدام الشيخ فضل الله نوري، وشيوع حالة الإحباط نتيجة عدم تحقيق نتيجة من النشاطات السياسية في مقابل رضا خان، وسعى آية الله البروجردي إلى الدخول في المسائل

على العلماء تقديم نصائحهم للجميع، فالنصيحة من الواجبات، ولعل تركها من الكبائر، والعلماء مطالبون بتقديم النصيحة إلى الجميع، بدءاً إلى الملك، وانتهاءً بالإخوة الحاضرين. بل إلى آخر شخص في أقصى نقطة من البلاد. على العلماء أن ينصحوهم جميعاً.

وهذا هو سبيل امتلاك قلوب الناس، فقلوب الجماهير المسلمة تمتلك بالإسلام. نحن أدركنا ما يؤثر فيهم، فقلوب المسلمين تُستمال بالإسلام فإلى الله تطمئن القلوب<sup>(٢)</sup> جميع القلوب بيد الله، ومقلب القلوب هو الله. توجهوا إلى الله، لكي تتوجه قلوب الناس إليكم. وهذا هو شأن علماء الدين، فكونوا أنتم هكذا. لا أقول ضع عمامة على رأسك بل أقول: ما فهمه عالم الدين، افهمه أنت أيضاً.

فنحن نقول: بأن الحكومات يجب أن تحسن إدارة شؤون الناس، حتى يفهم الناس بأن الحكومة تسعى لخير الشعب، ولكن إذا رأوا أنها ليست كذلك، فسيتمنون سقوطها! أيتها الحكومات! أيها الأشقياء! إن فتح البلدان ليس بشيء (وهذا ما لا تقدرون عليه والحمد لله) بل إن فتح القلوب هو المهم.

فإن أردتم، فبادروا إلى ذلك. وإن لم تريدوا فشأنكم "والأمر إليكم". والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

السياسية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد كان شديد القلق من أن الإقدام على التدخل في السياسة قد ينتهي إلى الإضرار بالمسلمين، ولهذا السبب كان يصبح أحياناً هدفاً للاعتراض والنقد، وقد حاول محمد رضا استغلال شهرة وعلو مقام آية الله البروجردي، فقام بزيارته عدة مرات، وتظاهر باستعداده لإشاعة الإسلام.

(١) من تصريحات الملك محمد رضا.

(٢) هذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، الآية ٢٨ من سورة الرعد.

## هوية الخطاب رقم (٥)

إيران / قم / في شعبان ١٣٨٢ هـ، الموافق كانون الثاني 1963 م.

- الموضوع: التحذير من عواقب الاستفتاء الشعبي على مشروع الملك، وضرورة تحلي العلماء والشعب باليقظة والمقاومة.

- المناسبة: إعلان إقامة استفتاء شكلي على مشروع الثورة البيضاء من قبل النظام.

- الحاضرون: آية الله روح الله كمالوند، وعدد من الآيات العظام، وجمع من علماء قم .

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد تراجع النظام في قضية المجالس المحلية، كان الإمام يتحين الفرصة من أجل إبقاء الشعب في ساحة المواجهة. وحاولت حكومة "علم" - التي تعرّضت إلى فشل ذريع نتيجة انتفاضة العلماء - توجيه أذهان الشعب إلى مسائل أخرى كالاحتفالات، أو ما يسمى بالمراسيم الوطنية للعمل على التمهيد لتنفيذ مشروع الإصلاحات الأميركية الملكية الهدام.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار الدهاء الذي تميّز به النظام عند ربطه بين دور (المرأة) وحقوقها وبين لائحة المجالس المحلية، يمكن فهم حركة النظام الثانية في مسألة القضاء على الحجاب، فقد حاول "علم" وبإشارة من الملك الاستفادة من يوم السابع من كانون الثاني - يوم نزع الحجاب - لإعادة الاعتبار لحكومته، فبادر عن طريق إجبار الموظفين وطالبات المدارس بالخروج إلى الشوارع، وإقامة الاحتفالات التي تمارس فيها المتهتكات من النساء الرقص وإبراز المفاتن، إلى إعادة سلطته على أبناء الشعب وقادتهم من العلماء الأعلام. وبمحض إطلاع الإمام على عزم النظام، أبرق إلى المسؤولين يحذّره من أنه في حال قيام النظام بإقامة أية احتفالات يوم السابع من كانون الثاني، فإنه سيطلب العلماء الأعلام بإعلان الحداد العام في نفس اليوم، وذلك تجليلاً لذكرى فاجعة مسجد "جوهر شاد" وما حصل من الأحداث الدامية في مشهد، والتي راح ضحيتها مئات الأبرياء، بسبب معارضتهم لمحاولة رضا خان نزع الحجاب في ذلك الوقت. ونتيجة لفشل مؤامرة اللائحة الخاصة بالمجالس المحلية، أدرك الملك أنّ من مصلحته إلغاء فكرة إقامة الاحتفالات والاستعراضات في ذلك اليوم، فكان هذا انتصار آخر للإمام والشعب.

غير أنّ النظام سعى خلال فترة المواجهة بين العلماء والنظام على مسألة لائحة المجالس المحلية، وما تلاها، إلى ممارسة دور إعلامي مدروس تضمّن نشر مقالات موهنة ومثيرة للفرقة في وسائل الإعلام، غير مدخّر وسعاً في هتك حرمة العلماء. لقد حاول النظام - ومن خلال استخدام وسائل إعلامه - إظهار الملك على أنه مصلح يهدف إلى رقيّ وتقدّم المجتمع، إلّا أنه يتعرض لمعارضة العلماء.

ومرة أخرى، تمكن الإمام - وكعاداته في الاستفادة من يقظته وفطنته الخاصة - من تجنيد كل خطوة من خطوات النظام لخدمة النهضة الإسلامية، فطالب المراجع والعلماء البارزين في قم خلال الاجتماع الذي ضمّهم،

الرد على الهجوم الذي تقوم به صحف النظام، والعمل على مواجهة ذلك التحرك المشبوه. ومن جانب آخر قام الإمام باستدعاء حجة الإسلام الفلسفة - الخطيب المعروف - وطلب إليه إنذار الحكومة في محاضراته، وإفهامها أنها إذا لم تتخلّ عن أمثال هذه الممارسات، فإن العلماء سينهضون مجدداً لكشف حقائق الأمور للناس. وعلى الأثر تعرّض حجة الإسلام الفلسفي لانتقاد النظام بشدة، فقال في جانب من كلمته التي ألقاها في المسجد الأعظم في قم .. "تردد في الآونة الأخيرة أقاويل موتورة في بعض الصحف والمطبوعات ضد الإسلام والعلماء.. وقد طلب إليّ السادة العلماء والمراجع العظام أن أقوم بإتمام الحجة على الحكومة هنا، فإذا لم يبادر النظام إلى إيقاف حملة الإعلام المسموم في الصحافة هذه، فإنهم سيستأنفون نهضتهم التي قاموا بها قبل شهر ونيف.. وسوف يكشفون النقاب عن الخيانات التي تُرتكب ضد هذه البلاد.."<sup>(١)</sup>

لقد أدت مواقف الإمام الخميني قدس سره وما قام به العلماء من إتمام للحجة إلى إثارة مشاعر الشعب من جانب، وهلع النظام من جانب آخر. فبعد تنامي هذه الأخبار إلى سمع الملك بادر وبسرعة إلى إرسال مساعد رئيس الوزراء إلى قم ليقنع العلماء، ويقدم الاعتذار بأن الحكومة سوف تحول من الآن فصاعداً دون أية خطوة فيها مساس بحرمة العلماء.

وفي يوم ٩ كانون الثاني ١٩٦٣، أي بعد ٣٩ يوماً من إعلان خبر إلغاء لائحة المجالس المحلية، أعلن الملك عن استفتائه الموسوم "الأصول الستة للثورة البيضاء". وكان قد تعهد أثناء سفره إلى أميركا ولقائه بالرئيس كندي بطرح الخطط التي ترغب أميركا بتنفيذها في إيران، والإشراف على ذلك شخصياً. في مقابل إقالة الدكتور علي أميني من منصب رئاسة الوزراء. وفي الأساس فإن ما طرحه الملك في ٩ كانون الثاني ١٩٦٣ على أنه "الثورة البيضاء"، إنما هو صورة عن المشروع الإمبريالي "الإتحاد من أجل التقدم" والذي كان البيت الأبيض قد وضعه لينفذ في دول العالم الثالث ومنها إيران<sup>(٢)</sup> ليحول دون تغلغل الشيوعية في تلك البلدان. لقد كانت أميركا تعتقد أنّ الفلاحين والعمال يمثلون قوة كبيرة قادرة بتحريكها على خلق حالة شبيهة بما حصل في الصين وكوبا

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قدس سره"، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) إن فهم الأمريكان لأوضاع إيران، واعتقادهم بضرورة القيام بمجموعة من الإصلاحات، كان قد نُشر منذ فترة طويلة سابقة لذلك التاريخ في الصحف الأميركية. من ذلك ما كتبه مجلة "يو.إس نيوز إند ورلد ريبورت" (أخبار وتقارير حول أميركا والعالم) ذات الانتشار الواسع في أميركا، في عددها الصادر في تموز ١٩٥٩ بشأن الأوضاع في إيران، حيث كتبت تقول: هناك مؤشرات لتوتر الأوضاع في إيران، وهي البلد النفطي، ولو أنّ اضطراباً ظهر في أوضاع إيران، فإن أميركا سوف تدخل في أعماق ما يجري.. الناس العاديون مستأوون من الحكومة.. وفي مثل هذه الأوضاع تدعم الولايات المتحدة الحكومة الملكية بقوة سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية. في حين أنّ الإستيلاء الشعبي يؤدي إلى تدهور الأوضاع، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى مشكلات للملك والولايات المتحدة الأميركية على حد سواء.

وفيتنام إذا ما تهيأت لها الفرص المناسبة .. وأنّ تنفيذ بعض المشاريع كالإصلاح الزراعي، وتخصيص حصص للعمال في أرباح المعامل التي يعملون فيها، يمكن أن يحول دون حدوث مثل ذلك.

وبمجرد الإعلان عن الاستفتاء، ثم تعبئة الصحافة الداخلية والأجنبية. وفي خطة مدروسة لدعم الملك أعلنت الصحف: إنّ الشعب سوف يؤيد - وبأكثريّة ساحقة - نداء ملك الملوك في الإقتراع الوطني<sup>(١)</sup>. وقد بدا الإعلام المبرمج للمؤسسات الحكومية والوكالات الأجنبية مؤثراً إلى درجة جعلت الأحزاب المعارضة للنظام، بل وحتى تلك الفئات التي تدّعي الأسبقية في ميدان مواجهة النظام، إلى الإنسياق وراء ذوي التوجهات الملكية والعملاء فأعلنت - وبعد جلسات عديدة - موقفها بالشكل التالي: نعم للإصلاحات، لا للديكتاتورية! فقد غطى هذا الشعار الأبواب والجدران في طهران، حتى أنه علّق على بوابة جامعة طهران. ومن الواضح أنّ ذلك كان يعني أنّ الطبقة المثقفة والمعارضين السابقين للنظام سوف يصوّتون لصالح الأصول الستة للملك.<sup>(٢)</sup>

ولما كان الإمام الخميني قدس سرّه هو الشخص الوحيد الذي أدرك بوعيه المتميز أنّ هدف الملك من طرح الاستفتاء إنما يكمن في رغبته بتكريس سيطرة أميركا على إيران، والتقليل من أثر الضغط الشعبي على النظام. فقد لجأ الإمام إلى التباحث مع العلماء مرة أخرى بشأن الاستفتاء ذي المواد الست، وشرح لهم خطط الملك ومراميه. غير أنّ بعض العلماء لم يكن قادراً على اتخاذ قرار حاسم إزاء الأمر، لجهله بخفايا الأمور، وعدم كفايته من الناحية السياسية. لذا، فلم يوفّق الإمام في مباحثاته معهم إلى أية نتيجة، إلّا أنّ هذه الجلسات تواصلت حتى تقرر استدعاء ممثل عن الملك إلى قم، ليقوم بشرح الأهداف والدوافع التي تستند إليها "الثورة البيضاء" للمراجع والعلماء، ولكي يتم أيضاً إطلاعه على آراء العلماء في قم، ليقوم بدوره بنقلها إلى الملك وبقية المسؤولين في الحكومة. وبالفعل تم ذلك وجاء رئيس تشريفات البلاط (البهودي) إلى قم مبعوثاً من قبل الملك، وتباحث مع الإمام وبقية المراجع، ولم تسفر المباحثات عن نتيجة واضحة، كما لم تتضح النقاط المبهمة في اللوائح الست للملك.<sup>(٣)</sup>

---

(١) صحيفة "إطلاعات" ١٠ كانون الثاني ١٩٦٣ م نقلاً عن وكالة أنباء "أسوشيتد برس" وبقية وكالات الأنباء الغربية.

(٢) لقد طُرِحَ هذا الشعار من قبل السياسيين الوطنيين، وبالأخص من قبل حزب تودة. والموقف هذا ليس بغريب على هذا الحزب، فبعد واقعة الخامس من حزيران كتبت جريدة "مردم"، الصادرة في ٢٢ حزيران ١٩٦٣ تقول في مقالة تحت عنوان "الأسبوع الدامي لشهر حزيران": لا شك أنّ بعض الأوساط الرجعية حاولت استغلال المشاعر الدينية للبعض أثناء فترة أيام العزاء، كما أقدمت مجموعات من الرجعيين المتطرفين على القيام بأعمال وممارسات جاهلة ومعادية للرفقي ومخالفة للإنسانية، وتوزيع شعارات - تعارض الإصلاح الزراعي وتحرير المرأة - على المتظاهرين..

(٣) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قدس سرّه"، ج ١، ص ٢٢٣.

وانطلق الإمام يبحث عن أحد العلماء من ذوي النفوذ لإجراء محادثات مباشرة مع الملك.. فكان خياره المرحوم آية الله السيد روح الله كمالوند - أحد المدرسين السابقين الأكفاء في الفقه والأصول والفلسفة في الحوزة العلمية في قم، وذو النفوذ الواسع في مسقط رأسه خرم آباد - فذهب سماحته إلى البلاط، وأجرى مباحثات مع الملك، غير أنه وبدلاً من كشفه عن الملاحظات والإبهامات التي تحيط بمشروعه، وجّه نقداً قوياً لنهج العلماء، فقال في معرض حديثه الموجه إلى روح الله كمالوند: "يجب أن يتعلم العلماء في إيران حب ملكهم من علماء أهل السنة الذين يلهجون بالدعاء لملوك بلادهم بعد كل فريضة". فأجابه المرحوم كمالوند: "هؤلاء موظفون رسميون لدى حكوماتهم، أما علماء الشيعة، فلم يتفق لهم أن عملوا موظفين لدى الحكومات على مدى تاريخ التشيع الذي يمتد إلى ألف سنة ماضية، ولن يكونوا كذلك في المستقبل أيضاً، وينبغي عدم الخلط في التعامل". ثم أضاف قائلاً: "لم ينص الدستور على عملية الاستفتاء الشعبي، وقد قمت بمحاسبة حكومة "مصدق" بجرم قيامها بإجراء استفتاء شعبي لم ينص عليه الدستور. فكيف تقومون الآن أنتم بإجراء مثل هذا الاستفتاء؟"، فأجاب الملك: "نحن لا نستفتي، بل نريد القيام باقتراع وطني"<sup>(١)</sup>، وأصر على ضرورة إجراء الاستفتاء.

بعد لقاء المرحوم كمالوند بالملك، اقترح الإمام الخميني عليه السلام عقد اجتماع يضم المراجع والعلماء البارزين في قم، للاستماع إلى تقرير عن اللقاء، واتخاذ قرار نهائي بشأن الاستفتاء. وقد طرحت في هذا الاجتماع التاريخي وجهتي نظر مختلفتين: فالمجموعة التي كانت لا تزال تستشعر نشوة الانتصار اللذيذة في قضية المجالس المحلية، أصرت على ضرورة الوقوف بحزم أمام الإصلاحات الملكية - الأميركية. أما المجموعة الأخرى (التيار المعتدل) فكانت تقول: "إنّ الملك سوف يستفيد من جيشه المدجج بالسلاح من جهة والدعم الأجنبي من جهة أخرى لضرب كل من يواجهه، ولما كان أبناء الشعب والعلماء عزّل من أية وسيلة تعينهم على المواجهة، فإنهم سوف لا يوفقون لعمل شيء يذكر، فالحبضة الخالية لا تستطيع مواجهة السلاح"، وبعد أن استمع الإمام الخميني عليه السلام لآراء الجماعتين ألقى كلمة لم نحصل على نصها الكامل للأسف، ولم يرد في كتب المؤرخين إلا فقرات منها - ولأجل تحديد السبيل التي يجب انتحائها - شرح في البدء الظروف الحساسة المستجدة، وتعرّض إلى نقد الرأيين قائلاً: "على السادة الالتفات إلى أنه - وفي ضوء الظروف المستجدة - فإنّ المستقبل مظلم ومجهول، وإنّ مسؤولياتنا خطيرة وجسيمة.. إنّ الذي يقف أمامنا هذه المرة، والذي نخاطبه ونحمله مسؤولية أعماله هو شخص الملك الذي يعيش الآن خيار الموت والحياة.. إنّ الخطر الذي يهددنا جميعاً ليس مما يمكن غض الطرف عنه وإغفال وجوده.. فالشعب المسلم يتعرض للفناء والزوال.. وما نستطيع القيام به

---

(١) "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٢٠١، وعلى أثر هذه التحليلات غيّرت الصحافة لهجتها وراحت تستخدم لفظ "الإقتراع الوطني" بدل "الاستفتاء".

ينحصر في توعية الشعب وتوجيهه نحو الطريق الصحيح، وحينها سترون ما هي القوة التي ستقيض لنا، وكيف أنها مما تعجز المدافع والدبابات حتى عن مواجهتها".

بعد كلمة الإمام الخميني قدس سره تقرر أن يقوم كل واحد من المراجع والعلماء بالسعي لكشف القناع عن وجه النظام، وذلك بإصدار بيان يعارض فيه "الاستفتاء". وقام الإمام بإصدار أول بيان، وذلك رداً على استفتاء جمع من المتدينين الطهرانيين حول رأيه في "الاستفتاء الشعبي"، وذلك في صباح يوم الثلاثاء ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣، وذكر فيه ما يلي:

".. ليس واضحاً مَنْ هي الجهة التي لديها صلاحية القيام بالاستفتاء، يبدو أنّ هذا الاستفتاء الإلزامي هو مقدمة للقضاء على المواد المتعلقة بالدين.. إنّ علماء الإسلام موظفون أن ينبّهوا الشعب في أي وقت شعروا فيه بالخطر على الإسلام والقرآن..".<sup>(١)</sup>

وتوالى بعد بيان الإمام المنشورات التي أصدرها بقية المراجع، والتي أوضحوا فيها للمسؤولين اعتراضهم القانوني، ومواقفهم الشرعية.<sup>(٢)</sup>

وقد أدى توزيع البيان الصادر عن الإمام في طهران وقم وبقية المدن إلى إحداث هزة عنيفة، فقد أضرب أهالي طهران (من الجنوب حتى ميدان توبخانه - ميدان الإمام الخميني - سرجشمه وبهارستان) عن أعمالهم، وخرجوا إلى الشوارع يرددون شعارات معارضة للاستفتاء. واتجهوا إلى منزل آية الله الخوانساري لدعوته إلى الانضمام إلى التظاهرات وإعلان المعارضة. فوافق آية الله الخوانساري على دعوة الناس، وتحرك مع الجمع لينطلق الموج البشري من أهالي جنوب طهران من جميع الطبقات، من علماء وتجار وطلبة جامعة وعمال - ومن ميدان بيع الفواكه والخضر، وشارع بوذر جمهري (٥ حزيران) نحو تقاطع سيروس الذي كان المركز المحدد لتجمع المتظاهرين - وردد المتظاهرون في الأثناء شعارات "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً.. نصر من الله وفتح قريب..". "الاستفتاء المزيف خلاف للإسلام" و.. واستمروا على ذلك حتى وصلوا إلى منزل آية الله البهبهاني في تقاطع سيروس. وفي منزل آية الله البهبهاني ألقى حجة الإسلام الفلسفي خطاباً مدوياً أعلن فيه عن معارضة العلماء والشعب للاستفتاء الشعبي الشكلي. وبعد الخطاب خرج الناس إلى الشوارع وهم يرددون شعار "إيران بلد التعسف.. الموت للتعسف..".

كان من المقرر عقد اجتماع كبير في مسجد السيد عزيز الله، لمعارضة الاستفتاء، وذلك بدعوة من آية الله الخوانساري، وآية الله البهبهاني. لذا، فقد تحركت الحشود نحو السوق المركزي في طهران - حيث يقع مسجد سيد عزيز الله - فحصلت مواجهة شديدة بين قوات الجيش والشرطة وجماهير المتظاهرين على طوال مسيرهم، واستمرت المواجهات من الجامعة حتى السوق المركزي، وهناك كانت قوات الأمن قد طوقت المسجد، وقامت

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قدس سره"، ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) "نهضة علماء إيران"، ج ٢، ص ٢٠٧-٢١٠.



بعض العناصر من قوة الأمن بالهجوم على مرافقي آية الله الخوانساري<sup>(١)</sup>، الذي كان قد تحرك للحضور في مسجد السيد عزيز الله، وانهاكوا عليهم بالضرب، كما قاموا باعتقال مجموعة منهم، وهاجموا السيد الخوانساري، وعرضوه للإهانة، وأجبروه على العودة. كما أن آية الله البهبهاني لم يبرح منزله نتيجة الضغط الذي مارسه عليه رئيس الشرطة في طهران، بل إنه صدر بياناً إلى الحاضرين في المسجد يدعوهم فيه إلى التزام الهدوء. وطوال يوم الثلاثاء (٢٢ / ١) واليوم التالي له، واصلت الجماهير مظاهراتها، وكان للطلبة الجامعيين دور فعال في ذلك اليوم. وفي عصر يوم (٢٣ / ١) اجتمع المئات من علماء طهران في منزل آية الله الغروي، إلا أن قوات النظام علمت بهذا الاجتماع، فقامت بالهجوم على المنزل، وعرض جميع العلماء إلى الضرب والشتم، كما حمل عدد منهم في شاحنات ليلقى بهم في المعتقلات، الأمر الذي لم تكن له سابقة منذ أيلول ١٩٤١ (سقوط نظام رضا خان)<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك اللحظات التي حاول فيها النظام الملكي استعراض قوته الجهنمية لتخويف العلماء، وعزل الإمام، وإخراج الشعب من ساحة المواجهة، إنبرى الإمام عليه السلام مجدداً لرباطة جأشه المعهودة ليكسر الجمود رغم ذلك الجو الملبد بالرعب والخوف والتعسف، وذلك بإصداره بيانين متتاليين في ذلك اليوم.<sup>(٣)</sup>

## الخطاب رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

على السادة أن يلتفتوا إلى أن المستقبل أصبح مظلماً ومجهولاً، والمسؤولية ثقيلة ومعقدة نتيجة الوضع المستجد. فالحوادث التي نراها تعرض أسس الإسلام إلى خطر الفناء، فقد حيكت مؤامرة محسوبة الأبعاد على الإسلام، وعلى أمة الإسلام، وعلى استقلال إيران.

وينبغي إدراك أن هذه الحادثة لا يمكن مقارنتها مع حادثة اللائحة الخاصة بالمجالس المحلية، والتصرف طبقاً لنفس الملاك. فتلك الحادثة ترتبط - على ما يبدو - بالوزارة الممسكة بزمام الأمور، ومواجهتنا كانت لتلك الوزارة. كذلك، فإن الإنكسار الذي حدث إنما حدث لوزارة في دولة وانكسار وزارة، بل حتى سقوطها، ليس بالأمر الجدي بالنسبة للنظام الحاكم. فسقوط الوزارة لا يعرض أسس النظام إلى الإنهيار، بل إنه قد يكون أحياناً علاجاً تلجأ إليه الأنظمة لتحكيم استقرارها وحفظ وجودها.

---

(١) ينقل أن مثيري التفرقة - وبإشارة من النظام - أفنوا آية الله الخوانساري أن الناس ليسوا أوفياء، وأنهم تركوه لوحده، وهربوا في أسوأ الظروف. وللأسف أثر هذا الكلام به، فاختر العزلة بعد تلك القضية، ولم يشارك في أية مراسيم أقيمت. "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) راجع الخطاب رقم ٦.

غير أنّ الأمر في هذه المرة مختلف تماماً، فطرف الصراع معنا هذه المرة، والذي ينبغي أن يقف إزاءنا لنخاطبه ونحاسبه هو شخص الملك، وهو يعيش خيار الحياة أو الموت. فكما صرّح هو فإنّ تراجعاً في هذه المسألة سيعني سقوطه وهلاكه. إذاً، فهو مطالب بإجراء برنامج بأي ثمن، وفضلاً عن أنه لن يفكر بالتراجع في هذه المرة، فإنه سيقوم بمواجهة أية معارضة له بكل ما يملك من قدرة ووحشية. لذا، فلا ينبغي توقع انسحاب النظام في هذه المرة كما حصل في غائلة المجالس المحلية. غير أنه ينبغي التأكيد أيضاً على أنّ الخطر الذي يهددنا جميعاً ليس مما يمكن غض الطرف عنه، وإغفال وجوده.

لقد أقدمت السلطة الحاكمة على مؤامرة واسعة وشاملة، وقامت بسلسلة من الأعمال المزوّقة المضلّة، وذلك لأجل استغلال الشعب وتضييعه، فإذا لم نسعّ نحن في المقابل إلى نوعية الجماهير، والحيلولة دون وقوعها في الشراك المنصوبة لهم من قبل الاستعمار، فإنّ الشعب سيواجه الفناء والضياع، وسيصبح ضحية للخديعة والانحراف. وحينها سيتعرض علماء الإسلام للسؤال أمام الباري (تبارك وتعالى)، لأنهم رأوا الهوة بأعينهم، ولم يبادروا لتحذير العمي من السقوط فيها، فضلاً عن أنهم سيقعون ضحية للخديعة والانحراف.

إذا تمكنا نحن من توعية الجماهير وتنبيههم من هذه المؤامرة الملكية، وسعيها للحيلولة دون انطلاء الحيلة عليهم، وتحذيرهم من الوقوع تحت تأثير برامج النظام الملكي الخداعة، فإننا سنعرّض الملك إلى هزيمة وانكسار حتميين. إننا لا نريد دخول حرب آلية تستخدم فيها حركة الدبابات والمدافع، فيقول البعض: إنّ ذلك ليس في وسعنا، وماذا يمكن للقبضة الخالية أن تفعل مقابل السلاح؟!

إنّ أعظم عمل ممكن لنا هو توعية الجماهير وإيقاظهم، وحينها سترون مدى القوة العظيمة التي ستقيض لنا، وكيف أنها قوة لا يمكن حتى للمدفع والدبابة أن تقف بوجهها. في الوقت نفسه - وكما أشرنا سابقاً - فإنّ الطريق أمامنا محفوف بالمخاطر والعقد، وعلى الذين يرون أنّ تكليفهم الشرعي يكمن في استمرار المواجهة أن يحسبوا ويدرسوا الجوانب المختلفة للأمور، وعواقبها المحتملة، ثم لينظروا إلى أي حد يمكنهم التحمل والثبات على استقامة مشيهم وتعرّضهم للمصائب والشدائد التي يحتمل أن يتعرضوا لها في هذا السبيل..

## هوية الخطاب رقم (٦)

- إيران / قم / منزل أحد المراجع، في ٢٦ شعبان ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٣/١/٢٣ م.
- الموضوع: مطالبة الملك بالإعتذار من العلماء، وذلك بإقالة عَلَيْهِ السَّلَام علم عَلَيْهِ السَّلَام من رئاسة الوزراء.
- المناسبة: الحوادث الدامية في ٢٣/٢٢ من كانون ٢ في قم وطهران ودخول الملك مدينة قم.
- الحاضرون: المراجع والعلماء البارزون، وقائمقام قم

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

أدت الحوادث الدامية التي وقعت في ٢٢-٢٣ من كانون الثاني في طهران - والتي نتجت عن مقاطعة الإمام وبقيّة المراجع للاستفتاء - إلى خروج التظاهرات السلمية للشعب، وما تبع ذلك من اعتقالات واسعة شملت العلماء والعديد من المسلمين، ومحاصرة منازل ذوي السماحة: آية الله البهبهاني وآية الله الخوانساري، من قبل قوات النظام، إلى موجة جديدة من الاضطرابات<sup>(١)</sup>. وبعد ترامي أخبار الوقائع الدامية في طهران إلى سمع الإمام قُلُوبُهُ، أصدر سماحته بيانه التاريخي في ١٩٦٣/١/٢٣ م، وبهذه الخطوة الشجاعة وقف - بكل وجوده - أمام النظام الذي يزعم باطلاً أنه انتقم من الجميع بقمعه أهالي طهران، واعتقاله العلماء، ونشر الهدوء في كل مكان. في هذا الإعلان - الذي بدأ بعبارته: "على المسلمين أن يعلموا أن الإسلام في خطر الكفر" - كشف الإمام حقيقة النظام الكافر، وورد في جانب منه: ".. يعاملوننا كما كان يعامل العبيد في القرون الوسطى. أقسم بالله بأني زهدت بهذه الحياة. إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً. ليت أزلام النظام يأتون لاعتقالي حتى يسقط عني التكليف. إن جريرة علماء الإسلام وسائر المسلمين هو دفاعهم عن القرآن، وعن كرامة الإسلام واستقلال البلاد، ومعارضتهم الاستعمار". ومع بيان الإمام هذا توالى صدور بيانات أخرى عن المراجع في قم والنجف الأشرف، وعن جماعة علماء طهران، والطلبة الجامعيين المسلمين في جامعة طهران، إستنكرت جميعها إجراءات النظام اللاإنسانية والمعادية للإسلام، التي نفّذت ضد المتظاهرين في ٢٣-٢٤ من كانون الثاني في طهران، كما أكدت البيانات الصادرة على عدم قانونية الاستفتاء الشعبي، وحرمة المشاركة فيه. كانت طهران تتن تحت وطأة الدبابات والمدرعات والقوات الحكومية. كما قامت قوى الأمن - بقيادة العميد حكيمي مسؤول أمن طهران - بمحاصرة الجامعة محاصرة تامة، وقد أدت المواجهات الدامية التي وقعت في الجامعة إلى خسائر جسيمة في المعدات التعليمية.

وفي قم عطّل الكسبة والمهنيون أعمالهم بعد انتشار بيان الإمام، وعاشت المدينة حالة الإضراب العام، واتجه الناس في ذلك اليوم نحو منازل المراجع سعيّاً في تحديد تكليفهم الشرعي. وفي منزله حث الإمام قُلُوبُهُ الناس على الثبات أمام النظام، وطلب من الناس عدم مغادرة منازلهم في يوم الاستفتاء المرتقب.

(١) راجع هوية الخطاب رقم ٥.

وفي اليوم نفسه تحرك جمع كثير من أهالي المناطق الشعبية في قم نحو مركز المدينة بقصد زيارته الحرم المطهر للسيدة المعصومة عليها السلام وحمل كل واحد منهم قرآناً في يده وهم يهتفون: "نحن نتبع القرآن، ولا نريد الاستفتاء". وعندما وصل المتظاهرون إلى ساحة الحرم غصت الشوارع المحيطة بالحرم بالناس، وما هي إلا لحظات من الانتظار، حتى تصدت جماعة من الأراذل - بتحريك من السافاك - للمتظاهرين وهي تهتف بشعار "يعيش الملك"، فهاجمهم الناس، ومزقوا صور الملك، فتدخلت عناصر الشرطة لإنقاذ الأراذل، فقام عندها الناس بالدفاع عن أنفسهم، وشن هجوماً معاكساً. ووقع العقيد رضائي - وهو من ضباط شرطة قم، وكان يتولى عمليات الضرب والشتم - في أيدي الناس، فأصيب بجروح بليغة، وأحرق المتظاهرون سيارة شرطة، مما اضطر أفراد الشرطة إلى الفرار، فتابعهم الأهالي من الطلاب والعلماء، وهم يهتفون بشعارات "النصر للإسلام.. لا للإستبداد" و"الموت لهذه الحكومة الخارقة للقانون" و"الموت للملك" أحياناً.

وبعد دقائق وصلت الإمدادات، فقد أنزلت العديد من الشاحنات أعداداً من الجنود الذين تم جلبهم من معسكر المنذرية الكائن في إحدى ضواحي المدينة، وذلك لمساعدة عناصر الشرطة، فانهالت قوات الجيش على الناس من كل جانب، وأوسععتهم ضرباً، ثم توجه العسكريون في مسيرتهم نحو المدرسة الفيضية فحطموا أبوابها ونوافذها لإخراج الناس الذين التجأوا إليها، ثم إنهم توجهوا نحو سوق قم المركزي، وهم يرددون شعار "يعيش الملك"، ونهبوا المحلات التجارية. وفي تلك الأثناء كانت إحدى سيارات الشرطة تتجول في المدينة معلنة عبر المذياع: كل من لا يريد أن يُنهب حانوته عليه أن يبادر إلى فتحه، ونصب العلم الملكي ليصبح في أمان من النهب. غير أن الجماهير وقفت بوجه قوات النظام وبشجاعة منقطعة النظير في ذلك اليوم، مما عرضها إلى تحمل الضرب المبرح، الأمر الذي نتج عنه جرح العديد منهم، كما تعرضت أموال الكثيرين إلى التلف والضياع. وسعى النظام إلى تحريف ذلك القمع الوحشي، فأعلنت أجهزة إعلام النظام: إشتبك الفلاحون في قم مع طلبة العلوم الدينية، ولما طلب العلماء من الحكومة إقرار النظام، بادرت القوات الحكومية إلى إجابة طلبهم فوراً<sup>(١)</sup>. وعلى الأثر أصدر الإمام قدس سره، بتاريخ ٢٦ شعبان، بياناً استنكر فيه بشدة هجوم عناصر النظام، وجاء في جانب من البيان ما يلي: "هذا هو معنى دفاع الحكومة عن الديانة؟ وهذا هو معنى حرية التصويت، وحرية المصوتين؟ إننا نطالب الرأي العام أن يعطي حكمه على ما حصل في مدينة قم الدينية، وبالضبط في جوار الحرم المطهر، وفي الحوزة العلمية في قم..".

بعد المواجهات التي حصلت في ٢٣ كانون الثاني، تحولت مدينة قم إلى مدينة منكوبة، فحاصرت قوات الجيش والشرطة الأزقة، ومنازل العلماء والمراجع، ومدارس العلوم الدينية حصاراً شديداً. وأقيم مقر للتفتيش في مداخل المدينة ومخارجها، وجرى اعتقال العلماء الذين خرجوا للتبليغ في شهر رمضان، حتى لا يصل صوت مظلومية أهل قم إلى أسماع أهالي بقية المدن، وقد فاتهم أن خبر المواجهات في ٢٢-٢٣ من كانون الثاني في قم قد بلغ أقصى النقاط في إيران، وذلك من خلال المبعوثين الذين أرسلهم الإمام.

(١) صحيفة "إطلاعات" (٤ كانون الثاني ١٩٦٣).

في عصر ٢٣ كانون الثاني - وقبل يوم واحد من زيارة الملك لمدينة قم - عقد المراجع والعلماء الأعلام جلسة بحضور الإمام لاتخاذ قرار بشأن الأوضاع الجارية - وبإشارة من النظام - كان قائمقام قم قد طلب السماح له بحضور الجلسة، فنقل للسادة الحاضرين اعتذار النظام على ما وقع، واقترح التمهيد لعقد لقاء بين العلماء والملك في قم لحل بعض المشكلات العالقة، وتذليل الخلافات. مؤكداً على أنه في حال الموافقة على هذا الطلب، فإنّ النظام سيتعامل إيجابياً مع كافة مطالب العلماء - ومن أجل إحباط مؤامرة النظام الجديدة - بادر الإمام عليه السلام للرد قبل أن يُعلن الآخرون عن آرائهم حول الموضوع، وقبل تبلور اتجاه خاص بين الحاضرين، فتحدث مخاطباً قائمقام قم حديثاً صريحاً وهاماً، لم نحصل - للأسف - على نصه الكامل، كما لم نجد في الكتب التاريخية إلا جزءاً صغيراً منه.

كانت كلمة الإمام ورفضه اللقاء مع الملك، والشروط التي طرحت من قبله لهذا اللقاء صريحة ومكتشفة إلى درجة سدّت الطريق أمام أي نوع من البحث والاختلاف في الرأي. فقد حال بحديثه دون وقوع الاختلاف نتيجة مواقف المشاركين في الجلسة، وحُسم الأمر وأذعن الجميع إلى أنّ الإمام عليه السلام مؤهلاً للإستحواذ على قلوب الناس، ولديه اللياقة الكافية ليمارس دور القائد لأعلام الحوزة وعلمائها دون منازع أيضاً، ومن هنا فقد تحدّث العلماء واحداً بعد الآخر مؤيدين كلام الإمام، ومحذرين من عواقب أعمال القمع التي يقوم بها النظام، فخرج قائمقام قم خائباً من اجتماعه بالعلماء. إنّ المواقف الثورية للإمام، ومطالبة الجماهير بملازمة منازلهم، ومقاطعة الاستفتاء، وتجاوزه المراسم الطاغوتية القديمة القاضية بقيام علماء البلاد بتقديم وفود المستقبلين للملك عند وصوله مدينتهم ومباركتهم لذلك والدعاء له، ورفضه جميع العروض الداعية إلى المصالحة مع النظام أخرجت موقف الملك وأعضاء حكومته، وجعلتهم في موقف معقد.

ولما لم يكن قد بقي على مجيء الملك إلى قم سوى زمن قصير، لذا فقد قرر النظام اللجوء إلى تحريك العلماء المرتبطين بالنظام، ولهذا الغرض - وتزامناً مع إنهاء الاجتماع الذي ضم العلماء الأعلام وقائمقام قم - وفد إلى مدينة قم جمع من الأشخاص متجهين إلى منازل العلماء من ذوي النفوذ، وسعوا إلى الإيحاء بأنّ التكليف الشرعي للعلماء هو "المشاركة في مراسم الإستقبال والاجتماع بالملك" لصدّهم عن مواصلة الثبات على موقفهم القاضي بمواجهة النظام - وللأسف فقد أثر ذلك على عدد من العلماء السذج، فأعلنوا في ختام المحادثات عن رغبتهم في اللقاء بالملك شرط إقناع الإمام عليه السلام بذلك. مؤكدين لهؤلاء الوافدين أهمية التركيز على موضوع إقناع الإمام بتغيير موقفه. غير أنّ الجهود الحثيثة التي بُذلت في تلك الليلة لم تؤد إلى نتيجة تذكر، فقد أغلق الإمام جميع الطرق أمام من حاولوا اختراق الصفوف عن طريق التفاق، وبذا فقد مني مشروع النظام بفشل ذريع.

وعليه، فقد تحولت الجهود في الساعات الأخيرة إلى السعي لإقناع بعض المراجع والعلماء بفكرة اللقاء بالملك دون حضور الإمام. غير أنّ أحداً لم يقبل بحمل هذا العار.

## الخطاب رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. بعد الهجوم الوحشي الذي قام به أزلام النظام يوم أمس ضد العلماء والأهالي الشرفاء في مدينة طهران، وهتكهم لحرمة علماء الدين في العاصمة، والتصرف اللاإنساني لعناصر أمن النظام اليوم ضد أهالي مدينة قم وجماعة العلماء، واعتدائهم على حريم هذه الحوزة المقدسة، فإنّ النظام لم يُبقَ بذلك على أي أمل للتفاهم، ولم يترك أية وشيجة تربطنا معه، فلا سبيل بعد هذا لتحقيق اللقاء بالملك، إلّا إذا أقدم الملك - لأجل جبران ما مس من هيبة العلماء، وما هتك من قدسية حرمتهم المقدسة - على عزل "علم" من منصب رئاسة الوزراء باعتبار أنه المدان الأول، علاوة على ذلك فإنّ عليه أن يضع حداً للممارسات البوليسية، وأعمال القمع والإضطهاد. فإذا أقدم على ذلك، فإنه سيفتح الطريق أمام إمكانية اللقاء به والتباحث معه..<sup>(١)</sup>

## هوية الخطاب رقم (٧)

إيران/ قم/ منزل الإمام عليه السلام، في ١ شوال ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٢/٢/٢٦ م.

- الموضوع: الحث على معارضة الاستفتاء غير القانوني، والثورة البيضاء التي أمر بها الملك.  
- المناسبة: حلول عيد الفطر.

- الحاضرون: طلاب وعلماء قم، وزوار الحرم المطهر للسيدة المعصومة عليها السلام

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

وصل الملك إلى مدينة قم يوم ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٣، في الوقت الذي كانت فيه المدينة قد تحولت إلى قاعدة عسكرية. وما أن دخل ونظر في جموع مستقبله، حتى افتقد وجود العلماء، فتساءل عن ذلك. ولما قيل له إنّ أحداً منهم لم يأتِ للقاءه، إستاء كثيراً إلى درجة جعلته يعود أدراجه مغادراً الباحة دون دخول الحرم لأداء الزيارة.

علاوة على ذلك، كانت المدينة تعيش حالة الإضراب العام الشامل. لذا، فقد هاجم الملك في كلمته التي ألقاها في مدينة قم الكسبة والعلماء، ووصف حركة علماء الإسلام بـ"الرجعية السوداء" وقد نشرت وتشدّقت الصحف بتصريحات الملك. وأعادت نشرها وتكرارها مرات ومرات، وكانت أوامر النظام القاضية بإعطاء الصحف فرصة للقيام بإعلام مكثف من أجل إقامة الاستفتاء هي التي دفعها لذلك، ولكن رغم ذلك التطبيل الإعلامي، فقد اتسمت مراكز الإقتراع بالهدوء التام، وقلة توافد الناس عليها في ٢٦ كانون الثاني، غير أنّ الصحف كتبت في اليوم التالي: أنّ ٥٢٠ ألفاً قالوا "نعم" في طهران! وأضافت: كانت الأوات المعارضة في طهران ٨٤٣ صوتاً فقط! بل إنها أجمعت في يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٣ على القول - نقلاً عن مصادر رسمية -

(١) "دراسة وتحليل نهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٥٤.

بأنه قد صوّت ٥ ملايين و ٦٠٠ ألف إيراني لصالح الإصلاحات، كما وأعلن أنّ عدد المعارضين لم يتجاوز الـ ٤١٥٠ صوتاً! وفي أيامها أعرب البيت الأبيض - الذي رأى أنّ الملك قد وُقِّع في إجراء إحدى الخطوات البنوية التي كانت ترغب أميركا فيها - عن ارتياحه، فقد أبرق الرئيس الأميركي كندي في ٢ شباط ١٩٦٣ ببرقية تهنئة إلى الملك يهنئه فيها على انتصاره. كما التقى سفير الحكومة الإنكليزية في إيران بأسد الله علم، وأبلغه عن مشاعر الإرتياح التي حملتها ملكة بريطانيا لانتصار الملك في الاستفتاء الذي أجراه.

في تلك الظروف كان الاتحاد السوفيتي يعارض في الظاهر نفوذ أميركا في إيران. لكن وسائل الإعلام السوفياتية أثنت على الملك وعلى برامجه، فقد وصفت إذاعة موسكو في إحدى مقالاتها الإذاعية المعارضين للبرامج الملكية بأنهم "عملاء للغرب" و"رجعيون"!

كما وكتبت صحيفة "نيويورك تايمز" - الناطقة بلسان التيار الرسامي الأميركي - في تلك الأيام تقول: .. إنّ إيران اليوم أكثر حاجة إلى مساعدة أميركا لتنفيذ برامجها، ورغم أنّ موجة الإنتقاد الداخلية للمساعدات الممنوحة من قبل أميركا في تزايد مطّرد، إلّا أنّ الظروف المستجدة في إيران، تساعد في تسهيل إنجاز هذا الأمر.

من جانب آخر، كان يوم الإثنين ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٣ مصادفاً للأول من شهر رمضان المبارك لعام ١٣٨٢ هـ، لذا فقد دعا الإمام عليه السلام العلماء الحاضرين في الجلسة - التي عُقدت قبيل شهر رمضان - إلى تعطيل مراسم صلاة الجماعة ومجالس الوعظ والتبليغ في جميع أنحاء البلاد خلال شهر رمضان المبارك، وذلك للتعبير عن الموقف الواضح لعلماء الإسلام إزاء النظام الملكي. ودعا أيضاً إلى إصدار بيان في مختلف مناطق العالم الإسلامي للإعلان عن هذا الإضراب، ودعوة العلماء في البلدان الإسلامية إلى المشاركة في هذا الإضراب تضامناً مع علماء إيران. وقد وجد هذا الاقتراح صدى، حيث وافق العلماء عليه، وعلى الفور شرعوا في توجيه التوصيات إلى أئمة المساجد والمبليّغين في مختلف المدن للإمتناع عن الذهاب إلى المساجد وعن إقامة صلاة الجماعة، وأغلقت المساجد في طهران وقم وأصفهان وشيراز وكثير من المدن مع حلول شهر رمضان المبارك. وعندما شعر النظام بالخطر راح يبحث عن حل لكسر طوق ذلك الإضراب، فراح يشيع بأنّ الحكومة تنوي وضع يدها على المساجد، واستخدامها لإسكان الأيتام والمشردين من الأطفال، أو مأوى لإسكان الجنود<sup>(١)</sup>. وفي هذا السياق، قامت عناصر أمن النظام بالاتصال - بوسائل مختلفة - ببعض العلماء، وحثتهم على إنهاء الاعتصام. فأثّرت تلك المؤامرات، مما جعل البعض ينهي إضرابه، ويعيد للمساجد نشاطاتها. وهكذا، تم للنظام إفشال المشروع الذي كان مؤملاً له تعريض النظام لخطر جدي.

وفي عيد الفطر المبارك توجهت جموع من أهالي طهران والمدن الأخرى إلى مدينة قم - للعادة المعمول بها في كل عام - وقصدوا منازل المراجع والعلماء للإعراب عن الدعم لمواقف العلماء. وفي أطراف بيت الإمام

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٨٦.

فَلْيَرْجِعْ إِجْتِمَاعٌ حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْأَهَالِي، فَأَلْقَى الْإِمَامُ كَلِمَةً قَصِيرَةً لِيَكُونَ قَدْ أَدَّى رِسَالَتَهُ تَجَاهَ الْإِسْلَامِ وَالْمَجْتَمَعِ مَرَّةً أُخْرَى. وَقَدْ أُلْقِيَتْ كَلِمَةُ الْإِمَامِ فِي ظُرُوفٍ كَانِ النَّظَامُ فِيهَا يَعلَنُ عَنِ انْتِصَارِهِ السَّاحِقِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ إِعْلَامِهِ الْمَكْثُفِ. كَمَا أَنَّ الصَّحَافَةَ الْمَوْجِهَةَ كَانَتْ تَسْلُطُ الْأَضْوَاءَ عَلَى مَا وَصَفَهُ بِالمُشَارَكَةِ الْمِلْيُونِيَّةِ فِي الْاسْتِفْتَاءِ. لِذَا، فَقَدْ بَعَثَتْ كَلِمَةُ الْإِمَامِ رُوحاً جَدِيدَةً فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ، وَأَوْقَدَتْ نَارَ الثَّوْرَةِ وَالْإِنْتِفَاضَةِ، وَدَفَعَتْ الْعُلَمَاءَ وَفَنَاتِ الشَّعْبِ الْمَخْتَلِفَةَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الْمَقَاوِمَةِ ضِدَّ النَّظَامِ.. وَهَكَذَا تَوَاصَلَتْ نَهْضَةُ الْإِمَامِ ﷺ بِوَجْهِ النَّظَامِ الْمَلِكِيِّ، وَاتَّخَذَتْ أَبْعَاداً أَوْسَعَ مِنَ السَّابِقِ.

## الخطاب رقم (٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُحْتَرَمُونَ عَلَيْكُمْ الْوُقُوفُ بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ بِوَجْهِ أَعْمَالِ هَذَا النَّظَامِ الْمَخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ وَالْقَانُونِ. وَمِنْ أَيِّ مَوْقِعٍ أَنْتُمْ فِيهِ. لَا تَخَافُوا هَذِهِ الْحِرَابَ الصَّدِئَةَ الْمَهْتَرَّةَ، فَإِنَّهَا سُرْعَانِ مَا تَتَكَسَّرُ<sup>(١)</sup>. وَالنَّظَامُ الْحَاكِمُ لَنْ يَتِمَكَّنَ مِنَ الصُّمُودِ بِحِرَابِهِ هَذِهِ بِوَجْهِ إِرَادَةِ هَذَا الشَّعْبِ الْعَظِيمِ، وَسَوْفَ يَنْدَحِرُ عَاجِلاً أَمْ آجِلاً. فَهُوَ الْآنَ عَاجِزٌ وَمَهْزُومٌ أَيْضاً، وَقَدْ لَجَأَ إِلَى هَذِهِ الْهَمْجِيَّةِ - الَّتِي تَشَاهِدُونَهَا - نَتِيجَةً عَجْزِهِ.

نَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَرْغِبُ بِوُصُولِ الْأَمْرِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْمَخْزِيِّ. لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ بَعِيداً عَنِ الشَّعْبِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟ بَحِثْ أَنَّهُ حِينَمَا يَقْتَرِحُ أَمْراً، يُوَاجِهْ بِعَدَمِ اكْتِرَافِ الْجُمَاهِيرِ وَرَفْضِهَا<sup>(٢)</sup>؟ إِنَّ مَلِكَ الْبِلَادِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَرِيباً مِنْ شَعْبِهِ بَحِثْ تَسْعَى الْجُمَاهِيرُ مَعَهُ إِلَى تَحْقِيقِ اقْتِرَاحَاتِهِ وَأَوَامِرِهِ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُ، لَا أَنْ يَهْبُوا

---

(١) تَجَدَّرَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ ﷺ وَعَدَ بِثِقَةٍ فِي سَنَةِ ١٩٦٢ وَ ١٩٦٣ م فِي فِتْرَةٍ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ بِالنَّصْرِ الْإِلَهِيِّ وَحْتُمِيَّةِ انْتِصَارِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى النَّظَامِ الْمَلِكِيِّ الطَّاغُوتِيِّ. وَكَانَتْ أَوَّلَاهُمَا فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي ٢ كَانُونِ الْأَوَّلِ ١٩٦٢ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ فِي قَمِّ، مُوَجَّهاً الْخُطَابَ فِيهَا إِلَى الطُّلَّابِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ حَضَرُوا الدَّرْسَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَعْدَ انْتِهَاءِ قَضِيَّةِ الْمَجَالِسِ الْمُحَلِّيَّةِ، وَالثَّانِيَّةِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ "سَوْفَ تَتَكَسَّرُ هَذِهِ الْحِرَابُ عَمَّا قَرِيبٌ".

(٢) أَدَّتِ الْمَقَاطَعَةُ لِلْاسْتِفْتَاءِ حَوْلَ مَا يُسَمَّى بِالثَّوْرَةِ الْبَيْضَاءِ - الَّتِي أَفْتَى بِهَا الْإِمَامُ ﷺ وَبَقِيَّةِ الْمَرَاجِعِ - إِلَى مَوْجَةٍ مِنَ الْإِسْتِيَاءِ الشَّعْبِيِّ مِنَ النَّظَامِ عَمَّتِ الْبِلَادَ بِأَسْرَافِهَا. فَقَدْ أَغْلَقَ الْمُهْنِيُّونَ وَالْكَسْبَةُ مُحَلَاتِهِمْ، وَلَزِمُوا مَنَازِلَهُمْ يَوْمَ الْاسْتِفْتَاءِ، وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ، وَعَاشَتْ أَكْثَرُ الْمَدَنِ يَوْمَهَا أَوْضَاعاً غَيْرَ عَادِيَّةٍ، خَاصَّةً مَدَنَ طَهْرَانَ وَقَمِّ وَمَشْهَدَ وَيزِدَ وَكَاشَانَ وَنَجَفَ أَبَادَ وَكَازِرُونَ وَرَفْسَنجَانَ. أَمَّا الْمُقْتَرِعُونَ فَقَدْ كَانُوا حَشُوداً مِنَ السَّدْجِ وَالْمَغْفَلِينَ، وَأَعْدَاداً كَبِيرَةً مِنَ الْمُوظَّفِينَ الَّذِينَ جِيءَ بِهِمْ إِلَى صِنَادِيقِ الْإِقْتِرَاعِ عَنُوةً، وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ عُنَاصِرِ أَمْنِ النَّظَامِ. فَقَدْ دَفَعَتْ لَا مَبَالَاةَ النَّاسِ بِالنَّظَامِ إِلَى مَلءِ الصِّنَادِيقِ بِأَوْرَاقِ اقْتِرَاعِ مَزِيْفَةٍ (رَاجِعْ كِتَابَ "دِرَاسَةِ وَتَحْلِيلِ لِنَهْضَةِ الْإِمَامِ ﷺ"، ج ١، ص ٢٦٧ وَمَا بَعْدَهَا).



إلى معارضته، فالاستفتاء الذي اقترحه الملك لم يؤيده أكثر من ألفي<sup>(١)</sup>. نفر في كل أنحاء البلاد! ولم نرغب في تعرض مسؤولي البلاد الكبار إلى مثل هذه الهزيمة المذلة. فأحرى بهم أن يعتبروا، وأن ينتبهوا، وأن يعيدوا النظر في سياساتهم. وبدلاً من تجاوز القانون واعتقال العلماء والمحترمين<sup>(٢)</sup>، وبدلاً من الإرهاب والتجبر، عليهم أن يذعنوا المطالب الشعب، ويلتفتوا إلى استحالة إخضاع الشعب وإذلاله بالإرهاب، وعدم إمكانية منع العلماء - بالضغط والإكراه - من أداء مسؤولياتهم التي أناطها الإسلام بهم. فإذا كانوا قد منعوا السيد "الإسلامي" من الخطابة في طهران<sup>(٣)</sup> لكنهم رأوا كيف ارتقى المنبر في "ميناء بهلوي"<sup>(٤)</sup> وصدق هناك مبيّن الحقائق. وإذا كانوا قد منعوه من إتمام حديثه في "ميناء بهلوي" فليثقوا من أنه سيتم خطابه في مكان آخر، وسيوضح الأمور للجماهير حيثما أمكنته الفرصة. وإذا كانوا قد منعوا العديد من العلماء والخطباء من الخطابة - باعتقالهم وسجنهم - فإن سائر العلماء الذين لم يُعتقلوا حتى الآن سيرتقون المنابر وسينبّهون الجماهير، فليس بالإمكان قطع لسان العلماء.<sup>(٥)</sup>

(١) أعلنت الصحف: إن خمسة ملايين وستمئة ألف شخص صوتوا لصالح الأصول التي اقترحها الملك! في مقابل أربعة آلاف ومئة وخمسين شخصاً معارضاً. وكان الملك يكرر ذكر هذا الأمر في كل لقاء أو كلمة يلقيها، مؤكداً على الرقم خمسة ملايين وستمئة ألف صوت مؤيد! (لمزيد من الإطلاع راجع كلمة الملك المؤرخة في ٢٧ أيار ١٩٦٣ والتي ألقاها في كرمان. والكلمة المؤرخة في ٩ حزيران ١٩٦٣ والموجهة للطلبة الجامعيين المتوجهين إلى أميركا. والكلمة المؤرخة ١٢ شباط ١٩٦٤ م والتي ألقاها في مطار دزفول. والكلمة المؤرخة ٢ نيسان ١٩٦٤ والموجهة للفلاحين في بيرجند. وبقية كلماته مع مراسلي الصحف).

(٢) بعد إصدار المنشورات التي تضمنت آراء وفتاوى المراجع والعلماء القاضية بمقاطعة الاستفتاء حول "الثورة البيضاء" حوصرت منازل اثنين من كبار العلماء في طهران هما: ذوا السماحة الآيات العظام البهبهاني والخوانساري. وعلى الأثر تجمع علماء طهران في منزل حجة الإسلام الشيخ محمد الغروي الكاشاني للتباحث حول الحل الأمثل لمواجهة الموقف. فعلم رجال أمن النظام بهذا التجمع، فداهموا بيت الشيخ الكاشاني، واعتقلوا عدداً كبيراً من العلماء البارزين في طهران، وأودعهم سجن "قزل قلعة"، وفي وضع سيئ للغاية. كما قام أزام النظام في قم ومشهد وبقية المدن بمثل هذا العمل أيضاً، وألقوا أعداداً من العلماء والمتدينين المعارضين في السجن.

(٣) الشيخ عباس علي الإسلامي، من العلماء والوعاظ المعروفين أيام النهضة، وقد منعه النظام من صعود المنبر. فسافر سراً إلى شمال إيران، وارتقى منبر الوعظ والإرشاد في "ميناء أنزلي" في شهر رمضان ١٣٨٢ هـق وبعد مدة أخرج من "أنزلي"، لكنه لم يتخلّ عن أداء دوره التوجيهي، فألقى - خفية - محاضرات عديدة في عدد من مدن إيران.

(٤) "ميناء أنزلي".

(٥) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٨٩.

## هوية الخطاب رقم (٨)

- إيران / قم / المسجد الأعظم، في ٢٣ شوال ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٣/٣/٢٠ م.
- الموضوع: ضرورة الاستعداد للتضحية في سبيل الإسلام، ومواجهة الطاغوت.
- المناسبة: تهديدات الملك وعزمه على الهجوم على الحوزة العلمية.
- الحاضرون: تلاميذ الإمام ومريدوه.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

ألقى الإمام عليه السلام أول خطاب له بعد إجراء الاستفتاء في ظروف كان النظام يواصل التشدد الأصول الستة التي طرحها الملك في ثورته البيضاء. ولما كان الإمام مدركاً لحقيقة الأوضاع والبرامج المتوخى تنفيذها، لذا قرر السعي للمحافظة على إدامة جذوة الثورة. ولبلوغ هذا الهدف أقنع العلماء في قم بعقد جلسات أسبوعية منتظمة لاتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة خطط النظام المغرضة ضد الإسلام. ووفق لعقد تلك الجلسات كل أسبوع.

أما الملك وحكومته فقد سعيًا - تزامناً مع تصميم العلماء - على الإيحاء بعدم صواب إجراءاتهم. وفي إحدى الجلسات تمكن الإمام من الحصول على تأييد العلماء له على إصدار بيان للرد على ادعاءات النظام، وكشف دوافعه الحقيقية في سعيه لإشراك النساء في الانتخابات. وقد كُتب هذا البيان المعروف بـ "بيان التسعة" من قبل الإمام شخصياً، فصدر بأسلوب مبتكر ونادر يحمل إمضاء تسعة من المراجع وعلماء الطراز الأول في قم<sup>(١)</sup>. ورد الإمام في هذا البيان على ادعاءات النظام رداً تعرض فيه إلى الجوانب الحقوقية والشرعية المختلفة، مؤكداً في خاتمة البيان على أنّ الحكومة.. قامت باتخاذ خطوات تنطوي على عواقب خطيرة ومخيفة للإسلام والمسلمين دون مراعاة القوانين الإسلامية.

وقد أدى صدور هذا البيان إلى موجة من التوعية الجماهيرية. علاوة على ذلك فقد أدى إلى إصابة الجهاز الأمني للنظام بهلع شديد دفعه إلى العمل على الحد من آثار هذا البيان، وذلك بعدة أساليب منها: نشر المقالات في الصحف الأجنبية. كما أنّ الملك أيضاً لم ينأ عن المشاركة في هذا المسعى، فقد أبدى رد فعل قوي تجاه البيان الحازم الذي أصدره العلماء فقال - دون خجل - في إحدى خطابات التي ألقاها في قاعدة "وحدتي" في مدينة دزفول في ١٤ آذار ١٩٦٣: .. إذا لم يستيقظ "العلماء" من غفلتهم، فإن قبضة العدالة ستنزل على رؤوسهم كالصاعقة، وأياً كان اللباس الذي يرتدون.

---

(١) الموقعون على البيان المذكور هم ذوو السماحة الآيات العظام: سماحة الإمام عليه السلام، مرتضى الحسيني اللكرودي، سيد أحمد الحسيني الزنجاني، سيد محمد حسين الطباطبائي، سيد محمد الموسوي اليزدي، سيد محمد رضا الموسوي الكليكاني، مرتضى الحائري، الهاشمي الأملي والسيد كاظم شريعتمداري. ("صحيفة نور"، ج ١، ص ٢٩).

غير أنّ الإمام عليه السلام لم يكن ذلك الرعديد الذي تخيفه أمثال تلك التهديدات، بل إنه كان يدرك أنّ أشد ما يخشاه الملك هو يقظة الجماهير ووعيتها. لذا، فقد سعى من خلال خطابه التوعوية والتوجيهية إلى دفع الملك نحو موقف إنفعالي تتزايد وتيرته يوماً بعد آخر.

وفي الأشهر الأولى من عام ١٩٦٣ م وعلى أعتاب السنة الهجرية الشمسية الجديدة كانت مدينة قم تعيش أوضاعاً غير عادية، حيث حاول النظام معالجة الوضع بطريقتين، فمن ناحية قام بنشر أجواء الرعب بين أبناء الشعب، وذلك عن طريق ملء المدينة بالشاحنات العسكرية، والقيام بمناورات أمنية فيها. ومن ناحية أخرى، قام بتوزيع منشورات موتورة - قام أفراد الجهاز الأمني بتوزيعها ليلاً - تغص بالتهم الباطلة التي أريد إلصاقها بالعلماء، وخاصة بالإمام عليه السلام، إلا أنّ جماهير الشعب أصبحت تتمتع بوعي وجرأة أكثر من السابق.

كان المسجد الأعظم يغص بالحاضرين، والجميع ينتظر خطاب الإمام. وبوقاره المعتاد، بدأ الإمام خطابه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ومما يؤسف له هو عدم حصولنا على النص الكامل لخطاب الإمام العاصف هذا، كما أننا نجهل الأثر الذي أحدثه في الحاضرين، لأنه لم يصلنا من تلك الكلمة التحذيرية والمثيرة إلا النزر اليسير.<sup>(١)</sup>

على أية حال فمن الثابت أنّ كلمة الإمام التي ألقاها في الأيام الأخيرة من العام الهجري الشمسي، وحيث كان عيد الربيع على الأبواب، فقد أحدثت تأثيراً عجبياً في الحاضرين، وكانت كل جملة منها درساً في المواجهة والمقاومة.

كان الإمام يستشفّ، ببصيرته الخاصة، حوادث المستقبل، ويعمل على تهيئة الجماهير المسلمة للوقوف باستقامة أمام الحوادث المرة التي يتوقع وقوعها في الأيام القادمة. وكان وكأنه يرى بوضوح وقائع الخامس من حزيران الدامية في الأشهر اللاحقة وما تلاها من حوادث.

## الخطاب رقم (٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.<sup>(٢)</sup>

لَمَّا لم تكن أميركا أو بريطانيا أو "إسرائيل"، هنّ ربنا، ولمّا كان الله هو الرب فما لنا نخاف وما لنا نحزن؟! إنّ مَنْ يريدون أن نخافهم ليسوا بشراً أصلاً، فبماذا يهدّدوننا؟ ولمّ علينا أن نخاف من تهديداتهم؟! لقد أتممت الثالثة والستين من العمر في هذا العام، وقد التحق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى وهو في الثالثة والستين

(١) لم يكن مسجل الصوت رائجاً كثيراً في تلك الأيام، ولم نعر - إلى الآن - على تسجيل صوتي للخطاب.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٠.

من عمره الشريف، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام (عندها بكى الحاضرون)، فلم علينا أن نخافهم؟! نحن أتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأتباع أمير المؤمنين عليه السلام وأتباع أبا عبد الله عليه السلام فلم الخوف؟! أعدوا أنفسكم للقتل، أعدوا أنفسكم للسجن، أعدوا أنفسكم للخدمة الإلزامية، أعدوا أنفسكم للتعرض للإهانة والهتك، ولتحمل المصائب التي ستلاقيكم في سبيل الدفاع عن الإسلام واستقلال البلاد.. شدوا الأحزمة، واستعدوا للسجن والنفي والخدمة الإلزامية وخلع العمام .. و..<sup>(١)</sup>

## هوية الخطاب رقم (٩)

إيران / قم / منزل الإمام قلبي، في ٢٥ شوال ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٣/٣/٢٢ م.

- الموضوع: الاستعداد لتحمل الصعوبات والصبر والإستقامة أمام المصائب.

- المناسبة: هجوم عناصر النظام على المدرسة الفيضية.

- الحاضرون: مجموعة من الطلاب والعلماء، وأهالي قم.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في آخر خطابه في آذار عام ١٩٦٣ م كان الإمام قلبي يبدو وكأنه يتوقع كل ما حدث بعد ذلك، وكأنه على اطلاع مسبق بكل المؤامرات التي ينوي الملك ونظامه القيام بها، ولعل هذا السبب هو الذي دعاه إلى حث العلماء - في كلمته الثورية المدوية - على الصمود أمام القتل والإعتقال، والخدمة الإلزامية وتحمل مختلف أنواع المصائب الأخرى.

كان "نوروز" عام ١٩٦٣ م على الأبواب، وكان الإمام يرى في ذلك فرصة لإمطة اللثام عن المخططات الملكية الخطيرة. لذا، فقد اقترح في الأسبوع الأخير من شهر آذار ١٩٦٣ م (آخر أسبوع في العالم الهجري الشمسي) وخلال الجلسة التي عقدها العلماء في قم إلى إعلان علماء قم والمدن الأخرى والحوزات العلمية عن حداد عام في عيد "النوروز"، فوافق المراجع والعلماء على ذلك، ثم بادروا إلى إطلاع علماء المدن على ما تقرر.

وكان سماحة الإمام قد قال في حديثه الموجه إلى العلماء: "إن الجهاز الحاكم يسعى جاهداً لهدم الأحكام الأساسية للإسلام، كما ينوي بعد ذلك القيام بأمور تهدد الإسلام بالخطر. لذا، فإني أعلن عيد "النوروز" حداداً عاماً، وسأجلس لاستقبال معزي إمام العصر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وسوف أحذر أبناء الشعب من الخطر القادم..". كما حذر سماحته أيضاً وفي بيان عنيف يحمل عنوان "ليس للعلماء عيد هذه السنة" قائلاً: "إن الجهاز المتجبر ينوي.. تجنيد الفتيات من ذوات الثامنة عشر عاماً. وتسويقهن إلى المعسكرات، أي أنه يريد أن

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قلبي"، ج ١، ص ٣١٠، بعض العبارات المنقولة هنا مأخوذة من مقابلات أجريت مع أشخاص موثوقين حضروا ذلك المجلس وكانوا من بين المستمعين لهذا الخطاب.

يأخذ الفتيات العفيفات المسلمات إلى مراكز الفحشاء بقوة الحراب.. إنني أعلن هذا العيد حداداً عاماً لجميع المسلمين.. وإذا بقيت حياً، فسوف أقوم بأداء تكليفي اللاحق بإذن الله".

لقد أثارت بيانات الإمام عليه السلام في هذا الصدد<sup>(١)</sup> خوف الملك ونظامه، وزادت من قلقهما إلى درجة جعلت الملك يحاول تكذيب الأمور التي أشار إليها بيان الإمام بنفسه. ففي كلمته يوم ١ نيسان ١٩٦٣ في مشهد، نفى موضوع إقدام الحكومة على تجنيد الفتيات البالغات ١٨ و ١٩ عاماً، واعتبر هذا الموضوع شائعة، كما هدد في الوقت ذاته من أن على رجال الأمن والقضاء ملاحقة ناشري هذه الأكاذيب ومعاقبتهم.<sup>(٢)</sup>

إنّ الخطوات التي أقدم عليها الإمام عليه السلام وبقية العلماء، والترحيب الذي لقيته من لدن الشعب كشفت للملاّ ماهية النظام وحقيقته.

فعند حلول العام الشمسي الجديد تجمع - وحسب العادة الجارية في كل عام - عدد كبير من اهالي والزوار الوافدين من المدن الأخرى في الصحن المطهر، وداخل حرم السيدة المعصومة عليها السلام وفي المسجد الأعظم ومسجد "الرأس الشريف" اللذين كانا متصلين بالحرم. وكانت مصابيح الزينة المعلقة تطفأ وتضاء عدة مرات إشعاراً بحلول العام الجديد، وفي إحدى الفترات التي تخللت إضاءتين قام عدد من طلاب العلوم الدينية في حوزة قم بنشر آلاف البيانات المعادية للنظام، وآخر ما صدر عن الإمام عليه السلام وسائر المراجع، فانهمك الناس بعد إضاءة المصابيح بجمع هذه البيانات، وقراءتها بشغف ولهفة خاصتين<sup>(٣)</sup> وكانت حركة لا تُنسى قام بها الطلبة الشبان، فلم يسبق لها مثيل، فقد فوجئ رجال الأمن الذين كانوا منتشرين في كافة النقاط الحساسة من المدينة وخاصة في جوانب الحرم المطهر المختلفة، وأسقط ما في أيديهم.

وفي صباح يوم ٢٢ آذار الذي ان مصادفها لـ ٢٥ شوال ١٣٨٢ ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، دخلت قم - وبشكل مفاجئ - آلاف الحافلات التابعة لمؤسسة نقل الركاب، ولم يكن أحداً على علم بالموضوع. وبعد عدة ساعات وصلت إلى قم شاحنات مجهزة بأسلحة رشاشة تقلّ جنوداً مسلحين، وقامت بمناورة في شوارع المدينة.

وفي منزل الإمام عليه السلام كان قد أقيم مجلس تأبين في ذكرى شهادة الإمام الصادق عليه السلام حضره عدد كبير من الأهالي والزوار الذين وفدوا إلى قم. وكان الخطيب يتحدث عن فضائل الإمام الصادق عليه السلام وأهم المواجهات التي حدثت بين الإمام عليه السلام والنظاميين الأموي والعباسي، ثم إنه عرّج على الأوضاع الراهنة يريد الحديث عنها، فإذا ببعض الحاضرين يقاطعه بصلوات متواصلة في غير محلّها، فاضطرب المجلس، وما أن علم

(١) صدر حول هذا الموضوع بيانين، أحدهما بتاريخ ١٦ شوال ١٣٨٢ والآخر بعد فترة قصيرة، وقد هزّ البيان الأخير إيران من أقصاها إلى أذناها (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٣١٥ و ٣٦١).

(٢) صحف طهران الصادرة عصر يوم ١٩٦٣/٤/١ م.

(٣) وردت نماذج من هذه البيانات في كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٣٣١.

الإمام بذلك حتى حضر إلى المجلس، وجلس في مكان يمكن أن يراه فيه كافة الحاضرين تقريباً. واستمر اللغط بحيث أدرك الجميع أنّ الغرض الأساسي هو بث الفوضى في مجلس العزاء. ولما تيقن الإمام من ذلك الوضع أمر أحد العلماء الحاضرين في المجلس<sup>(١)</sup> أن يهدد مثيري الفوضى بصوت عالٍ، ويفهمهم بأنهم إذا قاموا مرة أخرى بحركة غير لائقة تؤدي إلى الإخلال بنظم وهدوء المجلس، وأرادوا الحيلولة دون وصول كلام السادة الخطباء إلى إسماع الناس، فإنّ سماحة الإمام سيتحرك فوراً نحو الصحن المطهر، ويلقي بنفسه ما يراه مناسباً في جوار المرقد المطهر للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام فأثر هذا التهديد، وعاد الهدوء إلى المجلس.<sup>(٢)</sup>

وبعد ظهر ذلك اليوم أقيم مجلس آخر للعزاء في المدرسة الفيضية، وكانت العجلات العسكرية التي تم استقدامها من طهران قد استقرت في ميدان آستانه - مقابل المدرسة - وخلال مجلس العزاء أدت التحركات المريبة التي قام بها بعض الحاضرين - المكلفين بلا شك من قبل جهاز السافاك - إلى حصول حالة من التوتر في المجلس أدت بالخطيب إلى التوقف عن إكمال خطابه، وفي الحال قامت مجموعة من الأشرار بالهجوم على الحاضرين بغتة، فجرح عددٌ منهم<sup>(٣)</sup> وعلى أثر ذلك قامت القوات المستقرة خارجاً، وبمعية بعض عناصر الشركة بالهجوم على المدرسة الفيضية هجوماً وحشياً، فاستشهد وجرح عشرات الأشخاص، لم تحدد سوى هوية ثلاثة منهم فقط<sup>(٤)</sup>. المرافقون آية الله الكليكاني - المؤسس لمجلس العزاء في الذكرى السنوية لشهادة الإمام الصادق عليه السلام الذي كان حاضراً - أسرعوا لنقله إلى إحدى غرف المدرسة الفيضية، ومن هناك شهد سماحته بتأثر كبير ضرب وجرح وأنين وصراخ المصابين في تلك الحادثة. كان الإمام عليه السلام حينها في منزله، ولما وصله نبأ الهجوم الذي قام به أزالام النظام، خرج من منزله إلى مضيفه الذي كان قد امتلأ بالناس المذعورة قاصداً مغادرة المنزل، حينها حاول البعض إغلاق باب منزله لمنع من الخروج، فاستاء الإمام وقال: "يجب أن اذهب إلى الفيضية لأرى ماذا يحلّ بطلابي"، غير أنه لم يتمكن من مغادرة المنزل نتيجة إصرار الحاضرين على منعه من ذلك.

---

(١) حجة الإسلام الشيخ صادق الخلخالي.

(٢) في هذا الصدد يقول النجل الكريم للإمام، سماحة السيد أحمد الخميني: قال لي الإمام: كنت أعرف أنّ عناصر أمن النظام سترددون بعد هذا التحذير، وسوف يتساءلون هل يجب أن يواصلوا مهمتهم في الإخلال بنظم الجلسة طبقاً للأوامر المكلفين بها سابقاً، أم أنّ عليهم أن ينتظروا أوامر جديدة من المركز، وإلى أن يخرجوا من ترددهم، فإنّ مجلس العزاء والخطبة سينتهيان عملياً، وبذا سيفشل عناصر السافاك في تنفيذ خطتهم.

(٣) كان العقيد المولوي، المعاون في إدارة السافاك في طهران آنذاك، هو قائد الهجوم. وقد قتل في عام ١٩٧١ (أيام احتفالات العار على مضيّ ٢٥٠٠ عام) في حادثة سقوط طائرة سمتية كانت تقلّه. وكان حينها رئيساً لشرطة الطرق الخارجية.

(٤) الشهيد يونس الرودباري، واثنان من أهل المهن في قم.

كتب أحد العلماء - الحاضرين في منزل الإمام حينها - في مذكراته يقول: إستمح أحد الطلاب الإمام بالقول: "إسمحوا لنا بإغلاق باب المنزل، فقد يتعرض منزل سماحتكم للهجوم. فقال الإمام: "لا أسمح بذلك". عندها علّق سماحة آية الله السيد صادق اللواساني - أحد أصدقاء الإمام، وكان جالساً إلى جانبه - بالقول: أرى أنه اقترح لا بأس به فلتسمحوا بغلق الباب فالوضع خطير. فقال الإمام: "قلت كلا، وإذا أصررتم فإنني سأخرج من المنزل واذهب إلى الشارع لتلقّي الضرب بهذه العصي، يضربون الطلاب وأغلق أنا بيتي، أي كلام هذا؟!". ثم توضّأ وصلّى بالحاضرين في ساحة المنزل، ثم ألقى كلمة قصيرة رائعة. وكان من بين ما قال على ما أذكر: "لقد انتهى هؤلاء، وحفروا قبورهم بأيديهم، فبضربهم الفيضية، وقتلهم الطلاب وجرحهم، قطعوا جذورهم وفضحوا أنفسهم، فهل يمكن الوقوف بوجه المدرسة الفيضية، مدرسة الإمام الصادق عليه السلام؟".

في يوم ٢٣ آذار، قام عدد من الأشخاص بالهجوم مرة أخرى على المدرسة الفيضية وهم يرددون شعار الخلود للملك. وقد أدى هذا الهجوم إلى سقوط جمع آخر من الطلاب.

كما تعرّضت المدرسة الطالبة في تبريز إلى حادثة مشابهة. الأمر الذي أدى إلى وقوع مواجهة بين عناصر السافاك من جهة، والطلبة المتواجدين في المدرسة من جهة أخرى، وقُتل أحد عناصر الشرطة. وعلى الأثر قامت قوة مؤلفة من مئات رجال القوات الخاصة بالهجوم بالأسلحة المختلفة على المدرسة المذكورة وبصورة وحشية.

في ٢٢ آذار ١٩٦٣ ألقى سماحة الإمام قدس سره خطاباً في الحشد الكبير الذي أمّ منزله، في ظروف عدّ فيها الكثيرون - وحتى العلماء - أنّ العلماء قد خسروا معركتهم، وأنّ النهضة قد فشلت. ورغم كثرة الأخطار التي كانت تحيط بالإمام فإنه - وفضلاً على أنه لم يُظهر أي تراجع - ألقى كلمة بشّر فيها الجميع بانتصار النهضة، وفشل النظام الملكي. وقد أزال مواقف الإمام دعر الناس وهلعهم، وجعلتهم أكثر استعداداً لمواصلة المواجهة. ولم يكن للتهديدات والتوعيدات التي أطلقها النظام وجهاز أمنه بعد ذلك تأثير على روحية الإمام الحازمة، حتى أنه أمر بمداواة مجروحي حادثة الفيضية في المستشفيات.

وفي الساعات الأخيرة من تلك الليلة العصبية، أعرف الإمام قدس سره عن تقديره للأهالي والعلماء الذين تجمعوا في منزله، وأشاد بثباتهم وصمودهم في مقابل الشدائد.<sup>(١)</sup>

---

(١) أشيع بعد حادثة الفيضية أنّ منزل الإمام في قم سيهاجم من قبل عملاء النظام، لذا فقد اجتمع عدد من العلماء والأهالي في منزله، ولم يقبلوا أن يبارحوه، لذا فقد خرج الإمام بنفسه وشكر مشاعرهم، وطلب إليهم أن يعودوا إلى منازلهم. وغادر الجميع عدا اثنين هما الشيخ الخلخالي والشهيد مهدي العراقي، فقد أصرا على عدم مغادرة منزل الإمام، وخاطبا الإمام قائلين: أنت بنفسك قلت إنّ منزلي هو بيت للطلاب، ونحن لا نخرج من منزلنا، فسمح لهما، وناما عند باب غرفة الإمام حتى صباح اليوم التالي.

## الخطاب رقم (٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. لا تستأووا ولا تقلقوا ولا تضطربوا، وأبعدوا الخوف والرعبة عن أنفسكم، فأنتم أتباع أئمة صبروا وثبتوا أمام المصائب والفجائع، وما نشاهده اليوم ليس شيئاً بالنسبة إلى تلك المصائب. إنّ أئمتنا العظام جازوا حوادث شتى، كيوم عاشوراء، وليلة الحادي عشر من المحرم، وتحملوا أشد المصائب في سبيل دين الله، فماذا تقولون أنتم اليوم؟ وممّ تخافون؟ وممّ اضطرابكم؟ إنّ من المخجل أن يُهزم مَنْ يدّعي أنه من أتباع أمير المؤمنين والإمام الحسين (عليهما السلام)، بفعل تصرفات النظام الحاكم المتسافلة والمخزية.

إنّ النظام الحاكم - بارتكابه هذه الجريمة - قد أخزى نفسه وفضحها، وكشف بوضوح عن حقيقته المتوحشة. وإنّ النظام المتجبر - بإقدامه على ارتكاب هذه الفاجعة - جعل من هزيمته وزواله أمراً حتمياً. نحن الذين انتصرنا، فقد كنا نتمنى أن يكشف هذا النظام عن حقيقته، وأن يفضح نفسه. لقد قُتل عظماء الإسلام في سبيل حفظه وحفظ أحكام القرآن الكريم، ودخلوا السجون، وقدموا التضحيات ليتمكنوا من حفظ الإسلام إلى يومنا هذا وإيصاله إلينا.

إنّ تكليفنا اليوم حيال الأخطار التي تواجه الإسلام والمسلمين هو أن تكون على استعداد لتحمل أي نوع من المصاعب، حتى تتمكن من قطع أيدي الذين خانوا الإسلام، ونقف بوجه أهدافهم ومطامعهم..<sup>(١)</sup>

## هوية الخطاب رقم (١٠)

إيران/ قم/ منزل الإمام عليه السلام، في ٢٦ شوال ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٣/٣/٢٣ م.

- الموضوع: الحث على زيارة المدرسة الفيزية ومستشفيات قم للإطلاع عن كثب على عمق جريمة النظام.
- المناسبة: الاستفادة من فاجعة الفيزية في تعرية النظام.
- الحاضرون: مجموعة من الطلاب والعلماء وأهالي قم.

## الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

هدف النظام من الهجوم على المدرسة الفيزية إلى إشاعة أجواء الرعب والخوف بين جماهير الشعب وبين العلماء. وبُعِيدَ هذه الجريمة أشاعت عناصر السافاك - بأساليب مختلفة - أنّ هجوماً وشيكاً سيقوم به رجال القوات الخاصة على منزل الإمام، لعلها تضطره بهذه الطريقة إلى السكوت، وتحقق حالة من الخوف واليأس في نفوس الجماهير. غير أنّ هذه المكيدة لم تفلح في إيجاد هُتّة في عزم الإمام عليه السلام الذي كان يرى أنّ الهجوم على

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٣٥٨.



الفيضية خطوة أضرت - في الحقيقة - بالنظام، وكان يؤكد في تعليقه عليها بالقول: "إننا كنا نتمنى أن يظهر هذا النظام على ماهيته وينفصح أمره".<sup>(١)</sup>

سعى النظام - ورغم رد الفعل الواسع بين فئات الشعب المختلفة - إلى التقليل من أهمية الهجوم على المدرسة الفيضية، وتحجيم خبره. كما أنه دفع أزماله من جانب آخر للقيام بمناورات في الشوارع، وإيجاد حالة من الخوف وعدم الاطمئنان، لكي يدفعوا أبناء الشعب للضغط على العلماء للانسحاب عن مواجهة النظام، واختيار السكوت. وقد وُفق النظام في سعيه هذا إلى حد ما، غير أن الإمام عليه السلام - وكما هو عهده - كان يواصل نهجه في تحريك الجماهير دون أدنى خوف من التهديدات.

وفي ٢٣ آذار ١٩٦٣، أي بعد فاجعة الفيضية بيوم واحد، توجه جمع كثير من الناس إلى بيت الإمام بعد سماعهم بأبناء الهجوم الوشيك الذي يعتزم عناصر السافاك القيام به على منزل الإمام، وفي وقت كانت الصحف تعج بالأخبار الملفقة<sup>(٢)</sup> وكان "أسد الله علم" يحاول تهدئة الأوضاع بتصريحاته الخادعة.<sup>(٣)</sup>

كان مضيف منزل الإمام مكتظاً بالحاضرين الذين كان عددهم في تزايد مستمر.

ألقي الإمام كلمة قصيرة في الناس ودعاهم إلى مواصلة المواجهة، غير أنه - وللأسف - فإن كلمة الإمام في ذلك اليوم لم تسجل، إلا أن الثابت أن محور كلامه كان التأكيد على قيام أبناء الشعب بزيارة المدرسة الفيضية، ومشاهدة آثار جرائم عناصر السافاك والجيش والشرطة.

وقد لقيت دعوة الإمام عليه السلام ترحيباً واسعاً من لدن الفئات المختلفة من أبناء الشعب، فانتشرت أخبار الفاجعة في أنحاء البلاد، وتناقل الناس وعلى مَدَيَات واسعة تقارير الحادث، وحملت مقادير كبيرة من الدواء وسائر المواد الطبية اللازمة إلى المستشفيات لتقديمها إلى الجرحى، كما قام الناس - وباقتراح من الإمام عليه السلام - بعيادة جرحى الحادثة والتبرع بالدم لهم.

---

(١) راجع الخطاب رقم ٩.

(٢) من جملة ما كتب في صحيفة "إطلاعات" في ٢٦ آذار ١٩٦٣ ما يلي: .. أشار تقرير من تبريز أن طلاب العلوم الدينية قاموا في اليوم الأول من السنة الهجرية الشمسية الجديدة بإصاق بيانات على جدران بعض المعابر والشوارع إستنكروا فيها تفويض النساء حق التصويت، وقد أثارت هذه القضية استياء المثقفين والنساء.. وقد قُتل في هذه الحوادث اثنان من المارة وجرح عدد آخر.. وتشير التقارير الواردة من قم أن شخصاً قُتل وجرح عدد آخر يوم الجمعة ٢٢ آذار خلال مواجهات وقعت في المدرسة الفيضية ومركز الحوزة العلمية في قم.. وقد حصلت اضطرابات قام فيها البعض بالترشق بالحجارة، مما أدى إلى وفاة أحد الفلاحين المشاركين في ذلك المجلس إثر إصابته بحجر.

(٣) قال "أسد الله علم" في مقابلة صحفية بعد فاجعة مدرسة الفيضية: حصل نزاع بين المعارضين للإصلاح الزراعي والفلاحين الذين ذهبوا إلى قم للزيارة، مما أدى إلى وفاة أحد الفلاحين.

كما أقيمت مراسم تشييع جثمان العالم الشهيد السيد يونس الرودياري، والتي تميزت بخصوصيتها. وهكذا، فإنّ الهجوم على المدرسة الفيزية فشل في تحقيق أهداف النظام، ومهدت تلك الحادثة الأرضية لاتساع ثورة العلماء والشعب بقيادة الإمام. الثورة التي بدأت من قضية المجالس المحلية، وامتدت إلى تلك المعارضة العارمة للشعب للاستفتاء الذي قام به الملك.

### مقاطع من الخطاب رقم (١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

يتعيّن على الجماهير زيارة المدرسة الفيزية، والإطلاع عن كثب على الجرائم الوحشية للنظام الحاكم. كما ينبغي على الجميع عيادة الطلبة المجروحين والمصابين، لكي يروا ويدركوا حقيقة ما فعله النظام الحاكم.<sup>(١)</sup>

### هوية الخطاب رقم (١١)

إيران / قم / المسجد الأعظم، في ٨ ذي الحجة ١٣٨٢ هـ، الموافق ١٩٦٣/٥/٢ م.<sup>(٢)</sup>

- الموضوع: مراجعة لاتفاضة الشعب في عام ١٩٦٢ وأوائل ١٩٦٣ م.

- المناسبة: الشروع بإقامة دروس الحوزة بعد أربعين شهءاء المدرسة الفيزية.

- الحاضرون: جمع من الطلاب والعلماء وأهالي قم.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجها

كان لدعوة الإمام عليه السلام أبناء الشعب لزيارة المدرسة الفيزية، ومشاهدة آثار جرائم النظام، تأثير إيجابي عجيب على روحياتهم، وأثار خوف عناصر السافاك. من ناحية أخرى، وبعد الإقدام على معالجة مجروحي حادثة الفيزية في مستشفيات قم بتوجيه من الإمام، تعرّض الأطباء المعالجين إلى تهديد عناصر السافاك بشكل غير مباشر، غير أنّ أياً من هذه الأعمال لم يوفق في دفع الجماهير للتزلزل أو التراجع، بل إنّ العائدين لمجروحي الحادثة كانوا في تزايد مطّرد.

من جانب آخر، فقد أقدم عناصر السافاك على غسل وتنظيف أبواب وجدران وأرضية غرف المدرسة الفيزية لمحو آثار جريمتهم، كما تم جمع الكتب الدينية والقرآن الكريم والأوراق المتناثرة ونصف المحروقة، والتي ملأت الغرف والساحات. وقد فرض طوق من الحصار على المدرسة للحيلولة دون قيام البعض بزيارتها.

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٣٦٢.

(٢) في "صحيفة النور"، ج ١، ص ٨، ذكر تاريخ المحاضرة هذه خطأ في تاريخ ٣٠ آذار ١٩٦٢.

توافدت في تلك الأيام سيول من البرقيات على الإمام عليه السلام أبرق بها العلماء وسائر فئات الشعب، تستنكر جميعها الهجوم الوحشي على الفيضية<sup>(١)</sup>. وفي رده على برقية علماء طهران، اعتبر الإمام أن الهجوم الذي قام به عناصر من القوات الخاصة والشرطة - متنكرين - على مراكز العلماء شبيه بهجوم المغول إلى حد كبير، مع فارق واحد هو أن المغول هاجموا بلداً أجنبياً عنهم، في حين كان هجوم مأموري الملك على أبناء شعبهم المسلم، وعلى العلماء والطلاب العزل، وذلك في ذكرى وفاة الإمام الصادق عليه السلام وفي البيان الحازم الذي أصدره الإمام في ٢٩ آذار ١٩٦٣، اعتبر أن "حب الملك" يعني النهب، وهتك حرمت الإسلام، والإعتداء على حقوق المسلمين ومراكز العلم، وضرب أسس الإسلام وركائزه. كما طلب - نيابة عن الشعب - إستجواب رئيس الوزراء "أسد الله علم" وفي ختام البيان قال سماحته: "إنني هيأت قلبي الآن لحراب أظلامكم.. إنني سوف أسعى لتبيان أحكام الله ما وسعني بإذن الله، وما دام قلبي في يدي، فإني سأوضح للملأ الأعمال المخالفة لمصالح البلاد".

وخلال بيانه حرّم الإمام "التقية" في تلك الظروف، وأكد من خلال بيان هذه الفتوى التاريخية أن مسؤولية الجميع - وخاصة العلماء - تكمن في توعية الآخرين، وفضح مؤامرات النظام. وعليه، فإنّ التخويف والتهديد الذي يمارسه النظام لن يصدّه شخصياً، ولن يقنعه بالسكوت.

ولغرض إعلان المواساة والدعم للحوزة العلمية في قم، قام علماء طهران وقم ومشهد وأصفهان وشيراز وبعض المدن الأخرى بالاعتصام من اليوم الأول إلى السادس من ذي القعدة ١٣٨٣ هـ، الموافق ٢٦ آذار إلى ١ نيسان ١٩٦٣، وامتنعوا عن الذهاب إلى المساجد وإقامة صلاة الجماعة. وبعد إعلان هذا الخبر أغلق السوق المركزي في طهران، وتبعه الكثير من أسواق المدن لمدة ثلاثة أيام، كما أغلقت في طهران - بالإضافة إلى السوق المركزي - عشرات المتاجر في عدة شوارع في جنوب المدينة. كما قام أهالي مشهد بإضراب ومظاهرات، وأحرقوا الأقواس ومظاهر الزينة التي نصبت لاستقبال الملك، مما أدى إلى تأخر سفر الملك إلى مشهد، رغم أن الجهاز الإعلامي للنظام ذكر بأنّ سبب التأخير في هذا السفر هو "سوء الأحوال الجوية".<sup>(٢)</sup>

---

(١) أبرق سماحة آية الله الخوئي، وآية الله الشاهرودي، وآية الله الحكيم، وطلاب مدارس آية الله البروجردى في النجف، وجماعة علماء طهران، وعلماء فارس، وجماعة أهل المنبر في كرمان، وعلماء كرمنشاه، وعلماء يزد ببرقيات، وأصدروا بيانات اعتراضاً على جريمة النظام وقدموا التعازي للإمام عليه السلام بهذه الواقعة. كما أن آية الله النجفي المرعشي، والسيد الشريعتمداري، وعلماء الحوزة العلمية في قم، وجماعة علماء طهران، والهيئة العلمية للمدرسة الوسطى في النجف، وجمع من أساتذة وعلماء النجف أصدروا بيانات متفرقة إستنكروا فيها هجوم النظام على المدرسة الفيضية. "نهضة علماء إيران" ج ٣، ص ٢٨٤-٣١٥.

(٢) صحيفة "إطلاعات"، ٣١ آذار ١٩٦٣.

لقد فشلت التبريرات التي أطلقها عناصر النظام - ومنهم الوزير المستشار<sup>(١)</sup> - في المقابلات الصحفية التي أجريت معهم، فقد أفشلت خطوات الإمام عليه السلام وبياناته الصارمة جميع المخططات، فهو لم يوافق حتى على استقبال مبعوثي الملك الخاصين، وعندما أرسل الملك مبعوثه الذي قال: نحن مكلفون من قبل الملك بإيصال رسالة إليه. أجاب الإمام بقوله: "وإنني - لهذا السبب بالذات - أعتذر عن استقبالكم".

وفي الثامن من ذي القعدة ١٣٨٢، الموافق ٣ نيسان ١٩٦٣، وصلت برقية المرحوم آية الله الحكيم إلى الإمام عليه السلام وعلماء قم داعياً إياهم إلى الهجرة الجماعية إلى النجف الأشرف. إلا أن الإمام الخميني أعلن - في الجلسة التي عقدها في قم - عن أن الهجرة من إيران لن تؤدي إلا إلى خلوّ الساحة للنظام، وحرمان جماهير الشعب من قيادتهم. وقد أعرب عدد كبير من العلماء الأعلام في طهران والمدن - بعد إطلاعهم على مضمون برقية المرحوم آية الله الحكيم - عن قلقهم الشديد من احتمال قبول الإمام الهجرة إلى النجف الأشرف، كما قرر الكسبة القيام بإضراب عام في حالة حصول ذلك.

وأخيراً، بعث الإمام ببرقية جوابية للمرحوم آية الله الحكيم بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٦٣، الموافق ١٧ ذي القعدة ١٣٨٢، قال فيها: "لذا فإننا باقون في الوقت الراهن في خضمّ هذا المحيط الملتهب، وصابرون على المخاطر التي تهددنا، ندافع عن حقوق الإسلام والمسلمين، وعن حرمة القرآن واستقلال بلد الإسلام، وسوف نسعى للمحافظة على مركز العلم ما أمكننا، ونأمر الناس بالهدوء والانضباط ما دام النظام المتجبر لم يسلك طريقاً يضطرنا فيها إلى اللجوء إلى أمور نعوذ بالله تبارك وتعالى منها..".<sup>(٢)</sup>

إنّ قرار سماحة الإمام بالتواجد في الحوزة العلمية، والثبات على موقعه، جاء في وقت كانت هناك موجة واسعة من الإعلام المعادي للعلماء، وخاصة للإمام عليه السلام تجتاح وسائل الإعلام بعد الأحداث الأخيرة (هجوم النظام على المدرسة الفيضية).

---

(١) قال "جهانكير تفضلي" المستشار والمشرف على المديرية العامة للنشر والإذاعة في مقابلة أجريت معه: لم يتظاهر أمس في قم ومشهد وطهران وسائر المدن حتى شخص واحد لصالح المعارضين.. ورفعت عدة مكبرات صوت لبث برامج الإذاعة الإيرانية في هذه المدينة بطلب من أهالي قم. ونظراً لاستقبال الناس فقد رفعت مكبرات صوت أخرى في هذه المدينة!! (صحيفة "إطلاعات"، ٣١ آذار ١٩٦٣)، وفي مقابلة أخرى قال: إنّ أكثرية الطلبة الإيرانيين، وكذلك العلماء الإيرانيين الشرفاء الحقيقيين والمتواجدين في العراق يؤيدون ثورة الشعب الإيراني (الثورة البيضاء) (نفس المصدر، ٤ نيسان ١٩٦٣).

(٢) بعد اطلاع النظام على برقية آية الله الحكيم، حذّروا المراجع من مغبة الرد على هذه البرقية. غير أنّ الإمام لم يهتم بهذا التهديد من النظام، فأرسل برقية جوابية لآية الله الحكيم.

كان الملك يتحدث بمتتهى الغرور عن الإصلاحات مستنداً إلى دعم أميركا والدول الغربية له، وكان يوجّه أشدّ الاتهامات وقاحة لنهضة الإمام. (١)

وكما كان يتوقع الإمام ﷺ فقد أصدر النظام الملكي في ٢١ نيسان ١٩٦٣ أمراً يقضي بشمول طلبة العلوم الدينية بالتجنيد الإلزامي، وعلى الأثر قام مأمورو النظام بتمزيق البطاقات الدراسية لعدد من الطلبة، بعد أن كانت وزارة الثقافة قد أصدرتها لهم، كما تم اعتقال عدد كبير منهم، ثم تسويقهم للخدمة الإلزامية. وفي البيان الموجّه إلى حجة الإسلام الهاشمي الرفسنجاني وسائر الطلبة المطلوبين للتجنيد - والذي أرسله افمام من خلال مبعوث خاص إلى "معسكر باغشاه" - دعا الإمام الطلبة إلى المقاومة، وممارسة دورهم في توعية الجنود وضباط الصف، والحرص على تعلم الفنون العسكرية، وعدم السماح للضعف والوهن بالتسرب إلى نفوسهم. فصار طلبة العلوم الدينية المجندون يعقدون الجلسات عدة مرات في الأسبوع، ويلقون المحاضرات على الجنود، وهم يرتدون لباس الجنديّة، وذلك تنفيذاً لأمر الإمام. مما دفع بالنظام إلى منعهم من القيام بأي عمل تبليغي.

كان البيان الذي أصدره الإمام في ٢ أيار ١٩٦٣ بمناسبة مرور أربعين يوماً على فاجعة الفيضيه بياناً منقطع النظر، فقد وجّه ضربة قوية للنظام، وجعل من الملك هدفاً مباشراً لهجومه، فقد قال: "... يقولون: إنه أمر صاحب الجلالة! هل أنّ صاحب الجلالة معارض للدين الإسلامي؟ هل أنّ صاحب الجلالة حقيقةً يخالف القرآن كما يقولون؟ وإذا كان مخالفاً فما معنى كل تلك الإدعاءات إذّا؟ وأين جميع تلك الكرامات والمكاشفات الغيبية؟! وإن لم يكن معارضاً للإسلام، فلماذا لا يمنع تلك الممارسات الوحشية؟ لماذا لا يعاقب أجهزة الشرطة وأجهزة الأمن تلك، ورؤساء الوزراء هؤلاء؟ وهو الفعال لما يشاء! ويمكنه أن يقوم بعمل كهذا. وليس هناك من رادع. عدّ إذّا إلى العهود السابقة، إلى ما قبل مئة عام، وعاقب كما عاقبوا، فالأمر الآن تماماً كما هو آنذاك! فليعاقب أولئك الذين يرتكبون الأعمال السيئة، والأعمال المخالفة للإسلام، وينسبونّها إليه، وليبرئ ساحته.."، ولم يكن

---

(١) الكلمة الطويلة التي ألقاها الملك في نيسان عام ٦٣ في مدينة "بيرجند"، وإن كانت تتضمن أضعف الجمل تجاه المعارضين إلّا أنّها تدلّ بوضوح على شدة غضب النظام من معارضة الإمام ﷺ للإصلاحات الملكية الأميركية، وتبيّن مدى خوف النظام من ثورة العلماء. فقد قال في جزء من كلمته: إنّ صدى هذه الإجراءات (الإصلاح الزراعي) يصل ويسمع بالتأكيد عند مسافات بعيدة جداً.. وطبعاً يجب عدم التعجب من أن تفترضوا وجود عدة مئات من الأشخاص من بين كل هذا العدد من السكان، لا يفهمون المسائل، هناك عدد ليس لديهم قابلية للتفكير والفهم أساساً، وعقولهم وأفكارهم تعمل بشكل آخر. هؤلاء يقال لهم شريحة، ويمكن إطلاق ألقاب أخرى عليهم. إنّ الطبيعة التي سبقت هذا لا تسمح لعقولهم العاجزة القديمة بالإدراك والفهم!! إنّ العجلة العظيمة للنهضة!!.. قد دارت، وكل حاجز يقف أمام هذا التقدم سيكون أثره أقل من مقاومة نملة أمام ماكنة ذات قوة ألف حصان!!.. إنّ هذا العمل الذي نقوم به في تطهير المجتمع من هذه الأوساخ، وهذه الأعمال التي وراء الستار، هو أكبر ضمان للدين، وخاصة الدين الإسلامي المقدس!! (صحيفة "خراسان"، ٤ نيسان ١٩٦٣).

النظام قد أفاق من الضربة التي وجهت إليه بهذا البيان، حتى تعرّض إلى ضربة أخرى تمثلت بإقامة مراسيم الأربعين على فاجعة الفيضية في المسجد الأعظم في قم، وذلك بدعوة من الإمام قُدس سرّه، ورغم التهديدات المتكررة والتي أطلقها السافاك لمنع من إقامة تلك المراسم. وقد وقعت في تلك المراسم مواجهات بين أعلام النظام والجماهير، كما أنّ المجلس الذي كان مقرراً إقامته في مسجد "أرك" في طهران - من قبل آية الله الحكيم - لم يتم نتيجة ممانعة النظام.

وبعد إقامة مراسيم مختلفة بمناسبة أربعين فاجعة الفيضية، عاود الإمام قُدس سرّه درسه في الحوزة<sup>(١)</sup>. وفي أول درس له ألقى سماحته كلمته الصارمة المعروفة والتي أشار فيها إلى جو التعسف الحاكم، وممارسات النظام الجائرة والمتمثلة في إقدامه على سجن ونفي الثوار. ثم تناول - وباختصار - تاريخ معارضة الأسرة البهلوية للعلماء، وكشف عن حقيقة الأهداف التي يسعى النظام لتحقيقها عبر إعلانه عن مشروع تحرير المرأة. وقد اعتبر الإمام قُدس سرّه أنّ الملك نفسه هو المحرك الرئيس للهجوم على المدرسة الفيضية، وحذّر في كلمته من نفوذ العناصر المرتبطة بالصهيونية (البهائية) في الأجهزة الحكومية، وعلاقات نظام الملك مع "إسرائيل"، وقال: "هل أنتم يهود؟ هل إنّ بلادنا بلاد يهود؟ الويل لهذه البلاد! الويل لهذه الحكومة! الويل لهذا الدنيا! الويل لنا، الويل للعلماء الساكتين! الويل للنجف الساكتة، ولقم الساكتة. السكوت اليوم معناه تأييد النظام المتجبر". وقد استُسخنت كلمة الإمام الثورية ووزعت في أنحاء البلاد المختلفة.

## مقاطع من الخطاب رقم (١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم احفظ ألسنتنا من الهذر والجدال واللغو والكذب. اللهم نور قلوبنا بنور الإسلام ومعانيه الروحية السامية. اللهم منّ على حكام البلدان الإسلامية، ورؤساء جمهورياتها وممثلي مجالسها النيابية، ورؤساء الوزراء، والوزراء فيها، ورؤساء الجامعات، والمسؤولين والموظفين بالأسماع الواعية..

لقد كانت هذه السنة سيئة للغاية بالنسبة لعلماء الدين.. إلّا أنّها كانت حسنة للغاية من جهة ثانية. كانت سيئة لأنّ البلاد التي كان ينبغي أن يعرفها العالم على أنّها بلاد مستقرة، ولها حكومة صالحة، وجهاز قضائي، ودوائر عدلية، ومحاكم قضائية، وتمتع باقتصاد جيد، وبزراعة جيدة، وكان ينبغي أن تُعرف بالإستقامة والصلاح، هذه البلاد عُرِفَت في المجتمع البشري اليوم بأنها مركز الفساد ومركز ما شئت أن تسمي من مسميات

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام قُدس سرّه"، ج ١، ص ٤١٩.

السوء. والمؤلم هو أننا لا نتمكن من القول "إنّ هذا العهد كعهد المغول" فإننا بذلك نسيء إلى المغول، فالمغول كانوا قوماً كفاراً، ولعلهم كانوا يرَوْن شرعية هدر دمائنا. وقد دخلوا البلاد بهدف الإستيلاء على بلد أجنبي عنهم، بلد يدين بغير دينهم، ويسير بغير سيرتهم، فارتكبوا لذلك ما ارتكبوا من الجرائم.<sup>(١)</sup>

أما في هذه الأحداث، فإنّ هؤلاء<sup>(٢)</sup> يدّعون الإسلام، ويدّعون الإيمان، إلّا أنهم يستغلون هذه الإدعاءات للإعتياش بها، ولتمشية أمورهم فقط. فقد فعلوا أفعالاً لا يليق القيام بها إلّا بالمغول وبجنكيز خان. يقتحمون المراكز العلمية<sup>(٣)</sup> ويسفكون دماء الشبان ممن لم يتمّوا العقد الثاني من العمر<sup>(٤)</sup>! ويدمرون تلك المراكز! ويوجهون الإهانات للعلماء! ويشتمون الأعراض! ويعتقلون، ويعذبون، ويقتلون، ويضربون بعنف، ويسفكون الدماء، وفي الوقت ذاته يتظاهرون بالإسلام<sup>(٥)</sup> وبالتشيع في تصريحاتهم وشعاراتهم، ويدّعون بأنهم أصحاب كرامات غيبية<sup>(٦)</sup>!!

(١) جنكيز خان، قائد المغول، في عام ٦١٦ هـ هاجم مدن إيران العامرة في ذلك الوقت بشعار "أنا عذاب الله". قام في البداية بذبح سكان المدن المكتظة بالناس والمزدهرة مثل مرو وبخارى ونيشابور والري وقم وأذربيجان وخيوه، شيوخاً وشباباً وأفراداً وجماعات، وقتل جميع الموجودات الحية، وحرقت الأشجار، وهدم كل معالم الحضارة من مكتبات ومدارس ومساجد وعمارات وبيوت ودكاكين، وحرث المناطق الخربة وغمرها بالماء، وقام بالزراعة (أنظر الى: "إيران والعالم من المغول إلى القاجارية"، ص ١١-١٣).

(٢) الملك وأفراد نظامه.

(٣) إشارة إلى الهجوم الذي شنه عناصر أمن النظام على المجلس الذي أقيم في المدرسة الفيزية بعد ظهر يوم ٢٢ آذار ١٩٦٣ م، وكذا الهجوم الذي شنّ في اليوم التالي، على المدرسة الفيزية، والهجمات الأخرى على المدرسة الطالبيه في تبريز وسائر المدارس الدينية.

(٤) إشارة إلى الفتيان من طلبة المدرسة الفيزية.

(٥) في المؤتمر الوطني للفلاحين الإيرانيين الذي عقد في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٣ قال الملك في جانب في كلمته في المؤتمرين: "لا يمكن لأي أحد أن يدّعي أنه أقرب إلى الله وإلى الأئمة الأطهار مني، لا نظرياً ولا عملياً، فمن الناحية العملية قمت بكل ما يمكن القيام به في سبيل الله، فقد عمّرت كل حرم مقدس يمكن تعميره، كما أنني أناجي الله وأدعوه في كل ليلة قبل الذهاب إلى النوم، وأعلم أنّ أي عمل من الأعمال التي نقوم بها اليوم لا يمكن أن تكون أكثر قبولاً عند الله والأئمة الأطهار...!!".

(٦) قال الملك في الكلمة التي ألقاها على الفلاحين المسلمين الإيرانيين عام ١٩٦٣ م: "... كان عمري لا يتجاوز ست أو سبع سنوات عندما أصبت بمرض الحصبة، وكانت حالي خطيرة، ولعل كثير من الأطباء الذين عالجونني يئسوا من شفائي، ولكنني رأيت في عالم الرؤيا أنني جالس في مقابل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان سيف ذو الفقار فوق ركبتي الإمام، وكانت هناك آنية أمامه، فقال لي: "إشرب من هذا الإناء وغداً تتحسن". وبالذات

أولئك المغول لم يكونوا يقولون بـ"إننا شيعة" بل كانوا أعداءً لنا، دخلوا بلادنا غازين، بينما هؤلاء قاموا ويقومون بأعمالهم تلك تحت غطاء ودعوى المحبة، وبإدعاء التشيع، بل ما فوق التشيع مرتبة. وسأوضح لكم بأن هذا الأمر ليس وليد الأشهر الأخيرة، بل إنه أمر ممتد الجذور، يعود إلى سنوات طويلة خلت، إن لم نقل إنه يعود إلى تيف وأربعين سنة ماضية، فهو في الأقل يعود إلى عشرين سنة خلت، حيث كانوا يخططون لتدمير قم<sup>(١)</sup>. ففي حياة المرحوم السيد البروجردي (رضوان الله عليه) كانت خطتهم أيضاً هي القضاء عليه، وعلى قم. فهم يرون أن قم تضر بمصالحهم، فقم معقل الحق، وجنود إبليس يرون أن جنود الحق يقفون حائلاً دون تحقيق مآربهم. في عصره (رضوان الله عليه) وصفوه بتعايير لا أتمكن من ذكرها من هذا المنبر. فالخطة موجودة منذ ذلك الوقت، والأجانب كانوا يخططون للقضاء على قم، كي "نفعل ما يحلو لنا دون أن يواجهنا أحد، أو يتكلم أو ينبس ببنت شفة أو يجادل أو يعترض". وإذا سلمنا بأن خطتهم تعود إلى تيف وأربعين سنة خلت، فسنفهم طبيعة مساعيهم. غاية ما في الأمر أنهم كانوا يرون أن القيام بأي عمل في حياة البروجردي سيفسد الأمور، لذا فقد بادروا فور انتقاله إلى جوار رحمة الله تعالى، إلى تدمير هذا المركز الديني تحت غطاء إجلالهم لمركز ديني آخر، لا لأنهم كانوا يكتون حباً لذلك المركز، فهم لا يكتون أدنى إحساس

في تلك الليلة عرق بدني، وفارقتني الحمى، وبدءاً من اليوم التالي تحسنت صحتي، وبعد ستة أشهر أو سنة تقريباً عندما كنت أسير مع مريتي في زقاق "سكفرشي" المنحدرة، رأيت على بعد عدة خطوات منا شخصاً روحانياً على رأسه هالة من النور كان يتقدم نحونا من الجهة المقابلة فتلاقينا ومررنا وأحسست أنني عرفته، فقلت للمربية: هل رأيت الإمام الحجة يا فلانة؟ قالت من؟ كررت القول. قالت: لم أر أحداً. إلا أنني رأيت ذلك الإمام. وفي عمر الست سنوات أو السبع لا يخترع الطفل من عنده شيئاً وهو لوحده في زقاق مع مربيته". وقد زعم الملك في كتاب "مهمة من أجل وطني"، ص ٦٦-٧٣، اللقاء بإمام الزمان عليه السلام وحضرة "أبو الفضل" عليه السلام.

(١) بعد انتفاضة العلماء في أصفهان، وفاجعة مسجد "جوهر شاد"، أصبحت الحوزة العلمية في قم أكبر حوزة علمية للشيعة، الأمر الذي أدى إلى ازدهار سائر الحوزات العلمية في إيران. وفي بداية حكمه سعى محمد رضا خان إلى التقرب إلى آية الله البروجردي، واستغلال نفوذه، إلا أن سماحته لم يقبل تقربيه، واعترض على ممارساته. وبعد وفاته حاول الملك - الذي كان يرى أن المرجعية تمثل سداً أمام الاستعمار - الحيلولة دون قيام مرجعية عامة في قم، ونقل مركز المرجعية إلى النجف الأشرف. لهذا بعث ببرقية تعزية إلى آية الله الحكيم - المرجع الكبير للشيعة في النجف الأشرف - إلا أن العلماء في إيران اعتبروا عمله هذا نوع من التقليل من شأن المراجع في قم، وإضعاف للعلماء، لذا فإنهم لم يؤيدوا دعم المرجعية في النجف. وبعد اكتشاف النفط في قم، ورد مرة أخرى كلام حول انتقال الحوزة العلمية من قم إلى مشهد المقدسة. إلا أن ارتفاع نسبة الملح في النفط المكتشف في هذه المنطقة، وانصراف الحكومة عن إجراء مشروع استخراج النفط في قم أدى إلى نسيان موضوع انتقال الحوزة (راجع "الثورة الإسلامية وجذورها"، ص ٤٨٤ و ٤٨٥).



بالحب لأي مركز من المراكز الدينية. لم يكن الأمر حياً بالنجف الأشرف، وإنما بغضاً لقم، فقد كانت قم "في الحلق شجى" فهي قريبة منهم، تدرك المفاسد سريعاً، وتفتضح فيها أعمالهم بسرعة أيضاً. لقد كانوا يبغضون قم، إلا أنهم لم يتمكنوا من التصريح بالقول: "لا لقم"، وإنما كانوا يقولون: نعم للنجف، نعم لمشهد. وفي الحقيقة، فلم يكن في قم ما يُلَفَت الإنتباه، وهم أيضاً لم يكثرثوا لها<sup>(١)</sup> ابتداءً، إلا أنهم بعد ذلك أدركوا بأنّ هناك أشياء كثيرة تلفت النظر في قم، بل وتفقاً العين، وتلجم الفم، وتصك الأسماع. أدركوا أنّ قم ليست كما توهموا، فوضعوا منذ ذلك الوقت خطة لتدمير العلمانية، وتدمير الإسلام، ثم تحقيق مصالح "إسرائيل" وعملائها! فالأمر كان كذلك منذ البدء. غاية ما في الأمر أنه كان في الخفاء، لم يعلنوا عن مقاصدهم، وإن كانوا أحياناً يشيرون إلى بعضها إشارات خفيفة. لكن بعد رحيل المرحوم السيد البروجردى وضعوا فوراً خطة شيطانية، فطلبوا من الناس في بعض المناطق - على حد علمي - أن يلتزموا بإرسال البرقيات إلى المركز الديني الفلاني<sup>(٢)</sup>! أو اختيار المركز الفلاني، لا حياً منهم لذلك المركز الديني - كما ذكرت - وإنما بغضاً لهذا المركز. غير أنّ الناس لم تكثرث لهم.

وبعد ذلك، توالى المخططات، وبلغت من سعتها أن شملت الحكومات المتعاقبة<sup>(٣)</sup>. ولا أدري هل عُرِضَت هذه الاقتراحات على تلك الحكومات، فلم تقبل بها؟ أم أنّ تلك الحكومات لم تستطع أن تُقدّم على تصرفات سافلة إلى هذا الحد؟ لعلمهم كانوا شرفاء، أو كانوا علماء وأطباء ومهندسين، فلم يتمكنوا من مخالفة

---

(١) الإمام يشير إلى قول الملك: لا يوجد في قم شخص مؤهل للمرجعية.

(٢) بعد ارتحال آية الله البروجردى، دفع النظام الملكي العلماء وجماهير الناس في مدن إيران المختلفة إلى إرسال برقيات التعزية إلى آية الله الحكيم في النجف، وليس إلى المراجع في قم، بهدف إضعاف الحوزات العلمية في إيران، وتقوية حوزة النجف.

(٣) منذ توليه السلطة وحتى تولى "علم" لرئاسة الوزراء، عيّن الملك خمس وعشرين حكومة، وهذه الحكومات التي لم تدم في بعض الأحيان أكثر من أسبوع هي حكومات: محمد علي الفروغى (ذكاء الملك) ١٩٤١ م، علي الهيلي ١٩٤١ و ١٩٤٢، أحمد قوام (قوام السلطنة) ١٩٤٢، علي الهيلي ١٩٤٢ و ١٩٤٣، محمد ساعد ١٩٤٣ و ١٩٤٤، مرتضى قلى بيان (سهام السلطنة) ١٩٤٤ و ١٩٤٥، إبراهيم الحكيمى (حكيم الملك) ١٩٤٥، سيد محسن صدر الأشراف ١٩٤٥، إبراهيم الحكيمى ١٩٤٥، أحمد قوام ١٩٤٥ إلى ١٩٤٧، إبراهيم الحكيمى ١٩٤٧ و ١٩٤٨، عبد الحسين هزير ١٩٤٨، محمد ساعد ١٩٤٨ و ١٩٤٩، علي منصور (والد حسن علي منصور) ١٩٤٩ و ١٩٥٠، الفريق حاجيعلی رزم آرا ١٩٥٠، حسين علا ١٩٥٠ و ١٩٥١، محمد مصدّق (مصدّق السلطنة) ١٩٥٠ و ١٩٥٢، أحمد قوام ١٩٥٢، محمد مصدّق ١٩٥٢ و ١٩٥٣، الفريق فضل الله الزاهدي ١٩٥٣ إلى ١٩٥٥، حسين علا ١٩٥٥ إلى ١٩٥٧، منوچهر إقبال ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠، المهندس جعفر شريف الإمامي ١٩٦٠ و ١٩٦١، علي الأميني ١٩٦١ و ١٩٦٢، أمير أسد الله علم من ١٩٦٢ وما بعدها (أنظر كتاب "من سيد ضياء إلى بختیار").

جميع المراكز العلمية. وبذا وصل أولئك إلى نتيجة مؤداها أنّ الحكومة يجب أن تكون حكومة جاهلة، لا تمتلك معرفة، ولا تعرف قدر العلم. فمن لم يكمل أكثر من خمس سنوات دراسية إبتدائية! ثم استغل نفوذه ليحصل على شهادة تخرج من "كرج" لا يمكن أن يعرف معنى العلم<sup>(١)</sup>؟ ولا يعرف معنى الدين، ولا يدرك ما هو دور علماء الدين في بقاء هذه البلاد، ولا يفهم من الأمور سوى الإمثال لما يأمرونه به وما يريدون منه، كالأعمى والأصم، وترديد ما يملونه عليه دون أن يفهم ما الذي يقوله وما الذي يفعله!!

لذا، نرى كيف استهدفت هذه الحكومة التافهة "الإسلام" منذ بدء مجيئها، فراحت تكتب في الصحف عناوين بارزة: بأنهم قد أعطوا النساء حق المشاركة في الانتخابات<sup>(٢)</sup>. بيد أنّ الأمر كان مكرراً! إذ كانوا يريدون إلفات أنظار العامة إلى ذلك الموضوع، حتى لا يلتفتوا إلى إلغاء الإسلام وإلغاء القرآن بشكل مباشر، لذا فبمجرد إطلاعنا على ما أعلنوا، وبمجرد أن عقدنا الاجتماع - إذ اجتمع العلماء الأعلام لتدارس أسلوب معالجة هذا الموقف<sup>(٣)</sup> - كان انتباهنا في البدء متركزاً حول تلك القضية، ولكن بعد المناقشة والتدارس، رأينا أنّ القضية ليست قضية النساء، فهذا أمر بسيط، وإنّ القضية الأساسية هي محاربة الإسلام.

يقولون أولاً "لا يلزم كون المرشح والمنتخب مسلماً" ثم "لا يلزم كون القسم بالقرآن الكريم" ثم يعلنون عدم حاجتهم إلى القرآن! ولكن بعد أن فوجئوا بالرد الحاسم للشعب المسلم، أولّوا حديثهم، فقالوا "كلا، إنّ مقصودنا من الكتاب السماوي هو القرآن". وقبلنا منهم ذلك أيضاً حسب ما يقتضيه الشرع من الحكم على

---

(١) قيل إنّ "أسد الله علم"، رئيس الوزراء آنذاك، لم يدرس إلاّ عدة سنوات! كان قد تخرج من مدرسة كرج الإبتدائية! وحصل في ما بعد طبعاً على شهادة الدراسة الإعدادية في الزراعة من خلال أعمال النفوذ، وذلك من مديرية التربية والتعليم في كرج (أنظر كتاب "من سيد ضياء إلى بختيار").

(٢) في أوائل تولي "أسد الله علم" رئاسة الوزراء في يوم ٨ تشرين الثاني، نشرت الصحف الرسمية مقالات تحت عنوان "حق النساء في الإقتراع". وقد أعطي للنساء حق الإقتراع وفقاً لللائحة المجالس المحلية، وقد استغل النظام هذا الأمر كغطاء لتنفيذ أغراضه. أما سماحة الإمام فقد كان يؤكد مراراً في تلك الأيام على أنّ الرجال ليسوا أحراراً في الإقتراع فكيف هو الحال بالنساء. ومعارضة الإمام هذه كانت تمثل مواجهة لمفاسد النظام وأهدافه الدنيئة. وإلاّ فنحن نشاهد أنّ للنساء في الجمهورية الإسلامية التي قامت بعد انتصار الثورة الإسلامية حق الإقتراع كالرجال، بل إنّ بإمكانهن تمثيل الشعب في مجلس الشورى الإسلامي.

(٣) بعد إعلان لائحة المجالس المحلية في صحف طهران الصادرة عصرًا، والذي أُلغي فيه شرط "الإسلام" من شروط الناخبين والمرشحين، وتغيّر القسَم بـ"القرآن المجيد" إلى القسَم بـ"الكتاب السماوي"، قام الإمام ﷺ مباشرة بدعوة العلماء الأعلام في قم إلى التباحث حول هذا القرار. وقد حضر في هذه الجلسة السادة: آية الله مرتضى الحائري، آية الله الغلبيگاني والسيد الشريعتمداري (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام ﷺ"، ج ١، ص ١٤٨ و ١٤٩).

الظاهر، إلا أنهم بمجرد أن شاهدوا جمعاً من جلاوزتهم ملتفين حولهم يهتفون "يعيش فلان" و"يسقط فلان" عادوا لاستئناف مشاريعهم الخبيثة. فاستأنفوا ذات الموضوعات التي كانوا قد ألغوها. ومرة أخرى نادوا بـ"المساواة التامة".

"المساواة التامة" معناها سحق بعض أحكام الإسلام الضرورية، وإلغاء بعض أحكام القرآن الصريحة. ومرة أخرى رأوا أنّ ذلك قد قوبل بالإستياء وكثرة اللغط وما إلى ذلك، فتراجعوا من جديد، فقد تراجع وزراؤهم هنا بعد أن تراجع أميرهم<sup>(١)</sup> هناك.

كتبوا في الصحف صراحة "بأن لائحة قانون الخدمة الإلزامية للنساء قيد الإعداد"، ولكن بعد أن أحسوا بالخزي العظيم، وإنّ الناس قد استأثروا، وقد شمل الإستياء - في الحقيقة - حتى جلاوزتهم وعمالئهم، وحينما أدركت الحكومة ذلك قالوا: إنها أكاذيب<sup>(٢)</sup> وراحوا يريدون فتح التحقيق في المسألة! فكان تحقيقاً صبيانياً مضحكاً<sup>(٣)</sup>!

---

(١) في البيان الذي أصدره سماحة الإمام عليه السلام بمناسبة عيد "نوروز" عام ١٩٦٣ م تحت عنوان "ليس للعلماء عيد هذه السنة"، إنتقد بشدة وعارض قرار النظام بفرض الخدمة الإلزامية على الفتيات من سن الثامنة عشر. وبعد اعتراضه اضطر الملك والحكومة إلى تكذيب الخبر، رغم أنّ أخباراً وخطباً ومقالات إذاعية نشرت وألقيت وأذيعت حول الموضوع، بحيث أنّ الملك كذّب الخبر المذكور مرتين في نيسان، واعتبر "جهانكير تفضلي" الوزير المستشار والمشرف على المديرية العامة للنشر والإذاعة في مقابلة أنّ الخبر لا أساس له (راجع كلمة الملك بتاريخ ١ نيسان ١٩٦٣ في مشهد، وكلمته في ٢ نيسان في بيرجند من نفس السنة. وراجع أيضاً صحيفة "إطلاعات" العدد ١١٠٥٦ بتاريخ ٣١ آذار ١٩٦٣ مقابلة مع الوزير المستشار).

(٢) نشرت الصحف الصادرة في طهران عصر يوم ١ نيسان ١٩٦٣ تصريحاً للملك قال فيه: ".. كتب أحدهم يقول: إنه يراد تجنيد الفتيات البالغات من العمر ثمانية عشر عاماً وتسعة عشر عاماً، في الوقت الذي نلجأ فيه نحن إلى تخفيض عدد العسكريين، أليس هذا مضحكاً؟ إنّ هذه الأكاذيب الكبيرة إنما هي دليل على ضعف وبؤس الذين ينشرون هذه الأكاذيب. إنّ فتياتنا يجب أن يدرسن ويتابعن مسؤولياتهن المنزلية، ودورهن كأمهات في تربية الأولاد. إنّ لدينا الأعداد الكافية من الرجال الذين يحرسون هذا الوطن بمائه وترايه..".

(٣) إنّ نشر بيان الإمام عليه السلام ومعارضته الجدية لتجنيد الفتيات، دفع بالملك الإيعاز إلى العاملين في سلك القضاء والشرطة بملاحقة ناشري هذا النوع من الأخبار، والعمل على معاقبتهم. فشكّل الجهاز القضائي والأمني للنظام على الأثر ملفاً ضد قيادة النهضة. وأشاع خبراً حول قرب استدعاء الإمام ومحاكمته في محكمة قم، إلا أنّها كانت خطوات بلا نتيجة. ومما يذكر أنّ الشخص الذي جاء بكتاب المحكمة دخل منزل الإمام في الوقت الذي كان مكتظاً بالحاضرين، فأعطى الكتاب إلى الإمام بواسطة أحد أعضاء مكتب الإمام، وقال في خجل وعيونه تدمع: أُمروني أنّ على الإمام أن يوقع ورقة الإستدعاء، وأنا مأمور ومعذور، وأنا مقلّد للإمام. وترك المنزل من دون استلام الورقة. (نقلًا عن مذكرات سماحة السيد أحمد الخميني).

هذه السنة كانت سيئة حيث تصاعدت الهجمة على الإسلام والقرآن. يتوهمون أنهم قد دمروا مراكز العلم. إنهم ألوا بالضرب على أبنائنا وأعزائنا، فضخّوا رؤوسهم، وكسّروا أرجلهم وقتلوا بعضهم<sup>(١)</sup> وألقوا بهم من سطوح المباني<sup>(٢)</sup>. فلو كان أولئك المهاجمون هم الفلاحون، فلماذا كان جهاز الشرطة يقوم بمساعدتهم<sup>(٣)</sup>؟! وهذا لم يكن خافياً، فمئات الآلاف من الناس كانت في الشوارع، وفي مركز المدينة وفي المدرسة، شاهدوا بوضوح كيف أنّ جهاز الشرطة كان يقدّم العون المباشر، والمساعدة لهؤلاء الفلاحين - كما يزعمون - ضد الإسلام! فإن كان حقاً ما يقولونه بأنّ أولئك كانوا فلاحين، لماذا إذاً رفضت الشرطة السماح للمستشفيات باستقبال جرحانا، وهددوهم بالويل والثبور إن هم استقبلوا أعداء صاحب الجلالة في المستشفى! فإذا كانوا فلاحين فما علاقتهم بصاحب الجلالة؟! أم أنهم كانوا قوات خاصة، ومن تلك المرتبطة به، ومن جهازه الأمني الخاص؟ فهل أنّ الأمر حصل بتوجيه منه وبأمره المباشر، أم بدون علمه وبدون أمره؟ فإن كان مطلقاً على ما حدث فليقولوا، لكي نفهم تكليفنا معه، لنفهم جيداً في مواجهة من نفق؟ هل أنّ أساس المصيبة شخص واحد؟ وإن لم يكن كذلك، فليقولوا أيضاً لنفهم. هل أنّ تلك القوات الخاصة جاءت من تلقاء نفسها، هكذا عبثاً، أم أنّ جهاز الأمن جاء بهم<sup>(٤)</sup>؟ أم أنّ الشرطة جاءت بهم؟ أم أنّ رئيس الوزراء أمر بذلك؟ أم أنّ الوزير الفلاني هو المحرّض على

(١) للإطلاع على تفاصيل فاجعة المدرسة الفيضية الدامية في قم راجع هوية الخطاب رقم (٩)، وكتب: "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٣٣٧-٣٧٠، "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٢٦٠-٣٥٨. "التاريخ السياسي للإمام عليه السلام"، ص ٢٠٥-٢١١.

(٢) في حادثة الفيضية قام رجال القوات الخاصة بإلقاء أحد الطلبة - وكان ضريباً ومتخفياً في إحدى الغرف - من فوق السطح إلى ساحة المدرسة، كما ألقوا من السطح أحد الطلبة الشبان وهو يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً أو ستة عشر عاماً.

(٣) في يوم ٢٢ آذار ١٩٦٣ أرسل النظام الملكي عناصره إلى الفيضية، وهم يرتدون ملابس فلاحين لغرض قمع عناصر النهضة الإسلامية. إلّا أنّ هيأتهم العسكرية وشعر رؤوسهم الذي حُلق بطريقة ألمانية كان ينبئ عن هويتهم الأصلية! وقد قام هؤلاء الأشخاص بالصلوات المتكررة أثناء كلمة لأحد العلماء، حتى أثاروا الفوضى في المجلس. ونشبت على الفور صدامات عنيفة، وفي هذه الأثناء دخلت الشرطة التي كانت كامنة في الخارج لتؤدي دورها في الهجوم. وزعم "أسد الله علم"، رئيس الوزراء آنذاك، في مقابلة صحفية أنه حصل نزاع بين العلماء المعارضين لـ "الإصلاح الزراعي" والفلاحين الذين ذهبوا إلى قم لغرض الزيارة، وقد قتل أحد الفلاحين على يد أحد طلبة العلوم الدينية! (راجع "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٢٦٥، وصحيفة "إطلاعات" المؤرخة ٢٦ آذار ١٩٦٣).

(٤) أقر مجلس الشورى الوطني عام ١٩٥٦ "لائحة تأسيس منظمة الإستخبارات والأمن القومي (السافاك)"، وقد تأسست هذه المنظمة رسمياً في عام ١٩٥٧. وكانت مهمتها الرئيسية مواجهة المعارضين للنظام، وقمعهم،

ذلك؟ أم المسؤول الفلاني أمر به؟. حسناً، ليقولوا مَنْ يقف وراء تلك الأعمال؟ لماذا يتصلّون؟! كل مَنْ تذهب إليه يلقي بالمسؤولية على عاتق غيره. وإذا اعترضت على أيّ منهم نسب الأمر إلى سواه. جهاز الشرطة يقول: مديرية الأمن! ومديرية الأمن تقول: الشرطة! وكلاهما يقول أمر صاحب الجلالة! أحقاً ما يقولون إنه أمر صاحب الجلالة؟! هل أنّ صاحب الجلالة معارض للدين الإسلامي؟ هل أنّ صاحب الجلالة حقيقة يخالف القرآن كما يقولون؟ وإذا كان مخالفاً، فما معنى كل تلك الإدعاءات إذاً؟ وأين جميع تلك الكرامات والمكاشفات الغيبية؟! وإن لم يكن معارضاً للإسلام، فلماذا لا يمنع تلك الممارسات الوحشية؟ لماذا لا يعاقب أجهزة الشرطة وأجهزة الأمن تكل، ورؤساء الوزراء هؤلاء؟ وهو الفعال لما يشاء! يمكنه أن يقوم بعمل كهذا. وليس هناك من راجع. عدّ إذاً إلى العهود السابقة، إلى ما قبل مئة عام، وعاقب كما عاقبوا، فالأمر الآن تماماً كما هو آنذاك! فليعاقب أولئك الذين يرتكبون الأعمال السيئة، والأعمال المخالفة للإسلام، وينسبونها إليه، وليبرئ ساحته.

أخي، لا يمكن أن يكون حاكم المسلمين مخالفاً للإسلام، لا يمكن هذا، فإن لم يكن مخالفاً للإسلام فليقل، فليعلن ذلك، ليظهر الأسف على أنّ أحد التافهين<sup>(١)</sup> هجم على المدرسة الفيزية، فاستباح حرمتها وأحالها إلى خراب.

---

وضرب الحركة الإسلامية في إيران. كان للسافاك إرتباط وثيق بمنظمة C.I.A الأميركية، و"الموساد" الإسرائيلية، حتى أصبحت في الحقيقة مركزاً للمخابرات الأميركية في الشرق الأوسط. وقد تحولت "السافاك" تدريجياً إلى منظمة مرعبة، فقد كان لها فرق ملاحقة ومراقبة متعددة، وكانت تقوم بإرسال المعتقلين ابتداءً إلى أماكن خاصة لتعذيبهم والحصول على معلومات معيّنة، ثم إرسالهم إلى محاكم شكلية. وبعد صدور حكم المحكمة (الذي كان معلوماً سلفاً) يُلقى بالمعتقلين في سجون مخيفة. وقد بلغت قسوة "السافاك" درجة جعلت الأمين العام لمنظمة العفو الدولية يعلن في سنة ١٩٧٥ م منشوراً يقول فيه: ليس في العالم أي بلد أسوأ من إيران، فيما يتعلق بحقوق الإنسان .. فجلادوا "السافاك" يستخدمون، بالإضافة إلى الصعقة الكهربائية وأساليب الضرب والشتم للمعتقلين، أنواع الطرق الوحشية، ومنها إدخال القناني المكسورة في دبر المعتقل، وتعليق الوزنات في الخصيتين، والإعتداء الجنسي على السجناء، والإعتداء على نساء وبنات المعتقلين أمامهم لأخذ الاعتراف، إلى غير ذلك.. وهي نماذج طرقهم الوحشية في التعامل مع المعتقلين. ولم تكن أعمال وممارسات "السافاك" بخفية عن نظر الملك، وقد تم حل هذه المنظمة عام ١٩٧٩، على يد الشعب الإيراني المسلم، وعوقب المعذبين في محاكم الثورة. للحصول على معلومات أكثر. (راجع صحيفة "آيندكان" الصادرة بتاريخ ٧ نيسان ١٩٧٩. و"الثورة الإسلامية وجذورها" ص ٤٩١. "وظهور وسقوط سلطة البهلوي"، ج ١، ص ٣٧٩).

(١) كان العقيد المولوي، معاون في مديرية السافاك في طهران، هو المشرف على الهجوم على المدرسة الفيزية، وقد قتل في حادثة سقوط طائرة هليكوبتر بعد تلك الجريمة.

إنني لم أطلع بعد على ما أصاب أعزائنا بدقة، وبعد الدرس ساذهب لأرى، وسأستوضح الأمور، ثم نقرأ "الفاطحة" لمن قتلوا، ونعبر عن حزننا عليهم، فهؤلاء لا يدعوننا نقيم مجالس الفاتحة. إذا كانت هذه فعلة الفلاحين حقاً، إذاً لماذا لا تدعوننا نقيم مجالس الفاتحة؟ لماذا تقوِّضون مراسم الفاتحة في طهران؟<sup>(١)</sup>

كانت سنة سيئة حيث فضحت فساد السلطة، لقد افْتُضح أمر النظام المتجبر، ولم نكن راغبين في هذا. لم نكن راغبين في أن تظهر بلادنا في الخارج على أنها تحكم من قبل عناصر خبيثة كهؤلاء. لم نكن راغبين في كل هذا. نحن نرغب في أن يسلك الجميع في بلادنا من أدناها إلى أقصاها سلوكاً مستقيماً، ويتصرفوا بطريقة تكون مدعاة لفخر بلادهم. فيقول الناس: إن لدينا "أميراً كبيراً"<sup>(٢)</sup>، وإن الوزراء ومستشاري الملوك في الماضي كانوا من العلماء<sup>(٣)</sup>.. كـ"علي بن يقطين"<sup>(١)</sup> وحتى الأئمة الأطهار عليهم السلام كانوا مستشارين للحكام<sup>(٢)</sup>. أما الآن فمن هم المستشارون؟! "إسرائيل" المستشارون الإسرائيليون! اليهود!..

(١) من أجل تكريم شهداء الفضيضة كان مقرراً إقامة مراسم بتاريخ ١١ أيار ١٩٦٣ من قبل ممثل آية الله العظمى الحكيم في مسجد "أرك" في طهران، وقد منع "السافاك" من إقامة تلك المراسم وقامت قوات الشرطة والأمن بمحاصرة المسجد لتحويل دون دخول المشاركين في المظاهرات، الذين كانوا متجهين نحو المسجد. فغضب الناس من هذا العمل، وهاجموا المأمورين، ووقعت اشتباكات شديدة بين الناس والشرطة (راجع "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٣٥٨).

(٢) الميرزا تقي خان الفراهاني (١٨٤٤ - ١٨٨٩) الملقب بـ"أمير النظام" و"أتابك الأعظم"، وقد عرف فيما بعد بـ"أمير كبير" عمل في سنين الشباب في خدمة ناصر الدين ميرزا. وبعد موت الملك محمد القاجاري، قام بمرافقة الميرزا تقي خان، ولي العهد، من تبريز إلى طهران، وهياً وسائل استقرار سلطته، وتسلم الحكم في نظامه. وكانت أوضاع إيران في ذلك الوقت تسير نحو الفوضى والاضطراب بسبب عدم كفاءة الحكام القاجار. وكان الفساد قد تخلل في أركان النظام. وفي هذا الوقت، بدأ "أمير نظام" إصلاحاته من البلاط، ورغم وجود أعداء من ذوي النفوذ الكبير، فإنه قام بخطوات مؤثرة وقيّمة في اتجاه تقدّم إيران، ومن بين إصلاحات هذا الوزير المدير: القضاء على حركات المعارضة، وخاصة مرد الفرقة الضالة "البابية"، وإحلال الأمن في البلاد، وإصلاح أمور الضرائب، ومحاربة الرشوة، وتنظيم ميزانية الدولة، وتنظيم الأمور الداخلية والعسكرية، وتأسيس مدرسة "دار الفنون"، وتنمية العلوم، وترويج الصناعة والزراعة والصحة. وقد أدت مؤامرة عملاء الاستعمار في الداخل والمحاولات المتكررة لـ"مهد عليا" أم ناصر الدين إلى إصدار الملك أمراً بعزله ونفيه، ثم قتله. ("شرح حياة الرجال"، ج ١، ص ٢٠٩).

(٣) أبو علي بن مسكويه، من أعلام القرن الخامس الهجري القمري، فيلسوف وطبيب مسلم له عدة مؤلفات في الفلسفة والأخلاق، كان النديم الخاص، والمسؤول عن خزينة بيت المال، والمؤتمن على أسرار الأمير عضد الدولة الديلمي.

كما كان أبو علي سينا مستشاراً لنوح بن منصور الساماني وزير "شمس الدولة" الديلمي، وطبيباً ومستشاراً للسلطان علاء الدولة في القرن الرابع الهجري القمري. كذلك فإن الخواجة "نظام الملك" الطوسي - حكيم وعالم كبير في القرن الخامس الهجري ومؤسس "المدرسة النظامية" في بغداد وأصفهان ونيشابور - كان وزيراً

لآلب أرسلان وملك شاه السلجوقي. أما الخواجة نصير الدين الطوسي - حكيم وعالم من أعلام القرن السابع، مؤسس مرصد "مراغه"، وصاحب مؤلفات كثيرة في العلوم المختلفة - كان مستشاراً مقرباً من "هولاكو خان". وبالإضافة إلى هؤلاء، يمكن ذكر العلامة الحلبي والمحقق الكركي والعلامة المجلسي وكثير من الآخرين. وقد ذيل الإمام عليه السلام مسألة "ولاية الفقيه" في كتابه "كشف الأسرار" في رده على سؤال: لماذا دخل بعض العلماء في أجهزة السلاطين والملوك الظالمين؟ قال: ".. نحن نقول إنّ شخصاً إذا دخل في تلك المؤسسات الديكتاتورية المخربة، من أجل منع الفساد، ومن أجل إصلاح حال البلاد والناس، فذلك جيد، بل يصبح واجباً أحياناً..".

(١) كان علي بن يقطين، وكذلك أبوه، من المقربين والخواص في جهاز الخلافة العباسية (السفاح والمهدي والمنصور)، واستطاعا طبعاً التأثير كثيراً في تأييد وتقوية الشيعة. ولم يفقد علي بن يقطين نفوذه بعد وفاة أبيه وتولي منصب الوزارة، بل أصبح مستشاراً لهارون الرشيد. وكانت له اتصالات سرية مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان يهتم بأمور الشيعة بتوجيه من الإمام، وقد طلب علي بن يقطين عدة مرات من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أن يسمح له بالإستقالة من الحكومة العباسية، إلا أن الإمام عليه السلام كان يرى أن استقالته ليست في صالح الشيعة، وكان يصرفه عن ذلك.

(٢) كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب دائم الإستشارة للإمام علي عليه السلام، وكان يقول مراراً: "لولا علي لهلك عمر". كما أن أئمة الشيعة الأطهار كانوا جميعاً يحظون باحترام وإستشارة جهاز الخلافة العباسية، فقد قام الخليفة العباسي (المأمون) بتعيين الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد، ودعا الإمام الجواد عليه السلام إلى بلاطه أيضاً وزوجه ابنته "أم الفضل" وأكرمه واستفاد من علمه وفضيلته، وكان للإمام الهادي عليه السلام محبين ومؤيدين مؤثرين ومهمين في أيام خلافة المعتصم والمتوكل والمنتصر والمستعين بالله. كما كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يحظى باحترام الخليفة العباسي المهتدي، وله مقام ومنزلة أرفع من سائر مشايخ قريش ورجال الحكم وقادة الجيش والوزراء وكافة أهالي سامراء. والسبب الأساسي لكثير من هذه النماذج من الإهتمامات والإحترامات، الظاهرية للخلفاء طبعاً، هو معرفتهم وخوفهم من المكانة المعنوية ونفوذ الأئمة الأطهار عليهم السلام بين جماهير الناس (راجع "دائرة معارف الشيعة"، ص ٣٦٤-٣٧٣).

ألفا شخص من البهائيين<sup>(١)</sup>، كما اعترفوا هم في صحيفة "دنيا". لا يأتي غداً أحد النكرات<sup>(٢)</sup> ويقول: بأن ذلك مجرد إشاعة، فقد ورد في صحيفة "دنيا" أنهم ألفا نفر إسرائيلي، أقصد "البهائيين"، طبعاً هم لم يذكروا اسم "البهائية" بل قالوا: "عدد من أتباع بعض المذاهب" (أسموها مذهباً)، ألفا نفر! ويقال إنهم خمسة آلاف، وكلا الرقمين مكتوب هنا مكتوب ولا مجال للتشكيك به) - هؤلاء ألفا نفر، يرسلون وبكامل الإحترام والتقدير، بعد إعطاء كل واحد منهم تحويلاً إلى العملة الصعبة بالسعر الرسمي، ومن أموال هذا الشعب المسلم، وحسم من قيمة تذكرة الطائرة بمقدار ألف وعشرين توماناً لكل شخص منهم، ولم ذاك؟ ليذهبوا إلى لندن للمشاركة في اجتماع يعقد هناك ضد الإسلام؟! لا كحجاجنا المساكين الذين إن أرادوا أن يحصلوا على جوازات سفر إلى الحج فكم عليهم أن يكابدوا، وكم يشق عليهم الأمر. وكم ينبغي عليهم أن يدفعوا من الأتاوات، وكم يجب أن

---

(١) في عام ١٢٦٠ هـ إدعى "علي محمد باب" بأنه "باب" الإمام ووسيلة اتصال الناس بإمام الزمان ﷺ، ثم ادعى "المهدوية" وقال إنه سيظهر من بين "البايين" نبي (من يظهر الله) وسوف يأتي بدين جديد. وقد أمر ناصر الدين شاه وأمير كبير باعتقال الكثير من أتباع الباب وقتلهم ونفي من تبقى منهم إلى العراق. كما أن "الباب" أعدم في ١٢٦٦ هـ ومن بين أتباع "الباب" كان هناك أخوان يحظيان باهتمامه، وقد ادعى خلافته، ولكن اختلافاً وقع بينهما، فاتبعت مجموعة الأخ الأول المعروف بـ "صبح الأزل" (البايين)، واتبع عدد آخر الأخ الثاني "بهاء الله" لتصبح فرقة "البهائيين"، وفي النزاع الشديد الذي حصل بينهما وأتباعهما قُتل كثير من الطرفين، وقامت الدولة العثمانية في العراق بنفيهم جميعاً من بغداد إلى آدرنة في آسيا الصغرى، وهناك لم يتخلَّ الأخوان عن النزاع، واضطرت الدولة العثمانية إلى نفي "بهاء الله" ومؤيديه إلى عكا في فلسطين المحتلة، و"صبح الأزل" وأصحابه إلى جزيرة قبرص. وأدت نشاطاته في عكا إلى أن يتبعه أكثر البايين، وخاصة البايين في إيران. ويجيز دين "بهاء" الزواج من جميع النساء (الأم، الأخت، بنت الأخت، بنت الأخ، العمة والخالة) عدا زوجة الأب. وكان للمخابرات الروسية دور مهم في ظهور هذه العقيدة، كما أن الإنكليز عملوا على نشر "البهائية" في البلدان الإسلامية، وخاصة إيران. وهكذا، فإن "البهائية" وإن كانت منذ ظهورها وحتى الآن عقيدة دينية، إلا أنها في الحقيقة حركة في خدمة الاستكبار بقوة حزب سياسي. وتدعم أميركا والكيان الصهيوني في "إسرائيل" بقوة هذه العقيدة، حالياً، وفي عهد محمد رضا - ورغم مكافحة علماء الشيعة لهذه الفرقة - إلا أن "البهائيين" كانت لهم مكانة خاصة، وكان الملك يستفيد من دعمهم. وكان في البلاط العديد من زعماء هذه الفرقة كان لهم تأثير جدي في قرارات الحكومة والسياسة الخارجية، وكانوا يعملون لصالح الصهيونية العالمية (راجع "النزعة البهائية"، ص ١٨١-٢٣٨، وكتاب "من سيد ضياء إلى بختيار"، ص ٥٣٠. وحول دور نفوذ البهائية في تشكيلات النظام البهلوي (أنظر: التصريحات المثيرة لأحد أقرب أصحاب الملك، اللواء حسين فردوست في كتاب "ظهور وسقوط السلطة البهلوية"، ج ١، ص ٣٧٢).

(٢) يقصد الملك.



يتحملوا من العناء. وبعد ذلك يرفض طلب بعضهم، ويقبل طلب بعض آخر، ثم أي فضائح ترافق ذهاب الحجاج وعودتهم، وفي مكة، وفي منى أيضاً حيث تأتي الشكاوى التي يتقدم بها ذلك المندوب التافه: إعتقلوا فلاناً لأنه قال كلمة حق هناك! قال: إن الإسلام مهدد بالخطر من قبل اليهود! يا للعجب، وهل أنتم يهود؟ هل إن بلادنا بلاد يهود؟

الويل لهذه البلاد! الويل لهذه الحكومة! الويل لهذه الدنيا! الويل لنا، الويل للعلماء الساكتين! الويل للنجف الساكتة، ولقم الساكتة، ولطهران الساكتة، ولمشهد الساكتة. هذا السكوت المميت سيكون سبباً لأن تداس بلادنا وأعراضنا تحت أقدام "إسرائيل"، على يد هؤلاء "البهائيين"، الويل لنا، الويل لهذا الإسلام، والويل لهؤلاء المسلمين.

أيها العلماء لا تظلوا ساكتين هكذا، لا تقولوا: إن المسلك المناسب الآن هو مسلك الشيخ (رضوان الله عليه)<sup>(١)</sup> فوالله لو كان الشيخ<sup>(٢)</sup> موجوداً الآن لكان ما أقوله هو تكليفه.<sup>(٣)</sup>

السكوت اليوم معناه تأييد النظام المتجبر! لا تسكتوا، ألفا بهائي يعطى كل واحد منهم، بمقدار خمسمئة دولار بالسعر الرسمي، وحسم من ثمن تذكرة الطائرة بمقدار ألف وعشرين توماناً (وهذا ما هو مذكور في صحيفة "دنيا") ونسكت!

---

(١) "على مسلك الشيخ رضوان الله عليه"، أي يجب اتباع أسلوب وسيرة الشيخ (رض). والمقصود الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم، الذي كان يتحرك بأسلوب معتدل وينأى عن التدخل في الأمور السياسية. وكان قد للمرحوم آية الله البروجردي (رحمة الله عليه) نفس المنحى إلى حد ما. ويقصد الإمام أن اليوم ليس بالإمكان العمل بذلك المنهج (راجع في هذا الصدد كتاب "كشف الأسرار" للإمام عليه السلام، و"دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١).

(٢) المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (١٢٧٦ - ١٣٥٥ هـ)، من كبار فقهاء ومراجع الشيعة. بدأ دراسته في يزد، وواصلها في العتبات المقدسة على أساتذة كبار كالسيد محمد الفشاركي، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والميرزا الشيرازي الكبير والآخوند الخراساني، وقد نال مرتبة الاجتهاد العالية هناك. وشكل في كربلاء حوزة مستقلة في عام ١٣٣٢ هـ، إنتقل إلى مدينة قم المقدسة لغرض الزيارة، وأقام هناك بعد إصرار علماء وفضلاء قم، وأسس الحوزة العلمية في قم، وقد تربى في حوزة هذا العالم العَلَم فقهاء كبار كآليات العظام: السيد محمد تقي الخوانساري، السيد أحمد الخوانساري، السيد صدر الدين الصدر، الشيخ محمد علي الآراكي، السيد محمد رضا الكلبيكاني وغيرهم. ومن تلاميذه مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران سماحة آية الله العظمى الإمام عليه السلام. وقد حافظ آية الله الحائري على حياة الزهد حتى في زمان المرجعية ورئاسة الحوزة العلمية. وكان يتصف بفضائل أخلاقية رفيعة. ومرقده في حرم السيدة المعصومة عليها السلام.

(٣) أي أن المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري لو كان حياً، لكان تكليفه مواجهة الحكومة.

أخبرني أحد الأشخاص بأن شركة النفط أبرمت صفقة مع المدعو "ثابت باسال"<sup>(١)</sup> أعطته فيها حسمًا، حقق من ورائه ربحاً قدره خمسة وعشرون مليون توماناً، لأجل أولئك الذين أرسلوهم إلى لندن ليجتمعوا ضد الإسلام.

هذا هو وضع نفطنا! وهذا هو وضع عملتنا الصعبة! وهذا هو وضع خطوطنا الجوية، وهذا هو وضع وزيرنا. هذا هو وضعنا جميعاً، فهل بعد ذلك ينبغي علينا السكوت أيضاً، وأن لا ننس ببنت شفة؟! ألا نتكلم، ولا نتأوه؟! يخربون بيوتنا، ثم ينبغي أن لا نقول: آه؟!

التافه! يرسل قائد الشرطة، ويرسل مسؤوله الخبيث<sup>(٢)</sup> يرسلهم إلى بيوت العلماء المحترمين<sup>(٣)</sup> أنا لم أستقبلهم، ولتيني كنت أذنت لهم بالدخول، لكنك حطمت أسنانهم ذلك اليوم، يرسلون إلى بيوت العلماء بأن صاحب الجلالة يأمر بأن نقوم بتخريب منازلكم وقتلكم، وانتهاك أعراضكم إذا بدر منكم أي اعتراض في القضية الفلانية<sup>(٤)</sup>!!

---

(١) "ثابت باسال"، من الرأسماليين الكبار في إيران، ومن أتباع الفرقة "البهائية" الضالة. وكان من بين الأسر ذات الدور في قيادة المؤسسات الاقتصادية والسياسية للحكومات في العهد الملكي. وكان لـ "ثابت باسال" - كاسرة البهلوي وفرمانفرمايان والخيامي والرضائي والأخوان - أسهم وحسابات في أغلب البنوك والشركات والمعامل، وكان يعدّ من أهم الشركاء الأجانب المستثمرين في إيران. ومن النشاطات الاقتصادية لهذا العميل الصهيوني بنوك: إيران وإنكلترا، إيران والشرق الأوسط، الصناعي الإيراني، التنمية الصناعية والمعدنية في إيران، ومؤسسات إنتاج وتجارة البيبسي كولا، فولكس واكن، إسمنت مشهد، بلاسكوكار، جنرال تايرورابر، إيران فارواك، سيكاب وفرانس بيك. (عن كتاب "الدولة والحكومة في إيران"، ص ٢٦٣-٢٦٧).

(٢) إشارة إلى إرسال العقيد برتو (رئيس شرطة قم)، والعقيد بدیع (رئيس دائرة السافاك في قم) وحاكم هذه المدينة إلى منازل مراجع قم من قبل الملك (أذار ١٩٦٢).

(٣) المقصود السيد الشريعتمداري. فعندما لم يحصل مبعوثو الملك على نتيجة من اللقاء مع سماحة الإمام قدس سره ذهبوا إلى منزله.

(٤) هذه القضية هي برقية سماحة آية الله العظمى الحكيم التي أرسلها من العراق إلى إيران ودعا فيها كافة علماء إيران إلى الهجرة إلى العتبات المقدسة في العراق. وبعد إطلاع الملك على هذا الأمر، قام بإرسال رئيس الشرطة ورئيس دائرة السافاك وحاكم قم إلى بيت الإمام قدس سره، إلا أن الإمام لم يستقبلهم، فذهبوا إلى منزل السيد الشريعتمداري، وأبلغوه تحذير الملك الذي كان أرسل رسالة مفادها أن لا مانع لديه من سفر المراجع والعلماء إلى النجف، بشرط أن لا يتبع ذلك نشاطات سياسية، وفي حالة المعارضة سوف يواجهون إجراءات الحكومة الصارمة.

هذا هو وضعنا مع صاحب الجلالة هذا، إن صح ما يقول هؤلاء، وإن كان ما يقولون كذباً، فليقل هو إذاً إنهم يكذبون، ليعلم هو بأن المسؤولين في قم<sup>(١)</sup> يكذبون، لأذيقهم الويل، ليقول هو: إنّ رئيس الشرطة في قم يكذب، حتى أجعله يداس تحت أقدام أهل العلم، وأذيقه مر العناء. ولكنه لا يقول ذلك، ويا ليتة يقول! إلا أنها كانت سنة حسنة، لأنّ علماء الدين أعلنوا للعالم عن سموّ قدرهم، وأوضحوا للعالم بأسرها بأنّ الذي يعترض هو عالم الدين، وإنّ من يقف في مواجهة ظلم وجور الظلمة والجاهلين هي الحوزات العلمية أيضاً. فهي تتلقى الضربات، ولكنها تصرخ، وتقدم الضحايا، ولكنها تصبح وتستنكر. يخربون مدرستها الفيزيائية، فلا تعباً بذلك، وتواصل اعتراضها. ويصّبون على رأسها ما يشاؤون من البلايا، وتستمر في التكلم. لقد أعلن العلماء عن وجودهم للعالم أجمع.

وكانت سنة سيئة، لأنّ الحكومة أخزت إيران في كل مكان من العالم. وكانت حسنة لأنّ احلوزة عرفت العالم بمكانتها، وافهمت الدنيا بأننا بشر نحمل مثلاً وقيماً، وإننا علماء، والأمر بالنسبة لنا، لا يقتصر على الذكر والدعاء، بل إننا نصرخ. إننا نقول: ينبغي ألاّ تقوموا بهذه الممارسات، إننا ننصحكم!

لقد نصحت الملك، وأرسلت إليه مبعوثاً<sup>(٢)</sup> في أوائل هذه القضية قبل الإعلان عن الاستفتاء، وأخبرته بواسطة السيد (البهبودي) والسيد (باكروان)<sup>(٣)</sup> أيضاً، أن لا يُقدم على هذا الأمر. قلت له: لا تجر هذا الاستفتاء،

---

(١) رئيس شرطة قم آنذاك (العقيد برتو) ورئيس منظمة أمن قم (السافاك) العقيد بديع قائم مقام قم.

(٢) بعد الإعلان عن الاستفتاء (الثورة البيضاء) أشار سماحة الإمام عليه السلام في المجلس الذي حضره علماء ومراجع قم، إلى مؤامرة "الثورة البيضاء" وشرح أهداف الملك وأميركا من "الأصول الستة". وبعد ذلك طلب هو وسائر المراجع من الحكومة إرسال ممثل إلى قم للتباحث حول الأصول الستة، وإبلاغ الحكومة في المقابل بآراء العلماء. فأرسلت الحكومة "البهبودي" ولم تسفر المباحثات معه عن نتيجة. ولغرض تحذير النظام طلب قائد الثورة - وبعد الحصول على موافقة السادة المراجع - من آية الله روح الله كمالوند - العالم المتنفذ في منطقة لرستان والمدرس ذو المقام الرفيع في الحوزة العلمية في قم - أن يلتقي بالملك لإطلاعه على رأي علماء قم بشأن أوضاع البلاد، وتحذيره من معارضة الإسلام، وإيصال رأي الشعب إلى الملك. ولم تكن ثمة نتيجة من لقاء المرحوم كمالوند مع الملك، إلاّ تغيير لفظ "الاستفتاء" إلى "القرار الوطني" وذلك لتحاشي الاعتراض على الاستفتاء الذي أشار السيد كمالوند إلى أنه لم يطرح في الدستور، وهو غير قانوني (راجع كتاب "الثورة الإسلامية وجذورها"، ص ٤٤٨ و ٤٤٩. و"دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٢٢٣).

(٣) اللواء حسن باكروان، مساعد رئيس الوزراء ورئيس منظمة استخبارات وأمن البلاد (السافاك). بدأ عمله في فترة تولي الدكتور علي أميني لرئاسة الوزراء، وكان يعمل في المناصب المذكورة في فترة تولي "علم" لرئاسة الوزراء. وكان باكروان يعدّ من أصدقاء ومعتدي الملك. وفي بداية الثورة أمره الملك عدة مرات بالتقاء الإمام.

إنه أمر لا يناسبك. ولا تحرف هذا القانون، فإن جمع لك اليوم "أرسنجاني"<sup>(١)</sup> أربعة من الرعية يرقصون ويهتفون "يعيش" فسوف يأتي أربعة آخرون من الرعية غداً ويهتفون "يسقط"<sup>(٢)</sup>! ليس صلاحاً أن تقوم بذلك، لا تفعله! ولكنه لم يصغ. فهل رأيت إلى أين انتهى الأمر؟! لم تحصلوا على ألفي صوت، والباقي كان كله بالإكراه. الجميع يعلم أن أسواق طهران عطّلت أعمالها كلي لا تشارك في التصويت. كذلك أسواق قم عطّلت هي الأخرى لكي لا تشارك في التصويت. وهذا ما حصل في بقية المدن. إنهم لم يتمكنوا من الحصول على أكثر من ألفي صوت حر بدون قهر السلاح. لم نرغب في افتضاحكم بهذا الشكل، لم نرغب أن يشيح الشعب بوجهه عنك. كنا نريد لك أن تكون إنساناً محبوباً، بحيث إن قلت شيئاً وناديت: أيها الشعب! هبّ الشعب بأسره منادياً: لبيك! نحن نود أن يكون ملكنا هكذا، نود أن يكون وزيرنا هكذا، إن قال أمراً، كان الشعب بأسره معه. فلا يكفي إطلاق الإدعاءات فقط بترديد: "سنة ملايين.. ستة ملايين"<sup>(٣)</sup>!

وأقسم بحياتكم، لم يجتمع لهم غير بضعة آلاف من الأصوات، والباقي جُمع عن طريق ملء الصناديق.. ولم يبلغ ذلك مسامعه. لعلهم قالوا له بأن "سنة ملايين، أكثرية ساحقة"! وإلا فإن الملك لا يكذب! لا يمكن أن يكذب!

---

(١) حسن الأرسنجاني (١٩٢٢ - ١٩٦٩ م)، خريج الحقوق وناشر جريدة "داريا"، والنائب في الدورة الخامسة عشرة لمجلس الشورى الوطني، والمساعد السياسي لـ "قوام السلطنة"، ووزير الزراعة في حكومتَي علي الأميني وأسد الله علم. وقد جمع ثروة طائلة في قضية "الإصلاح الزراعي".

(٢) قام الأرسنجاني، وزير الزراعة في ٩ كانون الثاني ١٩٦٣، بجمع عدة آلاف من الفلاحين الذين أصبحوا أصحاب أراضٍ في الظاهر بعد "الإصلاح الزراعي" المزعوم، وذلك في صالة الرياضة في "بارك شهر" تحت عنوان "مؤتمر القرويين" وفي هذا التجمع الذي حضره عدد من مسؤولي الحكومة والعسكريين الكبار ورجال البلاط والصحفيين الإيرانيين والأجانب، دخل الملك الصالة وسط حلقة من عناصر الأمن وزغاريد وهتاف ورقص الفلاحين، وأعلن الأصول الستة للثورة البيضاء (راجع الصحف الصادرة في ٩ و ١٠ كانون الثاني ١٩٦٣).

(٣) كان محمد رضا يؤكد في جميع كلماته وأوامره ومقابلاته، على لفظ "الملايين" "الخمس ملايين" "خمس ملايين وستمئة ألف" و"سنة ملايين نسمة" على أنهم اشتركوا في استفتاء شباط ١٩٦٣ م. وفي ٢٧ أيار ١٩٦٣ قال في كرمان إن عدد المشاركين هو خمس ملايين وستمئة ألف نسمة. وفي ٩ حزيران ١٩٦٣ ذكر في كلمة موجهة للطلبة الجامعيين والموفدين إلى أميركا أن العدد هو "ملايين الأشخاص". وفي ٢٩ تموز ١٩٦٣ قال في مقابلة مع مجلة "لايف" الأميركية إن النسبة تبلغ ٩٥ بالمئة من الشعب الإيراني (أنظر صحف "كيهان" و"إطلاعات" الصادرة في التواريخ المذكورة).

"بالأكثريّة الساحقة! أهالي إيران قاطبة!! يعني أنّ أسواق طهران ليست من أهالي إيران، شوارع طهران - التي عطّلت أعمالها يوم الاستفتاء - ليست من أهالي إيران، قم ليست من أهالي إيران، قم ليست من أهالي إيران، العلماء ليسوا من أهالي إيران، والمدن الأخرى ليست إيرانية، أين هي إيران إذا؟ ومن أين جاءت كل هذه الأصوات؟

لقد كانت هذه السنة سيئة لوقوع ما ذكرنا فيها، وكانت حسنة لأنكم أيها السادة أحييتم الإسلام، ووقفتم في مواجهة الظلم وثبتم. ولو لم تكونوا قد فعلتم ما فعلتم، لواصلوا طريقهم الذي سلكوه حتى آخره. إنّ وقوفكم وثباتكم هو الذي جعلهم يتراجعون، ويتكبرون لأقوالهم فقالوا: متى قلنا إنّ المساواة في الحقوق تعني أن لا يكون الطلاق بيد الرجل<sup>(١)</sup>؟ هذا ما قاله هذا التافه من حزب الشعب<sup>(٢)</sup>.

وذلك التافه الآخر ينادي بالمساواة التامة. من جهة يقولون: المساواة التامة، ومن جهة ثانية يقولون: كلا، متى قلنا بأنّ الطلاق بيد المرأة؟ إنّ الطلاق بيد الرجل. ويقولون: متى تحدثنا عن الإرث، الإرث كما حدّده الباري تعالى. ومن جهة أخرى يقولون أيضاً: متى قلنا بأنّ النساء يجب أن يجنّدن للخدمة الإلزامية؟ كيف لا أيها المحترمون، وكل شيء في صحفكم. هذه الصحف الهزيلة التي تكتب ما تمليه عليها مديرية الأمن.

يقولون: إنّ مدير صحيفة "كيهان"<sup>(٣)</sup> يقول: "لقد استرحنا أخيراً، لأننا في السابق كنا نكتب وهم<sup>(٤)</sup> كانوا يراقبون، أما الآن فهم أنفسهم الذين يكتبون! وبذا فقد استرحنا!" لا أملك أمام هذا القول إلا أن أسأله: يا سيد،

---

(١) حاول النظام - وبالإستفادة من عمومية مفهوم المساواة التامة بين الرجل والمرأة - ضرب الإسلام، وإشاعة الثقافة الغربية. وقد نفى الملك ورئيس الوزراء وبقية عناصر النظام مسألة إعطاء النساء حق الطلاق. ولكن بعد عدة أعوام - وفي زمان تسلّم هويدا لرئاسة الوزراء (١٩٦٧ م) - أصدر المجلس قانوناً تحت عنوان "قانون حماية الأسرة" يحق للنساء بموجبه تطليق أزواجهن بعد موافقة المحاكم، وهي محاكم لم يكن قضاتها ممن تتوفر فيهم شروط القضاء الشرعي، ولم يكن يحق لهم شرعاً إصدار هذا الحكم. وبموجب الأحكام الإسلامية يمكن للرجل أن يحول للمرأة حق الطلاب كشرط ضمن العقد ومع مراعاة الشروط المقررة في الكتب الفقهية. وهذا الحكم مطبّق في نظام الجمهورية الإسلامية في إيران. وطبعاً هذا الموضوع ليس له ارتباط بمضمون قانون حماية الأسرة الذي أقرّه مجلس الشورى الوطني آنذاك.

(٢) في عام ١٩٦٠ م، وتزامناً مع التحولات التي وقعت في السياسة الدولية، اضطر الملك إلى إعادة النظر في أسلوب حكمه وسياسته الداخلية، فأمر الدكتور إقبال، رئيس الوزراء آنذاك، و"علم" وزير البلاط، بتشكيل حزينين سياسيين متنافسين في الظاهر، أحدهما يدعى "حزب الوطنيين" والآخر "حزب الشعب". وفي عام ١٩٧٤ م إنحلّ هذان الحزبان بعد تشكيل "حزب البعث" من قبل الملك (راجع "اعترافات الشاه المخلوع"، ص ٦٦).

(٣) بدأت صحيفة "كيهان" السياسية - الاجتماعية نشاطها في طهران في ١٢ صفحة عام ١٩٤٢ م وكان صاحب امتيازها مصطفى مصباح زادة، ورئيس تحريرها منذ تأسيسها حتى سنة ١٩٧٤ م مهدي سمسار. وفي ما يتعلق بحب مصباح زادة للمقام وشخصيته المرتبطة بالنظام البهلوي، وأخلاق هذا الشخص الذي كان يعمل على نشر أهداف ومشاريع النظام الملكي عن طريق إحدى أكبر مؤسسات الصحافة في البلاد (أنظر كتاب "ظهور وسقوط سلطة البهلوي"، ج ١، ص ١٣١-١٣٣).

(٤) المأمورون برقابة الصحافة.

لماذا أنت تافه إلى هذا الحد؟ يكتبون لك، ثم تكتب أنت ما كتبوه؟ لماذا ينبغي أن تكون مطبوعاتنا تافهة إلى هذا الحد؟!

تكلّموا أيها الإخوة، قولوا كلمتكم، فماذا يستطيعون أن يفعلوا<sup>(١)</sup> لو تحدّث جميع علماء الإسلام عن أمر ما.. الآن وقد حل بالإسلام هذا الخطر، وحيث اليهود وحزبهم "حزب البهائية" هذا، وهو خطر جدّي، فلم لا يقول العلماء الأعلام والخطباء والطلاب بصوت واحد: نحن لا نريد أن يتحكم اليهود بمقدّرات بلادنا، نحن لا نريد لدولتنا أن تتحالف مع دولة اليهود، في قبال تحالف المسلمين<sup>(٢)</sup>.. المسلمون يتحالفون بعضهم مع بعض، وهؤلاء يتحالفون مع اليهود!! ما هذا الوضع في هذه البلاد؟! إن كنتم عبيداً فهل يجب أن تكونوا عبيداً إلى هذا الحد؟ إنني أشعر بالصداع، وعليّ أن اذهب إلى المدرسة الفيضية لأقرأ الفاتحة، وأسأل الله تبارك وتعالى السلامة لكم جميعاً في هذه السنة وفي السنوات الآتية، وأن ينصر الإسلام وعلماءه.

---

(١) كلام الإمام موجه إلى تلك الفئة من العلماء الذين اختاروا السكوت، وكانوا يقولون: إنّ المواجهة لا نتيجة لها سوى السجن والتعذيب.

(٢) في هذه المعاهدة دخلت بلدان العراق ومصر والسعودية وسوريا ولبنان والأردن في معاهدة مشتركة ضد الكيان الصهيوني. وفي المقابل كان الملك يساعد "إسرائيل" بشكل مباشر بأمر من أميركا. وكان في الحقيقة حليفاً للصهيونية، فقد كان يشارك بصورة غير مباشرة في المعاهدات التابعة للسياسة الأميركية، ولم يكن يمثل أدنى خطر على "إسرائيل"، بل بالعكس كان ضامناً للحفاظ على الكيان الصهيوني ووحدة أراضيه.

## هوية الخطاب رقم (١٢)

إران/ قم/ المدرسة الفيزية، عصر يوم ١٠ محرم ١٣٨٣ هـ، الموافق ١٩٦٣/٦/٣ م.

- الموضوع: الملك ﷺ إسرائيل ﷺ هما أساس معاناة الشعب الإيراني.

- المناسبة: حلول عاشوراء.

- الحاضرون: جمع من الطلاب والعلماء وأهالي قم وزائرو الحرم المطهر.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كانت السهام التي أطلقها الملك باتجاه الإمام ﷺ كأنما تصطدم الواحدة بعد الأخرى بحجر صلد، لذا فقد اضطر النظام إلى تعديل خطته، والقيام بترتيب مؤامرات جديدة كل يوم. كان آخرها فتح ملف للإمام في محكمة قم، واستدعاؤه للتحقيق<sup>(١)</sup>! غير أن هذا الأسلوب لم يحقق للنظام فائدة ترجى. كما أن إرسال أحدهم إلى قم بوصفه (ديبلوماسي مصري) ولقاءه بالإمام لم يحقق أي مساس بشخصية الإمام الواعية والواضحة. ومن المرجح أن يكون ذلك الشخص جاسوساً للنظام الملكي - قدم نفسه على أنه ممثل الزعيم المصري جمال عبد الناصر - فقد أبلغ الإمام استعداد ناصر لدعم نهضة الشعب الإيراني. حينها أجابه الإمام: "قل له إنك إذا كنت تشعر بالمسؤولية، فلتساعدنا في الوقوف بوجه المصالح الإسرائيلية في إيران، ولا بأس بشر خطاباتنا وبياناتنا وآرائنا عن طريق أجهزتك الإعلامية، ليصل صوتنا إلى العالم، فنحن لا ننتظر منكم أكثر من هذا..". وبذا فشل مخطط النظام هذا أيضاً، ولم يتمكن النظام من الإمساك بورقة تساعد على فتح ملف لإدانة الإمام<sup>(٢)</sup>. بعدها قرر الملك - بعد أن أصبح محاصراً تماماً - أن يلجأ إلى أسلوب الإرعاب والتهديد، وعليه فقد صرح في كلمته الافتتاحية للمؤتمر الدولي لمناطق ٣٥٤ "لاينز" الذي عُقد في فندق "ونك" في طهران في ١٦ أيار ١٩٦٣ قائلاً: "إذا كان من اللازم - وللأسف - أن نقول إن ثورتنا الكبيرة ستمتزوج بدماء بعض الأبرياء من رجال الأمن وبعض البائسين والضالين، فهو أمر لا مفر منه، ولا بد أن يقع.."<sup>(٣)</sup>

ومن الجدير بالذكر أن الملك كان قد قال في بيانه الذي أصدره بمناسبة عيد "النوروز": "إن الله وفقنا في العام الماضي بتحقيق تحول أساسي وعظيم بهدوء ومتانة كاملة، ومن دون إراقة أية دماء ودون وقوع أي اضطراب وأي تفريط بحريتنا وحقوقنا الاجتماعية، خلافاً لما يقع عادة في كثير من دول العالم!!"<sup>(٤)</sup>

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام ﷺ"، ج ١، ص ٤٢٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٢٤.

(٣) صحيفة "إطلاعات"، ١٨ أيار ١٩٦٣.

(٤) صحيفة "خراسان"، ٢٧ آذار ١٩٦٣.

كان شهر محرم على الأبواب، ولم يتتاب النظام أي شك في أن الخطباء المريرين للإمام قُلَيْبٌ سيتحدثون في هذا الشهر عن جرائم الجهاز الحاكم. لذا، وللحيلولة دون حدوث ما لا يشك في وقوعه، إستدعى "السافاك" جمعاً من الخطباء، وطلب إليهم مراعاة ثلاثة مسائل في خطبهم، مهدداً ومتوعداً إياهم بالويل والثبور إن هم لم يقبلوا التعهد بذلك:

١- أن لا يذكروا الملك بسوء!

٢- أن لا يذكروا "إسرائيل" وما يتعلق بها.

٣- أن لا يقولوا إن الإسلام والقرآن في خطر، وأن لا يعتبروا النظام معادياً للإسلام!

وعندما أطلع الإمام قُلَيْبٌ على هذا، أصدر بياناً (بمناسبة اقتراب شهر محرم ١٣٨٣) موجهاً إلى الوعاظ والخطباء والهيئات الدينية، حذرهم فيه قائلاً: "إن هذه الإلتزامات، علاوة على أنها ليست ذات قيمة قانونية وأن مخالفتها لا يترتب عليه أي أثر، فإن من طالبوا الخطباء بالإلتزام بها مجرمون، ويمكن ملاحظتهم قانونياً.. إن الصمت في هذه الأيام هو تأييد للنظام المتجبر، وإعانة لأعداء الإسلام..".

وعند إصدار هذا البيان، حصلت حركة جديدة بين الوعاظ والعلماء، فقد اندفعوا في المدن والقرى يكشفون جرائم النظام بأساليب مختلفة، وقد دفعت هذه المرحلة من المواجهة الملك إلى نوع من ردود الأفعال غير المتزنة، ففي كلمته في ٢٤ أيار ١٩٦٣ التي ألقاها في اجتماع العاملين في شركة نقل الركاب في طهران، اعتبر أن معارضيهم هم "أعداء الشعب ومعارضو بلد الشيعة"، علاوة على تأكيده، مرة أخرى، على ادعاءاته السابقة رؤية إمام الزمان في فترة الطفولة. كما أنه أساء للعلماء علناً في كلمة أخرى ألقاها في كرمان في ٢٧ أيار من ذلك العام.

وبعد توجيهات الإمام والخطب التي ألقاها العلماء، قام أهالي طهران وبقية المدن - وضمن عاداتهم بالخروج في مجموعات للعزاء - بالهتاف بشعارات ثورية قوية، مما أثار هلعاً شديداً في أوساط الملك وأفراد نظامه. وكان أكبر تجمع للمتظاهرين هو ما حصل أمام قصر "مرمر"، حيث أدى تجمع الجماهير إلى حدوث مواجهة بينهم وبين رجال الأمن.

ويوماً بعد آخر تصاعدت وتيرة التظاهرات الدينية والشعارات الثورية المعادية للنظام الملكي والمؤيدة للإمام قُلَيْبٌ، وشملت عدا طهران مدناً كثيرة أخرى، وفشلت إجراءات النظام وأساليب رجال أمنه وعناصر جهاز "السافاك" في تحقيق أية نتيجة، بل على العكس فقد كانت تزيد من الحماس والغليان الثوري لدى أبناء الشعب. وقبل حلول يوم العاشر من المحرم، إنتشر في قم وطهران وبقية المدن خبر مفاده أن الإمام سيخطب في يوم عاشوراء، الأمر الذي أدى بجهاز أمن النظام إلى التحرك بسرعة، وزيادة فعاليته في مواجهة ذلك، فكان من نشاطهم إشاعة أن "الحكومة أمرت الجيش بالاستعداد ليقوم بضرب المدرسة الفيضية أثناء خطب العلماء، كما فعلت سابقاً في مسجد "جوهر شاد"، فحاول البعض بعد سماع هذا الخبر منع الإمام من إلقاء خطبته يوم



عاشوراء في المدرسة الفيضية، فكان جواب الإمام هو: "إنني اتخذت قراري النهائي، ولا يمكنني التراجع عن قراري بناءً على هذه الشائعات والتهديدات التي يطلقها النظام..".

في صباح يوم عاشوراء - وبينما كان الآلاف مشغولين بمراسم العزاء الحسيني في منزل الإمام عليه السلام - طلب أحد مسؤولي "السافاك" مقابلة الإمام، وبعد تعريف نفسه قال: "أنا مأمور من قبل الملك بإبلاغكم أنكم إذا أردتم الخطابة هذا اليوم في المدرسة الفيضية، فإننا سنرسل رجال القوات الخاصة لإحراق المدرسة". فأجابه الإمام على الفور، وبأعصاب باردة: "نحن أيضاً سنأمر رجال القوات الخاصة التابعين لنا أن يقوموا بتأديب مبعوثي الملك".<sup>(١)</sup>

كذلك، وبعد الإتصال الهاتفي الذي جرى بين السيد الشريعتمداري والإمام، والذي أخبر فيه السيد الشريعتمداري الإمام قائلاً: "إن آلاف أفراد القوات الخاصة والمسلحين والمدركات تقف على أتم الاستعداد خارج قم للهجوم على المدرسة الفيضية"، فإن الإمام لم يتراجع ولم يتغير تصميمه قيد أنملة.

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم عاشوراء ١٣٨٣ هـ ق توجه الإمام عليه السلام إلى المدرسة الفيضية يحيط به الآلاف من أهالي قم والمدن الأخرى، وهم يرددون شعار "الخميني، الخميني" بقوة هزت المدينة بأسرها، ركب الإمام في السيارة المكشوفة التي كانت قد أعدت أمام منزله، وبعد دخول المدرسة صعد المنبر - وسط الهتافات الحماسية لعشرات الآلاف ممن اجتمعوا في المدرسة الفيضية - وبدأ كلمته الحماسية.

بالإستفادة من واقعة كربلاء قارن الإمام عليه السلام في كلمته الغاضبة بين حكومة البهلوي وبني أمية، وخصوصاً يزيد، مشيراً إلى السلوك العرفاني والحياة الشعبية لعلماء الإسلام وجهادهم على مدى التاريخ. كما رد على الإهانات التي أطلقها الملك، والانتهاكات التي ألصقها بغيره، ثم خاطب الملك مذكراً إياه بعاقبة رضا خان، وحذرّه من التعاون مع "إسرائيل" وعملاء الصهيونية في إيران، وهدد بمغادرة البلاد في حالة استمرار مواجهة الملك للإسلام والشعب. بعد خطبة الإمام عليه السلام القوية والحماسية، قام الوعاظ والخطباء الذين دُعوا للخطابة في مجالس العزاء، بانتقاد ممارسات الحكومة، واستنكروا بشدة هجوم النظام على المدرسة الفيضية، في الذكرى السنوية لوفاة الإمام الصادق عليه السلام. ونتيجة لكل ذلك، أقدم النظام على اعتقال أكثر من خمسين شخصاً من الوعاظ والخطباء. غير أنه رغم اعتقال العلماء الثوريين وإيجاد جو الرعب والخوف فقد أقيمت مظاهرات كبيرة في ليلة الحادي عشر من محرّم من قبل طلبة جامعة طهران، وكانت تلك المظاهرات التي نظمها المرحوم آية الله الطالقاني قد انطلقت من مسجد الهداية الواقع في شارع إسلامبول ("الجمهورية الإسلامية" حالياً) واستمرت حتى السوق المركزي. ثم توجهت إلى ساحة الملك (ساحة الثورة). وقد حضر الطلبة الجامعيون في مدرسة "الحاج أبو الفتح"، وشاركوا في مجلس العزاء الذي أقيم من قبل العلماء، وأعلنوا دعمهم للإمام عليه السلام واستيائهم من النظام الملكي.

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٤٥١.

وفي يوم الحادي عشر من محرّم عقد مجلس مهيب في مسجد الملك (مسجد الإمام حالياً) ورددت شعارات "الخميني محطّم الأصنام.." و"يا خميني أنت ابن الحسين" في داخل المسجد، ثم تحرك المتظاهرون، وعبروا شارع ناصر خسرو، ودخلوا شارع الفردوسي، وتجمعوا أمام السفارة البريطانية. وقام الخطباء بتعرية النظام من خلال كلماتهم الثورية والغاضبة. وبعد أن أصبح النظام في ورطة محيرة، قرر - وبعد دراسات مستفيضة - الإقدام على اعتقال الإمام عليه السلام معتبراً أن ذلك الحل النهائي. وبالفعل نفّذ هذا المخطط المشؤوم وكما يلي: كان عقرب الساعة يشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل من يوم ٥ حزيران ١٩٦٣ وكانت الحافلات العسكرية قد أخذت مواقعها خارج مدينة قم، مضافاً إلى الإعداد الهائلة من رجال القوات الخاصة والجنود المدججين بالسلاح، والذين ملأوا شوارع المدينة.

ويقول الشهود الذين كانوا في قم تلك الأيام: رغم أن المسافة بين بداية الزقاق الذي يسكنه الإمام عليه السلام وباب منزله لم تكن تتعدى المئة متر، إلا أن رجال القوات الخاصة والمسلحين كانوا قد أخذوا موضعاً في كل زاوية. وفي فترة قصيرة داهم عشرات الرجال من القوات الخاصة والمظليين منزل الإمام من جوانبه المختلفة. لمّا كانت الأحداث الأخيرة والحب الذي تكنّه الجماهير للإمام قد أدت إلى اجتماع أعداد كبيرة من أهالي قم والعلماء في منزله كل يوم في الأيام التي سبقت شهر محرم، وكان الإمام قد أقدم على نقل عائلته إلى منزل الشهيد آية الله السيد مصطفى عليه السلام المقابل لبيت الإمام (في محلة يخجال قاضي) وذلك بسبب ضيق المكان، كما أن سماحة الإمام كان يذهب في الليل ليستريح هناك. لذا حينما داهم أزام النظام منزل الإمام في البداية، لم يجدوا الإمام هناك، لذلك أقدموا على ضرب وشم عدد ممن كانوا متواجدين في منزله ليلاً ويعملون في خدمة الإمام والعزاء. وبعد أن أخبر المداهمون محل تواجد الإمام، هجموا على منزل السيد مصطفى وكسروا الباب، وكان الإمام عليه السلام - وجرياً على عادته قد نهض من النوم لأداء صلاة الليل - فالتفت إلى هجوم رجال الأمن والضجة التي صاحبت حركتهم، فصاح من داخل ساحة الدار: "أنا روح الله الخميني، لا تتعرضوا لأحد"، ثم ارتدى سماحته ملابسه وخرج من المنزل وصاح مرة أخرى بوجه رجال الأمن: "أنا روح الله الخميني، لماذا تضربون هؤلاء المساكين"، فصاح آية الله السيد مصطفى من سطح البيت بكل قوّته: "أيها الناس لقد اعتقلوا الخميني"، ونزل إلى الزقاق مسرعاً. حينها كان الإمام الخميني محاطاً برجال الأمن داخل سيارة "فولكس واكن"<sup>(١)</sup>. وما أن وصل نجل الإمام إلى الزقاق حتى راح يجري خلف السيارة وهو يصيح ويطلب من رجال الأمن اعتقاله مع والده. فتوقفت السيارة قليلاً، وطلب الإمام - وبلهجة حازمة - من نجله أن يعود. وصلت السيارة التي أقلت الإمام إلى الشارع الرئيسي، وفي مقابل مستشفى الفاطمي توقفت وترجل من فيها لينقلوا

---

(١) من أجل النقل السريع للإمام بعد الاعتقال، أرسلت سيارة "مرسيدس بنز"، ولكنهم اضطروا إلى استخدام "فولكس واكن" لنقله من المنزل إلى الشارع، بسبب ضيق الزقاق الذي فيه بيت الإمام.

سماحة الإمام إلى سيارة أخرى<sup>(١)</sup>. وفي الليلة ذاتها نُقل الإمام إلى طهران، وأودع في بداية الأمر في نادي الضباط، ثم نُقل إلى معسكر "قصر". وبقي معتقلاً هناك ١٩ يوماً، أي حتى ٢٥ حزيران، نُقل بعدها إلى معسكر "عشرت آباد"، وبعد البقاء هناك ليوم واحد في زنزانة إنفرادية، تم نقله إلى غرفة مستقلة.

بعد انتشار نبأ اعتقال الإمام ﷺ الذي عمّ جميع أنحاء البلاد خلال فترة قصيرة، خرجت جماهير الشعب في تظاهرات كبيرة شكلت بمجموعها "واقعة ٥ حزيران" فقد جرت أكبر مظاهرات شهدتها مدينة قم أسفر عنها سقوط عشرات الشهداء من رواد هذه النهضة، وبذا بدأ فصل جديد في تاريخ المواجهة الإسلامية.

أما طهران، فقد خرجت الجماهير الغاضبة إلى الشوارع، وأغلقت أكثر المتاجر أبوابها، وعطلت الدروس في الجامعة. ومن أجل تشويه النهضة الإسلامية الأصيلة للشعب، قام عدد من عناصر النظام بالهجوم على عدد من المكتبات وأحرقوها، كما قام البعض منهم بإيذاء النساء والفتيات اللواتي كن يمارسن دورهنّ الجهادي ضد النظام جنباً إلى جنب الرجال، مدّعياً أنّ هذه الأعمال إنما قام بها أفراد متدينون. غير أنّ هذه الحيلة لم تنطلي على الشعب المسلم الثائر في أي وقت من الأوقات. يومها تحرك أهالي "ورامين" والقرى المجاورة نحو طهران، ف وقعت مجزرة لابسي الأكفان من أهالي "ورامين"، وكانت من الحوادث المفزعة حقاً. فقد واجه رجال أمن النظام عدداً كبيراً من أهالي "ورامين" عند جسر "باقر آباد"، وطلبوا إليهم العودة إلى مناطقهم، إلّا أنّ الجماهير الغاضبة من سماع خبر اعتقال زعيمهم الديني لم يعيروا أهمية إلى تحذيرات رجال الأمن، وفجأة فتح رجال الأمن نيران أسلحتهم الرشاشة على هؤلاء المسلمين الطاهرين، ثم داسوا أجسادهم بالدبابات والمدركات، إلى درجة جعلت التعرف على هوية الكثير منهم أمراً غير ممكن، حتى بالنسبة لذويهم. وأعلنت الأحكام العرفية في طهران في يوم ٥ حزيران ١٩٦٣، وعيّن الفريق النصيري حاكماً عسكرياً، إلّا أنّ هذا الأمر لم يؤثر إطلاقاً، ففي اليوم التالي خرج الآلاف من أهالي طهران إلى الشوارع وواصلوا التظاهرات بشعارات "تحية للخميني" و"الموت للملك قاتل المسلمين" و"الموت للديكتاتور السفاك". وفي الوقت الذي كان الملك فيه هو المسؤول عن إصدار الأمر بقمع جماهير الشعب، وكان العشرات يسقطون يومياً نتيجة هذا الأمر، كانت أجهزة إعلام النظام والصحف الأجيعة تمارس دورها في تحريف الحقائق، وذلك بافتعال أخبار كاذبة كالخبر الذي نشر أيامها، وكان يقول "دعوة آية الله الميلاني وآية الله الطباطبائي القمي إلى الهدوء". كذلك ومن الحيل الأخرى التي لجأ إليها النظام، نشره قصة مجيء شخص يدعى "عبد القيس جوجو" من لبنان إلى مطار "مهر آباد"، وقيام قوات

---

(١) بعد هذه الواقعة ذكر سماحة الإمام لولده سماحة السيد أحمد الخميني "عندما نُقلت إلى سيارة أخرى رأيت حوالى ألف مأمور قد اتخذوا موضعاً في جميع أنحاء الشارع حتى تقاطع الفاطمي، فقلت ساخراً جئتم بكل هؤلاء من أجل اعتقال شخص واحد؟ فلم يُجب أحد هناك، إلّا أنّ المأمور المراقب قال في الطريق بين قم وطهران: الناس يحبونك، فاحتملنا أن يطلع الناس بعد اعتقالك، ويشتبكوا مع المأمورين، لذلك عبّأنا كل هذه القوات".

أمن المطار باعتقاله، وضبط مبلغ يعادل مليون تومان معه، حيث نشر أنه موفد من قبل جمال عبد الناصر إلى علماء إيران، إلا أنها كانت قصة لا أساس لها من الصحة. ومما تجدر الإشارة إليه الحركة الهامة والمصيرية التي قام بها المراجع والعلماء الأعلام عند اعتقال الإمام عليه السلام، والتي تمثلت بسفرهم الجماهير من قم والمدن الأخرى إلى طهران<sup>(١)</sup>. مطالبين سلطات النظام الملكي بإطلاق سراح الإمام بلا قيد أو شرط. كذلك فقد قام العديد منهم بتسليم أنفسهم إلى شرطة طهران، معلنين عن رغبتهم في دخول السجن في حالة رفض السلطات الإفراج عن الإمام عليه السلام. فقامت سلطات النظام باعتقال الجميع وإيداعهم السجن. من الوقائع الهامة الأخرى، والتي وقعت في تلك الأيام، لقاء آية الله الخوانساري بالإمام عليه السلام في السجن<sup>(٢)</sup>، بعد التقاء آية الله كمالوند بالملك، إذ أدى لقاء آية الله الخوانساري إلى طمأننة جماهير الشعب على سلامة قائدهم، مما دفعهم إلى التضرع لله تعالى.

## الخطاب رقم (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه عصر يوم عاشوراء، أحياناً وعندما أستعرض وقائع يوم عاشوراء، يثور في ذهني السؤال: إذا كان بنو أمية ونظام يزيد بن معاوية في حرب مع الحسين عليه السلام فقط، فماذا تعني تلك الأعمال الوحشية واللاإنسانية التي عاملوا بها النساء والأطفال العزل في يوم عاشوراء؟ وما هو ذنب الأطفال الصغار؟ وما كان ذنب النساء؟ ولكني أعتقد أنهم كانوا يستهدفون الأساس، كانوا يريدون القضاء على بني هاشم تماماً، فبنو أمية كانوا يعارضون بني هاشم، وما كانوا يرغبون ببقاء الشجرة الطيبة<sup>(٣)</sup>، وفي إيران كان الأمر كذلك، وإلا ماذا كانت مشكلة هؤلاء مع

(١) أورد مؤلف "نهضة علماء إيران" أسماء ٤٥ شخصاً من العلماء المهاجرين، وذلك في الجزء ٤، ص ١٣٢.

(٢) وافق النظام على هذه اللقاءات بهدف مآكر، إذ كان قد أشيع بعد اعتقال الإمام أنه قد تم إعدام الإمام عليه السلام، وكان الوضع يسير نحو بدء ثورة أكبر من ثورة ٥ حزيران، يقول نجل الإمام (سماحة السيد أحمد الخميني): قال لي الإمام إنهم جاؤوا بالسيد الخوانساري لعدة لحظات، ولم تكن هناك فرصة للكلام غير السلام، ولم يستمر هذا اللقاء لأكثر من دقيقة واحدة، وقد رد النظام بهذه اللقاءات على الإشاعات من جهة، وعمل على تهدئة الأجواء، ومن جهة أخرى أظهر النظام أنه يحترم مطالب العلماء في الالتقاء بالإمام.

(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (إبراهيم، ٢٤). عن عبد الرحمن بن سالم الأشل، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ الآيتين، قال: هذا مثل ضرب به الله لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ولمن عاداهم هو مثل: ﴿كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (راجع "تفسير الميزان"، ج ١٢، ص ٦٣/ ذيل الآية الكريمة).

شبابنا ممن لم يتموا العقد الثاني من أعمارهم؟ سيّد لم يبلغ العشرين من عمره<sup>(١)</sup> ماذا فعل للملك؟ وماذا فعل للحكومة؟ ماذا فعل للأجهزة السفاكة؟

إذاً، فإنّ هذه الفكرة هي التي تفسر الأمر: إنهم يخالفون الأساس! ليس لهم خلاف مع الشبان، هم لا يريدون بقاء الأساس، لا يريدون لنا جميعاً، صغيرنا وكبيرنا، أن نكون موجودين. "إسرائيل" لا ترغب بوجود أي عالم في هذه البلاد، "إسرائيل" لا تريد للقرآن أن يكون موجوداً في هذه البلاد، "إسرائيل" لا تريد وجوداً لعلماء الدين في هذه البلاد، "إسرائيل" لا تريد لأحكام الإسلام أن تبقى في هذا البلد، "إسرائيل" دمرت المدارس<sup>(٢)</sup> بأيدي عملائها القذرين، تدمرنا نحن، تدمركم أتم أيها الشعب، وتريد السيطرة على اقتصادكم، تريد القضاء على زراعتكم وتجارعتكم، تريد أن لا يبقى لهذه البلاد أية ثروة، تريد السيطرة على الثروات بواسطة عملائها، وتسعى لإزالة تلك العوائق التي تمنع من تحقيق ذلك، وإزالة كل ما يشكل سداً حائلاً في طريقهم، يريدون تحطيم الموانع، فالقرآن سدّ في الطريق ويجب أن يزال، العلماء سدّ يجب أن يحطّم، المدرسة الفيزيائية سدّ يجب أن يهدّم، طلبة العلوم الدينية يمكن أن يكونوا سدّاً في المستقبل، فيجب أن يرموا من أعالي السطوح، ويجب أن تهشّم رؤوسهم وتكسر أيديهم، حتى تحقق "إسرائيل" مصالحها، وحكومتنا تعرضنا للتحقير والإضطهاد تلبية لرغبة "إسرائيل".

لقد شاهدتم، أيها السادة، ماذا حصل في قم يوم أجري ذلك الاستفتاء المتهافت المخزي، الاستفتاء الذي لم يؤيد مواده أكثر من بضعة آلاف، والذي تم خلافاً لإرادة الشعب الإيراني. شاهدتم كيف بثوا أشخاصاً من الصبيان والأراذل، وكيف حملوهم في السيارات وجالوا بهم أزقة قم (مركز الروحانية) وفي جوار "فاطمة المعصومة عليها السلام" وهم يصيحون: لقد انتهى عهد الطعام المجاني! إنتهى عهد تناول الأرز!<sup>(٣)</sup>

فليتأمل السادة المحترمون حالة المدرسة الفيزيائية، تأملوا في هذه الغرف! هل أنّ من أمضوا زهرة شبابهم فيها، هل أنّ أولئك الذين يقضون حياتهم وشبابهم في هذه الغرف من الذين لا يحصلون على أكثر من ثلاثين

(١) المرحوم السيد يونس الرودباري، هو أحد شهداء فاجعة الفيزيائية.

(٢) إشارة إلى ما تعرضت له المدرسة الفيزيائية في قم، والمدرسة الطالبة في تبريز من الهجومات الوحشية لعناصر النظام.

(٣) في زيارة الملك لقم بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٣ حُرّم استقبال جماهير الشعب. وفي كلمته المهيّنة التي ألقاها في ذلك اليوم، قال: .. يتصور علماء الدين أنّ الحياة ليست سوى الحصول على شيء أو مال بظلم وبطالة، ثم التمتع به.. لا! إنّ زمن البطالة قد انتهى.. وبعد انتهاء كلمته تلك، قام أزالاه المتكبرون تحت اسم "أهالي قم المحبون للملك" بالخروج بتظاهرات مرددين شعار: "زمن البطالة انتهى.. أكل الأرز انتهى..". (راجع صحيفتي "كيهان" و"إطلاعات" المؤرختين في ٢٤ و ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣. "نهضة علماء إيران"، ج ٣، ص ٢٢٠ و ٢٢١. "الثورة الإسلامية وجذورها"، ص ٤٥١ و ٤٥٢).

أو أربعين إلى مئة تومان شهرياً، أهؤلاء هم الذين يأكلون مجاناً؟! وأولئك الذين يدّخرون ألف مليون، والألف مليون هو جزء من ثروتهم، وآلاف الملايين في أماكن أخرى، أولئك ليسوا طفيليين كثيراً؟!!

أنحن الطفيليون؟ وحينما توفي شيخنا الشيخ عبد الكريم الحائري لم يكن لدى عياله شيء ليلتها، لم يكن عندهم حتى عشاء تلك الليلة! (بكاء شديد للحاضرين)! أنحن الطفيليون؟ وحينما فارق الدنيا فقيدنا المرحوم السيد البروجردي، مات وفي ذمته دين بستمئة ألف تومان<sup>(١)</sup>! هل كان سماحته طفيلياً؟

أما أولئك الذين ملأوا مصارف العالم بأرصدتهم، وشيّدوا القصور فوق القصور، وما زالوا لا يريدون ترك هذا الشعب وحاله، ولا زالوا يسعون للسيطرة على سائر ثرواته لإنزالها في جيوبهم أو في جيب "إسرائيل"، هؤلاء ليسوا طفيليين؟! العالم ينبغي أن يحكم، الشعب ينبغي أن يحكم ويحدد. أي من الطرفين هو الطفيلي؟  
إني أنصحك يا محترم! يا حضرة الملك! يا جناب الملك! إني أنصحك، كفّ عن هذه الأعمال، إنهم يستغلونك يا محترم، وإنني لا أرغب في أن يتضرع الجميع بالشكر إلى ربهم إذا أريد لك أن تغادر السلطة يوماً ما.

لا بد أنّ شيوخكم يتذكرون، كل من جاوز الأربعين من العمر منكم لا بد أنه يتذكر، بل حتى من جاوز الثلاثين من العمر. حينما هاجمتنا ثلاثة جيوش، الاتحاد السوفيتي وإنكلترا وأميركا، وسيطروا على إيران، وأصبحت نتيجة لذلك أموال الناس عرضة للضياع، وأعراضهم عرضة للإنتهاك، كان الناس مسرورين رغم ذلك - والله يعلم أنهم كانوا كذلك - لأنّ البهلوي قد رحل.<sup>(٢)</sup>

إنني لا أريد لك أن تكون كذلك، فكفّ عن أعمالك هذه، لا تستهتر بالشعب إلى هذا الحد، لا تعاد العلماء إلى هذا الحد. إن صح ما يقولون عن عدائكم للعلماء فإنك تفكر تفكيراً خاطئاً.

إن كانوا يكتبون لك خطاباتك ويسلمونك إياها لتقرأها! فتأمل بها قليلاً قبل أن تبشر القراءة، فلماذا تطلق هذه الكلمات عبثاً هكذا دون تروّ؟

هل أنّ الروحانية وعلماء الدين حيوانات نجسة؟ هل أنهم حيوانات نجسة في نظر الشعب كما تقول أنت؟<sup>(٣)</sup>

---

(١) هذا المبلغ من الدين يتعلق بآية الله البروجردي، وكان قد استقرضه ليعطي رواتب شهرية لطلبته، إذ ينال كل واحد منهم مبلغ ٦٠ أو ٤٠ توماناً (حسب مستواه الدراسي).

(٢) رضا خان.

(٣) في كلمته التي ألقاها في كرمان في ٢٧ أيار ١٩٦٣ قال الملك - وبمتهى الوقاحة (..) عليكم أن تتيقظوا فإذا جاءكم من يتحدث بتلك اللغة، وأراد نشر هذا الموضوع من السموم بينكم، فأبعدوه عنكم، ولا تسمحوا له بالإقتراب منكم، وليكن تعاملكم معه كالتعامل مع الحيوان النجس..) الصحف الصادرة في ٢٧ و ٢٨ أيار ١٩٦٣.

فإذا كانوا كذلك، فلماذا يقبل الناس أيديهم؟ أيقبلون يد حيوان نجس؟ لماذا يتبركون بالماء الذي يشربونه؟

وإذا كانوا حيوانات نجسة هل يفعلون معهم ذلك؟ أنحن حيوانات نجسة يا محترم؟ (بكاء شديد للحاضرين) أتمنى أن لا يكون هذا قصدك، أرجو أن لا يكون قصدك حين قلت "الرجعيون السود"<sup>(١)</sup> مثل الحيوانات النجسة، وعلى الشعب أن يحذر منهم" هم العلماء! وإلا فإن تكليفنا سيكون معقداً حينها، وسيكون تكليفك أنت أيضاً معقداً. فلن تستطيع مواصلة حياتك بعدها، الشعب لن يتركك لتواصل حياتك. فكف عن هذه الممارسات والتصرفات، واستمع لنصحي.

يا محترم، لقد بلغت الخامسة والأربعين من العمر، عمرك الآن ثلاثة وأربعون عاماً. كف إذاً. لا تصنع إلى كلام هذا وذاك. فكّر قليلاً. تأمل قليلاً. خذ في اعتبارك عواقب الأمور إلى حد ما. اعتبر قليلاً. اعتبر بأبيك. وكف عن هذه التصرفات. إستمع إليّ. إستمع إلى العلماء. إستمع إلى علماء الدين. إنهم يريدون مصلحة الشعب، إنهم يريدون مصلحة البلاد، أنحن رجعيون؟ أم أن أحكام الإسلام رجعية؟ ورجعية سوداء أيضاً؟ ثورتك هي السوداء، وتدعي القيام بثورة بيضاء؟! جنابك قمت بثورة بيضاء؟ بأية ثورة بيضاء قمت يا محترم؟ لماذا تحاول استغلال الجماهير إلى هذا الحد؟ لماذا تنشر الأكاذيب؟ لماذا تستغل الشعب؟ أقسم لك بالله بأن "إسرائيل" لا تنفك، وإن القرآن هو الذي ينفك.

---

(١) كان الملك يسمي العلماء بصفة "الرجعية السوداء"، ومنذ عام ١٩٦٢ م كان يطلق عبارتي "الرجعية السوداء" و"الرجعية الحمراء" على معارضي "ثورته البيضاء" وذلك في مقابلاته وخطاباته وبياناته. فقد قال مثلاً في مؤتمر الفلاحين في كانون الأول ١٩٦٢ (من المسلم به أن الرجعية السوداء والقوى المخربة الحمراء سوف لا تتوانى عن معارضة الإصلاحات في إيران، وسوف يبذلون كل ما في وسعهم لمنع هذه الإصلاحات..) كذلك فإنه وجّه الإهانة للعلماء في الكلمة التي ألقاها في قم شهر كانون الثاني ١٩٦٣ ووسم "جماعة العلماء" صراحة بـ"الرجعية السوداء" وفي كتاب الثورة البيضاء كتب حول ثورة ٥ حزيران ١٩٦٣ الكبيرة يقول: إن بلوى الخامس من حزيران ١٩٦٣ كانت أفضل مثال على الاتحاد غير المقدس بين التيار الأسود والقوى المخربة الحمراء، والذي تم تمويله من قبل مجموعة من المالكين الذين تضرروا من قانون الإصلاح الزراعي (راجع "دائرة معارف الشيعة" ص ٥٦٦ و ٥٦٧، مقابلات وكلمات وبيانات محمد رضا شاه، ص ٣٠٨٧ و ٣٠٨٩ و ٣٢٨٤. و"القاموس السياسي"، ص ٥).

أخبروني اليوم أنّ مديرية الأمن استدعت بعض الخطباء وقالت لهم هناك: لا تتعرضوا إلى أمور ثلاثة، وتحدثوا فيما شئتم مما عدا ذلك، أحدها: لا تتعرضوا للملك! والآخر: لا تتعرضوا لـ"إسرائيل"، والثالث: لا تقولوا إنّ الإسلام في خطر! لا تتعرضوا لهذه الأمور الثلاثة، وتحدثوا بما شئتم فيما عداها.<sup>(١)</sup>

حسناً، إذا استثنينا هذه الأمور الثلاثة، فبماذا سنتحدث إذاً؟ إنّ كل ما نزل بنا من البلاء هو بسبب هذه الأمور الثلاثة! جميع ابتلاءاتنا منها! أخي، هم الذين يقولون، ولست أنا من يقول. فأينما تولّى وجهك يقولون: الملك أمر بذلك! الملك قال: خربوا المدرسة الفيضية! والملك قال: أقتلوا هؤلاء! ذلك الرجل الذي جاء إلى المدرسة الفيضية<sup>(٢)</sup> (لن أذكر اسمه الآن، فحينما يحين وقت معاقبته، سوف أذكر اسمه) جاء إلى المدرسة الفيضية وصرخ بهم، فتجمعوا في مكان واحد. وقال: ماذا تنتظرون؟ إنطلقوا ودمروا جميع الغرف، دموها تماماً، جميعها.. أهجموا! فهجموا. وإذا سألته: يا هذا لم فعلت ذلك؟ سيقول: صاحب الجلالة أمر بذلك! وهل الطلبة هم أعداء صاحب الجلالة؟! وهل "إسرائيل" هي صديقة لصاحب الجلالة؟ وأولئك أعداؤه؟ إنّ "إسرائيل" تدمر البلاد. "إسرائيل" تقضي على مصداقية السلطة، وعملاء "إسرائيل".

.. إنّ هناك حقائق أخرى وراء هذه الأعمال.. (يعتريني الصداق مجدداً). هناك حقائق أخرى، أنتم أيها الإخوة المحترمون، راجعوا تقويم البهائيين لستين أو ثلاث خلت، كتبوا هناك: المساواة بين المرأة، رأي "عبد البهاء"<sup>(٣)</sup>.. وهؤلاء السادة أيضاً تابعون له، وجناب الملك أيضاً يرتقي المنصة خطيباً ينادي - ودون فهم - بالمساواة بين المرأة والرجل! يا سيد؟ لقد لقنوك بهذا، ليقولوا إنك "بهائي". لأقول بأنك كافر. ليطردوك من مقامك! كفّ عن هذه التصرفات، كفّ عن هذه الأعمال. وكذلك التجنيد الإجباري الشامل للنساء، فهو رأي "عبد البهاء" أيضاً. وتقويم البهائية الموجود، أنظروا فيه! ألم يره الملك؟ إذا لم يكن قد رآه فليؤاخذ أولئك

---

(١) بعد فاجعة الفيضية (٢٣ آذار ١٩٦٣) استدعى الجهاز الأمني للنظام - والذي كان يشعر بالخطر - عدداً من الوعاظ المعروفين إلى دائرة "السافاك"، وطلب منهم التعهد بعدم طرح ثلاث قضايا - أشير إليها في النص - وعندما علم الإمام بفعلة "السافاك" أصدر بياناً موجهاً إلى العلماء والوعاظ وأهل المنبر، اعتبر فيه تلك التعهدات أموراً غير قانونية، وعدّ أولئك الذين أخذوا مثل هذه التعهدات مجرمين يمكن ملاحقتهم قانونياً.

(٢) العقيد المولوي، معاون دائرة "السافاك" في طهران.

(٣) عباس أفندي، المعروف بـ"عبد البهاء" (١٢٦٠ - ١٣٤٠ هـ) ابن الميرزا حسين علي "بهاء الله"، أصبح بعد أبيه زعيماً للبهائيين، وكان من الجواسيس النشطين للحكومة البريطانية. عمل لصالح هذه الحكومة في فلسطين، وقد قلّدتها الحكومة البريطانية وسام "شواليه" (البهلواني) ولقب "رأس" تقديراً للخدمات التي قدّمها لهم. نشر "عبد البهاء" كتاب "تعاليم البهائية" وذكر فيه مسألة المساواة التامة في الحقوق بين الرجل والمرأة (مرّ ذكره بالهوامش السابقة).



الذين رأوه ولقنوا هذا التعيس ليقول هذا. أقسم بالله أنني سمعت بأن "مديرية الأمن" تنوي إسقاط الملك من أعين الناس لكي يطيحوا به. لذا فمن غير المؤكد أنهم يخبرونه بكافة الأمور.

إنّ هناك الكثير مما يجب أن يقال، أكثر مما تتصورون. فبلادنا وديننا في خطر! وقولوا أنتم: "بأنّ على العلماء أن لا يقولوا بأنّ الدين في خطر!".

إذا لم نقل إنّ "الدين في خطر" أفلا يكون الدين في خطر؟ إذا لم نقل بأنّ الملك يتصرف هكذا، أفلا يكون هو كذلك حقيقة؟ إفعل شيئاً يا محترم لتدارك الأمور، فإنهم يلقون بمسؤولية كل شيء على عاتقك. وأنت أيها المسكين لا تعلم إذا انطلق صوت في يوم ما، فإنّ أيّاً من رفاقك.. ولا رفقة لهم، هؤلاء جميعاً رفاق الدولار، هؤلاء لا دين لهم.. لا وفاء لهم..

أحزاننا كثيرة، لا لأنّ اليوم هو عاشوراء (وإن كان ذلك مما ينبغي أن يكون أيضاً) لكننا متأثرون ومشفقون مما ينتظر هذا الشعب من المؤامرات التي يُعدّها لها الآن. فما هي العلاقة بين ملكنا و"إسرائيل" حتى تقول مديرية الأمن: لا تتعرضوا لـ"إسرائيل"، ولا تتعرضوا لملك أيضاً؟ ما هو التناسب بين الإثنين؟ هل أنّ الملك إسرائيلي؟ هل أنّ الملك يهودي في نظر مديرية الأمن؟ لا بد أنّ الأمر لي كذلك حتماً، فهو يقول "أنا مسلم"، ومن يدّعي الإسلام فهو مسلم، على ما يقتضيه الأخذ بالظاهر. ولعلّ "العلاقة مع عَلَيْهِ السَّلَامُ إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ" وراؤها سرّ، ويمكن أن يكون ما يقال صحيحاً حول رغبة تلك الدوائر في الإطاحة بالملك! لا تحتل أنت ذلك؟ حاول معالجة الأمر إذا كنت تحتل ذلك، حاولوا إيصال هذه الأمور بطريقة ما إلى هذا السيد، لعله يصحو، لعل يعي قليلاً، لقد أحاطوا به من كل جانب، ويُحتمل أن لا يسمحوا لهذه الكلمات بأن تصل إليه.

إننا آسفون جداً على وضع إيران، وعلى وضع البلاد المتردي هذا. آسفون على وضع مجلس الوزراء، وعلى هذه الأوضاع عموماً. آسفون على جميع ذلك..

لقد أصابني الإعياء، فليأت السيد (الشيرازي)<sup>(١)</sup> ويختم المجلس بالدعاء.

---

(١) السيد غلام حسن الشيرازي.

## هوية الخطاب رقم (١٣)

- إيران / قم / منزل الإمام الخميني قدس سره في ٢٦ ذي القعدة ١٣٨٣ هـ، الموافق ١٠/٤/١٩٦٤م.
- الموضوع: كشف مؤامرة النظام، والرد على تهمة قبول العلماء بالثورة البيضاء.
- المناسبة: عودة الإمام إلى قم بعد إطلاق سراحه من السجن والإقامة الجبرية.
- الحاضرون: مجموعة من طلبة جامعة طهران، وأهالي قم.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

منذ منتصف ليلة ٥ حزيران ١٩٦٣، حيث اختطف أعلام النظام الإمام قدس سره بصورة وحشية، بجرم قول الحق، والدفاع عن الإسلام والشعب الإيراني المسلم، وذهبوا به إلى السجن وحتى العاشرة من ليلة ٧ نيسان ١٩٦٤، حيث أطلق سراحه، عاشت إيران وخلال فترة العشرة أشهر تلك أحداثاً ووقائع دلت على قوة إرادة الشعب، فرغم تمتع النظام بالإمكانات الإعلامية الواسعة، وإنفاق ملايين التومانات من قبل سفارته في الخارج سعياً لشراء صفحات الصحف الأجنبية، وشدة الرقابة على الصحف والمجلات الداخلية، إلا أنه لم يتمكن من التغلب على إرادة الشعب الإيراني المسلم. ولم يسفر اعتقال وتعذيب العلماء وبقية شرائح الشعب عن نتيجة. كما أن إعدام طيب الحاج الرضائي والحاج إسماعيل الرضائي - من أهالي جنوب طهران - لم يتمكن من إلحاق أدنى ضرر في تصميم وإرادة مريدي قائد الثورة ومحبيه. بالنتيجة عاد الإمام قدس سره إلى قم - معقل المواجهة الأساسي ضد النظام - بعد تحمّل ما يقرب عشرة أشهر من السجن والإقامة الجبرية في ظروف غير مناسبة<sup>(١)</sup> وبلا سابق إنذار. ويقول شهود عيان إن عدداً من طلاب المدارس كانوا في تلك الساعة من الليل، منهمكين في المطالعة عند حافة الشارع المقابل لمستشفى الفاطمية في قم، حين رأوا الإمام عائداً. فأسرعوا نحوه، وحطموا صمت الليل بشعار "من أجل سلامة سماحة آية الله الخميني صلّوا على محمد وآله"<sup>(٢)</sup>. وبعد دقائق تحرك جموع من الأهالي نحو بيت الإمام، وأسرع العلماء وأساتذة الحوزة مع سائر فئات الناس لرؤية الإمام.

---

(١) يقول حجة الإسلام السيد أحمد الخميني: في ليلة السابع عشر من شهر صفر - الليلة التي نقل فيها الإمام إلى زنزانة إنفرادية - كان أعلام النظام يعذبون شخصاً في الزنزانة المجاورة من أجل التأثير على روحية الإمام، وكان أنين وصراخ الشخص عالياً، فنذر الإمام نذراً من أجل أن يكفّوا عن تعذيبه. كما أنه قال لي في ما بعد: "كانت تلك الليلة من أصعب ليالي حياتي".

(٢) من الملفت أن العقيد المولوي (معاون دائرة "السافاك" في طهران) أصرّ أن يجلس إلى جانب الإمام في السيارة عند إطلاق سراحه - من المنزل المحاصر في القيطرية في طهران - ليظهر أن الاختلافات قد انتهت، إلا أن سماحة الإمام بذكائه الخاص لم يسمح بذلك، وقام من دون أن يهتم به بأخذ "سماور" معه، ووضعه إلى جانبه.

وفي اليوم التالي، توجهت إلى قم جموع غفيرة من أهالي طهران والمدن الأخرى ليلتقوا بقائد نهضتهم، كما زُيّنت مدينة قم الدينية بالمصابيح، وعُلّقت مئات اللافتات التي تبارك إطلاق سراح الإمام وعودته إلى قم. وفي اليوم الثاني من إطلاق سراحه زاره وزير الداخلية، وحاول تملّق الإمام، ونقل إليه تحيات رئيس الوزراء، موحياً أنّ الماضي قد انتهى.

كان النظام يتصور أنّ اعتقال قائد الثورة والقمع الدموي لثورة ٥ حزيران، واعتقال أصحاب الإمام ونفيهم قد أنهى المواجهة، فسعى ومن خلال كتابة مقالات في الصحف<sup>(١)</sup> الإيحاء بأن الاختلافات بين العلماء والنظام قد انتهت. وحينما اطلع الإمام عليه السلام على مجريات الأمور، قرر أن ينفي كل ذلك على الفور، فألقى في ١٠ نيسان ١٩٦٤ كلمة حاسمة في جمع من الطلبة الجامعيين المجاهدين الذين وفدوا إلى قم لزيارته، أفضّل فيها جميع المخططات الماكدة للنظام. ففي كلمته هذه أكد الإمام على موقفه الثوري الثابت، وحذّر جماهير الشعب والمثقفين الثوار من مغبة بذل الجهود في سبيل إطلاق سراح هذا أو ذاك، الأمر الذي يؤدي إلى الإنشغال عن المواجهة. وطالبهم بمتابعة السير نحو الأهداف الأساسية.

ومن الأمور الهامة التي تضمنتها تلك الكلمة: الهجوم على "إسرائيل"، والتأكيد على المواجهة مع هذه الغدة السرطانية التي زرعها الاستعمار في قلب الشرق الأوسط الإسلامي. كما أشار الإمام إلى آلام الشعب، والأوضاع السيئة للجماهير المحرومة، وبذخ الملك. ودعا الشعب إلى الصبر أمام المصائب، وبشّر بالنصر، وقد ذكر هذه البشارة في وقت كان لا يزال كثير من العلماء والأشخاص الثوار المسلمين في زنازات الملك وتحت التعذيب الوحشي. وضمّن إشارته إلى فاجعة ٥ حزيران، ورداً على ما نشرته الصحف من مقالات حول وجود اتفاق بين العلماء والمسؤولين الحكوميين قال الإمام عليه السلام: "إنّ الخميني لن يتفق معهم وإن أعدموه".

وكان الملك يتوهم أنّ كوابيسه قد انتهت بعد إطلاق سراح الإمام عليه السلام، وكان يعتقد أنّ ما أورده اللواء "باكروان" في تقريره من أنّ لهجة الإمام عند لقائهما، يمكن أن تعبّر عن مرونة محتملة في تصرفاته اللاحقة<sup>(٢)</sup>

---

(١) عند ملاحظة الأخبار والمقالات التي نُشرت في صحف النظام في تلك الأيام، والتي كانت تسمي العلماء بـ"الرجعية السوداء" وتسمي أبطال ثورة ٥ حزيران بـ"عملاء الرجعية السوداء" و"الحمراء"، ندرك جيداً تغيير وضع الصحافة تبعاً لسياسات النظام في خداع العامة. ويعدّ تغيير الحكومة لهجتها وتعيين "حسن علي منصور" بدل "أسد الله علم" في ٨ آذار ١٩٦٤ خطوات في هذا الإطار. فقد كتبت صحيفة "إطلاعات" في ٥ نيسان ١٩٦٤، نقلاً عن منصور: "... إنّ الدين الإسلامي أرقى وأبرز أديان العالم. والعلماء لهم مقام خاص بالنسبة لنا. وإنني مكلف أن أبلغ العلماء بمشاعر الرحمة والود التي يكنّها الملك للعلماء..".

(٢) إنّ التصور الخاطي للملك يمكن إدراكه من الإعلان الرسمي لخبر إطلاق سراح الإمام في الصحافة. فقد نشرت صحيفة "خراسان" الصادرة في مشهد في ٦ نيسان ١٩٦٤ في صفحتها الأولى، وبخط عريض، خبر رجوع آية الله الخميني إلى قم، نقلاً عن الملك في لقائه مع المتلبسين بلباس العلماء الذين استقبلوه في حرم الإمام

سوف يصبح أمراً عملياً، إلا أن الحقيقة ظهرت بشكل آخر، فقد أبطل الإمام في خطابه الأخير كل خيالات الملك الواهية، وعجز النظام عن اكتشاف الشخصية الحقيقية للإمام عليه السلام رغم استخدامه لخبراء من الداخل والخارج.

إن الملك وجهاز حكمه عجزوا عن إدراك الأهداف السامية التي يريد الإمام الوصول إليها من خلال كفاحه الدؤوب. بل إنهم عجزوا عن أن يدركوا أن أقرب المقربين إلى الإمام لا يعرفون بما كان يفكر به رغم تواجده بينهم أكثر من ثلاثين عاماً. كان على "باكروان" - رئيس جهاز المخابرات التابع للملك - أن يفهم أن الإمام عليه السلام يرى أن جميع ما تعاني منه البلاد، وجميع ما يتعرض له الشعب الإيراني من بؤس وتخلف، هو النظام الملكي والملك شخصياً نتيجة لارتباطه بالأجانب<sup>(١)</sup> ولما كان الإمام يحمل أهدافاً إلهية، فهو لا يخاف من التهديد والإرهاب والسجن والتعذيب، وإنما يعتبر - وكما كتب في برقيته الجوابية للمرحوم آية الله الحكيم في ١٧ ذي القعدة ١٣٨٢، الموافق ١٢ نيسان ١٩٦٣ - أن النصر أو الإنكسار إنما يكمنان في الشعار السامي (إحدى الحسينين). إن الإمام عليه السلام بشر في كلمته الحماسية الأخيرة بتشكيل الحكومة الإسلامية في مسير كفاحه، وأعلن "لم أرَ صلاحاً أن أرد عليه في ذلك اليوم، واليوم أقول: إن إدارة البلدان إنما تنبع من الإسلام".

---

الرضا عليه السلام. وحول لقاءات "باكروان" - رئيس دائرة "السافاك" في طهران - بسماحة الإمام (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام"، ج ١، ص ٦٣٨).

(١) أوضح مؤلف كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام عليه السلام" في الجزء الأول، صفحة ٦٣٨ جهود رئيس دائرة "السافاك" باكروان غير المثمرة في قضية الإعداد للقاء بين سماحة الإمام والملك، فذكر في هذا الصدد قائلاً: قال الروغني - صاحب المنزل الواقع في "قلهك" في طهران، والذي اختاره "السافاك" لكي يقيم فيه الإمام الخميني إقامة جبرية بعد خروجه من السجن - موجهاً الحديث إلى الإمام: لو يقوم سماحتكم باللقاء بالملك لكان من المحتمل حل الاختلافات واندثار هذه السحب السوداء التي كدّرت سماء الجانبين، لعلكم بذلك تتمكنون من تحقيق جميع مطالب العلماء. فأجاب القائد الكبير: "إن إبداء الجهاز الأمني رغبته للقائي بالملك ليس بهدف حل المشكلات وإصلاح الأمور، وإنما لأن هؤلاء أدركوا جيداً أن الملك قد سقط في نظر المجتمع إلى درجة جعلت الناس تعتقد أن الملك لو مس البحر بإصبعه لتنجس البحر. لذا فإنهم يريدون دفعي إلى اللقاء به حتى يلوثونني ويسقطوني في نظر المجتمع مثله.

## الخطاب رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يصيبنكم اليأس لكون السادة "الطالقاني" <sup>(١)</sup> و"المهندس" <sup>(٢)</sup> في السجن، فإنّ أمورنا لن تستقيم إلّا بهذه الإبتلاءات، إن لم يكن هناك اعتقالات فلن يكون النصر حليفنا.

إنّ الهدف الذي نسعى إليه أعظم من إطلاق سراح مجموعة من المعتقلين، وينبغي أن لا يغيب عن أنظارنا، إنّ الهدف هو الإسلام، هو استقلال البلاد، وطرد عملاء "إسرائيل"، والاتحاد مع الدول اسلامية. فإنّ

---

(١) آية الله السيد محمود الطالقاني (١٩١٠ - ١٩٧٩ م) درس العلوم الإسلامية في المدارس الرضوية والفيضية في قم، ذهب إلى طهران عام ١٩٣٨ م لتدريس المعارف الإسلامية. وفي عام ١٩٣٩ م إعتقل وسجن بجرم معارضة النظام البهلوي. كان يلقي دروسه منذ عام ١٩٣٨ م في مسجد "الهداية" في طهران، المكان الذي كان مركزاً لتجمع المتدينين المثقفين، والعناصر الدينية في الجبهة الوطنية، والذين شكّلوا في ما بعد حزب "نهضة الحرية". وفي عامي ١٩٥١ - ١٩٥٢ سافر إلى الأردن ومصر. واشترك في نهضة تأميم صناعة النفط. واعتقل بعد انقلاب ١٩ آب بتهمة إخفاء "نواب الصفوي" (زعيم فدائيي الإسلام) في منزل. وبسبب جهاده فقد أدخل المرحوم الطالقاني السجن عدة مرات. وفي عام ١٩٦٤ م أُلقي في السجن بسبب دعمه لنهضة الإمام الخميني، وأُطلق سراحه في سنة ١٩٦٧ م. وفي سنة ١٩٧١ م نُفي إلى "زابل" ثم إلى "بافت كرمان". وفي عام ١٩٧٥ م إعتقل بسبب خيانة أحد المنافقين، وحُكم عليه بالسجن عشرة أعوام. وفي ٩ تشرين الثاني ١٩٧٨ أُطلق سراحه هو وآية الله المنتظري وجمع من السجناء السياسيين. وبعد انتصار الثورة الإسلامية انتُخب رئيساً لمجلس الثورة وعضواً في مجلس خبراء الدستور. وفي آب ١٩٧٩ أقام بأمر الإمام فَارُوقٍ أول صلاة جمعة في جامعة طهران. خَلَف آية الله الطالقاني مؤلفات عديدة في مجال تفسير القرآن والمعارف الإسلامية والمسائل الاجتماعية والسياسية.

(٢) المهندس مهدي البازركان، ولد عام ١٩٠٧ م وتولى مناصب عديدة في حكومة الدكتور محمد مصدّق، منها رئاسة مؤسسة إسالة الماء في طهران، ومناصب أخرى في شركة النفط الوطنية، كما شغل منصب أستاذ في جامعة طهران، ورئيس كلية الفنون، وكان له دور مؤثر في تأسيس "نهضة حرية إيران"، وامتضى عدة سنوات في سجون نظام الملك، وتولى من قبل قائد الثورة مسؤولية متابعة شؤون إضراب العاملين في شركة النفط الوطنية، بمعية أشخاص آخرين. وفي أيام بلوغ الثورة الإسلامية أوجها في عام ١٩٧٨ م. وبعد انتصار الثورة الإسلامية تولى رئاسة الوزارة في الحكومة المؤقتة. وبعد يوم واحد من احتلال وكر التجسس الأميركي - من قبل الطلبة الجامعيين المسلمين السائرين على نهج الإمام - إستقال من رئاسة الوزراء، ثم دخل كنائب عن أهالي طهران في الدورة الأولى لمجلس الشورى الإسلامي.

اقتصاد البلاد الآن كله بيد "إسرائيل"، وقد استحوذ عملاؤها على اقتصاد إيران، فأكثر المصانع تدار من قبلهم، التلفزيون، ومصنع "أرج"، ومصنع "بيسي كولا"<sup>(١)</sup> وحتى الطائرتين اللتين كان من المقرر أن تقوما بنقل الحجاج إلى مكة، كانتا لـ"إسرائيل" وقد اضطروا للعدول عن ذلك بسبب اعتراض الحكومة السعودية. واليوم حتى بيض الدجاج يستورد من "إسرائيل"!<sup>(٢)</sup>

عليكم أن ترصوا صفوفكم، فهؤلاء عملاء للاستعمار، وينبغي اقتلاع الاستعمار من الجذور! إسعوا أيها السادة لرفع راية الإسلام عالياً في الجامعات، أحيوا الشعائر الدينية هناك، إبنوا المساجد فيها، أدوا صلاتكم جماعة، وجاهروا بالصلاة ولا تخفوها، فالوحدة الدينية أمر ضروري، وهي التي تمكّن من الثام شمل هذا الحشد الجماهيري والتلاحم العظيم، فعليكم التمسك بالوحدة على أساس الدين إن كنتم تريدون لإيران الاستقلال.

إنّ النظام وبعد أن أدرك بأنه لا يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك الخزي<sup>(٣)</sup>، وبعد الضغط الذي مارسه عليه جميع البلدان الإسلامية وغير الإسلامية<sup>(٤)</sup>، مضافاً إلى ما أحسّوا به من استياء البلدان الإسلامية منهم،

---

(١) كانت أسرة "ثابت باسال" و"القانيان" من الأسر الإيرانية المرتبطة بالصهيونية العالمية، وكانت لها نشاطات مشتركة مع أسرة البهلوي وشبكة الرأسماليين الإيرانيين والأجانب. وكان "القانيان" صاحباً لشركة "ليلاند موتور إيران" و"كودريج إيران" ومعامل "بارس وأميركا" وشركة "إس.آر.إس" وعشرات الشركات والمعامل الإنتاجية الأخرى. وقد أوردنا أسماء عدد من معامل وشركات "ثابت باسال" الصهيوني البهائي في هامش سابق (أنظر "الدولة والحكومة في إيران"، ص ٢٦٤-٢٦٧).

(٢) تعرضت الزراعة وتربية الدواجن في إيران إلى الضمور التدريجي نتيجة قانون "الإصلاح الزراعي" الذي سنّه الملك. وكان الفائض من دخل النفط يُصرف على شراء الحنطة من أميركا، والفواكه من جنوب أفريقيا، والدجاج من هولندا، والبيض من "إسرائيل"، وسائر المواد من دول أخرى، فمثلاً كانت قيمة واردات بيوض الطيور من "إسرائيل" في الأعوام من ١٩٧٦ إلى ١٩٧٨ م ٢١٢ مليون ريال، ٢٥٤ مليون ريال، و ١٠٢٢ مليون ريال على التوالي، مما يُظهر أنها في تصاعد مستمر (راجع "صورة إحصائية للتجارة الخارجية الإيرانية"، ص ٢٦٤).

(٣) المقصود عار توقيف الإمام عليه السلام وفرض الإقامة الجبرية عليه.

(٤) سعى المراجع والعلماء والسياسيون والكسبة والطلبة الجامعيون وسائر فئات الشعب في داخل البلاد، سعيّاً حثيثاً لإطلاق سراح الإمام عليه السلام. كما طالب المسلمون والشخصيات الدينية في بعض البلدان كمصر والعراق ولبنان والكويت وعدة بلدان أخرى الحكومة الإيرانية بإطلاق سراحه. فقد قام الشيخ محمود شلتوت العالم والمفكر المصري اكبير وعدة شخصيات أخرى بجهود متواصلة لتخليص الإمام (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٥١٦-٥٥٥).

ونتيجة تدهور أوضاعهم سواء في الداخل أو الخارج، أعادوني إلى هنا<sup>(١)</sup> ليلاً لإيصالي سالماً - على حد قولهم - فقد كانوا يقولون: واجبنا المحافظة عليك! فهم يخشون أن ينالني الناس بسوء! وهل الجماهير المسلمة هي التي تستهدف حياتي؟! فبعد العار الذي لحقهم، وبعد شعورهم بعدم امتلاكهم موطئ قدم في أي مكان، وإحساسهم بأن الحكومات الأجنبية وجميع الشعوب لم تعد تنظر إليهم بعين الرضى، ورأوا أنها أيام الحج وعلى أعتاب محرّم الحرام، وبصعب التكهن بما سيحصل في موسم الحج أو ما يحصل في المحرّم عندها أطلقوا سراحى. إلا أنهم فكروا فيما بعد بتسميم الأجواء، وتوهموا أن بإمكانهم أن يحطّوا من قدرنا في أعين الناس، وأن يفرّقوا بين الجماهير وعلماء الدين من خلال المطبوعات.

لقد أطلق سراحى منذ أيام، ولم تسنح لي فرصة مطالعة الصحف، ففي السجن كنت متفرغاً وأطالع، حتى أتوني بصحيفة "إطلاعات" الصادرة يوم الثلاثاء (١٩٦٤/٤/٧ م)، وإنني أعاتبهم على عدم إطلاعي على الصحيفة قبل ذلك الوقت.

كانوا قد كتبوا في تلك الصحيفة القذرة إفتاحية تحت عنوان "الاتحاد المقدّس" زعموا فيها أنه قد تم التفاهم مع العلماء، وأن علماء الدين يؤيدون ثورة الملك والشعب البيضاء! أية ثورة؟ أي شعب؟ وهل لهذه الثورة صلة بالعلماء والشعب؟!<sup>(٢)</sup>

(١) في تمام الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء ٧ نيسان ١٩٦٤ م عاد الإمام عليه السلام إلى منزله في مدينة قم بعد عشرة أشهر من السجن والإقامة الجبرية، وقد سعى أزام النظام إلى إتمام هذا الأمر دون إثارة ضجة إعلامية، إلا أن سائقي سيارات الأجرة والسيارات الخاصة قاموا - وبمجرد إطلاعهم على الأمر - بإطلاع الجميع على الواقعة من خلال استعمال أصوات أبواب سياراتهم، وما أن علم الأهالي بمجيء الإمام تحركوا نحو منزله زرافات. ثم أقاموا الاحتفالات والأفراح، كما قامت الحوزة العلمية في قم وأهالي طهران والمدن الأخرى باحتفالات مماثلة في الأيام اللاحقة، واستمر الناس بالتوافد من أنحاء البلاد المختلفة إلى مدينة قم حتى عدة أيام.

(٢) نشرت صحيفة "إطلاعات" الصادرة بتاريخ ٧ نيسان ١٩٦٤ م مقالاً إفتاحياً تحت عنوان "الاتحاد المقدّس" جاء فيه: .. كان من المرتقب لبرنامج الملك المؤلف من ست مواد، والذي يتوقع أن يساهم في بناء مجتمع حديث وفق أفكار حديثة وسنن قديمة، أن يتم إقراره بتأييد عشرين مليون نسمة، وهنا لا مجال للحديث حول الحكومة والشعب والعطار والبقال، فالجميع مطالبون بالمساهمة في هذا الجهد الوطني، من العطار والعالم والكاتب الصحفي. ولا مكان للتمييز والأفضلية. فكم سيكون مفرحاً أن يتحرك العلماء الآن مع كافة أبناء الشعب للمساهمة في إجراء برامج ثورة الملك والشعب، ذلك لأنّ هذه الثورة اتخذت من أسمى أهداف قادة صدر الإسلام أساساً لها. غير أنّ من المفرح في الوقت الحاضر أنّ الحكومة مدركة لهذه النكته بشكل كامل. وساعية - بحسن نية - في موضوع "الاتحاد الوطني من أجل الخطة الوطنية" وهي تحقق نجاحات لا بأس بها في هذا الإطار.

أيها السادة الجامعيون<sup>(١)</sup> بلّغوا الجميع بأنّ علماء الدين معارضون لهذه الثورة، فنحن لا نملك وسيلة إعلام نوصل أصواتنا عن طريقها، فقد حرمونا كل شيء، حرمونا التلفزيون والإذاعة، فالتلفزيون بيد ذلك السافل<sup>(٢)</sup> والإذاعة بأيديهم أيضاً، وصحفنا منحطة، فبمجرد أن يكتبوا شيئاً أو يصرّحوا تصريحاً، يوصله هؤلاء فوراً إلى أبعد الأنحاء وأقصاها. وحينها يتصور البسطاء أنّ علماء الدين أيضاً يؤيدون هؤلاء. ولكن حاشا أن يكون لعلماء الدين صلة بهذه المفاسد، وإذا لم تتدارك صحيفة "إطلاعات" ما فعلته، فسوف تواجه رد فعلنا الشديد (نادى عندها أحد الحاضرين: حرّموها! فقال الإمام: لا، ليس الآن، فلكل مقام مقال).

إنّ الخميني لن يتفق معهم حتى وإن شنقوه. لا يمكن تحقيق الإصلاحات تحت الحراب، كما أنّ أمور البلاد لن تستقيم بكتابة جملة "الخميني خائن"<sup>(٣)</sup> على جدران المباني في طهران! رأيتم كيف خستتم؟ رأيتم كيف أخطأتم؟ إمتثلوا لأحكام الإسلام، وسوف نكون عندها ظهيراً لكم.

أما إن كان لهم هدف آخر من إطلاق سراحنا، وإن كان في رؤوسهم تصور آخر، وإن كانوا يرغبون في خلق أزمة: بسم الله، فليتفضلوا.

كتبوا في الصحيفة الصادرة في ١٩٦٣/٨/٤ م، أي اليوم الذي أتوا بي فيه من سجن "القيصرية" ما معناه: "إنّ الروحانية سوف لا تتدخل في السياسة"<sup>(٤)</sup> وسأوضح لكم الآن حقيقة الأمر: جاءني شخص لا أرغب ذكر اسمه، وقال: يا سيد إنّ السياسة ليست سوى تلفيق الأكاذيب، والإحتيال والمكر والمخادعة، وخلاصة القول هي

---

(١) أُلقي هذا الخطاب في منزل الإمام في قم وبحضور مجموعة من طلبة جامعة طهران (راجع هوية الخطاب).  
(٢) كان "ثابت باسال" الرأسمالي والبهائي المعروف في العهد الملكي مديراً للتلفزيون، إضافة لمناصب أخرى (مر في هامش سابق).

(٣) بعد واقعة ٥ حزيران ١٩٦٣ أمر الملك بكتابة شعارات تمس الإمام على الجدران. ولكنه حين واجه غضب الشعب اضطر إلى إصدار الأوامر بإزالتها (راجع كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٥٦٥. كما توجد في ملف الإمام الذي ضبط في دائرة "السافاك" أوامر عديدة صدرت عن جهاز "السافاك" في هذا الصدد.  
(٤) كتبت صحيفة "إطلاعات" الصادرة في ١٩٦٣/٨/٤ م مقالة تحت عنوان "السياسة والديانة" تقول: "... يتصور البعض أنّ الحكومة تريد إضعاف العلماء، لذا فإنّ حكمهم في الغالب يقوم على هذا الأساس، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، فالملك يكتنّ للعلماء احتراماً خاصاً، وهو عابد لله تعالى ويفاخر بذلك ويتباهى به.. إلّا أنّ العلماء هم الذين فرطوا بمسؤولياتهم الحقيقية في قيادة الناس وهدايتهم، نتيجة انشغالهم بالسياسة وأدراستها، أي أنّهم تدخلوا في أمور ليست في الأساس من شأنهم ولا تليق بمقامهم، تاركين تكليفهم في إرشاد وقيادة الناس.. وقبل مئة وخمسين عاماً، وفي بعض البلدان أدرك البعض وجوب فصل الدين عن السياسة، لذا فإنّ ملك الملوك - والذي يعدّ السلطان الوحيد للشيعية في العالم - لفت أنظار العلماء إلى أن ينأوا بأنفسهم عن أولئك البعض من الذين يمارسون وظائف غير وظائفهم الشرعية والدينية.. لذا ينبغي بالعلماء والفقهاء الكبار، وخصوصاً ذوي السماحة الآيات: الخميني والقمي والمحلاتي، القبول بهذا الأصل وترويجه من أجل حفظ مقام العلماء، ومن أجل رفعة وعظمة الإسلام، خاصة في هذا الوقت الذي تم فيه إزالة الخلافات..".



منتهى الانحطاط، فاتركوا ذلك لنا<sup>(١)</sup>. ولعدم ملائمة الوضع حينها لم أشأ مناقشته، فقلت: نحن لم نتدخل منذ البدء في هذه السياسة التي تصفها. أما اليوم، وحيث جاءت المناسبة فإني أقول: إن الإسلام ليس هذا، قَسَمًا بالله أن الإسلام ليس هذا، قَسَمًا بالله أن الإسلام كله سياسة، إلا أنهم قد شوّهوا صورته، فسياسة المدن وإدارتها مستقاة من الإسلام.

أنا لست من أولئك المعممين الذين يفضلون الجلوس هنا والإمساك بالمسبحة، أنا لست "البابا" لأقيم مراسم العبادة أيام الآحاد فقط، ثم أعيش بقية أيامي سلطاناً لنفسي، لا شغل لي بأية أمور أخرى<sup>(٢)</sup> إن مبدأ الاستقلال الإسلامي ها هنا، ويجب إنقاذ البلاد من هذه الورطة.

إنهم لا يريدون لهذه البلاد أن تصلح أمورها، والأجانب لا يريدون الإعمار للبلاد، إنهم حتى لم يوفرُوا الماء لهذا الشعب، فالماء الذي نشره في قم لا يقدّمونه في أوروبا حتى لحيواناتهم!<sup>(٣)</sup>، وإن كان حقاً ما يقولون فليوفروا فرصاً لعمل العاطلين عن العمل. هذا الشاب (مشيراً إلى أحد الطلبة الجامعيين)<sup>(٤)</sup> يريد - بعد عشرين عاماً من التحصيل الدراسي - الحصول على عمل، فعندما يتخرج غداً سيحتار في أمره، وإذا لم تؤمّن معيشته

---

(١) في ٢ آب ١٩٦٣ قال اللواء "باكروان"، رئيس دائرة "السافاك" وفي لقائه بالإمام فَارُوقٍ في معسكر عشرت آباد: "من أجل الحصول على سند ووثيقة تشير إلى ارتباط سماحتكم بالخارج سعيت كثيراً، وحتى أنني أرسلت شخصاً عربياً إلى سماحتكم لهذا الغرض، ولكنني لم أعر على أدنى دليل على ذلك.. والآن لا محيص من إطلاق سراح سماحتكم. إلا أنني أؤد من اللازم أن أخبركم بأن السياسة تعني الحيلة والخداع، السياسة تعني الكذب والتزوير، السياسة تعني التلاعب. خلاصة الأمر أن السياسة تعني الانحطاط. وهذه الأمور ترتبط بنا. وعلى عالم الدين أن لا يلوث نفسه بهذا الأمور بالتدخل في السياسة..". وفي إجابته على القسم الأخير من كلام "باكروان" قال سماحة الإمام: "إننا لم نتدخل في السياسة التي ذكرتموها منذ البداية" (راجع كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام فَارُوقٍ"، ج ١، ص ٥٧٥).

(٢) ورد في جانب آخر من مقالة "السياسة والديانة" التي نشرتها صحيفة "إطلاعات" الصادرة في ١٩٦٣/٨/٤ م: "الحقيقة هي أن الملك أدرك أن أسس الدين قد تضعفت في بلادنا، وتعرض المسجد والمنبر إلى الإهمال، وأصبح الشعب الإيراني يعيش وضعاً مضطرباً يميزه عن الشعوب المسلمة الأخرى. وقد أدرك الملك أن قسماً من هذا التخلف والانحطاط الروحي والأخلاقي هو بسبب تفريط العلماء بمسؤولياتهم الحقيقية في قيادة الشعب وهدايتهم نتيجة التدخل بالسياسة والتلوث بأدرانها.. لذا ومن أجل تخليص الشعب والبلاد من هذه الجماعة، لجأ إلى الأسلوب الذي لجأت إليه الكنيسة قبل مئة وخمسين عاماً، وذلك بفصلها الكنيسة عن السياسة، وبأسلوب يجعل كل مسيحي في مأمن من الإساءة إلى الأسس الدينية، فالكُل يذهبون إلى الكنيسة ويصلّون ويستمعون بإصغاء إلى المواعظ والخطب الدينية ويعملون بها..!"

(٣) كان النقص الحاد للماء في قم، وارتفاع درجة الملوحة فيه، والوضع غير الصحي لمياه الخزانات، وشيوع الأمراض الناجمة عن ذلك إحدى المشكلات الجدية التي يواجهها الأهالي في قم، فهذه المدينة تفتقد - رغم زيادة عدد سكانها وموقعها الجغرافي والديني المتميزين، ورغم استقبالها لأعداد كبيرة من الزوار - إلى شبكة أنابيب للماء الصالح للشرب.

(٤) إشارة إلى أحد الطلبة الجامعيين.

معيشته فلن يستطيع حفظ دينه. تظنون أنّ ذلك اللص الذي يتسلّق الجدران ليلاً ويتحمل كل تلك المخاطر، أو تلك المرأة التي تبيع عفافها، مقصرون فيما يرتكبون؟ إنّ الوضع المعاشي السيئ هو الذي أوجد كل تلك المفاسد والجرائم التي تقرأون عنها في الصحف صباحاً ومساءً.

حينما كنت في السجن بلغني خبر مفاده أنّ درجة الحرارة انخفضت في همدان<sup>(١)</sup> إلى ثلاث وثلاثين درجة تحت الصفر<sup>(٢)</sup>، ثم بلغني أنّ ألفي شخص قد هلكوا نتيجة البرد القارس. حينها كنت مغلوباً على أمري، فماذا كنت أستطيع أن أفعل؟ كان هذا في همدان فقط، ولا شك أنّ خسائر أخرى حدثت في طهران والمدن الأخرى، فما الذي فعلته الحكومة؟ ففي وقتها كانوا قد جلبوا زهوراً من هولندا بالطائرة لاستقبال أسيادهم! إنهم يبيدون أموال هذا الشعب المعدم. فقد كانت أجرة الطائرة التي حملت الزهور من هولندا<sup>(٣)</sup> ثلاثمئة ألف توماناً! كفى! تداركوا أخطاءكم والتزموا بأحكام الإسلام.

في أيام الاعتقال، قرأت في صحيفة "إطلاعات" تقريراً عن الوضع المادي والصحي لأهالي الجنوب، وعجبت كيف سمحوا بنشر هذا الموضوع، فقد كتب أحد الصحفيين - بعد زيارته للمنطقة وإطلاعه على أوضاع سكانها - أنه لا يوجد أصلاً طبيب أو دواء في جنوب إيران وفي القرى، كما أنه لا وجود للماء، وأنّ هناك قرية أصيب معظم سكانها بالعمى<sup>(٤)</sup>! خلاصة القول: إنهم كانوا محرومين عموماً من كافة الوسائل

---

(١) كان شتاء عام ١٩٦٤ م في إيران صعباً جداً، وقد هلك عامها كثير من الناس في المناطق التي غطتها الثلوج، نتيجة الفقر المدقع وعدم القدرة على تأمين المحروقات، وانقطاع الطرق وعدم اهتمام المسؤولين بتأمين الحاجات الأساسية للناس، في الوقت الذي كان فيه رجال الحكم ومن يرتبط بهم يتسلّمون ما يحتاجونه بواسطة الطائرات السمتية في حال تواجدهم في أمثال تلك المناطق (أنظر إلى الصحافة في شتاء ١٩٦٤ م).

(٢) كانت مراسيم الاحتفالات الملكية تقام لإلهاء الشعب الإيراني واستغفاله. ففي سنة ١٩٦٦ م تم الاحتفال بمرور ربع قرن على تسنّم محمد رضا السلطة. وفي عام ١٩٦٧ م تم الاحتفال بتتويج الملك والملكة، وبعد أربع سنوات احتفل بمرور ٢٥٠٠ عام على قيام الملكية، واحتفالات أخرى كان يصرف على كل منها مبالغ طائلة لم يعلن رقمها الحقيقي أبداً. وهذه الاحتفالات هي غير الاحتفالات الثابتة والولائم التي يقيمها البلاط بشكل دائم، والتي كان يصرف لترتيبها مبلغ ثابت. مثلاً لجلب أغلى أنواع الزهور والورود من هولندا بالطائرة! كتب "بيربلانشر" (الكاتب الفرنسي) في كتابه "إيران، الثورة باسم الله" وخلال تعرّضه للحديث عن احتفالات الذكرى ٢٥٠٠ يقول: "كانت الورود الطرية تُستورد كل يوم من هولندا بطائرات البوينغ..".

(٣) في الوقت الذي أعلن فيه النظام عن ثورة الملك والشعب كان الوضع المعاشي والصحي في القرى الإيرانية - وحسب ما أورده تقرير لأحد المدراء الكبار في مديرية التخطيط التابعة للنظام - كما يلي: "يعيش في القرى وتحت سقف لغرفة واحدة، الأب الأم والبنات والأولاد والجد والجدة والعروس والعريس معاً، ويخصص وسط تلك الغرفة للحيوانات، وهكذا فإنّ فضلات الحيوانات وأوساخها والرائحة النتنة تمتزج مع محيط القروي الذي

والإحتياجات الأساسية للحياة، هذا في الوقت الذي كان فيه مؤتمر "أكافه"<sup>(١)</sup> والذي ضم ممثلين عن جميع دول العالم، وعقد للتفكير في حلول لوضع الاقتصادي العالمي المتدهور - إن صدقوا - كان الوفد الإيراني المشارك يتبجح بمتانة الاقتصاد الإيراني، وخلّوه من المشكلات، بينما كانت جميع الوفود المشاركة في المؤتمر - سواء التي تمثل الدول الصغيرة أو الكبيرة - تتحدث عن مشكلات بلدانها الاقتصادية! ترى هل أنّ الوضع

يعيش فيه.. الأثاث: عدة أغطية قذرة وممزقة لم ترَ الصابون أبداً، إبريق واحد للشاي، عدة أقداح صغيرة، وقدر واحد للطبخ.. والطعام في أفضل المواسم هو خبز مع قليل من اللبن، أو اللبن الخائر، أو الحليب.. الدخن المغلي، وأحياناً الشلغم المطبوخ.. ليس هناك طبيب أو دواء أو دكان أو حمام عام وما شابه ذلك في أغلب تلك القرى.. الدخل المادي في القرى متدنٍ للغاية.. ومن هذا القليل يأخذ السماسرة والوسطاء والدائنين السهم الأكبر. وهكذا فإنّ القرى مسكونة من سكان بائسين، بلا لباس، بلا طعام، مرضى ومتخلفين" (لمزيد من التفصيل راجع "إيران والتاريخ"، ص ١٧٩-١٨٢. وراجع أيضاً صحيفة "إطلاعات" الصادرة في ١٩٦٧/٧/١٩ (خمس سنوات بعد الثورة البيضاء)، وحيث نشرت رسالة مطولة كتبها إلى الملك مجموعة من القرويين الشماليين شرحوا فيها وضعهم المعاشي.

(١) "أكافه" (E.C.A.F.E) الحروف الأولى من عبارة:

#### ECONOMIC COMMISSION OF ASIA AND FAR EAST

أي "اللجنة الاقتصادية في آسيا والشرق الأقصى" التابعة للأمم المتحدة. والتي تأسست في عام ١٩٤٧ م من قبل المجلس الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة. وكان الغرض من تأسيسها التنسيق بين دول آسيا والشرق الأقصى لرفع مستوى النشاط الاقتصادي وتنمية العلاقات الاقتصادية بين دول المنطقة وسائر بلدان العالم. وتتكون اللجنة من دول آسيا والشرق الأقصى ذات العضوية في منظمة الأمم المتحدة. وقد انبثقت عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة عدة لجان إقليمية هي اللجنة الاقتصادية في أوروبا، واللجنة الاقتصادية في أميركا اللاتينية، واللجنة الاقتصادية في أفريقيا. وقد نقلت مجلة "باسدار إسلام" في العدد ٢٥، عن أحد المقربين من الإمام قوله: "عندما كان الإمام في سجن "القيطرية"، كان رئيس دائرة "السافاك" في طهران اللواء "باكروان" يتردد آنذاك على الإمام بين الحين والآخر، وفي إحدى الليالي صادفت زيارته مع انعقاد مؤتمر "أكافه" في طهران. فقال الإمام مخاطباً "باكروان": "إنّ هؤلاء الممثلين الاقتصاديين في العالم والذين اجتمعوا هنا تحدّث كلهم عن سوء الأوضاع الاقتصادية في بلدانهم، في حين أنّ ممثل إيران - والذي كان حينها وزير الاقتصاد الدكتور عليخاني - قال إنّ جميع مشكلاتنا الاقتصادية قد حلّت بسلامة الملك! فأضاف الإمام قائلاً: قلت لـ"باكروان": ما هي المشكلات التي حلّت؟ ما هو الجانب السالم من اقتصاد البلاد؟ وأي اقتصاد سليم لدينا؟ وما هو الشيء الذي نمتلكه ويمكن تسميته بالاقتصاد" وللإطلاع على صراحة الإمام وهو في سجن الطاغوت (راجع هوية هذا الخطاب).

الاقتصادي سيئ في إنكلترا وجيد في إيران؟ أم أن الوضع الاقتصادي للهند - مع كل ما حققته من تقدم - سيئ والوضع الاقتصادي لإيران جيد؟! وهل أن اليابان تعاني من مصاعب اقتصادية، ولا تعاني منها إيران؟ إن هؤلاء مترهلون في قصورهم، ويزعمون أن الشعب متقدماً! أيكون متقدماً وهو يموت من الجوع؟

كان أمير الإسلام علي عليه السلام يأكل خبز الشعير، وهؤلاء ينفقون على مأدبة يقيمونها على شرف أسيادهم خمسمئة ألف تومان، مليون تومان أو أكثر<sup>(١)</sup> ويتحدثون دائماً عن البرامج المتطورة. ويقولون: إن بلادنا تعدّ من بلدان الطراز الأول. فهل أن دخول مجموعة من النساء إلى المجلس سيؤدي إلى تقدّم البلاد<sup>(٢)</sup>؟ لن تستقيم أمور البلاد بالبرامج والمخططات الإسرائيلية.

إنّ لدى الإسلام أحكاماً وقوانين تستوعب كل تفاصيل حياة الإنسان من المهد إلى اللحد، هذا والكلام ليس مهاتر مع شخص ما، فبعد ذهاب الوزارة السابقة، جاءني أحدهم في السجن، وذكر الوزارة السابقة بسوء، وقال: إنّ لدى الوزارة الجديدة برامج متطورة<sup>(٣)</sup>؟ فقلت: إننا لا نكنّ عداءً شخصياً لأحد، ما يهمنا هو عمل الأشخاص، حاولوا إنقاذ هذا الشعب المعدم.

بالأمس كانت عوائل شهداء الخامس من حزيران هنا، ما كان يؤلمني هو أنني لم أسمع بتلك التفصيلات إلاّ بعد أن خرجت من السجن، فقد اطلعت - وللمرة الأولى - على ما جرى عصر ذلك اليوم عندما أطلق

---

(١) في عام ١٩٦٣ م ولما أحسّ الملك أنه قد حقق الكثير من آماله في الحكم بعد اثنين وعشرين عاماً، قام باستقبال العديد من رؤساء بلدان العالم، فقد أعدّ استقبلاً مهيباً لـ "هانريش لوبكة" (رئيس جمهورية ألمانيا الغربية آنذاك)، و"ديغول" (رئيس جمهورية فرنسا)، و"ليونيد بريجنيف" (رئيس جمهوريات الاتحاد السوفياتي)، ومع كل زيارة كان يقوم بها أحد هؤلاء كانت الصحافة وإذاعات ومحطات التلفزيون العالمية تضجّ بالتقارير والتحليلات السياسية والشروح والتفسيرات للكلمات التي كانت تلقى على مآدب الطعام وتشير أغلبها بالتقدم الحاصل في إيران والدور القيادي للملك. وبالإضافة إلى الرؤساء والقادة، كان المستشارون والأخصائيون الأميركيون من الفروع العلمية المختلفة يقومون بزيارات متكررة. وكان الملك يحاول - ومن خلال استقبالهم - تعديل الهيكل الإداري في البلاد حسب رغبتهم (راجع "من سيد ضياء إلى بختيار"، ص ٤٨٥).

(٢) بموجب اللائحة الخاصة بالثورة البيضاء تم التصويت على السماح للمرأة بالترشيح والإقتراع. وحينما أجريت انتخابات الدورة الحادية والعشرين - أول دورة إنتخابية للمجلس بعد الثورة البيضاء - فاز عدد من نساء البلاط والأعيان والنبلاء كنائبات في المجلس، وكان من بينهن: شوكت جهانباني، فرح روبراسا (زوجة الجنرال شيرين سخن)، هاجر تربيت، مهرانكيز دولتشاهي وعدد آخر (راجع "من الظهور إلى السقوط"، دار نشر الطلبة الجامعيين السائرين على نهج الإمام، ص ١٣٠).

(٣) بعد إقالة "علم" وتولي حسن علي منصور رئاسة الوزراء، حمّل وزير الداخلية في تشكيلته الوزارية الدكتور الصدر، حكومة "علم"، مسؤولية اعتقال الإمام وفرض الإقامة الجبرية عليه، هادفاً استمالة الإمام، والإشادة بمنصور. فقد قام بزيارة للإمام في "القيطرية"، وانتقد - ضمن إعلان عن قرب إطلاق سراح الإمام - حكومة "علم" بشدة، وأشار إلى تفاوت النهج بين الحكومة الجديدة والحكومة السابقة. وفي معرض ردّه قال الإمام عليه السلام خلال نصائحه: "نحن لا نكنّ عداءً لتلك الحكومة، كما أننا لم نتعاهد على الإخوة مع هذه الحكومة، وإذا كانت أعمالكم تكراراً لأعمال الحكومة السابقة فسوف نهبّ لمعارضتكم أيضاً".

سراحي. لقد كانت مذبحة الخامس من حزيران أسوأ مما قد يرتكبه جيش غاز بحق شعب أجنبي عنه، فلم يكن أولئك ليقتلوا الأطفال أو النساء!

لا معنى للاحتفال أو السرور اليوم<sup>(١)</sup> إنّ الشعب سيظل مغموماً من مصيبة الخامس من حزيران ما دام حياً. أحد المسؤولين كان قد قال ضمن خطاب له: إنّ الخامس من حزيران وصمة عار في جبين الشعب الإيراني. وأنا أعقب على حديثه فأقول: إنّ الخامس من حزيران عار على الشعب الإيراني، لأنّ الأسلحة التي استُخدمت ضده كان قد تم شراؤها بأمواله.

## هوية الخطاب رقم (١٤)

- إيران / قم / المسجد الأعظم، في ٢ ذي الحجة ١٣٨٣ هـ، الموافق ١٥/٤/١٩٦٤ م.
- الموضوع: تكريم شهداء ٥ حزيران، وكشف جرائم الملك.
- المناسبة: السعي لإفشال مخططات النظام المعادية للنهضة الإسلامية والعلماء الثوريين.
- الحاضرون: العلماء والكسبة وطلبة الجامعات وسائر شرائح الشعب.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في الفترة السوداء التي كان الإمام عليه السلام فيها يعيش في السجن والإقامة الجبرية، منذ ٤ حزيران ١٩٦٤ حتى ٧ نيسان ١٩٦٤، حاولت أجهزة الإعلام الحكومية - مستغلة إمكاناتها الهائلة ومنفقة أموالاً طائلة - تشويه سمعة العلماء، وإصاق تهمة "الرجعية" بهم. ففي ٧ نيسان ١٩٦٤، أي في اليوم الأول من إطلاق سراح الإمام، أشارت صحيفة "إطلاعات" في مقال لها إلى "تأييد العلماء لبرامج ثورة الملك والشعب" حتى تعلن بذلك انتهاء معارضة العلماء للبرامج الملكية، وكان النظام يهدف إلى تشويش صورة العلماء وقائدهم الكبير في أذهان الجماهير. إلا أنّ الشعب الإيراني الواعي لم يكتثر لهذا الإعلام المسموم، وبعد إطلاق سراح إمامهم راحوا يستقبلونه بشغف وشوق لا يوصفان.

---

(١) بعد عشرة أشهر من الإعتقال والإقامة الجبرية، عاد الإمام عليه السلام إلى قم في ليلة الثلاثاء (٧/٤/١٩٦٤ م)، وجرى له استقبال جماهيري منقطع النظير، ووفقاً لما كتبه أحد المؤرخين فإنّ أهالي طهران والمدن كانوا يسارعون نحو قم للقاء الإمام. وقد عاشت مدرسة "خان" ومدرسة "الفيضية" سروراً وفرحاً دام ثلاثة أيام بلا انقطاع، قرئ في ختامه - وبحضور الإمام وسائر العلماء - بيان تاريخي تضمّن عشر مواد، تم التأكيد فيه على ضرورة إيجاد التغييرات اللازمة في الحوزات، والعمل على تطبيق القوانين الإسلامية والدستور، وإلغاء لائحة المجالس المحلية، والحث على إنهاء تعطيل المجلسين، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، ومحاربة الفساد، ومواجهة إعلام النظام المعادي للإسلام. وكانت العديد من المدن الإيرانية الأخرى قد أقامت مراسم مشابهة (لمزيد من الإطلاع راجع "نهضة علماء إيران"، ج ٤، ص ٢٧٤ وما بعدها).

وفي تلك الأيام كان قلّة أولئك الذين انبروا للرد على ثرثرة النظام، غير أنّ الإمام عليه السلام - ونتيجة لشعوره بالمسؤولية الثقيلة التي على عاتقه - لم يسعّ التعامل باللامبالاة مع إعلام النظام الخادع والمسموم، لذا فإنه قام في الثاني من ذي الحجة ١٣٨٣ هـ بإلقاء كلمة عاصفة أمام آلاف العلماء والكسبة وطلبة الجامعات وفئات الشعب المختلفة، تعرّض فيها إلى ذكر مطالب الشعب المشروعة، ومحلاً ممارسات النظام الملكي. وبذا فقد كشف النقاب عن ثرثرة المؤسسات الإعلامية للنظام، ودعا الجميع إلى مواصلة الطريق الذي اختطه شهداء السنة الماضية في ٥ حزيران.

في هذه الكلمة التاريخية، رد الإمام عليه السلام على أكاذيب النظام، وهاجم شخص الملك - الذي قال في إحدى كلماته التي ألقاها في تلك الأيام: "إننا بصدد القضاء على النزعة إلى الارتباط بالماضي والأفكار الرجعية" بشكل مباشر فقال في جانب من خطابه: "إنّ هذا التافه لم يتخلّ عن كلامه، ويصف الأفكار الإسلامية بالرجعية وبالارتباط بالماضي". كما نفى الإمام ما جاء في مقال صحفي نشرته صحيفة "إطلاعات" - التي ادعت تأييد العلماء لما يسمى بثورة الملك - مؤكداً على أنّ نهضة الشعب المسلم قد بلغت مرحلة جعلتها تخرج من إطار الارتباط بفرد أو جهة، فهي نهضة خالدة ستواصل تقدّمها حتى تحقيق النصر في آخر المطاف. وكشف قائد الثورة عن مؤامرة النظام التي قام بها تحت غطاء تأسيس "الجامعة الإسلامية"، وأوضح خطورة هذا المخطط على الإسلام وعلمائه، مما أدى إلى إجهاض تلك المؤامرة قبل ولادتها. كما خصص الإمام جانباً هاماً من هذا الخطاب الهام للحديث عن ضرورة وحدة الرأي بين العلماء واتفاق كلمتهم، فدعا كافة العلماء إلى التعاون والتآزر، وحذّره من مغبة التحرك الانفرادي أو إثارة التفرقة، لذا فقد أعلن بصراحة: "إنني أقبل اليوم أيادي المراجع كافة" فكان تصرّفه هذا سابقة في تاريخ الشيعة، بحيث يقوم مرجع ديني بالتصرف بهذه الطريقة رغم سعة شعبيته، مرجحاً مصلحة الإسلام والنهضة والمجتمع الإسلامي على ذاته ومشاعره الشخصية، وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض العلماء من طلاب الدنيا راحوا يفكرون بالاستفادة من الأوضاع، وطرح أسماءهم للمرجعية والزعامة في تلك الأيام، مستغلين دماء شهداء ٥ حزيران وثورة الإمام.

من جانب آخر، فقد كان موضوع العلاقات السرية بين الملك و"إسرائيل" موضوعاً حساساً يخشى النظام كثيراً من انكشافه. فقد كتب أحد العناصر المؤثرة في النظام الملكي في اعترافه: "إنّ العلاقات مع "إسرائيل" توثقت إلى حد جعلت محمد رضا يقوم بتقديم عدة قواعد عسكرية تقع على حدود إيران مع البلدان العربية المجاورة إلى "إسرائيل". كما أنّ منظمة الموساد الإسرائيلية أصبحت أنشط جهاز إستخباري في إيران بعد الدول الكبرى. إنّ "إسرائيل" تعتبر نظام محمد رضا صديقها وحليفها الوحيد في المنطقة، لذلك فقد قدّمت مساعدات ممتازة في إطار إعداد وتدريب عناصر "السافاك". غير أنّ محمد رضا لم يجرؤ على جعل علاقاته مع "إسرائيل" رسمية بسبب عمق الثقافة والوعي الإسلامي في إيران، وبسبب الحساسية التي كان العرب في المنطقة يبدونها تجاه ذلك. كما أنّ أميركا وإنكلترا قد ارتأتا عدم الصلاح في هذا الأمر". كانت مسألة "إسرائيل"، وضرورة مواجهة الصهيونية تشكّل جزءاً مهماً آخر من كلمة الإمام، حيث قام سماحته بإطلاع المسلمين في إيران والعالم

على وجود العلاقات الوطيدة بين النظام الإيراني والحكومة الصهيونية الغاصبة. وقد تُرجمت كلمة الإمام التاريخية - والتي أثارت لدى الجماهير شوقاً وحماساً جديدين - إلى عدة لغات في فترة قصيرة، وأُرسلت إلى نقاط مختلفة من العالم. وفي كل مكان راح الحديث يدور حول بُعد نظر الإمام، وسلامة توجيهاته، ودقة إشاراته، وسمو المضامين التي يشير إليها. ومرة أخرى استطاع سماحته تعبئة القوى الإسلامية والوطنية في مسير المواجهة مع النظام بعد انتفاضة ٥ حزيران. ودار حوار جدي حول ضرورة المواجهة الحاسمة مع "إسرائيل"، وحول الخطر العالمي للصهيونية على اقتصاد البلاد وسائر شؤونها. وعندما أحسّ النظام الملكي بالخطر من حملات الإمام قَدِير على "إسرائيل"، أقدم على القيام بمناورة جديدة محاولاً إثارة المشاعر القومية الكاذبة لدى الشعب الإيراني، وذلك بطرحه مسألة خطر العرب على منطقة خوزستان، أو ما أسماه بمؤامرة جمال عبد الناصر لاحتلال هذه المنطقة، ساعياً من وراء ذلك إلى تفريغ الأذهان من التفكير بخطر "إسرائيل" وعملائها<sup>(١)</sup>.

---

(١) ألقى حسن علي منصور (رئيس الوزراء آنذاك) كلمة في ٢١ نيسان ١٩٦٤ في مجلس الشورى الوطني دافع فيها عما يسمى بثورة الملك وعن الإصلاح الزراعي وقال: "إنّ أي شخص وأية فرقة وأية فئة تتحرك وبناءً على مطامع أو مصالح ذاتية أو عقائد بالية لساناً أو عملاً خلافاً للمواد التي صوّت عليها الشعب، سوف لا تتعرض لرد الحكومة، بل إنها ستكون في مواجهة الشعب. إنّ المؤامرات السياسية ومحاولة التلويح بالتراث القديم والرجعية قد زالت من بلادنا إلى الأبد ولن تعود إليه أبداً..". ثم أضاف - مشيراً إلى التحركات السياسية للعناصر والدول الأجنبية وطمعهم بالأراضي الإيرانية فقال - "إننا نعرف مبدءاً ومرجعاً وراية ومحوراً واحداً، وهو ملك الملوك في إيران" (محضر جلسات مجلس الشورى الوطني / الدورة ٢١، ص ٢١). وفي ١٩٦٤/٤/٢٥ م نشرت صحيفتا "كيهان" و"إطلاعات" نقلاً عن صحيفة "أخبار الكويت" تصريحات لجمال عبد الناصر فيما يتعلق بخوزستان، وأقوال بقية النواب في جلسة مجلس الشورى الوطني مع تعرّضهم لعبد الناصر والدول العربية، وذكر مفاخر الملوك الهخامنشيين والساسانيين من دون إشارة إلى العلاقات الوطيدة بين النظام البهلوي و"إسرائيل"، الأمر الذي كان قد أصبح محوراً لتقارير وتحليلات الصحف (أنظر صحف العشرة الأخيرة من نيسان ١٩٦٤).

## الخطاب رقم (١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.. (بكاء الحاضرين) لم يسبق أن شعرت بالعجز قبل الآن، لكنني اليوم أرى نفسي عاجزاً تماماً، عاجزاً عن التعبير عما أعاني بسبب أوضاع الإسلام عموماً، وأوضاع إيران خصوصاً، وبسبب الأحداث التي وقعت في هذه السنة النحسة<sup>(١)</sup>، خصوصاً ما حدث للمدارس العلمية، وحادثة الخامس من حزيران، التي لم أطلع على تفاصيلها إلا بعد أن نُقلت من السجن إلى الإقامة الجبرية، حيث وصلتني الأخبار<sup>(٢)</sup> ويعلم الله أن قضية الخامس من حزيران قد مزقتني.

الآن حيث جئت من سجن "قيطرية" إلى هنا، ففوجئت بالعديد من المشاهد المفجعة، فوجئت بأطفال صغار قد حُرِّموا الآباء، وآباء قد فُجِعوا بأبنائهم الشبان، وأمّهات تُكَلَن بأولادهن اليافين، وبنساء فقدن إخوانهن.. فوجئت بأرجل مقطوعة، والآهات. وهذا دليل تمدن هؤلاء السادة! ورجعيتنا نحن!!  
يا حسرة على ضعف إمكاناتنا الإعلامية، يا حسرة على عدم وصول صوتنا لمسامع العالم، ويا حسرة على عدم بلوغ أنين الثكالي مسامع الدنيا.

فيتهموننا بالرجعية! يصفوننا بأننا "رجعيون" يعبرون عن "علماء الإسلام" بـ"الرجعية السوداء".  
الصحف الصادرة خارج إيران، والتي أنشئت ودُعِمت بأرصدة هائلة لأجل القضاء علينا<sup>(٣)</sup> تصفنا في الخارج بأننا نخالف الإصلاحات، مع أن الإسلام يقف على رأس قائمة الإصلاحات. وتصفنا بأننا نعارض تقدم

---

(١) أهم حوادث ذلك العام: هجوم رجال الأمن على المدرسة الفيزيائية، والمدرسة الحجتية، والمدرسة الطالبيه في تبريز، وقتل وجرح عدد كبير من العلماء والطلاب والشبان، وسوق طلاب الجامعات وطلاب الحوزة العلمية إلى الخدمة الإلزامية، واعتقال الإمام عليه السلام، وقمع تظاهرات الشعب التي خرجت في قم وطهران وشيراز وغيرها في الخامس من حزيران للاعتراض على اعتقال سماحة الإمام، واعتقال آية الله القمي في مشهد، وآية الله بهاء الدين المحلاتي مع أخيه ونجله ونجل آية الله دستغيب، وأشخاص آخرين في شيراز، وإرسالهم إلى طهران، واعتقال آية الله السيد عبد الحسين دستغيب وإرساله إلى طهران أيضاً، وذلك بعد عشرة أيام، ومجيء الآيات العظام والعلماء إلى طهران للاعتراض على اعتقال قائد النهضة مع جمع كثير من العلماء وأساتذة الجامعات في أنحاء البلاد المختلفة من جهة، والتعاون والتنسيق المتزايد بين النظام الملكي و"إسرائيل" من جهة أخرى.

(٢) راجع هوية هذا الخطاب.

(٣) كان الملك يخصص جزءاً من دخل الدولة لتغطية نفقات الإعلام الباهظة. وكانت ملايين الدولارات توضع - وبطرق مختلفة - تحت تصرف الكتاب والمؤسسات الإعلامية والإذاعات ومحطات التلفزيون والمجلات والصحف، فمنها ما كان يتم توزيعه من قبل السفراء وديوان الشريقات الملكية، وذلك سعياً لإخفاء جرائم



البلاد<sup>(١)</sup>. يقولون: إنّ المعممين يصرون على استخدام "الدواب" كواسطة للنقل من مكان إلى آخر. وإنّ المعممين يقولون لا نريد الطاقة الكهربائية. وإنهم يقولون لا نريد الطائرة. وإنهم يريدون العودة إلى القرون الوسطى. إنهم رجعيون!

الملك وخياناته، وتقديمه للناس على أنه أحد السياسيين البارعين والمفكرين المشهورين! وقد رشحت مجلة "لو بوان" الفرنسية الملك محمد رضا على أنه رجل العام! كما كتب "باري روبن" الأميركي في كتابه "الصراع على السلطة في إيران" ما يلي: "كان للجهد الإعلامي المكثف للحكومة الملكية في إيران دور رئيسي في إخفاء نقاط ضعف النظام"، فالمبالغ التي كان الملك ينفقها على الإعلام كبيرة إلى درجة جعلت خبراء الشؤون الإيرانية الأميركيين والإنكليز والفرنسيين والإيطاليين والهولنديين يسعون في تنافس حاد، من أجل ترجمة كتاب للملك مثلاً، أو التعريف بحضارة وملوك إيران السابقين. وكانت هذه المبالغ تُدفع بشكل سرّي تماماً، لذا فإنّ مقدار هذه النفقات والرشاوى الإعلامية الضخمة بقي مجهولاً حتى الآن. والوثائق التي تمّ الاستيلاء عليها من قبل مؤيدي الثورة الإسلامية داخل البلاد وفي السفارات الإيرانية في الخارج تشير إلى أنّ مبالغ طائلة كانت تُنفق على ذلك. ففي أميركا وحدها كانت ملايين الدولارات تُنفق كل عام لمجرد التطيّل الإعلامي للحكومة الملكية الإيرانية، من ذلك مبلغ خمسمئة وسبعة آلاف دولار تمّ دفعها كقيمة لاتفاقية تمّت بين النظام الإيراني ومؤسسة "رودرفين" في نيويورك، ومبلغ سبعة وستون ألف وخمسمئة دولار على اتفاقية مع "ماريون جاوتيس" (زوجة السناتور جاوتيس)، ومبلغ ضخّم ومرتب لـ "وليام روجرز" (وزير الخارجية الأميركي الأسبق). وفي مقابلة مع "سيامك زند" (رئيس قسم الصحافة في ديوان التشرّيفات الملكية)، بعد خروجه من إيران في شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٨ م قال بأنه كان يدفع رشوة لأكثر الصحفيين الأجانب، وذكر في هذه المقابلة أسماء أربعة صحفيين هم: رئيس تحرير مجلة نيوزويك الأميركية، والكاتب في صحيفة "ديلي تلغراف" والكاتب في صحيفة "التايمز" والصحفي الفرنسي جرادو ويليه (راجع "الصراع على السلطة في إيران"، ص ١١٧. و"خادم تخت طاووس"، ص ٣١٠. وصحيفة "هيرالد تريبيون" المؤرخة في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٨).

(١) ذكرت مجلة "التايمز" في عددها الصادر في ١٤ حزيران ١٩٦٣ ما يلي: "كانت طهران في الأسبوع الماضي ساحة مواجهة دامت لمدة ثلاثة أيام كاملة، كان الشعب خلالها يئن تحت أزيز الأسلحة الرشاشة.. ومن سخرية القدر أنّ هذه المواجهة كانت للوقوف بوجه التقدم.. فمعارضو الملك الأشداء في هذه المرة هم رؤساء المحاكم الفاسدين، والإقطاعيين الكبار، ورجال الدين الذين يكفّرون الملك في برنامجه الإصلاحية هذا. وذكرت "يونايتد برس إنترناشونال": "لقد تمت التظاهرات بتحريك من الشخصيات الدينية المعارضة لإصلاحات الملك، ذلك لأنّ إصلاحاته أضرت بالعائدات التي يحققونها!" كما ذكرت إذاعة موسكو في ليلة السادس من حزيران ما يلي: "قامت العناصر الرجعية في إيران - والتي ترفض الإصلاح الزراعي - بمظاهرات هذا اليوم في طهران وقم ومشهد.. والمحركون الأساسيون لهذه الفتنة هم بعض الزعماء الدينيين".

إن علماء الدين يعارضون هذا المآل المظلم الذي آلت إليه البلاد. فهل يُعدّ هذا رجعية؟ العلماء الأعلام يعارضون هذا العنف والقتل والتجبر والديكتاتورية والاستبداد، فهل هذا رجعية؟ لقد وقف علماء الإسلام في أوائل الحركة الدستورية<sup>(١)</sup> بوجه الاستبداد الظالم، وانتزعوا الحرية للشعب، وسنّوا القوانين التي تحقق مصالحه، وترسخ استقلال البلاد. القوانين التي تنسجم مع الإسلام ومع قوانين الإسلام، وقد حققوا ذلك بدمائهم، وبالعذاب الذي تجرّعوه وتحملوه، وبالحرمان الذي عانوا منه، فهل هؤلاء العلماء رجعيون؟

واليوم قام العلماء أيضاً ونهضوا ونهض الشعب على أثرهم، فهذا زمن يقظة الشعوب الإسلامية ونهضتها، ومطالب علماء الدين هي: تطبيق قوانين الإسلام، فهل هذا رجعية<sup>(٢)</sup>؟ وهل كان الرسول الأكرم ﷺ رجعياً؟ هل أنّ الدعوة إلى تطبيق القوانين السماوية والقوانين الإلهية التي نتحمل من أجلها كل هذا الإضطهاد والعذاب رجعية؟ هل أنّ الله (سبحانه وتعالى) رجعي؟ هل أنّ جبرائيل الأمين - واسطة الوحي الإلهي - رجعي؟ هل أنّ الرسول الأكرم ﷺ رجعي؟ هل أنّ أئمة الهدى عليهم السلام رجعيون؟!

إنّ العلماء يبلّغون الناس قوانين الإسلام وقوانين الوحي منذ صدور الإسلام حتى يومنا هذا، ولم يأتوا بشيء من عند أنفسهم، فهل أنّ التبليغ بالقوانين الإلهية عمل رجعي؟ فهذه أحكام الإسلام، الإسلام جعل من الإنسان كائناً حراً، وجعله مسلطاً على نفسه وماله وروحه وعرضه. عدّ الإنسان مختاراً وحرّاً، فكل إنسان حر في مسكنه، حر في مشربه ومأكله، سوى ما يخالف القوانين الإلهية، حر في أسلوب حياته.

فحكم الإسلام يجيز لمن تعرّض لهجوم وهو في منزله أن يقتل المهاجم! الإسلام يدعم الحرية ويؤيدها إلى هذا الحد، فهل الإسلام رجعية سوداء؟ إنّ علماء الإسلام لم يأتوا بشيء من عند أنفسهم، نحن لا نقول شيئاً من عند أنفسنا، فنحن نقول: قال رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أيضاً يقول: قال الله تعالى. فإذا كنا رجعيين فمعناه أنّ رسول الله ﷺ هو الرجعي! إذا كنتم تعتبرونا رجعيين "هذا التافه لا زال مصرّاً اليوم أيضاً على كلامه هذا" أقول إذا كنتم تعتبرونا رجعيين، فإننا لا نقول شيئاً من عند أنفسنا. نحن نقول: قال الله تعالى، نقول: قال رسول الله ﷺ. فأنتم إذا اعتبرونا رسول الله ﷺ رجعياً! أف لهذه التقديمية.

---

(١) المقصود هم العلماء المجاهدون من أمثال: الشهيد آية الله الشيخ فضل الله النوري، وآية الله السيد عبد الله البهبهاني، وآية الله السيد محمد الطباطبائي، وآية الله الميرزا محمد حسن الآشتياني، والشيخ محمد الخياباني والسيد جمال الدين الأصفهاني.

(٢) قبل هذا الخطاب بعدة أيام قال الملك في كلمة له: سنقضي على الرجعية وأفكارها البالية. كما كتب فيما بعد في كتابه "الثورة البيضاء": إنّ بلوى الخامس من حزيران تعدّ أفضل مثال للاتحاد غير المقدس بين تيار الرجعية السوداء والقوى الحمراء المخربة، والذي تم تمويله من قبل مجموعة من الملاك الذين شملهم قانون الإصلاح الزراعي.

أما إذا كنتم تؤمنون بالقوانين، إذا كنتم تؤمنون بالإسلام الذي نتبعه نحن، وهو منشأ جميع أنواع الحريات، ومنشأ العزة كلها، ومنشأ جميع القيم السامية، وكل ما يؤدي المكانة والمنزلة الرفيعة، وإلى الاستقلال بكل مظاهره. فأين الرجعية السوداء التي يراها السادة في أحكام الإسلام؟ فليأتوا وليحاورونا، فلا يصح أن تقف أنت<sup>(١)</sup> في مكانك وتتحدث لوحديك، وتهتف "إننا سنحطم الرجعية! وإننا سنفعل بها كذا!" تعال واجلس وقل: إن ما قاله الرسول ﷺ رجعية سوداء! حتى ننظر هل أن ما تقوله صحيح! وحتى نثبت لك الخلاف.

نحن نقول: لا تكن تابعاً مطيعاً للآخرين، يا سيد إننا نريد لك المجد والعزة، إننا ننصحكم لأنكم حكومة إسلامية، حكومة على المسلمين - كما يقال - فكونوا أعزة، كونوا أسياداً، كونوا أجلاء، وحافظوا على الاستقلال، واركبوا التبعية، لا تذللوا أنفسكم في سبيل بضعة دولارات! فكلما عقدتم اجتماعاً ناديتهم: "علينا بالدولارات".<sup>(٢)</sup>

إننا معارضون لهذه الأمور، فإذا كان سلوكنا هذا رجعية، فنحن رجعيون. وإذا كان سلوككم ذاك تمدناً، فأنتم متمدنون!! إذا كنتم تؤمنون بقوانين الإسلام، فهذه هي قوانين الإسلام. وإذا كنتم تؤمنون بالدستور، وتستندون إليه، فإن الدستور ضمن للناس حرية السكن، وحرية العمل، وحرية التصرف في أموالهم وفي أرواحهم، كما منع من هذا التسلط والظلم.

نحن نقول يا محترم: طبّقوا القانون، لنحكم القانون بيننا، أرسلوا أنتم مندوباً عنكم، سنرسل نحن أيضاً مندوباً عنا، ونضع القانون حكماً بيننا، إعملوا أنتم بالدستور فقط وسوف لن نقول كلمة واحدة. إعملوا أنتم بمتّام الدستور هذا الذي ضحى علماء الإسلام بأرواحهم في أوائل "الحركة الدستورية" لأجل الحصول عليه ولأجل فك أسر الشعب، وبأدروا للعمل الدستوري.

لقد ضمن الدستور حرية الصحافة، فهل تتركونها أنتم على حريتها؟ أفنحن رجعيون لأننا نقول: ليطبّق الدستور؟! ولأننا نقول: أتركوا للصحف حريتها في التعبير عن آرائها. فرغم أن جميع القائمين عليها خبثاء، إلا أنهم مع كل خبثهم لا يهدفون إلى تسميم الأجواء إلى هذا الحد.

---

(١) إشارة إلى الملك.

(٢) كان الملك قد أخذ وعداً من الرئيس الأميركي "كينيدي" بقروض واستثمارات أجنبية في البلاد مقابل إجراء "الإصلاحات" الشكلية، ويشير الإمام بكلمة "دولار" إلى تلك المساعدات المالية الأميركية التي طلبها الملك. وأشارت صحيفة "نيويورك تايمز" إلى الاستفتاء وإجراء الإصلاحات من قبل الملك، فكتبت تقول: إن إيران أصبحت في ظروف أنسب لتلقّي المساعدات الأميركية!

لا بد أنكم أيها الإخوة وأيها الشعب الإيراني، إطلعتم على الإفتاحية التي نشرتها صحيفة "إطلاعات" يوم الثلاثاء ٦ نيسان، ولاحتظمت طبيعة المؤامرة التي كانوا قد خطّطوا لها وما زالوا<sup>(١)</sup>. لقد أدركوا أنّ ما مارسوه من ضغط وتجبّر، ومن مذابح في الخامس من حزيران، ومن تخريب للمدرسة الفيزيائية والمدرسة الطالبة<sup>(٢)</sup> ومن إهانة لعلماء الإسلام، ومن نفي وطرد من الوظائف وسجن وغيره، أدركوا أنّ كل ما فعلوه، كان فضيحة لهم، فضيحة أدركوها جميعاً بما في ذلك كبيرهم<sup>(٣)</sup> فجميعهم أدركوا أنّ الوضع قد ساء إلى حد بعيد، فقد اعترض العالم أجمع عليهم<sup>(٤)</sup>. لقد سوّد يوم الخامس من حزيران وجه الحكومة، ولم نكن راغبين بأن يلحقهم هذا القدر من العار. لقد ألبس الخامس من حزيران هذه البلاد عاراً سيبقى إلى الأبد.. وسوف يسجله التاريخ. وقد اعترفوا هم أنفسهم بأنّ الخامس من حزيران كان عاراً. وأنا أقول كذلك بأنه كان عاراً. غير أنهم لم يبيّنوا علّة هذا العار، وسأبيّن أنا تلك العلّة، لقد كان عاراً لأنّ الرشاشات والدبابات والمدافع والبنادق كلها قد تم شراؤها بأموال هذا الشعب الفقير، ثم قاموا بتوجيهها إلى صدور أبنائه، وسحقوا هؤلاء المساكين. فهل هناك عار أعظم من أن يسحق إنسان شعبه بهذا الشكل؟ ماذا جنى هؤلاء المساكين وماذا اجترحوا؟

(١) ورد في افتتاحية صحيفة "إطلاعات" الصادرة بتاريخ ٧ نيسان ١٩٦٤ م: إنّ مما يبعث على التفاؤل أن يصبح علماء الدين اليوم صفّاً واحداً مع كافة أبناء الشعب في إجراء برنامج الملك والشعب، للإطلاع على تفاصيل القضية (راجع الهامش السابق).

(٢) في مطلع عام ١٩٦٣ م - وتزامناً مع حادثة الفيزيائية في قم - تعرضت المدرسة الطالبة في تبريز إلى اعتداء مماثل، فقد داهم عدد من مأموري "السافاك" وشرطة تبريز المدرسة "الطالبة" لغرض تمزيق بيان سماحة الإمام الذي كان قد علّق على جدار المدرسة. إلّا أنهم قوبلوا بمقاومة واعتراض الطلاب، فوقعت مواجهة شديدة سقط على أثرها أحد مأموري الشرطة. فهاجم المأمورون المدرسة بأسلحتهم المختلفة، وحطموا كل ما بلغته أيديهم، وعرضوا الطلاب والعلماء للضرب والشتم وإطلاق النار، مما أدى إلى استشهاد وجرح عدد آخر.

(٣) الملك.

(٤) إنّ حادثة الخامس من حزيران ١٩٦٣ كانت خطيرة إلى درجة جعلت خبرها يتجاوز حدود إيران، بحيث لم تتمكن ملايين الدولارات - التي كان الملك ينفقها كل عام على الإعلام - من إخفاء خبر هذه الحادثة المفجعة. وقد أصدر الشيخ محمود شلتوت (رئيس جامعة الأزهر) في مصر بياناً في العاشر من تموز عام ١٩٦٣ حول هذه الفاجعة. كما تناولت صحيفة "الأهرام" الصادرة في السادس والسابع من حزيران تفاصيل هذه الفاجعة. وكتبت مجلة "أوبزرواتور عرب" في ١٧ تموز ١٩٦٣ مقالة تحت عنوان "حيلة كبيرة" تعرضت فيها لتفاصيل الحادثة. كما أصدرت "الجمعية العلمية الإسلامية في لبنان" وشباب الكويت، والشباب الإيراني المسلم المقيم في ألمانيا، ومجموعات أخرى.. بيانات حول الحادثة. كذلك، فقد انهالت عشرات البرقيات والرسائل المفصلة على المؤسسات الإسلامية والدولية الرسمية تعلن عن اعتراضها واستنكارها لما حدث.

لقد قدّمنا سلسلة من النصائح، ولم تكن نصيحتنا معقدة إلى هذا الحد. إنّ لنا مجموعة من المطالب المنطقية، ولدينا قانون.. فإذا كنتم لا تقبلون الدستور، إذًا.. ليذهب رئيس الحكومة<sup>(١)</sup> إلى المجلس ويقول: إننا لا نقبل الدستور. وليرجعوا القهقري، أو أين ما شأؤوا، إلّا أننا نقول: طبّقوا الدستور، فنحن رجعيون! وأنتم الذين تقومون بإلقاء المواطنين بالجملة في السجون، وتذيقونهم النفي والإبعاد، فأنتم تقدميون! زناناتكم مليئة بالمعتقلين من العلماء والأساتذة الأفاضل والمتدينين، و"بندر عباس" مليء بالمبعدين الذين لم يكن لهم ذنب سوى أنهم قالوا: نحن نرفض أن نكون أسرى للآخرين، نرفض أن نكون أسرى للاستعمار. بماذا ينعتوننا؟ أنحن رجعيون لأننا نقول طبّقوا الدستور؟ ضعوا الدستور موضع التنفيذ، ولنعمل به جميعاً. إنّ هذا ما يجب أن يكون مرضياً لكم.

نحن نقول: إعملوا بمقتضى الدين. وأنتم تقولون: "إنّ الرسول الأكرم ﷺ رجعي" - نعوذ بالله - طبعاً أنتم لا تقولون ذلك بألستكم، إلّا أنّ معنى كلامكم هو هذا.

أنتم لا تقبلون بالدستور، إنكم تهمسون بأنّ الدستور وضع لخمسین سنة خلت، الدستور لا يؤثر فيه مرور خمسین عاماً.. الدستور يقول: بأنّ الشعوب يجب أن تكون حرة. ويقول: بأنّ الشعب الإيراني يجب أن يكون حراً، ويجب أن تكون الصحافة حرة، ولا يحق لأحد أن يحدّ من حرية القلم.

إطلّعتم على صحيفة "إطلاعات" ليوم الثلاثاء ٦ نيسان - رغم أنّ بعض المجلات كانت قد كتبت أيضاً حول الموضوع، غير أنّ هذه الصحيفة هي الأكثر انتشاراً - كتبت تقول: "من دواعي السرور أنّ علماء الدين قد أيدوا الحكومة في ثورة الملك والشعب!!". وقد ذهب إليهم من اعترض، وطالبهم بتحديد العالم الذي أشاروا إليه<sup>(٢)</sup>؟ هل هو الخميني حتى نبادر إلى لعنه؟! أم علماء الإسلام الآخرون؟ عرفّوه لنا فقط، أشيروا إليه فقط؟ إنّ علماءنا البارزين عدة معدودة هنا، وعدة في طهران، وعدة في مشهد، وعدة في النجف الأشرف، وفي سائر بلاد المسلمين (حفظهم الله وأيدهم جميعاً) هؤلاء هم علماء الإسلام، فهل أنّ علماء الإسلام الذين عقدوا اتفاقاً سرّياً معكم كانوا من الفضاء الخارجي؟ أذكر لنا اسماً واحداً فقط! إن كنت رجلاً فاذكر لنا اسماً واحداً فقط! قل: إنه

---

(١) إشارة إلى رئيس الوزراء آنذاك (حسن علي منصور).

(٢) بعد نشر صحيفة "إطلاعات" الصادرة في ٧ نيسان ١٩٦٤ مقالة "الاتحاد المقدس من أجل الهدف المقدس"، والتي أشارت فيها إلى ما أسمته "اتحاد الملك والعلماء في الثورة البيضاء"، أرسل الإمام الخميني حجة الإسلام فضل الله المحلاتي إلى إدارة الصحيفة ليسأل عن هؤلاء (العلماء) الذين اتحدوا مع الملك؟ فأجاب مدير الصحيفة: إنّ الإفتاحية أرسلت إلى الصحيفة من قبل الجهات الحكومية، وإنه اضطر إلى نشرها. فطالب الإمام مدير الصحيفة أن يقوم بنفي الخبر في الأعداد اللاحقة من صحيفته، وتابع الإلحاح على طلبه بقوة وشدة كاملة. مما اضطر الحكومة إلى إرسال ممثلها إلى قم للقاء الإمام والإعتذار منه، والتعهد بعدم نشر الأكاذيب والإفتراءات على العلماء فيما بعد.

الخميني، وقد ذهبنا إليه في السجن فقال: "عفا الله عما سلف"! بخساً الخميني إن هو تكلم بما يخالف دين الإسلام! أيستطيع الخميني أن يتفق مع الظلم. إن الخميني حينما كان هناك، حينما كان سجيناً، فإنه كان هناك ليحفظ للإسلام عزته. وهل له أن يفعل؟ أيستطيع الخميني، وأمثال الخميني، أن يقولوا شيئاً مخالفاً لمصالح الإسلام؟ الإسلام الذي تحمّل الرسول الأكرم ﷺ في سبيله ما تحمّل، والذي عانى أئمة الهدى ﷺ من أجل ما عانوا، والذي تجشّم علماء الإسلام في سبيله ما تجشّموا؟ وأنا أعرف أنكم - أيها الإخوة المؤمنون - ستطردون الخميني من هذا المجتمع إن هو فعل شيئاً من هذا القبيل!

إنهم خططوا لإظهار علماء الدين للناس على أنهم لا يختلفون عنهم في شيء! فهم منبذون من قبل المجتمع، ويريدون أن يجعلونا منبذين مثلهم. المجتمع يرفضهم، ويريدون منه أن يعلن عن رفضه لنا نحن أيضاً، يهدفون من وراء هذا المخطط المشؤوم أن يجعلونا منبذين من قبل المجتمع. ليصبحوا هم عبيداً للأسياد دون أن يعكّر عليهم أحد صفوهم، ويا ليتها عبودية لمن هم أسياد بحق، إنها عبودية لـ"إسرائيل"، فوا مصيبتاه!! هل يمكنني أن أبين كل المفاصل التي تعاني منها هذه البلاد ف يخطاب أو حديث واحد، أو حديثين أو حتى أربعة، إنّ حالتي الصحية اليوم ليست على ما يرام أيضاً، فلم أتم البارحة إلا قليلاً جداً، ومع أنا نتعرض لبعض الأمور بشكل إجمالي، أفليس لنا حق الدفاع عن أنفسنا؟

ذهبوا إلى مدير صحيفة "إطلاعات"<sup>(١)</sup> وسألوه: من هذا الذي أعلن عن هذا الأمر؟ أخبرنا لكي نعرف من هو هذا الروحاني! من هذا الروحاني العميل لجهاز أمن السلطة الذي اتفق معكم ووافقكم على ما تريدون خلافاً لدين الإسلام، أخبرنا! خجل المسكين كثيراً وقال: "أنا لم أكن متواجداً، فالتمسوا ليس العذر عند فلان، لأن، ولأن، ولا..". ومن قبيل هذا الكلام، ثم شرح الأمر بالتفصيل: "وإنّ الإفتاحية التي كتبها أنا موجودة"، وعرضها عليهم وقال: "أنا كتبت هذه الإفتاحية، لكنها رُفضت، وجيء بشيء آخر من قبل بعض المسؤولين وفرضوا نشره، فما كنت سأفعل؟".

إنني أنصحه بالآتي، أقول لكم: إذا كانت هذه حال صحيفة "إطلاعات" وإذا كان مديرها متأسفاً لمثل هذه الأمور المفروضة عليه، نقول له: أنت بحمد الله غني ومتموّل، ولست معوزاً، أترك الصحافة، وكن وزيراً! فإنّ الجميع هنا - والله الحمد - يصبحون وزراء! لتصبح وزيراً! لتصبح سيناتوراً<sup>(٢)</sup>! لتصبح كذا!! الجميع يرشحك نائباً حتى إذا كان الشعب لا يصوّت لصالحك، ولكن لا بأس فإنّ هؤلاء يجعلونك نائباً وليس ضرورياً أن يصوّت لك الشعب. وهل يملك الشعب حق التصويت؟ لا.. لا تخف، سيجعلونك نائباً، ينصّبونك كما ينصّبون عضو مجلس الشيوخ، وما إذا كنت تشعر بالعار من أنهم سيفرضون عليك أموراً لا ترتضيها فالأمر في غاية البساطة،

(١) عباس مسعودي صاحب امتياز صحيفة "إطلاعات" ومديرها.

(٢) مجلس الشيوخ هو ثاني مجلس للنظام السابق. أُسس وفقاً للمادة ٤٣ و ٤٥ من الدستور. ويضم ٦٠ عضواً بسمّة سناتور، نصفهم يعيّنون من قبل الملك، والنصف الآخر ينتخبهم الشعب.

الصحافة ليست مفروضة عليك، فلا أحد يجبرك أن تكون صحفياً، أترك الصحيفة وابحث عن عمل أفضل. لقد أبلغته بواسطة أحدهم: إن هذا الأمر يجب أن يتم تداركه. يجب أن يكذب ما نُشر، وبناءً على ما نقله أحد القادمين أمس، فإنه أقر قائلاً: "أنا لا أستطيع أن أقف في مواجهة الشعب، لا أستطيع أن أقف في مواجهة الروحانية، فكروا في طريقة ما تمكّني من تكذيب ما نُشر، فإنّ النظام يقول: بأنّ تكذيب ما نُشر سيعدّ دليلاً على ضعفنا". حسناً، نحن الرجعيون أم أنتم؟

إننا لسنا أمواتاً حتى تنسبوا إلينا هذه الإفتراءات، فلدينا - والحمد لله - عدد يعتدّ به من العلماء، لدينا مراجع عظام أجلاء، لدينا علماء في مختلف أنحاء البلاد، لدينا فضلاء في الحوزات العلمية، ولدينا مدرسون كبار في الحوزات العلمية، لدينا طلبة وأفاضل في العلوم الدينية، وهؤلاء لا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي وهم ينظرون إلى صحيفة واسعة الانتشار تنشر كذبة فاضحة: "علماء الدين وافقوا والحمد لله!".

إننا نصرخ، نصيح، ولا يسمحون بنشر وجهات نظرنا. حسناً يا محترم<sup>(١)</sup> أنت يا مَنْ قلت بالأمس أو البارحة: بأننا نقف بوجه الرجعية، أليست رجعية أن تفرضوا الرقابة على الصحف، وتفرضوا على صحيفة "إطلاعات" .. ولا أظن أنّ ما قاله أولئك في صحيفة "إطلاعات" كان كذباً، فما كتبته من الكذب والإفتراء موجود في مكتب الصحيفة وثابت، إنك فرضت عليهم نشره، ومنعتهم من تكذيب المقال السابق. وما نقوله هو هذا: طبّقوا الدستور يا سيد! الصحف حرة، فدعوها تكتب الحقائق! إن كان لكم دين فاعملوا بدينكم، وإن كنتم ترون الدين رجعية فاستندوا إلى الدستور، دعوهم يكتبون بحرية. لقد كتبت إليه بأني لست من أولئك الذين إذا أصدروا حكماً قعدوا يغالبهم النعاس معتمدين على أنّ ذلك الحكم سيشق طريقه بنفسه، كلا، إنني أتابعه، وإذا رأيت أنّ مصلحة الإسلام - لا سمح الله - تقتضي بأن أقول كلمتي فإنني أقولها، وأقوم بمتابعتها، ولا أخاف شيئاً، والله الحمد. أقسم بالله أنني لم أشعر بالخوف حتى الآن، وحتى ذلك اليوم الذي اعتقلوني فيه كانوا هم الخائفين، وقمت أنا بطمأنّتهم وتهديّتهم!!

فإذا شعرنا بالخوف في طريقنا نحو تحقيق الأهداف الإسلامية. الأهداف التي قدّم الأنبياء في سبيلها كل ما لديهم، والتي قدّم الأولياء العظام أنفسهم قرايين في سبيل بلوغها، والتي حُرق بسببها علماء الإسلام الكبار، وقطعت رؤوسهم، وسجنوا أماداً طويلة، وأبعدوا. فإذا شعرنا بالخوف في هذا الطريق فهذا يعني أننا لا دين لنا، وهل يخشى المؤمن من مفارقة هذا العالم؟ إذا كنا نؤمن بما وراء هذا العالم، فينبغي علينا التضرع شكراً إذا تعرضنا للقتل في سبيل الله، والتحقنا بصف الشهداء. أنخاف؟ من أي شيء نخاف؟! إنّ مَنْ ينبغي أن يخاف هو ذلك الذي لا مكان له غير هذه الدنيا. أما نحن - نحمد الله تعالى - فقد وعدنا سبحانه تبارك وتعالى بأنّ لنا منزلاً حسناً، إذا نحن طبّقنا تعاليم دينه كما أراد. وعسى أن نوفق لتطبيقها كما ينبغي، نأمل أن نطبّقها. فمِمّ نخاف نحن؟ ما هو الخوف الذي يعترينا منكم؟! أقصى ما في الأمر أنكم ستقومون بإعدامنا آخر المطاف، وذلك أول

(١) المخاطب هو شخص الملك.

حياتنا السعيدة، بعد أن نغادر مستنقع الإنحطاط هذا، وتنتخلص من هذا العذاب وهذه المحن. ولقد قال أميرنا ﷺ: "والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه"<sup>(١)</sup>. طيب، هذا ما قاله هو ﷺ ونحن بطبيعة الحال لا يمكننا أن ندعي مثل هذه الإدعاءات، ولكننا شيعته، فإذا خفنا نحن الموت، فهذا معناه أننا لا نؤمن بالغيب.

لأننا نطالب بحرية الصحافة، فنحن رجعيون؟ ولأن هؤلاء يفرضون على الصحف كتابة الموضوع الفلاني، فهم تقدميون؟ فما حيلتنا إذا كان صوتنا حينما يخرج من مكبرة الصوت هذه لا يبلغ إلا مدى قليلاً، في حين أن صوتهم يصل من هنا إلى أميركا. فحيثما وجد من يتقاضى منهم الدولارات، فإن صوتهم سيصل إلى هناك. فهم ينفقون أموال هذا الشعب على الصحف الأجنبية، الصحف التي تصدر في الخارج، وتكتب ضد العلماء وضد الإسلام وضد الوطنية، ضد ما هو أصل فينا. ولدي اطلاع على كل ذلك.

لقد أخطأوا بإطلاق سراحي، إشتبهوا، وقد قلت لهم هناك. قلت لهم: إذا كنتم تعتزمون السير على نفس المنوال، فمن الأفضل أن أبقى هنا، حتى لا تملأوا الدنيا ضجيجاً من جديد. وأقول الآن أيضاً: أيها المحترم، نحن لسنا رجعيين بالمعنى الذي تنعتوننا به، إننا لا نعارض معطيات المدنية، الإسلام لا يعارض التقدم المدني.

إن الإسلام هو الذي بحث على أن تمتلكوا القوة التي تحكمون بها العالم أجمع. الإسلام هو الذي انتضى سيفه، فأخضع نصف الدنيا أو أكثر تقريباً لحكومته<sup>(٢)</sup> أخذها بالسيف، فهل هذا الإسلام رجعي؟ الإسلام هو الذي سخر هذه البلدان التي سخرتكم حكوماتها الآن، أولئك طبّقوا قوانين الإسلام - بشكل إجمالي طبعاً - الحكومات الإسلامية التي تعاقبت على العالم الإسلامي كانت كلها إلا واحدة أو اثنين منها لم تطبّق الأحكام الإسلامية، ومع ذلك كانت تعتقد بانضوائها تحت لواء الإسلام، وكانت ترى ارتباطها به. وهذا الارتباط الظاهري بأحكام الإسلام عزز لديهم تلك القدرة، بحيث استطاع بضعة وعشرون ألفاً من العرب أن يفتحوا بلاد فارس على سعتها، ويحكمونها ويبدلون كل ما في وسعهم من أجل تمدنها ورقيتها وتربية شعوبها، وقد فعلوا.

إن الأفكار النورانية التي يحملها علماءنا الأعلام ومراجعنا العظام إنما هي من نور الإسلام ذاته، هذه الأفكار النورانية التي يحملها عظماءنا أينما كانوا إنما هي من هذا الإسلام، أما تلك الأفكار البالية الرجعية التي يحملها هؤلاء المحترمون! من قبيل التبعية، وتسليم الثروات - ثروات البلاد جميعها - للآخرين، هي الرجعية، ولتخسأ هذه الرجعية.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الخامسة.

(٢) إنطلق المسلمون بعد فتح مكة ليحكموا سوريا وفلسطين وما بين النهرين وإيران وطرابلس وقبرص والبنجاب، ثم فتحوا مصر وشمال أفريقيا وإسبانيا والبرتغال وجنوب غرب أوروبا (شبه جزيرة إيبيريا) وجنوب شرق فرنسا (بلد ناربن) وأثينا (الروم الشرقية) ("راجع منعطفات الحضارة الإسلامية في إسبانيا"، ص ٦. و"الثورة الإسلامية والدفاع المقدس"، ص ٢٧٤).



بالأمس أرسلوا.. أرسلوا مبعوثاً من قبل رئيس الوزراء.. وكان مرتبكاً فقال: "أرجو منكم العفو، لقد حصل اشتباه، حصل خطأ، حاولوا أنتم أن تفعلوا كذا، أرجو أن لا يؤدي ذلك إلى تأزيم الأمور، أرجو أن لا يؤدي ذلك إلى نتائج أخرى، أن لا يؤدي إلى كذا وكذا، نحن نريد كذا، نحن مأمورون" وأمثال هذه الأمور التي تقال عادة. نحن أيضاً قلنا: "حسناً، صحيفة "إطلاعات" تقول: إنها غير مقصّرة، وإنكم أنتم الذين قمتم بذلك العمل. وأنتم تقولون: إنّ عليه هو أن يلتزم من الآن فصاعداً. يجب أن تتعهدوا أنتم بعدم تكرار هذه الأمور، فإذا تكررت فسيقع ما لا تُحمد عقبان، فلا تفعلوا ذلك، لا تكثرُوا من التشدد بكلمة الرجعية، وحينها تُجبر نحن أيضاً على الإسراع بكشف خفايا الأمور، وحل رموزها، ونرى بعد ذلك مَنْ هو الرجعي، علماء الإسلام العظام، أم أنتم الذين تقولون: لا تحمّلوا الشعب فوق طاقته".

ما ذنب هؤلاء المساكين التعساء المعدمين في هذه البلاد المتقدمة؟ لقد أدمى قلوبنا الشتاء القارس هذا العام! فتلك أصفهان، وتلك همدان، وتلك طهران وقم، وتلك مدنها الأخرى، تعيش البرد القاتل. فهل فكرتم بحل هؤلاء المساكين؟ بلغني أنه توفي أكثر من ألفي شخص في همدان هذا العام، في درجة حرارة انخفضت إلى ٤٢ و ٤٣ درجة تحت الصفر. هل فكرتم بشيء من أجل هؤلاء؟ أيتها البلاد المتقدمة، أيها المحترمون! الذين تقدمت بلادهم! نحن نرغب أن تكون البلاد متقدمة بحق. فكروا قليلاً بحل لإنقاذ هؤلاء المساكين، فهل كُتب عليهم أن يتحملوا الجوع والبلايا معاً؟! أن يعيشوا حقاً عراة، ويعلو رؤوسهم سوط اضطهادكم؟! نحن إنما ننهاكم عن هذه الأعمال! فهل هي رجعية أن نقول: لا تحمّلوا الناس ما لا يطيقون؟ لا تضطهدوهم إلى هذا الحد؟ لا تسبّوا وتلعنوا إلى هذا الحد؟ أفهل هذه رجعية؟ وهل أنتم أيها العملاء للمستبدين، ويا مَنْ تمارسون أنواع الضغط والتجبر، ووجهتم حرايبكم، ومارستم أنواع الضغط والتجبر، ووجهتم حرايبكم، ومارستم أنواع الجور بحق هذا الشعب الأعزل، أنتم يا مَنْ سحقتهم بأقدامكم جميع القوانين، وتجاوزتم جميع أحكام الإسلام، أنتم التقدميون! ونحن الذين نطالبكم بالعمل بأحكام الإسلام وتطبيق الدستور، نكون رجعيين!

هؤلاء يريدون - وإنه لمّا يبعث على السخرية - تأسيس جامعة إسلامية!<sup>(١)</sup> سمعنا أنهم رصدوا لذلك بضعة ملايين! إذا كنتم حريصين على الإسلام هكذا، فهذه جامعتنا موجودة، لماذا تخربونها؟ هذه هي إن كنتم حقاً قد انتبهتم إلى أنّ الإسلام بحاجة إلى جامعة إسلامية، وأنّ أحكام الإسلام يجب أن تبقى، وأنّ علماء الإسلام يجب أن يبقوا؟ إننا لا نأمل الخير منكم، فأبعدوا شرّكم عنا. دعونا نقوم بخدمتكم، دعونا فنحن - بحمد الله - لا نكلّف ميزانية الدولة (شاهياً واحداً) ونحن مع كل مشكلاتنا ومع وجودكم أنتم على رؤوسنا فأبوابنا

---

(١) في العام ١٩٦١ م كان النظام يزعم تأسيس جامعة تدعى "الجامعة الإسلامية"! فقد اقتضت السياسة الاستعمارية آنذاك جعل الحوزات الدينية والعلمية تحت سيطرة الحكومة، وربط العلماء بالدوائر الحكومية. إلّا أنّ العلماء الأعلام وقفوا - وبوعي كامل - بوجه هذا المخطط.

مفتوحة للجميع. وها هم طلبة العلوم الدينية الإسلامية، اذهبوا لتروا أماكن سكنناهم، اذهبوا لتروا حياتهم "قبل الغارة!! اذهبوا وانظروا ما كانت عليه حياتهم قبل الغارة!

أولئك كانوا يريدون أن يدمروا فقط، وإلا فما تنفعهم سجادة بالية أو "سماور" مكسور من الصفيح؟ اذهبوا وانظروا بأعينكم فقط، فليس عندنا ما نخفيه، هذه مدارسنا، وهذه منازلنا موجودة، تعالوا وانظروا بأنفسكم فإذا رأيتم بأن جميع الأموال التي يقوم هذا الشعب المسلم الفقير بتأمينها لنا بكل إخلاص من أجل حفظ أساس الأحكام الإسلامية، إذا رأيتم أن ميزانيتنا لعام كامل تعادل ما تنفقونه على مأدبة لضييف أجنبي واحد تستضيفه الحكومة، فابصقوا في وجوهنا، وانعتونا بالرجعية! نحن نقول: لا تبدروا ميزانية البلاد بهذا الشكل، فما هو مرادكم من كل هذه المآدب؟ هل هي رجعية أن نقول لكم: وقروا أنفسكم، لا تستجدوا الآخرين بهذا الشكل المذل، لا تبدروا هكذا، فتضطرون بعدها إلى استجداء الشعب. لقد أنشأوا مؤسسات أمنية طويلة وعريضة تستنزف نفقات لا معنى لها.

حاولوا أنتم أن تؤمنوا بأحكام الإسلام، فنكون نحن أتباعاً لمؤسساتكم، ويكون الشعب بأسره جزءاً منكم. فهل أعطينا الناس أموالاً فأحبونا؟! هل رشونا هذا الشعب فشايعنا وتمسك بنا؟! إن الجماهير أدركت وتولد لديها الاعتقاد بأن هؤلاء السادة المحترمين، هؤلاء المراجع الإسلاميين العظام، الخميني - طالب العلوم الدينية هذا - هؤلاء جميعاً يحبون الجماهير ويتمسكون بها، ويريدون إصلاح أحاسيس قلبه، فتراهم جميعاً يتبعون العلماء..

فاستمعوا إلى نصيحتي، فكما تحدثت للأشخاص الذين كانوا يترددون علينا مراراً، أعود فأقول: لقد رأيتم أنكم بالإضطهاد والضرب والحبس والتعذيب والنفي والإهانة وبجميع الوسائل الأخرى لم تحققوا شيئاً حتى الآن. رأيتم أن الشعب يتفجر غضباً بسبب هذه الأساليب، ولا يمكن إذلال شعب إلى الأبد. تعالوا الآن وغيروا نهجكم، ولو قليلاً، جربوا، فأنتم تدعون بأنكم عقلاء جربوا إذاً، غيروا أساليبكم لبعض الوقت، تؤددوا إلى الناس، تواضعوا لهم.. إن الدولة ملك للناس، وميزانية البلاد تأتي من جيوب المواطنين، وأنتم خدام للناس. الحكومة خدام للجماهير، لا تكثروا من الإدعاء بالستكم فقط، إنكم خدام للناس، في حين أنكم - في الواقع - تواصلون الضغط، وتدوسون على الذين تدعون أنهم أسيادكم. ها أنتم ترتزقون من ميزانية هذه الدولة، وتعيشون حياة مرفهة، هذه الحياة المرفهة هي المنحة التي تحصلون عليها من الشعب. فأنتم تعيشون كما تشتهون، وتمارسون حياتكم كيفما شئتم. يا إخوة، نحن لا يمكن أن نتصور الحياة التي يحياها هؤلاء، هل تعتقدون أنكم أيها الإخوة تستطيعون أن تدركوا طبيعة الحياة التي يحياها هؤلاء؟ لا، أبداً، لا نستطيع أن نتصور ذلك، فلا يخطر في أذهاننا مثلاً أن طائرة تنطلق من هنا إلى هولندا لتجلب زهوراً من هناك لأجل مأدبة واحدة، وتكون أجرة الطائرة ثلاثمئة ألف تومان، هذا ما سمعته، فلست طياراً حتى أرى بعيني، هذه الأمور تتداولها الألسن، نحن لا نستطيع أن نتعقل أسلوب حياتهم.

هذه الحياة هي منحة تحصلون عليها. أفليستم ترتزقون من ميزانية هذه الدولة؟ من ثروة هذا الشعب، من كدح العامل وتعب الفلاح؟ وأنتم تدعون الحرص الشديد على هذا الفلاح وعلى هذا العامل. إذاً، تواضعوا قليلاً لهؤلاء المساكين، واهتموا بهم. لقد كان ممكناً إنقاذ هؤلاء المساكين في موسم الشتاء المنصرم بمليون تومان تقريباً، هذا المليون ليس سوى قطرة من بحر. أنفقوا القليل على هؤلاء المساكين مما تحصلون عليه من أموالهم، حينها لن تضطروا إلى تخصيص كل هذه النفقات لتلك المؤسسات الأمنية الطويلة والعريضة، وليذهب موظفوها كلٌ إلى شأنه، فكفاهم هذا الترهل الذي أصابهم. كفاهم طفيلية. فليذهبوا ويقوموا بأداء عمل ما، فلا يصح أن يبقوا هناك كالأنعام همّها علفها، وحينها ستكونون أنتم أيضاً في حفظ وأمان، ولن يعارضكم عند ذلك أحد. سوف تهفو القلوب إليكم. حينها سيصدق الناس كلامكم، تماماً كما أجلس أنا هنا مرتقياً المنبر والسادة المحترمون يُنصتون لحديثي، ويصدقون كلامي. أما الآن فمهما قلت، فإنهم سيقولون: مجرد كلام فارغ حتى إذا قلتم حاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة، فسيقولون: لم نكن نعرف قبل الآن أن هذا الأمر فيه اشتباه ما!! جاءني قائلاً: "إنّ تلك الوزارة كانت تعاملكم هكذا، وكانت هكذا، وفعلت كذا وكذا، ونحن آسفون لذلك، وحسبك أنّ تلك الوزارة قد ولّت - بحمد الله - وجاءت بدلها وزارة أكثر أعضائها متدينون، وأبناء روحانيين وكذا وكذا وكذا". فقلت له: يا محترم، نحن لم نكن أعداءً لتلك الوزارة، كما أننا لا نوقع معكم عهد أخوة، إننا ننظر إلى أعمالهم، نحن هنا نراقب التصرفات، فإن كانت أعمالكم تكراراً لأعمالهم، فكما عارضنا رئيس الوزراء السابق، ولا زلنا نعارضه إلى يوم القيامة، وكما اسودّ وجهه إلى الأبد، فأنت ستصبح كذلك أيضاً! نحن على حالنا وسوف نعارضكم، أما إذا غيّرتم ذلك النهج، فنحن جميعاً مسلمون وإخوة. غيّرُوا نهجكم، والتزموا بأحكام الشريعة. بادروا إلى إلغاء اللوائح الباطلة المخالفة للشرع. إلتزموا بأحكام الدين، إلغوا اللوائح؟ أقول هنا، وقد قلت هناك: إلتزموا بأحكام اشرع، فإذا أصبحتم مسلمين مثلنا هكذا، وادعيتم أنكم مسلمون وملتزمون بأحكام الشريعة، فإننا فضلاً عن كفنا عن معارضتكم سنقوم بدعمكم..

وهل نقول نحن: يجب ألا تكون هناك حكومة؟! إننا نقول: لتكن هناك حكومة، ولكن لتكن خاضعة لقوانين الإسلام، أو أن تكون خاضعة للدستور في الأقل. نحن لا نقول بعدم وجود الحكومة، ولا نقول إننا نريد أن نعيش حياة كحياة إنسان الكهوف قبل آلاف السنين، فأبي روحاني قال لكم هذا؟! أي روحاني قال: إننا نعارض مظاهر التمدن، أعثروا على روحاني واحد يقول بهذا!!

أنتم حينما تُدخلون مظاهر التمدن إلى إيران، تخرجونها عن طبيعتها، بحيث تستعملون الحلال في الحرام، فهل صُنِعَ المذيع لهذه الأمور التي يُستعمل لها الآن في إيران؟! والتلفزيون هل صُنِعَ لأجل هذا الإبتدال الذي يروجونه هنا؟! وهل الحال في الدول الأخرى هي كذلك؟! هل تستخدم الدول المتقدمة هذه الوسائل الحديثة كما يستخدمها المسؤولون هنا! في بلادنا تنتشر تربية سيئة جداً، ثقافتنا ليست الثقافة التي تؤهل البلاد لمواصلة حياتها، فهذه الثقافة لا تصنع شاباً قوياً مليئاً بالحياة يقف بوجه الاستعمار، ويرفع يده بوجه الاستعمار ويضحى

لينقذ الشعب بأسره؟ هؤلاء يدمرون أعصاب الجماهير بهذا الصخب المبتذل الذي يروجونه هنا، وبهذه البرامج التي يضج بها الراديو والتلفزيون.

إنّ جميع مطبوعاتنا وصحفنا ومجلاتنا وكتبنا التي تنشر بيد الاستعمار، هو الذي يخطط لتعليم برامج به حيث يمنع من ظهور الشاب القوي المقتدر في بلادنا، الاستعمار هو الذي ينظم برامج الراديو والتلفزيون بشكل يجعل أعصاب الناس ضعيفة خائرة، فتفقد قوّتها وتماسكها، إنه الاستعمار، ونحن نخالف هذه المظاهر الاستعمارية، فهل نحن رجعيون، وأنتم التقدميون؟! قولنا نحن واحد لا نراعي فيه ولا جدال: إهدأ قليلاً يا سيد، وقل كلاماً منطقياً، وليس في الأمر إساءة. إجلس وتحدّث، إبعث أشخاصاً عقلاء لكي يتفاهموا معنا. لننظر أي مظهر من مظاهر التقدم نخالفه نحن! إننا نخالف الإفساد، نحن نقول: إنّ برامجكم الإصلاحية تعدّها لكم "إسرائيل" والشعب الإسرائيلي. أنتم حينما تريدون أن تعدّوا برنامجاً ما، فإنكم تستعينون بـ"إسرائيل".. فأنتم تستقدمون منها الخبراء العسكريين<sup>(١)</sup> وترسلون الطلبة إليها.. ليتهم أرسلوهم إلى أي مكان آخر، ليتهم كانوا يرسلونهم إلى أميركا، ليتهم كانوا يرسلونهم إلى إنكلترا، ولكنكم ترسلونهم إلى "إسرائيل"! وهذا ما نعارضه نحن.

نحن نقول: يا سيد، إنّ جميع الدول الإسلامية وقفت صفّاً واحداً بوجه الكفر وبوجه "إسرائيل"، إلّا أنتم وحكومة تركيا، وقفتم إلى جانب "إسرائيل" تؤيدونها. إنّ هذا التصرف ليس مناسباً، لا تثيروا أحاسيس الشعوب إلى هذا الحد، والله إنّ هذا مضرّ بكم. جميع المسلمين في جانب، ودولة إيران في الجانب الآخر. إنكم بذلك تشوّهون صورة الشعب الإيراني، وحينها سيظن الإخوة السنّة بأنّ الشيعة أتباع لليهود وعبيد لهم.

---

(١) تعود العلاقات السياسية بين إيران و"إسرائيل" إلى الفترة التي تلت عام ١٩٥٣ م، ففي سنة ١٩٦٠ م إعترفت الحكومة الإيرانية آنذاك بـ"إسرائيل"، وأقامت الحكومة الملكية علاقات دبلوماسية مع "إسرائيل"، وخلال تلك السنوات أوفد إلى "إسرائيل" كثير من ضباط الجيش وأموري "السافاك" للتلمذ على أيدي خبراء وأموري "الموساد" (مؤسسة التجسس الإسرائيلية)، كما انتدب العديد من الضباط والمأمورين الإسرائيليين إلى إيران لتنظيم أمور الجيش، ومنظمة أمن النظام (السافاك) وتدريب عناصر الملك. وفي أواخر العهد الملكي وصل حجم التبادل التجاري بين "إسرائيل" وإيران إلى حوالي ٤٠٠ مليون دولار سنوياً. وقد أوصى الملك بنفسه بشراء أسلحة من "إسرائيل" بقيمة ٦٠٠ مليون دولار. وبموجب الوثائق التي تم الحصول عليها بعد انتصار الثورة الإسلامية من وكر التجسس الأميركي فإنّ النظام الملكي كان عضواً في منظمة رسمية مؤلفة من الأجهزة الأمنية في إيران وتركيا و"إسرائيل" منذ عام ١٩٥٨ م تحت عنوان "حربة ذات ثلاثة رؤوس" (راجع وثائق وكر التجسس الأميركي التي أصدرها الطلبة الجامعيون السائرون على نهج الإمام).

أيها الناس! أيها العالم! إعلموا بأنّ شعبنا يرفض التحالف مع "إسرائيل"، وهذا الموقف ليس من شعبنا، ليس من علمائنا، فديننا يفرض علينا أن لا نؤاّد أعداء الإسلام. إنّ قرآننا يفرض علينا أن لا نتحالف مع أعداء الإسلام ضد جمع المسلمين. هذا ما نقوله نحن، أفهو رجعية يا محترم؟!

حسناً، لتأت وتجلس إلينا، ولنرى الرجعية أين هي. أنتم تدّعون بأنكم حكومة لبلد ذي تاريخ عريق يمتد ماضيه إلى ٢٥٠٠ عام، وما فتّتم تباهون بالعظام النخرة البالية<sup>(١)</sup> وتريدون بعث هذه الرفات لافتعال ما يمكن الوقوف به بوجه الإسلام. أيليق بكم بعد كل هذه المباهاة بتلك العظام، وبعد كذا وكذا، أن تقفوا صفّاً مع "إسرائيل" في مواجهة الأحكام الإسلامية وفي مواجهة المسلمين؟! وحينما نقول: لا تكونوا مع "إسرائيل"، نكون حينها قد ارتبطنا مع كذا! وأنّ "جوجو" جاء وجلب معه كذا<sup>(٢)</sup>؟ تعساً لهذا المنطق.. سوّد الله وجوهكم. هذا هو كلامنا، فأين الرجعية التي يرمينا بها هذا التافه؟! أين هي الرجعية من هذا الكلام؟!

إننا في أعلى مرتبة من التمدن، الإسلام قمة في التمدن، ومراجع الإسلام الإعلام في أعلى مقام من التمدن، لتذهبوا ولتطلعوا على أحوالهم. فهم موجودون هنا، وفي مشهد وطهران والنجف، ليذهبوا ولينظروا أي مرجع من مراجعنا رجعي؟ أيهم يقول بأنّ على الشعب أن يستخدم الدواب للتنقل. في حين يستخدم حضرات

---

(١) أطلق الملك محمد رضا لقب "آريا مهر" على نفسه، والتي تعني "نور العرق الآري" وألزم باستخدام التاريخ الشاهنشاهي، وأقام احتفالات مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الملكية في إيران، حتى يعمل على أحياء إيران القديمة وملوكها، ويقضي على الآداب والتقاليد الإسلامية. كما أنه امتدح في كتاب "مهمة من أجل وطني" ملوك إيران القدماء كثيراً.

(٢) منذ بداية النهضة كان الكثير من محبي الإمام يتوافدون من داخل البلاد وخارجها لزيارة الإمام، وذلك لإظهار دعمهم ومساندتهم، وكان يلاحظ بينهم الوطنيون والثوريون البارزون. وذات مرة زار الإمام شخص ادعى أنه دبلوماسي مصري في لبنان، وقد وصل إلى منزل الإمام بواسطة عالم دين إيراني، وقال هذا الدبلوماسي بأنه مكلف من قبل رئيس الحكومة المصرية جمال عبد الناصر بإبلاغ تحياته وتقديره للإمام - الذي اشتهر عنه معارضته لـ "إسرائيل" - وقد احتُمل أن يكون هذا الدبلوماسي مبعوثاً من قبل النظام الملكي الإيراني وجهازه التجسسي على ما أيدت ذلك بعض الشواهد. فجمال عبد الناصر كان يعدّ من الأعداء الرئيسيين لـ "إسرائيل"، في حين أنّ ملك إيران كان يعدّ مدافعاً قوياً عنها. لذا، فإنّ الإعلام الإيراني آنذاك كان يعتبر مصر عدو إيران الأول. ولغرض التأمّر على الإمام، وذرّ الرماد في العيون، قام النظام الملكي بنشر الخبر التالي في الصحف الصادرة في حزيران ١٩٦٣ م: "هبط في مطار "مهرآباد" شخص يدعى عبد اللقيس جوجو، أو "محمد توفيق القياسي"، قادماً من لبنان، ولما أثار شكوك رجال الأمن في المطار، فقد تم استجوابه وتفتيشه، فُعثر بحوزته على مبلغ مليون تومان، صودر منه لاحقاً. وقد اعترف بعد التحقيقات أنه جاء بهذا المبلغ من قبل جمال عبد الناصر لأشخاص معينين في إيران!

المحترمين الطائفة للتنقل هنا وهناك؟ أفلم يذهب أحد المراجع هذا العام بالطائرة إلى مشهد<sup>(١)</sup>؟ ألا يستخدم سائر المراجع السيارات في تنقلاتهم؟ وفي هذه السنة توجه جميع المراجع أيضاً إلى طهران<sup>(٢)</sup> - وسوف أتقدم بالشكر على هذا الموضوع لاحقاً - فهل ذهبوا إلى هناك وهم يمتطون الحمير؟ هل يرفض هؤلاء معطيات التمدن؟ نحن إنما ننهاكم عن هذه التصرفات. إننا جميعاً بعضنا من بعض، أبناء عائلة واحدة، أبناء بلد واحد. لماذا تريدون تحطيمنا؟ نحن دعامة مجانية لهذا البلد، ولا نحمل ميزانيتكم أي عبء. نتحمل الضرب والسجن والإضطهاد والتحقير والشتم، ورغم ذلك كله فنحن ركيزة ثابتة لهذه البلاد، فإذا داهم هذه البلاد خطر - لا سمح الله - فنحن صامدون بوجهه دون خوف، ليس كهؤلاء المحترمون! الذين يقولون: إننا نريد المحافظة على البلاد، وإننا هكذا! وإننا كذا!

---

(١) آية الله السيد هادي الميلاني، من المراجع المقيمين في مشهد آنذاك، سافر إلى طهران مع سائر العلماء والمراجع للاعتراض على اعتقال الإمام، واجتمعوا في منزل آية الله الخوانساري. والإمام يشير في حديثه إلى سفر آية الله الميلاني بالطائرة إلى طهران، وطرح هذا الموضوع البسيط أثناء الخطاب يدل على شدة الحملة الإعلامية ضد العلماء.

(٢) بعد إقدام النظام على اعتقال قائد الثورة الإسلامية بعد إذاعة التصريح الذي أدلى به "علم" (رئيس الوزراء) والذي هدد من خلاله بإقامة محكمة ميدانية لمحاكمة وإعدام المعتقلين. تحرك العلماء نحو طهران من مختلف أنحاء البلاد للإعراف عن استنكارهم وتنديدهم، فقد انطلق آية الله المرعشي والسيد الشريعتمداري وآية الله مرتضى الحائري من قم، وآية الله الميلاني والشيخ مجتبی القزويني من مشهد، والأخوند ملا علي المعصومي من همدان، والسيد علي البهبهاني من الأهواز، والحاج حسين الخادمي وباقر زند الكرمانی من أصفهان، وآية الله كمالوند من "خرم آباد"، وآية الله الصدوقي من "يزد"، علاوة على جمع آخر من علماء المدن في مختلف أنحاء البلاد (راجع "نهضة علماء إيران"، ج ٤، ص ١٣٢. وبعد التثام جمعهم في طهران أصدروا بياناً مهروه بعبارة "جماعة علماء إيران"، وقد أورد المصدر أعلاه نصه الكامل.

لعل السادة الحاضرين لا يذكرون، كيف فرّ هؤلاء المساكين من طهران إلى يزد<sup>(١)</sup> حينما دخل الحلفاء إيران، وأتحدى أن تعثروا على روحاني واحد كان قد فرّ حينها، وروحاني واحد، روحاني واحد فقط. لقد كنت في طهران يوم كانت الطائرات تحلق في سمائها، وتثير الذعر في قلوب الناس. رحم الله الشيخ حسين القمي (رضوان الله عليه) كنت أنا وهو نسير في "ميدان شاهبور"<sup>(٢)</sup>، وكان سماحته في غاية الاطمئنان غير عابئ بشيء ولا مكترث لشيء، وكنت أنا مثله - أو أقل منه قليلاً! - أما هؤلاء المساكين، هؤلاء العسكريين الذين يبالغون في تصوير قدراتهم، ويقولون: إننا نصنع كذا من أجل بلادنا. فهم يطلقون ادعاءاتهم هذه فقط حينما يكون هناك مجال لتحقيق المنافع والمكاسب، وحينما يتاح لهم التسلط؟ لكن لو انقلبت الأوضاع - لا قدر الله - قليلاً فإن أول الفارين هم أصحاب الرتب والنياشين، أما نحن فباقون هنا - والحمد لله - حتى النهاية إلا إذا جاؤوا هم واعتقلونا، وإلا فنحن موجودون.

هذه الجامعة الإسلامية التي ينوي هؤلاء إقامتها لا تعني أنهم قد تصالحوا مع الإسلام. كلا، إنها قضية المصحف الذي رُفع على أسنة الرماح أمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه)<sup>(٣)</sup> فقد انتصر معاوية على علي عليه السلام برفع القرآن على الرماح، ولو أنه كان قد تأخر دقائق أخرى وساعات أخرى، لما بقي أثر لبني أمية! لكنهم احتالوا عليه عليه السلام فجاءوا بالمصاحف وقالوا: "نحن مسلمون، وأنتم مسلمون أيضاً، نشهد أن لا إله إلا الله الله،

(١) في تمام الساعة الرابعة من صباح الإثنين ١٩٤١/٨/٢٥ م توجه سفير إنكلترا والاتحاد السوفياتي إلى منزل رئيس الوزراء آنذاك علي منصور لإطلاعه على اجتياح قوات الحلفاء للأراضي الإيرانية. وفي ليلة ١٣ أيلول أطلع رضا خان على أن الروس قد دخلوا "كرج" وهم في حركة سريعة نحو طهران. فتوجه وبمجرد سماع هذا الخبر مع سائر أفراد العائلة المالكة نحو أصفهان، ثم ومنها إلى "كرمان، ومن هناك إلى "بندر عباس"، حيث أرسل بالباخرة إلى منفاه. كما اختفى الوزراء والنواب وأمرأء الجيش أيضاً، الذين يفترض قيامهم بقيادة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن! واستسلم قائد فرقة خوزستان فور وصول قوات الحلفاء، مما مهد للقوات الأميركية التقدم على محور أهواز - دزفول. كما تخلى قادة قوات تبريز وجنودهم ومراتبهم عن أسلحتهم، وهربوا نحو الجبال، مما أتاح للروس السيطرة على تلك المنطقة دون مواجهة أي مانع، وقامت فرقة كيلان - التي أعطي قائدها في ما بعد نوط الشهادة! - بإطلاق عدة قذائف مدفعية، ثم بادرت بالهرب، واختفى قائد الفرقة الأولى الموجودة في مرزن آباد، وهربت فرقة مشهد نحو الصحراء من دون ماء وطعام.. (راجع "مذكرات الفريق حسين فردوست"، ج ١، ص ٨٧ وما بعدها.

(٢) ميدان شاهبور (ميدان الوحدة الإسلامية حالياً) من المحلات القديمة في طهران، تقع - بعد اتساع المدينة - في الجنوب قريباً من محطة القطار الرئيسية.

(٣) عندما رأى معاوية أن جيشه على وشك الإندحار أمام جيش أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين، أمر أفراد جيشه برفع المصاحف على رؤوس الرماح، ومطالبة الإمام علي عليه السلام بتحكيم كتاب الله. وكانت تلك حيلة ابتدعها عمرو بن العاص، قصد بها بث الفرقة والاختلال بين صفوف جيش الإمام علي عليه السلام، وقد نجحت حيلته تلك، فقد تخلى جيش الإمام علي عليه السلام عن الحرب، وطالبوه بقبول التحكيم. ولم تنفع نصائحه عليه السلام لهم. وانتهى الأمر إلى قبول التحكيم، وتبدل الانتصار الوشيك للإمام علي عليه السلام إلى انكسار وهزيمة (راجع "وقعة صفين"، وكذلك "الإمامة والسياسة").

وهذا هو القرآن" وهؤلاء الخوارج<sup>(١)</sup> التعساء الحمقى، المتدينون الحمقى الذين لم يقدروا الإمام عليه السلام حق قدره. فكم ألح أمير المؤمنين عليه السلام عليهم أن اصبروا قليلاً، ولكن دون جدوى! "كلا، لا يمكن، فهذا القرآن، والحكم لله، لا يمكن، لا يمكن، لا يمكن!". وكان نفس أصحابه يريدون قتله عليه السلام! فهؤلاء الخوارج كانوا أصحاب الأمير عليه السلام وكانوا أنصاره، غير أنهم حينما مكر أولئك ورفعوا المصاحف على الرماح قائلين: "والحكم بيننا وبينكم كتاب الله، الحكم كتاب الله"<sup>(٢)</sup> اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسل إلى أصحابه الذين كانوا يقاتلون، ويأمرهم بالرجوع، وقد طلب منه هؤلاء أن يمهلهم ساعة أخرى، فقال عليه السلام: سأكون مقتولاً حينها، فالقوم قد أحاطوا بي مصلتين السيوف، إن لم ترجعوا قتلوني!

وهكذا هزموا الإسلام بالقرآن، أفيمكن أن تهزموا الإسلام بجامعة إسلامية؟ أتظنون أننا سنسمح لكم بإقامة جامعة إسلامية؟ سوف نعتبر كل من ينتمي إلى تلك الجامعة فاسقاً وسوف يسقط ويفقد اعتباره بين الناس. هل يستطيع هؤلاء أن يجعلوا الإسلام والمسلمين وعلماء الإسلام تحت نظر وزارة الثقافة وإشرافها؟ تخساً وزارة الثقافة إن هي تدخلت في شؤون الدين والإسلام، وهل نسمح نحن بذلك؟! اللهم إلا إذا مات الخميني أو مات جميع مراجع الإسلام - لا سمح الله - فنحن إذا متنا، سقط عنا التكليف. وحتى إن حصل ذلك، فإن الشعب المسلم موجود بعدنا، الشعب المسلم حي ويقظ، وهو اليوم يستأنف حياته من جديد "بارك الله فيكم"، لقد أفاق الشعب المسلم، ولن يقرّ له قرار بعد الآن، وحتى إذا تراجعت أنا وانسحبت، فإن الشعب لن يستسلم أمامكم.

لا تخطئوا في حساباتكم، فحتى لو استسلم الخميني فإن الشعب المسلم لن يستسلم لكم. فنحن ما زلنا في ذات الخندق الذي كنا فيه، نعارض جميع اللوائح المخالفة للإسلام، والتي تمت المصادقة عليها وتم إقرارها. نعارض رغم جميع الضغوط التي تسلطونها على الشعب، ورغم كل التعسف، ورغم كل المعتقلين الذين سيقوا نحو المعتقلات بلاد أدنى مسوَّغ. فإننا نعارض استمرار الاعتقالات، أفنحن رجعيون لأننا نقول: ماذا فعل هؤلاء المساكين في "بندر عباس" فأقدمتم على إعدامهم؟ ماذا فعل أولئك الذين أرسلتموهم إلى "بندر عباس"؟ ماذا فعل أولئك الذين تحتفظون بهم في السجون والمعتقلات حتى الآن؟<sup>(٣)</sup> أفأكثر من أن هؤلاء البائسين قالوا لكم:

---

(١) الخوارج، جمع "خارجي"، وهو الشخص الذي يخرج على الحكومة الحقة. وأول مجموعة وُسِّمت بهذا الاسم هم مجموعة الجند التي خرجت عن طاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام في حرب صفين رافعين شعار "لا حكم إلا لله" هادرين بذلك دماء علي عليه السلام ومعاوية.

(٢) راجع كتاب "وقعة صفين"، ص ٤٨١.

(٣) إشارة إلى الحادثة المؤسفة التي وقعت عام ١٩٦٣ م، والتي تم خلالها إعدام اثنين من المجاهدين بجرم المشاركة في انتفاضة الخامس من حزيران. وقد تم تنفيذ الحكم في فجر الثاني من تشرين الثاني ١٩٦٣ بكل من الحاج إسماعيل الرضائي والطيب الحاج رضائي، فقد تمكّن الطيب من القضاء على شعبان الجعفري (المشهور



إعملوا بالقانون! تعالوا نعمل جميعنا بالقانون، لقد طالب كبرائهم بالعمل بالقانون. وهؤلاء المساكين هم الأقل شأنًا، ولا شك أنهم يتصرفون تبعاً لقادة المسلمين وللإسلام. أفرضوا أنهم قالوا كلمة، أفهل يتحتم أن يقضوا بقية أعمارهم منفيين في "بندر عباس"؟ أصلحوا أنفسكم قليلاً أيها السادة! تخلّوا عن هذه البربرية، كفوا عن هذه الأعمال الهمجية الوحشية، لا تكونوا رجعيين إلى هذا الحد. كونوا متمدنين، تقدميين، وانهضوا بالبلاد، وعاملوا المواطنين باحترام، لا تزيدوا الناس بؤساً، لا تجعلوا جامعاتكم تتلف الشبان بمناهجها. إجعلوا من شبابنا شباباً مقاتلين، ربّوا شبابنا على الصمود بوجه الاستعمار، نحن الرجعيين نقول بهذه الأمور!

تأملوا في أعمالكم، وانظروا إن كنا نحن رجعيين! فها أنتم أيها التقديميون تواصلون إفساد شبابنا المساكين، مجموعة بعد أخرى، فمدارسكم ليست المدارس السليمة التي يمكن الاطمئنان إليها، وبرامجكم ليست سوى استعمارية، ليس فيها غير اللعب واللهو البرامج، كلها مباريات لكرة القدم! كلها عبث! فهل أنّ البرامج التربوية في باقي البلدان هي هكذا أيضاً؟ وإن كانت كذلك فمن الذي صنع القنبلة الذرية؟ ومن الذي صنع الطائرات؟ يقولون إنّ بلدنا بلد متقدم!! إنّ الأنابيب المستخدمة لإسالة الماء في قم، غير صالحة للاستعمال،

---

بالجنون) ومجموعته التي كانت تعمل لصالح النظام الملكي، وذلك خلال أحداث انتفاضة الخامس من حزيران. كذلك فإنّ الحاج إسماعيل الرضائي كان من المؤمنين التحرريين الطهرانيين.

وقد عرض النظام الملكي كلا الأخوين إلى أقصى أنواع التعذيب الروحي والبدني مطالباً إياهما بالاعتراف بأخذ الأموال من الإمام، ولما ثبت لعناصر النظام شدة مقاومتهما بادروا إلى قتلتهما. وإثر انتشار خبر شهادتهما عطّلت الحوزة العلمية أعمالها. كذلك فقد تجمع العديد من المجاهدين المعروفين ورجال السوق الملتزمين، وعلماء الدين في اليوم السابع من شهادة الأخوين، وذلك تحت عنوان "الهيئات الإسلامية المؤتلفة" وأصدروا بياناً بالمناسبة جاء في جانب منه: "تم في فجر يوم السبت إعدام اثنين من أبطال إيران اللذين تحمّلا أشد أنواع التعذيب غير الإنساني دون أن يكونا على استعداد للاعتراف الكاذب بما أملت عليهما مديرية الأمن، والذي أريد به الإساءة إلى علماء الدين، وسوف يبقى اسمهما علامة بارزة تزيّن صفحات تاريخ الجهاد ضد الأجنبي".

وتجدر الإشارة إلى أنّ عدد المعتقلين في مسألة الطيب والحاج إسماعيل هو ١٧ شخصاً طالبت المحكمة العسكرية التي قدّموا إليها بإنزال حكم الإعدام بهم جميعاً، غير أنّ المحكمة حكمت خمسة منهم بالإعدام، ثم نجا ثلاثة منهم. وبقي جمع من المعتقلين في تلك الحوادث في السجن حتى انتصار الثورة الإسلامية.

وذلك نقلاً عن اعترافات أحد شهود المحاكمة - وهو "سبهد دولو قاجار" (الحاكم الذي حكم على الطيب والحاج إسماعيل) - والتي أدلى بها أمام محكمة الثورة الإسلامية في طهران (راجع صحيفة "جمهورية إسلامي" الصادرة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٩).

الأنها صناعة إيرانية؟! بلاد متقدمة!! أنتم لم تستطيعوا الترقّي لأكثر من مستوى صناعة الأباريق! "رزم آرا"<sup>(١)</sup> كان يقول: إننا لا نحسن سوى صناعة الأباريق، فقتلوه. أهذه بلاد متقدمة؟! إنّ هذه البلاد المتقدمة محتاجة للخارج في كل شيء! تستقدم الخبراء من "إسرائيل" وإلا! ترسل الأشخاص إلى "إسرائيل" لكي يتعلموا! ذهب الكادر البلدي من قم هذه السنة إلى هناك، البعض ذهب من قم، طبعاً هم الذين أرسلوهم لكي يتعلموا شيئاً ما هناك "كأنني بذلك منشور في صحيفة ايشلا ايشلا إستوار استوار"<sup>(٢)</sup> وإني لفي حيرة! ماذا يريدونهم أن يتعلموا من اليهود؟! لا بد أنهم يريدونهم أن يتعلموا منهم الغش، سيتعلموا منهم الخديعة والإحتيال، ماذا يريدون أن يتعلموا منهم؟! هل هذه بلاد متقدمة! ماذا تقول؟ ماذا تقولون؟ أفهل يكون التقدم بالألفاظ، أم بإرسال بضع نساء إلى المجلس؟! ما التقدم الذي حققه لكم الرجال حتى الآن، لكي تلجأوا إلى النساء؟! نحن نقول إنّ إرسالهنّ إلى تلك المراكز لا يؤدي إلّا للفساد! واصلوا أنتم تجربتكم، وانظروا بعد عشر سنوات من إرسالهن، وبعد عشرين سنة، وبعد ثلاثين سنة، كما تشتهون، فسوف لن تجدوا شيئاً آخر قد تحقق غير الفساد! إننا لا نعارض رفع مستوى النساء، إنما نعارض هذه الفحشاء، نعارض هذه التصرفات الخاطئة. وهل أنّ الرجال أحرار، حتى تريدوا تحرير النساء؟ وهل يمكن تحقيق الحرية للرجل والمرأة بالألفاظ؟ وهل حقاً أنّ النساء والرجال أحرار؟ أحرار في ماذا؟

وإني عاجز عن تقديم الشكر إلى جميع مسلمي الشعوب الإسلامية، كما أنني عاجز عن تقديم الشكر إلى الشعب الإيراني العظيم بجميع طبقاته وشرائحه - ممن تعاونوا معنا وحزنوا لحزننا - وأتقدم بالشكر الجزيل لمراجع التقليد العظام الذين تجشّموا العناء بذهابهم إلى طهران، وتعرّضوا للإستخفاف والإهانة هناك، ونالهم من التعب ما نالهم.

لقد تجمع المراجع العظام والعلماء الأعلام في العاصمة وأفدين من مختلف أنحاء البلاد من مشهد، ومن الأهواز وقم. تجمّع مراجعنا، ووقفت "النجف" معنا<sup>(٣)</sup> وأيدنا من بقي من قم أيضاً. تآزر الجميع ففهم الآخرون بأننا شعب حي، وإننا مستعدون لتحمل كل المصاعب من أجل نيل الحرية لهذا الشعب؟ بعضنا يسجن، والبعض

---

(١) "سبهد علي آرا" قائد قوات المشاة في عهد محمد رضا بهلوي، تولى رئاسة الوزراء في تموز عام ١٩٥٠ م رافعاً شعار "إصلاح الجهاز الحكومي"، وتقوية السلطة القضائية. وكان من المعارضين لإقرار لائحة تأميم النفط، وقال في مجلس الشورى مقولته المشهورة: "إنّ الإيراني الذي يعجز عن صناعة الأباريق كيف سيتمكن من إدارة مؤسسات النفط بعد تأميمها". تم اغتيال "رزم آرا" بتاريخ ٧ آذار ١٩٥١ في مسجد الملك (مسجد الإمام الخميني حالياً) على يد خليل طهماسبی، أحد أعضاء حركة "فدائيو الإسلام".

(٢) راجع صحيفة "إستوار"، العدد ١٦، بتاريخ ١٩٦٣/٥/٥ م.

(٣) بعد اعتقال الإمام الخميني وسفر مجموعة من العلماء والمراجع إلى طهران للاعتراض على ذلك، تخلف آية الله الكلبيكاني عن هذا الجمع، وبقي في قم.

الآخر يضطهد، والبعض يتحمل ويتعرض للإهانة والشتائم والسباب. نحن مستعدون لكل الصعاب. والآن فإن أصحاب السماحة المراجع العظام شرفونا الآن بحضورهم شخصياً - كثر الله أمثالهم - كما حضر مراجع النجف الأشرف - كثر الله أمثالهم أيضاً - ومراجع طهران ومشهد - كثر الله أمثالهم - أن الإسلام ليس بالدين الذي يعتنقه شخص أو اثنان. الجميع جنود الإسلام.. الجميع جنود الإسلام.. وجميع العلماء يضحون بأرواحهم في سبيل الإسلام، ولا يمكن إلا أن يكونوا كذلك. والجميع على أثرهم - والحمد لله - فقد تآزروا جميعاً سواء من ارتأى أن يؤدي تكليفه باللين، أو من ارتأى أداء تكليفه بالشدة والحزم، فجميعهم منا.

إنّ لساني عاجز عن تقديم الشكر لهذه الأعلام الشامخة، ولهؤلاء العلماء العظام، ولا يسعني إيفاءهم حقهم من الشكر - حفظهم الله (تبارك وتعالى) وأدام ظلهم على رؤوسنا ورؤوس المسلمين - إننا جميعاً وجود واحد.. أفراد متعددون ورأينا واحد. جميعنا شيء واحد، إننا وجود واحد. فلا يتسرّب إليهم الظن، ولا يتوهمن أحد أن بإمكانه بثّ الفرقة بين علماء الإسلام ببثّ بعض السموم. إنّ من المحال وقوع هذا الأمر، فنحن جميعاً يد واحدة؟ ونحن صف واحد في الذبّ عن الإسلام، والذبّ عن استقلال إيران، وعن كيان الإسلام. جميعنا وجود واحد، وجميعنا صوت واحد. فلا يظنّ أحد من أبنائنا بأن هناك اختلافاً بيننا - لا سمح الله.

وإنني أقدم نصيحة لأبنائنا الطلبة، الطلبة الشبان الجدد المتحمسين والحادين في تعاملهم مع الأحداث فأقول: أيها الإخوة، إنبهوا، فلو أراد أحد أن يوجه إهانة إلى أحد مراجع الإسلام - ولو بشرط كلمة.. بشرط كلمة - فإنّ الولاية ستنتقطع بينه وبين الله تبارك وتعالى. أفتحسبون أنّ هذا أمر هين؟ أتحسبون شتم أحد مراجعنا العظام أمراً هيناً؟ إنّ هذه النهضة العظيمة إذا تعرضت إلى نكسة بسبب بعض التصرفات الرعناء، فإنكم تستحقون العقاب من قبل الله تبارك وتعالى. ومن العسير أن تقبل توبتكم، لأنّ الضربة هذه المرة ستصيب كرامة الإسلام واعتباره.

لو أنّ شخصاً ما وجه لي إهانة.. لطمني على وجهي.. ولطم أولادي على وجوههم، فإنني أقسم بالله بأنني لا أرضى أن يقف أحد بوجهه للدفاع عني<sup>(١)</sup> إنني أعلم أنّ البعض يهدف إلى بثّ الفرقة في هذه الجماعة، إما جاهلاً أو قاصداً، والفرقة في هذه الجماعة معناها أن يتعرض الإسلام إلى التعثر - لا سمح الله - وبذا تتحقق للاستعمار آماله. إننا يجب أن نضحي بأنفسنا من أجل الإسلام، ويجب أن نجعل آمالنا وأمانينا فداءً للإسلام. إنّ جميع المراجع قد تخطت أعمارهم السنين. فإذا كان مقدراً أن يموتوا في العقد السابع من أعمارهم، فإنّ هذا العقد إما أن يكون ميموناً أو مشؤوماً، فإذا قُتلنا في هذا العقد في سبيل الله فهو عقدٌ ميمون. وإذا تعلقنا بآمالنا

---

(١) نتيجة للسلوك المحتاط الذي مارسه بعض المراجع، وعدم تصديهم للممارسات الملكية كما فعل الإمام الخميني، إنبرى عدد من الطلبة لانتقاد ذلك، وتوجيه الإهانات اللفظية في بعض المجالس والتجمعات للمراجع العظام، مما حدا بالإمام الخميني إلى الدفاع عن حرمة المراجع، والدعوة لحفظ وحدة الحوزات العلمية كما هو جلي في هذا الخطاب.

وأمانينا، فهو عقد مشؤوم. إنّ جميع المراجع قد جاوزوا الستين من أعمارهم، فهل يمكن لمن ابضت رؤوسهم في الإسلام أن يخالفوا مصالح الإسلام بأفعالهم؟ لا يمكن يا أخي، وإذا حصل اختلاف في الإجتهد كما هو الحال في سائر المسائل الشرعية، فإنّ على الأبناء والشبان أن لا يتدخلوا، فذلك أمر خطير، والعدو يقظ ومتربص بنا. يجب أن تثقوا بأنّ شتم أحد المراجع هو شتم للمجتمع الإسلامي، وإهانة للمجتمع الإسلامي بأسره.

إني ومن مكاني هذا، أقبل أيادي جميع المراجع.. جميع مراجعنا المتواجدين هنا، أو في النجف، أو في سائر البلاد، في مشهد وطهران، وأينما كانوا. إني أقبل أيادي جميع علماء الإسلام. إنّ الهدف أسمى من هذه الأمور يا أخي. إني أمد يد الأخوة من مكاني هذا إلى جميع الشعوب الإسلامية، وإلى جميع مسلمي الدنيا، في شرق هذا العالم أو في غربه، وحيثما كان هناك مسلمون، فإني أشد على أيديهم أجمعين.

إننا تبعٌ لجميع علماء الإسلام، وأنتم أيضاً عليكم أن تطيعوا علماء الإسلام جميعاً.. جميعاً. علينا أن نكون مطيعين لعلماء الإسلام. كذلك فإني أود تنبيه الأخوة المحترمين..

طبعاً لا أقول بأنّ حادثاً ما قد وقع، فلا شيء هناك أبداً - إن شاء الله - ولكن الشبان الياfeين قد يملكهم الغضب أحياناً من هذه الأمور.

أخي، إننا أبناء شعب واحد، وأبناء بلد واحد، ومعتنقون لديانة واحدة، ومجتمعون حول خوان واحد.. فكلنا مجتمعون حول مائدة نعمة الباري (جل وعلا)، وعلينا جميعاً أن نشكر نعمة وجود أمثال هؤلاء المراجع العظام بيننا. فلنشكر الله (تبارك وتعالى) على وجود أفراد مرموقين كهؤلاء. وعلينا أن نعرف قدرهم، فعزتهم هي عزة الإسلام، وإهانتهم هي إهانة للإسلام. إنبهوا.. فإياكم وتوجيه إهانة إلى أحد المسلمين، أو أحد المراجع، أو أحد المؤمنين، مما يثير سخط الباري (جل وعلا). فإني أخاف أن يأخذنا الله (تبارك وتعالى) يوماً ما أخذ عزيز مقتدر.<sup>(١)</sup>

إنّ قضايانا لا يستوفيها هذا الكلام، فالحديث طويل، غير أنني لم أعد قادراً على مواصلة الحديث. لذا، أسأل الله (تبارك وتعالى) أن يوفّق جميع العلماء لخدمة الإسلام، وأن يحفظ جميع مراجع الإسلام بحفظه، وأن يديم ظل مراجع الإسلام على رؤوسنا ورؤوس المسلمين، وأن يثبت الإسلام. والسلام عليكم.

(١) مقتبس من الآية ٤٢ من سورة "القمر" قوله تعالى: ﴿كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾.

## هوية الخطاب رقم (١٥)

إيران/ قم / المسجد الأعظم، في ٢ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ، الموافق ١٩٦٤/٩/٩ م.

- الموضوع: خطر النفوذ الإسرائيلي في إيران، ومؤامرات الاستعمار في البلدان الإسلامية.

- المناسبة: بداية الفصل الدراسي في الحوزة.

- الحاضرون: الطلاب والعلماء والكسبة وسائر الشرائح من أهالي قم .

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بينما كانت الصحافة الإيرانية - وكما هو حالها المعتاد - تنشر في الصفحات الأولى وبعناوين بارزة أخبار المنافسة الانتخابية لرئاسة الجمهورية الأميركية التي وافقت أيلول ١٩٦٤ - وهذا الأمر بذاته دليل على ارتباط النظام الملكي بسياسات البيت الأبيض - كان الملك يحاول طمأنة رئيس الجمهورية الأميركية المرتقب بأن حركة ٥ حزيران قد قُمت، وأنّ الأرضية مهيأة من كل الجوانب لتنفيذ المشروع الأميركي الموسوم بثورة الملك والشعب، وإحياء لائحة الحصانة. وفي تلك الأيام كانت أميركا تمهّد لهجوم جوي واسع على فييتنام، وكانت أزمة قبرص والنزاع القومي، والاختلافات الشديدة بين تركيا واليونان في هذه المنطقة قد بلغت ذروتها. كما أنّ مشكلة الشرق الأوسط، واحتلال الأراضي الفلسطينية من قبل "إسرائيل"، وتشريد سكانها، وإخراجهم كانت تأخذ أبعاداً جديدة. فمؤتمر القمة العربي الذي عُقد في أيلول ١٩٦٤ كان يستهلك وقته في بحوث فرعية، والتكتل الداخلي، والحديث عن اتحادات وهمية.

في هذا الوقت، كان النظام البهلوي يمتنع عن إبداء مواساته للفلسطينيين المظلومين وجبهة الإسلام أمام "إسرائيل"، وكان يعمل وعن طريق وسائل الإعلام<sup>(١)</sup> على إثارة المشاعر القومية، وتشديد حالة العداء بين إيران والعرب والأتراك بطرح تهمة ادعاء عبد الناصر بخوزستان - كما تقدم في هوية الخطاب ١٤ - وحول مساعدة ناصر للأسقف "مكاربوس" في قبرص. وي نفس الوقت، أقدم على فتح الطريق لتنامي نفوذ عملاء "إسرائيل" وتسلّطهم على المراكز الحساسة في البلد، وذلك عبر تغييره نص القسم الذي كان يدلي به العسكريون، وخطوات من هذا القبيل. وهذا كله كان يتم تحت غطاء من الإعلام المضلل للصحافة ووسائل الإعلام تحت عنوان الإصلاح الزراعي، والثورة الكبيرة للملك، وتأسيس حزب إيران الحديثة و..

وفي اليوم الأول من بدء الفصل الدراسي في الحوزة العلمية في قم ٩ أيلول ١٩٦٤، ألقى الإمام قدس سره كلمته هذه في وقت لم يمضِ على إطلاق سراحه أكثر من عدة أشهر. وقد خصصها لشرح الأوضاع المؤسفة التي يمر بها المجتمع الإسلامي، وكشف عمالة الملك للنظام المحتل للقدس، والمشروع الأخير الذي أقدم عليه النظام (تغيير القسم الذي يدلي به العسكريون).

(١) أنظر إلى مقالات وتقارير الصحف في شهري آب وأيلول ١٩٦٤.

كان تغيير القَسَم في الجيش من الدسائس الخطيرة التي قام بها نظام الملك بإشارة من الخبراء الأميركان. حيث وضعوا القَسَم بـ"الكتاب السماوي الذي أعتقد به" بدل القَسَم بالقرآن المجيد، حتى تتاح الفرصة للمرتزقة الصهاينة في إيران - والذين كانوا يعملون باسم "البهائية" - دخول السلك العسكري رسمياً، واحتلال المناصب الحساسة في الجيش بشكل علني ورسمي.

وقد أخبر بعض المسؤولين العسكريين الإمام ﷺ بهذه الخيانة الكبيرة. فغضب كثيراً، وقرر الكشف عن هذه الخيانة، والإعلان عن الأعمال التي تحصل في إيران لتكريس تسلط العملاء للأجانب ومواجهتها.

أما نظام الملك الذي كان يخاف من الإنعكاسات الخطيرة لهذا الموضوع بين الجماهير المسلمة في إيران، فقد قرر الوقوف أمام إقدام الإمام ﷺ على نشر هذا الموضوع على الملأ، لذا فقد أرسل في شهر أيلول ١٩٦٤ ممثلاً عنه إليه، وادعى بأن هذه الشائعات إنما يروج لها المناوئون للنظام لغرض إيجاد الاختلاف بين العلماء والحكومة. وفي اليوم التالي، وإثر تحذير الإمام، نُفي هذا الخبر بشكل رسمي في الإذاعة.

في تلك الأيام، تنامى إلى علم الملك بأن من المقرر أن يقوم الإمام ﷺ بإلقاء كلمة تحضرها جموع كبيرة من أهالي طهران والمدن الأخرى، لذا فإنه ولغرض إيجاد الرعب والخوف في محيط الحوزة العلمية، أرسل عدة آلاف من القوات الخاصة والجنود إلى قم بحافلات شركة نقل الركاب، وقام العسكر بالإستقرار في أطراف المسجد الأعظم والمدرسة الفيزية وساحة الآستانة والمراكز الحساسة الأخرى في المدينة، مما أعاد إلى الأذهان الأحداث المؤلمة التي وقعت في ٥ حزيران. ومن دون الالتفات إلى هذه المناورات، ألقى الإمام ﷺ كلمته التي ذكر فيها خيانات النظام للإسلام والنفوذ المتزايد لعملاء "إسرائيل" في إيران، وطلب من الجيش صراحة أن يتعاون معه لإخراج عملاء "إسرائيل" من الجيش.

وخصص جزءاً آخر من كلمته المؤثرة على التأكيد على أهمية تسليم وزارة الثقافة إلى العلماء. وكذلك نصب محطة إرسال خاصة بالعلماء. واقترح هذين الأمرين بشكل رسمي على النظام، دليل على بعد نظر الإمام، ورغبته في المشاركة الرسمية في الشؤون السياسية والثقافية والإعلامية في البلاد.

كان الإمام يريد - بالإضافة إلى الكفاح السلبي مع النظام - المبادرة إلى مجموعة نشاطات للحصول على أجزاء من شؤون البلد، بهدف إسقاط النظام.

ومن الفقرات المهمة في هذا الخطاب الذي ألقاه قائد الثورة: الإنتقاد الشديد لرؤساء البلدان الإسلامية، وتحذيرهم، وضرورة تجنب البحث في المسائل التي تؤدي إلى إشغالهم عن التفكير في المسائل الأساسية. فقد دعا سماحته زعماء البلدان الإسلامية إلى تناول المسائل المتعلقة بتحرير الأراضي الفلسطينية. وأشار في خطابه إلى تاريخ الحضارة الإسلامية، وأوضح مؤامرة أعداء الإسلام بعد الحرب العالمية الأولى في إيجاد الإختلال بين البلدان الإسلامية، والتي أدت إلى تقسيم الدولة العثمانية، مؤكداً على ضرورة إعادة المجد والعظمة للمسلمين في ظل الوحدة والعودة إلى الثقافة الإسلامية الغنية.

وفي الجزء الأخير من خطابه الطويل، هاجم الإمام عليه السلام الإعلام المضلل والمضاد للإسلام من قبل النظام الملكي، وأكد على اتفاق طبقات المجتمع المختلفة مع العلماء. كما أشار إلى أن الشعب لو لم يكن تحت الضغط والقوة لانتقاد بأجمعه إلى العلماء.

إنّ هذا الخطاب - وكما هو الحال بالنسبة للخطابات الأخرى للإمام عليه السلام - يوضح الرؤية الدقيقة للإمام، وتديره العالي في كافة المسائل. وقد كان له صدى واسع في إيران والحوزات الدينية. كما دفع الملك أزالاه نحو اتخاذ المواقف الإنفعالية. ومع أنّ مسألة تغيير صيغة القسم في السلك العسكري قد انتهت قبل هذا الخطاب نتيجة التحذير السابق للإمام، إلّا أنّ النظام الملكي، لم يتجرأ بعد ذلك أبداً على الإقدام على أمثال هذه الأمور. إنّ كلمة قائد الثورة أثبتت أنّ الإمام لو كانت لديه فرصة كافية، ولو أنّ الجهاز الرجعي والاستعماري لم يفرّق بينه وبين أتباعه المضحين، ولو أنه لم يُنفَ إلى النجف، لأقدم على تطبيق برامج جدية وواسعة لإنقاذ الجماهير المسلمة - على مستوى العالم الإسلامي - من قبضة الاستعمار والإستبداد، وكان قد تابع رسالته التاريخية في إنقاذ البلدان والشعوب الإسلامية من سيطرة الأجانب، وتوحيدهم تحت راية التوحيد، بشكل جدي وبسرعة أكثر.

## الخطاب رقم (١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

اللهم احفظ ألسنتنا من الهذر والجدال واللغو والكذب. اللهم نور قلوبنا بنور الإسلام ومعانيه الروحية السامية. اللهم منّ على حكام البلدان الإسلامية ورؤساء جمهورياتها وممثلي مجالسها النيابية ورؤساء الوزراء والوزراء فيها، ورؤساء الجامعات والمسؤولين والموظفين بالأسماع الواعية.. اللهم اجعلهم من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾. (١)

لا يسعني في هذا الوقت القليل مع ما أعاني منه من ألم في صدري (٢) أن أنقل لكم ما يجول بخاطري، لذا أقصر على التحدث إلى الشعب وإليكم أيها الإخوة عن أهم القضايا.

---

(١) في الأرشيف الصوتي لدى المؤسسة تم تسجيل هذا الدعاء كمقدمة للخطاب رقم (١١)، إلّا أنه يتناسب في مضمونه وسياقه مع الخطاب رقم (١٥)، وقد أوردت بعض الكتب المهمة بتراث الإمام، مثل "صحيفة النور"، هذا الدعاء في بداية كلا الخطابين.

(٢) إنّ الوقائع المرّة التي شهدتها الأعوام ٦٢، ٦٣، ١٩٦٤، وخاصة فاجعة الخامس من حزيران والممارسات الملكية المعادية للإسلام، والمشكلات التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي عموماً، تركت أثرها البالغ على روح الإمام وجسمه، فأصبح يعاني من ضغط روحي شديد، ومن أمراض بدنية، وألم في صدره دام سنوات طويلة (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٦).

إنني في غاية الأسف على الأوضاع التي تمر بها البلدان الإسلامية عموماً، والأوضاع التي تمر بها إيران خصوصاً. إن حكومات البلدان الإسلامية واقعة بأجمعها - ملوكاً ورؤساء وجمهوريات ورؤساء وزراء - تحت تأثير الاستعمار، كما أنها غافلة عن أهداف الإسلام. فهم يفتقرون إلى المعرفة والإطلاع على المسائل الإسلامية، ولا يريدون أن يتعرفوا على أحكام الإسلام. وهم والحال هذه سوف لا يتمكنون من إدراك شمولية ما جاء به الإسلام لعامة البشر، ولن يتصوروا أي مرتبة سامية سيبلغونها إن هم تقيّدوا بتعاليمه.

إن الحكومات الاستعمارية - التي تهدف لنهب ثروات المسلمين - تحاول بمختلف الوسائل، وبأنواع الحيل استغلال البلدان الإسلامية وقادتها، وبذر بذور الخلاف بين الشيعة والسنة أحياناً. الأمر الذي جرّبوه حتى مع غير المسلمين من شعوب بعض بلدان الشرق، فيقال إنهم كانوا يلجأون في الهند وبمناسبة عيد الأضحى المبارك، مثلاً، إلى بيع المسلمين عدداً من الأبقار المقدسة لدى عبّاد البقر بأسعار زهيدة، ويدفعونهم لذبح تلك الأبقار - المقدسة لدى تلك الطوائف<sup>(١)</sup> - ثم يقولون لأولئك: إن المسلمين قد ذبحوا أبقاركم المقدسة. فيقع الاضطراب والفوضى بين الهندوس والمسلمين، وهكذا وبهذه الأساليب يثّون الفرقة بين مختلف الطوائف الهندية، ويستفيد المستعمرون من تلك القلاقل، بأن يتلعبوا الشرق بأكمله. وكذا في البلدان الإسلامية، فهم يلجأون إلى إثارة بعض الأمور باسم الإسلام، وباسم المذاهب، فينشرون الدعايات المغرضة، لتتشغل فرق المسلمين ببعضها، وينشئون من الأمور ما يؤدي إلى اقتتال المسلمين فيما بينهم كمسألة الاختلاف بين الشيعة والسنة، وتتاح الفرصة لهم بعد ذلك أن يضعوا أيديهم على ثروات المسلمين دون أن يستطيع المسلمون القيام بأي رد فعل.

إن المسلمين هم أولئك الذين وسع مجدهم الدنيا بأسرها ذات يوم، وكانت حضاراتهم أرقى الحضارات، ومعنوياتهم أعلى المعنويات، ورجالهم أبرز الرجال، ودولتهم أكثر الدول اتساعاً. وقد حكموا معظم أرجاء العالم. لذا، فقد رأى هؤلاء أنهم لن يتمكنوا مع وجود تلك القوة الإسلامية، وتلك الوحدة بين المسلمين أن يفرضوا على المسلمين ما يريدون، ولا يمكنهم الإستحواذ على ثرواتهم من ذهب أسود وأصفر، فراحوا يفكرون فيما يمكنهم من ذلك. وكان قرارهم الأخير هو السعي لتجزئة البلاد الإسلامية. لعل أكثركم، أو بعضكم يتذكر الحرب العالمية الأولى، وما فعله أولئك بالمسلمين وبالدولة العثمانية العظمى<sup>(٢)</sup> تلك الدولة التي كانت تستطيع إذلال الإتحاد السوفيتي لو أنه واجهها. فلم تكن سائر الدول بقادرة

---

(١) إشارة إلى طائفة الهندوس. والديانة الهندوسية من الأديان الرئيسية في الهند، وهي طائفة تقُدس البقرة، وتعتبر ذبحها أو أكلها من الذنوب.

(٢) بعد اغتيال ولي عهد النمسا، وإعلان الإمبراطورية النمساوية الحرب على حكومة الصرب في عام ١٩١٤ م اشتعلت الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء من جهة (ألمانيا، النمسا، الدولة العثمانية وبلغاريا) ودول المحور من جهة أخرى (فرنسا، بريطانيا، روسيا، بلجيكا، دولة الصرب، اليابان، إيطاليا، رومانيا، البرتغال، الصين وأميركا) وقد انتهت هذه الحرب عام ١٩١٨ م بهزيمة الحلفاء، وقيام الطرف المنتصر باقتسام الإمبراطورية العثمانية التي عمّرت خمسة قرون ونصف. إذ لم يبقَ منها إلا تركيا الحالية.



على مواجهتها. لقد امتد نفوذ الدول العثمانية على مناطق واسعة من الشرق إلى الغرب، وقد أدرك المستعمرون أنهم عاجزون عن مواجهة دولة إسلامية بتلك القدرة، ونهب ثرواتها. فلما تحقق لهم الانتصار عليها في الحرب العالمية الأولى، لجأوا إلى تجزئة الدولة العثمانية إلى دويلات صغيرة جداً، ونصبوا على كل واحد منها أميراً أو ملكاً أو رئيس جمهورية. وهؤلاء طبعاً كانوا في قبضة الاستعمار، والشعوب المسكينة في قبضتهم، وبذلك استطاعوا القضاء على تلك الدولة العظيمة. ومن المؤسف أن الحكومات الإسلامية غارقة في نومها لا ترضى أن تستيقظ منه، إن لم نقل إنها فضّلت النوم.

لقد بلغت الدولة العثمانية مجدها ذاك برفعها لواء الخلافة الإسلامية، وباستنادها إلى القرآن المجيد، أما بعد تجزئتها في عصرنا الحالي، في عصر "أتاتورك"<sup>(١)</sup> الخبيث، فقد تم إلغاء الإسلام في عاصمتها السابقة. إذ أن حكومة تركيا ليست حكومة مسلمة الآن، وتركيا لا تعامل على أنها دولة إسلامية، فليس فيها مراسم دينية أو ما شابه، والحكومة غير ملتزمة بالأحكام الإسلامية. وإن كان الشعب التركي المجيد مسلماً في حقيقته. فالمسلمون الأتراك يشكلون النسبة الأعلى من بين الحجاج في مكة المكرمة خلال موسم الحج سنوياً.

دولة مثل الدولة العثمانية بلغت مجدها ذاك بالاعتماد على الإسلام، لذا فإن أولئك المستعمرين أدركوا أن الاستناد إلى اسلام أمر في غاية الخطورة، فلا يمكن معه تدمير البلاد الإسلامية، فأسقطوا اعتبار الإسلام في تركيا، وكما ترون الآن فليس ثمة مسلم يستنكر قتل الأتراك في قبرص، وإن هذا لما يؤسف له حيث لا يوجد من يبالي أو يستنكر من حكام البلدان الإسلامية. فإذا تعرضت دولة إسلامية لهزيمة في المواجهة مع النصارى، أو إذا تكبدت خسائر وقتلى، فالدول الإسلامية الأخرى غير مكترثة لذلك<sup>(٢)</sup> وحتى لو وُجد من يظهر أسفه

---

(١) مصطفى كمال باشا (١٢٩٩ - ١٣٥٧ هـ) الملقب بـ"أتاتورك" والتي تعني: أبو الأتراك. كان قائداً لقوة الدردنيل الدفاعية في الحرب العالمية الأولى، ثم تمرد على الدولة العثمانية بتحريك من الإنجليز، وتسّم الحكم فأبدل الملكية العثمانية الدستورية بجمهورية، وسَمّى المتبقي من الدولة العثمانية باسم جمهورية تركيا. بقي رئيساً للجمهورية منذ عام ١٣٤٢ هـ وحتى آخر عمره، عمل خلال فترة رئاسته على إشاعة الثقافة الغربية، وإزواء الإسلام. ومن أشهر ما قام به في هذا المضمار: فصله الدين عن السياسة - الأمر الذي يعدّ عملياً إلغاءً للدين - كذلك فقد أمر بنزع الحجاب عن النساء، وألغى الزي العلماني، وأبدل حروف اللغة التركية من العربية إلى اللاتينية، كما أغلق المدارس الدينية والمساجد.

(٢) يمتد الاختلاف بين الأتراك المسلمين واليونانيين المسيحيين في قبرص إلى فترة سحيقة، وقد تناوبت الجبهة المسيحية (اليونان) والجبهة الإسلامية (الإمبراطورية العثمانية) على حكم جزيرة قبرص وإدارتها منذ القرون الوسطى. وفي عام ١٨٧٨ م سلّمت الدولة العثمانية إدارة الجزيرة إلى الحكومة الإنكليزية وفقاً لمعاهدة برلين مع احتفاظ الدولة العثمانية بحقوقها. وفي مقابل استلام جزية سنوية. وفي عام ١٨٨٢ م أسست بريطانيا مجلساً لإدارة هذه الجزيرة يتألف من ثمانية عشر شخصاً، ستة منهم بريطانيين، وثلاثة أتراك، وتسعة يونانيين. وقد دفع التفوق العددي لليونانيين في المجلس إلى طرح فكرة اتحاد قبرص مع اليونان. وفي عام ١٩٢٥ م وصفت قبرص بأنها مستعمرة بريطانية. وفي سنة ١٩٦٠ م حصلت قبرص على الاستقلال، إلا أن الاختلاف بين الأتراك المسلمين (تركيا) واليونانيين المسيحيين (اليونان) على إلحاق قبرص باليونان ظل قائماً إلى الآن.

وتأثره لحالها فهو "شخص معمم يعيش مثلي" أما الدول الإسلامية فإنها لا تأسف ولا تتأثر لذلك الأمر، لأنها فقدت عزتها ومجدها الإسلاميين.

فعلى قادة الدول الإسلامية الالتفات إلى أن الاختلافات التي تقع في العراق وفي إيران وفي سائر البلدان الإسلامية الأخرى، إنما هي اختلافات ستؤدي بالنتيجة إلى القضاء عليهم. عليه، يفترض مواجهة الذين يريدون القضاء على الإسلام باسم الإسلام بمنتهى الحنكة والحكمة. إن الأيدي القذرة التي تبث الفرقة في هذه البلدان بين الشيعة والسنة ليست من الشيعة ولا من السنة؟ إنهم عملاء للاستعمار، يهدفون إلى السيطرة على البلاد الإسلامية، ونهب ثرواتها. إنهم عملاء للاستعمار، يهدفون إلى السيطرة على البلاد الإسلامية، ونهب ثرواتها. إنهم يسعون إلى إقامة سوق سوداء لما يسمى بـ "الدول المتقدمة" يريدون فتح سوق في الشرق لتصريف الفضلات الزائدة عن حاجتهم، والتي كانوا يعتزمون إلقاءها في البحر، أو التخلص منها بأي طريقة. فبدلاً عن ذلك يقومون ببيعها إلى حكومات البلدان الإسلامية وبأسعار جيدة. نشرت صحيفة "إطلاعات" في أحد أعدادها الصادرة خلال الأيام القليلة الماضية "أن فائض الغذاء المستهلك خلال ثلاثة أيام في أميركا يعادل غذاء يوم واحد لمجموع الشعب الصيني الذي يقدر بـ ٦٥٠ مليون نسمة"، فضلات ثلاثة أيام من غذاء الشعب الأمريكي تعادل غذاء يوم واحد لمجتمع يتألف من ٦٥٠ مليوناً. فإن كان هذا هو حجم الفضلات التي يتحتم عليهم التخلص منها: فلا غرابة أن يسعوا للسيطرة على الشرق! ولم لا يجعلونه أسيراً لديهم؟ ويبيعون تلك الفضلات في أسواقنا بأسعار جيدة، ثم يحولونها إلى ذهب ينهبونه؟! لم لا يفعلون ذلك؟ وحكوماتنا غير ملتفتة للأمر، غافلة عما سيحل بها. إن كل هذه الآثار الضارة، هي نتيجة للتخلي عن القرآن، وعدم الاستناد إلى أسس الإسلام. هؤلاء يضعفون البلدان الإسلامية عن طريق إيجاد الاختلاف المذهبي، حتى يتمكنوا من القضاء على المذاهب والدين معاً - والعياذ بالله -

ألا ينبغي لقادة الدول الإسلامية، ورؤساء الجمهوريات، وملوك المسلمين، ووزراء البلدان الإسلامية، وممثلي المجالس النيابية فيها أن يتنبهوا؟ هل حقيقةً إنهم لا يعلمون من الأمر شيئاً، أم أنهم يعلمون؟ ولكن حب الدنيا وحب السلطة هو الذي يدفعهم لتنفيذ الأوامر؟! هل تصدقون أنهم أيها الإخوة بأنهم - وهم المطلعون على مجاري الأمور، أو في الأقل إنهم يدعون الإطلاع - عاجزون عن إدراك هذه القضية السطحية التي أدركها السيد الخميني؟! وإذا كانوا مدركين - لا سمح الله - فهم إما مرتبطون أو خائفون. ولم يخافون؟ ذلك لأن أولئك قد مزقوهم شر ممزق.

فالدولة العثمانية التي كانت بتلك السعة مزقوها اليوم إلى دويلات صغيرة صغيرة صغيرة.. وصيروا ذلك المجتمع العظيم - الذي يزيد على بضعة مئات الملايين - شعباً يائسة مأسورة بأيدي مجموعة من "الغافلين عن الله" ممن صاروا عبيداً أو عملاء لهم بعد تصديهم لرئاسة البلدان الإسلامية، فراحوا بدورهم ينهبون شعوبهم! أفلم يئن قادة الدول الإسلامية أن يستيقظوا من نومهم؟ فما الذي ساءهم من الإسلام؟

العنصرية والعرقية هما العامل الأساس في بؤس البلدان الإسلامية، وإحدى المكائد الكبرى التي صُدّرت نحو البلدان الإسلامية من الغرب، وشملت بتأثيرها جميع البلدان التي تمسكت بها، واندفعت صوبها بتهديد وترغيب من الغرب. ونرى ذلك جلياً اليوم في مطبوعاتنا وفي مجلاتنا، وفي وسائل الإعلام والإذاعات. إنّ القومية هي العامل الأساس في تردي أوضاع البلدان الإسلامية، حيث أدت إلى إبعادها عن ظل القرآن الكريم! فهؤلاء قوم ترك يجب أن تكون صلاتهم بالتركية! وهذا العنصر فارسي، فيجب أن تكون حروف لغته الهجائية بالشكل الكذائي! وهؤلاء عرب، فيجب تحكيم العروبة عليهم لا الإسلام! وكذلك فإنّ العنصر الآري هو الذي يجب أن يحكم لا الإسلام! والعنصر التركي يجب أن يحكم لا الإسلام! ولننظر إلى أين ستؤدي هذه الأفكار العنصرية والقومية التي تنتشر اليوم بين الناس، ويزداد ويطغى باطراد تعلّقهم بها والتفافهم حولها.

إنّ العنصرية والقومية تعبّر عن نوع من المراهقة، وحالة الغرب في تعاملهم مع قادة الدول الإسلامية كمن يلعب مجموعة من الأطفال. فأنت أيها الرجل تركي! وأنت - لا أدري - أندونيسي! وأنت لا أدري ماذا! وأنت من أهل كذا! ويجب أن نفعل كذا ببلادنا! غافلين عن القضية المركزية التي كانت تجمع المسلمين قاطبة على اختلاف قومياتهم. وا أسفاه! وا أسفاه! إنهم أبعدوا عن المسلمين ذلك المرتكز، ولا زالوا ساعين لتحقيق ذلك، ولا نعلم إلى أين سينتهي بنا الأمر؟ إنّ هذه الأفكار العنصرية والعرقية والقومية هي بالذات الأفكار التي شطب عليها الإسلام بالقلم الأحمر عند نزوله، ولم يتح مجالاً للتفريق بين الأسود والأبيض، وبين الترك والعجم، أو بين العرب وغيرهم. وجعل الميزان: التقوى فقط. جعل الميزان: الخوف من الله. جعل الميزان التقوى الحقيقية، التقوى في السياسة، والتقوى المادية، والتقوى المعنوية، لقد جعل الميزان ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>؟ فلا ترك ولا فرس ولا عرب ولا عجم، الإسلام هو نقطة الارتكاز. وما العرقية والعنصرية سوى رجعية وتخلّف. وهؤلاء يعتبروننا نحن الرجعيين! هم يعودون القهقري إلى ٢٥٠٠ عام خلت! ونحن الرجعيون!

لماذا يجب أن تغفل الدول الإسلامية عن هذه الأمور؟ لماذا يجب أن تحدث الاضطرابات والانتقابات في داخل كل واحدة منها بهذا الشكل؟ لماذا تنقسم الدول الإسلامية إلى أحلاف وجبهات فيما بينها؟ هؤلاء يشكّلون اتحاداً ثلاثياً<sup>(٢)</sup> قبالة أولئك! وأولئك يشكّلون اتحاداً آخر قبالة هؤلاء "وكلّ يلعن الآخر"! أفلا يجب أن يستيقظوا؟! ألا ينبغي لحكام المسلمين - مع كل ادعاءاتهم - أن يلتفتوا إلى إدراك هذه المعاني؟! ألا ينبغي

---

(١) سورة الحجرات (الآية ١٣).

(٢) المراد من الاتحاد الثلاثي حلف "الستو". ففي عام ١٩٦٤ م وفي عهد حكومة حسن علي منصور اقترح الملك تشكيل تكتل داخل "الستو"، فوافقت أميركا على ذلك، وفي الظاهر فإنّ هذا التكتل غير عسكري عقد بين إيران وتركيا والباكستان، وتولت إيران قيادته تحت اسم حلف العمران الإقليمي. وكان مقرراً أن تنضم إليه أفغانستان ودول الخليج الفارسي فيما بعد. وقد أدى هذا الحلف الثلاثي إلى شق صف البلدان الإسلامية إلى شقين، وذلك في أشد المراحل حساسية من تاريخ الشرق الأوسط.

لرؤساء جمهوريات المسلمين - الذين تمسكوا بالسلطة في البلدان الإسلامية بهذا الشكل - أن يلتفتوا إلى هذه الأمور! هل فيما أطرحة الآن شيء غير صحيح؟ أفلا يقرّون هم بأنّ ما أقوله - وللأسف - هو عين الحقيقة؟ وإحدى الحقائق هي أنّ المستعمرين جعلوا هذه الحكومات مشغولة بالإقتتال فيما بينها، مجموعة تقوم بحشد قواتها في مقابل مجموعة أخرى، وكم يبالغون في التسلح والاستعداد على حدود جيرانهم المسلمين! في هذه الأيام أعلنوا بأنّ الأتراك قد حشدوا مئتي ألف من قواتهم على الحدود مع الدولة الفلانية، لماذا؟ مع من يريدون أن يتحاربوا؟ لماذا يتقاتل المسلمون فيما بينهم؟ ومن الذي دفع المسلمين للإقتتال غير أيادي المستعمرين؟ إرفعوا يد الاستعمار عن البلدان الإسلامية، وانظروا أية حكومة ستبقى في مكانها. أنظروا أية حكومة ستأتي بعدها؟ ولكم أيضاً أن تحفظوا ثغوركم جميعاً ستكون محفوظة. وسوف لن تتعدى دولة على أخرى. فالجميع مسلمون، والجميع منضو تحت لواء الإسلام. فما ترونه حالياً من تعدي بعض الأطراف، والتحشيدات التي يقوم بها البعض الآخر هنا أو هناك، كلها بسبب عدم انضوائهم تحت لواء الإسلام.

كذلك فإنّ من المصائب التي صُبت على البلدان الإسلامية، والتي شغلتها منذ أمد طويل، هو سعي الدول الاستعمارية الدؤوب للإنتقاص من قدر الرسول الأكرم ﷺ والتقليل من عالمية دوره ﷺ فقد دأبوا على ذلك أمداً طويلاً. ثم سعوا إلى ترويح الأفكار القائلة بأنّ الأحكام الإسلامية هي أحكام تصلح لألف سنة مضت، وأنّ الزمان قد تغيّر الآن، فهذا عصر النهضة والرقى.. وما شابه ذلك، وبأنّ الإسلام لا يفي بمتطلبات الشعوب في العصر الحاضر. ما الذي ساءكم من الإسلام حتى أصبحت جميع صحفكم، وجميع برامجكم التلفزيونية، وجميع إذاعاتكم وأحاديثكم وخطاباتكم أمام المجالس النيابية تهدف إلى القضاء على أحكامه؟.. وبما أنكم قد سلكتم في هذا الاتجاه، فحتى لو لم تكن لديكم ثبات سيئة<sup>(١)</sup> فإنهم قد دفعوكم بالترهيب والترغيب، أو أنّ الأمر كان غفلة منكم. وعسى أن يكون الأمر كذلك، وعسى أن لا يكون خيانة - إن شاء الله - أعني أن تكونوا غافلين فقط. فماذا نفعل معكم وأنتم لا تتيحون لنا الفرصة لتعريف العالم بالإسلام.

وصلتني خلال الأيام القليلة الماضية رسالة من طالب جامعي ممن لا علاقة لي به، يدرس في أميركا، غير متدين - كما يبدو - ومستاء من الأوضاع. كتب يقول: "إنّ مما يؤسفني هو أنّ الطلبة الجامعيين المتواجدين هنا يقولون: إنّ كل تعاستنا من الإسلام!"، وأأسفي عليكم أيها الطلاب الجامعيون المساكين، إنّ الإسلام الذي يعرضونه عليكم عبر الإذاعات ليس إسلاماً. الإسلام الذي تقرأون عنه في الصحف ليس إسلاماً. الإسلام الذي يطرحونه أمامكم شيء متخلف، وأي مسلم لا يقرّه، حتى أنا أرفضه تماماً، وكذا سائر الروحانيين. إنّ هذا ليس بإسلام، وهؤلاء لا يسمحون لنا بعرض الإسلام ونشره. أخي! إنّ محطة التلفزيون حرّة وهي بيد أحد

(١) مخاطباً قادة الدول الإسلامية.

الإسرائيليين<sup>(١)</sup> يقول عبرها ما يحلو له. وكذلك فإن جميع البرامج الإعلامية في الإذاعة تعدّ من قبلهم. ليس في بلادنا وحسب، بل في عموم البلدان الإسلامية. وحديثي الآن حول البلدان الإسلامية، وسوف أعود لاحقاً للحديث عن بلادنا.

فمن أهم النشاطات التي يمارسها عملاء الاستعمار في البلدان الإسلامية طرح الإسلام على أنه عقيدة رجعية بالية. ففائدة هذه البلدان يكررون القول: إنّ الإسلام رجعية وتخلّف. إنهم يطرحون الإسلام بهذا الشكل. أعطونا محطة بث واحد يقوم مبلّغونا بإدارتها ليعرضوا الإسلام من خلالها للعالم أجمع. فصوتنا لا يطرح أسماء العالم. صوتنا لا يتجاوز حدود هذا المسجد. بل إنّ هذا الحديث المنطقي الذي تطرحه الآن، نظرته خفية! فلا يعلم بعد أن يغادر الإخوة الحاضرون هذا المكان أيهم سيعتقل وأيهم سينجوا؟ وأجهزة التسجيل الصوتي هذه لا يعلم مع مَنْ ستمسك كدليل جرم، مع أنّ الكلام ليس موجهاً إلى أحد، بل إنه كلام حول مصالح الإسلام والمسلمين عموماً، وليس هو خلافاً مع شخص، إنه موجه للجميع. كلامنا ليس نزاعاً، إنه نصيحة، ويقصد منه الخير. الله يعلم أننا نريد لكم الخير، فلتعطونا محطة بث، أجيئوا للمسلمين أن يصنعوا لأنفسهم محطة بث إذاعي، وأنا ضامن لكم بأنها لن تكون ضد مصالحكم كثيراً، بلى.. ستكون ضد مصالح الأسياد الكبار. وهم سوف لا يسمحون. فنحن أقل حظاً من ذلك اليهودي الذي يدير محطة تلفزيونية، ويمارس الإعلام بما اشتتهت نفسه، في حين أنّ إعلامنا نحن ليس حراً "لا يجوز، فهؤلاء الرجعيون لا ينبغي أن يتكلموا!! أين هي الرجعية في حديثنا! نحن نقول: إتحدوا فيما بينكم. نقول: ليتحد المسلمون جميعاً. ولسنا على ارتباط مع أحد<sup>(٢)</sup> كما أننا لا نرتبط معكم<sup>(٣)</sup> نحن لا نرتبط بجهة خاصة، بل نرتبط مع الجميع. إننا ننظر إليكم جميعاً بنظرة واحدة، وجميع المسلمين يكونون موضع اعتزازنا إذا ما عملوا بأحكام الإسلام. ونحن نعزّز بالأمة الإسلامية بجميع شعوبها، تركها وعربها وعجمها، ومن أي مكان كانوا، من أفريقيا أو من أميركا نحن نقول: تعاضدوا فيما بينكم يا محترمين، لا تقيموا أنتم اتحاداً ثلاثياً، وترتبطون مع "إسرائيل" قبال اتحاد هؤلاء، كما ليكنّفوا هم أيضاً عن تشكيل اتحاد في قبلكم. إتحدوا مع بعضكم فجميعكم مسلمون، وليكن استنادكم إلى القرآن.

يا سادة، أنتم لا تعرفون ما هو القرآن. ليس لهم إلّا أن يضعوه في جيوبهم، أنا لا أحمل في جيبي مصحفاً، في حين أنّ جميع رجال الأمن يحملون مصحفاً في جيوبهم!! ملكيون أكثر من الملك - كما يقال - أو تعتقد أنت بالقرآن؟! إنك تريد أن تخذعنا فقط. ما أن تفتح فمك مع أحدهم إلّا وأخرج لك مصحفاً من جيبي ولوّح به عالياً! إنكم تهدفون إلى القضاء على القرآن بوضعه في جيوبكم. أفهل أنّ هذا الكلام الذي نقوله رجعية؟! هذا ما نقوله، إتحدوا جميعاً مع بعضكم، ولا تسمحوا لهم أن ينهبوا ثرواتكم.

(١) حبيب ثابت باسال، اليهودي الذي كان يمتلك محطة التلفزيون الإيراني، ويشرف على إدارتها لسنين طويلة، ويمثل جزءاً من شبكة الاتصالات الصهيونية الدولية.

(٢) أسد الله علم، الحكومة المقالة.

(٣) حسن علي منصور، رئيس الحكومة الجديدة آنذاك.

وأهم من تلك الثروات المخزونة في الأرض، الثروات التي على سطحها وهم شباننا، والله يعلم كيف يسرقون شباننا، إنهم ينهبون شبان البلدان الإسلامية، فبعض في أميركا وبعض يذهبون الآن إلى "إسرائيل" تذكر مجلة "دانشجویان" (أي "الجامعيون") أن اتحاد الطلبة الجامعيين الإيرانيين موجود الآن في "إسرائيل" - المجلة في منزلي - هؤلاء الشبان هم ذخائرنا، وهم يستغفلونهم، يلقنونهم أن كل تعاستكم من الإسلام! من أين عرفتم الإسلام حتى تقولون: أن التعاسة بسبب الإسلام؟ إنكم لم تشاهدوا سوى المسلمين هنا، أناساً فقراء متسولين يائسين... وما برح أولئك يصكّون أسماعنا قائلين: الحمد لله، فليس ثمة من بيت طاو - والحمد لله - أمل أن يكون الأمر كذلك. ولكن هل يغيّر هذا الكلام شيئاً من الواقع؟ هذا الكلام كتبته صحيفة "إطلاعات" منذ مدة - الصحيفة التي تعتبرونها وثيقة رسمية - في سياق موضوع كتب حول مدن موانئ الجنوب، فهل يغيّر هذا الكلام شيئاً من الواقع<sup>(١)</sup>؟ كلا، إنه لا يغيّر من ذلك شيئاً. إن ما شاهده هؤلاء الطلبة الجامعيون المساكين هنا، هو أن المسلمين جياع نعساء، مساجدهم متداعية، مراكز عباداتهم لا أدري كيف حالها، فحينما يذهبون إلى أميركا ويدخلون إحدى الكنائس هناك، ويرون كل شيء فيها منظماً مرتباً وعلى ما يرام، سيتصورون حينها أن أحكام الإنجيل والتورات هي التي حققت لهؤلاء ذلك المستوى. وأن أحكام الإسلام هي السبب في تخلف المسلمين.

كلا يا أخي، إن حكومات البلدان الإسلامية هي التي جعلتنا هكذا.. حكومات البلدان الإسلامية الغافلة المسكينة هي التي أوصلتنا إلى هذا المصير. إنهم هم الذين يعرضون الإسلام بهذه الصور. لقد حكم الإسلام نصف الكرة الأرضية في وقت من الأوقات، وكان مستمراً في توسيع رقعته. إن حضارة الإسلام.. إقرأوا كتاب "غوستاف لوبون"<sup>(٢)</sup> "حضارة الإسلام".. فذلك الرجل ينظر إلى حضارة الإسلام بمنظار مادي، فهو لا يفهم معنى الإسلام، ولم يكن معتقداً لا بالمسيحية ولا بالإسلام، فهو يرى الحضارة في تلك "الأعمدة" تماماً كما يتوهم شباننا. عندما يذهبون إلى هناك، ويرون المراسم المبالغ فيها، وكيف أن الفاتيكان<sup>(٣)</sup> كذا وكذا، والبناء الفلاني كذا، في حين أن مساجدنا متداعية بائسة. فإن شباننا يتوهمون بأن هذا التخلف والبؤس بسبب الإسلام! كلا يا أخي إن هذا البؤس بسبب حكام البلدان الإسلامية. فهؤلاء الحكام الذين وقعوا تحت سيطرة الاستعمار هم

(١) جاء في صحيفة "إطلاعات" الصادرة في ١٩٦٣/١٢/٢٥ م ما يلي: "تفتقر القرى الجنوبية في إيران إلى الماء الصالح للشرب والدواء والأطباء، وفي إحدى القرى أصيب أكثر الأهالي بالعمى نتيجة الحرمان من العناية الصحية".

(٢) "غوستاف لوبون" (١٨٤١ - ١٩٣١ م) طبيب وأخصائي في الاجتماع، ومؤرخ فرنسي له عدة مؤلفات أهمها كتاب "حضارة الإسلام والعرب" الذي نشره عام ١٨٨٤ م باللغة الفرنسية. قام بزيارة الحجاز والعديد من البلدان الإسلامية الأخرى.

(٣) الفاتيكان، مقر البابا، وهي دولة مستقلة، لها علم خاص، ونشيد وطني، وبريد وطابع، ومحطة إذاعة، أقيمت داخل مدينة روما. ويعدّ الفاتيكان من أكبر مراكز تجمع رجال الدين المسيحيين في العالم، ويقوم الشبان السويسريون بحراستها. وتعود كنيسة "سان بيتر" الكبيرة و"قصور لاتران" و"فيلا كاستل غاند ولفو" إلى حكومة البابا.

الذين أوصلونا إلى هذا المصير، سلّموا ثرواتنا إلى الآخرين، وبقينا نحن جوعاً - على ما ينقل - فإن رؤساء الجمهوريات الكبار هناك يذهبون أيام الأحاد لأداء مراسم الصلاة، فهل ترى هنا أحداً من حكامنا في المسجد؟ هل يتواجد أحد من حكامنا في المسجد في أي مناسبة؟! نعم حينما يتوفى أبو الحاكم أو أخوه، فربما يمرّ بالمسجد متبخترًا، أما أن يأتي إلى المسجد لأداء لاصلاة، فلا. في حين أن رؤساء الجمهوريات هناك يحضرون أداء الصلاة، حتى ملوكهم يحضرون المراسم الدينية، يحضرون مراسم ذلك الدين الأجوف. قد يتوهم الإخوة المحترمون أن الدين الذي جاء به عيسى ﷺ هو هذا الموجود حالياً، لا شك أنه كان صحيحاً في زمانه، غير أن هذا الذي نراه اليوم بعضه من دين عيسى ﷺ وبعضه من أحكام المسيح، فدققوا النظر أيها الطلبة الجامعيون في هذا الدين، وتأملوا في القرآن الكريم، تأملوا في أحكام المسيحية ما هي، ثم أجيلوا النظر في أحكام الإسلام ما هي. فالإسلام ينطوي على ملايين الملايين من الأحكام لكل شيء، فلا يمكن تصور وجود قضية أو واقعة، أهو دين رجعي؟! وهل هو السبب في التخلف والتعاسة؟ إن التعاسة كلها بسبب حكام المسلمين هؤلاء، هؤلاء الحكام المساكين، هؤلاء الرؤساء البائسون والغافلون عن مصالحهم، أو الذين لا يريدون الالتفات إلى ذلك. هؤلاء هم الذين حطمونا، وهم الذين أوصلوا المسلمين إلى هذا المصير المظلم. ورغم كل ذلك لا يتركونا لحالنا، فهم في كل حادثة تقع، يخلقون لنا مختلف المشكلات.

هذا ما يتعلق بالدول الإسلامية.. تعرضت للقدر الذي أستطيع أن أعلنه للدول الإسلامية باعتباري طالب علوم دينية، وآمل أن يصل أسماع حكومات البلدان الإسلامية، وهي أمور تعتبر من الضروريات التي ينبغي لهم الانتباه إليها، وآمل أن يصغوا إليها، وقيموا وحدة إسلامية حقيقية، متجاوزين شهواتهم، وأن يمدّوا يد الإخوة إلى بعضهم، ويتأخّوا مع بعضهم، ويكفّوا عن التسابق فيما بينهم، ويكونوا صفّاً واحداً في مواجهة الأعداء، مترفعين عن حالة الإنبهار بالغرب. فلتقف الدول الشرقية مقابل الغرب، وليقف حتى البوذيون<sup>(١)</sup> في مواجهة الغرب، فإن الشرق بذلك سيتفوق على الغرب، وسوف توفق دول الشرق إلى إرساء قواعد علاقات رصينة هادئة فيما بينها، وتوفر لمجتمعاتها الهدوء والاطمئنان، ولتلتزم كل البلدان بحدودا دون أن تعتدي دولة على أخرى، ويكون الجميع إخوة، وإذا أراد الأجنبي الاعتداء عليهم، فليهبوا جميعاً بدافع المصالح المشتركة للوقوف بوجهه. إن المسلمين إذا اتحدوا فلن تستطيع أية دولة أن تهزمهم، ومن الخطأ أن نبالغ في قدرة الدول الاستكبارية، فهم ليسوا كذلك. إنما أنتم واهون ومستغفلون.

---

(١) هم أتباع "جوتاما بوذا"، نجل أحد الملوك الهنود الذي حكم في القرن السادس قبل الميلاد، وإليه يُنسب "البوذيون" الذين تفوقوا على الهندوس فترة طويلة، إلا أن نفوذ البوذية انحسر في الهند، وخرج من مسقط رأسه. والبوذية اليوم من الأديان الرائجة في العالم، يدين بها أكثر من ٥٠٠ مليون إنسان، يعيش أغلبهم في بلدان الشرق الأقصى.

وأما فيما يخص بلادنا، فإنّ البؤس والمعاناة التي فيها لا يمكن استيعابها بحديث يوم أو يومين. الوزارات تجيء وتذهب، وكل وزارة تجيء تشكّل لها حزباً، وأنتم ترون بأعينكم، فإحداها تشكّل "حزب الشعب" والأخرى "حزب إيران الجديد"<sup>(١)</sup> والأخرى تشكّل حزباً آخر لا أدري ما هو؟! فليس لهم شاغل سوى تشكيل الأحزاب. وأصلاً إنّ تشكيل الأحزاب في إيران لا معنى له<sup>(٢)</sup>. في الحقيقة، إنه لا معنى أساساً لحكومة الحزب الواحد في أي مكان من العالم، اللهم إلا في البلدان التي تشبه إيران!

لا معنى للحزب المفروض.. في القرى يأخذون وثيقة الجنسية من الأهالي، اذهبوا إلى تلك القرى وانظروا بأنفسكم كيف يأخذون وثيقة الجنسية من القرويين، ويسجلون أسماءهم في الحزب. وذلك المسكين لا يعلم حتى ما هو معنى "إيران الجديدة"! ولا اطلاع له على تلك الأمور، وناهيك عن أنه لا يفهم شيئاً من مضمون البيان التأسيسي. فهو لا يفهم معنى كلمة "البيان التأسيسي" أصلاً. إنّ هؤلاء الفاسقين لا يهدفون إلا إلى جمع أولئك البائسين في مكان ما ليهتفوا لهم "يعيش فلان"، إنهم لا يريدون من هؤلاء المساكين التعساء سوى أن يجتمعوا، فتصبح مجاميعهم جماهير حاشدة يسيرونها وراءهم، تهتف لهم "يعيش فلان" فهذا بالضبط هو ما يريدونه منهم. في البلدان التي تمارس فيها الأحزاب نشاطاً تشكّل أولاً، وهي حكومة لا تمت للمجلس، ولا لي، ولا لكم بأية صلة. وهم الذين يقولون ذلك ولست أنا، هم يقولون "نحن جئنا بامر، ونذهب بامر، ولا يحق لأي أحد أن يعترض! وليمتنع أي نائب عن أدنى اعتراض!". وللأسف فليس من يعترض أيضاً. يتم تشكيل الحكومة أولاً، وبعد أن تمسك بعصا القدرة والتسلط بيدها، حينها تبدأ بتشكيل الحزب، ليكون بعد ذلك حزباً نشأت منه الحكومة! فحكومتنا مستندة إلى حزب! حكومة هؤلاء المحترمين منبثقة عن حزب! من تقنعون بهذا

---

(١) تأسس حزب "إيران نوين"، التي تعني "إيران الحديثة"، على يد حسن علي منصور ومجموعته من الطلاب الإيرانيين الدارسين في أميركا وأوروبا بإشراف "راكول"، القائم بأعمال السفارة الأميركية في طهران. وهدف منه تنفيذ سياسة "كينيدي" في إيران. وقد أسند لهذا الحزب دور المحافظة على ما سمي بثورة الملك والشعب وتنفيذ أصولها. مثل حزب "إيران نوين" الأكثرية في مجلس الوزراء والمجلس الوطني، واحتل أعضاؤه أكثر المناصب الحكومية الهامة. وبعد اغتيال حسن علي منصور، إنتُخب عطاء الله الخسرواني أميناً عاماً للحزب. وحل الحزب عقيب تأسيس حزب "رستاخيز" واعتماد الدولة نظام الحزب الواحد (راجع: "من الظهور إلى السقوط"، ص ٢٠٧ ووثائق وكر التجسس الأميركي، ج ٧، ص ١٠٣).

(٢) كلمة سماحة الإمام هذه رد على تصريحات حسن علي منصور (رئيس الوزراء) الذي قال في اجتماع اللجنة المركزية لحزب "إيران نوين" في ١٩٦٤/٨/٢٦ م "لحسن الحظ فقد تمكن المؤمنون في هذا الحزب من ترسيخ أفكارهم في أقصى مناطق البلاد، وبين كافة طبقات الشعب وجمع الكل تحت راية واحدة خلال هذه الفترة القصيرة.. إنّ حزبنا رسّخ في قلب القرى وتجذّر في مختلف المراكز العمالية (راجع صحيفة "خراسان" في عددها الصادر يوم ١٩٦٤/٨/٢٧ م).



الكلام؟! فإذا كنت أنا المعمم افهم حقيقة الأمر، أفيخفى ذلك على دول العالم؟! يا هذا! إنهم يريدون لك أن تكون بهذه الحال، يريدون لك أن تكون متخلفاً، فكفّ عن هذا التخلف! احفظوا عزتكم! إذا أردتم تشكيل حزب، فشكّلوه قبل تشكيل الحكومة، ثم ليدفع الحزب بممثليه إلى البرلمان بالشكل الذي يسمح به الدستور وسائر القوانين. ثم بعد ذلك يأتي الوزير أو رئيس الوزراء بترشيح من نواب المجلس الذين جاؤوا بالأصل من الحزب ومن المجتمع وبإرادة الشعب، وعندها تكون الحكومة مستندة إلى الحزب حقاً. على أية حال نحن طلبة علوم دينية، ولا شأن لنا بهم. ولكن إن كان لهم شأن عندنا، فليفضلوا - على اسم الله - نحن بانتظارهم ثانية.

إنهم يقيمون المهرجانات، المهرجانات الحزبية، هذه المهرجانات التي ترونها كل يوم في مكان، إنما تقام بأموال هذا الشعب المسكين. إنّ هذا الشعب جائع، الله يعلم كم أشعر بالألم حينما أفكر أحياناً في مستقبلنا، حينما أفكر في الشتاء القادم، وماذا سيحصل. لا شك في أننا قلقون، فهل سيكون لدى هؤلاء لقمة خبز يأكلونها هذه السنة أم لا؟ خصوصاً مع ما تتميز به هذه السنة من ندرة في المواد الغذائية، حيث الشحّة حتى في الأعلاف، فكيف سيمر هذا الشتاء القاسي على هذا الشعب المعدم المسكين؟ إنني لا أعلم كيف سيكون الوضع؟ وهل تفكر الحكومة - التي قضت على زراعة هؤلاء<sup>(١)</sup> في الأقل بجلب المواد الإستهلاكية من تلك السوق السوداء التي أنشئت هناك، لتشبه هؤلاء المساكين؟ أم أنهم يجب أن يناموا على الطوى، ثم يقال: إنه لا يوجد حتى شخص واحد ينام طاوياً؟ وكم من هؤلاء الجياع من يقصدني يومياً، أنا الذي لا أمثل شيئاً؟

---

(١) الإصلاح الزراعي، من أهم الأسس للسياسة الاستعمارية الجديدة التي نفّذت في الدول الخاضعة للاستعمار بدءاً من أميركا اللاتينية وحتى آسيا وأفريقيا، وذلك عبر حكومات هذه الدول وبشكل متشابه تقريباً. وفي عام ١٩٦٢ م بدأ الملك بتنفيذ برنامج الإصلاح الزراعي باعتباره أول مادة من المواد الستة التي طرحت عبر ما سمي بثورة الملك والشعب من أجل كسب ثقة الرأسمالية الأميركية وإثبات موافقة الملك الإيراني على الإستراتيجية الأميركية الجديدة ودعمه لها، ومن أجل فتح سوق جديدة للاقتصاد الغربي من جهة، وللتخفيف من ضغط الأوضاع الداخلية المتردية، والحيلولة دون تفاقم الثقمة الشعبية التي تسفر غالباً عن انفجارات اجتماعية خطيرة من جهة أخرى. وقد أدى الإصلاح الزراعي إلى انهيار الاقتصاد الإيراني، وذلك نتيجة اقترانه باستثمارات أجنبية أميركية بشكل خاص في ميادين التجارة والصناعة ذات الارتباط الوثيق بالزراعة، ونتج عنه اتجاه الدولة - وخلال بضعة سنوات - نحو استيراد القمح بعد أن كانت مصدراً له في السابق. ومن ناحية أخرى - ونتيجة للهجرة المكثفة من القرى إلى المدن سعياً للحصول على فرص للعمل في المصانع والمؤسسات الخدمية التي كانت تشجعهم على ذلك باعتبارهم قوة عمالية رخيصة - خلت ٢٠ ألف قرية إيرانية من السكان خلال ١١ سنة (١٩٦٦ - ١٩٧٧ م) (راجع "قاموس الطوائف"، ص ٢٣٩. و"تاريخ إيران الحديث" (فارسي، ص ٢١٩).

هذا هو وضع الأحزاب في إيران، وكلكم أفضل مني إطلاعاً أو مثلي. هذا هو وضع علاقاتهم مع "إسرائيل"، كل مرة يلتقونني.. لا أقصد كل مرة، فلقد التقاني أحد المسؤولين ذات مرة فقال: إن قضية "إسرائيل" قد انتهت، إنتهت تماماً، إنتهت بالمرّة. وإني لأعجب من قدرتهم على الكذب! إنّ لهم القدرة على الكذب بحيث أنهم يستطيعون استغفالي أنا، وأنا الواعي المنتبه! قال: قضية "إسرائيل" قد انتهت. في حين أنه وبعد كلامه هذا، وفي هذا الوقت الذي أحدثكم فيه، تعطى عدد من أفضل المزارع الإيرانية لـ "إسرائيل"! كتبوا إليّ من "إيلام" بأنهم قد سلّموا المزارع الجيدة لـ "إسرائيل" لتزرعها "شمندر". ووضعوا لافتة على جانب الطريق مكتوب عليها "المزرعة النموذجية المشتركة لـ "إيران" و "إسرائيل" <sup>(١)</sup>. هؤلاء هم الذين يدعون التخلي عن "إسرائيل"! الصحف الإسرائيلية التي جاؤوا بها إليّ كتبت تقول بأنّ سفير "إسرائيل" موجود في إيران، في طهران. في حين أنّ هؤلاء المحترمين! يقولون: لا علاقة لنا بـ "إسرائيل"! قبل يومين أو ثلاثة في السابع من أيلول أقام اليهود اجتماعاً لهم في طهران، نعم إجتمع ٤٠٠ أو ٥٠٠ لص يهودي مع بعضهم. على أية حال كان كل ما قالوه هو أن هتفوا بحياة فلان، وشتّموا فلاناً، وبعدها كتبوا: أنّ المجد والعزة لليهود، وأنّ اليهود هم شعب الله المختار.. نحن شعب يجب أن يحكم! نحن يجب أن نفعل كذا وكذا مما لا أدريه؟ وكذا، نحن نعارض الدكتاتورية، نحن نعارض الهتلرية، نحن كذا وكذا.. كان هذا حديثهم، وقد اجتمعوا هناك وقالوا ما قالوه على مرأى ومسمع حكومتنا. طيب، إذا كانت الدكتاتورية مرفوضة، وهي في عداد المخالفات، فلماذا لا تقفون بوجه هؤلاء اليهود، وتمنعوهم من أن يقولوا هذا الكلام؟ فقد كان كل كلامهم، أو جلّه هتافاً بحياة فلان وشتماً لفلان!! عار على هذه الدولة اعتمادها على اليهود. وهل ما نقوله سيئ جداً؟ لا شك في أنه مرّ ولا تستسيغه الأمزجة، لا تستسيغه أمزجتكم. لكنه يعبر عن مأساة دولة إسلامية، مأساة مجموعة من المسلمين الذين يريد لهم هؤلاء أن يعتمدوا على دولة تمثّل حالياً عدو الإسلام الأول، وتقف بوجه الإسلام، وتغتصب فلسطين أو يرتبطوا معها، ويتحالفوا معها.

---

(١) عدا عن ذلك، فإنّ سهل قزوين ذا الأراضي الخصبة والمصادر المائية الوفيرة، كان تحت تصرف "إسرائيل" بذريعة إقامة مشاريع زراعية متطورة. كما كانت كافة الأراضي الزراعية في محافظة خراسان - والواقعة على طريق بجنورد/ مشهد مملوكة من قبل "هزبر اليزداني" الذي كان يستثمرها بواسطة شركته المعروفة (شركة هزبر اليزداني للزراعة والصناعة).

إنني أقول لحكومات البلدان الإسلامية: لماذا تتنازعون على نهر من الماء<sup>(١)</sup> يا محترمين؟! إن فلسطين مغتصبة، أخرجوا اليهود من فلسطين أيها الضعفاء. إنشغلوا في الإقتتال فيما بينهم! فلسطين مغتصبة وأنتم تتنازعون على النفط! إنكم حينما تشغلون بالنزاع على المال فإن وجود حكومة "إسرائيل" يتعزز في فلسطين، وإلا فهل هي حكومة هذه الحكومة؟ ألا ينبغي على حكومات البلدان الإسلامية أن تعترض أو تتكلم فيما يخص هؤلاء العرب المساكين الذين أُلقت بهم حكومة "إسرائيل" خارج فلسطين؟ والذي يعاني ما يزيد على المليون منهم من الجوع والبؤس في الوقت الراهن، ينامون في الصحاري مشردين تعساء! أتحالفون مع حكومة شرّدت مليوناً أو يزيد من المسلمين؟! وإذا لم تكونوا على وفاق معها، أعلنوا عن ذلك في الصحف. إذا لم تكونوا على وفاق معها، إسمحوا لكلامي هذا أن يُطبع في إحدى المطابع ويُنشر! وإن لم تفعلوا فاعلموا أنكم على وفاق معها. إعلموا أنكم على وفاق مع اليهود، مع "إسرائيل". أنتم أيها السادة مطّلعون على ممارسات عملاء "إسرائيل" في هذه البلاد، وتعلمون ماذا يجري. فقد بلغني مؤخراً خبر أمتنع الآن عن ذكره، فقد رجوني أن لا أفعل<sup>(٢)</sup>، وقالوا: لقد سوّي الأمر. وقد ادعوا بالأمس عبر الإذاعة قائلين: "يقال". على أية حال، فإني لا أصدق الكثير من هذه الأقاويل، فأنا إنسان صعب الإقتناع. ولا شك أنهم أحسوا بأننا نريد اليوم أن نعقد لقاءً نقدم فيه النصيح والإرشاد للإخوة المحترمين، فخشوا أن تتعرض لذكر ذلك الأمر، فقاموا بتسوية الأمر إلى حد ما. وقد أذيع ذلك

---

(١) كان من أهم الموضوعات التي طُرحت في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في ١٩٦٤/٩/٥ في الإسكندرية موضوع تقسيم مياه نهر الأردن - الذي يمرّ عبر سوريا وفلسطين المحتلة والأردن - وكذا الخلافات المصرية اليمنية، والمصرية السعودية، ومرامي كل واحدة من الدول العربية فيما يتعلق بالتشكيلات الجديدة للفدائيين الفلسطينيين (منظمة التحرير الفلسطينية التي أعلن عن تأسيسها رسمياً في ذلك العام) ومناقشة مشروع "إسرائيل" الرامي إلى تغيير مسار نهر الأردن. وقد بلغت شدة الخلافات العربية - العربية درجة جعلت المشرفين على وقائع المؤتمر يعطلون جلساته العلنية، ويوجهون المحادثات المتوترة إلى جلسات سرّية انتهت دون تحقيق أية نتيجة.

(٢) يشير سماحة الإمام إلى موضوع تغيير صيغة القَسَم الذي يفترض بالعسكريين أدائه بعد إتمام دوراتهم التدريبية. إذ كان من المفترض أن يتلو العسكريون قَسَماً بالقرآن الكريم بعد إتمام دوراتهم العسكرية التي تستمر لعدة أشهر، وذلك في مراسم أخذ الرتبة التي يستحقونها مؤكدين على أن يكونوا حراساً وحافظين لوحدة أراضي البلاد واستقلالها.. وفي الفترة التي قاد فيها الإمام حملة معادية لـ "إسرائيل" غير الملك - بإشارة من أميركا - صيغة القَسَم من "أقسم بالكتاب السماوي الذي أوّمن به..". مما سيمهد السبيل أمام الصهيونية لدس عناصرها إلى الجيش الإيراني، وتسبب المناصب الحساسة فيه (راجع "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٦٩٥).

عبر الإذاعة البارحة أيضاً<sup>(١)</sup>، غير أنني لا زلت غير مطمئن، وإذا لم يقنعوني فسأعود الحديث هنا يوماً آخر، وحينها سأكشف الموضوع برمته.

إنّ عملاء "إسرائيل" منتشرون في إيران، وأينما وضعت يدك، وجدت واحداً منهم في المراكز الحساسة.. المراكز بالغة الخطورة. وأقسم بالله أنّ هذه المراكز تشكّل خطراً على تاج هذا الرجل<sup>(٢)</sup>! ولكنهم غافلون عن أنّ هؤلاء هم الذين تآمروا في "شميران طهران" ليقتلوا "ناصر الدين القاجاري" ويسيطروا على إيران<sup>(٣)</sup> طالعوا التاريخ، ولا شك أنكم مطلعون عليه. لقد تآمروا، فذهب عدة أشخاص لاغتيال "ناصر الدين" في "نياوران" في

---

(١) بعد تحذيره النظام من مغبة تغيير صيغة القسم، أوفد النظام الملكي ممثلاً عنه إلى سماحة الإمام الخميني ليخبره بأنّ خبر تبديل صيغة القسم أمر عار من الصحة، إلّا أنّ الإمام أكد على ضرورة إقدام أجهزة النظام على تكذيب الخبر رسمياً. وفي يوم ٩ أيلول نفى - أحد مسؤولي الجيش - الخبر في مقابلة إذاعية.

(٢) الملك.

(٣) جاء في تقرير أعدّه مسؤول إنكليزي لرؤسائه، تصدّرتة العبارة التالية "مخيم قريب من طهران، رقم ٩٩ / ١٦ أ.ب. ١٨٥٢، مركز الحفظ العام، إنجلترا، ١٧١ - ٦٠ - ٠ - ف - ورقة ٣٨١" ما يلي: "وقعت أمس محاولة اغتيال هامة إستهدفت حياة الملك ناصر الدين القاجاري، فبينما كان فخامته مقيماً في مخيمه الصيفي الواقع في منطقة "نياوران" على بعد بضعة أميال من طهران، وبينما كان ممتطياً جواده يعتزم السفر لعدة أيام لقضاءها في ممارسة هوايته المفضلة في الصيد، إقترب منه ثلاثة من البهائيين - أو ستة كما يدّعي البعض - متظاهرين بأنهم إنما يقصدون تقديم عريضة مكتوبة إليه - الأمر المتعارف في إيران - وفجأة قفز أحدهم وأمسك بثياب الملك، ثم مدّ يده إلى الخلف وأخرج مسدساً وأطلق النار. إلّا أنّ الفرس - التي كان زميله يمسك بلجامها ذعرت وتراجعت إلى الخلف، فبادر وزير المالية - الذي كان برفقة الملك - إلى سحب الملك وإسقاطه عن ظهر جواده. لذا، فقد وقعت الرصاصة في بطن الملك. ولما كان السلاح المستخدم في تنفيذ العملية مملوء بالرصاص المستخدم في صيد الطيور، لذا فقد كانت الإصابة بسيطة. وتجدر الإشارة إلى أنّ القاتل كان مصمماً على إتمام مهمته، إذ أنه بادر فوراً إلى إخراج خنجر كبير، وهمّ بطعن الملك - رغم أنه كان مصاباً بعدة جروح خطيرة - وكاد يمزق أمعاء أحد الحراس الذين اعترضوه، ولم يتخلّ عن السعي في تنفيذ مهمته حتى آخر لحظة من حياته. وبذا فقد انجلت الغبرة عن جرح اثنين من الحراس جروحاً خطيرة. ولا يفوتنا أن نذكر أنّ عيارين آخرين أطلقا على الملك بعد ذلك فأخطأه. وقد نشر أول خبر عن محاولة الإغتيال هذه تحت عنوان كبير يقول "قتل الملك!" مما أدى إلى انهيار المخيم الملكي، وهجوم الناس نحو طهران، وإغلاق المحال التجارية مباشرة، وتوقف الأفران عن توزيع الخبز. كل ذلك خلال فترة وجيزة. وعلى الفور بادر المواطنون الإيرانيون إلى تخزين مقادير من الطعام تحسباً لوقوع أزمات، ودون حصول نهب أو سلب أو فوضى أو إخلال في الأمن. واليوم ختمت الأزمة بقيام المدفعية بإطلاق ١١٠ طلقة مدفعية تطميناً للناس على سلامة الملك.

ولا شك أنّ محاولة الإغتيال هذه تعبّر عن رغبة "البابين" ("البابية" فرقة نشأت في إيران، تعتقد بأنّ جميع الذرات والكائنات هي جزء من وجود الله) في الانتقام من الملك، فقد اعترف اثنان من شركاء القاتل - اللذين اعتُقلا - بأنهما من أتباع هذا المسلك، وقالوا إنهما كانا مستعدان للموت، ولي الفخر في أن أكون خادماً مطيعاً لفخامة اللورد.

حين كانت مجموعة منهم في طهران<sup>(١)</sup> بقصد السيطرة على الحكم بعد اغتياله. هؤلاء يعتقدون أنّ الحكومة أمر يخصهم. فقد صرّحوا في كتبهم ومقالاتهم بأنّ "الحكومة أمر يخصهم. فقد صرّحوا في كتبهم ومقالاتهم بأنّ الحكومة أمر يتعلق بنا، وإننا يجب أن نوجد "دولة صهيونية، ونقوم بتشكيل حكومة جديدة عادلة!"<sup>(٢)</sup> مثل هؤلاء الأشخاص الذين تنطوي نفوسهم على مثل هذه الآراء الفاسدة والنيّات السيئة يملأون البلاد حالياً، بدءاً من البلاط وحتى أدنى مستوى فيها. إحذروهم أيها السادة، فهم خطر عليكم! وهم متغلغلون في الوزارات. ولقد أشرت إلى أحدهم إلا أنّ أحد الوزراء كذّب ذلك، فأرسلت إليه شاهداً، نعم أرسلت إليه شاهداً يحمل له وثيقة خطية تُثبت أنّ الأمر كذلك، ولكنه ما زال موجوداً حتى الآن، ولا أريد ذكر اسمه القذر - فما زال موجوداً في مقر الوزارة - وكذلك أعرض في خدمتكم بأنهم موجودون في الجيش. حسن أنت أيها الجيش المحترم، ما يمنعك عن أن تلطمهم على أفواههم، فأنت مسلم! أغلب الضباط الكبار وذوي الرتب العالية في الجيش رجال صالحون، ولبعضهم روابط معي، أعني العلاقة من خلال رسائلهم التي تصلني، بعضهم صالحون، ولبعضهم روابط معي، أعني العلاقة من خلال رسائلهم التي تصلني. بعضهم صالحون. طيب، فلماذا لا يقف هؤلاء بوجه أولئك، لماذا لا يقفون بوجه أعداء دينهم، لماذا لا يقفون بوجه الطامعين في عرشهم وتاجهم، ويعادون بلادهم

(١) بعد إعدام "الباب" بفتوى جمع من العلماء، وأمر من "أمير كبير" كان يتوقع أن فتنة "البهائيين" قد انتهت ولكن ذلك لم يحصل في عام ١٢٦٦ هـ أعدّ "البهائيون" مؤامرة للقضاء على الملك و"أمير كبير"، إلا أنها لم تسفر عن نتيجة بسبب يقظة "أمير كبير". (هي مؤامرة غير تلك المحاولة التي جرت في "نياوران" التي أشير إليها في الهامش السابق) وحاول "البهائيون" قتل إمام جمعة طهران، تمهيداً للإستيلاء تماماً على الحكومة المركزية، ولم يكتفِ "البابيون" بهذه المحاولات، فبعد عامين (١٢٨٨ هـ) قاموا بأعمال وحوادث مؤسفة في "مازندران" وتبريز وزنجان وعدة مدن إيرانية أخرى، فقد قرر "البابيون" مرة أخرى الإقدام على قتل الملك بعد أن تعرضوا إلى القمع والملاحقة في كل مكان.

(٢) توفي حسين علي بهاء - زعيم البهائيين - في عام ١٣١٢ هـ، وأصبح بعده ابنه الميرزا عباس (عبد البهاء) زعيماً للبهائيين لأكثر من ثلاثين عاماً. وكان عبد البهاء يتعاون باستمرار مع الإنكليز وقواتهم العسكرية، وحصل على لقب Sir. وبعد وفاته إنتخب حفيده من ابنته "شوقي أفندي" مكانه. وقام الزعيم الثالث للبهائيين بسعي دؤوب في طريق استمرار البهائية، وأسس تشكيلات تُدعى "بيت العدل"، واختار للرئاسة بعده شخصاً أميركياً يدعى "شارلز ميسن ريمي"، وقد خططا مخططاً لفترة عشرة أعوام بهدف تأسيس حكومة بهائية عالمية! وبعد سفره إلى لندن بأسبوع واحد توفي "شوقي أفندي" في عام ١٣٣٦ هـ بقصورة غامضة، وحل محله "شارلز ميسن ريمي"، وهو ابن لأحد علماء الكنيسة الأسقفية، كان يسمى نفسه "شبان البهائيين". وبعده تولى أشخاص مثله قيادة البهائيين. وبذا يكون الإنحراف الذي بدأ من أحد أحياء "شيراز" عاد جديده بحلّة من الولايات المتحدة!

واستقلالهم ومن لا يريدون لاقتصادهم أن يكون قوياً ومتيناً. وأنتم - أيها العسكريون - لماذا لا تمنعون أولئك من التغلغل في الجيش؟ اذهبوا واطلبوا من مسؤوليكم أن يخرجوهم منه. أقسم بالله أنني أريد لكم الخير، أخشى أن تفتحوا عيونكم ذات يوم، فتجدوا أن هؤلاء قد قضوا على وجودكم، والله إنني أخاف هذا. أو دعوا القضاء عليهم لنا. أنا أقضي عليهم خلال يوم واحد. نحن لا نريد تصعيد الأوضاع، وبما أنكم تميلون إلى استتباب الأمن، فلتبادروا أنتم إلى القضاء عليهم بأنفسكم. وإن لم تفعلوا فستفاجأون بأن الأمر قد اتخذ مساراً آخر، وأن البلاد غير البلاد، وسيصبح الوضع على غير هذه الحال! وحينها سأعجز أنا وأنتم عن السيطرة على الوضع!

هذه هي الأوضاع التي نواجهها اليوم كما ترونها وكما نراها، وإنني لفي حيرة ماذا ينبغي علينا أن نفعل، ولا أدري ما هو السبيل لإصلاح الأمور؟

والطريق لإصلاح أية بلاد يبدأ بإصلاح مؤسساتها التعليمية. فالإصلاح يجب أن يبدأ من المدارس، فأيدي الاستعمار تعبت بشكل خطير في نظامنا التعليمي. الاستعمار يمنعنا من تربية شبابنا بشكل مستقل ووفق الأساليب الصحيحة في الجامعات، فهو يجهد أن يربي أبناءنا منذ الصغر على اعتبار الإسلام لا شيء في نظرهم، ويرسخ في تفكيرهم أن الاستعمار هو كل شيء بالنسبة لهم. إذا صلحت دور التعليم صلحت البلاد، ذلك لأن طلاب المدارس هم الذين سيحتلون المواقع في الوزارات، وفي البرلمان. وهم الذين سيشكلون الكادر الإداري للجهاز الحكومي. فعليكم أن تنشئوا نظاماً تعليمياً مستقلاً، أو أوكلوا القيام بذلك الأمر لنا. أنتم تخافون أميركا، وتخافون الآخرين؟ فدعونا نحن نقوم بإنشاء مدارس مستقلة، فوضونا صلاحية الإشراف على التعليم.

وأخيراً، فإن هؤلاء يريدون إنشاء وزارة للأوقاف متوهمين أنهم - وبمحركاتهم لبلدان أخرى - سيتمكنون من جعل علماء الدين تحت سلطة وإشراف الوزارة. نجوم السماء أقرب لكم من هذه الأمنية! أفهل تظنون أن علماء الإسلام يمكن أن يكونوا كرجال الدين المسيحيين؟ لا يمكن ذلك أبداً. علماء الدين الشيعة مستقلون، مستقلون، لا يستندون إلى أية جهة كانت. وإذا كنتم غير مقتنعين فأعلنوا عن الجهة التي ينتمون إليها. إن هذه الروحانية المستقلة التي لا تستند إلى أية جهة، وهؤلاء الطلبة المحترمون الذين أمضوا أعمارهم وهم قانعون بالثلاثين أو الأربعين توماناً كمرتب شهري، وما زالوا يواصلون بذل جهودهم.. إن هؤلاء أسمى من أن نخاف أو نخشى عليهم من الميل لبلد أو دولة أخرى. هؤلاء مستقلون بأفكارهم. ومن بينهم ينهض الرجال، من بينهم يخرج أمثال "السيد حسن المدرس"<sup>(١)</sup> وهم لا يسمحون.. نحن لا يمكن أن نسمح بأن يصبح عالم الدين تحت

---

(١) السيد حسن المدرس (١٢٨٧ - ١٣٥٧ هـ) من الوجوه السياسية - الدينية البارزة في تاريخ إيران المعاصر. أكمل دراسته التمهيدية في أصفهان، ثم العلوم التكميلية في العتبات المقدسة على أيدي أساتذة كبار كالأخوند الخراساني. وبعد نيله درجة الإجتهد عاد إلى أصفهان ومارس تدريس الفقه والأصول. إنتخب في الدورة الثانية لمجلس الشورى الوطني (١٣٢٧ هـ) كواحد من المجتهدين الخمسة المشرفين على أمر التشريع، من قبل مراجع التقليد وعلماء والنجف. وانتخب نائباً في الدورة الثالثة من دورات المجلس. اعتُقل

نظر وإشراف الوزير الفلاني أو المسؤول الفلاني. ليخسأ الوزير الذي يدّعي مثل هذا الإدعاء! إنهم واهمون في تصورهم، إنهم واهمون كل الوهم.

يجب أن تكون وزارة الثقافة مبنية على أسس ثقافية صحيحة، وإذا أريد الإنصاف فإنّ أمر الثقافة ينبغي أن يكون بأيدينا نحن، أفنحرم نحن هذه البلاد حتى من وزارة واحدة؟ جميع الوزراء من أميركا؟! فليكن أحد الوزراء منا! فوضوا أمر الثقافة لنا، ونحن ندبر أمورنا، نقوم بانتداب أحد أفرادنا وزيراً للثقافة وندير الوزارة، وأمهلونا عشرة أعوام، أو خمسة عشر عاماً، فإن لم نوفق في إدارتها بمستوى أفضل منكم، أخرجونا منها. فقط أتركوا الأمر بأيدينا مدة من الزمن، دعوا الثقافة بأيدينا، ليكن وزير الثقافة منا، وأمهلونا مدة لكي نستطيع أداء عملنا بصورة صحيحة، أم أنكم تعتقدون أننا سنمنعكم من أن تتعلموا تعليماً راقياً، ونمنعكم من الصعود إلى الفضاء! أنتم عاجزون عن ذلك - ولكنكم لتغطية ذلك - تتذرعون بذرائع شتى فتقولون "علماء الدين لا يسمحون لبلادنا، وأنه لم يحن الآن وقت هذه الأعمال!" من الذين منعكم؟ تفضلوا واعملوا ما شئتم، فلتنشئوا مصنعاً للحديد، أي علماء الدين قال لكم: لا تفعلوا؟ من قال لكم، أخبرونا به حتى نسمع منه! تفضلوا وقوموا بصنع الطائرات، إصنعوا السيارات. ولكنكم لستم مؤهلين لذلك أيها التافهون، لستم سوى دولة ضعيفة، وعدم أهليتكم هذه ليست صفة أصيلة فيكم، إنما هي يد الاستعمار التي جعلتكم هكذا، جعلتكم مأسورين للغرب. هل أن كلامنا هذا متخلف وقديم، وليس ثمة من يعبأ به؟! إنني أؤكد لكم بأن هذا الكلام يشير اهتمام حتى ألمانيا،

ونُفي إبان الانقلاب الذي قاده رضا خان. ثم انتُخب مرة أخرى بعد إطلاق سراحه ودخل المجلس. وفي الدورة الرابعة تولى منصب زعيم الأكثرية المعارضة لرضا خان. وعارض في الدورة الخامسة والسادسة لمجلس الشورى الوطني تبديل الحكومة المشروطة إلى جمهورية، الأمر الذي كان رضا خان يطالب به، وعمل على ثني المجلس عن إقرار ذلك. وقد وقف بشدة أمام استبداد رضا خان، مما حدا بالملك أن يأمر شخصاً باغتياله. وبعد أن فشلت محاولة الإغتيال نُفي إلى خواف وكاشمر. ثم دُسَّ إليه السم بعد أحد عشر عاماً، وبالتحديد في السابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٥٧ هـ على أيدي مأموري الملك. وهكذا، نال أحد أبرز الرجال السياسيين الدينيين في إيران مرتبة الشهادة السامية. إتصف المدرّس بخصال حميدة مميزة، فبالرغم من النفوذ السياسي الديني التي كان يتمتع به، إلا أنه عاش حياة في منتهى الزهد والبساطة. كان الإمام قدس سره يذكره باحترام كبير. فقد كتب قائد الثورة بمناسبة إعمار مقبرة الشهيد المدرّس، يصفه بالقول: "لم يتوان المدرّس عن إظهار الحق وإبطال الباطل، وفي الوقت الذي كانت الأفلام مكسورة والألسن صامتة والرؤوس مطأطأة.. وقف هذا العالم النحيف البدن أمامهم بروح كبيرة طافحة بالإيمان والصفاء والحقيقة، ولسان حادس كسيف حيدر الكرار، وقال الحق، وكشف الجرائم، وضيق الخناق على رضا خان الكذائي، سود دهرهم، وضحى بنفسه الطاهرة في طريق الإسلام العزيز والشعب النبيل، واستشهد في الغربة على يد جلادي الملك، والتحق بأجداده الطاهرين".

وللإطلاع على المزيد من آراء الإمام قدس سره حول المرحوم المدرّس وحبه له (راجع: الحكم التاريخي لسماحة الإمام بتاريخ ١٩/٩/١٩٨٤ م "صحيفة نور"، ج ١٩، ص ٦٦).

فلا تعيروه اهتمامكم أنتم أعطونا وزارة واحدة فقط، خصصوا لنا بضع ساعات من إذاعتكم التي تعجّ برامجها بالموسيقى التي تسوق أبناءنا إلى الفساد الأخلاقي، أعطونا فيها ساعة أو ساعتين بشرط أن لا تتدخلوا في عملنا، لا أن تكتبوا أنتم برامجها، ثم تدفعوها إلينا، وتجبروننا على بثها!! أتركونا أحراراً، أعطونا ساعة أو ساعتين من برامج الإذاعة، وأنيطوا بنا إعداد البرامج بطريقتنا، وامنحونا فرصة بثها، وإني أتعهد لكم بعدم التعرض لكراسيكم، ولا لوزاراتكم، ولا لرئاساتكم. أتعهد لكم بعدم معارضة برامجنا لأي شيء من ذلك. إذا ما جعلت وزارة الثقافة بأيدينا، وخصص لنا زمن من ساعات البث الإذاعي، فإننا حينها ستمكن من إطلاع الناس وإطلاع العالم أجمع على أحكام الإسلام. وسنقدّم لهم الإسلام، وسنقدّم لهم الإسلام وثقافته، تلك الثقافة المستقلة، الثقافة المسلمة، تلك الثقافة التي جعلت أحد العرب من حملتها يقف أمام الإمبراطور حينها ويستلّ سيفه ليزيح الديباج جانباً عن موضع جلوسه وهو يقول: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نلبس الحرير، وأن لا نجلس عليه<sup>(١)</sup>. إننا نبني رجالاً كهذا، إذا خرجنا رجالاً كهؤلاء من مدرستنا العقائدية، وعملنا على تنشئتهم على ثقافتنا، ثم انظروا إن هم وقعوا تحت تأثير الاستعمار؟ ولكن ماذا نفعل والاستعمار لن يسمح لنا بذلك، فأياديه الخبيثة لن تسمح لهم بإعطائنا وزارة الثقافة، وإلاّ فإنّ الإنصاف يقضي أن تكون بأيدينا، وأن نكون نحن المشرفين على الثقافة.

(١) "شرح الطبري" في تاريخه اللقاء بين ربيعي بن عامر - أحد الثلاثة الممثلين للجيش الإسلامي الذين تباحثوا مع رستم قائد جيش يزدرج، قبل معركة القادسية - فكتب يقول: إتجه ربيعي إلى مخيم رستم، وأرسل الذين كانوا على الجسر شخصاً إلى رستم، وأخبروه بمجيئه. تشاور رستم مع كبار الفرس وقال: ما هو رأيكم؟ هل نتفاخر أم لا نهتم؟ كان الجميع يؤيدون عدم الإهتمام. ثم جاؤوا بمواد الزينة، وفرشوا السجادات والديباج، ولم يكن هناك نقص. بنوا لرستم مقعداً ذهبياً، وزينوه، ووضعوا سجادات ومكآت ذهبية. جاء ربيعي وكان راكباً على فرس صغير، وكان لديه سيف حاد ومصقول، وكان غمده قطعة قديمة وفي رمحه كسر، ويده درع من جلد البقر فوقه جلد أحمر كالخبز. ومعه سهم وقوس. وعندما وصل قرب الملك والمكان مفروش، قيل له: إنزل. لكنه سار بالفرس فوق السجادة، ثم نزل وربطه بمكأتين، حيث مزّق المكآت، ومرّ الحبل من ذلك، ولم يتمكنوا من منعه، ولم يهتموا. لقد عرف قصدهم وأراد أن يغضبهم، كان رداؤه رحل بعير، كان قد مزّقه وارتداه، وربط حزام ذلك بقشرة شجرة، ورأسه مشدود بعصابة كانت صبل بعيره.. قيل له: "ضع السلاح". قال: "إنني لم أجيء بأمركم حتى أضع السلاح، أنتم دعوتهموني، فإذا لا تريدون أن أجيء إليكم كما أريد فإني أرجع". أخبروا رستم فقال: "دعوه يأتي، أليس هو شخص لا أكثر". ذهب ربيعي واتكأ على رمحه، وكان على رأسه غطاء. كان يخطو خطوات قصيرة، ويثقب الديباج والسجاد، ولم يبق ديباج وسجاد إلاّ خرّب ومزّق، وعندما وصل بالقرب من رستم، رفع الحراس بابه، فجلس على الأرض، وأدخل الرمح في السجادة. قالوا له: "لماذا فعلت هكذا؟" قال: "نحن لا نحب أن نجلس على زيتكم"، فتكلم معه رستم وقال: "لماذا جئتم؟" قال: "إنّ الله بعثنا، والله جاء بنا لنحمل من يريد من عبادة العباد إلى عبادته، ومن ضيق الدنيا إلى وسعته، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، أرسلنا بدينه إلى الخلق لندعوهم إلى دين الله، فمن قبل منا نقبل منه ونعود عنه ونسلمه بلده ليتولاه، ومن أنكر نحاربه باستمرار حتى نصل إلى وعد الله". قال: "ما هو وعد الله؟" قال: "الجنة لمن يُقتل في حرب المنكرين، والنصر لمن يبقى" (راجع: "ترجمة تاريخ الطبري"، ج ٥، ص ١٦٩٠ - ١٦٩٢).



تريدون تشكيل وزارة الأوقاف؟<sup>(١)</sup> يجب إذاً أن تكون وزارة الأوقاف تحت إشرافنا، لا أن تقوموا أنتم بتعيين أفرادها، فتعيينكم غير مقبول. فمن أنتم حتى تقوموا بالتعيين؟! نحن الذين يجب أن نعين أفرادها. دعونا نحن نعين شخصاً لوزارة الثقافة، وآخر لوزارة الأوقاف، وسوف لن تكون الأوقاف كما هي عليه الآن مرتعاً للمتمردين، وسوف تجتمع إليها كل الموقوفات. إجعلوها بأيدينا، لتروا ماذا سيكون، لتروا كيف سنغني الفقراء بهذه الأوقاف، بهذه الأوقاف فقط نغني الفقراء. أذعنوا أنتم لبعض أحكام الإسلام، إسمحوا لنا بجمع الضرائب التي افترضها الإسلام على الناس بالشكل الذي كان "إسلام السيف" يجمعها به. وانظروا هل سيبقى فقير بعدها؟ وفوق هذا فإني أتكفل لكم بشق الطرق، وأشتري لكم سفناً.. إسمحوا لنا فقط وانظروا. ولكنكم لن تفعلوا، إنني أعلم أن كلامي هذا لا فائدة منه، فما أن أنهى حديثي حتى تغادروا أنتم، وأغادر أنا أيضاً، وينتهي الأمر. ولن يقبلوا هم كذلك بهذه الاقتراحات. ولكن ما عسانا أن نفعل، إنها هموم نحملها، هموم تضيق بها صدورنا، ولا بد من طرحها.

التبليغ يجب أن يكون بأيدينا، فنحن المبلّغون لا أنتم، يجب أن يكون التبليغ ضمن مسؤولياتنا. ويجب أن يكون لنا موطئ قدم في المحطات الإذاعية الممارسة عملية التبليغ، فأنتم حينما تمارسونه يكون تبليغكم ضد الإسلام، تبليغاً باللاإسلام. فقد طرحتم الإسلام بصورة مشوهة جعلت أحد الطلاب لاجامعيين يكتب إليّ من أميركا بأنّ طلبة الجامعات هناك يقولون: إنّ كل التعاسات هي بسبب الإسلام! وا أسفاه عليك أيها الطالب المسكين، إنّ تعاستنا كلها بسبب حكام المسلمين، بسبب حكومات البلدان الإسلامية، فالإسلام لم يطبق في بلادنا حتى ليوم واحد. الله يشهد أنه لم يطبق حتى ليوم واحد، وما عساني أن أفعل؟ فمن جهة لا وقت للخطابة عندنا، ومن جهة أخرى فإنّ صحتي لا تسمح.

ما أن نبدأ بقول بضع كلمات، إلّا وتراهم قد أوعزوا إلى مجاميع وحشود يقولون: "إنّ شركة نقل الركاب تريد أن تأتي بأربعة آلاف شخص، وفلان عدة آلاف!"<sup>(٢)</sup> أهي معركة تريدون خوضها يا سادة؟! إنّ العاملين بشركة نقل الركاب يؤيدون لنا، أتركوا لهم الخيار، وانظروا كيف سيأتون إلى هنا، جميعهم سيأتون وينضمون إلينا، أفتريدون إدارة البلاد بالقوة والإكراه؟! لا والله لن ينفعكم الإكراه في تحقيق ذلك.

---

(١) كتبت صحيفة "خراسان" الصادرة في العاشر من شهر يور ٤٤: "الكلام الدائر هو في إطار فصل مؤسسة الأوقاف تماماً عن هيكلية وزارة الثقافة. وقد أشيع منذ فترة بأنّ وزارة جديدة ستشكل باسم وزارة الأوقاف" (منظمة استخبارات وأمن نظام الملك).

(٢) في اليوم الذي كان مقرراً أن يلقي الإمام كلمته هذه، كان عدة آلاف من القوات الخاصة والجنود قد أرسلوا إلى قم من طهران بحافلات شركة نقل الركاب، وذلك لإدخال الرعب على قلب الإمام، وقد استقروا في أطراف المسجد الأعظم (المحل الذي كان مقرراً للإمام أن يلقي كلمته فيه)، وكما أنهم قاموا بمحاصرة مدرسة الفيضية، وساحة الآستانة، وأطراف الصحن المطهر، وبقية المراكز الحساسة في المدينة.

أصلحوا أنفسكم قليلاً، صححوا أوضاعكم قليلاً، وبمناسبة ذكر الإصلاحات أشير إلى أنّ هؤلاء المحترمين قاموا بإصلاحات أيضاً، وإحدى إصلاحاتهم الكبرى هو جعل يوم الجمعة عطلة إجبارية<sup>(١)</sup> تأملوا في هذا الموضوع الذي سأعرضه، وعليكم تقع مسؤولية إبلاغ الشعب الإيراني قاطبة، عليكم التبليغ بهذا الأمر في جميع أنحاء إيران. إنّ التعطيل الإجباري يوم الجمعة أمر مفروض بالقوة على الكسبة المساكين المعدمين، وإن لم يعطّلوا فإنهم يغرمون ثمانين تومانا، أو مقدار آخر من المال - شيئاً من هذا القبيل - مع إبقاء مراكز الفساد مفتوحة، فدور السينما مجبورة على فتح أبوابها، وكذلك دور العرض المسرحي، يقولون إنّ مراكز الفساد الأخرى أيضاً تكون مفتوحة، ولا أريد ذكر اسمها. وما أعرضه عليكم مذكور في الصحف، عليها أن تبقى جميعاً مفتوحة، من الصباح وحتى المساء، في حين أنّ الكسبة يجب أن يعطّلوا أعمالهم، والسوق يجب أن تغلق أبوابه. وسوف يصلنا الدور غداً في قم، فقد ذكروا: أنّ قم طلبت ذلك منهم أيضاً!! الطلب نفسه الذي كانت طهران قد طلبته!! مساكين أهالي قم، فقد طلبوا من الحكومة ذلك أيضاً!! إنّ هؤلاء يفتحون عيونهم صباحاً فيتساءلون: ألم تطالب المدينة الفلانية بذلك؟ ويبادرون لإخبار الصحف بأنّ المدينة الفلانية قد طالبت. وتبدأ الصحف بالكتابة عن ذلك أيضاً. فبعض الصحف تقوم بدور خياني لهذا البلد. تأملوا: يوم الجمعة بكامله عطلة، ومراكز الفساد الملأى بأصناف الطعام والشراب، وما تشتهي الأنفس تترك مفتوحة أمام هؤلاء المراهقين. فهل سيبقى والحال هذه بعد عشرة أعوام، شاب واحد سالم لهذه البلاد.

لعن الله الخائنين، سوف لن يبقى لكم شاب سليم واحد. جميعهم سيُستدرجون إلى مراكز الفساد. إنني أوصيكم أيها السادة أن تهتموا بأمر هذه البلاد، إهتموا بجميع أنحاء هذه البلاد. ولكي تتمكنوا من مواجهة هذه الأساليب التي يسلبونكم من خلالها أبناءكم فوجاً بعد فوج، عليكم أن تقيموا التجمعات الدينية. أقيموا مجالس للتبليغ في أيام الجمعة التي يريدون فيها أن يجروكم نحو مراكز الفساد، وادعوا الناس من خلالها إلى الإسلام، تحدثوا إلى الناس عن المصالح والمفاسد في أيامنا هذه. نحن مكلفون بذلك، ويجب أن يتحقق هذا الأمر. وإن لم يتحقق فإنهم سيضيّعون شبانكم. حاولوا إنشاء مراكز للشباب يتم فيها توعيتهم، وطرح الموضوعات المختلفة، وتسييل الأضواء على المفاسد التي تقع في هذه البلاد بحدود ما تسمح به مديرية الأمن<sup>(٢)</sup> وإلا فإنّ التعطيل الإجباري في أيام الجمعيات لا يقصد منه راحة الطبقة الكادحة<sup>(٣)</sup> ولكنه لأجل ما ذكرنا، وعسى أن

---

(١) أبلغت الحكومة كافة الكسبة - وبكتاب رسمي - بأنّ يوم الجمعة عطلة طبقاً لقانون العمل.

(٢) "السافاك".

(٣) كما أشار سماحة الإمام، فإنّ الكسبة كانوا يعارضون بشدة مسألة التعطيل الإلزامي، وقد ذكرت بعض الصحف المحلية الأخيرة للنظام هذا الأمر. فقد كتبت صحيفة "خراسان" في ١٩٦٤/٩/٦ م: "لم يطبق موضوع العطلة يوم الجمعة بالنسبة للكسبة كما كان متوقعاً، فقد كانت أغلب دكاكين طهران مفتوحة، خاصة في يوم الجمعة الماضية".

يكون غرضهم غير هذا - إن شاء الله - غير أنه من المحتم أن يكون كما ذكرنا. فطبعي حينما يتركون مراكز الفساد مفتوحة هكذا، ويغلقون المراكز الاجتماعية العامة الأخرى، فإن النتيجة الطبيعية هي أن الشبان سيجرّون نحو مراكز الفساد. وتأكد أنه خلال هذين الأسبوعين أو الثلاثة التي تم فيها تطبيق التعطيل الإجباري، علاوة على ما يريدون تحميله لهذه الجماهير من بؤس فوق بؤسها، وإضافة إلى ما سيفسد ويتلف من المواد الغذائية، وما سيواجه به هؤلاء المساكين الذين سيخرجون يوماً من الأسبوع طلباً للقمّة يأكلونها فلا يجدون، علاوة على كل ذلك تستطيعون الذهاب والنظر إلى التغير الذي طرأ على دُور السينما منذ شهر وحتى الآن. ولا يستبعد أن يكون هناك اتفاق سرّي مع تلك الدُور. فهؤلاء الذين يبلّغون ويروّجون أعمال مراكز الفساد لا بد أنهم يأخذون منها مبالغ معتبرة مقابل هذه الخدمات، وإلاّ فهل يقبل عاقل غير ذلك.

من يريد أن يتخذ مثل هذا الإجراء فعليه أن يهيئ لهذا الشعب - وقبل كل شيء - مجالات سليمة للنزهة. فالمجالات غير السليمة لدى هؤلاء هي التي تؤدي إلى الفساد. نعم، يجب أولاً إعداد مجالات للنزهة والإستراحة المشروعة السليمة، ثم بعد ذلك يتم إصدار الأمر بتعطيل باقي الأعمال، وحينها يتجه الناس نحو تلك المراكز. أنتم لم تفعلوا ذلك، بل فتحت أبواب مراكز الفساد، وأغلقت المحلات التجارية. إنّ هذا التصرف حتى إن لم يكن قد صدر بسوء نية منكم، فإنّ النتيجة هي ما أشرنا إليه حتماً. وإذا لم تكن لديكم نيات سيئة، فما أنذا قد أوضحت لكم الأمر. وإن بقيت الحال كما هي بعد حديثي هذا، وبعد وصوله أسماع تلك الجهات التي تمارس هذه الأعمال، فسوف يتضح سوء نيّتهم، وأنّ الأمر مبني على نيّة سيئة، وسوف يتضح بأنّ أوامر جديدة قد صدرت أيضاً.

اللهم أيقظ هؤلاء! اللهم ألبس أعداء الإسلام ثوب الذلّة.. اللهم عرّف حكام البلدان الإسلامية بمسؤولياتهم.. اللهم اقطع يد الاستعمار.. اللهم اقطع يد كل من يريد استعمار هذه البلاد ونهبها.

## هوية الخطاب رقم (١٦)

- إيران/ قم/ منزل الإمام الخميني، في ٢٠/٢/ ١٣٨٤ هـ، الموافق ١٠/٢٦/ ١٩٦٤ م.
- الموضوع: الكشف عن إحياء لائحة الحصانة الديبلوماسية من قبل الملك ومجلسه العميل.
- المناسبة: عيد ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومعارضة الإمام لإقرار لائحة الحصانة.
- الحاضرون: الطلاب والعلماء وأصحاب المتاجر والجامعيون وبقية شرائح أهالي قم والمدن.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

لم يخفق المشروع - الأميركي المنشأ (في إطار مشروع كندي (الوحدة من أجل التقدم) المسمى بـ "الثورة البيضاء" والذي قدّمه الملك في ١٩٦٣/١/٢٦ م وحسب، بل أدى في كثير من المجالات إلى انهيار المؤسسات الاقتصادية.

من ناحية أخرى، كانت النهضة - التي بدأت بقيادة الإمام عليه السلام - بمثابة تحذير لأميركا في أن تدرك أن هذه النهضة سوف تنتهي إلى ثورة عارمة وواسعة ضد الولايات المتحدة ونظامها العميل في إيران. هذان الأمران دفعا رجال الحكم الأمريكيان إلى التصميم على إحياء مسألة "الكاييتلاسيون" الحصانة الدبلوماسية، وإقامة "حق القضاء القنصلي في إيران" حتى يدافع العسكريون الأميركيون - باطمئنان - عن مصالح دولتهم في هذه المنطقة من العالم، وينعمون بحماية الملك والنظام الملكي مباشرة.

وقد سلّمت أميركا هذا الاقتراح إلى إيران في شهر آذار ١٩٦١ أو قبل بدء الملك بطرح مشروعه. إلا أن المتابعة الجادة له أوقفت لأسباب حتى قيام ثورة حزيران الدامية.

إنّ تصاعد نهضة الإمام عليه السلام وتقارير الخبراء الأميركيين التي أشارت إلى عدم نجاح النظام الملكي في إخماد النهضة وكسب ود الجماهير، أدى إلى معاودة أميركا اقتراح هذا المشروع مرة أخرى، والضغط على النظام لإقراره.

قدّمت لائحة حصانة المستشارين وبقية أفراد الجالية الأميركية في إيران إلى مجلس الشيوخ بعد شهر آب ١٩٦٤ بعد إقرارها من قبل حكومة "أسد الله علم" في ١٩٦٣/١٠/٥ م فأقرها مجلس الشيوخ. وبعد أن تولى حسن علي منصور رئاسة الوزراء قدّم اللائحة المذكورة إلى مجلس الشورى الوطني في ١٩٦٤/١٠/١٣ م فصادق عليها النواب.

وهذا هو نص اللائحة: المادة الأولى - إستناداً إلى مفاد اللائحة الحكومية رقم ١٨ - ٢٢٩١ - ٢١٥٧ - ١١ - ١٣٤٢ وملحقاتها التي قدّمت إلى مجلس الشيوخ بتاريخ ١٩٦٤/٢/١٠ م للحكومة إعطاء الحصانة لرئيس وأعضاء اللجان الإستشارية العسكرية للولايات المتحدة في إيران الذين يستخدمون من قبل الحكومة بموجب الإتفاقيات المبرمة بين الطرفين والإعفاءات التي تشمل الموظفين الإداريين الموصوفين في البند "و" من المادة الأولى من اتفاقية فيينا الموقعة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٦١<sup>(١)</sup>.

لم يعلن تقريباً عن أمر المصادقة على لائحة الحصانة من قبل مجلسي الشيوخ والشورى الوطني، ولم تكشف صحافة النظام عن ذلك، لما فرضته الحكومة من تعميم إعلاني. وبعد فترة وصلت الإمام عليه السلام المجلة الداخلية لمجلس الشورى التي تتضمن النصوص الكاملة لكلمات ومباحثات النواب ورئيس الوزراء في هذا الصدد، فتأثر كثيراً، وانتشرت بالتدريج الأخبار المتعلقة بتأثر الإمام وقلقه، فوفد إلى قم أشخاص كثيرون من المستفسرين عن سبب هذا القلق.

وقرر الإمام - ومن أجل الكشف عن خيانة الملك وحاشيته لإيران والمجتمع الإسلامي - إلقاء خطاب يدعو فيه الجميع إلى التحرك والنهوض لمواجهة الملك وأميركا. فقام سماحته ابتداءً بإرسال مبعوثين إلى

(١) محضر مباحثات مجلس الشورى الوطني، الدورة الحادية والعشرون، الجلسة ١٠٤، ص ٢٧.

المدن البعيدة والقريبة لإطلاع العلماء، ثم التقى وتباحث أيضاً مع العلماء الأعلام في قم، وتشاور معهم حول الموضوع، مشيراً إلى النتائج التي ستترتب على هذا الأمر المفجع.

وبعد تهيئة الأرضية المناسبة، تم تحديد ٢٦/١٠/١٩٦٤ م الموافق لـ ٢٠ جمادى الثانية ١٣٨٤ موعداً لإلقاء كلمته. وتوجهت الحشود من مختلف أنحاء البلاد إلى قم للاستماع إلى خطاب قائد النهضة.

كان النظام الملكي يعلم بأن استخدام القوة سوف لا يكون مفيداً، بل سيؤدي إلى تشديد الإمام من عزمه على إلقاء الخطاب. لذا، فقد استخدم وسيلة أخرى، فقام بإرسال أحد العناصر - غير المرتبطة بالنظام ظاهراً، ممن يتمتعون باحترام في أوساط الناس - إلى قم للإلتقاء بقائد النهضة وتحذيره من مغبة التعرض للإمبريالية الأميركية في خطابه، وإيجاد جو مضاد لأميركا في الوسط الديني في إيران.

وبعد جهود كثيرة تمكن هذا الشخص من لقاء نجل الإمام الأكبر، الشهيد السيد مصطفى الخميني، فصرح له في هذا اللقاء بأن مهاجمة الإمام قَالَ لأميركا في خطابه أشد خطورة من التعرض للملك، وأوصى بالفتات نظر الإمام الخميني بعدم مهاجمة السياسة الأميركية إذا كان مقررراً أن يلقي خطاباً في هذه الأيام، فإن ذلك أمر خطير سوف يؤدي إلى تعرضه لرد فعل حاد وشديد من قبل نفس الحكومة الأميركية. وأنه حر في قول ما يشاء - فيما عدا ذلك - حتى وإن كان هجوماً على شخص الملك.

إن حساسية الملك من قضية التعرض للسياسة الأميركية، لها ما يبررها، نظراً لطبيعة ارتباطاته بالبيت الأبيض، كما أن أميركا كانت آنذاك تعاني من الأزمة الفيتنامية، وهي على أعتاب انتخابات رئاسة الجمهورية ١٣/١١/١٩٦٤ م وتعيين رئيس للجمهورية بدلاً عن كندي الذي كان قد تعرض لعملية اغتيال ناجحة حينها.<sup>(١)</sup>

وعندما أدرك الإمام قَالَ نقطة ضعف النظام هذه، ركز الهجوم في خطابه الحماسي على أميركا، وانتقد بشدة سياسات الولايات المتحدة، وفي يوم ٢٠ جمادى الثاني ١٣٨٤ يوم الميلاد المسعود لفاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ويوم ولادة الإمام قَالَ كان الكثير من الناس قد اجتمعوا في قم قادمين من مختلف أنحاء البلاد للاستماع لكلمة الإمام. فاحتظ منزل الإمام (الواقع في حي "يخجال قاضي") والأزقة المحيطة به وأحد بساتين الرمان المجاورة لمنزله بالقاديين، ونصبت مكبرات الصوت في أطراف المكان. وفي تمام الساعة ٨،٣٠ صباحاً خرج الإمام قَالَ أمام الناس بوجه شاحب، وعيون محتقنة من شدة الغضب والتعب والسهر، وجبيناً مقطّباً، وهيئة مرتبة وجذابة.

---

(١) بعد نفي الإمام الخميني (١٩٦٤/١١/٤ م) قال "ليندن جونسون" رئيس الجمهورية الأميركية الجديد: "إن الكرة الأرضية هادئة، وملايين الناس في العالم الحر، وملايين الناس الأسرى في الدول غير الديمقراطية ينتظرون تحديد مصير الانتخابات الأميركية. إن مستقبل أميركا يرتبط بشكل كامل بمستقبل العالم" (صحيفة "خراسان" ١٩٦٤/١١/٤ م).

ثم بدأ خطابه بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وتلا الآية الشريفة: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، وارتفع صراخ الحاضرين وبكائهم، وكانت كل جملة تحدث بها الإمام ملحمة هيّجت الناس وأبكتهم. ثم روت غرس الثورة في نفوسهم، فكان هذا الخطاب مع غيره السبب في تفتح زهور الثورة فيما بعد.

صاح الإمام عليه السلام في خطابه: "أيها السادة، إنني أحذركم، أيها جميعاً، أيها الفضلاء، أيها الطلاب، أيها المراجع، أيها السادة، أيها النجف، وقم، ومشهد، وطهران، وشيراز، إنني أحذركم.. إذا كان وطننا محتلاً من قبل أمريكا، قولوا لنا حتى نفهم.. إنّ جميع مشكلاتنا من أميركا، جميع مشكلاتنا من "إسرائيل"، و"إسرائيل" وأميركا شيء واحد".

وفي ختام خطابه الحماس قال الإمام الخميني: "لقد تعرض هذا البلد لخيانة نواب مجلس الشيوخ.. ونواب مجلس الشورى الذين صادقوا على هذا الأمر، إنّ هؤلاء ليسوا نواباً. ليعلم العالم أنّ هؤلاء ليسوا نواباً للشعب الإيراني. وحتى إذا كانوا كذلك فإني أقتلهم من مناصبهم، إنهم معزولون عن مواقعهم". ومن المقاطع التي أوردناها أعلاه تتجلى قناعات سماحة الإمام بشأن صلاحيات الولي الفقيه.

إنّ ما قاله الإمام في هذه الكلمة الثورية الحماسية، لم يسبقه مثيل خلال النهضة - حتى ذلك اليوم - وقد هزت قصور ظلم الملك، ناهيك عما فعلته بالبيت الأبيض في واشنطن.

في هذه الكلمة أوضح الإمام عليه السلام موقفه الحازم الذي لا يقبل المساومة أمام المعسكر الشرقي والغربي، وأكد على سياسة اللامركزية واللاغربية التي كان ملتزماً بها حتى آخر عمره، وبيّن موقفه تجاه الدول الاستعمارية، وكما يلي، والاتحاد السوفيتي أسوأ منهما. كل منهم أسوأ من الآخر. كل منهم أخبث من الآخر، إلّا أنّ مشكلتنا اليوم هي مع هؤلاء الخبثاء، مع أميركا، فليعلم رئيس الجمهورية الأميركية أنه أكثر الناس في العالم منقرياً لدى شعبنا". وفي كلمته حدّد سماحة الإمام ما تهدف إليه العلماء والروحانية بشكل عام، وأعطى توجيهاته القيمة والغنية للجيل المعاصر والمقبل. كما أنّ سماحته عدّ المواجهة لأميركا - التي تعدّ السبب الحقيقي في سوء أحوال الشعب الإيراني وبقية الشعوب - أمراً لا ينفصل عن أسس النهضة في شوطها المقبل، والعالم كله شهد كيف أنه أصر على هذه القاعدة حتى آخر لحظات عمره المبارك.

بعد هذه الكلمة التاريخية، أصدر الإمام عليه السلام بياناً في ١٩٦٤/١٠/٢٦ م كشف فيه عن مؤامرة النظام بشكل أكثر تفصيلاً، فأشار في هذا البيان إلى مسألة تغيير طريقة إيراد القسم في الجيش<sup>(١)</sup> وقد تم طبع واستنساخ هذا البيان وتوزيعه على نطاق واسع وفي وقت قصير، فقد تم في طهران توزيع أكثر من ٤٠ ألف نسخة من هذا البيان خلال أقل من عشر دقائق بواسطة ٥٠٠ من الشبان من الكسبة والجامعيين، وأثارت طريقة توزيع البيان خوف أزلام "السافاك"، ولم يستطيعوا الحيلولة دون ذلك.

(١) راجع هوية الخطاب السابق.

وقد أدرك النظام الملكي - الذي كان خائفاً من تصاعد وتيرة الإستياء الشعبي وإثارة الرأي العام - أنّ من غير الممكن تنفيذ ما سمّي بمشاريع الملك بالإصلاحية، وأنّ النظام يتعرض لهزة قد تطيح به مع وجود قائد واعٍ كالإمام قلّ في إيران، لذا فقد قرر الخروج من المأزق بالإقدام على اعتقاله ونفيه خارج إيران.

وبالفعل فقد تم في ليلة ١٩٦٤/١١/٤ م قيام المئات من القوات الخاصة والمظليين المسلحين بمحاصرة منزل الإمام في قم، ثم مدهامته من السطح والجدران، والقيام بتفتيش المنزل، وتعريض الخدم للضرب والشتم سعيّاً في اعتقال الإمام. وبعد مجموعة من الإجراءات المهينة قام المأمورون بنقل الإمام بسيارة كانت معدّة سلفاً. وفي مدة قلّت عن ٩٠ دقيقة قطعت السيارة التي أقلت الإمام الطريق بين قم وطهران قاصدة مطار "مهرآباد" الدولي. ولم تكن قد بزغت شمس يوم ١١/٤ إلا وقائد النهضة الكبير يُنفى من موطنه بجرم الدفاع عن استقلال الوطن وسعادة أبناء وطنه المسلمين مبعداً إلى تركيا<sup>(١)</sup>. وفي فجر اليوم ذاته اعتُقل نجل الإمام الأكبر الشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني، ونقل إلى سجن "قزل قلعة". وبثت الإذاعة، ونشرت الصحف البيان الذي أصدرته منظمة استخبارات وأمن الدولة.

وبهذا النص "بناءً على المعلومات الموثوقة، والشواهد والأدلة الكافية، فقد تبين أنّ أسلوب السيد الخميني وتحريكاته المضادة للشعب والأمن والاستقلال والسيادة، لذا فقد تقرر إبعاده عن إيران في تاريخ ١٩٦٤/١١/٤م".<sup>(٢)</sup>

ما اطّلع الشعب الإيراني المضحي العظيم على النفي غير القانوني، حتى اندلعت تظاهرات كبيرة وعطلت الأسواق في طهران وقم وكثير من المدن الأخرى، كما قوبل اعتقال الإمام قلّ ونفيه برد فعل قوي من قبل الأوساط الدينية، وعطلت الدروس في الحوزات العلمية، كما عطلت مراسم صلاة الجماعة في قم ومشهد

(١) كتب اللواء فردوست - الرفيق للملك - في مذكراته (ج ١، ص ٥١٦): "كما أنّ تولي منصور لرئاسة الوزارة كان بأمر من أميركا وبصلاحيات خاصة، فإنّ نفي الإمام الخميني كذلك كان بأمر مباشر من أميركا، ولم يكن محمد رضا راغباً في هذا العمل والأفضل أن أقول إنه كان خائفاً من القيام بذلك.

في الليلة التي سبقت نفي الإمام، كان محمد رضا قد أعدّ مأدبة حضرها حوالي ٣٠٠ شخص من المدعوين. وكان منصور رئيس الوزراء حاضراً أيضاً، وكان منصور يمشي مع محمد رضا في وسط الصالة، حوالي نصف ساعة.. وأخيراً استدعاني محمد رضا وقال متضيقاً: أنظر ماذا يريد رئيس الوزراء؟ فقال منصور: يجب نفي آية الله الخميني بسرعة إلى تركيا. قلت: يجب أن يقال ذلك لباكروان (رئيس السافاك). قال: إتصل به تلفونياً. إتصلت، فقال باكروان: هل أستطيع التحدث مع الملك؟ قلت لمحمد رضا، فذهب إلى غرفة أخرى، وتكلم معه. وصدر أمر نفي الإمام. وفي تلك الليلة ذهب المولوي (رئيس سافاك طهران) إلى قم مع قوة خاصة، وجاء به إلى طهران. وفي صباح اليوم التالي نُفي بالطائرة إلى تركيا".

(٢) راجع صحيفة "خراسان" الصادرة في ١٩٦٤/١١/٥ م، ص ١، وبقية صحافة البلد.

وطهران وكثير من المدن مدة أسبوعين إلى شهر واحد. وفي الأثناء أصدر علماء إيران برقيات وبيانات أعلنوا فيها دعمهم للإمام وحركته.<sup>(١)</sup>

وحاول "نظام الملك" التخفيف من حدة الغضب الشعبي، وذلك بقيامه بمناورات خادعة. فقد أقدم بعد ٥٧ يوماً من نفي الإمام، على إطلاق سراح آية الله السيد مصطفى من سجن "قزل قلعة" وتوجه إلى قم. ولكن في الساعة ٢ بعد الظهر يوم ١٩٦٥/١/٣ م، الموافق لـ ٢٩ شعبان ١٣٨٤، هاجم رئيس سافاك قم وجمع من المأمورين بيت الإمام عليه السلام واعتقلوا مرة أخرى السيد مصطفى. ونقلوه إلى طهران ونُفي من هناك إلى تركيا في إثر والده.

وبعد نفي الإمام عليه السلام ونجّله الأكبر إلى تركيا، قام العلماء الغيارى والواعون بفضح النظام، فاعتقل كثير منهم، وحوكموا محاكمات صورية، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن بمدد متفاوتة.<sup>(٢)</sup>

---

(١) بعد نفي الإمام، أرسلت كثير من "الطومارات" والرسائل والبرقيات والبيانات إلى قم وتركيا. وفي بيان الحوزة العلمية في قم طالب العلماء أبناء الشعب القيام بإضراب عام. كما أنّ ذوي السماحة الآيات: النجفي المرعشي، السيد هادي الميلاني، السيد محمد رضا الكليكاني، السيد أبو القاسم الخوئي، السيد حسن القمي، السيد كاظم الشريعتمداري، أبو الحسن الرفيعة القزويني، السيد علي البهبهاني والحاج ميرزا عبد الله الطهراني، وجماعة علماء آبادان، وعلماء شيراز، و.. قاموا بالتعبير عن اعتراضهم على إجراء الحكومة، وذلك عبر برقيات ورسائل عديدة. جاء في البيان الأول الحاد الذي أصدره آية الله النجفي المرعشي: "لتعلم البيئة الحاكمة أنها ارتكبت جرائم كثيرة، وسوف لا ينسى تاريخ العالم أبداً هذه الجريمة.. أليس من العار أن يصاب الأجنب ويُنفى آية الله الخميني إلى الخارج". وفي بيان شديد اللهجة وتفصيلي أصدره آية الله النجفي المرعشي أيضاً في حرم السيدة المعصومة عليها السلام دافع عن ثورة الإمام الخميني.

وجاء في البرقية الأولى لآية الله الميلاني: "ليعلم أولياء الأمور أنهم ليسوا لوحدهم، بل هم اللسان الناطق بجميع الأوساط العلمانية والدينية، وكلامهم كلام حق وحقيقة". وكتب آية الله الكليكاني في برقية: "نعم مع كمال الأسف أن يتم التجرؤ على علماء الإسلام في البلد الذي يعتقد أكثرية الشعب أنّ المرجع ذي الصلاحية الوحيد هم العلماء. وأنا الحقير سوف أقوم بكل ما يلزم للوقوف بوجه هذه الممارسات". والنص الكامل لبرقية آية الله الخوئي هو: "سماحة آية الله المرعشي (دامت بركاته). قم: إنّ القضية الأخيرة ومشكلة سماحة آية الله الخميني، ووصول أخبار موحشة أثارت القلق، أطلعوني على سلامته، وعلى كيفية الأمر. ذكرت نصوص من بيانات وإعلانات المراجع والعلماء في كتاب "نهضة علماء إيران"، ج ٤، ص ٢٧-٩٥.

(٢) وردت أسماء ١٩ شخصاً من العلماء وأئمة الجماعة وخطباء طهران الذين اعتُقلوا وسُجنوا في شهر رمضان ١٣٨٤ (١٩٦٤ م) وذلك في كتاب "نهضة علماء إيران" (ج ٥، ص ٩٦)، وهم: السادة البجستاني، غلام حسين الجعفري، السيد هادي الخسروشاهي، علي أصغر مرواريد، السيد قاسم الشجاع، محمود الصالحي، علي أكبر ناطق نوري، فهيم الكرمان، فضل الله المحلاتي، آقابزرگ كني، جعفر الشجوني، مهدي الرباني الأملشي، أحمد الكافي، الموحد الأصفهاني، محمد مقدسيان، رضا الكلرخي، نجم الدين اعتماد زادة، المهدي الخراساني، المطهري الأصفهاني، وجمع آخر من الوعاظ ومجموعهم ٢٢ شخصاً.



وأخيراً، تصاعد لهيب غضب الشعب الإيراني المسلم البطل عند سقوط الشهيد الكبير الرشيد محمد البخارائي. فقد كان الأخير فدائياً وجندياً للإسلام، وفي يوم الخميس ١٩٦٥/١/٢١ م أنهى برصاصه الناري حياة حسن علي منصور (رئيس الوزراء) الذي قدّم لائحة الحصانة إلى المجلس، وأتم المصادقة عليها.

إن ١١ / ٤ يعتبر فصلاً حساساً ومناسبة مليئة بالذكريات في تاريخ نهضة الإمام الخميني. فبعد نفي الإمام في ١٩٦٤/١١/٤ م بـ ١٤ عاماً، وفي نفس اليوم (١٩٧٨/١١/٤ م) دوت في طهران بشعارات "الموت للملك" و"يحيا الخميني" التي انطلقت من حناجر عشرات الآلاف من طلاب المدارس والجامعات في جامعة طهران والشوارع المحيطة بها. ولم يجد رصاص العسكر، وسقوط عشرات الطلاب في ذلك اليوم للوقوف بوجه تلك الموجة المزمجرة، وانتصرت الثورة في ١١ / ٢. وفي ١٩٧٩/٥/١٣ م صادق مجلس الثورة على اقتراح الحكومة المؤقتة للجمهورية الإسلامية بإلغاء القانون الصادر في ١٩٦٤/٩/٢٤ م (لائحة الحصانة) فأصدرت وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية يومها بياناً رسمياً أعلنت فيه إلغاء الإتفاقية.<sup>(١)</sup>

والعجيب أنّ الطلبة الجامعيين المسلمين السائرين على نهج الإمام، قاموا في ١١ / ٤ من نفس تلك السنة (١٩٧٩ م)، وبتأييد كامل من الإمام الخميني باحتلال وكر التجسس الأميركي في إيران - السفارة الأميركية - رغم معارضة الاتجاه الوطني والحكومة المؤقتة، ونشروا نصوص الوثائق التي فضحت التدخل المباشر لأميركا في إيران.

## الخطاب رقم (١٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. إنني عاجز عن التعبير عن مدى تأثري القلبي، وقلبي يعتصره الألم، وقد أقلقني وأرقتني سماع أخبار التطورات الأخيرة في إيران<sup>(٢)</sup>، وكم يحزنني ذلك، وإني لأعدّ الأيام في انتظار موافاة

---

(١) نص اللائحة التي قدّمتها الحكومة المؤقتة، وصادق عليها مجلس شورى الثورة هي كما يلي: "تلغى المادة الواحدة - القانون الصادر في ١٩٦٤/١٠/١٣ م، والقاضي بتمتع المستشارين العسكريين الأميركيين في إيران بالحصانة الخاصة والإعفاءات الواردة في اتفاقية فيينا" (صحيفة "إطلاعات"، ١٩٧٩/٥/١٤ م).

(٢) المقصود هو لائحة "الحصانة" الخاصة بالأجانب، والتي صادق عليها مجلس الشورى الملكي!! في ١٩٦٤/١٠/١٣ م.

والحصانة عنوان كلي لجميع المعاهدات والإتفاقيات التي يُعطى بموجبها حق القضاء القنصلي، أو حق القضاء داخل دولة أجنبية. واستناداً لهذه اللائحة فإنّ أتباع الدولة الأجنبية يُستثنون من المثل أمام سلطة

الأجل بقلب يعتصره الألم. إن إيران لم يعد لها عيد بعد الآن، لقد أحوالوا العيد في إيران عزاء<sup>(١)</sup>، أحواله عزاءً واحتفلوا به، أقاموا العزاء وراحوا يرقصون. لقد باعونا، باعوا استقلالنا، ثم احتفلوا ورقصوا. لو كنت مكانهم<sup>(٢)</sup> لمنعت مظاهر الفرح تلك، ولأمرت برفع رايات سود على الأسواق، ولأمرت برفع رايات سوداء على المنازل. لقد سُحِّقَت عزَّتنا، وتبدَّد مجد إيران، ومرَّغت في التراب عظمة الجيش الإيراني. لقد قدّموا إلى المجلس قانوناً، ألحقنا بمعاهدة فيينا<sup>(٣)</sup> أولاً، وأضافوا المستشارين العسكريين لتشملهم معاهدة فيينا ثانياً، فقد جعلوا جميع المستشارين العسكريين مع عوائلهم، وموظفيهم وفنييهم وإدارييهم وخدمهم، وكل من يرتبط بهم يتمتعون بالحصانة من الملاحقة القانونية عند ارتكابهم أية جريمة في إيران. فإذا أقدم خادم أميركي أو عامل مطبخ أميركي، على اغتيال مرجع تقليدكم في وسط السوق وداسه بقدميه، فلا يحق للشرطة الإيرانية أن تُلقي القبض عليه، كما لا يحق للمحاكم الإيرانية أن تحاكمه! أو تستجوبه! ويجب أن يرحل إلى أميركا! وهناك يقوم الأسياد بتشخيص ما ينبغي! لقد قامت الوزارة السابقة<sup>(٤)</sup> بإعداد هذه اللائحة دون أن تطلع أحداً عليها. ثم قامت الوزارة

---

القوانين الجزائية والمدنية في الدولة المضيضة، وتناط مهمة البت في الدعاوى الحقوقية والحكم فيها بمحاكم خاصة بدولتهم الأم، وإن تم الأمر في البلد المضيف.

وبموجب قانون "الحصانة"، معاهدة فيينا، فإنّ اللائحة المذكورة شملت عوائل السياسيين والديبلوماسيين والمستشارين والمأمورين العسكريين الأميركيين العاملين خارج أميركا، وجعلتهم يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية والقضائية.

(١) حرص النظام آنذاك على التعتيم على خبر المصادقة على الإتفاقية المذلة الخاصة بالحصانة. وفي ذكرى ولادة الزهراء عليها السلام، تعرّض الإمام إلى تلك اللائحة، وقال: بأنّ النظام أحوال العيد في إيران إلى عزاء. ثم فضح مسألة الحصانة، وكشف النقاب عن ممارسات النظام المشينة.

(٢) الملك وحكومة رئيس الوزراء آنذاك حسن علي منصور.

(٣) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، دعت هيئة الأمم المتحدة، لجنة الحقوق الدولية التابعة لها، بإعداد وتنظيم اتفاقية عالمية عامة حول العلاقات السياسية بين دول العالم، وبعد سنوات من الدراسة والبحث، تم إعداد المشروع وتقديمه إلى الجمعية العمومية للمشاركين في مؤتمر فيينا للمصادقة عليه، ويتكون المشروع من مقدمة وثلاثة وخمسون مادة وملحقين حول كيفية تنفيذ ما سمّي فيما بعد بـ "إتفاقية فيينا".

وقد أُشير في اللائحة إلى إلزام إيران للعمل بمقتضى الإتفاقية الآتفة الذكر بدءاً من الخامس من آذار عام ١٩٦٥. وفي عام ١٩٦٧ تم تنقيح الإتفاقية من قبل هيئة الأمم المتحدة مع الحفاظ على إطارها العام، وقد تمت المصادقة على التعديل المتكوّن من ٧٩ مادة في ذلك العام. وقد اعترض سماحة الإمام على المادتين ٣٢ و ٣٧ من هذه المعاهدة.

(٤) حكومة أسد الله علم.

الجديدة بتقديمها إلى المجلس قبل عدة أيام، وبعدها عُرضت على مجلس الشيوخ، وتم الأمر بقيام وعود دون أن يبس أحد بينت شفة! لقد طرحوا هذه اللائحة خلال الأيام القليلة الماضية على مجلس الشورى، وقاموا هناك بإلقاء بعض الخطب، وقد حصلت بعض المعارضة لها، عارض بعض النواب وتحدثوا غير أن هؤلاء تمكنوا من إبرام الأمر. فقد صوّتوا له بمنتهى الوقاحة، وقد دافعت الحكومة عن هذا الأمر المهين بمنتهى الصلابة! لقد جعلوا الشعب الإيراني أحطّ قدرًا حتى من الكلاب الأميركية! فلو أقدم أحدنا على دهس كلب أميركي فإنه سيتعرض للإعتقال والتحقيق، فحتى الملك نفسه لو دهس ذلك الكلب الأميركي فإنه يُستجوب. ولكن إذا دهس عامل مطبخ أميركي الملك، أو دهس المرجع الديني في إيران، أو أي مسؤول رفيع المستوى، فليس لأي أحد الحق في التعرض له. ولماذا كل هذا؟ لمجرد أنهم أرادوا أن يأخذوا قرضاً مالياً من أميركا، ففرضت أميركا عليهم إتمام هذا الأمر (ويبدو أن الأميركيين كذلك)؟ فما هي إلا بضعة أيام من المصادقة على اللائحة حتى تقدّموا بطلب قرض مالي بمقدار مئتي مليون دولار، وتم للحكومة إبرام العقد. يقترضون إيران مئتي مليون دولار تسلم إليها خلال خمسة أعوام، ثم تُسترد من إيران ثلاثمئة مليون دولار خلال عشرة أعوام! أتفهمون معنى هذا؟ مئتا مليون دولار، كل دولار بـ ٨ توأمين تعطى لإيران خلال خمسة أعوام لأغراض عسكرية، وخلال عشرة أعوام يأخذون ثلاثمئة مليون دولار بناءً على محاسبتهم، أي أنهم يأخذون من إيران مئة مليون دولار، أي ما يعادل ثمانمئة مليون تومان فائدة على هذا القرض، ومع هذا فقد باعت إيران نفسها لأجل هذه الدولارات. لقد باعت الحكومة استقلالنا، وجعلتنا في عداد الدول المستعمرة، وأظهرت الشعب الإيراني المسلم للعالم على أنه أحطّ منزلة حتى من الوحوش! كل ذلك مقابل قرض بمئتي مليون دولار تُحسب على إيران ثلاثمئة مليون دولار! ماذا عسانا أن نفعل حيال هذه المصيبة؟ ماذا ينبغي لعلماء الدين أن يفعلوا إزاء ذلك؟ وبمن يلودون؟ وإلى أية بلاد يشرحون حالهم؟

قد تتصور سائر الدول بأنّ الشعب الإيراني، هو الذي أذل نفسه إلى هذا الحد، ولا يعلمون أنّ الذي فعل ذلك هو حكومة إيران، ومجلس الشورى الإيراني، ذلك المجلس الذي يفتقر إلى أي ارتباط بالشعب، المجلس الذي شكلته الحراب، والذي لا علاقة لشعب إيران به، إنّ الشعب الإيراني لم يدل برأيه لهؤلاء، فقد سار خلف العلماء الأعلام والمراجع الذين حرّم أغلبهم المشاركة في الانتخابات<sup>(١)</sup> فالشعب لم يعط رأيه لهؤلاء، غير أنّ قوة السلاح هي التي مكّنت هؤلاء من ارتقاء تلك المواقع في المجلس.

---

(١) قاطع العلماء الأعلام انتخابات الدورة الحادية والعشرين لمجلس الشورى الوطني، والتي جرت في أيلول ١٩٦٣، وعلى الأثر قام أبناء الشعب بإضراب عام، وامتنعوا عن المشاركة في الانتخابات، مما أسفر عن نتائج مخيبة لآمال النظام، فقد حاز النائب الأول في تبريز مثلاً على ٢٢٨٣ صوتاً فقط من أصل ٣٠٠ ألف ناخب تتوفر فيهم الشروط اللازمة للمشاركة في الانتخابات.

ورد في أحد كتب التاريخ المدرسية التي طُبعت هذا العام كمنهج لتعليم أبنائنا، ضمن أحد الموضوعات، وبعد سلسلة من الأكاذيب هذا القول "صار واضحاً أنّ القضاء على نفوذ علماء الدين والروحانية دافع في تحقيق الرفاهية لهذا الشعب" رفاهية هذا الشعب تتم بالقضاء على علماء الدين، وحقاً إنه كذلك، فلو كان لعلماء الدين نفوذ، لما سمحوا لهذا الشعب أن يصبح أسيراً للإنكليز تارة وأسيراً للأميركان تارة أخرى! ولما سمحوا لـ"إسرائيل" بالسيطرة على اقتصاد البلاد. لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا بإثقال كاهل الشعب بقرض ضخّم كهذا، ولو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا بحصول هذه الفوضى في بيت المال! لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا لكل حكومة أن تفعل ما يحلو لها، وإن كان مخالفاً لمصالح الشعب مئة في المئة! ولو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا أن يكون المجلس بهذا المستوى من التفاهة وانعدام الحيثية! لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا بتشكيل المجلس تحت أسنة الحراب هكذا! حتى تصدر عنه بعد ذلك مثل هذه الفضيحة! لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا للفتيان والفتيات أن يتعارفوا ويتصارعوا فيما بينهم كما حصل في شيراز<sup>(١)</sup>! لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا بتسليم أمور بنات الناس العفيفات بأيدي الشبان في المدارس! لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا بأخذ النساء إلى مدارس الرجال، والرجال إلى مدارس النساء حتى يقع الفساد! لو كان لعلماء الدين نفوذ لوقفوا بوجه هذه الحكومة، وبوجه هذا المجلس، ولطردوا النواب منه. لو كان لعلماء الدين نفوذ لما أمكن فرض حفنة من النواب ليتحكموا بمصير بلد بأسره، لو كان لعلماء الدين نفوذ لما سمحوا لعميل من عملاء أميركا<sup>(٢)</sup> بارتكاب تلك الخيانات، ولطردوه من إيران. نفوذ علماء الدين مضر بحال الشعب! كلا، إنه مضر بكم، مضر بكم أتم الخونة لا بالشعب. لقد أدركتم أنه لا يمكنكم - مع وجود نفوذ علماء الدين - مل شيء، أو ارتكاب أية مخالفة، لذا تريدون القضاء على نفوذ علماء الدين. ظننتم أنّ بإمكانكم بذر بذور الخلاف بين علماء الدين بالتزييف والمكر! كلا، أيمن ذلك، إنّ هذا الحلم لن يتحقق لكم إلا بعد الموت! لا يمكنكم تحقيق هذا الأمر، علماء الدين صف واحد كأنهم بنيان مرصوص. إني أحيي جميع علماء الدين مرة أخرى، وأقبل أياديهم جميعاً، وإذا كنت قبل اليوم قد قبّلت أيادي المراجع، فإني اليوم أقبل أيادي الطلاب.. إني اليوم أقبل حتى يد البقال.

---

(١) يشير سماحته إلى المفاسد التي عمّت المدارس المختلطة. في كتابه "مهمة من أجل وطني" أشار الملك محمد رضا إلى رغبته في تطبيق المنهج الغربي في التربية والتعليم، فقال: "ليس من اللازم في بلادنا قيام مدرسات بتدريس الفتيات، والصفوف الدراسية مختلطة في أغلب المدارس والجامعات، يمارس التدريس فيها مدرسون وأساتذة من الجنسين دون تفاوت أو تمييز على أساس الجنس، بل على أساس تخصص كل أستاذ على حدة. وإني لراغب في تطبيق المنهج الرائج في أميركا "والذي يهيئ للفتاة والفتى فرصة الإقتران خلال فترة الدراسة الجامعية في معاهد المعلمين التي تهتم بإعداد المعلمين من الجنسين، وعلى مستوى التجربة".

(٢) الملك.

إنني أحذركم! أيها الجيش الإيراني إنني أحذركم، أيها الساسة الإيرانيون إنني أحذركم، أيها التجار الإيرانيون إنني أحذركم، يا علماء إيران إنني أحذركم! إنني أحذركم يا مراجع الإسلام! أيها الأفاضل! أيها الطلاب! أيها المراجع! أيها السادة المحترمون! أيها النجف! يا قم! يا مشهد! يا طهران! يا شيراز! إنني أحذركم أن في الآفاق خطر يحدق بنا، يبدو أن وراء الكواليس أمور لا نعلم بها، لقد قيل في المجلس "لا تكشفوا الأمور"<sup>(١)</sup> فيبدو أنهم يكيدون لنا المكائد. ولا أدري ماذا سيفعلون أسوأ من فعلتهم هذه، فما هو الأسوأ من أسرنا وذلنا؟ ماذا ينوون أن يفعلوا بنا؟ ما الذي يدور في أذهانهم؟ ما الذي سيحل بالشعب في سبيل هذا القرض الذي حصلوا عليه؟ تطلبون من هذا الشعب المعدم أن يدفع مئة مليون دولار فوائد إلى أميركا خلال عشرة أعوام، أي يجب أن يدفع ثمانمئة مليون تومان، وفق هذا يتحتم أن تبيعونا لأجل أمر كهذا؟! ما هي فائدة الضباط الأميركان والمستشارين العسكريين لكم؟ إذا كانت هذه البلاد محتلة من قبل أميركا، فلماذا كل هذا الضجيج، ولماذا تثقلون أسماعنا بكل هذا الهراء عن التقدم؟ وإذا كان هؤلاء المستشارون خدماً لكم، فلماذا ترفعونهم فوق مراتب الأسياد؟ لماذا تضعونهم بمنزلة تعلو منزلة الملك؟ إذا كانوا خدماً كبقية الخدم، فاستعملوهم. وإذا كانوا موظفين لديكم فعاملوهم كما تعامل سائر الشعوب الموظفين لديها. وإذا كانت بلادنا محتلة من قبل الأميركان، فأعلمونا. وإذا كان الأمر كذلك فألقوا بنا خارج هذه البلاد. ماذا تريدون أن يفعلوا بنا؟ ماذا تقول لنا هذه الحكومة؟ ماذا فعل بنا هذا المجلس غير الشرعي، هذا المجلس المحرّم بفتوى وحكم مراجع التقليد، هذا المجلس الذي ليس فيه نائب واحد يمثل الشعب، هذا المجلس الذي ما فتئ يدعي "نحن، نحن الذين جاءت بنا الثورة البيضاء"، أين هي هذه الثورة البيضاء؟ لقد دمروا الشعب. إنني على اطلاع، والله يعلم كم أعاني، إنني أعلم بحال تلك القرى، وتلك المدن النائية. إنني أعلم بحال "قم" التعيسة، إنني على معرفة بجوع الناس، وعلى معرفة بأوضاع الزراعة والمزارعين.

فلتفكروا بحل لهذه البلاد، فكروا بحل لهذا الشعب. أنتم لا تحسنون سوى أخذ القرض بعد القرض!! لا تحسنون سوى أن تكونوا عبيداً!! لا شك أن هناك عبودية تدفع مقابل الدولارات، فأنتم تأخذون الدولارات ونحن الذين نصبح عبيداً مقابل ذلك. فإذا دهّسنا الأميركي بسيارته، فلا يحق لأحدنا أن يقول له "يعلو عينك حاجبك" في حين أنكم تحققون مصالحكم في هذا الأمر، أليس كذلك؟ أو ما ينبغي أن نقول هذه الأمور؟ إنني أخاطب أولئك الذين يأمرونا بالسكوت فأقول: أينبغي السكوت إزاء هذا الموضوع أيضاً؟ هل يجب علينا أن

---

(١) في الجلسة التي عقدت في مجلس الشورى الوطني بتاريخ ١٣/١٠/١٩٦٤ م لمناقشة لائحة الحصانة، قال النائب ناصر البهبودي "أرجو أن تتم الموافقة على (ندف!) هذه اللائحة في محيط هادئ ومن قبل لجنة صغيرة.. لا تسمحوا بأن ترتفع الستائر أكثر من هذا في مجلسنا!" (راجع محضر مناقشات مجلس الشورى الوطني - الدورة الحادية والعشرين - الجلسة ١٠٤).

نسكت حيال هذه القضية أيضاً<sup>(١)</sup>؟ يريدون أن يبيعونا، وعلينا أن نسكت؟! يريدون أن يبيعون قرآننا، وعلينا أن نسكت؟! والله إنه لمذنب من لا يصرخ مستنكراً! والله إنه يرتكب كبيرة من لا يصيح مندداً!

يا حكام المسلمين، هبوا لإنقاذ الإسلام. يا علماء النجف، هبوا لإنقاذ الإسلام. يا علماء قم، هبوا لإنقاذ الإسلام. لقد ضاع الإسلام! يا شعوب الإسلام! يا حكام الشعوب الإسلامية! يا رؤساء جمهوريات المسلمين! يا ملوك المسلمين!.. بادروا لإنقاذ أنفسكم، بادروا لإنقاذنا جميعاً. أئبغني أن ندرس بأحذية الأميركيين لأننا شعب ضعيف؟! ولأننا لا نملك الدولارات؟! أميركا أسوأ من بريطانيا، وبريطانيا أسوأ من أميركا، السوفيات أسوأ من كليهما، بعضهم أسوأ من بعض، بعضهم أقدر من بعض.

كل ما في الأمر أننا اليوم نواجه هؤلاء الخبثاء. ليعلم الرئيس الأميركي أنه اليوم أبغض إنسان في هذه الدنيا لدى شعبنا، ليعلم أنه أبغض البشر لدى شعبنا، وأت من مارس مثل هذا الظلم على دولة إسلامية، فإن القرآن هو خصمه اليوم، وأت شعب إيران هو خصمه. لتعلم الحكومة الأميركية أنهم قد ضيعوها، وشوهوا صورتها في إيران.

أتريدون تحقيق الحصانة للمستشارين؟! مساكين هؤلاء النواب صرخوا مستجدين "إلتمسوا أصدقاءنا"<sup>(٢)</sup> هؤلاء أن لا يحملونا فوق طاقتنا<sup>(٣)</sup>، لا تبيعونا، لا تجعلوا من بلادنا مستعمرة<sup>(٤)</sup>، ولكن من ذا الذي أصغى إليهم؟ هناك مادة من "معاهدة فيينا" لم تذكر! نعم لم تذكر المادة الثانية والثلاثون<sup>(٥)</sup>، وإني لا أعلم ما هي هذه المادة!

---

(١) إشارة إلى ذلك البعض من مراجع التقليد الذين كانوا يعتقدون بضرورة انتحاء جانب الصمت.

(٢) الأميركيكان.

(٣) في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٣/١٠/١٩٦٤ م في مجلس الشورى الوطني، لمناقشة لائحة الحصانة، قال النائب "سرتيب بور": "إن لدى رئيس الوزراء السيد منصور، الفرصة للتشاور مع أصدقائنا! ومطالبتهم بالإبقاء علينا! فأحد شروط الصداقة هو احترام أصدقائنا لعهودنا تجاه المقدسات التي لدينا" (راجع محضر مناقشات مجلس الشورى الوطني - الدورة ٢١ الجلسة ١٠٤).

(٤) سلفت الإشارة إلى أن إحدى مواد اتفاقية فيينا الإثنيين والسبعين، وهي المادة ٣٧ تنص على تمتع دبلوماسيو أية دولة بالحصانة في الدولة الأخرى. وتكون هذه الحصانة قضائية في بعض الأحيان. وبناءً على هذه الحصانة فإن الدبلوماسي يُستثنى من الملاحقة القانونية أو إيقاع القصاص به في الدولة المضيفة عند ارتكابه لجرم ما، وتناط مهمة التحقيق في التهمة الموجهة إليه بحكومة دولته الموفدة.

أما البند الأول من المادة ٣٢ من نفس الاتفاقية، فيعطي للدولة الموفدة صلاحية سلب الحصانة القضائية عن الموظفين الدبلوماسيين والأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة بناءً على المادة ٣٧.

وبذا، فإن حذف المادة ٣٢ من اتفاقية فيينا هيأ الأرضية لاستسلام إيران أمام أميركا دون قيد أو شرط ومن كل النواحي.

أنا لا أعلم ما هي هذه المادة، كما أنّ رئيس المجلس يجهلها هو الآخر! والنواب أيضاً يجهلون! ويجهلون أنهم وافقوا على اللائحة! وافقوا على اللائحة وصوّتوا لها، وإن كان بعضهم قد اعترفوا بأنهم يجهلون المادة (وهؤلاء لا بد أنهم لم يصوّتوا لصالح اللائحة) لقد كان الآخرون أسوأ موقفاً من هؤلاء، فهم ليسوا سوى مجموعة من الجهال. إنهم يعزلون رجالنا السياسيين، وأصحاب المناصب الرفيعة في بلادنا، يعزلون رجالنا السياسيين الواحد بعد الآخر، فليس للسياسيين الوطنيين أي تأثير على سياسة البلاد حالياً، لا شيء بأيديهم، وليعلم قادة الجيش، بأن هؤلاء سيعزلون الواحد بعد الآخر، وإلاّ فهل أبقوا لكم أي اعتبار؟! فحينما يقدم جندي أميركي على "الجنرال" من ضباطنا في إيران، فهل بقي لكم أي اعتبار؟! لو كنت أنا مكانكم لقدّمت استقالتي. لو كنت عسكرياً لاستقلت من الوظيفة فإنّي لا أتحمّل هذا العار، ولو كنت نائباً في المجلس لاستقلت أيضاً.

يجب إنهاء نفوذ الإيرانيين! ويجب أن يتمتع الطبّاخون الأميركيان، والميكانيكيون الأميركيون والموظفون الأميركيون، في حين يجب أن يكون السيد القاضي<sup>(١)</sup> نزيل السجون! ويُقتاد السيد "الإسلامي"<sup>(٢)</sup> مقيداً هنا وهناك.. هؤلاء العاملون للإسلام، وعلماء الإسلام يجب أن يسجنوا.. وعظّ الإسلام يجب أن يسجنوا.. أنصار الإسلام ومؤيدون يجب أن يكونوا مقيدين.. في السجن لأنهم مؤيدون لعلماء الدين والروحانية، فالمعتقلون إما روحانيون أو مؤيدون للروحانيين والروحانية. لقد قدّم هؤلاء للناس وثيقة طرحوها في أيديهم يقولون في كتاب "تاريخ إيران": "إنّصح أنّ رفاهية الشعب لا تكون إلّاّ بقطع يد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن هذا الشعب! وإلاّ فإنّ علماء الدين ذاتهم ليسوا شيئاً، كل ما عندهم هو من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يجب إذاً قطع يد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن هذا الشعب!". هذا ما يريده هؤلاء، يريدون هذا لكي تستطيع "إسرائيل" من أن تفعل ما يحلو لها هنا بقلب مطمئن. ولكي تستطيع أميركا هي الأخرى أن تفعل ما تشاء براحة بال.

أخي! إنّ كل مشكلاتنا من أميركا. كل مشكلاتنا من "إسرائيل"، وما "إسرائيل" إلّاّ تابع لأميركا. هؤلاء النواب من أميركا! هؤلاء الوزراء من أميركا أيضاً. كلهم معيّنون من قبل أميركا، ولو لم يكن كذلك فلم لا يصرخون بوجهها؟ ذاكرتي الآن ليست على ما يرام، ولن أتمكن من تذكر الأمور بشكل صحيح، فأنا الآن في

---

(١) آية الله القاضي الطباطبائي، أحد العلماء والخطباء الأعلام في محافظة آذربيجان، وبالخصوص في مدينة تبريز، وبعدّ قائداً للنهضة الإسلامية في تلك المناطق. اعتُقل مع عدد من العلماء قبل اعتقال الإمام الخميني، وأُفرج عنه، ثم اعتُقل مرة أخرى بعد اعتقال الإمام في الحوادث الدامية التي وقعت في انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣.

وفي الفترة التي ألقى الإمام فيها هذا الخطاب، كان آية الله القاضي سجيناً، لذا فإنّ سماحته يعدّ من المجاهدين البارزين ومن أعلام الثورة الإسلامية قبل انتصار الثورة وبعدها، رغم قصر المدة التي عاشها بعد انتصار الثورة، فقد استشهد سماحته على أيدي المنافقين في يوم عيد الأضحى المصادف ١٩٧٩/١١/١ م.

(٢) راجع الهوامش السابقة.

حالة هيجان: في أحد دورات مجلس الشورى السابقة التي كان المرحوم السيد "حسن المدرّس" نائباً فيها، قدّمت الحكومة الروسية إنذاراً نهائياً لإيران مؤداه "إنكم إذا لم تقوموا بالأمر الفلاني (لا أذكر منه الآن شيئاً) فإننا سنزحف من المكان الفلاني - قزوين على ما أذكر - ونأتي لاحتلال طهران" حكومة إيران آنذاك مارست بدورها ضغطاً على المجلس بهدف إجباره على الموافقة على القيام بذلك الأمر. أحد المؤرخين الأميركيين<sup>(١)</sup> كتب إن: "أحد علماء الدين جاء ووقف خلف منصة المجلس ويده ترتجف من الضعف وقال: أيها السادة، إذا كان المقرر أنّ نموت فلنموت بمحض إرادتنا. وأعلن عن مخالفته للأمر، وبالنتيجة تجرأ أعضاء المجلس على الرفض، وأعلن المجلس رفضه لذلك الأمر، ولم يستطع الروس<sup>(٢)</sup> حينها من ارتكاب أية حماقة".

هذا هو عالم الدين واحد كان في المجلس فلم يسمح لذلك الإتحاد السوفيتي المتجبر - روسيا سابقاً - أن يفعل شيئاً، دولة متجبرة يرفض اقتراحها وإنذارها عالم دين عجوز ضعيف البدن. في حين أنّ هؤلاء يقولون: يجب أن لا يبقى الروحاني، يريدون قطع يد الروحاني حتى يحققوا أغراضهم ومقاصدهم. ماذا عساني أن أقول؟!

ما أكثر القضايا، ما أكثر المفاسد في هذه البلاد، غير أنني بحالتي هذه، وبصدري المتعب، وبوضعي الصحي هذا، لا أستطيع طرحها جميعاً، لا أستطيع أن أشرح لكم ما أعلم من الأمور. بيد أنكم مكلفون أن تبذلوا رفاقكم. الإخوة المحترمون مكلفون بتوعية الجماهير، العلماء مكلفون بتوعية الشعب، كما أنّ الشعب مكلف أن يقول كلمته في هذه القضية. عليه أن يسأل المجلس بهدوء، أن يعترض على المجلس، أن يعترض على

---

(١) في كتابه "الأزمة الإيرانية" كتب الأميركي "مورغان شوستر" يقول: ".. في ظرف كان الوقت يمرّ مسرعاً وفي غير صالح الجميع - بسبب الإنذار الروسي - وقف عالم الدين الإسلامي الوقور وقال: "قد تشاء القدرة الإلهية أن تُسلب الحرية والاستقلال مكرهين، غير أنّ من الشائن أن نفقد ذلك ونفرض باختيارنا" ثم هز يده المرتجفتان نحو الشعب متظلماً، وطالب بالإنصاف في اتخاذ القرار، ورفض الإنذار الروسي، الأمر الذي كان يعني مخاطرته بحياته وحياة ذويه والوقوع فريسة للدب الشمالي الكبير".

(٢) إجتاحت قوات روسيا القيصرية - التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في إيران - قسماً مهماً من الأراضي الإيرانية وذلك في السابع من ذي الحجة عام ١٣٢٩ (٢٩ تشرين الثاني ١٩١١) وطالبت الحكومة الإيرانية (التي كانت تتمتع بالحماية الإنكليزية أيضاً) أن تقوم بإقالة وإخراج الهيئة الإستشارية الأميركية التي كان يشرف عليها "مورغان شوستر"، وأن تتعهد بعدم استخدام أي مستشار أجنبي بعد ذلك، إلّا بعد التشاور مع روسيا وإنكلترا، كما أنّ عليها أن تقوم بدفع نفقات القوات الروسية في إيران، وأعطت للموافقة على هذه المطالب مهلة قصيرة. وقد طرح هذا الإنذار في جلسة مجلس الشورى الوطني (الدورة الثانية) المنعقدة في التاسع من ذي الحجة ١٣٢٩، فقبل بمعارضة شديدة من قبل آية الله المدرّس، مما أثار بقية النواب، وأدى إلى رفض الإنذار الروسي.



الحكومة ويسألها: لماذا أقدمت على عمل كهذا؟ يسألونهم: لماذا بعمومنا؟ فهل نحن عبيد عندكم حتى تفعلوا بنا هذا؟

أن يقولوا لهم: أنتم لستم نواباً عنا، وحتى لو كنتم كذلك، فإنكم إذا ختمتم بلادكم، فإنكم تسلبون حق التمثيل والنيابة تلقائياً، وما فعلوه خيانة للبلاد. إلهي! إن هؤلاء خانوا بلادنا، إلهي! لقد خانت الحكومة بلادنا وخانت الإسلام والقرآن. لقد خان نواب المجلسين (مجلس الشورى ومجلس الشيوخ)، فأولئك الذين وافقوا على هذا الأمر قد خانوا. فأعضاء مجلس الشيوخ، هؤلاء الشيعة، والنواب في مجلس الشورى، الذين صوتوا بالموافقة على هذا الأمر، جميعهم خانوا البلاد. هؤلاء لا يمثلوننا. لتعلم الدنيا أنهم ليسوا ممثلين عن شعب إيران، وحتى لو أنهم كانوا كذلك فإني قد عزلتهم، إنهم معزولون عن سماتهم. جميع اللوائح التي أقرها حتى الآن خاطئة. منذ أوائل النهضة الدستورية وحتى الآن، وبناءً على نص الدستور - إذا كانوا يقبلون بالدستور - بناءً على المادة الثانية لمتّمس الدستور، فإن ما يصدر عن المجلس يفقد قيمته القانونية إذا لم يتحقق إشراف المجتهدين على المجلس، وأي مجتهد يمارس الآن إشرافاً على المجلس؟ يجب قطع يد علماء الدين!! لو كان في المجلس خمسة من المعمّمين بل لو كان معمم واحد في هذا المجلس للطم هؤلاء على أفواههم! ولما سمح بإتمام هذا الأمر، لقد قلت لأحد أولئك الذين عارضوا اللائحة، قلت له: لماذا لم تعفروا رؤوسكم في التراب؟! لماذا لم تنهض يا محترم وتمسك بتلابيب ذلك التافه<sup>(١)</sup>؟ أيكفي أن تقول: أنا معارض.. وتتملق بعد ذلك كل هذا التملق<sup>(٢)</sup>؟! إن حقيقة المخالفة هي في أن تقيم الدنيا ولا تقعدوها! أن تنتفض وسط المجلس

(١) رئيس الوزراء حسن علي منصور.

(٢) إن المباحثات التي جرت في جلسة مجلس الشورى الوطني المنعقدة بتاريخ ١٣/١٠/١٩٦٤ م، والتي أسفرت عن إتمام المصادقة على لائحة الحصانة، توضح بشكل جلي كيف أن النظام البهلوي كان قد جعل من الدستور ومجلس الشورى الوطني والمقدسات والشؤون الوطنية والإسلامية للبلد، ألوبة بيد المطامع الأميركية ولسنين طويلة، فتقديم لائحة الحصانة إلى مجلس الشورى الوطني تم بشكل مخالف للأسلوب القانوني المفترض وللنظام الدلخي للمجلس، كذلك فإن مضمون اللائحة خالف وبصراحة مفاد مواد دستورية عديدة. فاللائحة لم تكن سوى وثيقة تم من خلالها بيع استقلال البلاد قضائياً، وبالتالي سياسياً.

ناهيك عن كل ذلك، فإن المناقشة التي جرت للائحة تدعو للأسف الشديد والحزن العميق على مظلومية الشعب الإيراني طوال نصف قرن من التسلط البهلوي. فإذا تجاوزنا الموافقين على اللائحة ممن لاذوا بالصمت، أو اكتفوا بترديد عبارات التملق حتى حان وقت التصويت، فصوتوا لصالح اللائحة، فإن البعض الآخر من النواب قد عارضوا كيفية تقديم اللائحة إلى المجلس دون المعارضة لأصل اللائحة، حينها مثلاً قال النائب "سرتيب بور" (بوصفه نائباً معارضاً): "إن اللائحة المطروحة تعارض ثلاثة من مواد الدستور". ثم أضاف في ختام حديثه يقول: "إننا نرغب أن يقوم جناب السيد منصور - الذي يميل في الحقيقة أن يكون رجل أصول

صارخاً صائحاً بوجه الجميع، ل تمنع من إتمام هذا الأمر، وإلا فهل تستقيم الأمور بمجرد أن تقول: أنا معارض؟! ما زلت ترون أنّ الأمر على وشك أن يتم، فلا تسمحوا لمجلس كهذا، أن تبقى له باقية! إننا لا نعتبر هذا الأمر الذي صادقوا عليه قانوناً، إننا لا نعتبر هذا المجلس مجلساً. إننا لا نعتبر هذه الحكومة حكومة بالمعنى الصحيح، فهؤلاء جميعاً قد خانوا إيران، هؤلاء خائنون. اللهم أصلح أمور المسلمين. اللهم أعل شأن الإسلام العظيم. اللهم أهلك الذين يخونون أرض هذا الوطن وماءه، ويخونون القرآن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

واحترام للدستور!! – بالتشاور مع أصدقائنا (الحكومة الأميركية) ومطالبتهم بالإبقاء علينا..". كما قال النائب صادق الأحمدى (وهو معارض آخر): ".. إلى الآن لا يمكنني القول بأني معارض أو مؤيد، لأنّ مطالعاتي حول الموضوع غير تامة..". وقال المعارض الثالث وهو السيد فخر الطباطبائي: "إننا نريد أن نرى هل من الصلاح أن نضم المستشارين المحترمين – الذين يشكّل وجودهم ضرورة لبلدنا!! ونرغب في الاستفادة منهم كمستخدمين لدينا – بهذا الإعفاء؟ وهذا ليس له جنة دولية بتاتاً.. إنّ حكومة السيد منصور لا تفكر بغير خير البلاد، وإنني أؤيد كل خدماتها وخطواتها الإيجابية". أما المهندس ناصر البهودي فقال: ".. أرجو القيام (بندف!) هذه اللائحة في محيط هادئ ومن خلال لجنة صغيرة.. فلا تسمحوا برفع الستائر أكثر من هذا في المجلس!!"، وقد كانت الكلمة التي ألقاها النائب "زهتاب فرد" أطول الكلمات المعارضة، فقد ذكر أنه يحب السيد منصور، وأنه غير مستعد لمعارضة هذا الموضوع، وطرح حقائق مقرونة بالتملق والتعريض، ثم قال: "جناب السيد منصور! إنّ لكل شخص الحق في أن يسأل السيد الدكتور مصدّق في ذلك الوقت والسيد منصور اليوم: ما هو السبب في إعطاء هذه الإمتيازات للمستشارين الفنيين الأميركيين.. إنني أتكلم بكلام مدروس ولا أخاف عمراً أو زيداً لأنني أستند إلى الله والملك والشعب والدستور فقط!!".

ثم ختم السيد "زهتاب" كلامه بهذا الإستنتاج: "علينا أن نطمئن الرأي العام – وهو أسرتنا الكبيرة – إلى أنّ المجلس، إذا بادر – لا سمح الله – إلى المصادقة على هذه اللائحة، فإنه يعمل لصالح الشعب الإيراني العظيم.."

(راجع محضر مباحثات مجلس الشورى الوطنى – الدورة ٢١ – الجلسة ١٠٤، ص ١٦-٦٤).

## هوية الخطاب رقم (١٧)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ٢٠ رجب ١٣٨٥، الموافق: ١٤/١١/١٩٦٥ م.

- الموضوع: واجب رؤساء البلدان الإسلامية، ومسؤولية العلماء في مواجهة الاستعمار والصهيونية.
- المناسبة: بدء الفصل الدراسي في الحوزة العلمية في النجف.
- الحاضرون: العلماء الفضلاء وطلاب العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية في النجف.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

غادرت الطائفة التي أقلت الإمام الخميني إلى أول منفى له في تركيا في صباح ٤/١١/١٩٦٤ م. وكان الملك يرى أن موقفه قد تعزز بعد فوز "جونسون" في الانتخابات الأميركية. وظن أن مشعل الثورة قد انطفأ بنفي سماحة الإمام! وفي ٧/١١/١٩٦٤ م قال رئيس الوزراء حسن علي منصور: لقد قطعت الأيدي التي كانت تحول دون تحقيق أهداف ثورة الملك والشعب، والآن فإنّ النيات الملكية، ومبادرة الحكومة لتقديم خدماتها سيضمنان تحقيق التحولات الإصلاحية في كل مكان من البلاد. وفي اليوم التالي (٨/١١/١٩٦٤ م) صرح منصور - خلال زيارته للمناطق النفطية في الجنوب - : عند حفر آبار جديدة للنفط قريباً ستقام مناطق حرة جديدة في سواحل الخليج الفارسي، وستنق ثروة الشعب الإيراني بطرق أخرى بعد ثورة الملك والشعب<sup>(١)</sup>!!

وقد أعلنت الإصلاحات التي يقصدها (منصور) بسرعة، فقد أعلن في المجلات العالمية عن "أكبر مناقصة نفطية في العالم" وفازت بها ثلاث شركات: أميركية، وأميركية هولندية، وشركة "شل". ووقع منصور على اتفاقية إعطاء ٨٥ بالمئة من امتياز النفط المخصص للتصدير إلى شركات أميركية. وقد أدى ذلك إلى رفع صادرات النفط الإيراني بنسبة ١٤,٥ بالمئة وأصبحت إيران أكبر منتج للنفط الخام الإضافي في العالم في سنة ١٩٦٥ م. وبعد ذلك سمح المجلس - الأجير للملك - بعقد أكبر اتفاقية تسليحية وقعت في العالم - حتى ذلك اليوم - بين إيران وأميركا. ونتيجة الإصلاح الزراعي الملكي أقدمت إيران - التي كانت قبل فترة من البلدان المصدرة للقمح والمواد الغذائية - على استيراد ٢٠٠ ألف طن من القمح من أميركا والاتحاد السوفياتي، و٢٥ ألف طن من الذرة من أميركا<sup>(٢)</sup> وذلك تزامناً مع إجراء المرحلة الثانية من الإصلاحات.

وكما مر في هوية الخطاب السابق، فإنّ اعتراض مراجع وعلماء النجف وقم وبقية المناطق كان يتزايد بعد نفي سماحة الإمام إلى تركيا، فقد عطلت الأسواق في قم وطهران والمدن الكبيرة أعمالها، وتعرض مسجد

(١) الصحف الصادرة في ٧ و ٨ و ٩ تشرين الثاني ١٩٦٤.

(٢) أنظر: "من سيد ضياء إلى بختيار".

جمعة طهران إلى هجوم قامت به الشرطة، وجرت إضرابات وتظاهرات في مدن مختلفة خاصة في طهران والحوزة العلمية في قم<sup>(١)</sup> واعتُقل جمع كبير من العلماء والكسبة وشرائع أخرى.

لقد أخفى النظام الملكي حتى المكان الدقيق الذي نُفي الإمام الخميني إليه في تركيا. ونتيجة لضغط الرأي العام، اضطرت حكومة منصور إلى الموافقة على طلب العلماء في إيفاد ممثلين عن مراجع التقليد إلى تركيا، والاطمئنان على حال قائد الثورة.<sup>(٢)</sup>

إنّ قيام محمد البخارائي - عضو الجماعات الإسلامية المؤتلفة<sup>(٣)</sup> - في الساعة العاشرة من صباح ١٩٦٥/١/٢١ م باغتيال حسن علي منصور (رئيس الوزراء) أمام مدخل الشورى الوطني ذكرّ الملك وأميركا

---

(١) بعد نفي سماحة الإمام، كانت تقام مراسم تكريم لنهضته في حرم السيدة معصومة (س) مساءً، رغم وجود الضغوط والإعتقالات المستمرة من قبل النظام. ورداً على مبادرة الطلاب الثوريين قام التيار المرتبط بدار التبليغ وجهاز السيد الشريعتمداري في قم بمواجهتهم. وتظل "ليلة الضرب" وهجوم هؤلاء على مؤيدي الإمام الخميني وضرب أصحابه، وخاصة حجة الإسلام الشيخ مهدي الكروي - والتي وقعت في المسجد الأعظم في قم - في ذاكرة المذكرين بـ ٥ حزيران دائماً. راجع: "نهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٧٧٧.

وفي ليلة "نوروز" سنة ١٩٦٥ م قرأ حجة الإسلام فلاح اليزدي نص بيان شديد اللهجة في حشود الزوار وأهالي قم، وأطلع الشعب في هذا البيان على أسماء عدد كبير من العلماء المعتقلين، وعلى أثر ذلك هاجم المأمورون العسكريون الموفدون من معسكر المنظرية (معسكر للجيش على بعد ٣٠ كم عن قم) الحاضرين، ووقعت مذبحة آنئذ. وفي طهران حصل اجتماع من قبل الكسبة وشرائع الناس المختلفة في مسجد "السيد عزيز الله" في ١٢/١٢/١٩٦٤ م بهمة "الهيئات الإسلامية المؤتلفة" وفي مسجد "صاحب الزمان" في شارع الحرية، الأمر الذي أدى إلى تظاهرات ومواجهات واسعة النطاق في الشوارع والمناطق المحيطة. وكل ذلك يعدّ أمثلة على دعم الشعب لنهضة الإمام (راجع: "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١. و"نهضة علماء إيران"، ج ٥). وقد ورد في الهوية السابقة والمسائل التي بعدها شرح للوقائع التي تلت نفي الإمام إلى تركيا وانعكاس ذلك (أنظر المصدرين الآنفين، ومجلة "حضور" العدد الخاص بشهر ١٠ / ١٩٩١).

(٢) إلتقى صهر آية الله الخوانساري، السيد فضل الله الخوانساري، بالإمام الخميني في إسلامبول يوم ١٩٦٤/١٢/٢١ م، ونقل سماحة الإمام من بورسا إلى فندق في إسلامبول من أجل هذا اللقاء. وبعد عدة أيام سافر إلى تركيا الشيخ مصطفى الجليلي (من قم) والشيخ عبد الجليل الجليلي (من كرمشاه) ممثلين من قبل السيد الشريعتمداري، والتقيا بالإمام. وقد أكد الإمام الخميني لأصدقائه ومؤيديه عبر رسائل خطية وشفوية على عدم قبوله لأي وساطة عند الجهاز المستبد من أجل إطلاق سراحه (راجع: "نهضة علماء إيران"، ج ٥، ص ٧٨ و ١٥٤). لقد أشير في هذا الكتاب أيضاً إلى قيام نجل آية الله المرعشي النجفي بالسفر إلى تركيا ولقائه بالإمام، في حين أنّ هذا السفر لم يحصل بسبب رفض النظام إعطائه تأشيره دخول تركيا).

(٣) كان هو والشهيد الحاج مهدي العراقي من أصحاب الشهيد السيد نواب الصفوي، ومن مسؤولي "فدائيي الإسلام". وتجدر الإشارة إلى أنّ عبارة "لا بد من تشكيل الحكومة الإسلامية" قد نُقشت على سلاحه، وهو نفس سلاح الشهيد نواب الصفوي.

بحقيقة أنّ نهضة ٥ حزيران ليست قضية يمكن إسدال الستار عليها بممارسة أعمال القتل بحق الشعب ونفي قيادة الثورة.

وهناك عجائب وعبر كثيرة في تشابه الحوادث التاريخية، فقبل هذا وفي عام ١٩٥٠ م قُتل الفريق "رزم آرا" (رئيس الوزراء آنذاك) عندما كان يهيم بالمصادقة على اتفاقية منح امتياز نفط الجنوب للإنكليز، برصاص خليل الطهماسبي (عضو "فدائي الإسلام")، واليوم قُتل حسن علي منصور برصاص أحد أصحاب الطهماسبي، بينما كان يحمل في يده اتفاقية إعطاء امتياز نفط التصدير إلى الشركات الأميركية، للمصادقة عليها بشكل نهائي في مجلس الشورى.

بعد اعتقال محمد البخارائي، إعتقل بقية زملائه الذين كان من المقرر أن يغتالوا في تلك الأيام العناصر المؤثرة في النظام بمن فيهم "الملك"، وحوكموا في محكمة عسكرية، فحكم على أربعة منهم بالإعدام. وتم تنفيذ الحكم في ١٥/٦/١٩٦٥ م، وحكم على البقية بالسجن لمدد طويلة<sup>(١)</sup>. وبعد اغتيال منصور، حل محله أمير عباس هویدا.<sup>(٢)</sup>

وفي العاشر من نيسان ١٩٦٥، وبينما كان وزراء حلف "الناتو" يواصلون اجتماعاتهم السرية في طهران دق جر الخطر في داخل بيت الملك - وفي المنطقة المحيطة بقصر مرمر - مرة أخرى، إذ قام أحد الجنود المضحين، رضا الشمس آبادي<sup>(٣)</sup>، بإطلاق النار باتجاه الملك.

وفي تاريخ ١٦/١٠/١٩٦٥ م أثبت الهجوم الواسع الذي نفّذه مأمورو الشرطة والعسكريون وقوات النظام الملكي على الجبال الواقعة شمال شميرانات طهران لاعتقال أعضاء حزب الشعوب الإسلامية - الذي أسس

---

(١) حكم بالإعدام على: محمد البخارائي، رضا صفا الهندي، مرتضى نجاد وصادق الأماني. وحكم بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على: مهدي العراقي، هاشم الأماني، حبيب الله عسكر أولادي، عباس مدرس فر، أبي الفضل الحيدري ومحمد تقي الكلافي. وبالسجن فترات طويلة على: حجة الإسلام محيي الدين الأنواري، أحمد شهاب وأحمد الإسبيجي، وأكثر من مئة آخرين من أعضاء الجماعات الإسلامية المؤتلفة (أنظر إلى "نهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٨١٨).

(٢) مع تعيين هویدا إستمرت البرقيات والرسائل المفصّلة للعلماء والمراجع تحمل اعتراضاتهم وتحذيراتهم للسلطة من مغبة الإصرار على نفي الإمام الخميني. وقد ورد في كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٨٠١، وما بعدها. نص برقية آية الله الخوئي. والرسائل المفصّلة لفضلاء الحوزة العلمية في قم، والطلاب والفضلاء الشيرازيين والكرمانيين والخرم آباديين والأشكوريين المقيمين في قم مع ذكر أسماء الموقعين.

(٣) لم يُصبَ الملك نفسه، وقدّم الجندي البطل نفسه في طريق حرية الشعب الإيراني بعد أن أُردي قتيلاً برصاص الحرس الملكي.

حسب اعتراف اللواء "فرسيو"، المدّعي العام للدولة<sup>(١)</sup>، لغرض إسقاط النظام الملكي وتشكيل حكومة إسلامية - بأنّ دماء شهداء ٥ حزيران في غليان متواصل. وقد كان هذا الحزب - وكما هو حال الجماعات المؤتلفة - يدار من قبل بعض العلماء<sup>(٢)</sup> من مؤيدي سماحة الإمام.

مر أحد عشر شهراً على الإقامة الجبرية للإمام الخميني في تركيا. كانت خلالها أجواء إيران ملتهبة، والرأي العام يواصل ضغطه على الحكومة، ومن ناحية أخرى كانت الحكومة العلمانية في تركيا تتعرض للضرر المعنوي نتيجة متابعتها لحركة سماحة الإمام، ونتيجة الضغوط التي كانت القوى الإسلامية تمارسها ضدها. وكان النظام الملكي يسعى إلى التخفيف من حدة الحوادث الأخيرة عبر إعلامه المكثف. كما أنها كانت تحاول الإيحاء إلى أنه - وبذهاب الإمام الخميني - لم تعد هناك أرضية مناسبة لوجود معارضة أساسية للبرامج الملكية، إلا أنه - ونتيجة لهذه الضغوط - فإنّ النظام الملكي قرر نفي سماحة الإمام من تركيا إلى العراق، ظناً منه بأنّ الجو الراكد وغير السياسي في حوزة النجف سيكون حاجزاً طبيعياً مهماً يحدّ من النشاطات السياسية للإمام، ولن تبقى هناك حاجة للسيطرة المباشرة والعلنية عليه. وبذا، فقد تمّ ترحيل الإمام عليه السلام في يوم الثلاثاء ١٩٦٥/١٠/٥ م مع نجله الشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني من تركيا إلى العراق، ليكون منفاهما الثاني. وهبطت التي أفلّتهما في مطار بغداد في الساعة ٢ بعد ظهر ذلك اليوم.

وقد أثار ذهاب الإمام إلى العراق ردود فعل متفاوتة. وبعد عشرة أيام، أي يوم الجمعة ١٩٦٥/١٠/١٥ م تحرك الإمام نحو النجف بعد زيارة المشاهد المشرفة في الكاظمية وسامراء وكربلاء تودّعه عشرات السيارات.

---

(١) الصحف الصادرة في طهران عصر يوم ١٩٦٦/١/١٨ م مقابلة اللواء "فرسيو" مع الصحفيين.

(٢) كان زمان ملاحقة واعتقال أعضاء حزب الشعوب الإسلامية في تاريخ ١٩٦٥/١٠/١٦ م ولكن خوف النظام أدى إلى كتمان هذا الخبر تماماً، إلا أنّ الأوضاع الوخيمة في طهران، وبيانات طلاب الحوزة دفعت النظام في النهاية إلى الاعتراف بالأمر. وقد أعلن خبر الاعتقالات رسمياً في ١٩٦٦/١/١٨ م. في هذه القضية إعتقل ٤٩ شخصاً، منهم حجة الإسلام محمد جواد الحجتى الكرمانى، والسادة: محمد كاظم البجنوردي، أبو القاسم سرحدى زادة، محمد مير محمد الصادقي، جواد المنصوري، عباس الدوز دوزاني، محمد كاظم سيفيان، عباس آقا الزماني (أبو شريف) والسيد حسين الهاشمي الكلبيكاني. في البدء حكم على السيد البجنوردي بالإعدام، ثم بعد ضغط الرأي العام وقيام المراجع والحوزات العلمية بالتعبير عن استنكارهم واعتراضهم، حكم عليه مع عدد آخر من زملائه بالسجن المؤبد، وحكم على الآخرين بالسجن مدداً طويلة. إنّ كثيراً من أعضاء الحزب كانوا في سجون النظام حتى زمان إطلاق سراح السجناء السياسيين في عامي ٧٧ و ١٩٧٨ م. وقد ذكر في كتاب "نهضة علماء إيران"، ج ٥، ص ١٥٧ - ١٧٤، أسماء ٥٩ من المعتقلين وأعضاء الحزب، مع شرح للقضية نقلاً عن الصحف وعن كراس اسمه "وثائق من الجماعات الإسلامية المؤتلفة".

ثم كان للإستقبال المنقطع النظير الذي لقيه قائد النهضة الإسلامية في النجف الأشرف انعكاس واسع. كما أن لقاءات الإمام ببعض المراجع والعلماء في الأيام الأولى لمجيئه إلى النجف أسفرت عن كشف النقاب عن وجوه كثيرة، كما أوضحت قوة شوكة الإمام وعظمته أكثر فأكثر.

من جهة أخرى، أعطى مجيء الإمام إلى النجف حرارة لأصحابه المخلصين، وساد كل إيران فرح وسرور، فأرسلت مئات البرقيات إلى سماحة الإمام في النجف، حملت تمنيات أبناء الشعب للإمام سرعة العودة إلى وطنه الإسلامي الإيراني. وراح "السافاك" - الذي كان قد واجه موقفاً للشعب الإيراني الحازم تجاه نفي قائد النهضة - يفكر بحلٍّ لمعضلته، فقام بتقديم الكثير من الشماريع لفرض السيطرة على الأوضاع، إلا أن أياً منها - رغم الدقة التامة التي استخدمت في تنفيذها لم يؤثر.

وبعد إقامة الإمام عليه السلام في النجف الأشرف، قرر - ودون الإكتراث لدسائس الأعداء - مواصلة أداء رسالته في مواجهة الأفكار والتصورات المنحرفة وغير الإسلامية. غير أنه - وبعد التقائه بعدد من العلماء والتباحث معهم - أدرك أن الحديث عن النهضة الإسلامية في إيران وتوقع المساعدة من أحد، أمر بعيد عن الحكمة في مثل ذلك المحيط الذي قام عملاء الاستعمار بتكريس الاعتقاد بشعار "فصل الدين عن السياسة" عبر إعلامهم المكثف، وأبعدوا الأفكار والأذهان عن الإسلام الحقيقي. لذا، فقد قرر سماحته وقادة البلدان الإسلامية، ونفض الغبار عن وجه الإسلام الناصع. وعليه، فقد اتخذ قرار بممارسة التدريس رغم علمه بأنّ تواجده في النجف أمر مؤقت، هادفاً من وراء ذلك الإستفادة من منبر التدريس لشرح دقائق الفقه والأصول، وتوضيح حقيقة الإسلام المحمدي الأصيل لطلابه.

وفي أول كلمة ألقاها الإمام عليه السلام بمناسبة بدء الفصل الدراسي، شرح تاريخ صدر الإسلام، والموقع الرفيع للحكومة الإسلامية، ووظائف ومسؤوليات الطبقات المختلفة في المجتمع الإسلامي مؤكداً على: أن رسول الله صلى الله عليه وآله ثار في محيط كان الجميع معارضيه له.. وكتب رسائل لأربعة من الرؤساء الكبار آنذاك يدعوهم فيها إلى الإسلام.

وفي هذه الكلمة طالب الإمام قادة الدول الإسلامية بالإستفادة من السلاح الفعال الذي أفاضه الله عليهم وهو النفط، وتبّه إلى الحاجة الماسة للقوى الكبرى والدول القوية إلى النفط وسائر الثروات التي تمتلكها البلدان الإسلامية. وأكد على أن "الصلاة والدعاء يمثلان باباً واحداً فقط من أبواب الأحكام الإسلامية.. وأنّ المسجد كان محلاً للقيادة وإدارة الأمور، ودراسة وتحليل المسائل والمشكلات اليومية"، واستنكر التفكير الذي يحصر الإسلام في الصلاة والطهارة والنجاسة. ورفض الفكرة الاستعمارية القائلة "بفصل الدين عن السياسة"، وسعى إلى مكافحة اليأس وعقد الحقارة والخمول الذي كان قد ترسخ لدى أبناء المجتمع الإسلامي وقادته ولدى علماء حوزة النجف، وطالب الجميع بالسعي لاستعادة عظمة المسلمين وعزتهم الضائعة.

إن كلمة الإمام التاريخية هزت - قبل كل شيء - الحوزة العلمية في النجف الأشرف التي كانت مصابة بالركود ويلفها الصمت لأكثر من نصف قرن، فقبولت كلمته بالإشادة والترحيب الواسع في كثير من الأوساط

المثقفة والجامعية، وتركت تأثيراً عجبياً ومهماً. وقوبل تأكيد الإمام على مواجهة الاستعمار والاستبداد والاستفادة من سلاح النفط ضد الناهبين الدوليين برد فعل قوي من قبل "السافاك" في هذا الصدد كما يلي: يستفاد من نقاط ضعف هذه الكلمة، ويتم الرد عليها من قبل زعيم ديني بعد قيام معارضي الخميني بتشغيل شريط الكاسيت الحاوي لهذه الكلمة<sup>(١)</sup>. ولكنه لم يوفق في الحصول على أية نقطة ضعف في الكلمة، فضلاً عن أن مشروعه ذاك مني بالفشل الذريع، إضافة إلى أن مؤيدي الإمام قاموا باستنساخ الشريط ونشره، كما أن الطلبة الجامعيين المسلمين المقيمين في أميركا قاموا بترجمته إلى الإنكليزية، وتوزيعه على نطاق واسع. لقد أدهش الإستقبال الذي واجه به الطلاب والعلماء في كربلاء والنجف خطاب الإمام أولئك الذين كانوا يتصورون أن الإمام سيواجه بعدم الإهتمام في تلك الديار.

### الخطاب رقم (١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لا تكلنا إلى غيرك، وأخرج حب الدنيا من قلوبنا، واغرس فينا الخلق الرفيع، واحفظنا في كنف أمير المؤمنين عليه السلام من كل سوء، واجعلنا خداماً للإسلام والمسلمين، اللهم واحفظ علماء المسلمين أينما كانوا، وألهمنا معرفة قدرهم. واجعل اللهم دين الإسلام مناراً، وقدمه على جميع الكلمات "اللهم أعظم كلمة الإسلام".<sup>(٢)</sup>

تعلمون أيها الإخوة المحترمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام وحيداً في بيئة كانت تقف ضده بأسرها، وقد عانى الكثير وتحمل من الأذى الكثير، واعتصرته آلام كثيرة في سبيل تبليغ الإسلام للناس، فدعا الناس إلى الهدى والتوحيد، وتحمل صلى الله عليه وآله من المشاق في ذلك السبيل ما لا أعتقد أن أحداً يقوى على حملها. وبعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عمد المسلمون إلى أداء مسؤولياتهم إلى حد ما، وتقوية الإسلام، فانطلقوا يوسعون سلطة الإسلام، حتى تأسست في العالم دولة إسلامية عظيمة فاقت جميع الدول الأخرى قوة وسعة. وقد كتب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - كما ذكر صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> - الذي أورد كتابه نصاً<sup>(١)</sup> كتاباً إلى هرقل وكما تذكر كتب التاريخ، فإن الرسول صلى الله عليه وآله كتب أربعة كتب إلى أربعة أباطرة: إمبراطور إيران، وإمبراطور

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ٢، الوثيقة ٧٢، ص ٧٩٩.

(٢) كلمة استعملت في القرآن بمعانٍ متنوعة منها: الوعد الحق، التوحيد، الدعوة الإسلامية، وغير ذلك.. (راجع "تفسير الميزان"، ج ٦، ص ٩١، و ج ١٤، ص ١٨٨).

(٣) "صحيح البخاري" أو "جامع الصحيح"، تصنيف محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى ٢٥٦ هـ) أحد الصحاح الستة المعتبرة لدى أهل السنة.



الروم، وإمبراطور مصر، وإمبراطور الحبشة، ونفس كتبه محفوظة<sup>(٢)</sup>. وعلى ما أذكر فقد رأيت أحد كتبه في المتحف التركي عند زيارتي له.<sup>(٣)</sup>

هذه الكتب الأربعة كانت كلها بمضمون واحد، أرسلها إلى هؤلاء الأباطرة يدعوهم فيها إلى الإسلام والتوحيد. وبعد هذا العمل من قبل الرسول الأكرم ﷺ مقدمة وحجر أساس في عملية إبلاغ حقائق الإسلام

---

(١) في عام ٦١٠ م هزم هرقل أو هراكليوس أو (هرامكيوس الأول) (٥٧٥ - ٦٤١ م) فوكس إمبراطور البيزنطية (الروم الشرقية) وترجع على عرشه. وقد هزم هرقل في حربه مع الإيرانيين، وفقد الشام وفلسطين ومصر. ومن أجل استعادة مستعمراته قام بهجوم على الإيرانيين وتغلب عليهم. وقد انتهت الحرب بين إيران والروم بعد وفاة خسرو برويز (ملك إيران)، وفي السنوات الأخيرة للإمبراطورية أصبح هرقل جليس الدار، وتوفي سنة ٦٤١ م. وبعد ظهور الإسلام قام رسول الله ﷺ بنشر الإسلام خارج الجزيرة العربية في السنتين السادسة والسابعة للهجرة، ودعا الملوك والرؤساء في المناطق المجاورة إلى اسلام. وطلب الرسول الأكرم ﷺ في الرسائل التي كتبها لإمبراطور الروم الشرقية وملك إيران، طلب منهما أن يحررا عباد الله حتى يعبدوا الله الواحد السلطان الحقيقي الذي لا شريك له، وهذا نص الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ لهرقل:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد، عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد.. فأني أدعوك بدعوة الإسلام، أَسْلِمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلِمَ يَأْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مرتين، فإن توليت فعليك إثم الآريسيين. و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

(٢) بعد صلح الحديبية وتحقق الأمن للمسلمين، بعث رسول الله ﷺ برسائل إلى الملوك والرؤساء دعاهم فيها إلى الإسلام. وقد قسّمت رسائل النبي ﷺ إلى عدة أقسام: أحدها رسائله إلى ملوك وأمراء الدول المختلفة، منها أربع رسائل من رسول الله ﷺ إلى الأباطرة في ذلك الزمان وهم: خسرو برويز (ملك إيران)، هرقل (قيصر الروم)، النجاشي (ملك الحبشة) والمقوقس (ملك مصر).

(٣) يوجد في تركيا متحفان، متحف إسطنبول ومتحف أنقرة، تأسسا على التوالي في عامي ١٨٤٦ م و ١٩٢٣ م ويضمّان آثاراً تاريخية وفنية كثيرة. وقد زار الإمام هذين المتحفين في سنة ١٩٦٤. وعند وصوله إلى تركيا بدأ سماحة الإمام بتعلّم اللغة التركية، وزار في اليوم الثالث من نفيه المساجد والمراكز التاريخية في أنقرة وأقسام أخرى من هذه المدينة. وكانت زيارات الإمام تتم تحت المراقبة والمرافقة الإجبارية من قبل مأموري الأمن الإيرانيين والأتراك. وفي أواخر أيام النفي شاهد الإمام، عندما كان يزور مدينة أزمير التركية مقبرة تضم ٤٠ من العلماء. وسأل عن كيفية وفاتهم؟ فأجاب المرافق التركي: إنهم أعدموا بأمر من أتاتورك لدفاعهم عن الإسلام ومعارضتهم لسياساته. وقد أشار الإمام ذاته إلى هذا الموضوع في خطباته اللاحقة.

إلى جميع أرجاء المعمورة، وإلى جميع الإمبراطوريات في الدنيا، وتعريف الإسلام الحقيقي للناس، غير أن هؤلاء الملوك - عدا ملك الحبشة - لم يستجيبوا وللأسف، لذا فقد توقفت تلك الدعوة التي أراد الرسول الأكرم ﷺ أن يقوم من خلالها بنشر الإسلام.

على أية حال، فقد قوي الإسلام بالجهود المضنية وبتحمل أنواع العناء سواء من قبل الرسول الأكرم ﷺ أو من جاء بعده ممن تصدّوا لرئاسة الدولة الإسلامية، وراح ينتقل من يد إلى يد حتى وصل اليوم بأيدينا، بأيدي هذه الفئة الموجودة حالياً، وهي المسؤولة عن الإسلام وعن أحكامه في عصرنا هذا، وتختلف مسؤوليتهم باختلاف مواقعهم، فالبعض منهم يتحمل مسؤولية جسيمة، في حين يتحمل البعض الآخر مسؤولية تقل أهمية عما يتحمّله أولئك.

فالذين يتحملون المسؤولية الجسيمة هم الحكومات، ورؤساء الجمهوريات الإسلامية، وملوك المسلمين. هؤلاء مسؤوليتهم خطيرة جداً، ولعلها أشد خطراً من مسؤولية جميع الفئات الأخرى، فقد اقتضت إرادة الله التكوينية أن يصل الإسلام إلى أيدي هذه الفئة، فيصبحوا بذلك مسؤولين عن حفظ الإسلام، وحفظ وحدة كلمة المسلمين، وحفظ الأحكام الإسلامية، ونشر الإسلام إلى مختلف أرجاء هذا العالم المتمدن.

ولا يتوهم أحد بأن الإسلام كالمسيحية لا يعدو سوى رابطة بين الأفراد وبين الله (تبارك وتعالى). إن الإسلام ينطوي على منهج متكامل للحياة، ونظام للحكم، وقد مارس دوره في الحكم ما يزيد على الخمسة قرون حينما كان يحكم بلداناً مترامية الأطراف، ورغم عدم تطبيق أحكام الإسلام حينها كما ينبغي، إلا أنه - بهذا المقدار الذي طبّق منه - حكم تلك البلدان بعزة ومنعة من جميع النواحي وفي جميع الأحوال.

فالإسلام يختلف عن باقي الأديان المعروفة حالياً (لعلها كانت كالإسلام وقت ظهورها) إلا أن الموجود حالياً منها - وخصوصاً المسيحية - لا تملك سوى بضع كلمات وعظية دون أن يكون لديها برامج فيما يتعلق بالسياسة أو إدارة المدن والأقاليم. فلا يتوهم بأن الإسلام كتلك الأديان لا نظام فيه، فالإسلام قد وضع برنامجاً دقيقاً ومفصلاً لحياة الإنسان الفردية بدءاً من الفترة السابقة لولادته، ومروراً بجميع المراحل التي يمضيها ضمن العائلة. كما وضع البرامج لمجتمع العائلة، وعيّن الأحكام والقوانين لكل جوانبها ومرحلها، ثم يتابع الإنسان بعد خروجه من العائلة للدخول في مجال التعليم، وحتى دخوله المجتمع الكبير، ووضع القوانين التي تنظم حياة المجتمع المسلم، بل وحتى القوانين والبرامج التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية مع سائر الدول والشعوب. كل ذلك له أحكام في الشريعة المطهرة. فأحكام الإسلام لا تقتصر على مراسم الدعاء والزيارة فقط، أو الصلاة والدعاء والزيارة وحسب، فهذه الأمور ليست إلا جانباً من جوانب الأحكام الإسلامية.

الدعاء والزيارة جانب من جوانب الإسلام، وإلا ففي الإسلام سياسة، فيه نظام لإدارة بلاد بأسرها، الإسلام ينظم ويدير شؤون بلدان واسعة. وعلى قاعدة المسلمين وملوكهم، وعلى الحكومات الإسلامية عموماً أن تُعرّف الإسلام للعالم أجمع.

ولا يتوهم النصارى بأنّ المسجد كالكنيسة، فحينما كانت الصلاة تقام في المسجد كان المسلمون يفهمون تكليفهم من خلالها، وكانت خطط الحروب توضع في المسجد، ويتم فيه الإعداد والتخطيط لإدارة شؤون البلدان. فالمسجد يختلف عن الكنيسة التي تمثل رابطة فردية بين الإنسان وبين الله (تبارك وتعالى) - على حد زعمهم - فالمسجد كان مركزاً لسياسة الإسلام في زمن رسول الله ﷺ وفي زمن الخلفاء. وفي يوم الجمعة كانت تطرح مختلف الموضوعات السياسية والعسكرية، وما يتعلق بإدارة البلاد في خطبة الجمعة، ففي زمن الرسول ﷺ وفي زمن الآخرين كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطط لمثل تلك الأمور، وتوضع البرامج الخاصة بها في المسجد.

إنّ على هؤلاء الرؤساء أن ينشروا الإسلام الحقيقي، وهي مسؤولية تفرضها عليهم المراتب التي قيّضها الله تعالى لهم. عليهم أن ينشروا الإسلام الحقيقي، أن يعدّوا برنامجاً إذاعياً لنشر الإسلام. عليهم أن يراجعوا علماء الإسلام لكي يشرحوا لهم حقائق الإسلام، فيقوموا هم بنشرها عبر المحطات الإذاعية والمطبوعات.

فلقد سعى رسول الله ﷺ إلى إيجاد وحدة الكلمة في كافة أرجاء المعمورة، سعى ليوحد دول العالم أجمع تحت ظل كلمة التوحيد، أراد أن يجعل الربع المعمور من الكرة الأرضية تحت ظل "كلمة التوحيد" غير أنّ أغراض السلاطين ورغباتهم من جانب، ورغبات علماء النصارى واليهود وأمثالهم من جانب آخر، حالت دون تحقيق الرسول الأكرم ﷺ ذلك. وهم ذاتهم الذين يحولون اليوم دون تحقيق الهدف ذاته. فكل مشكلاتنا بسببهم، فالذين يحولون اليوم دون نشر الإسلام الحقيقي هم اليهود والنصارى.

إنّ على حكام المسلمين وملوكهم ورؤساء جمهورياتهم الآن مسؤولية تجاوز الخلافات الجانبية التي تطرأ بينهم أحياناً، فليس في الإسلام عرب وعجم أو ترك وفرس، إنها كلمة الإسلام فقط. فعليهم أن يتّبعوا أسلوب الرسول الأكرم ﷺ في الجهاد في سبيل الله، وأن يتّبعوا الإسلام. فإنهم إن تمكنوا من توحيد كلمتهم، وتجاوزوا الاختلافات الجزئية الطارئة، وصاروا جميعاً يداً واحدة، فإنهم سيؤثرون فعلاً، وإلاّ فإنّ تعداد المسلمين يناهز السبعمئة مليون نسمة، غير أنّ هذه السبعمئة مليون<sup>(١)</sup> المتفرقة لا تعادل في تأثيرها حتى مليوناً

---

(١) قدر عدد السكان المسلمين في زمان الخطاب بحوالى سبعمئة مليون نسمة، وعموماً فلا توجد إحصائية دقيقة لعدد المسلمين في العالم، لأنّ عدد السكان المسلمين لم يُحصَ في بعض البلدان حتى الآن، وفي البعض الآخر يخاف الناس من الإعلان عن دينهم، كذلك فإنّ المشرفين على الإحصاء يسعون في بعض البلدان الأخرى - ولأسباب سياسية أو عقائدية - إلى التقليل من عدد المسلمين. مضافاً إلى أنّ الإحصائيات في أميركا وأوروبا تركز على الجنسية والعمر ومهن الأشخاص فقط دون الالتفات إلى أديانهم، لذا لا يمكن القطع بعدد المسلمين في تلك البلدان، علاوة على أنّ بعض الدول كأميركا والهند لا تكثر في إحصائياتها بالأشخاص الذين يعتنقون الإسلام. ومع كل ذلك تشير التقديرات إلى أنّ عدد المسلمين في العالم يتعدى المليار مسلم، لا شك في أنّ نسبة النمو خلال العقد الأخير كانت أعلى من السابق.

من النسب. سبعة مليون نسمة متفرقين لا نفع منهم، وحتى لو بلغوا آلاف الملايين عدداً فإنهم لن ينفعوا شيئاً ما داموا متفرقين، في حين لو مدّ مئتا مليون أو أربعمئة مليون من هذه السبعة يد الأخوة لبعضهم البعض - مع احتفاظهم بحدودهم وثورهم - لو وُحدوا كلمتهم فيما يشتركون فيه، كمفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، وكلمة التوحيد، والمصالح الإسلامية المشتركة، لو وُحدوا كلمتهم في ذلك، لما طمع اليهود في فلسطين، ولما طمع الهندوس في كشمير<sup>(١)</sup>. ولهذا فإن هؤلاء لا يسمحون بتحقيق اتحادكم! ولعلم هؤلاء الرؤساء - وهم يعلمون - بأن أولئك الذين يريدون نهب ثرواتكم، إنما يهدفون إلى تحقيق ذلك بالمجان، يريدون الإستيلاء على ثرواتكم الدفينة تحت الأرض والتي على ظهرها، وبذا فهم لا يسمحون للعراق وإيران أن يتحداً معاً، ولا يسمحون باتحاد إيران ومصر، أو تركيا وإيران، لا يسمحون لهم بتوحيد كلمتهم، ولن يسمحوا بذلك، غير أن مسؤوليتكم أنتم أيها الرؤساء تختلف، إن على الرؤساء مسؤولية الاجتماع مع بعضهم والتفاهم، وليحافظ كلٌّ منهم على حدوده وثورته، ليحفظ كل واحد منهم بحدوده، ولكن على الأقل وُحدوا كلمتكم أمام العدو الخارجي الذي يلحق بكم كل هذه الأضرار. لو تمكنتم من توحيد كلمتكم. حفنة من اللصوص الصهاينة شردوا أكثر من مليون مسلم من فلسطين منذ عشر سنوات أو أكثر دون أن تحسن البلدان الإسلامية غير الاجتماع مع بعضهم وندب حظهم العاثر! فلو كانت كلمتكم واحدة، كيف تتمكن تلك الحفنة من اللصوص اليهود أخذ فلسطينكم من أيديكم، وتشريد المسلمين منها، ثم لا تستطيعون أنتم تحريك ساكن بوجههم! لو وُحدتم كلمتكم، فكيف يتمكن الهندوس المتخلفون من الإستيلاء على كشمير العزيرة وأخذها من المسلمين دون أن يصدر عنهم أي رد فعل! إن هذه الأمور من الواضحات، غير أنه لا بد من التذكير بها. وهؤلاء يدركون هذه

---

(١) تقع كشمير شمال غربي الهند، وتحدّ الباكستان وأفغانستان، وهي منطقة جبلية ذات مناظر خلابة وأراضٍ خصبة، تبلغ مساحتها ٢٤٢,٠٠٠ كلم، وعدد سكانها حوالي خمسة ملايين نسمة، أكثر أهالي هذه الأراضي من المسلمين، وتسمى كشمير "إيران الصغيرة" لأنّ غالبية سكانها يتكلمون الفارسية. كانت لكشمير حكومة مستقلة قبل الاستعمار الإنكليزي، إلّا أنّ هذا البلد احتلّ في زمان هجوم الإنكليز، وبقي تحت سيطرة الإنكليز حتى عام ١٩٤٧ م، وبعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين: الباكستان (مسلمون) والهند (هندوس) كان يجب أن تُلحق كشمير وجامو - التي يشكّل المسلمون فيها ٧٠ بالمئة من السكان، إلّا أنّ الهند لم تتخلّ عن كشمير، واستولت كلا الدولتين على قسم من كشمير، وتصادعت الاختلافات بين الدولتين، وظلت حتى عصرنا الحاضر هذا دون حل.

عارض جواهر لال نهرو (رئيس وزراء الهند) - وخلفاً لادعاءاته الأخلاقية - رأي مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، الذي أوصى بأن يتم تقرير مستقبل كشمير بعد الرجوع إلى الرأي الكشميري العام بشكل محايد. فقد اعترف نهرو بالمجلس التأسيسي الكشميري - وهو مجلس لا يمثل الشعب الكشميري - الذي صادق على قانون إلحاق كشمير بالهند، وذلك في عام ١٩٥٧ م.

الأمر، إلا أنهم ينبغي أن يفكروا، أن يجتمعوا ويفكروا، وأن ينبذوا هذه الاختلافات الجانبية. إن الإسلام الآن بين أيديكم. فليعلم رؤساء المسلمين، وملوكهم، ورؤساء جمهورياتهم، وشيوخهم وجميع الممسكين بزمam السلطة في بلاد المسلمين بأن ما قيضه الله (تبارك وتعالى) لهم من التروس ينطوي على مسؤولية عظيمة، برئاسة قوم أو شعب تستتبع المسؤولية أمام هؤلاء القوم أو الشعب، المسؤولية عن حياتهم، والمسؤولية إزاء الحوادث والملمات التي تواجههم، فهم مسؤولون، والآخرين هم الذين يحتاجونهم! وعجيب ما يحصل، الثروة بيد الشرق، فالنفت هذه الثروة الحيوية بيد الشرق، بيد المسلمين، وفي البلدان الإسلامية تتكدس تلك المعادن البالغة الأهمية التي كانت دوماً السبب في تقدم الدول وتفوقها في الحروب، فالتفوق الذي حققه أي بلد إنما كان بسبب تلك السيول الهادرة من البترول، وهذا كله بأيديكم، فالعراق - بحمد الله - بلد بترولي، إيران - بحمد الله - بلد بترولي، الكويت فيها نفط؟ الحجاز فيها نفط.. النفط بيد المسلمين! وهؤلاء هم الذين عليهم أن يأتوا إليكم ويتملقوكم، ويقبلوا أيديكم وأقدامكم لتبيعوهم هذه الثروات بأسعار عالية. لا ينبغي أن يتملقوا لهم أنتم - وإن شاء الله لن تفعلوا - هم الذين يجب أن يتملقوكم، ولكن رغم ذلك ترى أن الأمر ليس كذلك. لقد رتب المستعمرون الأمور بطريقة جعلت بعض البلدان تتوهم أن الأمر على العكس من ذلك، فاعتقدوا أن عليهم هم أن يتملقوا لهؤلاء، وأن يجاملوهم بتقديم شيء ما إليهم لحملهم على القبول بأخذ هذه الثروة منه!.. وهذا لمّا يدعو إلى الأسف حقاً.

إن لم تتوحد الكلمة، إن لم يوحد رؤساء المسلمين كلمتهم، ويتفكروا في المآسي التي تعاني منها الشعوب الإسلامية، وإن لم يفكروا بما حل بالإسلام وبأحكام الإسلام، إن لم يفكروا في الغربة التي صار عليها الإسلام والقرآن الكريم، فإنهم لن يتمكنوا من أن يسودوا. فيجب أن يفكروا وأن يعملوا بجهد حتى يسودوا، ولو فعلوا لسادوا العالم أجمع. فلو أنهم ينشرون الإسلام الحقيقي، ويعملون به كما ينبغي، فإن السيادة ستكون من نصيبكم، وإن العزة ستكون من نصيبكم ﴿والله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾<sup>(١)</sup>.

هذا فيما يخص رؤساءنا السياسيين. أما الفئة الثانية وأعني بهم علماء الإسلام ومراجعته العظام، فإن مسؤوليتهم بالغة الخطورة أيضاً، ولعل مسؤوليتهم أخطر من الجميع إذا نظرنا إليها من زاوية معينة فعليهم نشر الإسلام كما يعرفونه للعالم. طبعي أننا لا نمتلك الوسائل التي تيسر لنا ذلك، وإن كان هذا بسبب عدم لياقتنا أيضاً، فنحن محرومون من وسائل الإعلام، وجميع الوسائل بأيدي الآخرين. يتوالى المسلمون بعد المسلمين، والعلماء بعد العلماء، دون أن يمتلكوا وسيلة لنشر الإسلام للعالم، وسيلة يقولون خلالها للعالم "هذا هو الإسلام".

إن لديكم بضاعة بهذه الجودة لا تقدر على عرضها للعالم قائلين: هذا ما لدينا! في حين أن أولئك أوصلوا إنجيلهم الذي يحوي ما تعلمون من الأمور (والكل مطلع على هذا الإنجيل المزيف، فهو ليس بالإنجيل

(١) الآية ٨ من سورة "المنافقون".

(١) (الصحيح) لقد وصلوا بهذا الإنجيل المزيف إلى أقصى البقاع، ولقد انتشر مبشروهم في كل مكان. في الآونة الأخيرة أعلنوا أن هذه البلدان الإسلامية التي كانت تحت الأسر حصلت على استقلالها الواحدة تلو الأخرى (٢) ولم يكن ذلك ما يهمهم، فهم لا يرون أن البابا قد ذهب ونصرهم جميعاً.

أما نحن فعاجزون حتى في ذات بيئتنا عن عرض أحكام الإسلام الحقيقية، دراستنا نحن لا تتعدى البحث في موضوع الطهارة وكذا وكذا. فلا نتعرض مثلاً لبحث موضوع السياسة في الإسلام، أو الحدود الإسلامية الأخرى. عدم تطبيق الأحكام يختلف عن عدم نشرها وتعريفها للعالم، ينبغي أن نقوم بتعريفها للعالم، ينبغي أن نقوم بتعريفها يا إخوة! وينبغي أن يدرك العالم أجمع أن الإسلام يشتمل على نظام كامل للحياة، وأن فيه نظاماً لكل جوانب الحياة، لكل شيء! ومن الذي عليه القيام بنشر ذلك سوى علماء الإسلام؟!

إن علماء الإسلام - كثر الله أمثالهم - يتحملون مسؤولية أخطر وأشد رغب ما يبذلونه من جهود، ورغم المتاعب التي يتحملونها. لقد أعزهم الله (تبارك وتعالى)، وعظم شأنهم، وجعل الآخرين أتباعاً لهم، جعل الناس أتباعاً لهم، وهذا مما يترتب عليه المسؤولية. لذا، يجب أداء هذه المسؤولية، والنهوض بها تماماً كما حمّل الرسول الأكرم ﷺ المسؤولية ونهض بها.

---

(١) لا يخفى أن الإنجيل الأصلي لحضرة المسيح ﷺ ليس موجوداً حالياً. أما ما يعدّه المسيحيون اليوم إنجيلاً فهو لم يكتب في زمان عيسى ﷺ، فالتاريخ يشير إلى أن بعض تلاميذ عيسى النبي ﷺ قاموا بكتابة كتب وقصص ونصوص كثيرة أطلقوا عليها اسم الإنجيل، بحيث أن عدد الأناجيل قد تجاوز المئة كتاب. وفي القرن الرابع الميلادي طابقت الكنيسة الأناجيل مع بعضها وأعلنت بأن أربعة منها - وهي المنسجمة مع سياساتها - معتبرة وقانونية، وهي إنجيل متى، ولوقا، ويوحنا ومرقس، ورفضت البقية. فمثلاً: منعت إنجيل "برنابا" الذي جُمع وكتب بواسطة أحد حواربي حضرة المسيح ﷺ وبشر فيه بصراحة بظهور الرسول الأكرم ﷺ ورفض فكرة أن المسيح عيسى ﷺ قد صُلب. والأناجيل الموجودة لم تعتن بالقوانين والأحكام إلا في موارد قليلة، وهي في الأغلب تدعو إلى الإخلاص في الطاعة، والعمل بالأوامر الإلهية، واجتناب النواهي، وحسن السلوك، والتواضع، وتجنب الكبر والظلم وأمثال ذلك.

(٢) للوقوف على مدى ما عانى منه المسلمون من الأسر والإضطهاد الذي مارسه بحقهم الدول الاستعمارية نذكر فقط أسماء عدد من البلدان الإسلامية التي خرجت في نصف القرن الأخير من السلطة المباشرة للأجانب واستعادت استقلالها ظاهرياً من الاستعمار الفرنسي، وهي: الجزائر، تونس، تشاد، جيبوتي، السودان، السنغال، غينيا، مالي، المغرب، موريتانيا، النيجر، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، قطر، غامبيا، مالديف، سيراليون، عمان، اكليت، ماليزيا، نيجيريا، اليمن الجنوبية. فقد استقلت من الاستعمار الإنجليزي، واستقلت ليبيا من الاستعمار الإيطالي والصومال من الاستعمار الإنجليزي والإيطالي.

ينبغي طرح الإسلام الحقيقي، ليس كما هو متعارف حالياً، بضعة أمور شكلية وكتاب مفاتيح الجنان وما شابه. كلا، ينبغي طرح الأحكام الإسلامية الحقيقية، ينبغي إخبار العالم أجمع بما لدينا من بضاعة قيّمة، وما لدينا من قوانين رفيعة، فلسنا بحاجة إلى الرجوع إلى أحد فيما يتعلق بالقوانين، لدينا قوانين تخص كل جانب من جوانب الحياة. وقد حدد الإسلام التكليف في كل شيء، ووضع القوانين لكل شيء، ولا حاجة بالمسلمين لتقليد أحد أو اتباعه في قوانينه.

إنّ شبابنا الجامعيين اليوم، سواء الموجودون هنا، أو في إيران أو في سائر البلدان، يجهلون حقيقة الإسلام، فهم لا يعلمون أصلاً ما هو الإسلام! إنهم لم يعرفوا عن الإسلام سوى أنه صلاة أو طهارة أو ما شابه! ودليلهم على عدم الالتزام بالإسلام هو قولهم: "إننا إذا أردنا أن نصبح مسلمين ونعمل بالإسلام، فليس في الإسلام ما نطبّقه" يقولون هذا لأنّ الإسلام لم يوضح لهم. يقولون: أي نظام في الإسلام لكي نعمل به؟ الطائفة الفلانية لديها نظام! الطريقة الفلانية فيها نظام، فيها نظام حياة، ونحن نريد الحياة، والإسلام ليس سوى شأن فردي يخص الإنسان كفرد، وعليه فليس في الإسلام نظام نطبّقه.

وهذا لأنهم يجهلون الإسلام، ليس لديهم اطلاع على أحكام الإسلام، لذا فهم يتوهمون عدم وجود نظام في الإسلام، ومسؤولية حصول هذا تقع على علماء الإسلام. طبعي أنّ علماء الإسلام لم يتمكنوا من علاج هذا الأمر لما يعانونه من مشكلات، غير أنّ إيجاد هذه المعرفة لدى الشبان تقع على عاتقهم، عليهم أن يكتبوا جميع أحكام الإسلام، وأن يشرحوا فنونه، وجميع شؤونه ويوضحوها ويعرضوها للعالم، عليهم أن يكتبوا قوانين الإسلام على حقيقتها في كل جانب من جوانب الحياة وينشروها، وإذا أمكنهم فلينشئوا محطة إذاعية للتبليغ ولنشر الإسلام الحقيقي لكل العالم، وليفهموا بذلك العالم "ما لدينا" وليفهموا العالم أننا نعيش هذا الوضع رغم "ما لدينا"! إنها مسؤولية عظيمة تقع على عواتق العلماء الأعلام - أعلى الله كلمتهم - على عواتقهم وعلى عواتقكم أتم أيها المحترمون. فأنتم أيها الفضلاء الأعلام والعلماء الشبان مسؤولون أيضاً، وفي المستقبل ستقع مسؤولية الإسلام على عواتقكم، كما أنكم الآن أيضاً مسؤولون، وهي مسؤولية عظيمة أيضاً.

لذا، فإنّ على الشبان اليافعين ذوي الستة عشر عاماً أو العشرين، والموجودين في المدارس العلمية أن يبدأوا من الآن بتعويد أنفسهم على أن يكونوا كما أرادهم الله تعالى، وكما حث عليه الأوامر الإلهية، وأن يخطوا خطوة في سبيل تهذيب النفس وتحصيل الأخلاق الحميدة مع كل خطوة يخطونها في سبيل تحصيل العلم. فإنّ الواحد منكم إذا أصبح عالماً ولم يكن مهذباً كما أراد له الإسلام - لا سمح الله - فإنّ ضرره سيكون أكثر من نفعه. فجميع مبتدعي الأديان والمذاهب الباطلة كانوا في الأساس أشخاصاً متعلمين، تعلموا في حوزات علمية دينية<sup>(١)</sup> إلّا أنهم لم يكونوا مهذبين، وتأملوا في أرباب المذاهب الباطلة، ستجدون أنهم جميعاً كانوا أشخاصاً متعلمين، وطلبة علوم دينية، غير أنهم لم يكونوا مهذبين.

---

(١) راجع سيرة بعض الأشخاص مثل محمد بن عبد الوهاب (مؤسس العقيدة الوهابية)، والشيخ زين الدين أحمد الأحسائي (زعيم الشيخية) ونائبه السيد كاظم الرشتي.

إن وجودكم أيها المحترمون في كنف أمير المؤمنين عليه السلام في أرض النجف المقدسة يضيفي عليكم التزاماً آخر، فالوجود في النجف يختلف عن الوجود في الكويت مثلاً أو طهران أو بغداد، الوجود في النجف بحد ذاته مسألة لها أبعادها الخاصة، وتترتب عليها مسؤولية أخرى. ولينظر الإنسان كيف كانت حياة أمير المؤمنين عليه السلام لينظر أية حياة بسيطة كان يعيشها سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، ليتفكر الإنسان في أحوال أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وليلاحظ كم من الآلام تحملها عليه السلام في سبيل الإسلام، كم من الطعنات والضربات تلقى، كم من المرات تجرّع، وكم من الحروب خاض، مقاسياً من العطش والجوع، ليلاحظ الإنسان كل ذلك.

إن الإسلام الذي سلّم بأيدينا وصلنا بعد تحمل كل ذلك، سلّم بأيديكم أنتم أيها السادة المحترمون، وإنكم لمسؤولون. فإذا انصبّ اهتمامكم - لا سمح الله - خلال الدراسة على فهم دقائق الأمور العلمية دون الإهتمام بالتهذيب، ودون الإهتمام بتهذيب أنفسكم وتأديبها بأداب الله ونبّيه، إذا كان الأمر كذلك فلن تنتفعوا من العلم، فإنكم إن لم تكونوا مهذّبين فإنكم لن تحصلوا على ذلك النور<sup>(١)</sup> الذي "يقذفه الله في قلب مَنْ يشاء" إنه من فن ذلك العلم الذي يستتبع النورانية، ذلك العلم الذي هو نور والذي يهبه الباري (تبارك وتعالى)، لن يشمل كل القلوب، ولا يليق به كل قلب. فإن لم يهذب ذلك القلب، وإن لم يفرّغ من الخلق السيئ ومن العمل السيئ، وإن لم يتوجه إلى الله ويسلّم إلى الله (سبحانه وتعالى) بالكامل، فإنه (جلّ وعلا) لن يقذف بذلك النور فيه، فهذا الأمر لا يتم عبثاً، ولن يتم بالحرص على المعرفة بدقائق العلوم، فالغزالي<sup>(٢)</sup> مثلاً كان عالماً جيداً، وكذا كان أبو حنيفة<sup>(٣)</sup> والكثير غيرهما، كانوا علماء، كما أنّ هناك الكثير ممن يحيطون بدقائق العلوم أفضل من الجميع، لكن الباري (تبارك وتعالى) لم يتلطف عليهم بذلك النور الذي يقذفه تعالى في قلب مَنْ يشاء. فذلك النور يحتاج إلى التهذيب، ويستلزم بذل الجهد والتريّض. فعليكم أيها الإخوة التريّض وبذل الجهد ما دمت قد جتّم والتحقّتم بهذه المجموعة، وعليكم مراعاة بعض الأمور؛ على كل واحد فيكم أن يحاكم نفسه، حينما تنتهي

(١) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: "العلم نور يقذفه الله في قلب مَنْ يشاء" ("المحجة البيضاء"، ج ٥، ص ٤٥).

(٢) أبو حامد محمد بن الغزالي الطوسي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) فقيه وعالم كبير وصاحب مؤلفات في العلوم العقلية والنقلية المختلفة، شافعي المذهب. ومن آثاره المعروفة "إحياء علوم الدين" و"كيمياء السعادة".

(٣) النعمان بن ثابت الزوطي (٨٠ - ١٥٠ هـ) مؤسس المذهب الحنفي، وهو من أصل إيراني، ولد في الكوفة، وتعلّم الفقه في مقتبل عمره، وكان يعتبر القرآن مخلوقاً، وقد خالف حسب ذوقه الفقهي ٤٠٠ حديث وارد عن النبي صلى الله عليه وآله واعتقد بالقياس. وكان يسلك طريق الإفراط والتفريط في كل المجالات. ولم يعتقد بصحة كثير من الأحاديث، ويعتبر أنّ هناك عدة أحاديث فقط صحيحة، ويمكن الاستفادة منها. تتلمذ أبو حنيفة فترة عامين لدى الإمام الصادق عليه السلام، وقد وبّخ الإمام يوماً أبا حنيفة عندما وجده غير مستقيم في جواب سؤال حول الفقه، وقال له ما مضمونه: "الويل لك، ما هو قياسك؟ إتق الله ولا تقسّ الدين برأيك".



مطالعتك مساءً إبدأ بمحاسبة نفسك<sup>(١)</sup> وانظر عدد المعاصي التي ارتكبتها في ذلك اليوم - نعوذ بالله، إن شاء الله لن يكون هناك معاصٍ - أنظر كم شخصاً اغتبت في ذلك اليوم - نعوذ بالله - وعلى كم عالم تجاسرت. تعلمون أن كلمة واحدة، كلمة واحدة!، إذا وجّهت إلى أحد مراجع الإسلام وكانت إهانة! فماذا سيكون الموقف أمام الله؟ "فقد بارز الله بالمحاربة"<sup>(٢)</sup>، إن الإنسان سيكون مبارزاً لله، فهؤلاء أولياء الله.

مع كل خطوة تخطوها في سبيل تحصيل العلم، يجب أن تخطو خطوة واحدة على الأقل - إن لم نقل خطوتين - في سبيل تهذيب الأخلاق، وتحكيم العقائد، وترسيخ الإيمان في القلب. وذلك يحتاج إلى التفكير والمحاسبة والمراقبة.

على الإخوة المحترمين أن يراقبوا أنفسهم؟ يراقبوا أنفسهم من الصباح إلى المساء، فإن نفس الإنسان منفلة بطبيعتها، وإذا غفلنا عنها - نعوذ بالله - فإنها تجرّنا إلى الكفر ليس إلى الفسق فقط! هذا إذا غفل الإنسان! والشيطان لن يقنع منا بالفسق وحده، إنه يريد أن ينتهي بنا الأمر إلى الكفر، إنه يريد للجميع أن ينتهي بهم الأمر إلى الكفر، وغاية ما في الأمر أنه يدفع الإنسان نحو ارتكاب المعاصي الصغيرة، ويلج به نحو الأكبر والأكبر والأشد، حتى يصل به - لا سمح الله - إلى الانحراف التام عن الإسلام.

عليكم أن تراقبوا أنفسكم يا إخوة، يجب أن تراقبوا أنفسكم من أول الصباح، حينما تنهضون من النوم.. بل من أول أذان الفجر وحتى الليل، أو من قبل أذان الفجر حينما تنهضون. يجب أن تراقبوا أنفسكم. يجب مراقبة النفس في التجمعات، في التجمعات الثنائية والرباعية أو حتى المئوية، أو العشرية، يجب مراقبة النفس والحرص على احترام الكبار واحترام الرفقاء، إحترام المؤمنين بصورة عامة. اللسان.. على الإنسان تحاشي الدخول في المناقشات العميقة، والكلام غير المجدي، فلو فرضنا أن أحداً قام بعمل أو امتنع عن عمل، وكان بذلك مسيئاً في نظركم، فليُحمَل على الصواب، فينبغي بالإنسان عدم التجاسر هكذا وبدون تدبرٍ على أحد المؤمنين أو أحد المسلمين، أو أحد طلبة العلوم الدينية، أو أحد أهل العلم، فضلاً عن أن يكون أحد العلماء أو أحد المراجع.

هذه أمور يجب مراعاتها، على الإنسان أن يراقب نفسه، وأن يحفظ هذه الحدود حتى ينال التوفيق. إنكم ستحملون مسؤولية خطيرة، فإن أصبح أحدكم عالم مدينة ما، فسيكون مسؤولاً عن تلك المدينة، وقد يصبح أحدكم عالم بلاد بأسرها، فيتحمّل بذلك مسؤولية تلك البلاد. وقد يصبح مرجعاً لأمة بكاملها، فيكون بذلك مسؤولاً عن تلك الأمة.

عليكم إذاً وضع الأساس لذلك منذ الآن لكي تستطيعوا أداء دوركم في تحمّل تلك المسؤولية بالشكل المشرف أمام أنفسكم وأمام دينكم. عليكم الإهتمام بهذا الأمر منذ الآن.

---

(١) ذكر الإمام قدس سره في كتابه "الأربعون حديثاً" الأخلاقي العرفاني: أن محاسبة النفس إلى جانب المشاركة. أي يشترط مع نفسه ألا يتصرف خلاف الأمر الإلهي من الأمور اللازمة للمجاهد.

(٢) هذه الجملة جاءت بهذا النص العربي ضمن الخطاب.

أما أن تقولوا: "دعنا نقرأ دروسنا الآن، وبعدما نبلغ سن المشيب نهتم حينها بتهذيب أخلاقنا إن شاء الله!" فهذا لا يمكن، لن تستطيعوا ذلك، حينها لن يتحقق للإنسان إلا ذلك القدر من التهذيب الذي حصله في طور الشباب، وإذا لم يهذب نفسه في أيام شبابه - لا سمح الله - فمن الصعب جداً أن يستطيع ذلك حينما يصبح شيخاً عجوزاً، فحينها ستضعف الإرادة ويقوى العدو. ففي زمن المشيب تضعف إرادة الإنسان، ويقوى جنود إبليس في داخل النفس، ولن يمكن حينها تحقيق التهذيب، وإن أمكن فإنه سيكون أمراً صعباً جداً.

إهتموا بهذا الأمر من الآن، إهتموا به منذ الشباب. إن كل قدم تخطونها الآن تقودكم نحو القبر، فلا مجال للتأخير أبداً، وليس هناك ما يمنعكم من ذلك أبداً. كل دقيقة تمرّ من أعماركم الشريفة تقربكم من القبر، ومن الممكن الذي ستعرضون فيه إلى المساءلة، وكلكم ستسألون، وأنتم تقتربون تدريجياً، فكروا في أنّ القضية هي الإقتراب من الموت، وأنّ أحداً لم يضمن لكم أن تعمّروا مئة وعشرين سنة، فليس متعارفاً بيننا أن يعمر أحداً مئة وعشرين سنة، فالإنسان قد يموت وهو في الخامسة والعشرين من عمره أو في الخمسين أو الستين، ليس هناك من ضمان، لعل الأجل يحلّ بنا الآن - لا سمح الله - فلا ضمان، ويجب أن تفكروا وتأمّلوا في هذه الأمور، وأن تراقبوا. هذبوا أكثر - إن شاء الله - ولتكن أعمالكم مطابقة للإسلام، مطابقة لأحكام الإسلام، لكي توفّقوا - إن شاء الله - ولكي تشمّلكم وأنتم تحت القبة المطهرة للمولى (سلام الله عليه) أنوار العلم الذي يرضي الله تعالى، العلم الذي هو نور، العلم الذي يقربكم من الله (تبارك وتعالى)، وهذا يحتاج إلى التريّض، فأنتم تمارسون بتحصيل العلم نوع من الرياضة، فلتكن هذه الرياضة أيضاً مع تلك.

أسأل الله تعالى التوفيق لجميع الإخوة المحترمين، وأسأله تعالى المجد للإسلام والمسلمين، والرفعة والعزة لمراجع الإسلام، وأسأله تعالى أن يمدّ في أعمار مراجع الإسلام، وأن يمنّ (تبارك وتعالى) على طلبة العلوم الدينية بالقدرة على تهذيب أخلاقهم.

## هوية الخطاب رقم (١٨)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، بين تشرين الثاني ١٩٦٥ وحتى أيلول ١٩٦٧.

- الموضوع: الإشارة إلى أن التفرّق لصالح الأعداء، وأن حب النفس منشأ جميع المشكلات.

- المناسبة: شيوع الفرقة والاختلاف بين أوساط الطلبة في حوزة النجف.

- الحاضرون: العلماء والفضلاء وطلاب العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية في النجف.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد عدة أيام من إعادة نفي الإمام من تركيا إلى العراق، إلتقى سماحته في ليلة ١٩/١٠/١٩٦٥م بمراجع التقليد في النجف الأشرف. ويُستشف من لقائه مع آية الله الحكيم عزمه الراسخ على مواصلة أداء رسالته في حوزة النجف، كما يوضّح ذلك اللقاء طبيعة الجو السائد هناك، والتوجهات الفكرية في تلك الحوزة. وفيما يلي نص الحديث الذي جرى بين سماحة الإمام الخميني وآية الله الحكيم:

- الإمام الخميني: حبذا لو قمتم بزيارة استجمام إلى إيران، واطّلعتم خلال ذلك على الأوضاع عن كثب، وشاهدتم بأعينكم ماذا يمرّ على هذا الشعب المسلم.

كنت أعتقد في زمان المرحوم البروجردي بأنّ عدم مبادرته للقيام ضد الحكومة المتجبرة لا شائبه عليه، إذ أنّ المحيطين به لا ينقلون له الأحداث، وأعتقد الآن بأنّ الأمر هو كذلك بالنسبة إلى سماحتكم، حيث يبدو أنهم لا ينقلون لكم فجائع الحكومة الإيرانية، وإلاّ لما سكّتم.

لقد احتفلوا في طهران بمرور ٢٥ عاماً على تولي البهلوي للحكم، ولأجل ذلك جمعوا مئة ألف دولار من هذا الشعب الفقير بالقوة، للإنفاق على الاحتفال الذي جمعوا فيه ٨٠٠ فتاة و ٨٠٠ فتى معاً للدعاء، ودفعوها لأن يفعلوا.. من أجل الدعاء! وإني لأخجل من مجرد ذكر ذلك.

- آية الله الحكيم: ما دمتم قد وصلتكم أنتم إلى هنا الآن، فلا مناسبة للذهاب إلى إيران، ثم ماذا يمكن أن تؤدي إليه رحلتي إلى هناك، وما هو الأثر الذي سيجلب على ذلك؟

- الإمام: لا شك أنّ زيارتكم سيجلب عليها أثر ما، لقد ردعنا الحكومة عن إصدار القرارات الخطيرة بهذا النوع من القيام، كيف لا يكون لذلك أثر؟ لو كان العلماء متحدين لأثر ذلك قطعاً.

- السيد الحكيم: إذا كان في ذلك احتمال عقلائي، ثم التحرك على أساس عقلائي، فلا بأس.

- الإمام: لا شك أنّ لذلك تأثيره، وقد رأينا أثره نحن، كما أننا نقصد بالعمل "العمل العقلائي"، فالعمل غير العقلائي ليس مطروحاً أساساً. مقصودنا هو عمل العلماء والعقلاء من أبناء الشعب.

- السيد الحكيم: إذا تحركنا بحدّة فإنّ الناس لا تتبعنا.. فهم غالباً لا يعرضون أرواحهم للخطر في سبيل الدين.

- الإمام: لقد ذكرت لكم بأنّ الناس أثبتوا شجاعتهم وصدقهم في الخامس من حزيران.

- السيد الحكيم: لو ثرنا ونزف أحدهم دماً لحصلت ضجة كبرى، ولشتمنا الناس وأثاروا الفوضى.

- الإمام: حين ثرنا لم نرَ من أحد غير مزيد من الإحترام والسلام وتقبيل اليد، بل إنّ كل مَنْ قصر في تلك الحركة سمع كلاماً بارداً وواجهه الناس بالإعراض.

في تركيا ذهبت إلى إحدى القرى التركية - لا أتذكر اسمها الآن - وقال لي أهالي تلك القرية: إنّ العلماء - عندما كان أتاتورك ممعناً في عداوته للدين - إجتمعوا، وتحركوا ضد قراراته، فقام أتاتورك بمحاصرة القرية وقتل أربعين من كبار علماء تركيا. فخجلت وفكرت مع نفسي: كيف قام هؤلاء العلماء من أبناء السّنة حينما رأوا الخطر يهدد الدين الإسلام، وقدموا أربعين قتيلاً، في حين لم ينزف أحد علماء الشيعة دماً من أنفه، لا من أنفي ولا من أنفكم أنتم، ولا من أنف أحد آخر. في حين أنّ ديننا تعرض إلى هذا الخطر الكبير. حقيقة إنّ الأمر يبعث على الخجل!

- السيد الحكيم: ماذا يجب عمله؟ يجب أن نتوقع تحقق أثر لتحركنا، فما هو الأثر المترتب على تقديم

القتلى؟

- الإمام: إنّ الممارسات المضادة للدين على نوعين: أحدهما من سنخ ما كان يقوم به رضا خان، الذي كان يتحرك على أساس اللادين ويقول: أنا أفعل! ولا ينسب عمله إلى الشرع. وطبيعي أنّ العمل ضده كان من باب النهي عن المنكر. أما الملك الحالي فإنه يتحرك ويقوم بممارساته المضادة للقرآن والدين ويقول: إنّ ذلك من الدين، وإنّ ذلك هو رأي القرآن، وإنني أتحدث استناداً إلى القرآن الكريم. وهذه بدعة كبيرة - توجه لطمّة لا يمكن تحمّلها - إلى أساس الدين. ينبغي علينا أن نضحّي، دعوا التاريخ يكتب بأنّ عدداً من علماء الشيعة ثاروا عندما تعرّض الدين إلى خطر ما، وأنّ عدداً منهم قُتل.

- السيد الحكيم: ما هي فائدة التاريخ؟ ينبغي أن يكون لتحركنا أثر.

- الإمام: كيف لا يفيد؟ ألم تقدّم ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام) خدمة مؤثرة إلى التاريخ؟ أولم نستفد من ثورة ذلك الإمام؟

- السيد الحكيم: ما رأيك بالإمام الحسن؟ إنه لم يثر؟

- الإمام: لو كان للإمام الحسن أنصار ومريدون بعدد ما لديكم لما توانى عن الثورة، وقد ثار في أول الأمر، وحينما رأى أنصاره يتفرقون عنه توقف عن القيام. أما أنتم فليدكم مقلّدون وأنصار متشرون في كافة أنحاء البلدان الإسلامية.

- السيد الحكيم: إنني لا أرى أنّ هناك من يتبعني إذا قمت بحركة ما.

- الإمام: إعملوا أنتم وثوروا، وأنا أول شخص سيتبعكم.

- السيد الحكيم: تبسّم وسكوت.

لقد اتضح أنّ تواجد الإمام في النجف - وعلى عكس ما تصوره الملك - مثاراً للقلق للنظام بنفس الدرجة التي كان يمثلها في إيران، فصحيح أنّ الأجواء التي كانت سائدة في حوزة النجف تختلف كثيراً عن الأجواء التي حكمت في عهد صدور فتوى المواجهة المسلحة للاستعمار الإنكليزي في العراق، حيث نهض علماء النجف الكبار حاملين السلاح على الأكتاف يمارسون دورهم القيادي بين المجاهدين ضد الإنكليز. وعن فترة ثورة الإيرانيين التي كانت تقاد من تلك الحوزة. فقد أدت سنوات السكوت والسكون إلى فسح المجال لأولئك البلداء غير المهتمين بمصائب المسلمين وما يحلّ بالدين وبالعالم الإسلامي، لممارسة الدراسة والبحث العلمي براحة بال.

غير أنّ مجيء الإمام - وهو المرجع الثوري الذي حرّك دماء الثورة في إيران ضد النظام الملكي، وصدح بهتافه في ٣ حزيران ضد أمريكا و"إسرائيل" ليوصله إلى أقصى مناطق العالم الإسلامي - إلى النجف أشعر الرجعيين بالخطر، وبدأ الحساد، وقوى الأمن التابعة للنظامين الإيراني والعراقي بالتحرك الموتور.

وعندما شرع الإمام بالتدريس، تحركت تلك المجموعة من المتخصصين في البحث وإثارة الإشكالات وإفحام الخصم بالتوافد على حضور درس الإمام. فهم كانوا يعتقدون أنّ الإمام سيعجز - نظراً لكونه ليس من

خرّيجي النجف - عن الصمود أمام المحققين الذين مارسوا التحقيق في النصوص الإسلامية لسنوات طويلة في جو ساكن وهادئ في تلك الديار، بعيداً عن كل شاغل.

بدأ الإمام رسمياً درسه بالتطرق لمباحث البيع، والتي تمثل إحدى الموضوعات الغنية المثيرة للجدل، فعرض مسائل قيّمة وجديدة حتى على حوزة النجف، مما أثار دهشة الكثير من العلماء الأكفأ والمقتدرين، وهكذا بدأت العراقيل والتهم والتجريعات.

من ناحية أخرى لم يدّخر النظام الملكي جهداً من أجل نحو آثار ثورة ٥ حزيران، وكان أصحاب الإمام يتعرضون الواحد تلو الآخر للسجن أو النفي، فقد أصدرت الأوامر إلى مأموري "السافاك" بالتحري عن الذين يسلمون الأموال الشرعية إلى وكلاء الإمام في إيران لإرسالها إلى النجف، والمبادرة إلى اعتقالهم والإستيلاء على تلك الأموال.

غير أنّ أياً من تلك المشكلات والمضايقات، لم تتمكن من منع الإمام عليه السلام من مواصلة المواجهة. وفي بيان سماحته المؤرخ في ١٦/٤/١٩٦٧ م - وهو أول بيان للإمام بعد نفيه من إيران - دعا سماحته العلماء والشعب الإيراني إلى الثبات والصبر والإستقامة والإيثار في الطريق الذي سلكوه. كما كتب سماحته رسالة مفصّلة إلى أمير عباس هويدا (رئيس الوزراء آنذاك)<sup>(١)</sup> محذراً إياه بالقول: "إنّ ضرب الحوزات العلمية والهجوم المسلح على المدرسة الفيزية والصحن المطهر في قم، والمجازر الجماعية في الخامس من حزيران، لا يمكن اعتبارها سوى خدمة عمياء لأصحاب الدولار. فما هي النتيجة المتوخاة من الضغط على مراجع المسلمين والعلماء الأعلام وطلاب الحوزات العلمية، والهجوم على الجامعة غير خدمة الأجانب؟".

أدت حرب الأيام الستة بين العرب و"إسرائيل"، وإصدار الإمام بيانه الداعم للعرب، إلى تحرك تيار الثورة في إيران، مما استتبع اعتقال عدد من أنصار الإمام في طهران وسائر المدن الإيرانية.

إنّ إثارة التفرقة من قبل المتحجّرين والمعارضين للنهضة، كانت أكثر الأساليب تأثيراً، إذ تمكنت من إشغال القوى - التي تمكنت من الوصول إلى النجف بصعوبة بالغة لتحيط بالإمام وتمارس مسؤوليتها في إيصال بياناته إلى إيران والعالم الإسلامي - في مسائل فرعية، مما أدى إلى تغيير الظروف لصالح النظام الإيراني.

من ناحية أخرى، بادر أنصار الإمام من الشبان والثوريين - الذين ضاقوا ذرعاً بما كان القاعدون في المنازل يثيرونه من إشكالات - للدفاع عن حقّانية الطريق التي انتهجها الإمام. وفي إحدى الجلسات التي حضرها بعض أنصار الإمام، إستنكر أحدهم بحدة سكوت اثنين من المراجع المقيمين في النجف، وعدم تقديم

---

(١) أرسل سماحة الإمام هذه الرسالة - التي هي في الحقيقة بيان مفصّل وجامع يستنكر سياسات النظام - إلى إيران، وبالخصوص إلى آية الله الرباني الشيرازي - الذي عيّن من قبل الإمام بعد انتصار الثورة عضواً في مجلس صيانة الدستور - بواسطة شخص موثوق، وكان لانتشارها وتوزيعها أثر كبير جداً في إيران.

العون للجهاد الثوري. ولما بلغ ذلك الإمام عليه السلام - الذي كان يبدي حساسية خاصة تجاه مستقبل العالم الإسلامي والحوزات العلمية، ويدرك خطورة استغلال المغرضين والمعارضين للنهضة لهذه التصرفات - لذا فقد حذّر وبمجرد سماعه بذلك طلابه وأنصاره، وذلك من خلال جلسة الدرس بدل متابعة البحث العلمي، فنّبّه إلى خطورة التصرفات التي تسبّب التشتت والفرقة، وأشار إلى قلة عدد أنصار دين الله في الحوزات العلمية، أمام كثرة الأعداء، واعتبر أنّ فتح أية جبهة منحرفة تؤدي إلى إضعاف الحوزات العلمية، وأمر يصبّ لصالح الأعداء، وهو مخالف للتكليف الشرعي.

كان الإمام - وضمن الإشارة إلى مرارة الوضع في حوزة النجف - يحث الطلاب الشبان على تهذيب النفس، مؤكداً على أنّ روايات المعصومين عليهم السلام تشير بوضوح إلى أنّ حب الدنيا وحب النفس هما أساس كافة الاختلافات، وهما العاملان الأساسيان اللذان يؤديان إلى إضعاف الحوزات والدين في النتيجة.

كان الإمام يدرك أنّ الاختلاف والفرقة بين العلماء يسبب ضياع هويتهم بين الناس، يقول سماحته: "إنّ الحكومات إذا كانت تخاف من أحد الملالي، أو أحد المراجع، فإنها لا تخاف من دعائه، ولا تخاف من لعناته التي يصبّه عليهم. فمتى كان لديها اعتقاد بالدعاء واللعن؟ إنها تخاف من الشعوب".

في الختام، أوصى سماحته أصحابه أن يواجهوا الممارسات غير اللائقة للآخرين بأساليب عقلانية، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن يتجنبوا التصرف الذي يؤدي إلى التكتل، فقد أنهى قائد الثورة خطابه المؤلم بالقول: "إنّ هذه الدنيا ذهبت، وتذهب من أيدينا، وهي ليست بشيء، ليست بشيء مهم يتعلق الإنسان به، والمهم هو ذلك العالم الآخر".

## الخطاب رقم (١٨)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت أعتزم اليوم أن يكون درسنا "مباحثة" إلا أنّ اثنين من الإخوة المحترمين قصداني بالأمس، وذكر لي أموراً تدعو للأسف، مما حدا بي إلى جعل موضوع اليوم تذكير الإخوة ببعض الأمور، فقد بلغ الأمر درجة من التدهور أنّ بعضهم أسرّ قائلاً: إن لم ينبر أحد لإصلاح الأمر فمن المحتمل وقوع اختلاف شديد واشتباك وصدام في بعض الحالات. وإني لفي حيرة في سبب هذه الاختلافات؟<sup>(١)</sup> أعلى الدنيا؟! إنكم لا دنيا لكم، فنحن وإياكم ليس لدينا دنيا نختلف عليها. إنّ جميع ما نملكه من أسباب الحياة لو جُمع كله فلن يعادل ما يملكه أحد

---

(١) ذكرنا في هوية هذا الخطاب الظروف التي أُلقي فيها، ولمزيد من الإطلاع يمكن مراجعة "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني" (فارسي) مباحث "الإمام الخميني في منفى العراق"، ج ٢، ص ١١٧-١٤٨، و"بدء رسالة في النجف"، ج ٢، ص ١٥١-٢٢٧.

المرفَّهين لوحده. فهل يستحق أمر تافه ورخيص جداً أن يدفع الإخوة المحترمين إلى القيام وتشكيل جبهات متضادة؟! وأن يبلغ الأمر إلى الخشية من اقتتال ثلاث مجموعات منا في بعض الحالات؟! ألا تحتملون وجود يد في الأمر تهدف إلى إسقاط هيبة ومكانة هذه الحوزات أكثر مما هو حاصل لها؟ ألا تحتملون حضراتكم أن العدو يهدف إلى هذه النتيجة، وأن له يداً في ما يحدث دون أن تشعروا بذلك؟ فيكمن مستتراً ويشير هذه الأمور بما عُرف عنه من دهاء وسياسة ومكر - بواسطة أياديهِ القذرة - هادفاً إلى إلحاق الخزي بكم أمام المجتمع، والقضاء عليكم بعد ذلك، ثم يكون ذلك سبباً في شكر الجماهير لتخلّصها من هكذا معممين؟ ألا تحتملون هذا المعنى؟

يندسّ بينكم بعض الأشخاص باسم الدين، أو بلباس بعض المقدسين أو ظاهري الصلاح، أو يقوموا باستغلال البعض منكم، ليقوموا بنشر بعض الأمور التي تؤدي إلى ظهور مفاصد فوق المفاصد التي يراها الإنسان في الحوزات.

كم هم عددنا أصلاً؟ كم هو عددكم - سواء الموجودون هنا في النجف أو في سائر العتبات المقدسة، وفي إيران وباقي البلدان التي تعتبر مناطق شيعية؟ - هل يبلغ عددكم العشرين ألفاً؟ هل تضم حوزاتنا عشرين ألفاً؟ لنفترض أن عددكم يبلغ مئتا ألف معمم ممن ينتشرون في القرى وغيرها، فلنقل إنكم مئتا ألف نفر، فلو كان هؤلاء المئتا ألف مجتمعين ومتّحدين وملتزمين بتعاليم الإسلام لتمكنوا من إنجاز الكثير. ولكن إذا لم نقل إن هؤلاء المئتي ألف يحملون مئتي ألف رأي، فهم حتماً يحملون آراء مختلفة ومتباعدة. كل واحد منهم، وكل جبهة - على زعمكم - لها رأي مستقل تسفّه على أساسه آراء الجبهات الأخرى.

إذا كان المقرر لجماعتنا أن تكون هذه حالها من الداخل، بحيث نقوم بتسقيط بعضنا البعض، ويقوم الشيوخ بهتك الشبان، ويقوم الشبان بهتك الشيوخ، وتقوم العجائز بهتك الشابات، علاوة على وجود أياد تهدف إلى تصعيد الخلافات لتثير في الحوزات فوق ما هو موجود فيها تدهوراً واضطراباً باسم الجبهة الفلانية، والجبهة الكذائية، وما يستتبع ذلك من نتائج سيحصلون عليها أولئك الذين يهدفون إلى القضاء على الحوزات التي يعتبرونها ضارة بمصالحهم. إذا كان هذا هو وضع جماعتنا، فإنّ الشعب لن يأسف على ما سيحدث لكم، ولسوف يقولون: إنّ وضع هؤلاء كان هكذا، فوصلوا إلى هذا الحد الذي ترون.

أحد الشبان الذي كان قد قدم من أوروبا<sup>(١)</sup> جاء وبقي هنا حوالى الأسبوع، بقي هنا مدة قصيرة جداً، جاء للقائي مرة أو مرتين، قال لأحدهم - لم يقل لي أنا، بل قال لأحد الروحانيين - حسناً كان أن الذي جاء للنجف هو أنا، فأنا ابن أحد العلماء، وأستطيع أن أقدر الموقف، ولو أن شخصاً غيّر جاء وأبصر هذا الوضع فماذا سيكون رد فعله؟ يا للأسف!

(١) السيد صادق الطباطبائي، نجل آية الله سلطاني، الذي كان يدرس آنذاك في ألمانيا.

إنني لا أعلم ما الذي عاينه هذا الطالب الجامعي، الدارس في الخارج، في هذه الحوزة المباركة، وهو ليس روحانياً مثلنا - وإن كان أبوه عالماً - ما الذي رآه خلال هذه الأيام القلائل؟ وبأي أشخاص اتصل؟ وما الذي نقله إليه هؤلاء؟ حتى جعله - وهو الطالب الغريب عن أجوائنا - أن يبدي أسفه على وضع النجف، ويتساءل عن علّة هذا الوضع؟

إذا كان في الأمر ثمة أيادٍ هي التي دفعتكم إلى القول: "أنا من الجبهة الكذائية" و"زيد من جبهة كذا" و"ذلك من جبهة كذا"، وهي التي جعلتكم جبهات مختلفة، حتى في المدرسة الواحدة، إذا صح هذا الأمر - لا سمح الله - فإن انفجاراً سيقع في إحدى المدارس ذات يوم، ويسري منها إلى المدارس الأخرى، ومن هذه الفئة إلى الفئات الأخرى، والأأيادي الآثمة هي التي تضرب نار الفتنة تلك، وتزيد من اشتعال هذه النيران، وبالنتيجة فإننا علاوة على أننا سنبدو كذلك في الدنيا، وعلاوة على انهيار النجف واضمحلالها، الأمر الذي لن يقتصر عليّ وعليكم، بل سيشمل حوزة دينية ناهز عمرها الألف عام<sup>(١)</sup> وسيشمل أشخاصاً متدينين - وهم بحمد الله كثير - أولئك أيضاً يسقطون في نظر المجتمع أيضاً، وفوق كل ذلك فما سيكون عذرنا أمام الله تعالى؟!

---

(١) يجب في الحقيقة نسبة تأسيس الحوزة العظيمة والتاريخية في النجف إلى الشيخ الطوسي (رحمه الله)، فبعد أن قام "طغرل" وبمساعدة المعارضين للشيعة بالهجوم على الشيعة والمراكز الدينية والعلمية في بغداد، وأحرق مكتبة بغداد الكبيرة التي كانت تضم آلاف المجلدات النفيسة والنادرة والفريدة، هاجر الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف بعد أن تيقن من عدم إمكانية ممارسة النشاط العلمي والاجتماعي في بغداد. وما أن استقر في النجف حتى اجتمع حوله عدد كبير من الطلاب بالتدريج، وبذا تأسست الحوزة العلمية الكبيرة في النجف الأشرف.

كان الشيخ الطوسي عالماً مبتكراً ومحيطاً بمختلف العلوم والفنون، ترك مؤلفات علمية كثيرة، وهو من أبرز رجال العلم في تاريخ الشيعة، فإلى اليوم لم يزل تأثيره واضحاً في الحوزات العلمية الشيعية، حتى أنه يلقب "شيخ الطائفة". وبعد وفاة الشيخ الطوسي، تزعم الحوزة ابنه الشيخ أبو علي حسن بن محمد بن حسن الطوسي، الذي أصبح فيما بعد من مشاهير العلماء ورواة الحديث. ولقب أبو علي بـ "المفيد الثاني" بسبب زهده وسعة علمه.

بعد الشيخ أبي علي وابنه، بدأ عصر ازدهار وترسخ الحوزة العلمية بعد أن ظهر فيها علماء كبار في الفقه والأصول و.. ثم إنها تعرضت للانحسار لفترة من الزمن، واستمر هذا الوضع حتى عهد المرحوم آية الله وحيد البهبهاني الذي ساهم بدعم حوزة النجف من خلال إيفاد طلابه إليها، ومنذ ذلك الوقت بدأ عصر النهضة العلمية لهذه الحوزة بظهور نوابغ كالسيد بحر العلوم، والمحقق المعروف كاشف الغطاء، ومحمد حسن النجفي (صاحب "جواهر الكلام") والشيخ مرتضى الأنصاري، فارتقت الحوزة خلال فترة قصيرة إلى أعلى مستوياتها.



ورد في الرواية أن "أهل النار يتأذون من ريح العالم التارك للعمل بعلمه"، فما السبب في ذلك؟ لا بد أن ذلك بسبب الفرق بين العالم وغير العالم، ومن عدة جوانب. فالعالم إذا انحرف - لا سمح الله - فإنه يتسبب في انحراف أمة بكاملها. أنا شخصياً رأيت هذا المعنى في بعض المدن التي كنا نذهب إليها أيام الصيف، فقد كنت أرى أهالي بعض المدن يتمتعون بمستوى رفيع من التمسك بآداب المجتمع هناك، وآداب الشرع، كما في مدينة "محلات" التي كانت كذلك في تلك الأيام. وبقليل من التأمل يكشف الإنسان أن السبب في ذلك هو وجود عالم جيد في تلك المدينة.

إن وجود مجموعة من المعممين الجيدين المهتمين بأمر الدين، العقلاء العاملين بعلمهم في أي مجتمع أو مدينة، يكون بذاته موعظة، حتى وإن لم يقوموا بوعظ الناس. رأينا أمثال هؤلاء ممن كان نفس وجودهم يؤثر في الناس، كما في "قم" فقد كان هناك بعض العلماء ممن كان مجرد النظر إليهم يترك أثراً عظيماً في النفس. من جانب آخر نرى مثلاً في طهران - على ما أعلم، وطهران تختلف مناطقها السكنية، وتتفاوت فيما بينها - ترى في إحدى مناطقها أن شخصاً منحرفاً أصبح معمماً أو إمام جماعة، فأدى إلى انحراف طائفة من الناس. فما هو مقدار الريح التنتة لهذا الشخص؟ إن مقداره بالضبط هو ذلك الذي تدركه المشام في جهنم. فلك الريح التنتة نحن الذين تسببنا بها في الحياة الدنيا، وليست أمراً خارجاً عنا ألحقه بنا أحد هناك. إنها ريحنا نحن، وكل ما يجري في الآخرة علينا أساسه عملنا في هذه الدنيا، عملنا الذي لحقنا في الآخرة، فلا نجزي هناك بغير أعمالنا. فحينما يكون أحد المعممين مفسداً بحيث يعرض حوزة بكاملها إلى الخطر، فإن ريحه التنتة تنتشر على رقعة تعادل حوزة بكاملها، بل أمة كاملة، وهي ذات الريح التنتة التي تعجز شامتنا الآن عن تحسسها، في حين أن المشام ستتحس بها حينما نلقى في جهنم - لا سمح الله - بحيث تصبح هذه الريح - التي صعدت من هذا العالم بسبب أعمالنا - مؤذية لأهل جهنم.

في نفس الرواية ورد أن "أشد الناس حسرة" (١) هم أولئك الذين يدعون الناس إلى الخير والصلاح فيستجيبون لهم، ويعملون بقولهم، حتى ينتهي بهم الأمر إلى الجنة وإلى النعيم المقيم (٢) في حين ينتهي الأمر بذلك العالم الذي لم يعمل بعلمه إلى جهنم! ولعله يرى هؤلاء في الآخرة. يرى مثلاً أن هذا كان بقلاً ووصل بفضل إرشاده وأوامره ونواهيه إلى الجنة، في حين أنه هو لم يعمل بعلمه فدخل النار، ويا لها من حسرة حينئذ!

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: "أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً، ثم عمل بغيره". "أصول الكافي"، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) إقتباس من الآية ٢١ من سورة التوبة ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَضَوَانٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.

إنّ مسؤوليات العالم كثيرة جداً، كثرة المديح الوارد في الروايات الشريفة والقرآن الكريم لمقام العالم.. راجعوا ما وردت الإشارة إليه من مسؤولياته في رواياتنا الشريفة، راجعوا كتاب "الكافي" (١) وكتاب "الوسائل" (٢)، وتأملوا في الأبواب والفصول التي خصصت لهذا الموضوع. راجعوا بالأخص "الأصول من الكافي" وانظروا المسؤوليات التي أنيطت بالعالم، وبأهل العلم، واطّلعوا على الآداب التي سنّت للمفيد والمستفيد.

إخواني، إنّ هذه "المصطلحات" (٣) التي نقرأها وبالأخص علينا. يعلم الله أنها كذلك.. يعلم الله أنّ هذه "المصطلحات" كلما كثرت دون أن يرافقها تهذيب للنفس، فإنها ستؤدي إلى ضياع الدنيا والآخرة لكل المجتمع الإسلامي دون أن يكون لها وحدها أثر يذكر.

---

(١) "الكافي" أحد كتب الحديث عند المسلمين الشيعة، من مؤلفات المحدث الشهير أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ. ق. يضم "الكافي" ١٦٠٩٩ رواية عن أهل البيت، تشمل مختلف المباحث العقائدية والأخلاقية والفقهية وغيرها.

إنّ قرب الكليني إلى عصر الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ونوع الجمع والترتيب، وبيان سلسلة سند الأحاديث أعطى كتاب "الكافي" أهمية إستثنائية، حتى عدّ "الكافي" - مع الكتب الثلاثة الأخرى - أهم الكتب الروائية للمسلمين الشيعة، والتي اشتهرت فيما بعد بـ "الكتب الأربعة". يقسم كتاب "الكافي" إلى ثلاثة أقسام: الأصول من الكافي، والفروع والروضة. يضم الأصول من الكافي مباحث عقائدية وأخلاقية، تشمل كتب: العقب والجهل، فضل العلم، التوحيد، الحجة، الإيمان والكفر، القرآن والدعاء. أما الفروع فتشمل أبواب الفقه المختلفة، وله أهمية كبيرة، وهو من المراجع المعتبرة لدى فقهاء المسلمين الشيعة في الإستنباط والإجتihad. أما الروضة فتضم أحاديث مختلفة في مسائل متنوعة. حظي "الكافي" الشريف باهتمام علماء وفقهاء الشيعة لقرون عديدة بوصفه مصدراً أساسياً، وكتب العلماء المسلمون شروحاً وهوامش كثيرة عليه، منها: شرح الملائكة صدر الشيرازي، وشرح المجلسي وغيرهما.

(٢) كتاب "وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة"، تأليف محمد بن حسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤) من أحسن جوامع الحديث التي دوّنت في القرون الأخيرة. حظي باهتمام كبير من قبل علماء المسلمين الشيعة، وكتبت عليه شروح وتعليقات عديدة حتى الآن. يضم "الوسائل" الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام في الكتب الأربعة وكثير من جوامع الحديث الأخرى. ويتميز هذا الكتاب بخاصية ترتيبه، وطريقة تبويب الأحاديث. ويضم ٥١ كتاباً - من كتاب الطهارة حتى كتاب الديّات - وهو دورة كاملة من المباحث المتعلقة بالفقه وآداب وسنن المذهب الجعفري الحق.

(٣) إشارة إلى المصطلحات والعلوم التي يبحث فيها العلماء في الحوزات العلمية في مجال المباحث الفقهية والأصولية والفلسفية والقرآنية وغيرها.

علم التوحيد بحد ذاته إذا.. اقترن بهوى النفس فإنه سيصبح وبالأعلى الإنسان، وما أكثر أولئك الذين أتقنوا علم التوحيد، ثم أضلوا الخلائق! وحرّفوا الآخرين، في حين أنهم كانوا علماء بعلم التوحيد! ما أكثر أولئك الذين فاقوكم علماً، لكنهم تسببوا في انحراف المجتمع كلياً - بمحض اتصاليهم به - لما كانوا يحملونه من الانحراف في داخلهم.

من الأمور التي ينبغي عدم الغفلة عنها، حساسية وضع العالم بالنسبة لغيره، والسّر في ذلك هو أنّ الناس يحكمون هكذا، فهم يقولون عن "البقال" إنه إنسان سيئ لو ارتكب معصية ما أو مخالفة ما، وهكذا بالنسبة للعطار أو الموظفي أو ما شابههم، لكنهم إذا رأوا مخالفة من معمم فإنهم يقولون: المعمّمون كلهم هكذا! لا يقولون بأنّ هذا المعمّم كذا.. فهم في هذه الحالة لا يميّزون ولا يفرّقون بين المعمّمين. لا يقولون مثلاً إنّ هؤلاء المعمّمين هم بشر أيضاً، وفيهم الصالح والطالح - نعوذ بالله - أبداً، لا تميّز في النظر إلى المعمّمين. إذا اقترفت أنا عملاً سيئاً قالوا: إنّ المعمّمين كذا..! والضرر في هذا يعود على الإسلام، وعلى الحوزات العلمية الدينية، وعلى أحكام الإسلام.

إذا قمتم بتسقيط البعض هكذا، وإذا اشتبكت الجامعات العلمية فيما بينها، وحاولت إحداها تسقيط الأخرى، وقام البعض بقذف البعض الآخر بشائن الألفاظ، وفسّقه وكفّره، وثار الهرج، وعمّت الفوضى. إذا حطّمنا أنفسنا بأنفسنا، وقضينا على أنفسنا، فلا يبقى لكلامنا الفاعلية في ترسيخ الإسلام في المجتمع، ولن نتمكن من نشر الإسلام.

إنها أمانة بأيدينا يا إخوة، إنّ الله (تبارك وتعالى) وضع دينه أمانة بأيدينا نحن - الموجودين هنا، ومن يتواجد منا في أماكن أخرى - إنّ الله وضع هذا الدين أمانة بأيدينا، فلا تخونوا هذه الأمانة. إنّ هذه التحزّبات خيانية، وإلاّ هل أنتم أهل ديارين؟ هل أنّ في دينكم أقساماً مختلفة؟ أم هل يدعو كل واحد من علمائكم إلى دين مختلف عن الآخر؟ ما معنى هذه التكتلات؟ هذا يتبع ذلك العالم، وذاك يتبع هذا.. إنّ هذا خطأ وكفر، هذا من الكبائر، بل من أكبر الكبائر.

لا تتصرفوا هكذا، إنها اختلافات جانبية جداً، وأمور غاية في التفاهة وغاية في السطحية. حتى لو حُسبت من الناحية المادية، فلن تكون منافعها المادية شيئاً ذا بال، وإلاّ فماذا سيعطيكم الكبار؟! ثمن سجائر! قرأت في صحيفة أو مجلة ذات مرة - لا أذكر الآن أين قرأت ذلك - قرأت أنّ المخصصات التي يدفعها "البابا" إلى "القسيس" الذي يمثله في واشنطن أذكر أنني حسبتها حينها فكانت تلك المخصصات التي يدفعها لذلك القسيس وحده أكثر من جميع ما يُصرف على جميع الحوزات العلمية لدى الشيعة. أنتم لا تملكون شيئاً حتى تختلفوا عليه؟ فهل أنّ نزاعكم على الدين؟ الدين لا نزاع فيه.

أنتم أهل دين - والله الحمد - غير أنّ الدين لا نزاع فيه! إنّ السبب الأساس في كل هذا النزاع يعود إلى الدنيا، ويخدع نفسه مَنْ يقول: "إنني صرت في الجبهة الفلانية لما اقتضاه مني التكليف الشرعي!"، وإلاّ كيف يقتضي التكليف الشرعي من الإنسان أن يوجه الإهانة للمسلمين؟ أن يوجه الإهانة للعلماء ولزملائه؟ أهذا

تكليف شرعي؟! إنها الدنيا يا إخوة، وأهواء النفس. لو أنّ الطالب المشغول بتحصيل العلم تقدّم خطوة باتجاه تهذيب النفس تقارناً مع العلم، لبقيت الحوزات في منأى عن أمثال هذه الأحداث.

”دعنا! فلان ليس سوى أحد أهل المنبر!“<sup>(١)</sup>، ما الضير في أنّ فلاناً من أهل المنبر؟ لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام من أهل المنبر أيضاً! إنهم إنما يحاولون إسقاط هذه المعنويات عن الحوزات التي لا تمتلك القدرة المادية أيضاً، وذلك لأنّ هذه الحوزات لها موقع متميز في المجتمع، والحكومات تخشى من موقعها الاجتماعي المتميز هذا. فهم لا يخشونني أنا أو أنت، أنا أو أنت لا قدرة لدينا نخيفهم بها، إنهم إذا كانوا يخشون أحد المعمّمين أو أحد المراجع، فليس ذلك لأنهم يخافون دعاءه أو لعنته. فمتى كان لهؤلاء اعتقاد بالدعاء أو اللعنة! إنهم يخشون الشعوب ويخافونها. يخافون أنهم لو أهانوا فلاناً فإنّ الشعوب ستتفضّض بوجههم.

فإذا اشتبكنا فيما بيننا، وكفّرت أنا فلاناً، وكفّرني هو، فإنّ كلينا سنسقط في نظر الشعوب، وستنفضّ عنا الجماهير، كما هو حالها معنا الآن، إذ لم يبقَ معنا منها سوى القليل، وأما القسم الأعظم، فقد تفرّق عنا وابتعد. وطبيعي حصول هذا عندما يكثر سماعهم عن المشكلات الكثيرة، وعن وضع المعمّمين كذا وكذا.. وخصوصاً في النجف التي تمتاز بأمور تميّزها عن الأماكن الأخرى. فالحوزة في النجف قديمة يناهز عمرها الألف عام، في حين أنّ الحوزات الأخرى حديثة النشأة، والحوزة في النجف تجاور مرقد الإمام علي عليه السلام، في حين تُحرّم من ذلك بقية الحوزات.

أفلا ينبغي أن نطلع قليلاً على شكل الحياة التي كان يحياها هذا الرجل العظيم عليه السلام؟! نحن ندّعي أننا شيعة، أي شيعة نحن؟ لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام زاهداً، في حين أنني لست كذلك، فهل أنا شيعة؟ هو كان تقياً، نحن لا تقوى لدينا؟ ونحن شيعة أيضاً؟ كانت حياته كذا.. نحن لسنا كذلك، أفنحن شيعة رغم ذلك؟ إنّ الشيعة ينبغي أن يتّصفوا بالمشايعة له (عليه السلام)، وأن يكونوا متّبعين له (عليه السلام) حتى ينطبق عليهم وصف ”الشيعة“.

إنني أخشى أن تدركنا المنيّة في وقت نكون فيه قد خرجنا من هذا التشيّع تماماً وخرجنا من الإسلام، فنغادر الدنيا على ذلك - لا سمح الله - فلو بقيت أعمالنا على هذه الشاكلة، وإذا استمر وضع حياتنا كما هو الآن، فلتحذروا حلول الموت - لا سمح الله - وأنتم كذا..

---

(١) إشارة إلى جو الحوزة في النجف حيث يُستعمل مصطلح ”أهل المنبر“ للتحقير، وإشارة إلى أنّ المومى إليه ليس بعالم في الفقه والأصول. وفي حوزة النجف لا يعتبر حتى تفسير القرآن ونهج البلاغة علماً، بل فضل ونافلة، وهم يحصرون العلم في الفقه والأصول.

ورد في إحدى الروايات "أَنَّ النَّفْسَ إِذَا بَلَغَ هَا هُنَا، أَوْ النَّفْسَ إِذَا بَلَغَتْ هَا هُنَا [مُشِيرًا إِلَى الْحَلْقُومِ] فَلَا تَوْبَةَ حِينَهَا لِلْعَالَمِ"<sup>(١)</sup>، ذلك لأنَّ الله (تبارك وتعالى) يقول: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾، والعالم لديه المهلة والمَتَّسِع من الوقت لكي ينوب، فهو عارف بالذنب قبل حلول الوفاة، ولكن هل أعطي أحدكم ضماناً للخروج من هذا المجلس بسلام مثلاً؟ فقد تحلَّ بنا صاعقة! ليس من ضمان. هل ضمنوا لكم البقاء حتى الغد؟ يُحتمل أن لا تبقوا أحياءً إلى الغد! هل أُعطينا ضماناً للبقاء على قيد الحياة عشر سنوات أخرى؟ لعلنا نبقي!

إنَّ الشَّبانَ إِذَا لَمْ يَفْكُرُوا فِي ذَلِكَ، وَإِذَا لَمْ يَشْغَلْهُمْ هَذَا الْأَمْرُ فَهِيَ مُصِيبَةٌ. نحن ندركها، الذين تقدَّمت أعمارنا. فأنا الذي جئتُ أعظِّمكم الآن لم أفعل ذلك لأنِّي إنسان كامل، فبلوغ الكمال محال كما يقول "الشيخ"<sup>(٢)</sup>، ولكنني ذكرت لكم بأني أكبركم قليلاً، ولذا فإنَّ عليكم الإصغاء لحديثي حينما تحضرون مجلسي، ولهذا السبب أقول لكم بأنكم ما دمتُم شباباً فإنكم تستطيعون أن تفعلوا شيئاً، فجدور الفساد ضعيفة في قلب الشاب، ولكن كلما تقدَّم سنُّه.. لا بد أنكم قرأتم هذه الرواية، أنا رأيتهَا فيما سبق، مؤداها "أَنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ صَفْحَةٌ بَيْضَاءُ، وَمَا أَنْ يَرْتَكِبَ ذَنْباً، حَتَّى تَظْهَرَ فِيهِ نَكْتَةٌ سُودَاءُ تَزْدَادُ اتِّسَاعاً بِازْدِيَادِ الذُّنُوبِ"<sup>(٣)</sup>. إنَّ قَلْبَ الشَّابِّ لَطِيفٌ وَمَلَكُوتِي، لَكِنَّهُ حِينَما يَدْخُلُ هَذِهِ الْمَجْتَمَعَاتِ، وَيَتَدَخَّلُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ شَيْئاً فَشِئْئاً - لَا سَمَحَ اللَّهُ - وَيَتَعَوَّدُ الْقِيَامَ بِبَعْضِ الْمُمَارَسَاتِ، وَمَا يَمُرُّ عَلَيْهِ لَيْلٌ وَنَهَارٌ إِلَّا وَيَكُونُ قَدْ ارْتَكَبَ ذَنْباً - نَعُوذُ بِاللَّهِ - فَتَظْهَرُ فِي قَلْبِهِ تِلْكَ النَّكَتَةُ السُّودَاءُ، وَتَدْخُلُ فِي هَذَا الْقَلْبِ، بَلْ فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ النَّفْسِي الرُّوحِي، وَقَلِيلاً قَلِيلاً تَزْدَادُ تِلْكَ النَّكَتَةُ السُّودَاءُ، وَحِينَما يَشِيبُ وَيَكُونُ قَلْبُهُ قَدْ اسْوَدَّ تَمَاماً، فَلَنْ يَتِمَكَّنَ مِنْ إِعَادَتِهِ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى بَيْسَر. فِي حِينِ أَنْكُمْ أَيُّهَا الشَّابَّانَ تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، فَلَدَيْكُمْ الْقُدْرَةُ، لَدَيْكُمْ قُدْرَةُ الشَّابَّابِ - قُدْرَةُ الشَّابَّابِ مِنْ جِهَةٍ، وَضَعْفُ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيكُمْ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ - يَسْهَلُ الْأَمْرُ. وَلَكِنْ كُلَّمَا تَقَدَّمتْ أَعْمَارُكُمْ، وَمَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُونَهَا وَنَخْطُوهَا، فَإِنَّا نَدْنُو مِنَ الْآخِرَةِ، وَتَزْدَادُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْمُنَافِيَّةُ لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا أَنَّ التَّوْبَةَ لَيْسَتْ أَمْرًا يَتَحَقَّقُ لِلْمَرَّةِ بِمَجْرَدِ قَوْلِهِ: "أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ". فَالندم، هَذَا النَّدَمُ لَا يَأْتِي بِسَهُولَةٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْضَوْا خَمْسِينَ عَاماً وَهُمْ

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: "إِذَا بَلَغْتَ النَّفْسَ هَا هُنَا [وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ] لَمْ يَكُنْ لِلْعَالَمِ تَوْبَةٌ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾. يقوم المرحوم الفيض: عندما تبلغ النفس إلى الحلقوم لا تُقبل توبة العالم الذي يعرف علامات الموت، والذي ييأس من البقاء حياً. أما الجاهل فتُقبل توبته، لأنه يأمل حتى تلك اللحظة البقاء حياً. ("الوافي"، ج ١، ص ٢١٨).

(٢) يقول المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري (ره) (أستاذ سماحة الإمام (س) ومؤسس الحوزة العلمية في قم): "مَنْ الصَّعْبُ أَنْ تَصْبِحَ عَالَمُ دِينٍ، وَمَنْ الْمَحَالُ أَنْ تَصْبِحَ إِنْسَاناً!".

(٣) جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: "مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا.. ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة المطففين، آية ١٤، راجع "بحار الأنوار"، ج ٧٣، ص ٣٣٢).

يسبّون ويفحشون بالقول للآخرين، فمثل ذلك الإنسان قد سقط في الكفر والغيبة، ولن يستطيع الخلاص، وسيظل مبتلياً بذلك حتى آخر عمره. أما الشباب، فحينما يحدث لهم ذلك.. ولا تسمحوا بحدوث ذلك، فإذا رأيتم أهل مجلس يقعون في الغيبة، كأني قرأت رواية يقول المعصوم عليه السلام فيها لأحدهم: "أترك ذلك المجلس"، فيجيبه: "لا أستطيع"، فيقول عليه السلام: "لو كان قد سبّ أباك ألا تنهض لمنع ذلك؟" ستنهض حتماً. نعم كأنا هناك رواية هكذا. فلا تدع أحداً يغتاب أحداً أمامك "إن السامع أحد المغتابين" <sup>(١)</sup> فلا تسمحوا بحدوث هذه المفاصد، إنصحو أنفسكم. فأنتم طائفة من الشباب كرستم أعماركم في تحصيل علوم الشريعة، وإذا لم يعد عليكم هذا الاتجاه بالنفع والفائدة فإنكم بذا تبددون أعماركم، في حين أنكم إذا كرستم شبابكم في سبيل الله، فإنه سيحفظ لكم، ولن يذهب سدى. أما إذا صرتم مثل سائر أهل الدنيا - لا سمح الله - فإنكم ستخسرون شبابكم دون أن تحصلوا على شيء، فأهل الدنيا لهم الدنيا، في حين أنكم لا دنيا لكم ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ <sup>(٢)</sup>. أما أولئك فهم يملكون الدنيا على الأقل.

إذا سمحنا لحب الدنيا وحب النفس أن يطغى فينا هكذا، ويحول بيننا وبين رؤية الحقائق وإدراك الواقع، فسيصبح سداً في طريق هدايتنا، وسوف تزداد هذه الحالة تدريجياً إلى الحد الذي يطمح فيه الشيطان بسلبنا إيماننا، فكل هذه الأمور وسائل يتوسل بها الشيطان ليسلب الإنسان إيمانه. وسيسلبنا الشيطان إيماننا آخر الأمر، وليس لدى أحدنا ضمانة ببقاء إيمانه على صفائه، فقد يكون إيماناً مستودعاً.

عليّ أن أسعى جاهداً، وعليكم أن تسعوا جاهدين، هذبوا أنفسكم، كما أنكم مكلفون - علاوة على تهذيب أنفسكم - بتهذيب رفاقكم، وذنوبكم ليست كذنوب الآخرين، ففي الرواية إذا ارتكب العالم معصية فإن ذلك سيفسد المجتمع بأسره "إذا فسد العالم فسد العالم" <sup>(٣)</sup>. وإنه لأمر جلي أن العالم سيفسد بفساده بمقدار سعة تأثيره في المجتمع. فقد يوجد علماء في مكان ما، في طهران أو في أماكن أخرى يفسدون محلة بكاملها. حسناً، عندما يعمّ فساد هذا المعمّم محلة بكاملها، فلا شك أن المجتمع سيتأذى من نتن ريحه في جهنم؟ أفلسنا مسؤولين؟!

هذا القرآن يا إخوة، هذا القرآن الكريم أمانة بين أيدينا، أوليست علينا مسؤولية المحافظة عليه؟ ألسنا مسؤولين عن حفظ الأحكام الإسلامية؟ هل إن مسؤوليتنا تنحصر في دراسة بضعة موضوعات في "علم

(١) روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "المستمع أحد المغتابين". لمزيد من التفصيل حول الحديث راجع "المحبة البيضاء"، ج ٥، ص ٢٦٠، وكتاب "الأربعون حديثاً للإمام عليه السلام"، ص ٢٧٠.

(٢) مقطع من الآية ١١ من سورة الحج المباركة ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خي اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾.

(٣) يقول الإمام علي عليه السلام: "زلة العالم تفسد العوالم" ("غرر الحكم" للآمدي. مادة "زلة"). وسئل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: من هم أسوأ الناس؟ فقال: "العلماء إذا فسدوا" ("بحار الأنوار" للمجلسي، ج ٧٤، ص ١٣٨).

الأصول" إلى آخر أعمارنا، ثم - وبعد خمسين عاماً - يجد الطالب نفسه وقد ألمّ بالمطالب الأصولية تماماً، دون أن تكون آدابه أخلاقية أو تدينية.

عليكم الإهتمام بهذا الجانب منذ البداية، فأنتم شبان وتستطيعون ذلك، حاولوا منذ البداية أن تخطوا باتجاه التقوى، وباتجاه تهذيب النفس، وباتجاه الحد من هوى النفس بنفس المقدار الذي تخطونه باتجاه تحصيل العلم. فيمَ التنازع فيما بينكم؟! ماذا دهاكم؟! ما سبب العداء فيما بينكم؟! كل واحد منكم من مدينة، وجميعكم أهل علم، جميعكم على خير - إن شاء الله - فلماذا تسمحون أن يبلغ الأمر حداً يقال معه: إنه إذا لم يحدث أحد مع الإخوة، وإذا لم يرق أحد بوعظهم فإن انفجاراً سيحصل؟ وإن الإخوة يمكن أن يقتتلوا فيما بينهم! لماذا؟ حول ماذا أنتم تتناحرون؟ هل تتخيلون أن نزاعكم فيما بينكم هو نزاع بين اثنين من أبطال الرياضة؟ إن تنازعكم فيما بينكم أعظم عند الله من جميع المعاصي، أعظم من الكثير من المعاصي، لأنكم بعملكم هذا تفسدون مجتمعاً بأسره. إنكم تدمرون النجف بأسرها، وفي نظر الناس فإن الإسلام سيسقط بسقوط النجف.

عليكم أن تدركوا أنكم حينما تعزمون الذهاب إلى مدينة ما، فإن أهالي تلك المدينة يجب أن يستفيدوا من علمكم، من أخلاقكم، من أعمالكم، يستفيدون من كل ذلك، ويتعظون بكل ذلك، فما في ذلك أعمالكم حينما كنتم هنا، حينما تكونون موجودين هنا، لا تتوهموا أنكم تستطيعون تمشية أموركم إلى آخر العمر مع الناس بالتظاهر بالصلاح وبالرياء، فذلك مجرد هراء "أعمل أنا ما شئت، ثم اذهب هناك، وأتظاهر بالصلاح!" لا يمكنكم الاعتماد على ذلك حتى النهاية، فلا بد أن ينكشف الفساد يوماً، طيب لنفرض أنك استطعت ذلك، فكم ستعمر؟ بضع سنين تقضيها بالرياء والخداع والتزوير وقذف الآخرين والفحشاء؟ مئة وعشرين سنة؟! ليس بيننا من يعمر مئة وعشرين سنة، ليس بيننا نحن فقط بل إنه أمر قليل ونادر جداً حتى بين سائر الناس، ولكن لنفرض أنك عمّرت مئة وعشرين سنة بالخداع والغش، وأية حياة هي حياة طالب العلوم الدينية البسيطة المضنية؟ فلنقل إنها كحياة هارون الرشيد<sup>(١)</sup> لنفرض هكذا، إنك ستعيش مثلاً مئة وعشرين سنة متمتعاً بحياة كحياة هارون الرشيد، لكن ما نسبة المئة وعشرين سنة إلى الحياة اللامتناهية؟ ما نسبتها لو كنت ستعذب بعدها عذاباً لا نهاية له؟! هذا إذا كنت تعتقد بالإسلام، فلو بقي الإنسان محتفظاً بعقيدته مثلاً فإن الله يمحصه ويبتليه.

إن الله (تبارك وتعالى) ذو عناية بعبد، أعطاهم العقل، وأعطاهم القدرة على تهذيب أنفسهم، ولم يكتف بذلك، بل أرسل إليهم الأنبياء، وأنزل عليهم الكتب، وأرسل الأولياء، أرسل المهذبين. وإذا لم يحقق كل ذلك أثراً على العباد، فإن الله تعالى يعرض عبيده إلى ضغوط وابتلاءات، وهذه عناية من الله تعالى بأن يضيق على عباده، ويشدد عليهم القيد والخنق، ويعرضهم للسجن، فيمنعونهم من بعض الأعمال، ويخلعون أ

(١) هارون الرشيد (١٤٨/ ١٥٠-١٩٣ هـ) خامس وأشهر الخلفاء العباسيين، تولى الخلافة في بغداد سنة ١٧٠ هـ، وقد أثارت أساليب الزُخرف والبهرجة في بلاطه الأنظار.

عمائمهم، ويهينونهم آلاف الإهانات. إنّ ذلك كله عناية من الله بكم، غير أننا لا ندرك مدى اللطف في ذلك. ومع كل ذلك، إذا لم يصلح أمر الإنسان فإنّ الله تعالى يبتليه بالأمراض، وإذا لم يؤثر ذلك أيضاً، فإنه تعالى يضيّق عليه كثيراً "عند النزع" وإذا لم تنفع تلك الأمور أيضاً، فإنّ هناك مهالك وعقبات<sup>(١)</sup> في البرازخ، إن لم تنفع هي الأخرى يتعرض في يوم القيام إلى ضغوط عظيمة، كل ذلك من أجل ألاّ ينتهي به الأمر إلى جهنم. ولكن ماذا لو لم ينفع معه كل ذلك؟ حينها سينتهي به الأمر إلى "آخر الدواء الكي" - لا سمح الله -

ورد في رواية أنّ ﴿لابئين فيها أحقاباً﴾<sup>(٢)</sup> تصف حال أولئك الذين هم من أهل الهداية، أي من أمثالي وأمثال سماحتكم، هؤلاء يلبثون في جهنم أحقاباً، كل حقبة من تلك الأحقاب<sup>(٣)</sup> عدة آلاف من السنين. إخواني، إنّ أحدكم اليوم لا يمكنه الإمساك بحجر محمي، فكيف هناك! إنها النار، فاحذروا النار، أخرجوا هذه النيران من الحوزات، أخرجوا هذه الاختلافات من قلوبكم، هذبوا أنفسهم، فأنتم تهدفون العودة إلى المجتمع لتهديبه، ولن يأتي منكم التهذيب، فهل يتمكن من لا يستطيع السيطرة على نفسه أن يسيطر على الآخرين؟!

إنّ هذه التحزّبات خطأ وفسق، هذه الممارسات تدمّر الحوزات، كفّوا عن أمثال هذه الأمور الشائنة، إني دائم الخشية من احتمال ظهور بعض الأشخاص، أو من احتمال أنهم قد ظهوروا في أوساطنا، فلعلهم موجودون هنا، قد لا يكونون في المدارس، قد يندم وجودهم في المدارس أصلاً، فالجميع في المدارس مهذبون وصالحون، غير أنهم يصلون إليكم عبر وسائط، واسطة بواسطة حتى يصل الأمر إلى أن يحدّدوا لنا تكليفاً شرعياً "تكليفي شرعي أنا أن أفعل كذا.." و"تكليفه الشرعي هو أيضاً أن يفعل كذا.." وبهذه الكاليف الشرعية يوجدون الفساد في حوزة النجف.

إنّ هؤلاء يخشون الإنسان الصالح، يريدون إسقاط الأفراد الصالحين، فتلك الأيدي تقصد الحوزات، وتفعل هكذا، للقضاء على من عسى أن يوجد من شباب تحتمل فائدتهم لمستقبل الإسلام في المجتمعات، يفعلون ذلك حتى يمنعوا هؤلاء الشباب من تحقيق أي نفع للإسلام والمسلمين، فالمفروض أنكم ستحققن فائدة ما للإسلام، وإلاّ ما هي فائدة من يتواجد هنا دون أن يترتب على وجوده أي نفع، لا يدرس ولا يدرّس، ولا يمارس أي عمل؟!

(١) "نهج البلاغة"، فيض الإسلام، خطبة ١٦٧، ومن الأمثال المشهورة.

(٢) الآية ٢٣ من سورة النبأ، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية ﴿لابئين فيها أحقاباً﴾ أنه قال ما معناه: الأحقاب ثمانون حقبة، وكل حقبة ثمانون سنة، وكل سنة ٣٦٠ يوماً، وكل يوم مثل ألف سنة من التي تحسبونها. ("معاني الأخبار"، ص ٢٢٠، باب معنى الأحقاب.

(٣) يقال للزمان غير المعلوم "حقبة"، في بعض الروايات ذكر أنّ مدتها ٨٠ سنة من سنوات القيامة التي يعادل كل يوم منها ألف سنة من الدنيا. ("مفردات الراغب"، ص ١٢٦).



إنّ على هؤلاء إذا كانوا قد درسوا كما ينبغي، وأتمّوا استعدادهم، وأضحى لا ضرورة في وجودهم هنا، أن يذهبوا لأداء دور ما، والقيام بتهديب الناس.

أما أنتم أيها الشبان، فعليكم أن تُعدّوا أنفسكم للمستقبل، ومستقبلكم أسوأ من مستقبلنا، فنحن قد انتهى مستقبلنا، فكم سنة أخرى سأظل أنا على قيد الحياة؟ لي من العمر الآن سبعون عاماً، لم يبقَ لنا شيء، نحن نعدّ أنفاسنا الأخيرة، وما هي إلا بضعة أيام أخرى، وينتهي كل شيء.

والمفروض أن تكونوا أنتم النافعون لمستقبل الإسلام، والمستقبل الذي ينتظركم مستقبل سيئ، عليكم أن تستعدوا له، هناك أيادٍ لأعداء كثيرون تكمن لكم من كل الفئات. إستعدوا وهذبوا أنفسكم، وحسنوا أخلاقكم، أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم، هذه الدنيا الفانية، فأولئك أسرى لحبّ الدنيا وعندهم دنیا، أما أنا وأنتم فلدينا حب الدنيا ونصاب بمفاسدها دون أن نكون متمتعين بمنافعها، فنحن محرومون منها ولكن حبها موجود لدينا و"حب الدنيا رأس كل خطيئة" (١) "ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع، هذا في أولها وهذا في آخرها بأضرّ من جمع المال والشرف في دين المؤمن". (٢)

وحتى لو لم تفسّر حالنا بذلك، فإنّ واقع الحال هو كذلك، فالإسلام يفسده حب النفس هذا، حب الجاه، حب السلطة، هذه الأمور تدمّر ديننا.

تأملوا قليلاً في سبيلٍ لإخراج هذا الحب من قلوبكم، وليس بأمر صعب، كما أنه ليس من الصواب أن تنطوي هذه القلوب على حب الدنيا، وأية دنیا هذه الدنيا الدنيئة؟!

كان تكليفي اليوم أن أستعرض هذه الأمور أمامكم، وأن أقوم بإبلاغ السادة المحترمين بما عندي لكي يتنبه الإخوة إلى أنّ تلك الممارسات التي وقعت، أو التي ستقع، ليتنبهوا أنها ستؤدي إلى ضياع حيثية واعتبار مجتمع بأسره، وشعب بأسره، بل إنها ستؤدي إلى ضياع حيثية وهيبة الإسلام كله. وسوف تتعرضون إلى مسألة شديدة إذا لم تهّبوا لمنع وقوع هذه المفاسد، كفّوا عن هذه الاختلافات الجانبية والجزئية وأمثالها مما هو تافه جداً، تافه إلى أقصى حد، نحن لا ندرك كم نحن تافهون، نحن تافهون.. نحن مجموعة من..

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "رأس كل خطيئة حب الدنيا". (أصول الكافي"، ج ٢، ص ١٣١ و ٣١٥.

(٢) رواية عن الإمام الباقر عليه السلام.

## هوية الخطاب رقم (١٩)

العراق / النجف / منزل الإمام الخميني (س)، في ٣ / ج ٢ / ١٣٨٧ هـ ق، الموافق: ٨ / ٩ / ١٩٦٧ م.

- الموضوع: مخطط النظام في القضاء على الإسلام والعلماء.

- المناسبة: هجوم «السافك» على المدارس الدينية في قم ونهبها.

- الحاضرون: طلاب وعلماء النجف.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كان تولي أمير عباس هويدا للحكم بعد مقتل حسن علي منصور (١٩٦٥/١/٢٧م) بداية عصر الثبات غير المستقر للنظام الملكي. وبينما كانت الحرب الدامية مستمرة في فيتنام، كانت «إسرائيل» تنهياً لشن هجوم واسع على الأراضي الإسلامية. وكان «السافك» في إيران يقوّي تشكيلاته بأشرف قوات الأمن الأمريكية والإسرائيلية<sup>(١)</sup> وبالإستفادة من تجارب قمع ثورة ٥ حزيران، واعتقال الجماعات الإسلامية المؤتلفة وحزب الشعوب الإسلامية.

أما في النجف الأشرف، فقد بدأ سماحة الإمام الخميني طريقه الشاقّ والطويل في خلق التحول في الجو السائد في حوزة النجف وهو في غربته، في وقت كان كثير من أصحابه يرزحون في السجن، ويتعرضون إلى النفي. وكان الجو السائد غير مهياً للحديث عن المواجهة والثورة. فالجميع كان يعتبر التدخل في السياسة دون شأن العالم، ويعتبر كل بحث في غير الفقه والأصول مرفوض ولا مناسبة له.

مع كل هذا فإنّ نبتة ٥ حزيران كانت تنمو يوماً بعد آخر في إيران والنجف. وفي الذكرى السنوية لهجوم مأموري النظام على «الفيضية» (٢٥ شوال ١٣٨٥ هـ ق) أصدر طلاب الحوزة العلمية في قم بياناً كشفوا فيه النقاب عن بعض<sup>(٢)</sup> جرائم النظام وأوصلوا إلى أسماع العالم صوت اعتراض الشعب على استمرار نفي الإمام الخميني، وسجن آية الله الطالقاني.

وقبيل شهر نيسان وفي أوائله، اعتُقل عدد من العناصر المؤثرة في الحوزة العلمية في قم<sup>(٣)</sup> وفي البيان الذي أصدره عدد كبير من فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في قم، والذي ختم بأسماء وتوابع الذين أصدره،

(١) أنظر «ظهور وسقوط السلطنة البهلوية»، ج ١، ص ٣٧٩-٤٧٣.

(٢) ذكر نص البيان مع أسماء عدد من الموقعين في كتاب «دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني»، ج ١، ص ٨٨٨.

(٣) في البداية اعتُقل آية الله حسين علي منتظري وابنه الشهيد محمد المنتظري، ثم اعتُقل سماحة السادة: الرباني الشيرازي، علي أصغر مرواريد، أحمد الجنتي وأحمد الآذري القمي. وأرسلوا إلى معتقلات للتعذيب، كما اعتُقل شهاب الدين الأشراقي (صهر سماحة الإمام الخميني ومثله في قم) ونُفي إلى همدان.

نلمح اعتراضاً على جملة الإعتقالات الأخيرة، يقول البيان: إنّ الذين يقومون بهذه الأعمال الوقحة بعلم أو بدون علم، إنما يمهّدون لانفجار رهيب في الحوزة العلمية في قم وسائر نقاط البلاد.<sup>(١)</sup>

كان صدور بيان تضامن طلاب الحوزة العلمية في قم مع اعتصام طلبة جامعة طهران (٣-٢٠/٥/١٩٦٦م) خطوة باتجاه التقارب والإرتباط الوثيق بين الحوزة والجامعة<sup>(٢)</sup> وكان بيان مدرّسي وطلاب حوزة قم في ٥/٦/١٩٦٦م بمناسبة الذكرى السنوية لانتفاضة ٥ حزيران، ورسالة اثنين من العلماء من سجن "قزل قلعة"<sup>(٣)</sup> التي كشفوا فيها النقاب عن جرائم النظام، وكانت موجهة إلى المدعي العسكري العام - والتي أرسلت نسخ منها إلى مراجع التقليد، ولجنة حقوق الإنسان، ومنظمة الأمم المتحدة - خطوات أخرى من قبل العلماء الملتزمين والأوفياء للإمام الخميني في الإبقاء على اتّقاد شعلة ثورة ٥ حزيران.

وفي ٥ حزيران ١٩٦٧ بدأ النظام المحتل للقدس بهجوم واسع وشامل على الدول العربية (مصر وسوريا والأردن) تنفيذاً لمخططة التوسعي وهدفه المشؤوم "من النيل إلى الفرات" وبدعم شامل من أمريكا. وعرض خلال ستة أيام من الحرب - وبالإستفادة من إمكاناته العسكرية - الشرق الأوسط العربي إلى حرب شاملة. كان الدافع الأساسي من هذه الحرب تحقيق الأهداف المرسومة مسبقاً، والقضاء على مقاومة الزعيم المصري جمال عبد الناصر.

وأصدر الإمام عليه السلام - الذي كان يؤكد دائماً على مظلومية الشعب الفلسطيني، وعدم شرعية الكيان الصهيوني الغاصب، ويدعو في الفرص المناسبة الشعوب المسلمة إلى مواجهة الكيان المحتل للقدس - بياناً حماسياً في ذلك الوقت (٢٨ صفر ١٣٨٧ هـ) دعا فيه الشعوب الإسلامية مرة أخرى إلى الوحدة، ولما كان الإمام يعلم تماماً بالعلاقة السياسية والعسكرية والاقتصادية الوثيقة بين النظام الإيراني والصهاينة المحتلين، ويعلم أنّ إيران تؤمّن لـ "إسرائيل" حاجتها من النفط، فقد حرّم في بيانه العلاقة مع "إسرائيل"، وبيع النفط لها، وأعلن أنّ هذه الأعمال مخالفة للإسلام.

وقد قطعت الإذاعة العراقية في ٩/٦/١٩٦٧م برامجها العادية، وأذاعت في أخبار الساعة ١٢ مساءً بتوقيتها المحلي نص بيان الإمام باللغة العربية، ثم باللغة الفارسية. إنّ قطع البرامج العادية وإذاعة البيان في تلك الظروف، يبيّن أهمية الموضوع والتفات الزعماء العرب إلى تأثير كلام سماحة الإمام، ودوره في تحريك الجماهير المسلمة في إيران وبقية البلدان الإسلامية في المنطقة. وقد ورد في جانب من هذا البيان ما يلي:

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ١، ص ٩٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠٥. وحول انعكاس نفي سماحة الإمام بين طلبة الجامعات والأوساط السياسية والثقافية في داخل البلد وخارجه. راجع المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٥-١٩.

(٣) آية الله المنتظري وآية الله الرباني الشيرازي (٧/٩/١٩٦٦م) (أنظر: "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ص ١، ص ٩١٥).

"يجب استئصال مادة الفساد هذه - التي وُضعت في قلب البلدان الإسلامية بدعم من الدول الاستعمارية الكبيرة، والتي تهدد جذور فسادها البلدان الإسلامية بدعم من الدول الاستعمارية الكبيرة، والتي تهدد جذور فسادها البلدان الإسلامية كل يوم - بهمة وتعاون البلدان الإسلامية والشعوب الإسلامية الكبيرة.. إن مساعدة "إسرائيل" سواء في بيعها الأسلحة والمتفجرات أو النفط حرام ومخالف للإسلام. والعلاقة مع "إسرائيل" وعملائها، سواء كانت تجارية أو سياسية حرام ومخالفة للإسلام، ويجب أن يمتنع المسلمون عن شراء السلع والبضائع الإسرائيلية".

كما أسرع سائر المراجع وعلماء الحوزات العلمية إلى مساعدة الإخوة العرب الفلسطينيين الذين هاجمهم الكيان الإسرائيلي الغاصب، بإصدار بيانات، وفتح حسابات في المصارف المحلية لجمع الإعانات، وقد منع الجهاز التجسسي للملك - وبتوجيه من "إسرائيل" وأميركا - إقامة مجالس الفاتحة على أرواح الشهداء الفلسطينيين، وقام بمواجهة موجة دعم الشعب الإيراني لكفاح العرب بالتهديد والتخويف، والإستيلاء على الإعانات الشعبية، واعتقال الناشطين في هذا المجال، ومنع إقامة مراسم تكريم شهداء الحرب العربية - الإسرائيلية التي كان مقرر إقامتها في مسجد "أرك" بطهران (١٩٦٧/٦/٧م) كما قامت قوات الأمن بتفريق المتظاهرين من أهالي طهران الذين خرجوا للإعلان عن عدائهم لـ "إسرائيل".

جاء في إحدى وثائق "السافاك" ما يلي: "طبقاً للأوامر السابقة فلا مانع من قيام آية الله الشريعتمداري بجمع المال للعرب - خاصة الأردن - نرجو إصدار أوامركم حول طبيعة التعامل مع المشكوكين الذين يقدمون على إعداد وتوزيع البيانات السياسية - طبقاً عدا البيانات المتعلقة بآية الله الشريعتمداري، والرجاء تحديد نتائج الخطوات المتخذة من قبلنا - التوقيع: مقدم..<sup>(١)</sup>".

وفي الأشهر اللاحقة قررت أجهزة "السافاك" والشرطة والدرك في قم - وبأمر من رؤسائها - احتلال مدرسة "الفيضية"، وحطّموا أثاث جمع من الطلاب. فقام أصحاب الإمام في قم وطهران على الأثر بالإضراب اعتراضاً على هذا الهجوم، وعُظّلت صلاة الجماعة.

وبعد سماع خبر الهجوم على المدرسة "الفيضية" من قبل "السافاك"، قام العلماء وأنصار الإمام بالخروج في تظاهرات في شوارع النجف الأشرف. ثم توجهوا نحو منازل المراجع، وطالبوهم بالتدخل لوضع حد لهذه المآسي. وألقى الإمام الخميني كلمة قصيرة شكرهم فيها على مواساتهم لطلبة الدينية وأبناء الشعب الإيراني المظلوم، ودعاهم إلى الثبات ومواصلة النهضة.

وقد أدت حركة المعارضة واستنكار هجوم "السافاك" على "الفيضية" واحتلالهم لها إلى إجبار النظام على التراجع وإعادة "الفيضية" إلى الحوزة بعد أخذ تعهد من بعض العلماء في قم على منع أي شكل من النشاط السياسي في المدرسة. وتجدر الإشارة إلى أنّ صوت الصلوات من أجل سلامة الإمام عليه السلام قد جلب في أرجاء المدرسة بمجرد إعادة فتحها والسماح بإقامة صلاة الجماعة فيها.

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ٢، ص ٢٤٦. العميد "مقدم" كان رئيساً لـ "سافاك" طهران سنة ١٩٦٧م.

وبعد ذلك قام النظام بجمع صور الإمام من مدارس العلوم الدينية والمتاجر والمحلات، ومنع من إقامة مجلس العزاء في منزل الإمام، كما منع آية الله بسنديده (الشقيق الأكبر لسماحة الإمام) من التواجد في قم، وأجبره على التوجه إلى طهران.

العمل الوحشي الآخر الذي أقدم عليه النظام الملكي، هو الهجوم على منزل الإمام عليه السلام في قم بحجة القيام بتفتيشه، وأصدرت السلطات الأمنية أوامرها بمنع التردد على المنزل، أو إقامة التجمعات فيه في المستقبل. ويروي شهود عيان - كما تشير الملفات الموجودة - إلى أن مأموري "السافاك" والشرطة قاموا بمعية ممثل محكمة قم بالهجوم على منزل الإمام في الساعة العاشرة صباحاً من يوم الثلاثاء ١٣/١١/١٩٦٧م ومصادرة كافة كتب الإمام - التي كان عددها حسب تقرير "السافاك" أكثر من ١٠ آلاف مجلد - مع أوراق ووثائق تاريخية كثيرة انشغل "السافاك" بنقلها حتى الساعة الواحدة بعد ظهر ذلك اليوم.

كما استولى عناصر الأمن على مكتبة جديدة كان الإمام قد أنشأها في قم تدعى "مكتبة ولي العصر" ونهبوا آلاف الكتب العلمية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية.<sup>(١)</sup>

(١) في هذا اليوم اعتقل رجال الأمن الملكي سماحة السيد أحمد الخميني وحجج الإسلام: الشيخ علي أكبر الإسلامي (ممثل الإمام في قم) والحاج الشيخ حسن الصانعي (من المقربين للإمام ومسؤول الأمور المالية للمكتب) واقتادوهم إلى دائرة "السافاك". هناك أصر نجل الإمام على معارضة إغلاق منزل الإمام أمام الثوار، فطرحوا هذا الاقتراح نفسه على الشيخ الإسلامي - ممثل سماحة الإمام - وقبل أن يردّ قال نجل الإمام: إنّ الشيخ الإسلامي مسؤول فتح باب منزل الإمام وأخذ الأموال الشرعية، ولا يحق لأي شخص أن يقترح على الشيخ الإسلامي هذا الاقتراح غير الإمام، وإذا قمنا نحن بهذا فإنّ الإمام سيؤاخذنا. وبعد أن يؤس "السافاك" من إغلاق باب بيت الإمام في قم بواسطة مقربي سماحته، قام هو بالمبادرة، ووضع عدداً من رجال الشرطة و"السافاك" أمام منزل الإمام لأشهر، ليقوموا بالحيلولة دون تردد مقلدي الإمام إلى منزله، وكان أولئك الأزام يبدأون بالتواجد أمام المنزل قبل طلوع الشمس وإلى ما بعد صلاة المغرب والعشاء بساعة كاملة، غير أنه - وبمجرد ذهابهم كان النشاط يدبّ في بيت الإمام، ويستمر تردد الطلاب أحياناً حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل لتسليم الأموال الشرعية، وإنجاز الأمور الأخرى، وكان هدف "السافاك" من هذه الضغوط هو قطع علاقة الطلاب، والحيلولة دون إرسال الأموال الشرعية، وإيقاف دفع المرتبات الشهرية من قبل الإمام للطلاب. ولكن الرواتب كانت تدفع في قم والنجف بعد أشهر من السيطرة على منزل الإمام. وعندما يؤس "السافاك" من الحصول على نتيجة من عمله ألغى نقطة الحراسة تلك وسحب رجاله. وفي كل هذه الفترة - ومع وجود مضايقات النظام - فإنّ أمور بيت الإمام كانت تدار بإشراف سماحة السيد أحمد الخميني بشكل جيد. وقد أدى تواجد رجال أمن النظام أمام منزل الإمام إلى تحسس الناس مما أدى إلى أن ينتهي الأمر لغير صالح النظام.

الخطوة الثالثة للنظام في الرد على الحركة السياسية للإمام في النجف الأشرف، هي استدعاء المسؤولين عن دفع وتوزيع الرواتب الشهرية - التي كان يدفعها الإمام لطلبته - إلى "السافاك"، وتهديدهم وتخويفهم، وأخذ التعهدات منهم بالإمتناع عن القيام بتوزيع الرواتب الشهرية في قم.

ومن المضايقات الأخرى التي مارسها النظام ضد أنصار الإمام عليه السلام، هي اعتقال عدد من مؤيدي الإمام من العلماء<sup>(١)</sup> والهجوم على الساكنين في مدرسة "الحاج أبي الفتح" في طهران سنة ١٩٦٧م في ميدان الملك (ميدان "قيام" حالياً) وإغلاق أبواب تلك المدرسة، مما اضطر عدد من العلماء العزل إلى الهجرة إلى النجف الأشرف.

كان الملك يظن أنه يتمكن - باستخدام المؤامرات والأساليب الكثيرة - من التأثير على روحية الإمام، وصدّه عن الحركة ومواجهة النظام نهائياً، غير أن بعض التقارير عند "السافاك" تشير إلى فشل الملك في هذه المرحلة: "بناءً على ما بلغنا من المعلومات، فإن الرواتب الشهرية المدفوعة من قبل الخميني في النجف وسائر الحوزات العلمية، ومنها قم هي في تصاعد مستمر، ومع كل تلك القيود المستخدمة فإن الشخص المذكور يدفع رواتبه الشهرية كما كان حتى أنه يقال إن وضعه حالياً أفضل كثيراً مما كان عليه في إيران. ونظراً لأهمية هذا الموضوع يرجى إصدار أوامرهم بالمبادرة - وبالإستفادة من كافة الإمكانيات - إلى السعي لمعرفة الأشخاص الذين يدفعون للخمين أموالاً شرعية وكذلك العاملين على جمع الأموال وإرسالها إلى العراق".<sup>(٢)</sup>

لقد أدرك الملك بوصول هذه التقارير وأشباهاها، أن نفي الإمام إلى النجف لم ينفع النظام إطلاقاً، لهذا دخل في مباحثات سريعة مع الحكومة العراقية لكسب موافقتها على تغيير محل نفي الإمام، ونفيه إلى إحدى الدول البعيدة (كالهند) لمنع الإيرانيين والمسلمين من الوصول إليه.

كان النظام يعتزم - على أساس أسلوبه الدائم - إختطاف الإمام من النجف بدون ضجة، ونقله إلى نقطة مجهولة. وقد كشف هذا المخطط وأرسلت فئات الشعب المختلفة رسائل وبرقيات حذرت فيها الحكومة من العواقب الوخيمة لهذا العمل. وأفشلت ردود الفعل الشديدة للأوساط الدينية والسياسية في إيران والعالم، مؤامرة النظام الملكي لإعادة نفي الإمام من العراق إلى الهند.<sup>(٣)</sup>

---

وفي تلك الأيام اعتُقل نجل الإمام أكثر من عشر مرات، ونقل إلى دائرة "السافاك" لإجباره على غلق منزل الإمام، ولكن دون جدوى، حتى أن المخبّرين للنظام هاجموا في أحد الأيام وهو في الطريق، وانهالوا عليه ضرباً وشتماً، وكان الضرب شديداً إلى درجة أدى إلى سقوطه مغشياً عليه، وقد نفى "السافاك" فيما بعد أن تكون عناصره هي التي قامت بهذا العمل، وسمّاه عمل الطابور الخامس.

(١) وهم السادة: حسن الصانعي، الإسلامي والمحمّوذي، الذين تم نفيهم بعد الإعتقال.

(٢) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ٢، ص ٢٧١.

(٣) ورد في الجزء الثاني من كتاب "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ص ٦٧٣ و ٢٨٠، شرح هذه الواقعة والوثائق الدالة عليها.

## الخطاب رقم (١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ مؤامرة حكام طهران أبعد غوراً مما نتصوره، فهدفهم من إغلاق المدرسة "الفيضية" واعتقال العلماء والطلاب هو تدمير الحوزة العلمية في قم، والقضاء على الإسلام والعلماء، فهم لا يريدون الإسلام ولا العلماء، لأنهم يرون في العلماء والإسلام حائلاً أمام تنفيذ أوامر أسيادهم في البلاد، وربط إيران بالخارج كلياً. إنهم - بالاحتفالات التي يقيمونها<sup>(١)</sup> كل يوم، وبالسلح الذي يواصلون شراءهم من هنا وهناك<sup>(٢)</sup>، وبالتبذير والإسراف المستمر - يريدون جر الشعب الإيراني نحو البؤس والإفلاس، ويجعلونه - والعياذ بالله - شخّاذاً بباب أمريكا و"إسرائيل"، "ولكن اطمئنوا فإنهم لن يوفقوا لذلك" فالشعب - والله الحمد - واعٍ، كما أنّ علماء الدين في إيران مدركون لمسؤولياتهم، ولم يستطع الاستعمار خداع العلماء في إيران أو دفعهم نحو الركود والنوم، وبهذا الوعي فإنهم سوف يقطعون أيدي خونة الإسلام والبلاد إن شاء الله.

(١) كانت إقامة مراسم الاحتفالات والفرح إحدى طرق إلهاء الشعب واستغفاله، والتغطية على فشل النظام الملكي وإخفاقاته وعجزه، ومن هذه الاحتفالات الاحتفال بيوم ميلاد الملك في ٢٦ / ١٠، والاحتفال بالذكرى السنوية للثورة البيضاء في ٢٦ / ١، والاحتفال بتحرير المرأة في ٧ / ١، والاحتفال بارتفاع الخطر عن الملك في ٤ / ٢، والاحتفال بالذكرى السنوية لانقلاب ١٩ / ٨، والاحتفال بتحرير آذربايجان في ١٢ / ١٢، علاوة على الاحتفالات الدولية الباهظة التكاليف بمناسبة مرور ربع قرن على تولي الملك الحكم، والاحتفال بتتويج الملك، والاحتفالات بمرور ٢٥٠٠ سنة على الملكية، وعشرات من هذا النوع. وقد ذكر أحد الكتاب أكثر من ثلاثين نوعاً من الاحتفالات والمناسبات السنوية التي كانت تقام فيها الاحتفالات طيلة العقدين ٦٠ و ٧٠ والتي كانت تنتهي بإفناق مبالغ طائلة، وكلها كانت تتعلق بعائلة الملك والنظام الملكي؛ وكان الإمام يستنكر - ومن خلال إصدار البيانات وإلقاء الخطابات - تلك الاحتفالات غير الوطنية التي ينفق على إقامتها من أتعاب الجماهير المحرومة. وسوف يلحظ القارئ الكريم نماذج من هذا النوع من المواقف في الخطابات القادمة.

(٢) كان الملك يشتري السلاح من كافة الشركات التي تصنع الأسلحة في الشرق والغرب. ففي عام ١٩٦٦م سمح "البتاغون" ببيع آخر نموذج من طائرات "الفانتوم" ("ماكدونل" أو "إف ٤ دي") إلى إيران وبعد هذه الصفقة - التي رافقتها تجهيزات عديدة ومتنوعة أخرى - قام الملك بعقد صفقات عديدة من إنكلترا وفرنسا. وفي عام ١٩٦٧م سافر الملك إلى موسكو، وأعلن أنه وقّع مع حكومة الاتحاد السوفياتي إتفاقية بمبلغ ١١٠ ملايين دولار لشراء تجهيزات عسكرية تشمل: ناقلات جنود مدرعة، وشاحنات عسكرية، ومدافع مضادة للجو. وقد أدى التقارب الملكي السوفياتي إلى قيام أمريكا ببيع كميات أكبر من الأسلحة والعتاد لإيران، بحيث أنّ قيمة مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى إيران بلغت في عام ١٩٧٠م: ١١٣،٠٨١،٠٠٠ دولار، وفي عام ١٩٧٥م: ١،٣٠١،٢٨٧،٠٠٠ دولار، وفي عام ١٩٧٦م: ٤،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار.

وأنتم مكلفون بمساعدة إخوانكم في إيران بكل سبيل ممكنة، وبالصبر والثبات أمام المشكلات التي تواجهكم. كما أنّ لتعبيركم عن دعم الشعب الإيراني المظلوم ومواساته أثره المحمود. أيقظ الله تعالى الجميع من غفلتهم.<sup>(١)</sup>

والسلام عليكم.

## هوية الخطاب رقم (٢٠)

العراق / كربلاء / في ١٠ محرم ١٣٨٨ هـ، الموافق: ٩ نيسان ١٩٦٨ م.

- الموضوع: الجهل بتعاليم الإسلام السامية هو عامل انحطاط المسلمين.

- المناسبة: حلول عاشوراء من عام ١٣٨٨ هـ.

- الحاضرون: طلبة جامعة البصرة.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كان السعي لإيجاد التفرقة بين طلبة الجامعة وطلاب العلوم الدينية، وفصل هذين الشريحتين عن بعضهما يمثل أحد المخططات الإستراتيجية التي انتهجها النظام الملكي، إذ أنّ الجميع كان يعتقد أنّ اتفاق هاتين الشريحتين سيؤدي إلى تعريض النظام إلى أخطار جدية، وقد أدى الإعلام المكثف الذي مارسه الخبراء الذين استعان بهم النظام، إلى الحد من أثر الجهود التي كان يبذلها المخلصون من أبناء الشعب الإيراني - سواء كانوا من طلبة العلوم الدينية أم من سواهم -

ولا يمكن التصريح بثقة بأنّ المجالات الصادرة تحت عناوين مختلفة في قم - التي تعدّ مركزاً علمياً لم تنطو على بحوث تثير لدى الطالب الجامعي الرغبة في المطالعة، غير أنه يمكن القول بأنّ تلك المجالات لم تتطرق عادة إلى المسائل والقضايا التي تشبع رغبات طلبة الجامعات. ومهما كان فإنّ طلبة الجامعات وبقية الشبان كانوا يتجهون إلى مطالعة المجالات التي تطبع وتُنشر من قبل جمع من المثقفين العملاء - من الذين يحتمل ارتباطهم بـ"السافاك" - بدلاً عن مطالعة الكتب والمجلات التي يُشَمُّ منها رائحة الدين في الأقل.

كان انتشار ظاهرة "التجديد"، والاتجاه إلى تلك الكتب الغربية التوجه، والتي كانت تؤكد على إدانة "الدين" وترويج "الشرك والإلحاد" يمثل أمراً خطيراً. وكانت الهوة بين "الطالب الجامعي" و"طالب الحوزة" تزداد سعة كل يوم. ولم تؤثر الخطوات الجزئية للعلماء والجامعيين المؤيدين للإمام في علاج هذه الظاهرة. وكان النظام الملكي يضع الإمكانيات تحت تصرف تلك المجاميع التي يتعد - ما تعرضه من الشعر والقصة والأفلام - بدرجة ما عن "الدين". وكان المتظاهرون بالثقافة المعروفون يحملون في الظاهر راية معارضة النظام الملكي،

(١) "دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني"، ج ٢، ص ٢٥٧.



غير أنهم حينما كانوا يذهبون إلى أوروبا للعلاج من الإدمان على المخدرات، كانت زوجة الملك أو أخته تدفع نفقات علاجهم!

إن سياسة نظام الشاه لم تبد تلك الحساسية تجاه شعر وكتابات مَنْ يسمّون بالمتقنين الثوريين، لأنها كانت قائمة على إشاعة الفساد والفحشاء والإباحية واللا دينية، ولو حصل مرة أن تعرّض أحد الكتّاب من هذا النوع للإعتقال أو السجن بتهمة كتابة قصة أو إلقاء شعر، فإنه كان يغادر السجن بعد فترة قصيرة، وبعد أن يتعهد تعهداً شكلياً بالإمتناع عن نوع من التناجات، ثم يعود إلى المجتمع.

أما إذا ذكر أحد الخطباء الدينيين مسألة - وإن كانت بلغة الإيماء والإشارة - أو انتقد النظام على نقطة ضعف معيّنة، فإنه يعتقل مباشرة، ويتعرض إلى تعذيب وحشي في زنايات النظام، وقد ينال نتيجة التعذيب درجة الشهادة الرفيعة. كل ذلك بسبب الأصالة الكافية في كلام الخطيب الديني المعتقد بالإسلام. الأمر الذي يعرف خبراء النظام مدى تأثيره على الجماهير. أما ما يسمى بالشعر الثوري، فقد كان له ألف تبرير وتبرير للألفاظ التي يستخدمها في شعره عندما كان يذهب إلى محاكم "السافاك".

كان الخطيب الروحاني يتحدث بلغة الناس، ويشير إلى مشكلاتهم اليومية، أما الفنان المثقف فكان فنّه للفن فقط، والنظام كان يخشى من تبدل نظرية "الفن للفن" إلى نظرية "الفن للحياة"، فتحصل فاجعة لا يمكنه الوقوف أمامها أبداً. وكان خبراء النظام الملكي يعرفون أنّ ذلك سيقع فقط إذا تحقق الاتفاق بين "الطالب الجامعي والطالب الديني" ووصلت كلتا الشريحتين إلى التكلم بلغة واحدة، من هنا تراه يسعى بطرق مختلفة إلى إثارة الاختلاف، وتوسيع الهوة بين هاتين الشريحتين.

كان سماحة الإمام قدس سره مطلع بشكل دقيق على المخطط المشؤوم للنظام الملكي، وكان يؤكد - كلما سنحت له الفرصة - على ضرورة وأهمية وحدة الحوزة والجامعة، واتحاد الطالب الديني مع الطالب الجامعي، ويشير إلى أنّ ذلك هو إحدى أهم وظائف الثوار.

وكانت البيانات المتكررة للإمام قدس سره الموجهة إلى الاتحادات الإسلامية للطلبة الجامعيين المقيمين في أوروبا وأمريكا وكندا والهند - خلال أيام إقامة سماحته في النجف الأشرف - تعدّ مواقف عملية تساهم في خلق التقارب الفكري بين الحوزات العلمية والتشكيلات الإسلامية للطلبة الجامعيين في داخل البلد. إن سياسة الإمام وأنصاره وحكمتهم في القضاء على معضلة الانفصال بين الجامعيين والمتقنين الملتزمين وبين العلماء، لم تُدرس كظاهرة في تاريخ الثورة الإسلامية إلّا بشكل مقتضب. إن الأساليب التي استخدمها الإمام في معالجة تلك الأمور، ومدى النجاح الذي حققه - رغم النشاط المحموم الذي كان يتّسم به النظام الملكي، والمحافل الماسونية التي كانت تهيم على الجامعات ومراكز التعليم العالي في البلاد - وما تمخّضت عنه جهوده من دفع الحوزة والجامعة - هذين الخندقين الهامين - إلى الدفاع معاً عن الثورة الإسلامية، وبلغة وأهداف مشتركة في عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨م - فترة بلوغ النهضة الإسلامية ذروتها - بحاجة إلى ذكر الوقائع التاريخية وتقديم الوثائق

الداعمة لذلك، الأمور التي تناولها إن شاء الله في الحديث عن هوية بيانات الإمام إلى طلبة الجامعات، ومقابلات سماحته معهم.

في عاشوراء ١٣٨٨ هـ، الموافق لـ ١٩٦٨/٤/٩م، قام جمع من الطلبة في جامعة البصرة بزيارة الإمام في كربلاء، فأكد سماحته على مسؤوليتهم في المستقبل، وأشار إلى دور العدو في إثارة التفرقة، وقال في كلمته: "إن عملاء الاستعمار حينما يصلون إلينا (العلماء) يقولون: إن الشباب والدارسين والجامعيين قد فسدوا، وفقدوا عقائدهم الدينية والوطنية، وانحرفوا وقلّدوا الأجانب تقليداً أعمى، وعندما يصلون إليكم (طلبة الجامعات) يقولون: إن المراجع والعلماء خرافيون ورجعيون، ولا يدركون حقائق الزمان ومتابعتهم هي بمثابة الرجعية والسير إلى الوراء، وإن شرط العلوّ والرقى هو بغض النظر عن هذه العناصر المتعصبة والمتأخرة وعقائدها، والإبتعاد عنها.

نحن وأنتم لدينا مسؤولية في هذه الحال وهي: أن نعمّق علاقاتنا المعنوية والفكرية أكثر، وأن نتفاهم في كل الأحوال، رغم إرادة وسعي المفرّقين والمستعمرين..".

في هذه الكلمة القصيرة، وجّه الإمام عليه السلام خطابه إلى طلاب العلوم الدينية وطلبة الجامعات، ودعا الشريحتين إلى المقاومة ومواجهة الظلم، وأكد على وحدة الحوزة والجامعة، وحذّر قائلاً: "إذا لم تستعدوا وتصمدوا، فإنكم ستفنون، وكذلك فإنّ الأحكام الإسلامية ستضيع، وسوف تكونون مسؤولين..".

ونتيجة هذه البيانات التحذيرية وقف طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات في صف واحد عندما بدأت النهضة الإسلامية في إيران، وأسقطوا النظام الملكي المدجج بالسلاح.

## الخطاب رقم (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

.. إن عملاء الاستعمار حينما يأتون إلينا يقولون بأنّ الشبان والطلاب والجامعيين قد فسدوا، وقد أضاعوا عقائدهم الدينية ومشاعرهم الوطنية، وسقطوا في جُرْف هارٍ يقلّدون الأجانب دون وعي أو شعور. وحينما يلتقون بكم، أيها الشبان، يقولون بأنّ المراجع وعلماء الدين خرافيون ورجعيون لا قدرة لديهم على إدراك ظروف وحقائق الزمان، وهم عاجزون عن متابعة تطورات العصر، يسرون بكم القهقري، وإنّ شرط الرقيّ والتقدم يكمن في غض الطرف عن هؤلاء، ورد عقائدهم، والإبتعاد عنهم.

وفي هذا البين فإنّ علينا وعليكم مسؤولية خطيرة تتمثل في الإصرار على ترسيخ الارتباط المعنوي والفكري فيما بيننا - رغم إرادة الأعداء، ورغم مساعي المفرّقين والمستعمرين - علينا بالتفاهم على كل حال، وتمهيد السبيل معاً لبلوغ المجد والسعادة والرقى والثبات لأنفسنا بالاستفادة من تجارب وخبرات وطاقات بعضنا.

إنكم أيها الشبان المتعلمون رجال المستقبل والغد، وأعلام المجتمع، لذا فإنّ عليكم الإنتباه والحذر، والسعي للقضاء على جميع أسباب التخلف والذلة والتفرقة التي تصيب مجتمعاتنا، ولو أنكم تأملتم بعمق فيما يحدث، لوجدتم أنّ أهم عامل أدى إلى انحطاط المسلمين هو غفلتهم عن التعاليم الإسلامية الأصيلة الحقيقية، فإنّ الإسلام تمكن - في أسوأ المقاطع التاريخية وأشدّها ظلمة - من بناء أرقى حضارة وأشدّها نورانية، دافعاً معتنقيه لبلوغ أسمى المراتب والدرجات، وحينما غفل معتنقوه عن تعاليمه، وتوجهوا نحو أساليب قشرية منحرفة - أطلقوا عليها اسم "الإسلام" - فمن الطبيعي أن يضيع مجدهم وعزتهم العريقة، وأن يصلوا إلى هذا المصير الذي ترونه.. (١)

### هوية الخطاب رقم (٢١)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ٢٨ ربيع الثاني ١٣٩١ هـ ق (١٩٧١/٦/٢٢ م).

- الموضوع: جرائم ملوك إيران وأسرة البهلوي.

- المناسبة: إقامة الاحتفالات بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الملكية.

- الحاضرون: طلاب وعلماء الحوزة العلمية في النجف.

#### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بينما كانت الغالبية من أبناء الشعب الإيراني تعيش في فقر وحرمان، وفي الوقت الذي كان كل صوت يطالب بالحق يتعرض للخنق، وبينما كانت السجون والزنايات الموحشة في إيران تكتظ بالعلماء المحبين لله، وسائر ثوار طريق الحق والحقيقة، كان الملك ونظامه يستعدّون لإقامة أضخم المراسم للاحتفال بمناسبة مرور ألفين وخمسمئة عام على الإمبراطورية الفارسية.

وبمناسبة هذه الاحتفالات، كثّف النظام الملكي من إعلامه وأغدق في الإنفاق إلى درجة أنه قبل برد فعل من قبل الأوساط السياسية والاجتماعية المختلفة. إضافة إلى اعتراض الصحف المعتبرة والمشهورة بأشكال مختلفة، ورغم أنّ النظام الملكي لم يكن يهتم عادة بهذا النوع من النقد، إلّا أنه لم يتمكن في تلك الفترة من الصمود أمام سيل الاعتراضات، لذا فقد أعلن أمير أسد الله علم (وزير البلاط الملكي) في مقابلة أجريت معه: "إنّ إقامة الاحتفالات بمناسبة مرور ألفين وخمسمئة عام لا يمكن تقييمها بالمال!". وبعد إقامة الاحتفالات صرّح الملك: "بأنّ الشعب نفسه قد ساهم بتوفير النسبة الأكبر من نفقات الاحتفالات". وكلا التصريحين كانتا صحيحتين في الأساس، فالمصاريف كانت كثيرة إلى درجة أنه لا يمكن تقييمها! وهذه المصاريف الباهظة قد تم تأمينها في الحقيقة من جيب الشعب.

(١) "دراسة وتحليل في نهضة الإمام"، ج ٢، ص ٤٢٤.

لقد أسرف في الإنفاق على تلك الاحتفالات إلى درجة يتعذر معها حساب ما أنفق بدقة. وكمثال على ذلك نشير إلى الخبر الذي نشرته الصحف آنذاك على صدر صفحاتها الأولى، فقد كتبت حينها: إن زعماء الدول الذين سيحلّون ضيوفاً في الاحتفال الملكي سيستلمون سجادات رُسِمت عليها صورهم، وقد عمل أفضل فناني أصفهان وتبريز ١٦ ساعة يومياً لحياكة سجادات الاحتفال تلك<sup>(١)</sup> بينما نقرأ في الصحيفة نفسها: بأنّ البيض مفقود في همدان، وأنّ أسعاره قد ارتفعت!<sup>(٢)</sup> وللحيلولة دون خروج طلبة الجامعات في مظاهرات احتجاجية، قام النظام بتعطيل الدراسة في الجامعات في الفترة بين ١١ حتى ١٨ تشرين الأول، مبرراً ذلك بما يلي: إن هذه العطلة تستهدف تسهيل مشاركة طلبة الجامعات في مراسيم الاحتفالات الملكية.<sup>(٣)</sup>

كان غضب الشعب - والفئات الثورية خصوصاً - يتصاعد تدريجياً، لذا فقد تم استنفار عناصر "السافاك" لقمعهم. وقبل بدء الاحتفالات بعدة أيام كانت الصحف تشير إلى مواجهات بين عناصر "السافاك" والفئات الثورية. نقرأ مثلاً هذا الخبر: "قُتل أحد المخرين المسلحين وأحد أفراد الشرطة في اشتباكات وإطلاق نار، حدث ظهر الثلاثاء".<sup>(٤)</sup>

إن إثارة الرعب - باستمرار القمع من قبل "السافاك" - كان مفرحاً للملك، إلى حد أنه قام بترفيه نعمة الله النصيري (رئيس "السافاك") من "فريق" إلى "مشير"، ومن أجل خداع الشعب دفع مجلس الشورى إلى المصادقة على لائحة شكلية بشأن إطلاق سراح ٥٠٠٠ سجين.

وفي الوقت الذي كان فيه أهالي شيراز يشاهدون أقمع وأوقح برامج التمثيل في مدينتهم، كانت الجهود منصبّة على إعداد مشاريع خطيرة أخرى لإفساد الجيل الشاب في البلاد. وفي عدة أعداد أكدت صحيفة "كيهان" على "ضرورة التعليم الجنسي للشبان والناشئين"، وكتبت في أحد أعدادها: "يجب أن تتضمن البرامج الدراسية مسائل التعليم الجنسي"<sup>(٥)</sup>، وأعدت برامج ضخمة وخاصة لاستقبال رؤساء الدول الذين سيأتون إلى إيران للمشاركة في الاحتفالات. وكان أنور السادات (رئيس النظام المصري المعدوم) على رأس المدعوين، والذي سبق الآخرين في المجيء إلى إيران.

وجاء إلى إيران مئات الصحفيين والمصورين - على نفقة إيران - لتغطية أخبار الاحتفالات. وكانت هناك أكثر من ١٥٠ رحلة جوية بين طهران وشيراز يومياً لنقل الضيوف إلى "باساركاد" محل إقامة الاحتفالات. وكا

(١) صحيفة "كيهان" (١٠/٥/١٩٧١م).

(٢) صحيفة "كيهان"، ص ٢٠.

(٣) صحيفة "كيهان" (١٠/٧/١٩٧١م).

(٤) صحيفة "كيهان" (١٠/٧/١٩٧١م).

(٥) صحيفة "كيهان" (١٠/٩/١٩٧١م).

الملك وحاشيته يفخرون بـ"كورش" بوصفه "ملك الملوك"، وصفحات الجرائد مليئة برسائل التهئة الشكلية، والأخبار كلها تتعلق بوصول رؤساء الجمهوريات إلى إيران.

وحل اليوم الموعود، وألقى الملك كلمة في حضور عشرات الآلاف من الذين اجتمعوا في "باساركاد" وإلى جوار قبر "كورش"، قال فيها: "يا كورش! أيها الملك الكبير!.. ثم مرتاح البال، لأننا يقظون، وسوف نبقي يقظين دائماً!"

وهكذا أقيم أضخم احتفال في التاريخ في يوم ١٢/١٠/١٩٧١م، وفي حين كان الملك ونظامه يتشدقون بالحديث عن مجد إيران وشعبها، نقرأ في الصحف الصادرة وقتذاك تصريحاً لرئيس إحدى نقابات المدينة يقول فيه: "لا يمكننا تثبيت سعر الخبز بسبب قلة حصة الحنطة! وبذا نرى أن أبسط مادة غذائية للشعب إبتدأت بالشحّة والغلاء.

كانت الرشاوى التي يدفعها النظام إلى الصحف الأجنبية متواصلة، وقد أصدرت صحيفة "التايمز" و"اللوموند" عدداً خاصاً بمناسبة الاحتفالات الملكية تلك، وعلى نفقة السفارة الإيرانية في كل من لندن وباريس، وصدر في ألمانيا كتاباً تحت اسم "بحوث حول إيران"، وخصصت إذاعة "بي.بي.سي" نصف ساعة يومياً لنقل برامج الاحتفالات الملكية.

كانت الصفحات الأولى للجرائد مليئة بصور الملك وأمثاله من المستبدّين الآخرين، فصورة لملك إيران والملك حسين (ملك الأردن)، وملك إيران مع "هيلاسيلاسي" (إمبراطور أثيوبيا)، وملك إيران مع "شاوشيسكو" (رئيس رومانيا)، ملك إيران مع السادات (رئيس النظام المصري)، ملك إيران ومعاون رئيس أمريكا، ملك إيران و"بودغورني" (رئيس الإتحاد السوفياتي)، وفرح مع زوجة "ماركوس" (ديكتاتور الفلبين) و..

وبعد انتهاء الاحتفالات أجرى الملك مقابلة مع الصحفيين، وصرح بشأن نفقات الاحتفالات - التي كانت موضوع الصحافة الأجنبية - قائلاً: "إنني شخصياً لا أتصور أن نفقات الحفل أكثر من مادتين نقيمتها لضيوفنا"، وقال أيضاً في هذا الصدد: "كان معدل النمو الاقتصادي هذه السنة أكثر من أية سنة أخرى، رغم وجود ما يسمى بالمصاريف الأحرار التي يقولون إنها أنفقت على الاحتفالات"، كما أجاب على سؤال أحد الصحفيين الأحرار حول عدد السجناء السياسيين قائلاً: "إن عدد السجناء السياسيين في إيران يعادل تماماً عدد الخائنين في هذا البلد!"

وقد وجّه مراسل وكالة "يونايتد برس" سؤالاً للملك فقال: لماذا يتحمل الشعب المدين بثلاثة آلاف مليون دولار كل هذه المصاريف؟ فأجاب الملك (الذي تحير في الإجابة عن هذا السؤال): "أعرف دولاً مدينة بعد مئات من مليارات الدولارات، ولكن المصاريف الإعلامية لشركاتها الداخلية تتجاوز عدة مليارات من الدولارات في السنة".

وفي الوقت الذي كان الإعلام الأجير للنظام يطبل بشأن الاحتفالات، نُشر فجأة على الصفحات الأولى للمطبوعات: "أنه وبأمر الملك سيتم قريباً تشكيل "كتائب الدين"، وبذا طرح برنامجاً لتعليم عدد من التابعين

للنظام بوصفهم "كتاب الدين"، وطرح أمر تجنيد طلاب العلوم الدينية. وقد تقرر في هذا البرنامج أن يخدم الطلاب المذكورون وخريجو كلية الإلهيات في "كتاب الدين"!

وفي يوم ١٦ مليوناً و ٨٠٠ ألف دولار، وهو أمر واضح التهافت!

وبينما كان الملك وحاشيته منشغلين بالتمتع بأموال الشعب الإيراني المحروم والمعدم، وغارقين في فجورهم، سكارى عن كل شيء، كان الإمام عليه السلام يحمل هموم أمته ودينه، ويعاني من ذلك في بيته المتواضع إلى جوار المرقد الملكوتي للإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف.

وقبل إقامة الاحتفالات بمناسبة مرور ألفين وخمسمئة عام على الملكية بعدة أشهر، أي في ١٩٧١/٦/٢٢م قال الإمام: "تصليني - مع الأسف - رسائل وشكاوى من إيران حول الأوضاع هناك مما يجعل روحي في عذاب". كان الإمام عليه السلام يرى أن صمت الأوساط الدينية في تلك البرهة من الزمن غير جائز، ويصرخ قائلاً: "إنّ الاحتفال يجب أن يقام لذلك الذي يتمنى الموت لأنّ خلخلاً نزع من ساق إحدى الذمّيات، لا الذي يرسل جلاوزته للهجوم على الجامعة لمجرد أنّ أحداً قد هتف بشعار مخالف لهوى نفسه. لقد كتبوا إليه: أنهم ضربوا الفتيات إلى درجة أنّ صدورهن أضحت بحاجة إلى عملية جراحية، وذلك وقع مؤخراً - والنجف غافلة عنه - لماذا؟ لأنهم هتفوا بشعار: إننا لا نريد الاحتفال بمرور ألفين وخمسمئة عام.. نحن جائعون.. سدّوا رمق المسلمين.. لا تحتفلوا.. لا تحتفلوا على أجساد الموتى".

وفي جزء آخر من كلمته قال سماحته: "أيها السادة، إستيقظوا.. أيقظوا النجف.. إعتضوا.. فلو أنّ مئة برقية أرسلت من النجف - وبمتهى الأدب - وكُتب فيها: أيها السيد، أشبعوا الجائعين.. أنفق هذا المقدار من المال الذي تريد أن تُنفقه في هذه الأمور على هذا الشعب المسكين.. أنفقه على هؤلاء المفلسين المساكين الذين هرب بعضهم من إيران وجاء إلى هنا. لو أنّ مئة برقية أرسلت من هنا، من العلماء والفضلاء والطلاب، فإنها لا شك ستؤثر، ولكن من الذي يقوم بمثل هذا؟

ومع كافة المضايقات التي مارسها النظام للحؤول دون وصول الشريط الحاوي لخطاب الإمام عليه السلام فإنّ نص كلمته وصل إلى إيران، وترك أكبر الأثر. وكان "السافاك" في تلك الأيام يجمع كل أنواع الاعتراض، والأجهزة الإعلامية من صحف وإذاعة وتلفزيون تُكثر من الحديث حول كيفية إقامة الاحتفالات. إلّا أنّ الجماهير المسلمة والواعية كانت غاضبة جداً تجاه ما يجري في بلدها، وكان الكلام في كل مكان يدور حول إسراف الملك وعملائه.

ومن البديهي أنّ خطاب الإمام كان له انعكاس واسع في الأوساط الجامعية خارج البلد، وكانت الأسئلة الحادة للصحفيين الأجانب الذين جاؤوا إلى إيران لتغطية الأخبار المتعلقة بالاحتفالات - التي طرحوها على الملك - حول النفقات الباهظة للاحتفالات، دليل على اطلاعهم على حقيقة الأمور. ومن المسلّم أنّ الثوريين الملتزمين هم الذين زدوهم بأخبار حول حقائق الأمور. إنّ هذه الكلمة وبقية خطابات الإمام - التي فضحت جرائم النظام - تمكنت في النهاية من إسقاط النظام الملكي.

## الخطاب رقم (٢١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الإحساس بالمسؤولية هو الذي يدفعني إلى طرح بعض الأمور المتعلقة بمشكلات المسلمين في بعض المناسبات، ولعل بعض الإخوة المحترمين يشاركوني الإحساس بالمسؤولية، وهم بصدد تقديم ما يوسعهم من عون لإخوانهم<sup>(١)</sup> المسلمين، ولو على نحو التبليغ أو إرسال البرقيات والرسائل.

لقد ابتلي الإسلام والمسلمون منذ البداية بالأهواء النفسية للبعض، الأمر الذي يعدّ سبباً رئيسياً فيما نعاني منه من مصائب الآن. فتلك الأهواء هي التي منعت من إقامة حكومة الحق بعد الرسول الأكرم ﷺ<sup>(٢)</sup> وإلاّ لو أنّها أتاحَت الفرصة لقيام الحكومة التي أرادها الإسلام، وتنصيب الحاكم الذي أمر الله (تبارك وتعالى) بتعيينه، وعيّنه الرسول الأكرم ﷺ، ولو كانت الفرصة أتيحت لقيام تلك التشكيلة التي تكون الحكومة فيها إسلامية، والحاكم منتخب ومنسوب من قبل الله تعالى، لكان أدرك الناس ماهية الإسلام ومعنى الحكومة الإسلامية، إلّا أنّ مَنْ تحركهم الأهواء مالوا بالناس، للأسف، بعد وفاة الرسول الأكرم ﷺ عما أمر به ﷺ، ولم يكتفوا بذلك في زمانهم، بل إنهم مهدوا للحيلولة دون إقامة تلك الحكومة الإسلامية إلى ما شاء الله.

إنّ ما أحدثته معاوية هو من الأمور التي مهد لها السابقون، فأولئك المشايخ هم السبب في حصول كل تلك المآسي التي حلّت بالإسلام والمسلمين<sup>(٣)</sup> وهم السبب في كل الاختلافات الداخلية التي تعتبر أسوأ من الاختلافات، وقد ابتلي أمير المؤمنين عليه السلام بنتيجة ذلك.

وبعده عليه السلام خرجت الحكومة عن شكلها الإسلامي تماماً، وصارت ملكية أو إمبراطورية، واستمرت على ذلك حتى عصرنا الحاضر. ولم تسنح للإسلام فرصة إقامة حكومة إسلامية، عدا تلك الفترة القصيرة من تصدي

---

(١) هذا المقطع من الشريط مبهم، ويُسمع منه شيء شبيه بـ"الإخوة" أو "الأصحاب".

(٢) المقصود قضية "غدير خم" وتعيين أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من قبل الرسول الأكرم ﷺ.

(٣) كان معاوية بن أبي سفيان قائداً في جيش الخليفة أبي بكر، ولم يُعطه الخليفة أبداً مقاماً أرفع من ذلك. وفي زمان الخليفة الثاني سلّمَت إليه إمارة الأردن، ثم دمشق. وبالتدريج تعزز موقع معاوية بحيث أنه تولى في عصر الخليفة الثالث جميع بلاد الشام، وهي أراضٍ واسعة جداً. وقد بدّل معاوية الخلافة الإسلامية إلى ملكية، واستمر إلى أن أقاله مولى المتقين علي عليه السلام.

أمير المؤمنين عليه السلام بعد فترة طويلة من وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup> وبعد كل ما حصل من أمور خلال تلك المدة، ناهيك عما واجهه من مشكلات خلال خلافته: حرب الجمل <sup>(٢)</sup> وصفين <sup>(٣)</sup> وحرب الخوارج <sup>(٤)</sup>.. ومع

(١) في الخامس والعشرين من ذي الحجة عام ٣٥ من الهجرة بايع المسلمون الإمام علياً عليه السلام وفي ليلة الحديث والعشرين من شهر رمضان عام ٤٠ من الهجرة استشهد الإمام عليه السلام. وعلى هذا فإن حكم أمير المؤمنين عليه السلام كان حوالى ٤ أعوام و ٩ أشهر.

(٢) بعد قتل عثمان وتولي الإمام علي عليه السلام للخلافة قام ولاية عثمان - الذين كانوا قد اكتنزوا الثروات في أيام خلافته - بالتمرد على أمير المؤمنين عليه السلام وتابعهم طلحة والزبير من باب المعارضة للإمام علي عليه السلام وخرجوا من المدينة بحجة زيارة بيت الله، وقررا محاربة الإمام عليه السلام. وكان غرضهما من هذه الحرب هو احتلال البصرة وتقسيم العراق وإسقاط خلافة علي عليه السلام. فاحتل المتمردون - ومعهم عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله - مدينة البصرة، وأخرجوا حاكمها بعد أن هتكوا حرمة. وللقضاء عليهم نقل الإمام جيشه من المدينة إلى الكوفة، وخرج معه عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر (شقيق عائشة) وأولاده الثلاثة الحسن والحسين عليه السلام ومحمد، وتوجه نحو البصرة. ثم وقعت الحرب بين الجيشين في منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٣٦ هـ قرب البصرة في محل يدعى "الخريبة". وفي هذه الحرب مني المتمردون بهزيمة ساحقة، وقُتل طلحة والزبير بينما كان يهمان بالهرب. وأعاد الإمام علي عليه السلام عائشة - التي كانت تركب هودجاً في هذه الحرب وكانت تحرّض المحاربين في جيش طلحة والزبير - إلى البصرة برفقة شقيقها، ومن هناك أرسلها إلى المدينة. وسمّيت هذه الحرب بـ "حرب الجمل" بسبب مشاركة عائشة فيها وهي راكبة على جمل. وقد أدت هزيمة المتمردين في "الجمل" إلى قبول العراق وإيران واليمن والحرمين بطاعة حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتعززت سلطة الإمام في مصر وأفريقيا أيضاً.

(٣) بمجرد توليه الخلافة أقدم أمير المؤمنين عليه السلام على إقالة معاوية من حكم الشام، حيث كان يتولى حكمها من زمن الخليفة الثاني. وقد رفض معاوية هذا الأمر بحجة المطالبة بدم عثمان، فجمع النساء حوله، وتحرك نحو الكوفة لمحاربة الإمام، وفي منطقة قرب الفرات تدعى "صفين" إلتحم جيش معاوية وجيش الإمام في حرب طاحنة إلتقيا فيها حوالى ٩٠ مرة، وعندما أدرك معاوية إقتراب هزيمته إستعان بعمر بن العاص، فاقترح عليه أن يقوم برفع المصاحف على أسنة الرماح، وطالبوا بوقف الحرب واللجوء إلى التحكيم. وقد نجحت حيلة عمرو بن العاص، ووقعت الفرقة في جيش الإمام. وأخيراً أجبر الإمام - من قبل جيشه - على القبول بالتحكيم.

بدأت حرب "صفين" في شهر صفر عام ٣٧ هـ، واستمرت ١٠ أيام، وكان مجموع قتلى هذه المعركة قد بلغ ٧٠ ألفاً، منهم ٤٥ ألفاً من جيش معاوية.

(٤) "الخوارج" (أو "المارقون") هم فئة من المسلمين المتنسكين وأهل الرؤية الظاهرية، وقد أجبروا أمير المؤمنين عليه السلام على قبول "التحكيم" بعد واقعة "صفين"، ولكن لم يمضِ كثيراً حتى أدركوا مكر معاوية فأصروا



كل ذلك فإن تلك الفترة القصيرة من حكم أمير المؤمنين بقيت تمثل درساً من الإسلام وعبرة للمسلمين، فقد حدث في تلك الفترة القصيرة من الأمور التي جعلت الجميع يفهم حقيقة الإسلام إلى حد ما. فلو كان أولئك سمحوا بتشكيل الحكومة الإسلامية، وبتشكيل حكومة في ظل الإسلام، وسمحوا للناس بالعيش في ظل حكومة إسلامية، لكان من الممكن عدم ظهور كل هذه المصائب التي نواجهها الآن. فالحاكم الذي عيّنه الباري (تبارك وتعالى) للأمة.. كان حتى وقت وصوله إلى منصة الحكم، واجتماع الناس إليه ومبايعته، كان رغم كل ما حصل من تخريبات ومصائب للإسلام - والتي لا زالت آثارها باقية حتى عصرنا الحاضر - كان يعيش حياة بسيطة، بل إنه حتى عند اعتلائه سدة الحكم كان يعيش حياة بسيطة، تقلّ في مستواها عن حياة أمثالنا وأمثالكم أنتم يا طلاب العلوم الدينية، لا بل أقل حتى من مستوى حياة هؤلاء الكسبة والباعة. فخبز الشعير الذي كان يأكله حتى في أواخر عمره كان يابساً إلى درجة أنه كان لا يتمكن من كسره بيده، فليجأ إلى تكسيه بمفصل ساعده<sup>(١)</sup> ويأكله مع الماء - كما يروى - وكان عليه السلام يقول: "ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع. أوأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى..؟!"<sup>(٢)</sup>

إن أعظم نازلة حلّت بالإسلام هي سلب أمير المؤمنين عليه السلام حكومته، وعلينا أن نتجلبب بالحزن على تلك النازلة أكثر من الحزن على واقعة كربلاء، فالمصيبة التي حلّت بأمر المؤمنين عليه السلام وبالإسلام أجلّ وأشد من تلك المصيبة التي حلّت بسيد الشهداء عليه السلام فهي "أعظم المصائب" التي حرّم الناس بسببها من إدراك المعنى الحقيقي للإسلام، ومعنى الحكومة الإسلامية، وحقيقة الأهداف التي يسعى إليها الإسلام، وماهية برامجها في الحكومة.

على الإمام عليه السلام أن يتوب من عمله (أي قبول التحكيم) الذين سمّوه بعد ذلك "كفراً" ولم تنفع نصيحة الإمام لهم، وعندما واجهوا مقاومة الإمام عليه السلام نقضوا بيعتهم له، وقاموا بالتمرد عليه وقتاله وإثارة الفوضى والإخلال بالأمن، وفي النتيجة حاربهم الإمام علي عليه السلام لإخماد الفتنة، والتقى جيش الإمام بجيش "الخوارج" في موضع يدعى "النهروان". وفي البداية نصّحهم الإمام، وأدى كلامه إلى انصراف أكثرهم من محاربتة والإلتحاق بجيشه. إلا أن المتبقين من جيش "الخوارج" تعرضوا إلى هزيمة ماحقة بعد الحرب، ولم ينج منهم إلا عدد قليل جداً. وكانت "النهروان" آخر حرب خاضها أمير المؤمنين عليه السلام مع أعدائه الداخلين.

(١) يقول عتبة بن علقمة: دخلت على علي عليه السلام فرأيت يأكّل خبزاً يابساً مع لبن بائط، فقلت: يا أمير المؤمنين كيف تقاتل بهذا الخبز والطعام؟ فقال: "كان رسول الله ﷺ يأكل خبزاً أشدّ يبساً من هذا، ويلبس أحسن اللباس". وأمير المؤمنين يخشى أن لا يلتحق برسول الله إذا عمل غير هذا.

(٢) إشارة إلى نص الرسالة التي كتبها الإمام علي عليه السلام لأحد ولاته، ويدعى عثمان بن حنيف والي البصرة.

إنّ سقوط حكومة أمير المؤمنين عليه السلام - والتي ناهز عمرها الخمسة أعوام، ومع كل ما رافقها من المشكلات، ومع كل ما تحمّله أمير المؤمنين عليه السلام من المعاناة - يعتبر مصاباً عظيماً إذا نظرنا إليه من جهة. كما أنّ تلك الأعوام الخمسة تحتم على المسلمين إقامة الاحتفال لها مدى الدهر، فإنّ على المسلمين إقامة الاحتفال للعدالة وللبسط العدالة، إقامة الاحتفال لأجل حكومة يتمنى رئيسها والحاكم فيها (أمير المؤمنين "ع") الموت لاحتمال تعرض ذمّي أو ذمّية<sup>(١)</sup> لسرقة خلخالها في أحد أطراف بلاده. يقول عليه السلام: "ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيتزحزحها وقلبها وقلاندها ورعته، ما تمتنع منه إلاّ بالإسترجاع والإسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم؛ فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً".<sup>(٢)</sup>

تلك الحكومة هي التي ينبغي على الناس إقامة العزاء على ذهابها، وإقامة الاحتفال لتلك السنوات الخمس، احتفالاً بالعدالة، احتفالاً لله، احتفالاً لتساوي ذلك الحاكم مع رعيته، بل لتدني مستوى معيشتة عن الجميع. يحمل معنويات تفوق الآفاق جميعاً، في حين يتدنى مستوى معيشتة عن جميع أفراد أمتة!

﴿إنّ الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾<sup>(٣)</sup> هذا هو المقياس، فمن يكون قريباً من المستوى الحيواني في ممارسة إشباع لذائذه وفي مأكله وفي تحقيق منفعه في الدنيا، أي أنه يأكل ويلتذ دون أدنى تفكير في السبيل الذي جاءت منه هذه اللذائذ، كالحيوان. فالحيوان لا يأبه طبعاً بحلال ما يأكل أم حرام، ولا يهتم ما تعانيه الأمة من مشكلات. فأولئك الذين يتمتعون ويأكلون دون أدنى اكتراث، ودون أدنى ضابط أو قانون، دون قانون من الإسلام، أولئك مأكلهم حيواني ﴿والنار مثوى لهم﴾. ورد في رواية "أنّ للكافر سبع معي، وللمؤمن معي واحدة..".<sup>(٤)</sup>

فليس للمؤمن سوى معدة واحدة، وهي معدة يقيدها القانون. فبطن المؤمن وسائر غرائزه تخضع لضوابط الإسلام، والمؤمن لا يتجاوز تلك الضوابط. أما غير المؤمن، فإنه يأكل مدفوعاً بـ"الشهوة" دون الإلتزام بضابط ما، وتلك معدة واحدة، ويأكل مدفوعاً بـ"الغضب" دون ضابط، وتلك أيضاً معدة أخرى، ويأكل مدفوعاً

(١) الذمّي هو الشخص الذي عقد مع المسلمين معاهدة يعيش بموجبها في ظل الحكومة الإسلامية مقابل دفع الجزية.

(٢) إشارة إلى قضية هجوم سفيان بن عوف على مدينة "الأنبار"، والتي وقعت في عهد حكومة الإمام علي عليه السلام حيث سدّ أحد الجنود الطريق بوجه امرأتين، إحداهما مسلمة والأخرى ذمّية، وسلبهما خلخاليهما وسواريهما وقرطيهما.

(٣) سورة "محمد"، الآية ١٢.

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "سيكون من بعدي سمّة، يأكل المؤمن في معاء واحد، ويأكل الكافر في سبعة أمعاء". "وسائل الشيعة"، ج ١٣، ص ٤٠٦.

بـ"هوى النفس" أو "الغضب"، أو بـ"الغضب" و"هوى النفس"، وهذه ثلاثة معى، وهي معاً ستة معى، ثم بالجمع بين كل زوج من الثلاثة، "هوى النفس" و"الغضب" و"الشهوة" مع بعضها، فهذه سبعة معى. في حين أنّ المؤمن ليس له إلاّ معدة واحدة، هي أيضاً مقيدة بقانون، مقيدة بما قال به الإسلام، ولا يكون مدفوعاً بغضبه أو شهوته.. فتلك القوى أسلمت جميعها في المؤمن، وأصبحت تتبع العقل، والعقل بدوره يتبع الشرع.

لذا، ينبغي إقامة العزاء على زوال مثل هذه الحكومة التي هي حكومة العقل، وحكومة العدل، وحكومة الإيمان، الحكومة الإلهية. كما ينبغي على المسلمين إقامة الأفراح لقيامها، وإن كان ذلك لسنوات قليلة من عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكن ما نراه حالياً، يجعل روعي في عذاب دائم، وما أنقله لكم ليس خيلاً أو تصوراً، فإنّ رسائل وشكاوى حول تدهور الأوضاع تصلني من إيران، مع الأسف.

أحد العلماء المحترمين (سلمه الله) كتب إليّ من شيراز بأنّ قحطاً أصاب عشائر الجنوب هناك، وحالة القحط والجوع بلغت حداً دفعت بالناس هناك إلى عرض أبنائهم للبيع!<sup>(١)</sup>

عالم آخر من مدينة "فسا" كتب يشير إلى وضع مشابه عدا الفقرة الأخيرة، يقول (وهو روحاني): "صرت أفكر في كيفية توفير خبز أو لباس أو أي شيء لهؤلاء، مهما كان التعب الذي سيصيبني"، وقد أجزته أنا بدوري في توفير ما يحتاجونه من سهم الإمام عليه السلام.

من طهران كتبوا إليّ أنّ قحطاً وجوعاً شديدين وقعا في بلوشستان وسيستان وخراسان، إلى درجة أنّ الأهالي هناك هجموا على المدن الكبيرة المجاورة بنتيجة الجوع، فلا حيوانات لديهم فيذبحونها، وبقوا متحيرين هكذا من الجوع.

وفي حين أنّ أطراف إيران مبتلاة بهذه المصائب، فإنّ ملايين التومانات تُنفق على إقامة الاحتفالات الملكية<sup>(٢)</sup> فقد خُصص لإقامة الاحتفال في طهران وحدها - على ما ذكر في إحدى المطبوعات - مبلغ ثمانين

---

(١) بعض المصائب التي أشار إليها سماحة الإمام كانت تُنشر في الصحف آنذاك، فلقد نُشر في صحيفة "كيهان" المؤرخة في ١٩٧٢/٥/٣١ م ما يلي: "ترك كثير من الناس المحرومين أطفالهم الأعمام ومحبوبيهم في الطرق والشوارع يأملون الله وعيونهم تبكي وقلوبهم تتألم، بسبب الفقر، ومن أجل أن لا يشاهدوا موتهم التدريجي. وستُشر صور وتفاصيل ذلك فيما بعد".

(٢) بعد اعتقال سماحة الإمام ونفيه في عام ١٩٦٣م إتجه معارضو النظام إلى المواجهة السريّة، ومن أجل أن يظهر الملك موقعه وقوته، ولإلهاء الشعب، فقد قام عام ١٩٦٦م بإقامة احتفالات عديدة أهمها: الاحتفالات بمرور ألفين وخمسمئة سنة على الإمبراطورية الفارسية، ولأجل إقامة هذا الاحتفال - الذي اعتبر أكبر عرض معاصر في العالم آنذاك - فقد تم بناء مدينة بأثمن الزخارف إلى جوار تخت جمشيد. وقد شارك في ذلك الاحتفال تسعة ملوك، وخمس ملكات، وواحد وعشرون من أولياء العهد، وعدد كبير من رؤساء الجمهوريات

مليون تومان، هذا لمركز المدينة فقط. وقد دُعي الخبراء الإسرائيليون لتلك المراسم. وكما علمت - كتبوا إليّ - فإنّ الخبراء الإسرائيليين مشغولون حالياً بالإعداد لإقامة هذا الاحتفال، والترتيب لهذه المراسم. "إسرائيل" عدوة الإسلام! وعدو المسلمين الحربي في الوقت الحاضر! "إسرائيل" التي خرّبت المسجد الأقصى - الذي يريد الآخرون ترميمه، والتغطية على جريمتها<sup>(١)</sup> - إلى "إسرائيل" هذه يشحن النفط الإيراني<sup>(٢)</sup> وكما أعلنت

ومعاونيهم ورؤساء وزراء دول مختلفة. وكانت الموائد التي تقدم للضيوف هي من أغذية فنادق "ماكسيم" الدولية الفرنسية. وكانت أواني الغذاء والمشروبات والشاي والأواني الأخرى في المراسم من أفضل وأعلى الأنواع في العالم. وأقيمت في الصحراء آلاف القصور المتحركة، والخيم الجاهزة المزودة بأفخم وسائل الموبليات والديكور، في حين أنّ أكثرية الشعب الإيراني كانت تفتقد إلى الإمكانيات الأساسية كالماء والكهرباء والدواء. وقد كتبت مجلة "التايم" في العدد الرابع من شهر آب ١٩٨٠ قائلة: "حتى شهرزاد التي كانت تروي القصص لم يكن بإمكانها أن تحيي في إطار أساطير ألف ليلة وليلة المشاهد الفخمة للاحتفال بمناسبة مرور ألفين وخمسمئة سنة على الإمبراطورية الفارسية في خرائب تخت جمشيد"، عندما أقام الملك عرض "تخت جمشيد" الكبير، كان يرى نفسه وارثاً لأقدم الأنظمة الملكية في العالم، والتي سوف تستمر قروناً، بل حتى نهاية التاريخ. فمن من ضيوفه العظماء كان يتصور أنّ تاريخ الملكية في إيران الممتد إلى ألفين وخمسمئة سنة سيختتم بـ "محمد رضا شاه"؟!

(١) في ١٩٦٩/٨/٢١م أحرقت الصهائنة المحتلون لفلسطين المسجد الأقصى. وفي اليوم الأول من الفاجعة ذكرت الصحف الإيرانية أنّ احتراق المسجد الأقصى لم يكن متعمداً، وأنّ المحتلين الصهائنة متآلمين وقلقين من هذه الحادثة. وفي بيان له أعلن الملك: "إنّ الملك والشعب الإيراني كأبي مسلم سيساهم في جبران الخسارة الناجمة عن هذا الحريق، ويفخر أن يتحمل حصة من نفقات إعمار المسجد الأقصى قبله المسلمين.."، وقد فتح رقم حساب في البنك ودعا الشعب أن يودع المال في ذلك الحساب لجبران هذه الخسارة. وقد عارض الإمام آنذاك ترميم المسجد الأقصى، وطالب أن تبقى جريمة المحتلين للقدس شاخصة أمام أنظار المسلمين في العالم لتثير الثوار الفلسطينيين.

(٢) أثارت هزيمة الدول العربية من قبل "إسرائيل" عام ١٩٦٧م مشاعر الشعوب العربية ضد أمريكا التي أثبتت دائماً أنها المدافعة عن "إسرائيل"، والتي كانت تزودها بالأسلحة. لهذا قررت الدول العربية أن تمتنع عن استخراج وتصدير النفط في حالة حدوث حرب بين العرب و"إسرائيل". وفي عام ١٩٧٣م منعت تصدير نفطها إلى أمريكا وعدة دول صناعية أخرى وطالبت بخروج "إسرائيل" من الأراضي العربية. إلّا أنّ مقاطعة العرب لم تسبب مشكلة كبيرة لأمريكا وحلفائها، لأنّ الملك أعلن أنه يعارض قطع النفط، وعوّض بالنفط الإيراني نقص النفط في الأسواق الغربية إلى درجة كبيرة. وكان من أهداف سياسة زيادة إنتاج النفط من قبل الملك، تأمين النفط الذي تحتاج "إسرائيل" وجنوب أفريقيا.

الإذاعات العالمية - على ما يقال - فإن نافلة النفط الإيرانية قد توجهت بالفعل إلى "إسرائيل" التي تخوض حرباً مع المسلمين. وأولئك هم "الملوك" الذين ينبغي علينا إقامة الاحتفالات لأجلهم!!

لقد سوّدت الملكية في إيران وجه التاريخ منذ نشأتها وحتى اليوم، فجرائم الملوك في إيران سوّدت صحائف التاريخ، قتلوا الناس بمجازر جماعية، وبَنَوْا من رؤوسهم برجاً! <sup>(١)</sup> وعلينا نحن، وعلى الشعب المسلم أن يقيم احتفالاً لأولئك الملوك. وينبغي على كَسْبَةِ "أسواق طهران" - بل يجب - أن يدفعوا من رؤوس أموالهم التجارية للمساهمة في إقامة تلك الاحتفالات!!

إنّ الاحتفال ينبغي أن يقام من أجل ذلك الذي عاش المسلمون آمنون في ظل حكومته. أن يقام من أجل ذلك الذي يتمنى الموت لفقد ذمّةٍ خلخالها. لا لذلك الذي يرسل من يهاجمون الجامعة لمجرد ترديد أحدهم شعاراً يخالف هوى نفسه.

أيها الإخوة كتبوا إلينا بأنهم انهالوا بالضرب على الفتيات إلى درجة أن جلودهنّ أضحت تحتاج إلى عمليات جراحية. حدث هذا منذ أمد قريب، والنجف لا تدري بشي. إرتكبوا من الجرائم الأخرى ما لا يمكن ذكره! لماذا؟ لأنّ أولئك ردّدوا شعاراً يقولون: "نحن لا نريد الاحتفالات على مرور ألفين وخمسمئة عام.. نحن جائعون.. حلّوا مشكلة الجوع لدى المسلمين.. لا تقيموا احتفالاً على رفات الموتى".

أوصلوا هذا النداء إلى كل الدنيا يا إخوة! فلماذا تغطّ النجف بهذا السبات العميق؟ <sup>(٢)</sup> ألسنا مسؤولين؟ هل أنّ ما يجب أن نقدّمه إلى المسلمين هو أن ندرس.. وندرس فقط؟ ألا ينبغي أن نقوم بعمل ما لمساعدة المسلمين؟ ألا ينبغي أن نستنكر إرسال النفط الإيراني، نفط المسلمين إلى بلد يخوض حرباً مع المسلمين؟ أليس في ذلك ما يستدعي المعارضة؟ ألا ينبغي ذكر هذا؟

---

(١) في عام ١٣٠٩ هـ ق هاجم "آقا محمد خان القاجار" في حربه مع "لطف علي خان زند" مدينة كرمان، وبعد احتلالها قتل عدداً كبيراً من الناس، ونقل الأجساد إلى مدينة "بم" وبنى من رؤوسهم منارات هناك. وفي عام ١١٦٠ هـ ق هاجم "نادر شاه أفشار" تلك المدينة للقضاء على "قياقلي آقا" والي فارس، وقد اعتقل الأهالي "قياقلي" خوفاً على أنفسهم وسلّموه إلى معسكر "نادر"، فانصرف "نادر شاه" عن الذهاب إلى شيراز، وذهب إلى كرمان واستدعى كافة أعيان وعمال وشرطة فارس إلى كرمان، وأمر بقتل أكثرهم مع رؤساء كرمان، وبنى منارتين من رؤوس القتلى. وقتل "تيمور" ٧٠ ألف شخص من أصفهان، وبنى من رؤوسهم منارة (أنظر: "سيرة حياة رجال السياسة في إيران"، ج ٣، ص ٢٤٦-٣٧٧. و"الشیطان الأخضر"، ص ١٩٠).

(٢) كلمة الإمام تشير إلى سكوت المراجع والعلماء في النجف ومعارضتهم لمسير سماحته وتدخله في هذا النوع من المسائل.

لأي السلاطين نقيم احتفالاً؟ أي خير رآه الناس من السلاطين؟ نقيم الاحتفال لأجل "محمد القاجاري"؟<sup>(١)</sup> في زماننا نحن، أنا شخصياً، في زمني أنا كان يتم ارتكاب الجرائم مع أولئك المسلمين الذين كانوا في مسجد "جوهر شاد".. أية مقتلة تعرّض لها هؤلاء المسلمون؟ حتى أنّ دماءهم ظلّت تغطّي جدران المسجد إلى أمد طويل بعد ارتكاب المجزرة.. وأغلقت أبواب المسجد إخفاءً لآثار الجريمة<sup>(٢)</sup> وبعد هذا نقيم الاحتفال؟! الارتكابهم مذبحه الخامس من حزيران بذلك الشكل المروّع؟ أحد العلماء من قم قال لي: "لقد قتل في قم وحدها أربعمئة نفر!"، ويقال إنّ عدد القتلى بلغ حوالى خمسة عشر ألف نفر، أمن أجل ذلك نقيم احتفالاً؟! لأجل هؤلاء نقيم احتفالاً؟!

أفاضلهم قساة، فكيف بمن هو دون. أحد هؤلاء الملوك الذي يعدّ من أختيارهم - ولعل البعض يذكره، ويقرأ له الفتاحة! - قام مرة بربط مجموعة من الناس الذين كانوا في مسيره - وهو في طريقه إلى حضرة عبد العظيم - نعم، مجموعة من التعساء الذين كانوا يعانون الجوع والفقر، كانوا يقفون على جانبي الطريق، حينما أحس منهم بالتجاسر لإصابة عربته بحجر، أو أنهم رمّوه به، فأمر بربطهم بالحبال، فأخذوا وربطوا بالحبال ومات

---

(١) "آقا محمد خان القاجار" (١٧٧٦-١٨٣٢) مؤسس الدولة القاجارية. إتخذ - بعد قتله المفجع لـ "لطف خان زند" - من طهران عاصمة له في سنة ١٢١٠ هـ ق ولبس التاج. وكان "آقا محمد خان" رجلاً قاسياً وسفاكاً ميّت الإحساس، وعندما لم يجد "لطف علي خان زند" في كرمان أمر بارتكاب مجزرة عامة لأهالي كرمان، وقد أخرج جيشه خمسة وثلاثين ألفاً من حدقات عيون أهالي كرمان وأسروا ثلاثين ألف امرأة وطفل كرمانى. وفي أواخر عمره أصيب "آقا محمد خان" بالجنون، وأخيراً قُتل على أيدي ثلاثة من خدمه (أنظر: "سيرة حياة رجال السياسة في إيران"، ج ٣، ص ٢٤٦-٢٥٧).

(٢) أمر رضا خان في عام ١٩٣٥م بنزع الحجاب، وأثار أمره ذلك غضب الشعب واعتراض العلماء، وجاء آية الله السيد حسين القمّي من مشهد إلى طهران للاعتراض، ونزل إلى جوار حضرة عبد العظيم الحسني، وبمجرد معرفة الناس بمجيئه أسرعوا من أحياء طهران المختلفة نحو مرقد عبد العظيم الحسني. وقد أخاف اجتماع الناس رضا خان، وأمر بمنع دخول الناس إلى الحرم، وحاصر ذلك المكان، ووصل خبر محاصرة مكان آية الله القمّي إلى مشهد، فأقام الناس اجتماعاً كبيراً في الصحن الجديد للإمام الرضا عليه السلام، وجاء الأمر مباشرة بإطلاق النار على الناس. وبعد هذه الواقعة طلب "بهلول الواعظ" المعروف في خراسان من الناس المذعورين المفجوعين أن يجتمعوا في مسجد "جوهر شاد"، ولما وصل خبر هذا الاجتماع إلى رضا خان أمر مأموريه بأن لا يرحموا أي شخص، وأن يفرّقوا الناس بنيران الرشاشات، فأطلق المأمورون الناس على الجماهير المجتمعة في مسجد "جوهر شاد"، ثم ألقوا - بلا رحمة - أجساد الشهداء، وحتى الجرحى في السيارات، وحملوهم إلى خارج المدينة، ودفنوا الأجساد على شكل مجموعات في خنادق أعدت لهذا الغرض، وقد عُرف هذا الخندق بـ "مكان المجزرة".

العديد منهم نتيجة ذلك<sup>(١)</sup> إلى أن ذهب أحد الوزراء الكبار<sup>(٢)</sup> من إحدى مناطق إيران واعترض عليهم وعلى ما فعلوا بهؤلاء المساكين.

هذا ما كان من الملوك الخيرين، فوامصيتهاه من السيئين ممن نراهم الآن! أولئك يأكلون بسبعة معى، وفي الحقيقة هم لا يكثرثون بوجود الشعب، وما إذا كان لازماً لهذا الشعب أن يعيش.

كل يوم يكتب لنا الناس يطلبون الإجازة بإقامة حمام عمومي في مكان ما، ماذا حصل إذاً؟ لماذا تردونه عن إيران عن إيران المرفهة؟ إيران كلها في حالة رفاة!! أحقاً ذلك وهم يبيعون أبناءهم نتيجة الجوع؟! أحقاً أن جميع إيران مرفهة؟ أي رفاة في إيران؟! يقومون حالياً بنهب "أسواق بيع الجملة في إيران" ثم ينفقون جزءاً مما يجمعون على احتفالاتهم المخزية، والباقي ينفقونه، أو ينفقه رجالهم على أنفسهم.

لأي غرض تنفق ثروات الناس وثروات المسلمين المساكين على ذلك؟! مضافاً إلى ما ينفق من ميزانية الدولة الملايين! عشرات الملايين تنفق على مثل تلك السخافات والمهازل، لماذا؟ لمجرد هوى النفس، لأجل أن يقال بأننا أقمنا احتفالاً، وهذه مفاخرنا وأمجادنا!! وعندنا "محمد القاجاري"، ومن مفاخرنا أن عندنا "نادر قلي" ذلك السفك الكاذب، الله وحده يعلم أي نوع من البشر كان؟<sup>(٣)</sup> أهؤلاء يستحقون الاحتفال؟!

---

(١) قيل إن ناصر الدين شاه ذهب لزيارة حضرة عبد العظيم الحسني، وفي الطريق تجمّع بعض الجنود ليشتكوا إلى الملك من رئيسهم (علاء الدولة) الذي كان يسرق من حصتهم ورواتبهم، فتقدم رئيس فوج الجنود المسؤول عن القافلة وصاح على الجنود، إلا أنهم شتموه ورموه بالحجارة، وأصاب حجارة عربة الملك، فتغيّر وضعه، وبعد أن عاد إلى المدينة أمر باستدعاء الجنود؛ ومن أجل الحيلولة دون تعرض الجنود المساكين إلى مجزرة جماعية - جلب رجال البلاط عدة جنود من الشبان الناضجين ذوي المظهر الجميل حتى يعفو الملك عن جرمهم عندما ينظر إلى شبابهم، إلا أن الملك أمر بخنق الجميع! هذا الخبر نُشر في الصحف الأوروبية الصادرة في ذلك اليوم. ومن أجل التغطية على جريمته، إتهم ناصر الدين شاه رئيس الجند بقتلهم. ("الأحزاب السياسية في إيران"، ص ٢٢٦).

(٢) الشخص المشار إليه هو الميرزا يوسف الإشتياني (١٢٢٧-١٣٠٣ هـ)، الملقب بـ "مستوفي الممالك" والمعروف بـ "السيد" أو "الشريف".

(٣) نادر قلي أفشار قرخلو (١١٠٠-١١٦٠ هـ) مؤسس الدولة الأفشارية. وفي شبابه أسره "الأزبكان" ثم هرب، وعمل في خدمة حاكم "أبيورد" وحصل على منزلة لدى الحاكم بسبب نشاطه وقمعه لأعدائه، وتزوج من ابنة الحاكم "جوهر شاد". ولم يمضِ كثيراً من الوقت حتى ثار "نادر" على حاكم "أبيورد" وأمر بسلخ جلده أمامه! وبعد هذه الوقائع عمل في خدمة الملك "طهماسب"، وأخرج كافة المناطق الإيرانية من أيدي الروس

إنّ على المسلمين أن يقيموا العزاء على مثل هذه الحكومات، وأن يقيموا الاحتفال من أجل ذلك الذي إن احتمل وجود جائع في أقصى نقطة من بلاده أجاج نفسه هو. لأجل ذلك الذي كانت دار إمارته قرب المسجد. نعم، دار إمارته ودكة قضائه في نفس مسجد الكوفة.. فقد كان يفرش الأرض في زاوية من زوايا المسجد "ويأكل كما يأكل العبيد، ويمشي كما يمشي العبيد"<sup>(١)</sup> وحينما كان يحصل على ثوب جديد فإنه يعطيه لخدمه قنبر<sup>(٢)</sup> مكتفياً هو بما عنده من ثوب قديم. ويقطع أردائه الطويلة، ويلبسه هكذا، ثم يذهب لإلقاء خطبته، ويمارس شؤون حكومته على بلاد تعادل في سعتها عشرة أضعاف إيران.

هذا ما يستحق أن يقام لأجله الاحتفال.

إنبهوا يا سادة! أيقظوا النجف! إعتزضوا! فلو أنّ مئة برقية أرسلت من النجف يكتب فيها وبكمال الأدب: يا سيد، يا معالي فلان<sup>(٣)</sup> أشيع هؤلاء الجائعين، أنفق ما - تزعم إنفاقه على هذه الأمور - على الشعب الجائع المسكين، أنفقه على هؤلاء المفلسين الذين فر البعض منهم من إيران، فبعضهم هنا، وبعضهم في أماكن أخرى. لو أنّ مئة برقية أرسلت من هنا، من قبل العلماء والأفاضل والطلبة المتواجدين هنا - والكثرة له أثرها - ولكن من ذا الذي يتصرف هكذا؟

والعثمانيين والأفغان عندما تولى منصب قيادة الجيش، وقمع الأعداء الداخلين والأجانب. وبعد إقالة الملك "طهماسب" من الحكم عام ١١٤٨ هـ أعلن نفسه ملكاً. وقد حملت النفقات الباهظة في الحروب المتواصلة "نادر شاه" على الهجوم على الهند عام ١١٥١-١١٥٢ هـ واحتلالها. وفي أواخر حكمه أساء الظن بولده "رضا قلي ميرزا" وأمر بفقء عينيه، وأخيراً أصيب بالجنون وقتل عدداً كبيراً من أمراء وكبار البلاد، ولما بلغ به الأمر أن أراد قتل ضباطه وذويه، بادروا هم إلى قتله والقضاء عليه. وقد أدت حروب "نادر" التي استمرت ثمانية عشر عاماً إلى تدمير البلاد وتعريض الناس إلى الفقر والحرمان.

وكان سفاكاً، فقد أمر بقطع رؤوس ثلاثين ألف شخص من أهالي شيراز، وبنى من رؤوسهم منارتين. (راجع: "سيرة حياة رجال السياسة في إيران"، ج ٤، ص ١٩٣).

(١) روي عن الإمام الباقر عليه السلام حول أخلاق وسلوك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد". ("بحار الأنوار"، ج ١٦، ص ٢٢٥).

(٢) الاسم الأصلي لقنبر هو "أبو الشعثاء مولى بن معمر". كان عبداً زنجياً أعتقه الإمام علي عليه السلام. و"قنبر" اسم أطلقه عليه الإمام، وكان يحب الإمام كثيراً، ويخدمه باستمرار، وكان الإمام يثق به كثيراً. وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام إنتقل قنبر إلى خدمة الإمام الحسين عليه السلام ووقع في قبضة الأمويين، وفي أيام خلافة عبد الملك بن مروان استشهد على يد الحجاج بن يوسف الثقفي وهو في سن الخامسة والستين.

(٣) كناية عن الملك محمد رضا الذي يسمي نفسه "صاحب المعالي".



حقيقةً ألسنا مسؤولين؟ هل يكفي أن نقعد ههنا ونعاین ما یحل بهذا الشعب ثم نتوجه إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وندعو لهم؟ ألا ينبغي - والحال أن كل ما لدينا من المسلمين ومن أموالهم أن نخطو خطوة في سبیل المسلمين؟ - الترتب<sup>(١)</sup> هو الإسلام؟ إن هذه الأموال - التي وإن كان ما یخصص لنا منها مقدار قليل، إلا أنها مع ذلك - أموال المسلمين، ونحن نعتاش منها.. طیب إن ذلك حسن في موقعه، ولكن أیكفي ذلك؟ أیكفي أن نجتمع في المسجد الفلاني، أو المسجد الفلاني ونقرأ الفقه والأصول، ثم نكون غیر مكترثین تماماً بما یحل بالمسلمين؟ وغافلين عن أن هؤلاء اليهود يريدون السيطرة على الدول الإسلامية لكي یصلوا إلى هنا، بل إلى كل مكان؟ ثم یخربوا هذه الأضرحة؟ أعلینا أن نغفل عن ذلك؟ ثم نقبل بذلك الذي یزود هؤلاء اليهود بالنفط أن یكون مسلماً؟<sup>(٢)</sup> أليس في ذلك ما یستدعي الاعتراض علیه؟ یا سید إن نفط المسلمين، لماذا تعطیه إلى الكفار؟! لماذا تعطی نفط المسلمين إلى من یخوض حرباً ضد المسلمين؟! وسوف یجیب هو ویقول: "إن الحلفاء الذين دخلوا البلاد هم الذين نصبوني!" هو قال في إحدى خطبه: "جاء الحلفاء إلى ایران، وارتأوا أن من الصلاح أن أكون أنا، وتكون عائلة كذا.."، لعنهم الله على الصلاح الذي ارتأوه!<sup>(٣)</sup>

الأجیر للآخرین لا بد أن یقدم خدماته لهم، وليس له سوى ذلك. إنه هو النفس، كل ذلك من هو النفس. الهجوم على الجامعة ليس إلا هو النفس، وكذا الهجوم على المدرسة "الفيضية"، وارتكاب تلك البزائع فيها، والتي لم تكونوا تتوقعونها. أنتم لم تتوقعوا تلك المؤامرة التي نفذوها في المدرسة "الفيضية".. سید شاب یلقى من أعلى السطح، وقد جیء به بعد ذلك إلى منزلنا بظهر مكسور ومنحن! والإستهتار بعمائم المعممين، والتلويح بها بأطراف البنادق وإحراقها!! والإعتداء على حرمة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام<sup>(٤)</sup>، والإعتداء على حرمة القرآن الكريم!! ثم علینا بعد كل ذلك أن نقیم احتفالاً لأجل هؤلاء!!

(١) "الترتب" أحد مباحث علم أصول الفقه الذي يتناوله الأصوليون في مبحث الأوامر (النهي عن الضد، وتزاحم أمرين).. راجع: "كفاية الأصول" للآخوند الخراساني.

(٢) الملك.

(٣) قال الملك في جانب من خطابه الذي أصدره في تاريخ ١٣٦٠/١/٢٦م بمناسبة الذكرى السنوية ١٣٦٠/١/٢٦م: "من المحتّم أن یرحل رضا خان، وكان الحلفاء يتصورون أن خليفته وولده لديه نفس المشاعر، وبالفعل فإنّ الأمر كان هكذا. فما الذي يجب عمله؟ تأتّى الحلفاء المحتلون لإیران آنذاك لیومین أو ثلاثة لمعرفة طبيعة النظام الإیراني الجديد - أعني طبيعة الحكومة - ثم قالوا: حسناً لیبقَ الملك، ولكن لتكن مسؤولية الإشراف دون أن یكون له أي تأثير". هذا الاعتراف تم التستر علیه فيما بعد، وجمعت وثائقه.. راجع: "ظهور وسقوط السلطة البهلوية"، مذكرات المشیر السابق حسین فردوست، ج ١، ص ١٠٠.

(٤) وقعت فاجعة مدرسة "الفيضية" في ١٣٦٣/٣/٢٢م، الموافق للذكرى السنوية لاستشهاد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وقد تم في هذا الهجوم إحراق المصاحف. وبعد الهجوم انتهاكاً لحرمة الإمام الصادق عليه السلام لأنّ الحوزات العلمية لدى الشيعة كانت تُعرف منذ قديم الزمان بمدرسة الإمام الصادق عليه السلام. لذا، نرى أن الإمام اعتبر هذا العمل المخزي الذي أقدم علیه تجاسراً على حرمة الإمام الصادق عليه السلام.

لم يبقَ لنا ما نحفل به، فأبي احتفال بقي للشعب الإيراني؟

إنّ على الشعب الإيراني معارضة هذا الاحتفال معارضة سلبية، لا إيجابية، فليلازموا بيوتهم أثناء قيام مراسم الاحتفالات، ولا يشاركوا فيها، فالمشاركة غير جائزة في هذه الاحتفالات، وعليهم عدم الإذعان لمثل تلك الأمور ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

فإذا اعترض علماء إيران بأجمعهم، فهل سيعتقلونهم جميعاً؟! هل يعتقلونهم ويعدمونهم أو ينفونهم جميعاً؟! هل سيعتقلون علماء إيران بأجمعهم، وهم لا يقلّون عن مئة وخمسين ألف معمم في إيران؟! إذا اعترض كل أولئك الخطباء والمراجع وحجج الإسلام وآيات الله، إذا اعترضوا ومزّقوا حجاب الصمت والسكوت - الذي يعدّ بحدّ ذاته إقراراً منهم لكل تلك الأمور - هل سيعتقلونهم جميعاً وفي جميع أنحاء البلاد؟! إنهم لو كانوا يريدون أن يفعلوا ذلك لكانوا فعلوا ذلك معي أولاً، لكنهم لم يفعلوا، فهم لم يروا أنّ في ذلك صلاحاً، وليتهم فعلوا، فماذا أريد أن أفعل بهذه الحياة؟ الموت لحياتي هذه! إنهم يتوهمون أنني أعيش حياة طيبة، فيهددونني بالموت<sup>(١)</sup> أية حياة أحيّاها؟ ليأتوا وينهوا حياتي، وكلما أسرعوا كان أفضل - على الأقل أنّ الإنسان حينها لا يسمع - الإنسان سيذهب بعدها "عند أكرم الأكرمين" عند الكريم هناك، عند الله الكريم، ولن يسمع أمثال هذه الأمور التي تثقل أسماعنا يومياً، على الأقل أنه لن يسمع بأهات الناس وآلامهم، فها هي الأخبار تنقل لنا كل يوم نبأ: فعلوا كذا بالفتيات! قُتل البعض منهم. فهؤلاء الأشقياء السّفاحون هجموا وقت تناول طعام الغداء، وصبّوا قدر الغداء الحارّ (لا أدري ماذا) على رؤوس هؤلاء الأبرياء، لماذا؟ لأنهم قالوا مثلاً:

---

(١) كتب سماحة السيد أحمد الخميني في مذكراته: "بعد أن قُتل العميل الأمريكي "تيمور بختيار" (الحاكم العسكري لطهران بعد انقلاب ١٩٥٣/٨/١٩م وأول رئيس لـ"السافاك" في إيران) خلال عمليات تم تنظيمها بسريّة تامة [راجع: "مذكرات المشير فردوست"، ج ١، ص ٤١٥] بواسطة "السافاك" بينما كان في حراسة مشددة من قبل حزب البعث العراقي، وذلك في مكان صيد في العراق، جاء معاون مديرية "السافاك" في محافظة قم إلى منزل الشيخ الإشرافي (صهر سماحة الإمام) ليسلمني وصهر الإمام رسالة مهمة جداً حسب قوله من المديرية العامة لـ"السافاك"، وقد تكلم حينها أكثر من ساعة، وتتلخص رسالته في الآتي: بعد مقتل السيد "بختيار"! تعتزم الحكومة العراقية اغتيال السيد الخميني في النجف، وتلقي تبعية ذلك على عاتقنا. فنجوكم إبلاغ السيد الخميني بالموضوع. وعند الذهاب قال: إذا أردتم إطلاع الناس على الموضوع فلا مانع! وبعد خروجه قلت للشيخ الإشرافي: لا بد أن يكون لـ"السافاك" هدف خاص من وراء ذلك، وهو يرغب بإشاعة هذا الموضوع. فنقلت الموضوع للإمام، ولكنني لم أقله لشخص آخر. وأدى صمتنا إلى مراجعة "السافاك" للشيخ الفلسفي، الواعظ المشهور، وأخبروه بالموضوع؛ ولما كان الشيخ الفلسفي لا يعرف ماهية القضية أعلن الموضوع من على المنبر. وكان استنتاج الإمام الخميني من هذه الرسالة هو أنّ النظام هدده بهذه الوسيلة، وأراد في الحقيقة أن يقول للإمام: بأنهم قتلوا "بختيار" رغم الحراسة المشددة من قبل الحكومة العراقية، فكيف به وهو دون حراسة.

"الموت لزيد، يعيش زيد!!"، وهل يستدعي ذلك قتل الناس؟! قالوا مثلاً: ماذا تنفعنا الاحتفالات بالسنة الألفين وخمسمئة؟! "إنّ مَنْ ينبغي أن يقيموا الاحتفال هم أولئك الذين يتمتعون بالحياة، أولئك الذين تظلمهم حكومة، يعيشون مرفّهين آمنين في ظلّها. الاحتفال يقام لحضرة أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان الناس يتمتعون بالأمان تحت ظل سيفه، كانوا مطمئنين، لا يخاف أحد في ظل حكومته إلّا من نفسه، لا يخاف من الحكومة، فالحكومة حكومة عدل، وحكومة العدل لا خوف منها، وعلى الإنسان أن يخاف من نفسه حينها.

أما هنا فالأمر مختلف تماماً، فهل يخاف الناس في بلادنا كلٌّ من نفسه؟ أم أنهم يعيشون في قلق دائم من احتمال حضور قوات الأمن في أية ساعة لمداهمة البيت؟ الفرد في بلادنا بريء ولكن ماذا يفعل؟ فإنّ مجرد الإحتمال الضعيف - تماماً كما كان في زمن الحجاج وزياد وأمثالهما، حيث كان مجرد احتمال كون الإنسان من شيعة علي عليه السلام <sup>(١)</sup> كافياً لاعتقاله وتعذيبه، وفعل كذا به - أو كلمة نصح واحدة يقولها أو ينشرها، كافية لاعتقاله، ثم لا يعلم بعدها مصيره.

فإنّ شخصاً يقول كلمة على المنبر، كلمة ليس فيها أي مساس، إذا بهم يجرونه ويسجنونه. ألسنا مسؤولين عن ذكر هذه الجرائم على الأقل؟

أنا شخصياً، أعلم ماذا عليّ أن أفعل، أعرف مسؤوليتي وأعلم أنّ من مسؤوليتي تذكيركم، وأنّ أصرخ إلى المدى الذي يبلغه صوتي، وأنّ أكتب إلى المدى الذي يبلغه مداد قلمي، وأنشر ذلك. فإذا ارتأى الإخوة الأفاضل أنّ هذه الأمة الإسلامية أمّتهم وشيعتهم، ورأوا أنّ في ذلك صلاحاً أيضاً، فليفعلوا هم ذلك أيضاً، والله سيحفظهم إن شاء الله تعالى.

أينبغي أن أتحدث إليكم الآن عن الأخلاق؟! إنهم يقضون على أسس الإسلام ويدمرون المسلمين، وأقعد أنا الآن لأتحدث إليكم حول تهذيب النفس؟ إننا غير مكترئين لأننا غير مهذبين، ولو كنا مهذبين لا كترنا بما يحصل..

إنّ أمامكم طريق واحد، وهي أن يكتب كل واحد منكم رسالة واحدة، رسالة لا تكلف رسومها البريدية كثيراً، وإن كان ذات أيديكم قليلاً، أكتبوا في سبيل الله رسالة واحدة وأرسلوها إلى حكومة إيران، قولوا فيها: يا

---

(١) تعرّض الشيعة مراراً لظلم الخلفاء الأمويين والعباسيين. فقد قام عبيد الله بن زياد - أحد ولاة يزيد منذ بدء تسلّطه على الكوفة، وإقدامه على قتل مسلم بن عقيل حتى آخر يوم من حياته - بسجن وتعذيب أو قتل اثني عشر ألفاً من الشيعة على الأقل بجرم حب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك في زنانات مظلمة. وكان يأمر بالتمثيل بالشيعة وبقطع لسان كل مَنْ يجده مصراً على حب الإمام علي عليه السلام، حيث حصلت هذه الجريمة مع ميثم التمار، الصحابي الوفيّ لأهل البيت.

ومن الحكام الظالمين والسفّاكين الآخرين "الحجاج بن يوسف الثقفي"، الذي كان يفضل الزنديق والكافر على شيعة علي عليه السلام. وقد قتل آلاف الأشخاص بجرم أنهم شيعة (أنظر: "تاريخ الشيعة"، ص ٤٠).

سيد كفّ عن إقامة هذا الاحتفال، فالناس جياع، أشبع الجائعين! كذلك فإنّ عليكم رجاء السادة المحترمين أن يتوجهوا هم بدورهم بالرجاء - ولا أقول أن يتحدثوا إنما أقول أن يتوجهوا هم أيضاً بالرجاء، الرجاء والتوسل<sup>(١)</sup> - إلى السادة المحترمين الأفاضل والعلماء والمراجع المتواجدين هنا بالقول: "مولانا، إنصحو هذه الحكومة، فهي تدمر الناس، وإذا قطع اللجام فإنّ الآتي أمرٌ وأنكى". إنهم يقومون كل يوم بعمل ما، فإنّ لديهم خبراء لافتعال الأمور، كل يوم يقيمون احتفالاً، وكل يوم يعدّون خطة ما، إنهم يقومون بما لا يخطر في أذهاننا أنا وأنتم.

إذا بدأ الاعتراض، إذا صدر عنكم رجاء وطلب مؤدب موجّه إلى الدول الإسلامية الأخرى، وإلى أولئك الذين ينوون المشاركة في هذا الاحتفال المشؤوم فيصبحوا بذلك شركاء جرم في دماء الشعب الإيراني، إذا كتب إلى أولئك: "يا سيد، لا تذهب إلى هذا الاحتفال، فهذا احتفال قذر، لا تذهبوا إليه"، فلعل ذلك يؤثر، قولوا لتلك الدول الإسلامية أن لا تشارك في هذا الاحتفال الذي تُعدّ "إسرائيل" مائدته، أو تُعدّ لها. إنّ خبراء "إسرائيل" مشغولون الآن في شيراز<sup>(٢)</sup> بالإعداد لهذا الاحتفال. فلا تذهبوا إلى هذا الاحتفال الذي يُعدّ له الخبراء الإسرائيليون.

نسبت "إسرائيل" منذ مدة تهمة انتشار بعض الأمراض في ألمانيا إلى القرآن الكريم "ذلك لأنّ القرآن صرّح في الآية السادسة من السورة الخامسة بأنه لا يحق للمسلمين غسل أيديهم بعد الذهاب إلى "بيت الخلاء" بالماء والصابون، ويتحمّ عليهم أن يفعلوا كذا لمحل التخلي بأيديهم غير أنه لا يحق لهم بعدها سوى غسل أيديهم بالماء الخالي! لذا فإنّ الميكروبات تنتقل بواسطة الأيدي".

ما هي الآية السادسة من السورة الخامسة؟ إنها آية الوضوء والغسل.<sup>(٣)</sup>

(١) من الفقرات المذكورة أعلاه في الخطاب يتّضح مدى وحدة الإمام في ساحة المواجهة، وغرته ومظلوميته في النجف، كما يتّضح مدى الصمت واللامبالاة السائدة في أجواء الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

(٢) المقصود هي الاحتفالات التي أقيمت في منطقة "تخت جمشيد" على بعد ٥٦ كم شمال شرق شيراز، وفي سهل "مرو دشت"، وذلك بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على الإمبراطورية الفارسية.

(٣) الآية ٦ من سورة المائدة: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتميموا صعيداً طيباً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون". في عام ١٩٧١م ذكرت إحدى الصحف في ألمانيا الغربية أنّ شيوع نوع من الأمراض السارية بين المسلمين هو نتيجة طبيعة التطهير السائدة بين المسلمين الذين يغسلون من دون استعمال الصابون ومواد التطهير، وفي النتيجة فإنّ الجراثيم تبقى ناشطة. كما قالوا: إنّ القرآن منع المسلمين من استعمال الصابون، واستشهدوا بالآية المذكورة. ولم تبقَ هذه المقالة دون جواب، حيث كتب الطلبة الجامعيون المسلمون الدارسون في أوروبا مقالات في الصحافة للرد على ذلك، كما أقيمت ندوة حول الصحة من وجهة نظر الإسلام.

وقد أدى هذا الأمر إلى حدوث ضجة إعلامية في ألمانيا بحيث كُتب بهذا الأمر إلى السلطات الصحية وإلى الجهة الفلانية، وإلى فلان.. وأذاعت "إسرائيل" "بأن الأمر الفلاني قد نُسب إلى القرآن". هذه "إسرائيل" وهذا هو عداؤها للإسلام.

في السنة الماضية قاموا بتحريف القرآن، والآن - قبل مدة وجيزة - قاموا بنسب أمر كهذا إلى القرآن الكريم، وتسببوا في كل تلك الضجة.

اللهم أيد هؤلاء الطلبة الجامعيين المتواجدين في الخارج، فقد وقفوا - بمنتهى الجدية - لتكذيب الأمر، كتبوا ونشروا وأعدوا اللقاءات مع المسؤولين هناك، وأوضحوا أن الأمر كذب برمته، ونشروا ذلك في مطبوعاتهم. وكم هي جهود قيمة تلك التي قاموا ببذلها؟ فهل قمنا نحن لحد الآن بخدم كهذه؟ وهؤلاء طلبة جامعيون يدرسون العلوم الحديثة، كل ما في الأمر أنهم مسلمون واعون.

أنا وأنتم طلبة جامعيون تقليديون أيضاً، إلا أننا نيام ومبتلون بعقد الوضع السائد هنا، حيث لا يمكننا قول كلمة واحدة! فالحديث مع المرجعية أمر غير مستساغ! المرجعية؟ لا، إن الحديث مع أي معمم أصلاً غير مستساغ! والمعمّم لا ينبغي أن يتحدث.<sup>(١)</sup>

ألم يكن أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً - ألم يكن كذا - أوليست لديه كل تلك الخطب الطوال؟ حضره الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ذاته كان لديه خطب طويلة، ألم يكن خطيباً؟ ولكن الأمر حينما يصل إلينا، نختلق الأعذار لكي نفر من المسؤولية.

لا ينبغي أن تتربّوا على هذا الأسلوب يا إخوة. أنتم مكلفون بخدمة الإسلام، مكلفون بذلك، والخدمة ليست في استيعاب الدروس بشكل جيد، وإن كان هذا أيضاً من ذاك. إنكم مكلفون في المشاركة بما يساهم في إزالة العقبات التي تعترض سير المسلمين، إنكم مكلفون بالتدخل في ذلك.

أثقلوا أسماعنا بتكرار مقولة: "ما شأنكم بعمل الدولة يا سادة، الدولة لا أدري ماذا!". كرروا ذلك كثيراً على أسماعنا، ونحن صدّقنا بدورنا بأننا يجب أن لا نتدخل في عمل الدولة، ويجب أن لا نعارض.

إن الأنبياء والعلماء كانوا يقفون بوجه حكومات الجور، منذ بدء التاريخ البشري وحتى الآن، أفلم يكن أولئك يعقلون؟ وحين بعث الله (سبحانه وتعالى) موسى عليه السلام للقضاء على ذلك الملك<sup>(٢)</sup>، ألم يكن (سبحانه وتعالى) مدركاً للقضية! كإدراكنا لها أنا وأنتم "أم أن عليه أن لا يعارض الملك؟".

(١) إشارة إلى جو الصمت في حوزة النجف.

(٢) فرعون ملك مصر.

ينقل الطبري<sup>(١)</sup> وابن الأثير<sup>(٢)</sup> رواية عن الرسول ﷺ أنه قال: "إن من أبغض الكلمات إليّ هي كلمة "ملك الملوك"<sup>(٣)</sup> أي أنّ كلمة "ملك الملوك" من الكلمات المبغوضة إن هي نُسبت إلى شخص من البشر، فهي لله تعالى.

ومنذ القدم كان الأنبياء ﷺ وإلى نبوة الرسول الأكرم ﷺ ثم خلال إمامة الأئمة ﷺ جميعهم كانوا يواجهون الظلم، حتى حين وجودهم في السجن فقد كانوا يواجهون الظلم، فموسى بن جعفر ﷺ لم يترك مسؤوليته في المواجهة حتى عندما كان يرزح في السجن<sup>(٤)</sup>، وكذا أبو عبد الله الحسين ﷺ<sup>(٥)</sup> فقد كان يقف بوجه هؤلاء رغم التقية الكذائية والكذائية، تنقل الرواية المقبولة<sup>(٦)</sup> أنه كان يقف ضدهم بالكلام، ويمارس التبليغ، ويحرك الناس لمعارضتهم.

وإذا تعمّقنا بالنظر، نرى أنّ الإمام الحسن ﷺ وقف بوجه معاوية الذي كان حاكماً في زمنه - رغم أنّ الجميع بايع ذلك النافه وكان يخشى سلطانه - إلا أنّ الإمام الحسن ﷺ وقف ضده ما استطاع إلى ذلك

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ)، من مشاهير المؤرخين المسلمين وصاحب "تاريخ الطبري".

(٢) عز الدين علي بن أثير الجزوي (٥٥٥-٦٣٠ هـ)، أحد كبار المؤرخين والمحدثين المسلمين، وكتابه في التاريخ الموسوم بـ "كامل التواريخ" والمعروف بـ "تاريخ ابن الأثير" من الكتب التاريخية المهمة.

(٣) روي عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: "إنّ أخنع اسم عند الله رجل تسمّى "ملك الملوك". "صحیح مسلم"، ج ٣، ص ١٦٨.

(٤) ورد في كتاب "در التنظيم" نموذج لمعارضة الإمام المعصوم ﷺ لهارون الرشيد: أرسل هارون الرشيد الفضل بن ربيع إلى السجن لإيصال رسالة إلى الإمام ﷺ يقول الفضل: رأيت الإمام ﷺ يصلّي، فانتظرت فترة، وبعد أن أنهى الإمام الصلاة، بدأ بصلاة أخرى من دون توقف، وكرر ذلك مراراً، حتى بادرت بالكلام فقلت: بعثني أمير المؤمنين إليك، وقال: قل لأخي أن يأمر بكل ما يريد. وأمرني أن أجيبك لكل ما تطلب. فقال الإمام: "لا مالي حاضر فينفعني ولم أخلق سؤالاً" ثم كبر ودخل في الصلاة. وكان الإمام السجّاد ﷺ على اتصال بالثوار في زمانه في السجن، وكان يقود المواجهة ضد حكومة الجور.

(٥) في كتب الحديث والفقه، يكنّى الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق ﷺ بـ "أبي عبد الله".

(٦) "رواية مقبولة" وهي رواية عمر بن حنظلة، حيث سأل الإمام الصادق عن التحاكم إلى الطاغوت، ومنعه الإمام، وأوصى الشيعة بالرجوع إلى الفقهاء. رواية مقبولة ("وسائل الشيعة"، ج ١٨، أبواب صفات القاضي، ص ٩٨-٩٩، وكتاب "البيع" للإمام ﷺ، ج ٢، ص ٤٧٦).

سبيلاً<sup>(١)</sup> إلى الوقت الذي حالت مجموعة من البسطاء بينه وبين مواصلة دوره في المواجهة. وقَبِلَ في ظل تلك الظروف بالصلح مع معاوية. وخلال فترة الصلح لم يدخر وسعاً في فضحه وإخزائه<sup>(٢)</sup> بل إنَّ ما عرَّضه إليه من الخزي والعار لا يقلُّ عما عرَّضه الإمام الحسين عليه السلام ليزيد.

فالمواجهة إذاً كانت قائمة على الدوام، وبعد ذلك أيضاً، إنبرى العلماء للوقوف بوجه المستبدين وحكام الجور، فقد عارض العلماء العظام ما كانوا يرونه مثلاً من إنفاق خزينة البلاد على الموائد والبطون على أيدي هؤلاء المتجبرين أو أي ممارسة أخرى من ممارساتهم كاقتراض القروض التي تثقل كاهل الشعب، والتي

---

(١) بعد انتقال الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام ومبايعة الناس له، تحرك معاوية - وكان خائفاً - بجيش كبير نحو العراق لمحاربة الإمام. وبمجرد اطلاع الإمام عليه السلام على الخبر خطب بالناس في المسجد الجامع، وحثهم على الجهاد ضد معاوية، ولما أبدى الناس ضعفاً، قام أصحاب وقادة مشهورون مثل: عدي بن حاتم وقيس بن سعد بن عباد، بالخطابة، وحرَّضوا الناس على طاعة الإمام، والقضاء على فتنة معاوية. وعندما أعلن الناس استعدادهم، أرسل الإمام جيشاً نحو العدو يبلغ تعداداه أربعة عشر ألفاً بقيادة عبيد الله بن عباس كمقدمة للجيش، ومع كل هذا لم تكن لدى جيش الإمام معنويات كافية، ولم يكونوا مستعدين للتضحية والجهاد في طريق عقيدتهم، وبعد أن أعطى معاوية ذهباً وفضة لقادة الجيش تركوا ساحة المواجهة الواحد تلو الآخر. وتركوا الإمام الحسن عليه السلام وحيداً، وحصلت ظروف صعبة فاضطر الإمام إلى عقد الصلح مع معاوية.

(٢) تنص اتفاقية السلام الموقعة بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية على ما يلي:

- ١- يكون الحكم لمعاوية بشرط أن يعمل بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين.
- ٢- ينتقل الحكم إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية، وإذا حصلت له حادثة يتولى الإمام الحسين عليه السلام الخلافة، ولا يحق لمعاوية أن يختار شخصاً آخر خليفة له.
- ٣- يترك معاوية لعن أمير المؤمنين عليه السلام، ويتعهد بعدم ذكره بغير الخير.

٤- يستثنى بيت المال في الكوفة - والذي تبلغ أمواله خمسة ملايين درهم - ولا يردُّ إلى معاوية، ويجب أن يرسل معاوية كل سنة مليوني درهم للحسين عليه السلام، ويعطي لبني هاشم امتيازاً على بني أمية في العطاء والهدايا، ويوزع مليون درهم على ذوي الشهداء الذين قتلوا في ركاب أمير المؤمنين عليه السلام في معركتي الجمل وصفين، وكل هذه الأموال يجب أن تدفع من أموال الخراج.

٥- يجب أن يكون الناس في أمان، في أي أرض كانوا، في الشام والعراق أو اليمن أو الحجاز، ويتمتع الأسود والأحمر بالأمن، ويتجاهل معاوية أخطاءهم، ولا يؤاخذ أي شخص على أخطائه الماضية، ولا يأخذ أهل العراق بالأحقاد الماضية. ولا يكون أصحاب علي عليه السلام خائفين على أموالهم وأبنائهم، ولا يلاحقهم أحد ولا يعرضهم لمصيبة، ويوصل حق كل ذي حق إليه. ولا يؤخذ من أصحاب علي عليه السلام ما عندهم، ولا يتآمر لقتل الحسن عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام ولا أي شخص من أهل بيت رسول الله ﷺ. ولا يحصل تهديد لهم ولا تخويف في كل آفاق الديار الإسلامية.

وفي أول خطاب ألقاه معاوية في مسجد الكوفة أعلن فيه بطلان المعاهدة. وفي نفس ذلك المجلس خطب الإمام الحسن عليه السلام وأشار إلى غدر وخيانة معاوية، وكان كلامه مؤثراً إلى درجة أن قام بعض الحاضرين ولعنوا معاوية. راجع: "صلح الإمام الحسن"، ص ٣٥٣-٣٥٨ و ص ٣٨٥-٣٩٢.

ينصرفون هم بعدها للإنغماس في ملذاتهم، وإشباع شهواتهم. فكم من مئات الألوف التي اقترضها (هذا الشخص) وسافر لأجل ذلك مرات ومرات. وإلا فهل هناك حد تقف عنده شهوات الإنسان؟

العلماء عارضوا أولئك<sup>(١)</sup> وحينذاك كانوا مقتدرين، وكان الشعب حياً، فوقف معهم. فقد كانت الأعمال تُعرض عليهم. وكذا سيكون الحال معنا لو كنا مسؤولية خاصة. وإذا كان لمئة مليون إنسان مئة مليون رأي، فلن يستطيعوا إنجاز أي عمل "يد الله مع الجماعة"<sup>(٢)</sup> فالأمر يحتاج إلى التكتل. والمتفرون لا يمكنهم إنجاز عمل ما، فلو أن علماء إيران، من قم ومشهد وتبريز وأصفهان وسائر الأفراد في البلاد إعترضوا بشكل جماعي على الأمر الفلاني، وعلى الأعمال الشائنة التي يمارسها أولئك، وتلك الجرائم التي يرتكبونها، والموائد والحفلات التي يريدون إقامتها، والتي تساهم في تدمير الشعب والبلاد، فلا شك أن ذلك سيترك أثره، وسوف ينتهي الأمر بتراجع الحكومة أمام الشعب. ونحن شخصياً رأينا كيف تراجعت الحكومة في المواجهة الأخيرة نتيجة الإتحاد والتحرك الجماعي المنسجم.

ولكن إذا لجأنا إلى إسقاط التكليف الشرعي عنا جميعاً، وكل واحد لسبب ما، فيا للمصيبة حينها! إن وجود المعممين على هذا النحو يعدّ مصيبة على الإسلام، نعم معمم مثلي أليس مصيبة؟

إنني أحذركم، فمستقبلكم سيكون أشد ظلمة من حاضرکم. إنتهوا ولا تقعدوا هنا تحدّدون لأنفسكم تكليفاً شرعياً خاصاً بكم! إن لديكم القدرة، ولديكم النفوذ بين الناس، بل إن القدرة التي توفرت لديكم تفوق ما توفر للإمام الحسين عليه السلام من قوة. فلم يكن لديه عليه السلام قوة يعتدّ بها، إلا أنه نهض رغم ذلك، ولو أنه عليه السلام كان متعاساً - نعوذ بالله - لاستطاع التعوّد متعللاً بالقول: ليس تكليفي أن أثور. ولكن القصر الأموي سيسرّ بقعوده عليه السلام وعدم تعرّضه لهم بكلمة، وكان تحقق بذلك مرادهم. غير أنه عليه السلام راسل مسلم بن عقيل ليقوم بدعوة

---

(١) في عهد "مظفر الدين شاه" (١٣١٣-١٣٢٤ هـ) أدت العطايا الكثيرة، ونهب رجال البلاط، ونفقات السفر الباهظة إلى أوروبا، إلى إفراغ خزينة البلد. وفي تلك الأوضاع إرتأت الدولتان الاستعماريّتان، الروسية والإنكليزية، أن الوقت مناسب، فاقترحتا على الملك إقراضه مبالغ ضخمة من المال مقابل أخذ الحقوق الجمركية والدخل الحاصل من الثروة السمكية في الشمال ومؤسسات البريد وامتيازات أخرى كضمان لهذه القروض!

وكانت القروض المستلمة أكثر من مليوني ليرة إنكليزية، و٣٨ مليوناً من "المنات" الروسي، وقد اعترض على الحكومة العلماء والمجاهدون الواعون أمثال آية الله الطباطبائي، وآية الله البهبهاني وآخرون من الوعاظ الشجعان، بل وحتى الصحف آنذاك، ودعوا الناس إلى أخذ حقوقهم. وللإطلاع على تفصيل القضية راجع: "التعسف في إيران"، ص ١٣ و ١٩.

(٢) حديث منسوب إلى الرسول الأكرم ﷺ "صحيح الترمذي"، ج ٩، ص ١٠.



الناس إلى بيعته لإقامة الحكومة الإسلامية، والإطاحة بتلك الحكومة الفاسدة. ولو أنه ﷺ لازم مكانه في المدينة، وباع حينما جاءه ذلك التافه<sup>(١)</sup> طالباً منه البيعة - نعوذ بالله - لسرّوا بذلك كثيراً ولقبّلوا يده أيضاً. واليوم، عليكم الإنتباه إلى أن الحكومة إذا عاملتكم باحترام، فهو كاحترامهم لمرآقد أبناء الأئمة ﷺ، فهم يُظهرون لها أشد الإحترام لعدم تمكن الموتى من تشكيل خطر مباشر عليهم أو على حكوماتهم، ولكن ابن الإمام ذاته لو كان حياً وقال كلمة واحدة، لا بل لو أنّ أمير المؤمنين ﷺ بنفسه جاء وعارضهم بكلمة، لأحلّوا به نفس المصير الذي يحلّونه بالآخرين.

إنّ مَنْ لا يكثرثون بأمور المجتمع، والغافلين عما يحل بالناس من جرائم ترتكب في مختلف البلدان الإسلامية، والساكّتين والمشغولين بالأكل وإشباع الملذات، والسعي وراء مظاهر الحياة المادية فقط، هم المصداق الأمثل لهذه الآية الشريفة ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فهؤلاء غافلون عن أنهم يرتزقون من مال الإسلام، وأنّ عليهم أن يقدّموا مقابلاً لذلك للإسلام والمسلمين. فهم كالحيوانات، والحيوان لا يعلم مصدر طعامه الذي يأكله، ولو أنّ البشر قُتلوا بأسرهم وكان علفه في مكانه فهو مسرور مرتاح وليس هناك ما يزعجه، إنه يريد علفه فقط ليأكل ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، إنّ أمثال هؤلاء يلحقون العار بالدنيا، ويلحقون العار بالمسلمين.

أيدكم الله تعالى جميعاً، وأيقظ حوزات المسلمين والإسلام، وأيد العلماء الأعلام وألفت أنظارهم إلى هذه المفاسد.

عليكم جميعاً مسؤولية الدعاء للإسلام والمسلمين ولهؤلاء المساكين الجائعين والبائسين المبتلين، الذين يروح البعض منهم في السجون، ويعاني البعض الآخر العذاب، ويرقد بعضهم الآخر على فراش المرض في المستشفيات بانتظار إجراء العملية الجراحية لما أصاب جلده، أو غير ذلك. تضرعوا لهم في الدعاء، فهؤلاء مسلمون، هؤلاء مساكين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) الوليد بن عتبة، حاكم المدينة آنذاك.

(٢) سورة "محمد"، الآية ١٢.

## هوية الخطاب رقم (٢٢)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري<sup>(١)</sup> في ٤ ذي القعدة هـ.ق، (١٩٧١/١٢/٢٣ م).

- الموضوع: إعلان الإمام عن عزمه على مغادرة العراق، وإدانة النظام البعثي في تفسيره للإيرانيين.
- المناسبة: تفسير النظام البعثي للإيرانيين المقيمين في العراق.
- الحاضرون: حوالى ألفي شخص من العلماء والطلاب وجمع من الإيرانيين المقيمين في العراق.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

رغم أن الإمام قدس سره كان يعيش منفياً في العراق، ورغم أنه كان يُعتبر أشد المعارضين للنظام الإيراني، لكنه لم يستغل الاختلافات القائمة بين الحكم البعثي والحكومة الإيرانية لصالحه. وفي عام ١٩٧١م أقدم النظام العراقي على عمل إنتقامي، فقرر إخراج عشرات الآلاف من الإيرانيين من الأراضي العراقية ملقياً بهم على الحدود الصحراوية بين البلدين في ظروف مأساوية. ونتيجة لهذا العمل اللاإنساني إعترض الإمام قدس سره بشدة على حكام العراق، ولم تؤثر أساليب النظام العراقي الرامية إلى إسكات الإمام، بأي شكل من الأشكال، فاضطر إلى القيام بمناورة جديدة وامتنع - ظاهرياً - عن إخراج الإيرانيين إلا أنه كان يدفعهم إلى ترك العراق بصورة غير مباشرة، ومن خلال التعامل معهم بصورة قانونية جامدة.

ومن جهة أخرى، أعلن - ومن خلال مسرحية وساطة تيمور بختيار - أن إخراج الإيرانيين قد أوقف، وأن الذين خرجوا يمكن عودتهم إلى العراق. وفي الوقت نفسه رسم مخططاً لحمل الإيرانيين وخاصة العلماء على ترك العراق بأنفسهم.

في ١٩٦٩/٧/٥م سافر محافظ كربلاء الجديد، ويدعى "شبيب المالكي"، إلى النجف، والتقى بالإمام، وبعد أن أبلغه تحيات رئيس الجمهورية العراقية، قبل بعدم اهتمامه، مما أثار دهشة الحاضرين. وفي اليوم التالي كتبت صحيفة الجمهورية - التابعة للنظام العراقي - خبر لقاء محافظ كربلاء الجديد مع الإمام الخميني وعدد من العلماء الآخرين محرّفاً وكما يلي: ".. وقال المحافظ في هذا اللقاء: إن الحكومة الثورية التي رأسها أحمد حسن البكر تكن احتراماً خاصاً لرجال الدين، لأن العلماء هم رجال الحق والعدالة والمحبة والأخوة، وإن ثورة ١٧ تموز ستسعى لتحقيق كافة مطالبهم العادلة. وقد شكر العلماء المحافظ وتمنوا الموفقية للمسؤولين، ثم أشاد العلماء بإجراءات الحكومة الرامية إلى إعادة الإيرانيين المبعدين إلى العراق، وعبروا عن إدانتهم للحكم المتجبر في إيران، ومحاولاته في خلق المشكلات الحدودية بين البلدين، وبالأخص خلقه مشكلة حول شط العرب".

---

(١) في المستندات الموجودة في ملف الإمام الخميني في "السافاك"، ذكر أن محل الخطاب كان منزل الإمام، وهو خطأ ظاهر.

وقد غضب الإمام بعد قراءة هذا الخبر، واستدعى في ٨/٧/١٩٦٩م قائمقام النجف، وطالب بنفي خبر صحيفة الجمهورية. وقد تملّص المسؤولون العراقيون من ذلك. ومع هذا تواصل إخراج الإيرانيين من العراق، وقام النظام البعثي بمصادرة أموالهم وإخراجهم فوراً دون إعطائهم أي فرصة. ولما رأى الإمام عدم تأثير جهوده للحيلولة دون هذا العمل الوحشي، ألقى في ٢٣/١٢/١٩٧١م، الموافق: ٤ ذي القعدة ١٣٩١، كلمة في مسجد الشيخ الأنصاري بحضور جمع من الطلاب والعلماء في الحوزة العلمية في النجف، وأعلن عن عزمه على الهجرة من العراق إلى لبنان. وقد أثار عزم الإمام هذا حفيظة النظام العراقي، لأنه كان يعرف أنّ كلمات الإمام سوف توضح أكثر فأكثر ماهية النظام البعثي، وتوجّه لطمه لاعتباره العالمي والدولي، لهذا لم يوافق على خروج الإمام من العراق. ومن ناحية أخرى حاول النظام الإيراني - بعد إطلاعه على الاختلاف الشديد بين الإمام والنظام العراقي - الاستفادة من ذلك، غير أنّ يقظة الإمام المنقطعة النظر أدت إلى عجز "السافاك" والعناصر المرتبطة به في العراق عن تحقيق أغراضه في هذا الخصوص.

## الخطاب رقم (٢٢)

باسمه تعالى

بعد إرسالنا برقية إلى المسؤولين العراقيين تضمنت ما ارتأيناه من الصلاح، وبعدما أظهره من رد فعل معاكس قوي، ناهيك عن امتناعهم عن الرد على برقيتنا<sup>(١)</sup> لذا أرى أنّ وجودي هنا أضحى لا مبرر له، وعليه فإنني سأرسل جواز سفري إلى المسؤولين غداً وأطلب الإذن في مغادرة البلاد.

(١) كما أسلفنا القول في هوية هذا الخطاب، فإنّ العلاقات بين إيران والعراق تدهورت جداً بعد الإنقلاب البعثي في ٢٣/١٢/١٩٧١م، الموافق ٤ ذي القعدة ١٣٩١ هـ، وفي الفترة التي كان الإمام يعيش فيها في منفاه الأخير في النجف الأشرف، قام النظام البعثي بإخراج الإيرانيين من العراق على دفعات، وألقى بهم على الحدود في فصل الشتاء.

ورغم القيود التي كانت قد فرضت على الإمام عليه السلام بصفته منفياً، فقد أرسل سماحته برقية إلى رئيس الجمهورية العراقية ذكر فيها بالتأج السياسية السيئة لهذا العمل، وشرح ما قدّمه الإيرانيون من خدمات لاستقلال العراق، ثم بين رأيه إزاء تصرف رجال الأمن البعثيين مع الإيرانيين المقيمين في العراق، وكتب الإمام في برقيته: "إنّ هذا التصرف وما اتّسم به من الوحشية والقساوة التي مارسها رجال الأمن، وفي هذه الظروف المناخية القاسية التي قد تعرّض النساء والأطفال إلى الهلاك، يوجّه - برأبي - ضربة إلى المصادقية السياسية للبلد، ناهيك عما يترتب على ذلك من ضرر اقتصادي". وفي الختام طالب سماحته قائلاً: "عليه، فإننا بانتظار أن يقوم المسؤولون بإعادة النظر في هذا الأمر، ومراعاة الأخوة الإسلامية التي أوصى بها الله والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله". غير أنّ النظام المعادي للإسلام لم يكثر بوصايا الإمام هذه، وواصل إخراج الإيرانيين.

طبيعي أنني أينما سأكون فإنني سأذكر الإخوة الأفغانيين والباكستانيين والهنود والعراقيين وسائر الإخوة المحترمين، كما أن محبتي وتعلقي بهم سيبقى محفوظاً في أي مكان آخر كما كان عليه الآن.

آمل أن يصل الإخوة الإيرانيون المبعدون إلى أماكن قصدهم في إيران بالسلامة إن شاء الله، وأن يستقروا في الحوزات الدينية في قم، وإن لم يكف ففي مشهد، وأن يحافظوا على الحوزات الدينية.

كما آمل أن يعودوا سريعاً إلى هذه الحوزات إن شاء الله. إن الله (تبارك وتعالى) قادر على إعادتكم أيها الإخوة المحترمون مرة أخرى إلى الحوزات، مثلما أخرجتم منها اليوم بهذا الوضع المؤسف، مع شديد رغبتكم في مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام وحفظ وجود هذه الحوزة.

على أية حال، فإنّ بقائي هنا لم يعد مناسباً مع مغادرة أصدقائنا وإخواننا في الدين بالإكراه هكذا، والحال أنني سمعت أنهم حينما أرادوا تسفير اليهود المقيمين في العراق، أمهلهم ستة أشهر، وعقدوا لهم جلسة حتى يتم بيع ممتلكاتهم تحت إشراف هيئة خاصة وبشكل عادل وإعطائهم أثمانها، لكنهم لم يعاملوكم أنتم أيها الإخوة الشيعة الإيرانيين بهذا الشكل، لذا فإنّ البقاء في بلد يتعامل مع المسلمين، ومع مجاوري أضرحة الأئمة عليهم السلام بهذا الشكل أضحى صعب عليّ. وسأرسل جواز سفري غداً إلى المسؤولين المختصين، وأطلب إعطائي إجازة الخروج من العراق للتحرك نحو لبنان.

فلنذهب إلى لبنان عسى الباري (جل وعلا) أن يمنّ علينا - كما منّ على الشهيدين <sup>(١)</sup> هناك - بالشهادة فليشملنا ذلك الفيض الإلهي.

---

(١) الشهيديان هما: "الشهيد الأول" شمس الدين محمد بن مكي العاملي، و"الشهيد الثاني" زين الدين بن علي العاملي. ولد الشهيد الأول عام ٧٣٤ هـ في إحدى قرى جبل عامل، ويعتبر من أعلام علماء الشيعة، وكان محققاً قل نظيره في الفقه والأصول والتفسير والحديث والرجال. ومن أهم مؤلفاته: "اللمعة الدمشقية"، "الدروس الشرعية في فقه الإمامية"، "كتاب الذكري"، "الألفية في فقه الصلاة اليومية".. وقد استشهد يوم الخميس ٩ جمادى الأولى ٧٨٦ هـ في عهد "برقوق" (حاكم دمشق) وبفتوى القاضي برهان الدين المالكي، وعباد بن جماعة الشافعي، بعد سنة من السجن في قلعة الشام، ثم عُلق على مشقة وأُحرق جسده.

أما "الشهيد الثاني" فقد ولد عام ٩١١ هـ في جبل عامل، وهو من كبار فقهاء الشيعة، كان متبحراً في أكثر العلوم المتداولة من الفقه والأصول والتفسير والكلام والفلسفة والعرفان والنجوم والطب، ومن أهم مؤلفاته: "الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية"، "مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام". واعتقل عام ٩٦٥ هـ وهو في سن ٥٤ عاماً، بحكم القاضي العثماني، واستشهد على يد مبعوث السلطان العثماني بخدعة من أحد أعداء الشيعة بينما كان يتم نقله إلى اسطنبول.

إنّ النتيجة ستكون في صالحكم بعد هذه المعاملة السيئة والخشونة التي أبدّاها المسؤولون العراقيون والإيرانيون، لأنّ ما عاملونا به في إيران والعراق سينكشف للعالم أجمع، وسيعرف العالم حقيقة وضع الشيعة في إيران والعراق.

إنّ وضع المبعدين من الكسبة والتجار والعمال البائين أسوأ من وضعكم أنتم أيها الطلبة، وذلك لما سيواجهونه من البرد القاسي في إيران في هذا الفصل، وإنّي لشديد الأسف من أجلهم، فهم ينتقلون مع نسائهم وأطفالهم، ويتعرضون الآن إلى معاملة أسوأ من هذه المعاملة، وذلك من قبل أولئك المتواجدين على الحدود الإيرانية.<sup>(١)</sup>

### هوية الخطاب رقم (٢٣)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري في ١٢ ذي القعدة ١٣٩١ هـ، (١٢/٣١/١٩٧١م).

– الموضوع: إستغلال مسألة الإيرانيين المقيمين في العراق، وجعلها وسيلة للضغط على النظام الإيراني من قبل البعثيين.

– المناسبة: معارضة البعثيين لهجرة الإمام إلى لبنان.

– الحاضرون: الطلاب والعلماء وجمع من الإيرانيين المقيمين في العراق.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بعد تهديد الإمام عليه السلام بالخروج من العراق، حاول النظام البعثي منع الإمام من السفر خشية تأثير ذلك على مصداقيته. ومن ناحية أخرى، أدت عملية تفسير الإيرانيين بطريقة لإنسانية، والإعتقالات التي طالت بعض علماء الدين إلى استياء الإمام وغضبه، ولم تكن خطوات المرحوم آية الله الحكيم قد أسفرت عن نتيجة بسبب الإعلام المكثف للبعثيين في إثارة مشاعر القومية لدى الشعب العراقي.

وفي ذلك الوقت، وصل بغداد ميشال عفلق – منظر النظام البعثي – وقدّم توجيهات ومشاريع خطيرة ممهدة بذلك لانتهاج نجل المرحوم الحكيم بالتجسس لصالح الملاً مصطفى البارزاني، كما تم التخطيط لاغتيال عدد من الشخصيات الدينية، ومنهم: المرحوم الشيخ محمد شريعت (ممثل الإمام في باكستان).

ولم تكن آلام الإمام ناتجة عن المضايقات التي مارسها ضده النظام البعثي في العراق فقط، بل كان النظام الإيراني على علم بالاختلافات الحاصلة بين الإمام والبعثيين عن طريق عملائه، لذلك قام بأعمال هدفها إيذاء الإمام.

---

(١) في أواخر الخطاب حصلت محاورّة بين الحاضرين وسماحة الإمام، لكنها غير مفهومة في أشرطة التسجيل الموجودة في المؤسسة.

إنّ الاختلاف بين إيران والعراق على اتفاقية ١٩٣٧م يعود إلى زمان الانتداب البريطاني على العراق. وكان عقد تلك الاتفاقية لصالح العراق مئة بالمئة. ويعتبر نهر أروند (شط العرب) نهراً مشتركاً بين إيران والعراق. وقد أصبح اعتراض إيران على المضمون الوارد في الاتفاقية ذريعة لإخراج الإيرانيين من العراق، والتمهيد لانهيار الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

وكان الإمام يعيش في العراق بوصفه معارضاً للنظام الإيراني، وكان النظام البعثي يتحّين الفرص للاستفادة من وجود الإمام ضد إيران. إلا أنّ الإمام لم يكن بذلك الرجل الذي يمكن جعله أداة لرغبات التجار السياسيين، فيضحي بالمجتمع المظلوم لرغباته الخاصة.

إنّ ثورة الإمام على نظام الملك كانت ثورة إلهية، ومع أنه في الحقيقة كان في أسر البعثيين في العراق، ولكنه لم يكن على استعداد أبداً لقول كلمة ضد الإيرانيين الذين أصيبوا بذلك البلاء نتيجة الألاعيب السياسية للنظاميين السفاكين، ووقف بوجه هذا العمل غير الإنساني للنظام البعثي.

كان هذا أحد أبعاد القضية، والبعد الآخر هو الوقائع في داخل إيران وأخبارها التي كانت تؤلم الإمام عليه السلام، فقد ارتفعت أسعار النفط الدولية، وفي الوقت نفسه ارتفع الدخل الإيراني، إلا أنه كان يتعرض للنهب من قبل المرتبطين بالنظام. وقام الملك بحركات جديدة ضد العلماء بإجراء برامج مضادة للإسلام والإنسانية. وبمجرد إطلاع الإمام على ذلك أصدر بياناً في ٢٣ رمضان ١٣٩١ أعلن فيه: "إنّ مسألة كتائب الدين تطرح في وقت يوجّه فيه النظام المتجبر كل يوم ضربات متواصلة لهيكل الإسلام.. لذا فعلى جميع المسلمين الغياري، وخاصة الجيل الشاب المثقف أن يعربوا عن استيائهم بجدية تامة من هذه المسألة التخريبية غير الموزونة، وأن يعطوا للمساجد والأوساط الدينية حرارة أكثر، ويظهروا حبهم للإسلام والعلماء الأعلام والوعاظ والخطباء المحترمين (دامت بركاتهم) أكثر فأكثر، وبذلك الإظهار للمحبة، فإنهم سيوجهون صفعة قوية لعملاء الاستعمار (خذلهم الله)".

وكان النظام الإيراني - وضمن قمعه للفئات الثورية وسجنه وتعذيبه للعلماء - يواصل برامجه المضادة للإسلام، وكان أوقع ما طرحه من مشاريع هو تعليم المسائل الجنسية لطلبة المدارس الإعدادية، ورغم قيام الصحف الأجيّة للنظام بنشر مقالات تبرر هذا الأمر، إلا أنّ هذا المشروع فشل نتيجة معارضة جمع كثير من العلماء، ولكن النظام كان يواصل إشاعة الثقافة الغربية والفحشاء والفساد بطرق أخرى. ومن بين البرامج التي أُجريت أيضاً إنشاء المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية المختلطة<sup>(١)</sup> وإقامة "قصر الشباب" الذي كان يعدّ محلاً لإشاعة القيم غير الإسلامية بين الفتيات والشبان، وذلك في عدة أماكن من طهران، وبالتدرّج أسست فروع في مراكز المحافظات والمدن الكبيرة.

(١) "نهضة علماء إيران"، ج٦، ص ٣٦.

ومن الحوادث الأليمة الأخرى التي عصفت بإيران، قيام قوات الشرطة بهجوم وحشي على جامعة طهران، ثم الجامعة الصناعية "آريامهر" سابقاً، وجامعة العلم والصناعة والتكنولوجيا في طهران في ١٩٧١/٣/٣٠م بعد اعتراض طلبة الجامعات، وقمعوا تظاهرات الطلبة الجامعيين التي جرت تأييداً لطلبة جامعة طهران المعتقلين، مما أسفر عن اعتقال وجرح أكثر من ٤٥٠ من الطلبة الجامعيين. ويتضح من شعار "سلام على الخميني" الذي أطلقه الطلبة الجامعيون تأثير مواقف الإمام وبياناته في الأجواء الجامعية والتفافهم حول قيادته. وكانت مجزرة وقمع تظاهرات وإضرابات العمال في "جهان جيت كرج"<sup>(١)</sup> قضية محزنة أخرى آلمت الإمام كثيراً.

وفي ذلك الوقت كتب الطلبة الجامعيون المسلمون المقيمون في أوروبا رسائل إلى افام، وطلبوا منه المساعدة. ورد الإمام بالدعوة إلى المساعدة على تحقيق التقارب بين الشرائح المثقفة وعلماء الدين.

وقد استخدمت منظمة "مجاهدو الشعب" - والتي سماها الشعب الإيراني فيما بعد بـ "المنافقين" بعد إفشاء ماهيتها - أسلوب المواجهة المسلحة بإيديولوجية إسلامية في الظاهر، وحاولت الإستفادة من النفوذ المعنوي والسياسي للإمام عليه السلام - الذي كان يتصاعد في تلك الأيام بين القوى الجامعية والمثقفين المسلمين - لتقوية مواقفها التنظيمية، والحصول على مساعدات مالية.

يقول أحد العلماء المجاهدين، الذي شاهد بنفسه القضية: "ذهبت مجموعة من الأعضاء الأصليين للمجاهدين - والذي سمّوا في ما بعد "المنافقين" - إلى الإمام في النجف للإلتقاء به، وكسب موافقته على أسسهم النظرية، وتأييد أسلوبهم في المواجهة المسلحة، فاستقبلهم الإمام بصدر مفتوح، وسمح لهم أن يبينوا آراءهم في عدة جلسات، ومع أنهم أعطوه اثنين فقط من كتبهم، إلا أن الإمام، بعد مطالعة هذين الكتابين والاستماع إلى أقوالهم - أدرك أسسهم الفكرية، ولم يؤيد هدفهم وطريقتهم رغم أنه كانت لديهم رسائل تأييد من عدد من العلماء الكبار، وقال إن الوقت الآن ليس وقت مواجهة مسلحة، وقد أدرك الإمام بعد مطالعة كتاب "طريق الأنبياء طريق البشر" أن هؤلاء ليس لديهم اعتقاد بالمعاد، وهم يؤمنون بالسير التكاملي لهذا العالم."<sup>(٢)</sup>

---

(١) بعد قمع إضراب وتظاهرات العاملات في معمل "قرقره زيبا" في تاريخ ١٩٧١/٣/١م، والتي انتهت بالهجوم من قبل مأموري النظام، وضرب وجرح واعتقال المتظاهرات في طريق "كرج" (طهران)، قام أربعة آلاف شخص من عمال معمل "جهان جيت كرج" بإضراب في حصار "كرج" يوم ١٩٧١/٥/٩م وتحركوا نحو "كرج"، ومن هناك نحو طهران. وقرب "كاروان سارسنكي" (طريق كرج/ طهران) هاجم المأمورون المسلحون العمال المضربين، فقاوم العمال وقتل في هذه الواقعة عدة أشخاص من المضربين، وجرح وصدم عشرات الأشخاص.

(٢) مقابلة حجة الإسلام السيد محمد الدعائي مع "صحيفة جمهوري إسلامي" في ١٩٨٠/٧/٧م.

إنّ موجة الاتجاه إلى الماركسية لدى أعضاء هذه المنظمة في العامين ١٩٧٣م و١٩٧٥م، وعمل المنافقون بعد انتصار الثورة الإسلامية في التعاون الكامل مع الفئات المعادية للثورة، والوقوع في أحضان أمريكا والدول الغربية، وتعاونهم مع صدام بين عمق رؤية الإمام عليه السلام.<sup>(١)</sup>

وعندما شاهد النظام الإيراني تشدد الإمام عليه السلام في مقابل النظام البعثي العراقي، حاول أن يقترب منه، ويتمكن من تحقيق أهدافه. فأمر رئيس دائرة "السافاك" في العراق أن يلتقي بالإمام، ويتعرف على رأيه بشأن العودة إلى إيران والباكستان. وكان ممثل "السافاك" يعرف المواقف الحازمة للإمام، فذكر في تقريره إلى المسؤولين الإيرانيين، إنّ هذه العودة هي خلاف مصلحة النظام، بدون الإستفسار عن رأي الإمام.

لقد أسس الإمام نهضة كان يأمل بانتصارها، ولم تتمكن أي من هذه المؤامرات أن تؤثر فيه. وحين اطلع قائد النهضة على معارضة العراق لخروجه من ذلك البلد، ألقى كلمة حماسية من دون خوف، في جمع من الطلاب والعلماء - ومن المسلم به أنّ الكثير من المأمورين السريين، والعملاء الجواسيس للعراق كانوا قد حضروا - أكد فيها: "إنّ الحكومات مؤقتة وعمرها قصير" وحول النظام البعثي الذي حبس الأنفاس في الصدور بممارسة الضغط والقمع، والذي أجبر حتى المرحوم آية الله الحكيم (أكبر مرجع للشيعة) على الجلوس في البيت والسكوت، خاطب الإمام العلماء المقيمين في النجف مؤكداً على ضرورة المحافظة على الوحدة وتهذيب النفس، وأوصى الشعب الإيراني بمساعدة الإيرانيين المبعدين من العراق، وقال: "إنّ هذه الحكومة - التي لا يمكن تسميتها بالحكومة أساساً - لا تقدر أن تقف أمام الشعوب، وإذا عارضتني أنا وأنتم، فإنها لا تتمكن من معارضة الشعوب، وإذا أخرجوا السادة الإيرانيين، فإنّ السادة من البلدان الأخرى يجب أن يقفوا، ويبادروا للقيام بوظائفهم الدينية..".

ويمكن القول إنه لولا هذه الكلمة الحماسية، لاضطر الطلاب والعلماء الآخرون إلى الخروج من العراق تأسيساً بعلماء إيران - الذين اضطروا إلى الخروج من النجف - ولتحولت حوزة النجف الأشرف العريقة إلى خربة، وهذا الأمر كان، في الحقيقة، الهدف النهائي للنظام البعثي في العراق، ويحتمل أيضاً أنه كان هدفاً للنظام الإيراني، إلا أنّ الإمام عليه السلام حث الطلاب الآخرين على البقاء والمقاومة في الحوزة، وأفشل المشروع القديم لحزب البعث في العراق.

---

(١) كان الإمام الخميني منذ فترة طويلة يعتبر دعوة المنافقين إلى الإسلام غطاءً لأهدافهم الحزبية والتنظيمية - في وقت كسب المنافقون اطمئنان كثير من الشخصيات الدينية في البلد - وفي إحدى كلماته ١٣/٦/١٩٧٩م قال سماحة الإمام: عندما كنت في النجف جاءني أحد هؤلاء الأشخاص (المنافقين) وبقي عندي عشرين يوماً.. كان يأتي كل يوم ويتكلم ساعتين من "نهج البلاغة" ومن القرآن، وطرح كل كلامه، فرأيت أنّ هذه وسيلة، "نهج البلاغة" والقرآن وسيلة لمطلب آخر.. أنا أحد الطلبة، ولم أكن قارئاً لـ "نهج البلاغة" والقرآن كما كان هو. إستمعت إليه عشرة أو عشرين يوماً ولم أجب بكلمة واحدة، قال: فقط نحن نريد أن نقوم بثورة مسلحة. قلت: كلا الثورة المسلحة ليس وقتها الآن، وأنتم تفقدون قوتكم.. كان يريد أن أؤيده.. وقد أوصى بعض الأشخاص من إيران بتأييد هؤلاء.. ولكنني لم أصدق.. لا نستطيع أن نطمئن كثيراً لهؤلاء. ("صحيفة نور"، ج ٧، ص ١٠٧)



## الخطاب رقم (٢٣)

باسمه تعالى شأنه

كان برنامج الرسول الأكرم ﷺ محصوراً قبل هجرته من مكة إلى المدينة في التبليغ إلى الله، والتعريف بصفات الذات المقدسة للحق تعالى، والتعريف بالإسلام. فلم يكن لديه من الأتباع ما يمكنه بمساعدتهم القضاء على المشركين، وتوسيع رقعة الإسلام. وكما تلاحظون في القرآن الكريم فإن السور المكية تتميز بالنصح والموعظة والتعريف بمفاهيم الإسلام فقط. ولم تتعرض إلى الحرب والنزاع، كما لم ترد فيها الأحكام إلا نادراً. وحينما غادر الرسول الأكرم ﷺ مكة متوجهاً إلى المدينة - بذلك الوضع السيئ المتدهور - لم يخطر ببال العوام من الناس وذوي التفكير السطحي حجم المصالح التي ستترتب على تلك الهجرة، ولكن عندما وصل إلى المدينة، إتضحت النتائج التي ترتبت على الهجرة، واتضح كيف أنه ﷺ استطاع من توسيع رقعة الإسلام في المدينة، وكسب الأتباع، ثم العودة إلى مكة بالفتح والظفر آخر الأمر، بحيث خضع كبار قريش له ﷺ، وقام هو ﷺ بدوره بإطلاقهم. (١)

---

(١) توجه النبي الأكرم ﷺ نحو مكة في السنة الثامنة للهجرة مع عشرة آلاف شخص، وفي المساء خرج العباس عم النبي ﷺ من الخيمة، وأراد أن يرى شخصاً من أهل المدينة، ويعطيه رسالة تتضمن حث قريش على المجيء إلى النبي ﷺ قبل أن تهلك. في تلك الليلة لقي أبا سفيان وأعطاه الأمان، وجاء به إلى النبي ﷺ. فأسلم أبو سفيان، وقال العباس للنبي ﷺ: "إن أبا سفيان رجل يريد أن تكون له ميزة" فقال النبي ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن". وقد أظهر تعامل النبي ﷺ مع أهل مكة سماحة الإسلام، وكرامة نبي هذا الدين في عيون المعارضين، فقد كانت قريش - التي لم تأل جهداً في إيذاء النبي محمد ﷺ وأتباعه - تخاف من العقوبة، ولكنها سمعت منه يقول: "أنتم الطلقاء". راجع: "التاريخ التحليلي للإسلام"، ص ٧٩-٨٠.

والآن، وإن كان الكثير من الإيرانيين قد أصبحوا - نتيجة الخلاف بين الحكومات<sup>(١)</sup> - "ثمن الصلح" وهُجِّروا بهذا الشكل المأسوي من هذه البلاد<sup>(٢)</sup>، إلا أن من الممكن أن تكون هناك مصالح عظيمة في ما حصل، وهي خافية علينا. وكما أعاد الله تعالى رسوله الأكرم ﷺ إلى مكة فاتحاً متتصراً، فسوف يعيدكم إلى هذه الحوزات وتصبح النجف ذات يوم أقوى من الآن.

إننا على ثقة بأن الحوزة العلمية ستعود إن عاجلاً أو آجلاً إلى سابق حالتها، وسوف تعود إلى النجف الأشرف، إن شاء الله، إذا عملتم بتكاليفكم الدينية والعلمية.

إن العلم مسؤولية ثقيلة، وهي بعهدتكم، إلا أن مسؤوليتكم ليست في تعلم حفنة من الألفاظ والمفاهيم، بل إن المسؤولية التي أوكلت إليكم هي حفظ الإسلام وأحكامه، فأنتم الأمناء على الوحي، وعليكم أن تعكفوا على تهذيب أنفسكم خلال فترة انشغالكم في تحصيل العلوم، وكما تقومون بنصح غيركم، فإن عليكم إصلاح أنفسكم أيضاً. لا تنسوا مسؤولياتكم، كونوا متصافين متصالحين فيما بينكم. اجتنبوا الفتوى والاختلافات، كونوا إخوة مع بعضكم، واعملوا للإسلام بسرائر نقية، وبروح واحدة.

أنتم أهل علم وجميعكم من جذر واحد، وكلكم ورق في شجر واحد، وإذا وفيتم بعهدكم فإن الله موف بعهد، وسيعيدكم إلى الحوزات مرة ثانية، ونلتقي بعضنا مرة أخرى هنا، إن شاء الله، وحتى إذا لم أكن موجوداً حينها بينكم - حيث أني أطوي الأيام الأخيرة من عمري - فأنتم موجودون وسوف تجتمعون هنا مرة أخرى.

على أية حال، ليس متوقفاً زوال الحوزة، الحوزة باقية على حالها، وبغض النظر عن الجوانب المعنوية والإلهية فإن زوال الحوزات العلمية غير ممكن في الحقيقة حتى حتى بالحسابات الطبيعية، لأنها محط اهتمام

---

(١) تعود الخلفية التاريخية للاختلاف بين إيران والعراق إلى العهد الصفوي، حيث لم يكن العراق قد استقل بالصورة الحالية، وكان يعدّ جزءاً من الإمبراطورية العثمانية. إلا أن اختلاف الدولتين في الزمان الذي يقصده سماحة الإمام يتعلق باختلاف نظر الدول الكبرى في قضية انقلاب البعثيين في العراق. وفي ١٩٦٨/٧/١٧م وصل حزب البعث إلى السلطة في العراق عبر انقلاب إنجليزي. وبعد مجموعة تغييرات وتحولات سياسية. أقبل التيار الأمريكي من الحكومة العراقية، وفي الحقيقة فإن الاختلاف السري بين أمريكا وإنكلترا على مصالحهم في الخليج أصبح أساساً للاختلافات والنزاعات اللاحقة بين إيران والعراق. وهذه الاختلافات التي كانت تتسع كل يوم وصلت ذروتها بإلغاء نظام الملك الاتفاقية الحدودية بين إيران والعراق، مما أدى إلى توتر العلاقات السياسية بين الدولتين، وفي هذه الحال أصبح الشعب العراقي والإيرانيون المقيمون في ذلك البلد ضحية لهذه الاختلافات، وقد استمرت هذه الاختلافات باستمرار الاختلاف بين القوى الكبرى حول المصالح في الخليج، وما أن انتهى الخلاف، تصالح البلدان.

(٢) أخرج الإيرانيون من العراق في موسم الشتاء، ولم يُسمح لهم حتى بحمل الغذاء والملابس وبقية ما يحتاجونه في السفر الشتوي. فقد تم اعتقالهم من المنازل والأزقة والشوارع على شكل مجموعات، ثم وُضعوا في سيارات عسكرية، وأُلقي بهم في الصحاري والجبال، وتم خلال فترة قصيرة مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة للإيرانيين الذين عاشوا في العراق وتمكنوا من شراء المنازل خلال سنوات طويلة من العمل والمشقة.

جميع المسلمين، وخصوصاً الشيعة منهم. وظهيرها هم الشعوب، وما كانت الشعوب ظهيراً له، فلن تستطيع الحكومات القضاء عليه. الحكومات أعمارها قصيرة، وظهير النجف هو الشعوب العظيمة، لذا فستبقى محفوظة. يدرس حالياً في الحوزات طلبة من الأفغانيين والباكستانيين والهنود والعراقيين وبعض أبناء الدول الأخرى. فلا قدرة لهذه الحكومة - التي لا يمكن وصفها بالحكومة<sup>(١)</sup> - على الوقوف بوجه كل تلك الشعوب، وإن استطاعت الوقوف بوجهنا أنا وأنتم. إذا أبعد الإيرانيون المحترمون فإنّ على باقي الإخوة من البلدان الأخرى البقاء، ومواصلة أداء مسؤولياتهم الدينية.

إنّ مثلكم مثل الأفواج العسكرية التي تخوض حرباً، فإذا هاجمها العدو وحقق انتصاراً على فوج منها، ينبغي على بقية الأفواج الثبات في مواقعها، وملء خنادق الفوج المنكسر، وإلاّ فإنّ العدو يتمنى فرار الأفواج العسكرية الأخرى بانكسار أحدها، وترك الميدان خالياً.

إنّ على الإخوة من باقي البلدان - والمتواجدين هنا - المراقبة في خنادقهم، ومواصلة التحصيل العلمي، وتهذيب النفس، وحتى لو ذهب المراجع من هنا، وذهبت أنا - باعتباري أحد الطلبة - فإنّ على سائر الإخوة البقاء هنا، وأداء مسؤولياتهم.

طبيعي أنّ ذهابي يتم بناءً على مصالح لعلها تخفى على الكثيرين، إلّا أنه ينبغي على بقية الإخوة البقاء، وعدم إخلاء مواقعهم.

رأينا كيف اضطربت الحوزة العلمية في قم أيما اضطراب قبل مدة، ثم رأينا كيف استقامت الأمور لعدة معدودة ممن كانوا عرضة للإضطهاد والكبت والعناء دوماً، ولم يمر وقت طويل حتى عادت الأمور، فغلب الظالم وأصبحت<sup>(٢)</sup> الحوزة المضطربة في ذلك الوقت<sup>(٣)</sup> حوزة الخمسة أو الستة آلاف نفر.

---

(١) النظام البعثي في العراق.

(٢) رضا خان.

(٣) وصف الإمام عليه السلام في إحدى كتاباته - تدمير الحوزات - كما يلي "كلكم رأيتم أنّ الإعلام المضاد للدين كان شائعاً إلى درجة أنّ أكثر صحف البلد كانت تصرف أغلب وقتها ووقت القراء في ذلك، وكانوا يعملون بأي شكل ممكن على تعليم الناس معاداة الدين.. ولم يسع العلماء في تلك الأعوام العشرين أن يمارسوا التبليغ، إذ كان ينظر إلى مجالس تبليغهم على أنها مجالس توزيع المخدرات المهرّبة، أو أسوأ من ذلك. كذلك فقد صودرت منهم المدارس العلمية التي كانت تمثّل ينبوع الذي يفيض بالأمر بالمعروف، أو أنها أغلقت أو جعلت مراكز فحشاء لبعض الشبان اليافعين في جميع أنحاء البلد. فقد جعلوا مدرسة "مروي" (الدينية) - التي تخرّج منها آلاف العلماء الروحانيين - مكاناً لمجموعة من الأرمن، كما أعطوا مدرسة "سبهسالار" (الدينية) لمجموعة من الشبان باسم "مدرسة الأوقاف" ليكونوا موظفين إنتفاعيين في المستقبل، وقد بقيت إلى اليوم على هذا الحال". راجع: "نهضة علماء إيران، ج ٢، ص ٣٣٧.

أنتم غالبون ولستم مغلوبين، ولو طالعتم تاريخ الظلمة والظالمين في العالم، سترون أنّ الغلبة كانت للمظلومين دوماً، فمع القدرة والطغيان اللذين كان عليهما معاوية والنفوذ الذي تمتع به، إلا أنه أضحى اليوم لا يُعرف له حتى قبر في نفس الشام التي كانت مركزاً لحكومته.<sup>(١)</sup>

إنّ وضع أولئك الكسبة الساكنين الذين عاشوا في العراق سنين طويلة يبعث على الأسف حقاً، فليس لهم ما يربطهم بإيران، لا أصدقاء ولا معارف ولا أقارب. وإنني آمل أن يُحسن أبناء الشعب الإيراني معاملتهم مع ضيوفهم، وإنني لعلّى ثقة من أنّ الشعب الإيراني المسلم المجيد سيكون عطوفاً مع ضيوفه وإخوانه. فليأووا هؤلاء التعساء، وليوفروا لهم السكن والطعام والملابس، وليسدّوا حاجاتهم، والأهم من ذلك كله، فليرشدوهم، فمنهم من لا يعرفون شيئاً عن أوضاع إيران.

وأنتم أيها الإخوة المحترمون العازمون على الذهاب إلى إيران أبلغوا الإخوة من أبناء الشعب الإيراني سلامي، وانقلوا لهم رجائي إياهم اللطف في معاملة الإخوة المهجرين من العراق الذين يناهز عددهم المئة ألف نسمة، والذين سيتوزعون على مختلف أنحاء إيران ومساعدتهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## هوية الخطاب رقم (٢٤)

العراق / النجف / مسجد الأنصاري في ١٤ شوال ١٣٩٧ هـ، ق، (٢٨ أيلول ١٩٧٧).

- الموضوع: تحذير من نفوذ الأفكار الإلتقاطية، والفهم الخاطئ للأحكام السياسية - العبادية في القرآن.
- المناسبة: رواج التفاسير الإلتقاطية للإسلام - احتفال الفن المبذل في شيراز.
- الحاضرون: الطلاب والعلماء في حوزة النجف العلمية.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

بيّن الخطاب الثالث والعشرين للإمام عليه السلام في ١٩٧١/١٢/٣١م وحتى الخطاب الرابع والعشرين هذا في ١٩٧٧/٩/٢٨م كانت الفترة ستة أعوام، وفي هذه المدة لم يغفل الإمام لحظة عن مواصلة المواجهة مع النظام الملكي من خلال إصدار البيانات وإرسال الرسائل إلى الفئات المختلفة، ومن خلال الارتباط المستمر بالثوار

---

(١) روي عن معاوية أنه قال: "نحن غارقون في نعمة الدنيا!" وكان هكذا في الحقيقة. كان أول شخص أسس إمبراطورية أو دولة نبلاء في الإسلام. وكانت فخامة وزينة وعظمة "الخضراء" - وهو القصر الذي كان يسكن فيه - مما يشير إعجاب الناظرين، فقد زينت جميع جدران وأعمدة وأرضية صالات القصر بالفرش والأحجار الثمينة الصفراء والبيضاء والسوداء. أما المقعد الذي كان يجلس عليه، فمنحوت من مرمر أبيض. توفير معاوية في عام ٦٠ هجري، بينما كان ينوي الاحتفال بمرور عشرين عاماً على خلافته عن عمر يناهز الثمانين عاماً، بعد أن أصيب بشلل نصفي منعه من فتح فمه للتكلم إلا بمشقة، ودفن في مقبرة صغيرة.

المسلمين، والتذكير بمسائل النهضة في جلسات الدرس وفي اللقاءات العديدة مع شرائح الشعب المختلفة الذين كانوا يذهبون إلى النجف بأساليب متنوعة للالتقاء بالإمام. وهنا نشير إجمالاً إلى أهم الحوادث في هذه السنوات الست:

أدى ارتفاع أسعار النفط في العقد السبعينات إلى جعل إيران في حال مناسب من الناحية المالية، وبذا فقد أدى تراكم دولارات النفط الذي زاد من نهم محمد رضا والبلاط أكثر فأكثر في نهب الثروة الوطنية من جهة، وحب الجاه والتكبر لدى الملك من جهة أخرى إلى تأكيد الملك ومباهااته دائماً بلقب "ملك الملوك" وتاريخ ٢٥٠٠ سنة على الإمبراطورية الفارسية. ومن قبله كان أبوه رضا خان يباهي بهذا الأمر أيضاً، فقد راود الإثنين حلم إقامة احتفال بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام، وكل الذين يعرفون شخصيته وطباع رضا خان وابنه محمد رضا يعترفون بذلك.

كانت المؤسسات والدوائر والشخصيات السياسية وحتى الأدبية تهئ نفسها طوال سنوات لإقامة مثل هذا الاحتفال. وكانت وسائل الإعلام منشغلة بانسجام خاص بشرح إقامة هذا الاحتفال الذي سمي بالوطني، وكانت السفارات الملكية تهئ نفسها لقبول ذلك من خلال الصحافة والإعلانات الكثيرة في الصحف الغربية. ولم يكن مهماً لدى زعماء دول العالم ماذا يجري على الشعب الإيراني المظلوم والمحروم.

في احتفالات مناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الإمبراطورية الفارسية، رفعت الكؤوس من قبل أشهر مستبدي العالم، إبتداءً من "هياسيلاسي" وحتى رؤساء ما يسمى بالدول الديمقراطية، أي السويد والدنمارك والنرويج وكذلك الاتحاد السوفيتي - محور الدول الاشتراكية - في خيام فخمة ملكية في "تخت جمشيد"، وفي ضيافات ملكية من دون أي إزعاج، بينما كان هناك على بعد عدة كيلومترات من "تخت جمشيد" في قرى "مرودشت" نساء ورجال جائعون. وقد كانت هذه القرى محاصرة من قبل مأموري أمن الملك إلى درجة أن قليلاً جداً من الصحفيين الذين جاؤوا إلى إيران من أنحاء العالم تمكنوا من رؤية هؤلاء.

كان الإمام عليه السلام يسكن وحيداً في منزله المتواضع في النجف الأشرف وهو يواجه النظام البعثي، ومن ناحية أخرى كانت تكتلات الرجعيين في حوزة النجف، والكلام الجارح والحسد مستمر. وفي أواسط شباط ١٩٧١م أرسل الإمام أول رسالة له إلى زوار بيت الله الحرام، أشار فيها إلى فقر وجوع الشعب الإيراني، واعترض بشدة على إقامة احتفالات ٢٥٠٠ عام على الإمبراطورية الفارسية، وحذر العالم قائلاً: "إنّ هذه الاحتفالات والبذخ لا تتعلق بالشعب الإيراني النبيل المسلم، وإنّ المقيمين والمشاركين في هذه الاحتفالات خائنون للإسلام والشعب الإيراني"، وقد تم تكثير الرسالة المذكورة باللغتين الفارسية والعربية، ووزعت على الحجاج. كما وصلت إلى إيران نسخ منها، فكان لها أثر واسع بين الشرائح المختلفة للشعب. وقبل إقامة هذه الاحتفالات بثلاثة أشهر ألقى الإمام كلمة مهمة في النجف دعا فيها الشعب الإيراني إلى المواجهة السليبية، وطلب من الناس أن لا يخرجوا من البيوت أثناء الاحتفالات.

وفي مقابلة إعلامية صرّح الأمير أسد الله علّم (وزير البلاط الملكي) قائلاً: توفر من الأموال التي دفعها الناس بطيب خاطر لإقامة هذه المراسم الفخمة، مبلغ إضافي حيث أمر الملك بصرف ذلك لبناء مسجد كبير. وأقيم الاحتفال بمرور ٢٥٠٠ عام على الملكية، بينما كانت أربعة مراكز من القوة البرية والقوة الجوية تحرس بدقة أطراف "تخت جمشيد". ووصلت تكلفة هذا الاحتفال - وفق الحسابات الدقيقة - ٥٠٠ مليون دولار. وهي تعادل عُشر ميزانية الدولة في تلك السنة.

وتزامناً مع إقامة هذه المراسم قام مأمورو "السافاك" باعتقال كثير من العلماء وأعضاء الحركات السياسية الأخرى التي اعترضت على إقامة الاحتفالات، وألقوا بهم في سجون مظلمة.

ولم يكن خطر "المتلبسين بلباس العلماء" - الذين كان الملك يستفيد منهم لتبرير سلطنته - أقل من خطر عملاء "السافاك". وفي تاريخ ١٥/٣/١٩٧٣م وجه الإمام قُلَيْبُ رسالة إلى طلبة الجامعات في خارج البلاد وعلماء الحوزات العلمية قال فيها: "ينبغي وقبل كل شيء أن نوضح تكليفنا مع المتلبسين بلباس العلماء، وهم من أخطر الأعداء للإسلام والمسلمين اليوم، والذين تنفذ بواسطتهم المخططات المشؤومة لأعداء الإسلام التقليديين وعملاء الاستعمار، وأن نمنع نفوذهم في الحوزات العلمية والمساجد والأوساط الإسلامية".

كانت تلك الفترة تمثل ذروة تعسف وتسلب "السافاك" على المحيط السياسي في البلد، وكان عدد كبير من طلائع ثورة ١٥ خرداد وأنصار الإمام يعيشون في السجن والمنفى، كما أن عدداً من كبار علماء الحوزة - الذين تمكن الإمام من دفعهم للمشاركة في تلك النهضة الدامية - إنسحبوا من ميادين المواجهة، وانشغلوا بالتدريس والبحث، وتمسكوا بما أسموه بالتقية في مقابل مفاسد النظام، كما قامت العناصر المشكوكة - التي تمكنت من التسلّل واتخاذ المواقع الهامة حول بعض المراجع، والنفوذ في الحوزات، وذلك عبر سنوات من الجهد، وبتوجيه ودعم من النظام - بتأسيس "دار التبليغ الإسلامي" لمساعدة النظام على حرف أفكار الشباب والمتحمسين في الحوزات عن المسائل الهامة بالنسبة للإسلام والمجتمع، وتوجيههم نحو المباحث الفارغة.

كان الإمام قُلَيْبُ ذا قلب كبير متفجر بالحماس والإخلاص، إلا أنه كان وحيداً يعتصره الألم في النجف على جميع مصائب الإسلام والمسلمين، ويتنابه القلق من ممارسات النظام البعثي المشينة ضد الشعب العراقي وضد الإيرانيين. فكان يواجه المخططات المعادية للإسلام والإنسانية للنظام الملكي وبيقطة منقطعة النظر، ويحذّر من الفئات الهادفة لانتهاز الفرصة، موضحاً أنه يرى من خلال رؤيته الإلهية أنّ كلامهم الحلو في الظاهر والخادع ليس له أي تأثير أو دور.

إنّ العقائد التي تعرض على الشعب المسلم من قبل اليسار واليمين، تهدف فقط إلى تضليله وحرفه، وتريد إبعاد المسلمين عن تعاليم القرآن التحررية، وإبقائهم أذلاء ومتخلفين وأسرى إلى الأبد".<sup>(١)</sup>

---

(١) رسالة الإمام قُلَيْبُ إلى الطلبة الجامعيين المقيمين في أمريكا وكندا، في ٣ جمادى الثانية ١٣٩٢، الموافق: ١٩٧٢/٧/١٣م. ("صحيفة النور"، ج ١، ص ١٨٥)

.. إنني أعرب وبصراحة عن انزعاجي واستيائي من هذه الفئات الخائنة سواء الشيوعية أو الماركسية والمنحرفين عن المذهب الشيعي والعقيدة المقدسة لأهل بيت العصمة عليه السلام، بأي اسم أو رسم كانوا، واعتبرهم خائنين للبلد وللإسلام وللمذهب..<sup>(١)</sup>

بدأت الحرب الرابعة بين العرب و"إسرائيل" في ١٩٧٣/٩/٢٦م بهجوم مفاجئ نفذته الجيوش المصرية والسوري على مواضع "إسرائيل" في صحراء سيناء ومرتفعات الجولان فتحققت بعض الانتصارات لهذين البلدين المسلمين على عكس الحروب الثلاثة السابقة، ومع بدء هذه الحرب أوقف تصدير النفط من قبل البلدان العربية النفطية إلى الدول الحليفة لـ"إسرائيل"، ومنها أمريكا والدول الصناعية في أوروبا الغربية.

وبعد بدء الحرب بيومين (رمضان ١٣٩٣ هـ) أرسل الإمام فقيه - الذي لم يكن يفكر فقط بإيران وشعبها، ويرى لنفسه مسؤوليات أكبر - رسالة مهمة إلى الدول والشعوب الإسلامية دعاهم فيها إلى مساعدة دول المواجهة، وطالبهم بتجاوز الاختلافات والنفاق المخرب والمذل جاء فيها:

.. إن على الشعب الإيراني الغيور أن يقف بوجه المصالح الأمريكية والإسرائيلية في إيران، وأن يجعلها هدفاً لهجماته".

أدى ارتفاع الدخل النفطي الإيراني - إلى أربعة أضعاف - إلى زيادة حجم ثروة الملك ورجال البلاط المقربين له بنفس النسبة، إلى درجة أن الصحف الأجنبية اعتبرت الملك من أكبر الأثرياء في العالم. وقد استخدم جزء مهم من عائدات النفط كاستثمارات خاصة خارج البلد من قبل الملك، وأشرف البهلوي (أخته الفاسدة) والتابعين للنظام، ووصل حجم الواردات الإيرانية من الخارج - وخاصة التجهيزات العسكرية - إلى عدة أضعاف، ووصلت إلى طهران عشرات الوفود التجارية من دول العالم المختلفة. ووصل حجم المشتريات العسكرية الإيرانية في عام ١٩٧٣م فقط إلى ملياري دولار. وبعبارة أخرى كان الملك أول مشترٍ للأسلحة الأمريكية بقيمة ١٥ مليار دولار، وكانت المواد المستوردة هي تجهيزات عسكرية ومواد غذائية واستهلاكية.

وقدّم قسم آخر من الدخل النفطي الإيراني قروضاً إلى دول أجنبية ومنها دول صناعية في أوروبا الغربية! فقد اقترضت إنكلترا ١٣٠٠ مليون دولار، وفرنسا ١٠٠٠ مليون دولار من إيران. وبلغت القروض التي قدّمتها إيران بعد عشرة أشهر من ارتفاع أسعار النفط إلى حوالي ١٠ مليارات دولار!

وعلى الرغم من ارتفاع الدخل النفطي، فإن إعطاء القروض إلى الدول الغربية من دون تريث، والمساعدات السريّة والعلنية لـ"إسرائيل"، واختلاس ملايين الدولارات من دخل البلد من قبل المسؤولين الحكوميين والعسكريين، أدى إلى تعرّض الحكومة الإيرانية في عام ١٩٧٦م إلى عجز في الميزانية بلغ مليارين وسبعمئة مليون دولار، لهذا اضطر في عام ١٩٧٧م إلى اقتراض حوالي ٤٥٠٠ مليون دولار من البنوك المتعددة الجنسيات بسعر فائدة يعادل ١٢ بالمئة، وفي الحقيقة فإن الحكومة لم تجد حلاً غير رفع مستوى إنتاج النفط.

(١) فقرة من جواب الإمام على رسالة مجموعة من الناس بتاريخ آب ١٩٧٧م. ("صحيفة النور"، ج ١، ص ٢٢٩)

وفي قبال تلك البرامج التخريبية للملك، أصدر الإمام عليه السلام بياناً في ١٢/٣/١٩٧٥م إستنكر فيه الإتفاقية العسكرية بين إيران وأمريكا وحذر في ختام البيان قائلاً: "إنّ الشعب اليوم يتعرض إلى الإفلاس، فقد توقف النمو نتيجة إعطاء القروض وشراء الأسلحة. إنّ الصفقات المذلة، وخاصة صفقة الـ ١٥ مليار دولار الأخيرة مع الاستعمار الأمريكي، تعدّ ضربة قوية أخرى وجهها الملك إلى الاقتصاد الإيراني، وهي عرض رخيص لثروة وذخائر الشعب الإيراني المحروم".

وفي عام ١٩٧٥م وبينما كان الملك يرى نفسه في ذروة السلطة، أسس حزب "رستاخيز" ليحوّل إيران التي كانت فيها أحزاب شكلية عديدة مثل: "إيران الجديدة"، "الشعب"، "بان إيرانيست"، إلى بلد ذي حزب واحد فعين أمير عباس هويدا (رئيس الوزراء) أميناً عاماً للحزب، وأعلن في مقابلة صحفية معروفة أنّ الذين لا يعتقدون بالأسس الثلاثة لحزب "رستاخيز"، (أي: النظام الملكي، الدستور، ثورة الملك والشعب)، ولا يريدون الدخول إلى هذا الحزب، يمكنهم الحصول على جواز سفر ومغادرة البلاد.

وعلى الفور رد الإمام على خطوة الملك تلك، وأصدر بياناً في ١٢/٣/١٩٧٥م طلب فيه من مراجع الإسلام أن يحرموا الإنتماء إلى حزب "رستاخيز" (البعث) وأن لا يسمحوا بسحق حقوق الشعب.

في عام ١٩٧٥م وبعد مرور ١٢ سنة على ثورة ٥ خرداد الدامية، قرر الطلاب والعلماء إقامة مراسيم تكريم لها. وقد واجهت هذه المراسيم - التي أقيمت في المدرسة "الفيضية" - هجوماً ظالماً من المأمورين، واعتقل وجرح عشرات الأشخاص. وفي ١١/٧/١٩٧٥م أصدر الإمام عليه السلام بياناً إستنكر فيه جرائم عناصر النظام في ذلك اليوم، وبارك للشعب الفكر الحر التوجه نحو الحرية.

وقبل عدة شهور من هذا التاريخ، وفي شهر آذار ١٩٧٥م إنتهت الخلافات بين الحكومة الإيرانية والعراقية بوساطة من الرئيس الجزائري "هواري بومدين" ومع قيام العلاقات الحسنة بين إيران والعراق، إتسعت مضايقات الحكومة العراقية للإمام عليه السلام. وكتب الملك تحت تقرير السفارة الإيرانية في بغداد - الذي أبلغ به - ما يلي: "لقد كررت المطالبة بخلق هذا الصوت!"

وفي عام ١٩٧٦م تولى "جيمي كارتر" رئاسة الجمهورية الأمريكية، بعد وصول الديمقراطيين إلى الحكم. وكان الملك يفكر أنه سوف يتمكن من التنسيق مع الديمقراطيين بنفس الطريقة التي تحققت له في فترة رئاسة كندي. وكانت سياسة الحزب الديمقراطي وفقاً لنظريته التقليدية تقضي بإيجاد مناخ سياسي مفتوح في الدول الخاضعة لها، من أجل تخفيف الضغوط والاعتراضات الشعبية.. غير أنّ الظروف كانت تختلف حينها، فقد ازداد استياء الناس - وخاصة الطبقة المستضعفة - من نظام الملك بشدة، كما أنّ الظروف العالمية كانت تختلف أيضاً.

وفي شهر أسفند ١٩٧٧م أدانت منظمة العفو الدولية في "لاهاي" النظام الملكي الإيراني بسبب ما يمارسه من القمع والإرهاب، وفي شهر أيار ١٩٧٧م دعا وزراء خارجية أمريكا وإنكلترا الملك إلى التخلي عن الديكتاتورية، وذلك في المؤتمر السنوي لمجلس وزراء "الستو".



في هذا الوقت، إستقال أمير عباس هويدا من رئاسة الوزراء بعد ثلاث عشرة سنة وعيّن محلّه "جمشيد آموزكار" العميل الأمريكي القديم، وذلك في إطار تغيير السياسة العامة للغرب تجاه إيران. وفي شهر نيسان من العام نفسه عيّن "كارتر" "سوليوان" (سفير أمريكا في الفلبين) سفيراً جديداً في إيران<sup>(١)</sup> وفي الشهر نفسه تأسست جمعية الحرية والدفاع عن حقوق الإنسان في إيران. وقد كانت مشاركة "ديفيد أوين" (وزير الخارجية الإنكليزي)، و"سايسروس فانس" (وزير الخارجية الأمريكي)، في اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء في حلف "الستو" في طهران، دليلاً على أهمية دور إيران كقاعدة عسكرية أمريكية في الخليج الفارسي<sup>(٢)</sup> وفي أمريكا صرّح "أردشير الزاهدي" قائلاً: "إنّ إيران لوحدها هي أوسع سوق للبضائع الأمريكية في المنطقة. وإنّ النفط مهم لإيران كأهمية الماء والخبز"<sup>(٣)</sup> وهذه التصريحات هي أقصر العبارات التي تبين نتيجة تنفيذ الإصلاح الزراعي والثورة البيضاء للملك بعد مرور ١٥ سنة.

في الذكرى السنوية لانتفاضة ٥ حزيران أقامت الحوزة العلمية في قم حفلاً لتكريم الشهداء، وفي طهران تظاهر طلبة الجامعات في شارع الجامعة وكلية الاقتصاد. وفي ١٩/٥/١٩٧٧م توفي الدكتور علي شريعتي في لندن بظروف غامضة، وبهذه المناسبة استمرت التظاهرات المضادة للنظام من قبل الطلبة الجامعيين في المدن المختلفة، وخاصة طهران، ولعدة أيام.

وفي سنة ١٩٧٨م نظّم العلماء البارزون ومؤيدو الإمام تشكيلاتهم لغرض توجيه الكفاح، ومتابعة أهداف الإمام الخميني. وهذا التنظيم كان نتيجة الجهود التي بُذلت منذ عام ١٩٧٧م بواسطة الشهيد المظلوم الدكتور بهشتي، وشخصيات أخرى كالشهيد مطهري، والشهيد باهنر، وسماحة آية الله الخامنئي. وتمت تقوية التنظيم

---

(١) كتب "سوليوان" المشرف على المحادثات السريّة مع الوطنيين وعلاقات الملك مع البيت الأبيض خلال عامي ٧٧-١٩٧٨م ومنفّذ السياسات الأمريكية المعادية للثورة الإسلامية حتى احتلال وكر التجسس، في كتابه "مأمورية في إيران"، ص ١٢، ما يلي: "في أول لقاء مع "فانس" سألته عن سبب اختياري سفيراً في دولة ليس لدي بشأنها أية تجربة وسابقة! فقال وزير الخارجية: إنّ سبب اختيارك "سوليوان" لهذا المنصب هو أنهم كانوا يبحثون لمنصب السفارة عن دبلوماسي مجرّب في الدول التي تدار بحكومات مركزية واستبدادية، ويمكنه أن يعمل مع حاكم قوي ومستبد".

(٢) صحيفة "رستاخيز" في عددها الصادر في ٢٦/٤/١٩٧٧م التي نقلت حديث "زاهدي" في مأدبة أقيمت في مدينة "دالاس" الأمريكية.

(٣) المصدر السابق العدد الصادر في ٤/٥/١٩٧٧م، التي نقلت حديث "زاهدي" مع شبكة "إن.بي.سي" التلفزيونية الأمريكية، وكذلك فقد ذكرت صحيفة "كيهان" في عددها الصادر في ٤/٣/١٩٧٨م بأنّ صادرات النفط الإيراني قد تجاوزت الخمسة مليارات ومئتي ألف برميل يومياً.

المذكور بعد سفر آية الله المطهري في أوائل عام ١٩٧٧م إلى النجف وتأكيد سماحة الإمام على اتخاذ أساليب مؤثرة في المواجهة، وتأسيس تنظيم وانسجام بين القوى الثورية.<sup>(١)</sup>

كان الإمام عليه السلام بوصفه أكبر مرشد وموجه لحركة الجماهير في هذا القرن يشرح بأسلوب سهل ومفهوم تشابك الأحداث، ويوضح الطريق للجميع وذلك كلما سنحت له الفرصة المناسبة، فيشير إلى ما هو ضروري للمجتمعات الإسلامية - بلا أية مبالغة ومداينة - وبدون الالتفات إلى أنّ طرح هذه الموضوع مقبول لدى البعض ومرفوض لدى كل الشرائح والفئات الأخرى - لقد أثبت الإمام الخميني أثناء وجوده في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وبصورة عملية الارتباط العيني للدين والسياسة، وكان يصرّ على حتمية ذلك من خلال قيادته للنهضة السياسية - الإلهية والقيام بأمور المرجعية والزعامة، وتدريس العلوم الدينية.

كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف قد عاشت السكون والسكوت لأكثر من نصف قرن، وما كان يطرحه العلماء المدرسون في الحوزة لم يكن يتجاوز إطار المسائل والأحكام العبادية. وإذا نقلت مسألة في باب الحكومة عن مؤلفات وكتب السابقين، فإنها لا تثير الدافع لتناول الأساليب الحكومية بالدراسة في العصر الراهن، بل كانت تعتبر محض ذكر لحادثة تاريخية، فالأمر لا يطرح على سبيل المقارنة، إلا أنّ الإمام عليه السلام وبإدراك كامل منه لرسالته الإلهية الإسلامية - أسس أسلوباً جديداً في الدرس والتدريس لم تكن له سابقة حتى ذلك الوقت، وأثار روحاً جديدة لدى الجميع، خاصة الطلاب الذين يحضرون عنده.

وفي هذا الخطاب الذي ألقاه على طلابه أثناء درس الفقه، أشار إلى مشكلات الشبان، ولفت أنظارهم إلى الدراسة، وأكد على ضرورة النظام والبرمجة وتنظيم الأوقات، ثم طرح مسألة حيوية للمسلمين فقال: "إنّ الإسلام وسائر الأديان الإلهية، ليست مثل سائر الحكومات، وحكومة الإسلام ليست مثل سائر الحكومات.."، وقال: "كثير من أحكام الإسلام هي أحكام سياسية، إنّ في الإسلام أحكاماً معنوية..".

كما تعرّض الإمام عليه السلام في هذا الخطاب إلى الاستنتاجات الخاطئة من الآيات القرآنية من قبل بعض الكتّاب، وكشف عن الأفكار الالتقاطية للفئات المسلمة في ظاهرها، والمدعية للمواجهة.

---

(١) في عامي ٧٧ و ١٩٧٨م قامت هذه التشكيلات - التي ضمّت بالإضافة إلى الأشخاص المذكورين - جمعاً كثيراً من العلماء الثوريين، بتوجيه وإدارة مسيرات وتظاهرات كبيرة وعامة. وقد نتج من هذا التنظيم: جماعة العلماء المجاهدين، ولجنة تنظيم الإضرابات، ولجنة إقامة المسيرات، ولجنة استقبال الإمام الخميني، والحزب الجمهوري الإسلامي - بعد انتصار الثورة الإسلامية - وكان مسجد "قبا" والمساجد الكبيرة في طهران التي كانت تدار بإشراف أحد العلماء والثوار، مركزاً لتنظيم التظاهرات وتجمع الثوار. وفي المحافظات والمدن كان ممثلو سماحة الإمام والشخصيات الدينية يتابعون ويوجهون الثورة في مناطقهم. وقد ورد في كتاب "تقويم تاريخ الثورة الإسلامية في إيران"، ص ١٧-٢١، أسماء أعضاء التشكيلات المذكورة وفروعها، وشرح مختصر لنشاط الأحزاب والحركات التي كان لها نشاط مسلّح في الارتباط مع الشخصيات الدينية الثورية.

في سنة ١٩٧٧م، دخلت معارضة النظام الملكي في إيران مرحلة جديدة، وظهرت أولى ثمار القيادة الواعية للإمام قَالَ. غير أن بعض الفئات دخلت المعركة بعد سنوات من وصولها إلى الطريق المسدود والفشل، مستفيدة من الفرصة، ساعية للوصول إلى السلطة. وكان هدفهم الأول هو كسب الجيل الشاب، لذا فقد قاموا بطبع الكتب والمجلات والإعلانات، وكان تأكيدهم الأشد على الإسلام. لكن الإمام قَالَ كان واعياً ومدركاً لطبيعة أفكارهم النفاقية جيداً، فحذّر من أخطار هذا الفكر، وهاجم بشدة في جزء آخر من خطابه فكرة "فصل الدين عن السياسة" التي تجذّرت في أعماق الحوزات العلمية وعلى مستويات عالية منها، فقال: "هؤلاء لا يعرفون الإسلام.. إنّ الأحكام السياسية للإسلام أكثر من أحكامه العبادية، والكتب التي تخص السياسة في الإسلام أكثر من الكتب التي تخص العبادة".

من المسائل التي قوبلت باعتراض عام، هو ما يسمى باحتفال الفن في "شيراز"، وإجراء برامج مبتذلة حتى على أرصفة الشوارع، ففي عام ١٩٧٧م بادرت الصحف - الخاضعة لرقابة شديدة - إلى الانتقاد. وقال الإمام قَالَ مشيراً إلى هذا الموضوع: ".. أنتم لا تعلمون ماذا بدأت من فحشاء في إيران مؤخراً، ليس لديكم اطلاع، لا يقال ماذا بدأت من فحشاء في إيران، جرى في "شيراز" - ويقال إنه من المقرر أن يجري في طهران - ولا أحد يتكلم حول ذلك! سادة إيران لا يتكلمون! لا أعلم لماذا لا يتكلمون!".

كان الجزء الأهم من خطاب سماحة الإمام يختص بالبحوث والمقالات والكتب التي طُرحت ونُشرت في تلك الأيام من قبل المثقفين المسلمين، والتي كان لها الكثير من المحبين من الجيل الشاب والمتعلم في داخل وخارج البلد، ومنها مؤلفات الدكتور علي شريعتي، والتي مهّدت السبيل لاشتداد المعارضة والتأييد.

إنّ المطالعة الدقيقة لنص خطاب سماحة الإمام حول هذا النوع من المؤلفات - بدون أن يذكر اسم شخص معيّن - والنقد الاستدلالي لسماحته في هذا الصدد، يبيّن الدقة والشعور بالمسؤولية، وفي الوقت نفسه تجنّب كل نوع من أنواع المواقف والتعامل الذي يصبح سبباً للاختلال والتفرقة بين الحوزة والجامعة. وفي ختام هذا الخطاب دعا الإمام الجميع إلى الوحدة والمواجهة، وبشّر بالنصر.

### مقاطع من الخطاب رقم (٢٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بالأمس طرحنا موضوع "الغصب" وتحدثنا عنه، وبعد نهاية الدرس ذكّرني أحد الإخوة بأنّي قد طرحت هذا الموضوع سابقاً، فكان الأمس تكراراً لذلك.

ومثل هذا الأمر لا يبعد صدوره عن مثلي، فالإنسان - بازدياد عمره وغلبة الشيخوخة عليه - تضعف جميع قواه. وكما تضعف القوى البدنية، تضعف أيضاً قواه الفكرية والروحية، وقدرته على العبادة، وحالة العبادة لديه..

كلها تضعف، لكنها تكون فعالة ونشطة في مرحلة الشباب، لهذا كنت أذكر الإخوة المحترمين مراراً بأن يقدروا نعمة الشباب حق قدرها، ما زالوا يتمتعون بها. وأن يحولوا دون ضياعها هدرًا.

فلو قُدر للشباب.. أنا لا أقول بأن لا يخصص وقتاً للراحة والنزهة، لا أقول بأن يكون مشغولاً دوماً، بل أقول إن على الشباب أن ينظم أوقاته، ويجعل معظمها للتعلّم. فما زلت قد وُظمت أنفسكم أيها الإخوة على التحصيل العلمي، فعليكم - وما زلتتم تتمتعون بنعمة الشباب - أن تنظّموا أوقاتكم، وتجعلوا القسم الأساسي منها مخصصاً للمناقشة والمطالعة والدراسة والبحث والتدريس، ولا تتوهّموا أنكم تستطيعون - إذا ضاعت منكم أيام الشباب - أن تؤدوا عباداتكم أو تحصّلوا العلوم في أواخر أعماركم، فالإنسان لا يستطيع آخر عمره تحصيل العبادة ولا التعلّم، ولن تكون طاقته الذهنية قوية أو مستقيمة بحيث يتمكن من إدراك دقائق المطالب العلمية.

لذا، عليكم بذل الجهد الآن - وما دتم شباباً - في تعلّم المباني العلمية والفقهية، وفي ذلك الوقت - آخر العمر - ستعطي هذه الأمور، التي تعلّمتموها الآن، ثمارها بعد أن تكون قد تكاملت أغصانها وأوراقها حينها، وعندئذ تتحقق الفائدة المرجوة منها. ولكن إذا تركتم هذه النعمة تضيع هدرًا هكذا، فإنكم لن توفّقوا بعدها.

لذا، على الإخوة المحترمين - وبناءً على الأخذ بنظر الاعتبار أن أيام الشيخوخة، أيام نسيان وضعف ذاكرة - أن يفسروا إعادتي للموضوع الذي كنت قد عرضته سابقاً، نعم فذلك بسبب الضعف الذي يعتري الإنسان في أيام شيخوخته.

هنالك أمر آخر، ينطوي - في رأيي - على أهمية بالغة، وينبغي على الإنسان الالتفات إليه وهو أولاً: إن الإنسان - أقصد هذا الكائن الذي يمثل خلاصة الخليفة - ينطوي على جوانب وأبعاد وخواص مختلفة، يشترك في بعضها مع النباتات.. كذلك أيضاً. فكما أن نمو النبات يعتمد على الماء، وكما أن غذاءها من الأرض، كذلك فإن الإنسان يعتمد في نموه - كسائر النباتات - على النعم والبركات التي أودعها الله (تبارك وتعالى) في هذه الأرض. كما أن له خواص حيوانية كسائر الحيوانات، له عين وأذن وكذا وكذا.. وله إدراكات بسيطة كما للحيوانات (طبعاً هي الحيوانات بمستواها الأدنى) وللإنسان هنا مرتبة "مثالية"<sup>(١)</sup> عدا ذلك، هناك أمور يختص بها الإنسان وهي: التعقل، والجوانب المعنوية وبعض التجرد الذاتي<sup>(٢)</sup> مما لا يوجد منها لدى الحيوان.

---

(١) المرتبة "المثالية" للإنسان هي مرتبة ما بين "الطبيعة" و"العقل"، في هذه المرتبة توجد صور جسمانية وعوارض وهيئات كمالية، ولكن لا توجد المادة التي توجد فيها قوة وانفعال. هذا العالم الذي هو برزخ بين العقل والمادة موجود في بعض الحيوانات أيضاً، مثلاً: "إدراك الحيوانات ومعرفتها لصاحبها"، إلا أن هذه المرتبة في الإنسان أقوى.

(٢) جاء في توضيح المرتبة "المثالية" للإنسان أن بعض الحيوانات المدركة لديها هذه المرتبة بصورة ضعيفة، ولكن مرتبة "العقل" والتجرد الباطني التي تدرك فيها "الكليات" تختص بالإنسان فقط، والحيوانات ليست لديها هذه المرتبة، والحد الأقصى لمرتبتها الوجودية هي المرتبة المثالية والبرزخية.

ثانياً: القرآن الكريم الذي يتصدر قائمة الكتب السماوية التي جاءت في الحقيقة - كما القرآن الكريم - لبناء هذا الإنسان، وتحويله من إنسان بالقوة ال إنسان بالفعل، وموجود بالفعل، والأنبياء بدعوتهم بعثوا لتحقيق هذا الغرض - حسب اختلاف مراتبهم طبعاً - وهو تحويل الإنسان إلى إنسان حقيقي من "القوة" إلى "الفعل" فجميع العلوم الدينية والعبادات والمعارف الإلهية وجميع الأحكام العبادية مما هو موجود، جميعها يراد بها تحقيق هذا الأمر، تحويل الإنسان الناقص إلى إنسان كامل.

فالقرآن الكريم - إذاً - كتاب لبناء الإنسان إذا ارتبط به الإنسان، فسيجد أنه يساهم في جميع المراتب الخاصة بالإنسان، كما هو وجميع تلك المراتب ترتبط به.

إن حكومة الإسلام وسائر الأديان الإلهية تختلف عن سائر الحكومات، فسائر الحكومات المادية، وأياً كان النظام الذي تعتمد عليه تهتم فقط بحفظ النظام في بلدانها، وإذا كان القيمين عليها ممن يحرصون أشد الحرص على العدالة، فإنهم سيحرصون بالدرجة الأولى على أن لا يظلم أحد أحداً ولا يتعدى شخص على آخر، وإذا كانوا حكماً عادلين فإنهم سيمتنعون عن الإعتداء على الآخرين، وينصرفون إلى حفظ النظام في بلدانهم فقط. ولكن إذا أراد أحد أن يمارس أي عمل في داخل منزله، فيأمكنه القيام بذلك، بشرط أن لا يكون عمله خطراً على الحكومة، أو على وضعها العام، وبشرط أن لا يمس بالنظام، فيأمكنه أن يشرب الخمرة مثلاً داخل منزله، أو يلعب الميسر، أو يرتكب أي عمل قبيح. فإن الحكومة لا تتعرض له. أما إذا خرج وأثار ضجة ما فإن الحكومة لا تتعرض له. أما إذا خرج وأثار ضجة ما فإن الحكومة تعترضه لما في ذلك من الإخلال بالنظام، أما ما يفعله داخل جدران منزله، فليس من شأنهم سواء في ذلك إذا كانت الحكومة عادلة أو جائرة، إلا إذا حصل اعتداء في داخل المنزل، وعرضت القضية على الحاكم، حينها سيتصرفون..

والحال أن الإسلام والحكومات الإلهية ليست كذلك، فهي تطرح حكمها في كل مكان، وعلى كل شخص أينما كان، وعلى أية حالة، أي أن أحداً إذا أراد القيام بعمل منافي أو فساد ما في داخل منزله، فإن الأحكام والحكومة الإسلامية تتبعه إلى هناك، وإن كانت الحكومة لا تأتي للتفتيش إلا أن الأمر بحد ذاته محرم، فهي تعطي حكماً بعدم القيام بذلك العمل، وتحدد العقاب لمن يرتكب هذا العمل، وإذا تم اكتشافه فإن لديها من الأساليب المختلفة من أنواع الحدود والردود التي تعتمد على الموازين الموجودة في الشريعة.

إن الإسلام وسائر الحكومات والدعوات الإلهية، تعني بجميع شؤون الإنسان بدءاً من أبسطها وحتى أعقدها، جميعها تهتم بذلك، لا مثل الحكومات الأخرى التي تهتم فقط بساسة الملك. فكما أن في الإسلام سياسة للبلاد، وكما أن أغلب أحكامه أحكام سياسة، فهو يضم عدا ذلك أحكاماً معنوية، يضم حقائق ومعنويات تعني بالرشد المعنوي للإنسان، وبترية الإنسان روحياً في العشرة، فالإسلام يحدد أحكام العلاقة بين المسلمين والآخرين، للإسلام أحكام لعلاقة الإنسان مع نفسه، وأحكام لعلاقة الإنسان مع زوجته، ومع ولده وجيرانه، ومحله وأصحابه، ولعلاقته مع مواطني بلده، ولعلاقته مع من يعتنقون نفس ديانته، ومن يعتنقون غير ديانته، أحكام تشمل كل الحياة والى ما بعد الموت حتى. فلدى الإسلام أحكام لحياة الإنسان منذ الفترة السابقة لولادته

وزواج والديه، ومروراً بفترة الحمل به، وحتى الولادة. ثم لما يتعلق بأمور التربية في الطفولة والصبا والبلوغ والشباب وحتى الشيخوخة، بل أن الأحكام تتبع الإنسان إلى القبر، وإلى ما بعد القبر.. فوضع الإنسان في ملحودة قبره لا ينهي الأمر، بل يعتبر ذلك أول الأمر. فجميع هذه الحياة البشرية في الدنيا، وكل ما يتعلق بتربية الإنسان، وجعله عقلاً نياً وأخلاقياً وغيره، ثم إلى أن ينفصل عن هذا العالم<sup>(١)</sup> ويبلغ مرتبة الكمال ومرتبة التجرد - المرتبة الأصلية - ثم بعد تسليمه إلى القبر، وبدء حياته الروحانية، حياة القبر، الحياة الروحية والمعنوية والبرزخية، وإلى ما هو أرقى من الحياة الروحية والبرزخية كلها تقع ضمن دائرة اختصاص الإسلام. فالإسلام وأحكامه التي بعث الله تعالى بها الأنبياء والرسل لا تهتم بهذا العالم فقط، أو بالعالم الآخر فقط.

هناك ثلاث فئات من العلماء موجودة على مر العصور هم: الفلاسفة والعارفون والمتكلمون، ممن كانوا ساعين دوماً في تحصيل الرشد المعنوي، وقد تمسكوا دوماً بتلك المعنويات - كل حسب طاقة إدراكه - وخطأوا القشريين<sup>(٢)</sup> فقد اعتبروا كل من سواهم قشري وخطأوه، بل إنهم حينما تعرضوا لتفسير القرآن فسروا أغلب الآيات بالمعاني العرفانية والفلسفية، وغفلوا كلياً عن الحياة الدنيا، وما هو مطلوب لها، وعن التربية الواجب تحقيقها فيها. غفلوا عن ذلك، وتمسكوا بتلك المعاني التي تفوق إدراك العامة وسواء الناس - وكل حسب مذهبه - وعلاوة على طرح تلك التفسيرات فإنهم خطأوا كل من سواهم. وفي نفس عصرهم كانت طائفة هناك أخرى من العلماء ممن توجهوا نحو الإهتمام بالمسائل الفقهية والتعبدية، أولئك أيضاً قاموا بدورهم بتخطئة هؤلاء، فوصموهم بالإلحاد أو الكفر أو عملوا معهم ما عملوا وخطأوهم، والحال أن كلاهما بجانب الواقع.

فالفقهاء حصروا الإسلام بالأحكام الفرعية، والفلاسفة والعارفون حصروا الإسلام بالجوانب المعنوية وما وراء الطبيعة، حيث كانوا يعتقدون أن ما وراء الطبيعة هو الشامل لكل الجوانب، في حين أن أولئك رأوا أن الإسلام جملة من الأحكام للدنيا، وأنه مجموعة من الأحكام الفقهية، ولا معنى لكل ما عدا ذلك.

ظهرت بعد ذلك مجموعة من الكتاب المتدينين والفضلاء العاملين - كأولئك الفقهاء العاملين - فالتكلمين والفلاسفة كانوا عاملين أيضاً، وسعوا إلى خدمة الدين، وتوضيح أحكامه - وكل حسب فهمه - وعلى أية حال، ظهرت مجموعة من الكتاب ذوي الأقلام الجيدة، هؤلاء فسروا الآيات القرآنية على خلاف ما فسرها العرفاء والفلاسفة من الأمور المعنوية، فسروها بالماديات.

أولئك كانوا يقولون: إن الإسلام جاء أساساً لتعليم الناس التوحيد وسائر المسائل العقلية الإلهية، وباقي الأمور إنما هي مقدمة لذلك، لذا ينبغي تركها، والسعي نحو تحقيق الغايات<sup>(٣)</sup> لذا فإنهم - طبعاً بعضهم لا

(١) عندما تخرج الروح من الإطار المادي.

(٢) كناية عن الذين لديهم جمود على الظاهر.

(٣) "خذ الغايات واترك المبادئ" مثل معروف.

جميعاً - لم يكتثروا بالفقه والفقهاء، ولا بالأخيار أو ظواهر القرآن أو الكثير من الأحكام الموجودة في القرآن. طبعاً لم يردّوها، إلا أن تعرّفهم كان كالدرد عليها تماماً، فعدم الإكتراث، واتخاذ موقف الحياد إزائها كان معناه هذا. وبالإضافة إلى تخطّتهم أقرانهم، واعتبارهم قشريين، بمعنى "ما نؤمن ببعض.." <sup>(١)</sup> الآية، هم لم يقولوا لا علاقة لنا، أو أننا لا نقبل بذلك! بل قالوا: "إنّ الجوانب المادية طاغية على الدنيا، وأنّ الدنيا مليئة بالزخرف، وأنّ أهلها كذا..".

ثم ظهرت تلك المجموعة التي نادت بالقول: "إنّ أحكام الإسلام جاءت أساساً لإيجاد نوع من العدالة الاجتماعية، والقضاء على الطبقية. وليس في الإسلام شيء آخر، والتوحيد في الإسلام إنما يعني التوحيد بين جماهير الناس، وفي توحيد نمط الحياة، وأما العدالة في الإسلام فتعني حياة الناس مع بعضها البعض بشكل عادل ومتساو، فالأساس أن تكون الحياة البشرية كالحياة الحيوانية، فيعيش الناس حياة واحدة، لا يتدخل أحد بشؤون أحد."

أما تلك الآيات التي تتحدث عن المعاد والتوحيد، وكل تلك الأدلة والبراهين الواردة بخصوص إثبات النشأة الثانية <sup>(٢)</sup> فإنّ ذلك المتدين يغضّ طرفه عنها، ويلجأ إلى آيات أخرى، ناهيك عما يلجأ إليه ذلك الذي لم يقوّ تدبّنه إلى درجة كافية من التأويل، وهكذا.

في أيام شبابنا، رأينا اثنين أو ثلاثة من طلبة العلوم الدينية، ممن كانوا يحملون أساساً نوعاً من الانحراف، الذي لم يظهر نتيجة عدم ظهور أمثال تلك الأمور بعد، جاؤوا ليعلنوا أنهم توصلوا إلى فهم جديد، وهو "أنّ القيام موجودة هنا في الدنيا، وكل ما هو مقرر وقوعه يقع في هذه الدنيا، القيامة هنا، والجزاء هنا، وكل شيء ينتهي هنا، والحياة البشرية ليست سوى حياة حيوانية، وكل شيء هنا في هذه الدنيا".

تلك المجموعة كانت من المتدينين، ومن المحبوبين أيضاً، إلا أنهم كانوا واقعين في خلط واشتباه. وحينما يطالع الإنسان ما كتبوا في المجلات وغيرها، يرى أنهم يفهمون "مجيء الإنسان لمجرد بناء الإنسان، والقضاء على الطبيعة"، يقولون إنّ المطلوب هو أن يصبح الإنسان حيواناً "جاء الإسلام لخلق الإنسان المشاعي (غير الطبيعي) لا غير"، أي أن يعيش الإنسان حياة تكون الحكومة معها مسؤولة عن تلبية الحاجات بالتساوي، ويكون الجميع في خدمة الحكومة.. وكذا..

فقد كانوا يريدون إسقاط كل الآيات والضرورات الموجودة في كل الأديان من حساباتهم، ويؤلّون الآيات التي لا يستطيعون تأويلها. تماماً كما كان أولئك يفسّرون الآيات بالمعنى العرفاني.

وتأمّلوا بما كان أولئك الذين اتجهوا بهذا الإتجاه يقولونه حول قضية موسى والخضر <sup>(١)</sup> فمن أين جاؤوا بما قالوا؟ والله أعلم من أين جاؤوا بما قالوا. غير أنه طبيعي ذلك بعد المستوى الذي وصله الإنسان في ذلك

(١) .. يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض.. ﴿سورة النساء، الآية ١٥٠﴾.

(٢) وتعني هنا الآخرة.

التوجه، وبعد أن أضحي كل توجهه النفسي منصّباً على تلك المعاني الغيبية، وإغفال أمر التربية على الأرض تماماً. وبعد أن أضحت الأمور التي لا يمكن أن تتجلى من موضوع واحد، تتجلى له مظاهرها هو المعنى الذي يراه هو، ولا وجود لمعنى آخر. قضية موسى والخضر ظاهراً<sup>(٢)</sup> هذا المعنى الذي ذكر مثلاً.

والإنسان أساساً حينما ينصبّ جهده على علم من العلوم، ويوجّه اهتمامه نحوه، فإنّ اهتمامه سينحصر هناك والقلب بطبيعته هكذا، فحينما يتوجه نحو العرفان يصبح كله عبارة عن "عرفان" ولا يثير اهتمامه بعدها وجود دنيا أو وجود منهج تربوي، فهو يرى العبادات بشكل آخر، والدعاء كذلك بصورة أخرى. نعم، يفسّر الأمور كلها بذلك المعنى الذي لا يوجد فيه غيره. لذا فهو لا يدرك المور التي لا تنسجم مع توجهه، في حين يفسّر جميع الأمور بالمعنى الذي هو المعنى المسلّم به بالنسبة إليه.

من جهة ثانية، فإنّ أولئك الذين تمسّكوا بالإتجاه الآخر، وأضحى الواحد منهم لا يدرك سوى عالم المادة هذا، هم ذوو إدراك ناقص، لا يفهمون حقيقة الأمر، إدراكهم ناقص، وهم ليسوا أصحاب برهان أو استدلال بحيث يمكنهم إثبات مدّعاهم، إنهم ذوو بيان، ذوو بيان جميل، أدباء، وهم لا يتعقلون وجود ما وراء هذا العالم، لذا فإنهم يؤلّون الآيات بأرائهم، ويفسّرونها بهذه الحياة الحيوانية، وينادون بجعل الحياة بلا طبقية، ويجعلها مرفّهة، يعيش فيها الجميع سواسية وما شابه ذلك، إذا أمكن ذلك أساساً.

لا بد من القول: "إنّ الإسلام بدأ غريباً"<sup>(٣)</sup> وغير مرغوب فيه، واليوم أيضاً عاد الإسلام غريباً، والإسلام كان غريباً منذ بدء ظهوره وحتى الآن، وإنّ أحداً لم يعرف الإسلام كما ينبغي.

ذلك "العارف" عالمٌ بالإسلام بتلك المعاني العرفانية والغيبية، وذلك "المتدين" الذي ظهر بعد ذلك، وكتب بالمجلات كذا وكذا، يرى الإسلام عبارة عن معرفة حكومته وما ينبغي أن تكون عليه، وكيف تكون تربيتها، وما يجب أن تكون عليه ظاهراً، وما ينبغي وجوده من العدالة.

ويكفي أن يصل الإنسان لتحقيق تلك الحياة المادية الطبيعية بتلك الشروط، فيكون الإسلام قد حقق أهدافه، فأقصى غاية الإسلام هي هذه الحياة الحيوانية المرفّهة، التي يعيش فيها البشر كسائر الحيوانات التي ترعى في المراعي، لا يزاحم أحدها الآخر، وتُعلف جميعها على السواء. فالبشر هم كذلك، يقولون: "إنّ بني

---

(١) بناءً على بعض الروايات فإنّ حضرة الخضر عليه السلام نبي مرسل، ولديه معجزة، وسمّي بالخضر لأنه أينما وضع قدمه اخضرّ ذلك المكان ونما النبات، والإسم الأصلي لـ "الخضر" هو "تالي بن ملكان بن أفخشد بن سام بن نوح". ويستفاد من الأحاديث الواردة حوله بأنه عليه السلام قد حصل على عمر أبدي بسبب شربة ماء الحياة. (راجع:

ترجمة "تفسير الميزان"، ج ٢٦، ص ٢٤٣ و ٢٤٣)

(٢) سورة "الكهف"، الآيات: ٦٠-٨٢.

(٣) إشارة إلى الحديث النبوي: "إنّ الإسلام بدأ غريباً، ويعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء". (مسند أحمد بن حنبل، ج ١ ص ٣٩٨)



الإنسان القديم كانوا جميعاً يأكلون السمك، يصطادون السمك من البحار ويأكلون دون أن يزاحم أحد أحداً، ويصطادون الغزلان والحيوانات الأخرى من الصحاري، ويأكلون على السواء دون أن يكثر أحدهم بالآخر. وهذه هي المرتبة الراقية التي كان الإسلام - وما زال - يسعى لبلوغها. فالإسلام وسائر الأديان السماوية جاءت لكي تعيد البشر إلى تلك الحياة الحيوانية المرفّهة. كل ما هنالك أنهم كانوا سابقاً يصطادون السمك ويعيشون، الآن سيعيشون بالسمك والفروج! حياة مرفّهة، يصلح الإنسان فيها أمر لباسه ومأكله وحسب"، أما ما عدا ذلك من المعارف الإلهية؟ وما وراء هذا العالم؟ وما وراء الطبيعة؟

إنهم لا يستطيعون تعقل ما وراء الطبيعة. فما هو ذلك العالم الآخر؟ لا يستطيعون أن يتعقلونه، لا يستطيعون أن يدركوه، فماذا يفعلون؟

عليه، أقول: أيها السادة المحترمون المشغولون بتحصيل العلوم ليس لأولئك الحق بأن يقولوا: إنّ اللحي والعمامة أصبحت عديمة الفائدة، وإنّ هذا النمط من التحصيل لا ينفع - يقولون هذا لجهلهم بالإسلام - كما لا يعطيكم الحق أن تقولوا أنتم عن معاني المعرفة والمعارف الإلهية: "ما هذه العلوم؟ إذا قلتم شيئاً كهذا، فهذا يعني أنتم أيضاً مثلهم". كما أنّ ليس لكلا الفريقين الحق فيما يقول، فأنتم تستطيعون تسفيه منطقهم في رفع الظلم وبسط العدالة، كما أنهم سيخطئون كل شيء.

إنّ الإسلام ليس محصوراً في هذه الأمور، الإسلام يبني إنساناً ساعياً للعدالة وناشراً لها، إنساناً يتحلّى بأخلاق كريمة، ويحمل معارف إلهية تؤهله أن ينسجم مع واقع الحياة في العالم الآخر بعد رحيله من هذا العالم، فهو آنذاك يكون قد أصبح آدمياً بحق.

إنّ هؤلاء الذين يرون جانباً واحداً من الإسلام دون غيره ناقصون ﴿إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

يروى - ولست بصدد تصحيح الرواية أو ردها ولكن يروى - أنّ بعض المفسرين يقولون إنّ "المغضوب عليهم" هم اليهود، و"الضالين" تعني النصارى. كما هناك رواية أخرى - ولا أستطيع تأكيدها ولكني أنقلها عنم نقلوها - يقال كان رسول الله ﷺ يقول: "كان أخي موسى عينه اليمنى عمياء، وأخي عيسى عينه اليسرى عمياء، وأنا ذو عينين".<sup>(١)</sup>

---

(١) "كان أخي موسى كريم العين اليمنى، وأخين عيسى كريم العين اليسرى، وأنا ذو العينين"، منسوب إلى النبي ﷺ. وقد نقل الإمام الخميني في كتاب "سر الصلاة"، ص ٩٢ هذه الرواية، وكتب في تفسيرها: "كان جناب موسى عليه السلام لديه كثرة الغلبة على الوحدة، وجناب عيسى عليه السلام كان وحدة غالبية على الكثرة، وكان الرسول الخاتم ﷺ في مقام البرزخية الكبرى، وهي الحد الأوسط والصراط المستقيم".

ويقول هؤلاء المفسرون إنّ ذلك لأنّ "التوراة" اهتمت بالماديات والأمر السياسية والدينية أكثر، وترون كيف تكالب اليهود، يأكلون الدنيا بكلتا يديهم، ولا زالوا غير مكتفين، إنّ هم يأكلون أمريكا، ويأكلون إيران الآن أيضاً، وهم غير قانعين، يتلعون كل مكان بأكمله.

وفي كتاب حضرة عيسى كان التوجه نحو المعنويات والروحانية كان أكثر، "فالعين اليسرى" والتي تعبّر عن الجانب الطبيعي كانت "عمياء" (ولا أستطيع تأكيد صدور الرواية عن الرسول الأكرم "ص" ولكني أنقلها كما نُقِلَتْ) أي لم يكن متوجّهاً إلى جهة "اليسار" التي تشير إلى الطبيعة، أو أنه كان قليل التوجه نحوه. والتوراة حسب طبيعتها كان توجهها للماديات أكثر.

و"أنا ذو عينين" أي متوجه نحو المعنويات والماديات معاً، وترون كيف أنّ أحكام الإسلام تشهد على ذلك، ترون أحكامه وسياساته.

يتصور الكثيرون، بل الأكثرية من الناس ومن أهل العلم، والقشريين المقدسين، أنّ لا ربط للإسلام بالسياسة. وأنّ الإسلام والسياسة مفصولان عن بعضهما، وهو الأمر الذي لا تسمح الحكومات بحدوثه، والذي أوحى به إلينا هؤلاء الأجانب، وتلك الحكومات منذ أمد، فهم يقولون: "ما علاقة الإسلام أو المعمّم بالسياسة"، كان البعض إذا أراد أن يعيب على أحد المعمّمين يقول: "معمّم سياسي".

إنهم يقولون: "الإسلام بعيد عن السياسة، والدين على حدة والسياسة على حدة".

هؤلاء لم يعرفوا الإسلام، ذلك الذي تشكّلت حكومته في زمن رسول الله ﷺ واستمرت في البقاء - سواء كانت بعد ذلك عادلة أو غير عادلة - حتى وصلت عهد أمير المؤمنين عليه السلام فعادت لتكون حكومة الإسلام العادلة. وكانت حكومته ذات سياسة من جميع الجوانب. وإلاّ فما هي السياسة؟ والعلاقة بين الحاكم والشعب، والعلاقة بين الحاكم وسائر الحكومات، والقضاء على المفساد الموجودة، كل ذلك سياسة من؟ ولو تأملنا قليلاً سنجد أنّ أحكام الإسلام السياسية أكثر من أحكامه العبادية. والكتب الموجودة في الإسلام عن السياسة أكثر منها عن العبادة.

فذلك المفهوم الذي سعوا إلى زرعته في أذهاننا مفهوم خاطئ، وإن كان بعض الإخوة المحترمين قد صدّقوا بفصل الإسلام عن السياسة، وأنّ الإسلام مجموعة من الأحكام العبادية تخص العلاقة بين الإنسان والله، فاذهبوا أنتم إلى مسجدهم، وادعوا الله ما طاب لكم، واقرأوا القرآن أينما شئتم، ولن نمسّكم بشيء.

هذا ليس إسلاماً! لقد وقف الإسلام بوجه الظلمة، وأصدر أحكاماً بالقتال، أصدر أحكاماً بالقتل على الكفار والمعتدين، وله أحكام على الأشخاص الذين هم كذا. أفكل هذه الأحكام موجودة في الإسلام حول القتال والجهاد وكذا، والإسلام بعيد عن السياسة؟! والإسلام ليس سوى ارتياد المسجد وقراءة القرآن وأداء الصلاة؟! كلا، ليس كذلك، الإسلام لديه أحكام يجب تطبيقها.

من جهة أخرى، يهدف الآخرون إلى القول: لماذا تذهبون إلى المسجد؟ ما معنى الصلاة أصلاً؟ وهذا خطأ أيضاً. فالإسلام فيه الصلاة "بني الإسلام.. على الصلاة" (١) فهو ليس دنيا فقط، وحياة حيوانية، لكي تقول جنابك إذا تحققت الحياة المرفّهة، فماذا أفعل بالصلاة؟ ماذا أفعل بالدعاء؟ إلا إذا كان القائل منكرًا لما وراء هذا العالم، حينها يكون الحق معه، فحينما لا يكون لما وراء الطبيعة أي شيء، فليس هناك بحث. ولكن عندما يكون هناك عالم وراء هذا العالم، وحينما يقوم البرهان على ذلك، وحينما تُجمع الأديان جميعها على ذلك، ويكون الدليل قائماً على وجود عالم آخر وراء عالم الطبيعة هذا، حينها ينبغي، وكما هي الحال في التعامل مع عالم الطبيعة بأدواته وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، وقيام الحكومة ببسط العدالة بين الناس، وتنظيم شؤون البشر في هذا العالم، وإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد فلا اعتراض، أي إذا قامت الحكومة بدورها هذا فيها ونعمت وانتهى الأمر. إلا أن الدليل قائم على وجود عالم وراء هذا العالم، وكذلك أكدت جميع الأديان على ذلك العالم، حينها فإن هذه وسائل للتعامل مع ذلك العالم، وتلك الوسائل جاء بها الأنبياء، الدعاء والذكر والقرآن والصلاة، هي أدوات وسائل للتعامل مع العالم الآخر، فالأحكام العبادية كلها أدوات للحياة في ذلك الجانب، والمعارف الإلهية فيضاً لأجل الحياة في ذلك العالم، ولأجل نورانية ذلك العالم.

إذاً، لا يحق لهؤلاء - الذين وقفوا إلى هذا الجانب - تخطئة أولئك الذين وقفوا إلى ذلك الجانب، فذلك خطأ وضيق أفق.

كما لا يحق لأولئك الذين وقفوا إلى ذلك الجانب أن يقولوا لهؤلاء الذين ينادون بوجوب تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، ووجوب الوقوف بوجه الظلم والتعدي "لست على شيء!".

هل أن مسؤوليتنا نحن أن نعكف على الدرس؟ كلا، إن مسؤولية جميع المسلمين هي الجمع بين العمل وتحصيل العلم، فيكونون فعالين في معارضة الظلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولو أن جميع الناس عملت بهذا التكليف لما تمكنت أية حكومة من الإعتداء على شعبها، ولا تمكنت دولة من الإعتداء على دولة أخرى، هذه الأمور تحدث الآن لأنّ الشعب لا يدعم الممسكين بزمام الأمور.

الشعب في وادٍ وهؤلاء في وادٍ آخر، فهؤلاء لم يتصرفوا مع الناس بطريقة تدفعهم لإسنادهم ودعمهم، بل إنهم يتصرفون بما يستعدي عليهم الشعوب.

إننا عندما نتأمل في أوضاع بلدنا، نرى أن هؤلاء أوصلوا الأمور إلى درجة أصبح هناك شرخ بين الدولة والشعب، وإلى الحد الذي تعرّضت فيه الحكومة إلى السقوط، إن شاء الله، إذا سقطت هذه الحكومة فإنّ الجميع سيفرح، وأنتم لا تتخيلون كم سيكون هذا الفرح عظيماً وشديداً. لماذا؟

(١) "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادِ شيء كما نودي بالولاية". نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام ("أصول الكافي"، ج ٣، ص ٢٩).

لو أنّ حكومة أمير المؤمنين عليه السلام سقطت، هل كان سيحدث كذلك؟ هل كان الشعب سيفعل هكذا؟ طبعاً لا، وهنا يكمن الفرق.

إنّ هؤلاء معزولون تماماً عن الجماهير، لا علاقة لهم بالشعب، أعني أنّ لهم علاقة بالشعب ولكنها علاقة ظلم وتعدّ، علاقة إشاعة فحشاء.

أنتم قد تجهلون مدى انتشار الفحشاء في إيران في الآونة الأخيرة. ليس لكم اطلاع على ذلك.

لا يمكن وصف التردّي الذي يسمّ الأوضاع حالياً، وقد تم ذلك في "شيراز"<sup>(١)</sup>، ويقال إنه مقرر أن يتم كذلك في طهران! ولا أحد يتكلم. المحترمون في إيران لا يقولون شيئاً، وأنا في حيرة من صمتهم! كل هذا الفساد الذي يقع، وهذا آخره، ولا أدري إذا كان سيكون بعده آخر؟

شخص يعرض بين جميع الناس أعمالاً جنسية بذيئة، قام بممارسة ذات العملية الجنسية، ولم ينس أحد بنت شفة!! فلائي مناسبة يحتفظون بالكلام؟ والى أي زمان؟ متى يريدون أن يقولوا شيئاً؟ متى يريدون أن يقولوا كلمة؟ متى يريدون أن يعترضوا؟

والطريف في الأمر، أنّ ذلك تم برضى المؤسسات الأمنية، وبرضى الحكومة، وبرضى ذلك النافه الكذا!<sup>(٢)</sup> وإلاّ فهل يمكن وقوع أمر كهذا بغير رضى هؤلاء؟ أيمن أن ترتكب هذه الفحشاء دون رضاهم؟

يقومون هم بتنفيذ هذه الأعمال، ثم يدفعون الصحفيين إلى انتقاد ما يحصل، وترديد الكلام عن أنه كان عملاً قبيحاً ووقحاً. وحينها سيذهب الكلام في آذان الناس، في حين أنّ ما جرى شاهده الناس بأعينهم! ووصول الكلام إلى آذانهم ليس له دور سوى تهدئة مشاعر الناس، وإطفاء لهيب النار التي قد تكون تأججت في صدورهم.

غداً أيضاً - لا سمح الله - سيُرتكب العمل في طهران، وليس من معمم أو سياسي أو دكتور أو مهندس أو أي أحد يعترض. ينبغي الاعتراض، يجب أن يتكلم أحد، ولو أنّ الجماهير تكاثفت ولو أنّ الشعب اعترض بأكمله على أمر ما، واتخذ من أحكام الإسلام أساساً للاعتراض، فمن المحال وقوع أمثال هذه الأمور.

إنّ هذه الأمور تقع نتيجة الضعف الذي أصابنا، إنهم يستفيدون من ضعفنا. يقولون إنّ هؤلاء مجموعة من الضعفاء المساكين.

---

(١) في احتفال الفن في "شيراز" قام اثنان من الممثلين - وهما رجل وامرأة - بالعملية الجنسية أمام أنظار العامة!! وكانت الوقاحة إلى حد أنّ سفير إنكلترا "بارسونز" قال للملك لو أنّ مثل هذه التمثيلية قد عُرضت في مدينة "مانشستر" الإنكليزية مثلاً لواجه الممثلون مشكلات كثيرة (أنظر: "الغرور والسقوط"، تأليف "أنطوني بارسونز").

(٢) الملك.

والحال أنكم يا إخوة أقوياء، فظهركم الشعب، شعبكم مسلم ويحب الإسلام ويحب روحانيي الإسلام، وينبغي على روحانيي الإسلام أن يقوموا بفعالية ما في خدمته، وإن لم يفعلوا فإنّ الناس لا تعاملهم على أساس صفتهم الروحانية.

على أية حال، فالإسلام ينطوي على جميع تلك المعاني التي أشرنا إليها، فهو يضم الجوانب المادية والمعنوية والغيبية والظاهرة، لأنّ الإنسان ذاته ينطوي على جميع المراتب، والقرآن الكريم كتاب لبناء الإنسان. ولأنّ الإنسان - كما أشرنا - ينطوي على مختلف المراتب بالقوة، فإنّ كتاب الله جاء ليُجمل من هذا الإنسان بالقوة، إنساناً بالفعل، وبكامله ذاتياً - بنفس الطريقة التي يقوم فيها الإنسان بإصلاح مجتمعه - حتى يبلغ المرتبة السامية.

لا ينبغي لهذه الفئة أن تتعرض لتلك، ولا لتلك الفئة أن تتعرض لهذه، فكل فئة من هؤلاء تبني قضية مستقلة، ومسألة محدودة لحالها. عقلك أنت لا يستوعب ما هو "الفقه" مثلاً، فلماذا تعتدي على الفقه؟ عقلك لا يستوعب ما هي "الفلسفة" وما فوق الفلسفة، لماذا تتجاسر على أصحابها؟ فأنت الذي لا تستطيع أن تستوعب. كذلك فإنّ مَنْ لا يستطيع فهم ما تقوله تلك الطائفة أو الفئة، وإلى ماذا تهدف، لا يمتلك حق الاعتراض، فقد يكون فكره هو محدوداً!

على الجميع أن يتكاتفوا فيما بينهم، ويضعوا أيديهم بأيدي بعضهم، يجب أن يتوحدوا، فقيهاً ومهندساً وطبيباً وطلاباً وجامعيين وطلبة مدارس، على الجميع أن يضعوا أيديهم بأيدي بعضهم، حتى يتمكنوا من القيام بعمل ما، ليتخلّصوا من هذه الأعباء. ولكنهم لا يفعلون! وأنا أجهل لماذا لا يتحركون؟  
إلاّ أنّ بوادر تشير إلى بداية حركة ما في الوقت الراهن في إيران، وإلى سنوح فرصة ما والأمل - إن شاء الله - أن تتحقق فرص جيدة أخرى.

وفّقكم الله تعالى جميعاً، وأيد الإسلام وعلماء الإسلام والطلبة والمسلمين جميعاً.

## هوية الخطاب رقم (٢٥)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ١٨ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ، (١٩٧٧/١١/١م).

- الموضوع: قدرة العلماء والخدمات السياسية والعلمية والدينية لعلماء الشيعة.

- المناسبة: إستشهاد السيد مصطفى الخميني رحمته الله.

- الحاضرون: الطلاب والعلماء الإيرانيون المقيمون في العراق.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في صباح يوم الأحد ١٩٧٧/١٠/٢٣م خيّم على النجف الأشرف حالة من الإبهام وعدم التصديق، وبهت الناس - وخاصة طلاب العلوم الإسلامية - وتحيروا. كانت وجوههم الحزينة تشير إلى وقوع فاجعة كبيرة، وهكذا كان انتشار خبر استشهاد المجاهد الطاهر السالك لسبيل الدم والشهادة، الشهيد الكبير والعالم الرباني آية الله السيد مصطفى الخميني، وحلّت بوفاته مصيبة مؤلمة على الأمة الإسلامية.

كان آية الله الشهيد السيد مصطفى من أقرب وأصدق أصحاب ومساعدى قائد الثورة، وكان موضع ثقة أنصار الإمام لما يمتلكه من رؤية سياسية وأصالة فكرية وأفكار سامية. وكان يتمتع بذكاء كبير، وقابلية تثير الإعجاب، ورافق أباه قبل نفيه إلى تركيا ليقف معه في كافة خنادق المواجهة، بوصفه أحد الفضلاء المعروفين في الحوزة العلمية في قم.

وبعد اعتقال الإمام في سنة ١٩٦٣م قاد الشهيد السيد مصطفى المتظاهرين في شوارع قم وفي منطقة "إرم" وساحة الآستانة والصحن المطهر لحضرة السيدة المعصومة عليها السلام، في اليوم الذي هزّ فيه هتاف "الموت أو الخميني" مدن قم وطهران ووارمين وشيراز ومشهد وعشرات المدن الأخرى.

وفي الساعة ٩ من صباح ١٩٦٤/١١/٤م، وتزامناً مع نفي الإمام عليه السلام، ذهب الشهيد السيد مصطفى إلى منزل آية الله النجفي المرعشي للبحث في كيفية مواصلة النهضة، والتشاور مع المراجع العظام. وبعد نصف ساعة هاجم مأمورو النظام المنزل، واعتقلوه، وأرسلوه في عصر ذلك اليوم إلى سجن "قزل قلعة" في طهران، وبعد سبعة وخمسين يوماً من السجن وفي ١٩٦٤/١٢/٢٩م أطلقوا سراحه. وفي الساعة ٢ من بعد ظهر ١٩٦٥/١/٣م هاجم العقيد بديعي (رئيس "السافاك" في قم) مع عدد من المأمورين منزل الإمام عليه السلام في قم واعتقلوا السيد مصطفى مجدداً، ونقلوه إلى طهران، لينفى من هناك إلى تركيا مع أبيه، وفي مدينة النجف المقدسة (ثاني منفى له) وقف إلى جانب الإمام في مواجهة التيار الرجعي في حوزة تلك الديار، وفي مواجهة مؤامرات النظامين العراقي والإيراني، ولم يتخلّ عن المواجهة حتى لحظة الإستشهاد. وكانت حوزة درس الخارج في الفقه والأصول لذلك الشهيد - ذي المقام الرفيع الذي وصل درجة الإجتهد في سني الشباب - من حوزات التدريس المعروفة في النجف، وكان الجميع يعتبرونه أمل المستقبل في الحوزات الدينية.

كان النظام الملكي يرى أنّ آية الله السيد مصطفى الخميني يمثل ساعداً قوياً لأبيه، وكان يتصور أنّ استشهاد سيّده إلى حرمان الإمام من صاحبه الصادق أولاً، وتعرّض روحه إلى الإهتزاز ثانياً، ومنعه من مواصلة المواجهة وتشديدها ثالثاً. وعندما نقرأ مذكرات النجل الكريم للإمام سماحة السيد أحمد الخميني وغيره في ذلك اليوم، ورد فعل الإمام على استشهاد أعضائه، ندرك ضعف أفكار سياسي النظام والمخططين القدامى له.

يقول سماحة السيد أحمد الخميني عن ذلك اليوم: "كنت نائماً وفي وقت مبكر، حوالى الساعة الخامسة صباحاً، هُزّت قدمي، ففتحت عيني فرأيت الإمام وهو يقول: إنهض واذهب إلى بيت مصطفى! قال: اذهب إلى هناك، أظن أنّ السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) غير مرتاحة، وفي الليلة الماضية جلبوا طبيباً. فذهبت مستعجلاً إلى هناك، فرأيت سيارة أجرة أمام بيته، وعندما دخلت رأيت ثلاثة أشخاص: السيد دعائي وأحد الإخوة الأفغان - الذي كان يدرس هناك - وشخصاً آخر. صعدت إلى الطابق العلوي من المنزل، فرأيتهم قد حملوا أخي لينزلوه من السلم، وضعت يدي على جبهته فكانت حرارته مرتفعة جداً، وضعناه في سيارة الأجرة، ولكن كأنّ شخصاً يقول لي في تلك اللحظة: إنّ السيد مصطفى قد رحل من الدنيا. حملته في حضني وأوصلناه إلى المستشفى. وبعد فحصه قال الطبيب: للأسف إنه توفي. عدت إلى البيت ولم أعرف ماذا أقول للإمام، كان عليّ أن أقول شيئاً، ذهبت إلى المضيف، ثم أرسلت إليه اثنين من الأشخاص ليقولوا له: إنّ صحة السيد مصطفى سيئة، وإنه نقل إلى المستشفى. فذهبا وقالوا له ذلك. فقال الإمام: قولاً لأحمد أن يأتي. جئت إليه فقال الإمام: أريد أن اذهب إلى المستشفى وأرى مصطفى. تأثرت جداً وخرجت، وأخبرت السيد رضواني وطلبت منه أن يقول للإمام: إنّ الطبيب قد منع زيارته، وذلك لأجل تأخير اطلاع الإمام على الموضوع قدر المستطاع. إتفقنا أن يذهب ويخبر الإمام بهذا الشكل، وكان الجميع يخافون من طرح القضية.

كنت في الطابق العلوي، وكانت هناك نافذة، فشاهدني الإمام منها فصاح قائلاً: أحمد. فنزلت إليه، فقال: هل توفي مصطفى؟ تأثرت جداً وبكيت لم أقل شيئاً. كان جالساً وواضعاً يديه على ركبتيه، فهز يديه عدة مرات. وقال ثلاثاً: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.<sup>(١)</sup>

وقد نقلت السيدة معصومة الحائري اليزدي (زوجة الشهيد السيد مصطفى) القضية كما يلي: "في تلك الليلة التي أصبح فيها السيد مصطفى هكذا، كان مقرراً أن يأتي إلى منزلنا ضيف. وفي الساعة الثانية عشرة كنت مريضة جداً، فجلب لي السيد دعائي - وكان جارنا - طبيباً، ومن ناحية أخرى كان السيد مصطفى يطالع في الليالي. وفي تلك الليلة قال: إذا جاء الضيف فسأفتح أنا الباب، أما أنت فنامي. ولم نعلم بعد ذلك متى جاء الضيوف، ومتى ذهبوا، وماذا حصل. عند إحضار فطوره في الصباح الباكر، كان السيد مصطفى جالساً، ولكن رأسه منحني إلى الأسفل، فصعدت فوراً، رأيت يديه زرقاوتين، ورأيت بقعاً زرقاء على صدره، نقلنا السيد

(١) مجلة "الشباب"، العدد ٧٦٦.

مصطفى مباشرة إلى المستشفى، وهناك قيل لنا: إن السيد مصطفى قد سُمّ وتوفي قبل ساعتين. عندما أرادوا تشريح جسده لم يسمح الإمام بهذا العمل، وقال: يعتقل بعض الأبرياء، واعتقالهم لا يعيد لنا السيد مصطفى. ومن ناحية أخرى، منعت الحكومة البعثية في العراق إعلان نظر الأطباء، ولم تسمح لهم بإعلان رأيهم، لأنه كان مسموماً مئة بالمئة، وحتى أنهم هددوا الأطباء.<sup>(١)</sup>

وعلى عكس تصور النظام الملكي، ألقى الإمام في ١٩٧٧/١١/١م، أي بعد عشرة أيام من استشهاد نجله، كلمة عنيفة وحماسية اعتبر فيها أن فقدان أعز الأشخاص من "الألطف الإلهية الخفية" وقال: "لو كان لدينا اطلاع على تلك الألطف الخفية التي يمنّ الله (تبارك وتعالى) بها على عباده، وإنه لطيف بعباده، لو كان لدينا اطلاع على تلك المسائل، لما جزعنا هكذا في هذه المواطن العادية وغير المهمة، ولكننا قد فهمنا أن هناك مصالح وألطفاً في الأمر..".

بعد اطلاع الإمام عليه السلام على استشهاد نجله لم يغيّر حتى برنامجه اليومي، فبينما حُمل الجثمان الطاهر للشهيد إلى كربلاء، حضر الإمام في صلاة الجماعة ظهراً ومساءً - كعادته كل يوم - وبعد ذلك ذهب إلى بيت نجله الشهيد، وعزّاهم، ودعاهم للتحلي بالصبر. وقال لأم السيد مصطفى الثكلى: "كانت أمانة أعطانا الله تعالى إياها، وأخذها الآن منا، عليّ أن أصبر، وعليك أنت أن تصبري أيضاً، وليكن صبرك لله".

وعندما ذهب الإمام إلى ضريح نجله الشهيد لأول مرة، كانت هناك مجموعة كبيرة من الناس أحاطت به، فجلس ببساطة على الأرض، ووضع أصابعه على القبر، وقرأ الفاتحة بطمأنينة خاصة، ثم التفت إلى الحاضرين وطلب منهم أن يقرأوا الفاتحة لبقية العلماء المدفونين في ذلك المحل.

وأراد علماء الحوزة العلمية في النجف أن يواصلوا مجالس تكريم الشهيد حتى الأربعين، فقال لهم الإمام بهذا الصدد: "يجب أن لا تعطلّ الدروس". وفي ذلك الوقت، أخبر محبي وتلاميذ الشهيد السيد مصطفى أن عليهم أن يكونوا مجدين، وأن لا يجزعوا في مثل هذه المواطن، وأن يواصلوا الدراسة والبحث، وإكمال تهذيب النفس وبناء الذات.

وخصص الإمام عليه السلام أول جلسة درس له بعد هذه المصيبة لكلمة مفصّلة في مجال مسائل ومشكلات إيران وبقية المجتمعات الإسلامية. وكانت مفيدة جداً وتربوية في، تلك الظروف.

ونشير إلى أنّ مؤلفات الدكتور علي شريعتي، وكتاب "الشهيد الخالد"<sup>(٢)</sup> كانت موضوع بحث وجدل في المجتمع، وخاصة في الجامعة والحوزات العلمية. وكان النظام يستفيد من نقاط ضعف المؤلفات المذكورة في زرع النفاق والفرقة بين شريعتي العلماء والجامعيين. وقد سعى الإمام عليه السلام خلال سنوات طويلة إلى التقريب بينهما عن طريق رسائل عديدة إلى الإتحادات الإسلامية لطلبة الجامعات في الداخل والخارج، وإلى العلماء.

(١) صحيفة "كيهان"، المؤرخة ١٣٣٠/١٠/١٩٨٠م.

(٢) كتاب "الشهيد الخالد"، تأليف نعمة الله الصالحي النجف آبادي.



وفي هذا الخطاب بيّن الإمام عظم رسالة الإنسان في نظام الخلق العظيم، وذكّر بالدور العظيم السامي للعلماء في النهضة الإسلامية، وذكر أمثلة من التاريخ، وبيّن ريادة العلماء في النهضة الشعبية، وانتقد بلهجة بناءة المثقفين والكتّاب المسلمين الذين يتجاهلون دور العلماء في مسيرة الشعوب الإسلامية، واعتبر ابتعاد واقترب العلماء من الحكومات ومواجهاتهم الإيجابية والسلبية تعدّ أساليب متنوعة لحراسة كيان الإسلام والفقه والشيعة. ثم تناول شرح أمثلة من كفاح علماء الشيعة الكبار، وحذّر من الحدود الكاذبة بين شريحتي العلماء والجامعيين، وخاطب المثقفين والجامعيين قائلاً: "إذا أردتم أن تكونوا لوحدكم بمعزل عن الملأ، فإنكم تظلّون خاضعين للآخرين إلى يوم القيامة. إجتمعوا كلكم، كونوا معاً، كونوا إخوة، لا ترفضوا هؤلاء، هذه قوة أزلية، هذه قوة الشعب".

ومن جهة أخرى، خاطب العلماء قائلاً: "... بين فترة وأخرى تقع بعض الأحداث في إيران، وفي الوقت الذي ينبغي فيه على جميع الوعاظ المحترمين وجميع العلماء أن يصرفوا أوقاتهم في المسائل السياسية والاجتماعية الإسلامية، تراهم يتلفون أوقاتهم في أنّ زيدا كافر، وأنّ عمراً مرتد، وفلاناً وهابياً. إنّ هذا منطق خاطئ. أخي، لا تفرّقوا بين الناس، لا تفضّلوا بعضهم على البعض الآخر، أولئك الذين يعملون للإسلام، ويكتبون شيئاً، من المؤكد أنهم ارتكبوا خطأ. أصلحوا خطأه. أنتم علماء فأصلحوا خطأه، لا تدفعوه عنكم، لا تبعدوا الجامعة عنكم، لا تصعدوا المنبر لتقولوا كلاماً سيئاً، بل اصعدوا وانصحو...".

ورغم تصورات النظام الملكي، فإنّ استشهاد السيد مصطفى لم يساهم في إطفاء شعلة الثورة، بل إنه زاد من اشتعالها، وقد تجلّى هذا التوهج أكثر بعد واقعة ١٩٧٨/١/٩م الكبيرة (الاعتراض على نشر مقالة موهنة في صحيفة "إطلاعات" بتاريخ ١٩٧٨/١/٧م) وبعد اطلاع أبناء الشعب الإيراني المؤمنين على خبر استشهاد آية الله السيد مصطفى، أقاموا مجالس الفاتحة في مختلف المدن. وفي أول جلسة تكريم لمقام هذا الشهيد الكبير حصل اضطراب في مدينة قم، وبعد ذلك ثار الناس في بقية المدن، وخرجوا يصرخون، ويوجهون أصابع الاتهام نحو النظام. فلجأ النظام إلى الحراب، ونزل إلى ميدان المواجهة بالسلاح. في حين نزل الشعب الإيراني إلى الساحة متدعياً بشعار "الله أكبر" فعطّل سلاح النظام. فقد تبدّل هذا الشعار إلى شعور، وامتزجت أصوات الشعب المؤمن، واختفى العدو. وهكذا فقد ساهم النظام في حصول ولادة جديدة للإسلام ومسيرة المسلمين.

وكانت الكلمة المعهودة للشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني هي: "سنعطي قتلى كثيرين في طريق الحرية، لكننا سنقطف ثمرة النصر في النهاية".

## الخطاب رقم (٢٥):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يفوتني بدءاً أن أشكر الجميع، أشكر العلماء في جميع البلاد، سواءً في العراق أم في إيران أم في سائر البلدان، الذين أعربوا عن مشاعرهم النبيلة، كما أشكر مراجع الإسلام (دامت بركاتهم) والعلماء الأعلام في إيران وهنا وفي سائر الأماكن (دامت عزّتهم)، والخطباء العظام والمثقفين الجامعيين وغير الجامعيين، والذين عبّروا عن حبّهم من خارج البلاد كالطلبة الدارسين في أمريكا وأوروبا والهند وسائر البلدان. كما أشكر كافة السادة، وأسأل الله تعالى التوفيق والسلامة للجميع. ولمّا كنت غير قادر على المشاركة في جميع الجلسات التأبينية التي تفضّل السادة بعقدها، ولمّا كنت غير قادر - وأنا بهذا السن - على زيارة جميع السادة، فإنني أشكر الجميع، وأعتذر منهم، وآمل أن يقبل السادة عذري. إنّ هذه الأحداث<sup>(١)</sup> ليست مهمة جداً، فهي تحصل لكافة الناس. والله (تبارك وتعالى) لديه ألطف ظاهرة وألطف خفية. هناك ألطف خفية لله (تبارك وتعالى) لا نعلم بها، ولأننا غير مطلّعين عليها، ولأننا ناقصون من حيث العلم ومن حيث العمل، ناقصون من كل النواحي، من هنا

---

(١) إشارة إلى استشهاد السيد مصطفى، أول نجل للإمام قزويني (١٩٣٠ - ١٩٧٧م). بدأ الشهيد دراسته العلوم الإسلامية وهو في سن ١٥ عاماً، وبلغ درجة الإجتهد وهو في السابعة والعشرين من عمره تقريباً. وكان متبحراً وأستاذاً - رغم صغر سنّه - في أكثر العلوم الإسلامية. درس على سماحة الإمام، والمرحوم آية الله البروجردي، والمرحوم السيد محمد داماد.

وفي ١٩٦٤/١١/٤م إعتقل بأمر النظام وسجن ٥٨ يوماً في سجن "قزل قلعة". وبعد إطلاق سراحه ذهب إلى قم، وبمجرد وصوله اطّلع العلماء وأهالي قم على ذلك، واستقبلوه بحفاوة. ويذكر حجة الإسلام السيد أحمد الخميني - الذي كان شاهداً على الإتصال الهاتفي لرئيس "سافاك" طهران (المولوي) بالسيد مصطفى - ووجّه له شتائم وإهانات رخيصة، وهدده، فرد عليه أخى بنفس الحدة. وفي اليوم التالي (١ / ٣) الساعة ١٠ صباحاً إعتقل ونفي إلى تركيا، وبعد فترة قصيرة نفي مع سماحة الإمام إلى العراق.

كان يشبه أباه، ذا روحية لا تقبل المساومة، وكان يعتقد أنه يجب الإتجاه إلى ثورة شاملة لإسقاط الحكومة البهلوية، وجاهد كثيراً في هذا السبيل. إلّا أنّ منظمة الأمن في العراق التي كانت تراقب الأوضاع إستدعته في عام ١٩٦٩م، وأخذته مباشرة إلى القصر الجمهوري في بغداد، فهذهه أحمد حسن البكر - رئيس الجمهورية العراقية آنذاك - حيث كان مطّلعاً على لقاءاته السريّة بآية الله الحكيم، ثم اقترح عليه أن يدخل المواجهة ضد إيران بمساعدة النظام البعثي. فرفض اقتراح التعاون مع النظام البعثي، إلّا أنّ النظام الملكي قام في داخل إيران بإثارة إشاعات، واتهمه بالتعاون مع الحكومة العراقية. وقبل الثورة في إيران بسنة واحدة استشهد السيد مصطفى، وهو في سنّه السابعة والأربعين من العمر.

نجزع ونفزع في مثل هذه المواقف حين حصولها، ولا نصبر عليها. وهذا لنقصان معرفتنا بمقام الباري تعالى، ولو كان لدينا اطلاع على الألفاظ الخفية لله (تبارك وتعالى) تجاه عباده وأنه "لطيف بعباده" (١) لو كان لدينا اطلاع على تلك الأمور، لما جزعنا بهذا الشكل عند وقوع مثل هذه الأحداث العادية وغير المهمة، ولفهمنا أن هناك مصالح في الأمر. هناك أطفاف في الأمر، هناك تربية في الأمر. هذه الدنيا هي دنيا يجب أن نعبرها، وهي ليست بالعالم الذي ينبغي أن يخلد فيه، هذه طريق، هذا صراط إذا تمكنا أن نقطعه بشكل مستقيم كما قطعه أولياء الله "جزنا وهي خامدة" (٢) إذا تمكنا أن نعبر هذا الصراط بسلامة، فإننا سعداء، أما إذا انحرفنا هنا عن هذا الصراط - لا سمح الله - فإن هذا الانحراف يظهر هناك أيضاً، ويؤدي هناك إلى انحرافات أيضاً، ويؤدي إلى مصاعب. أسأل الله (تبارك وتعالى) أن يوقظنا، وأن يطلعنا على تلك الألفاظ الخفية التي لم نطلع عليها، حتى يوفقنا الله بمشيئته، ونصل إلى مرتبة أولئك الذين يعرفون مقام الربوبية، ولديهم معرفة بمدارج الإنسانية، ومن لا يعتبرون الدنيا أقصى طموحهم، ولا يعطونها استقلالاً، ولا يرون مآربهم في الدنيا مستقلة، ويعتبرون الدنيا ممراً لأماكن أخرى، ولسعادات كبيرة أخرى. تلك المراتب التي لا نتمكن من إدراكها، ما دمنّا في هذا العالم الذي نحن فيه، إننا لا ندرك ما هي المدارج، وما هي العوالم؟ وما هي خلفيات هذه الدنيا؟ فكل ما أدركناه أن هذا العالم الذي تصفه الروايات بأنه "ما نظر الله إليه منذ خلقه" وإلى عالم الأجسام هذا الذي لم ينظر إليه الله (تبارك وتعالى) نظرة لطف منذ خلقه. مع أن ما أدركناه واكتشفناه عن عالم الأجسام هذا وعالم الطبيعة هذا محير للعقول، ولكن عقولنا لا تصله. إن هذا هو القدر الذي فهمه الإنسان حتى الآن، وما عداه موجود إلى ما شاء الله، حيث لا يبلغ نوره أحد. هناك كواكب تبعد عنا بلايين سنين ضوئية، ويصل ضوءها إلى الأرض في ستة بلايين من السنين، هذا الرقم لا نتمكن من فهمه. وقد ذكر في بعض الكتابات أن بعض الكواكب لو فتح جوفها لاستوعب خمسمئة مليون شمساً. وهناك بعض الكواكب لو وُضعت في مركز الشمس لبلغت مساحتها إلى الأرض. هذه السعة لا تدركها العقول، لا يستطيع شخص إدراك ذلك، وهذه كلها في عالم الدنيا، وهو عالم حقير. كان بعض أهل المعرفة يقولون إن تسمية هذا العالم بالدنيا هو بسبب الخجل من ذكر حقيقتها، ولهذا السبب أطلق عليها هذا الاسم "الدنيا". هذا العالم بهذه السعة، وبهذا التشابك والتعقيد هو عالم دنيا هذه السماوات - مع كل ما اكتُشف منها حتى الآن - فهي كما جاء على لسان القرآن: ﴿زَيْنًا السَّمَاءُ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (٣) سماء "سفلى". إن كل ما اكتُشف حتى الآن، كل هذه هي سماء "سفلى" في لغة القرآن، والأسماء العليا لم يُكتشف ماذا فيها.

(١) من الآية ١٩ من سورة الشورى: ﴿الله لطيف بعباده﴾.

(٢) في رواية أنه سئل أحد الأئمة عليه السلام عن الآية ٧٣ من سورة مريم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا..﴾ فقال جزناها وهي خامدة. ("علم اليقين"، ج ٢، ص ٩٧١)

(٣) سورة "الصافات"، الآية ٦.

وفي الوقت نفسه تعبّر الرواية "ما نظر إليه نظر لطف منذ خلقه" ويعبّر القرآن عن الدنيا بأنها "متاع"، والحياة الآخرة هي حياة حيّة. هنا في الدنيا لا توجد حياة، هنا موت. حياة الآخرة هي الحياة ﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾<sup>(١)</sup> ونحن غير مطلّعين على ذلك.

وفي الوقت نفسه نحن موجودون هنا، ولدينا مهام من قبل الله تعالى، ما دمنا في هذه الحياة الدنيوية، ما دمنا هنا فإنّ لدينا مهام من قبل الله (تبارك وتعالى). ويجب أن نقوم بهذه المهام، ويجب أن لا نغفل عن التكاليف الإلهية. جميع التكاليف الإلهية هي ألطاف إلهية، نحن نتصورها تكاليف. كلها ألطاف سواء التكاليف الفردية التي تهدف إلى تربية كل شخص على حدة، من أجل إكماله، لأنه لا يوجد طريق للتكامل والرقى غير هذا الطريق، وهناك درجات لا يمكن الوصول إليها بدون هذا الطريق.

وكذلك التكاليف من أجل تنظيم المجتمع، وقد بيّن لنا الأنبياء الأمور التي تتعلق بالروح، والتي تتعلق المقامات العقلية، والتي تتعلق بالغيب. والقرآن قد بيّن ذلك أيضاً، وأهله يعلمون، وقد بيّنت السّنة والكتاب تلك الأمور التي هي من الوظائف الخاصة الداخلة في رقيّ الإنسان وتكامله. وبيّنت الأمور المتعلقة بالمجتمع والأمور السياسية والأمور الاجتماعية وما يتعلق بتنظيم وتربية المجتمع. ونحن وجميع البشر مكلفون بالإهتمام بكل هذه المراتب، وكل هذه المقامات، وإن لم يحصروها في جانب واحد.

إنني أعرب عن حبي لجميع التيارات الموجودة، والتي تخدم من أجل الإسلام، سواء التيارات الدينية - التي خدمت منذ البدء وحتى الآن - أو التيارات الأخرى من السياسيين والمثقفين الذين يخدمون من أجل الإسلام، غير أنني عاتب عليهم جميعاً. أما الحب فيجب على كل مسلم شخص أن يكون محباً للأشخاص وللثقات التي تخدم من أجل الإسلام، سواء عن طريق القلم أو بذل الجهد. فكل مسلم يرى سعي هؤلاء من أجل الإنسانية - السعي من أجل الإسلام هو سعي من أجل الإنسانية، فالإسلام عقيدة لبناء الإنسان - حينما يرى أنّ الثقات الموجودة ساعية في خدمة الإنسان، وفي خدمة الإنسانية، وفي خدمة الإسلام الذي يبني الإنسان، فلا بد له أن يحبهم لذلك. ولا إشكال في أن يكون الإنسان محباً.

من جهة أخرى، هناك عتب على جميع الثقات وهو عتب المحب. إنني عاتب على الثقات المثقفة والجامعية والدارسين الجدد (أيدهم الله) هؤلاء الخدّام للإسلام (أيدهم الله)، هؤلاء أفرطوا بعض الشيء فيما يتعلق بالفقهاء، وفيما يتعلق بالفقه، وفيما يتعلق بعلماء الإسلام، وفي ما يتعلق بالفقه الإسلامي، وقالوا بعض ما لا ينبغي قوله<sup>(٢)</sup> إنهم ليسوا مغرضين، أنا أعلم أنّ هؤلاء أغلبهم يريدون أن يخدموا الإسلام. وليسوا مغرضين، وهم يتكلمون بلا سوء نية. هؤلاء معلوماتهم قليلة، وأنا أيضاً إطلاعي على التاريخ قليل. لكنني أبلغ الثمانين، وعشت حوالى الستين عاماً في المجتمعات العلمية، وحوالى ثلاثين عاماً في مجريات الأمور.

(١) سورة "العنكبوت"، الآية ٦٤.

(٢) راجع: هوية الخطاب السابق، رقم ٢٤.

أنا لدي مشاهدات وإطلاعات على أحداث مئة وتيف من السنين المنصرمة القريبة منا، ورغم أنني قليل الإطلاع، غير أنّ هذا المقدار من الإطلاع الذي لدينا عن الماضي وعن الزمان الأول والعصور الأولى للإسلام وحتى الآن، وإن كان إجمالياً، إلا أنه جعلنا نرى أنّ هذا الإسلام بجميع أبعاده، إنما حفظ بكل أبعاده بجهود العلماء، أي أنّ معارفه حفظها العلماء، وفلسفته حفظها العلماء أيضاً، وكذلك أخلاقه حفظها العلماء، وفقهه حفظه العلماء أيضاً، وأحكامه السياسية حفظها العلماء كل هذه حفظت بالجهود الشاقة للعلماء. والآن ترون مدى غنى فقه الشيعة، وفقه الشيعة أغنى فقه موجود في العالم، فالقانون الذي وضّح وفرّج بجهود علماء الشيعة هو أغنى فقه، أغنى قوانين العالم. ليس في العالم قانون بهذا الغنى. القوانين الأخرى - السماوية طبعاً - كانت غنية، غير أنها لم تصل إلينا، وهذه القوانين التي وضعها أهل الأرض هي بمقدار هذه الإدراكات الضعيفة، حيث أنّ عقل الإنسان - كما في الرواية - "يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه"<sup>(١)</sup> وضعوها بهذه العقول، والذين تعمل عقولهم بشكل صحيح، وأولئك الذين لا يعملون بشكل صحيح ليس لديهم اطلاع، كل هذه التي وضعوها ناقصة، في كل مكان وضعت هذه القوانين، كانت قوانين ناقصة. إنّ ذلك لمحيط خاص، لوضع خاص، لتمشية أمور ما مثلاً، للسياسة بين بلد وبلد آخر، وغير ذلك ليس له قوانين. إنّ الذي لديه قوانين لكل شيء هو الإسلام. وفي الإسلام فإنّ فقه الشيعة هو أغنى فقه. لا يوجد في العالم مثل هذا الفقه، لا بين المسلمين - على كثرتهم - ولا بين غير المسلمين. كل هذا جاء نتيجة الجهود الشاقة لعلماء الشيعة. فمنذ عهد النبي ﷺ وبعده في عهد الأئمة كان علماء الشيعة هم المجتمعون حول الأئمة ﷺ فأخذوا منهم الأحكام الإسلامية، وكتبوا في الأصول، فكانت أربعمئة كتاب<sup>(٢)</sup> ثم دوّنت تلك الأصول فيما بعد في كتب أخرى، وهي كتبنا الأربعة<sup>(٣)</sup> وسائر الكتب، وكل هذا تم بجهود علماء الشيعة وفقهائهم. فجميع ما في الإسلام والقرآن من أبعاد، وجميع ذلك المقدار الذي تمكّن البشر من فهمه، قامت هذه الجماعة من ذوي العمام واللحي - على قول هؤلاء السادة - بتدوينه

(١) راجع: "ترجمة أصول الكافي"، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) كان جمع كثير من أصحاب وتلاميذ الإمام الصادق عليه السلام يدونون الأجوبة التي كان يذكرها على المسائل المختلفة ويجمعونها في دفاتر، هذه الكتابات التي بلغ عددها إلى ٤٠٠ مجلد، إشتهرت فيما بعد بـ"الأصول الأربعة". وقد بين الشهيد الأول في كتاب "الذكرى" والمحقق الحلي في كتاب "المعتبر" وبعض آخر من العلماء في مؤلفاتهم مسائل حول الأصول المذكورة. ووصلت عدد من هذه الأصول لأصحاب "الكتب الأربعة" واستفادوا منها في تصنيفاتهم، وبقيت حتى الآن بعض هذه الأصول. راجع: "المعتبر في شرح المختصر"، ص ٥. و"دراسة حول الأصول الأربعة" ص ١٢.

(٣) الكتب الأربعة هي أكثر كتب الشيعة اعتباراً، وهي: "الكافي" (محمد بن يعقوب الكليني)، "من لا يحضره الفقيه" (محمد بن علي بن بابويه القمي "الصدوق")، "الإستبصار فيما اختلف من الأخبار" (محمد بن حسن الطوسي)، "تهذيب الأحكام في شرح المقنعة" (محمد بن حسن الطوسي).

ومنهجته، فهؤلاء هم الذين أوصلوا الإسلام إلينا، والكتب التي كتبها هؤلاء في كل فرع من الفروع التي ترونها، هي التي أوصلت الإسلام إلينا. فقد انبرى هؤلاء لكتابة الكتب وبذل الجهود، حتى أوصلوا الإسلام إلى هذه الأجيال، وكل ذلك على مستوى العلم، العلم الإسلامي.

أما على صعيد الأمور السياسية، فالمقدار الذي أذكره من التاريخ - وأنا لا أعلم التاريخ - وإذا كنت قد قرأت حول ذلك فإني أنساه، غير أن التاريخ الحديث ولمئة سنة مرتّ موجود بين أيدينا، ولو رجعنا قليلاً إلى الوراء لرأينا أن طائفة من العلماء قد ضحّوا بمواقعهم الاجتماعية، واتصلوا بالسلطين، رغم علمهم بأن الناس يعارضون ذلك، ودفعوا هؤلاء السلطين - شاؤوا أم أبوا - لإشاعة المذهب الحق، مذهب الديانة، مذهب التشيع، هؤلاء لم يكونوا وعاظ سلطين. وهذا خطأ يقع فيه بعض كتابنا.

كان السلطين يحيطون بالعلماء، وغرفة الملك السلطان حسين<sup>(١)</sup> موجودة الآن في "جهاز باغ أصفهان"<sup>(٢)</sup> في مدرسة "باغ أصفهان"، غرفته موجودة إلى الآن، إنهم سحبوه إلى تلك الغرفة، ولم يتمكن هو من جرّهم وراءه. كان لدى هؤلاء أغراض سياسية، وكانت لديهم أغراض دينية. لا يتصور أحد، وبمجرد أن يسمع بأن المجلسي<sup>(٣)</sup> (رضوان الله عليه) والمحقق الثاني<sup>(١)</sup> (رضوان الله عليه) والشيخ البهائي<sup>(٢)</sup> (رضوان الله

---

(١) بين غرف مدرسة "جهاز رباغ" السلطانية، هناك أول غرفة في الضلع الشمالي من ناحية المغرب غرفة خاصة مشهورة بـ "غرفة الملك سلطان حسين"، وكان الملك الصفوي يقضي كثيراً من الأوقات في هذه الغرفة في التحدث مع العلماء الكبار.

(٢) بُنيت مدرسة "جهاز باغ" المعروفة بـ "مدرسة مادرشاه" في عصر الحكم الصفوي وبأمر الملك سلطان حسين.

(٣) محمد باقر المجلسي، المعروف بـ "المجلسي الثاني" (١٣٠٧-١١١٠ هـ) من علماء ومحدثي الشيعة الكبار في العصر الصفوي. وتبلغ مؤلفاته أكثر من ١٤٥ مجلداً، وأشهرها "بحار الأنوار" في ١١٠ جزءاً، ويضم أخبار وأحاديث كثيرة. ومن مؤلفاته: عين الحياة، مشكاة الأنوار، حلية المتقين، حياة القلوب، تحفة الزائر، جلاء العيون، مقياس المصاييح، ربيع الأسابيع، زاد المعاد، حق اليقين.

عاش المجلسي في عصر الملك السلطان حسين الصفوي، وكانت شخصيته ومكانته العظيمة في نظر الإيرانيين الشيعة ومجالسته مع الملك الصفوي، مع أنه عاصر ذلك الملك ٤ سنوات فقط، كانت من أسباب هدوء وحفظ الأمن والطمأنينة في إيران. وبعد وفاة المجلسي لم يمضِ وقت كثير حتى أصبحت إيران - نتيجة عدم كفاءة الملك - محلاً لهجوم الأفغان. ويقع قبر العلامة المجلسي في الجامع الضيق في أصفهان. راجع: "علم المسلمين"، ص ٢٢٢.

عليه) كانت لديهم علاقات مع هؤلاء، وكانوا يذهبون إليهم ويرافقونهم، هل أت هؤلاء فعلوا ذلك من أجل الجاه والسمعة؟ أم أنهم كانوا محتاجين إلى أن يهتم بهم الملك السلطان حسين والملك عباس؟! هذا كلام غير وارد، إنهم ضحوا، قاموا بتضحية ومجاهدة نفسانية من أجل أن "ينشر" هذا المذهب بواسطة أولئك، وبأيديهم، وفي ظروف كان البعض يستأذنون الملك لإعطائهم رخصة ستة أشهر أخرى لسب الإمام أمير المؤمنين<sup>(٣)</sup> فحينما أرادوا منع الناس من سب الإمام أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> - سمعت أنهم طلبوا في إحدى المدن الإيرانية ممارسة السب لستة أشهر أخرى - هؤلاء عاشوا في هذا المحيط الذي كان سب الإمام أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> متعارفاً وشائعاً بهذا الشكل. ولم يكن للمذهب الشيعي أي وجود، ولم يكن له أي اسم، ذهب هؤلاء وجاهدوا أنفسهم، وقد عارضهم الناس في ذلك العصر نتيجة عدم الفهم. ولو أن أحداً الآن حمل عليهم أيضاً، فهو لا يعلم أصل المسألة، وليس بمغرض، فالأمر كان كذلك حتى في عهد الأئمة<sup>عليهم السلام</sup>، فقد كان علي بن يقطين من الوزراء<sup>(٤)</sup>

(١) الشيخ زين العابدين، أبو الحسن علي بن حسين بن عبد العالي، المعروف بـ"المحقق الكركي" أو "المحقق الثاني" (توفي ٩٤٠ هـ) في النجف الأشرف. وهو من العلماء المعروفين في العصر الصفوي، وقد عاصر الملك "طهماسب"، وكان يلقب بـ"شيخ الإسلام" و"قاضي القضاة في إيران".

وأهم تأليفاته: جامع المقاصد في شرح القواعد، حاشية شرائع الإسلام، شرح ألفية الشهيد الأول، حاشية تحرير العلامة. القضاة في إيران".

وأهم تأليفاته: جامع المقاصد في شرح القواعد، حاشية شرائع الإسلام، شرح ألفية الشهيد الأول، حاشية تحرير العلامة.

(٢) محمد بن الحسين العاملي (المنسوب إلى جبل عامل)، المعروف بـ"الشيخ البهائي". عالم بارز معاصر للملك عباس الصفوي (٩٥٣-١٠٣٠ هـ) جاء إلى إيران من لبنان وهو في سن الطفولة مع أبيه حسين بن عبد الصمد - الذي كان من علماء الشيعة - تعلم لدى أبيه الفقه والأصول والأدب والحديث والتفسير، ثم تتلمذ على علماء آخرين مثل: مولى عبد الله اليزدي. وعندما بلغ درجة أستاذ، تتلمذ لديه فضلاء مثل: الملا محسن فيض الكاشاني، والمكي العاملي، والشيخ محمد تقي المجلسي (والد العلامة المجلسي) وكثير آخرون. وبالإضافة إلى الفقه كان الشيخ البهائي متبحراً في الرياضيات، وعلم الطبيعة، وعلم الميكانيك والنجوم.

والشيخ البهائي صاحب تصنيفات كثيرة بالفارسية والعربية تبلغ ٨٨ كتاباً ورسالة. وأهم مؤلفاته: الجامع العباسي (فقه)، خلاصة الحساب (رياضيات)، تشریح الأفلاك (نجوم)، كتاب الأربعين، الكشكول (حكاية، أخبار، علوم، شعر) مثنوي حليب وسكر، مثنوي خبز وحلويات. توفي في أصفهان ودفن إلى جوار مرقد الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup> بناءً على وصيته.

(٣) راجع: هوية الخطاب السابق (٢٤).

(٤) ذكر سابقاً.

لماذا لا نذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلنسيء إليه أيضاً؟ فقد كان (عليه السلام) يذهب في صلاتهم<sup>(١)</sup> مدة عشرين عاماً وتيفاً حفاظاً على المصالح العليا للإسلام، وكان يتبعهم لوجود مصلحة فوق هذه المسال. سائر الأئمة عليهم السلام كانوا يسالمون أحياناً، فحينما لا يمكنهم فعل شيء، ماذا يفعلون في ذلك الوقت؟ لا بد أن يسالموا، فمصالح الإسلام فوق هذه المسائل التي نتصورها، فوق هذه الموضوعات التي نتصورها. هذه الفئة من العلماء ضغطت على نفسها، ورتبت نفسها بالشكل الذي يثير لديكم بعض الإشكالات الآن، ذلك بسبب عدم اطلاعكم على الواقعة، ليس لديكم سوء نية، ولكن ليس لديكم اطلاع على الحقائق، ولو كنت أتمكن أن أجلب إلى الطريق سلطاناً جائراً لذهبت وأصبحت من أهل البلاط. تكليفكم أنتم أيضاً هو أنكم إذا استطعتم أن تجعلوا من سلطان جائر إنساناً، فاذهبوا واعملوا في البلاط. هذا ليس عملاً في البلاط. هذا هو بناء للإنسان، هؤلاء لم يصبخوا من أهل البلاط، هؤلاء يريدون أن يصنعوا إنساناً، هذا عتبي عليكم.

هذا في ما يتعلق بفقههم، وما يتعلق بجوانبه هذه، وبالمقدار الذي أمتلكه من الإطلاع حالياً، وكذلك فيما يتعلق بتحركاتهم السياسي. وكما ذكرت فأنا مطلع على هذا المقدار، وتاريخهم قريب منا. النهضة التي وقعت في المئة ونيف من السنين المنصرمة كانت لمواجهة الأمور المخالفة لمصالح الإسلام، فمثلاً منها قضية التنبك<sup>(٢)</sup> التي تعرفونها جميعاً، فقد أمر الميرزا الشيرازي الكبير<sup>(٣)</sup> (رضوان الله عليه) وتبعه علماء إيران، وعلماء بلاد إيران (رضوان الله عليهم) الذين كان على رأسهم الميرزا الآشتياني<sup>(٤)</sup> إنطلقوا

(١) الخلفاء الثلاثة.

(٢) أعطى ناصر الدين شاه عام ١٨٩٠م إمتياز حصر شراء وبيع وتهيئة التبغ والتنبك في أنحاء إيران إلى شركة "ريجى" الإنكليزية لمدة خمسين سنة في مقابل إستلام رشوة تبلغ خمسمئة ألف ليرة. وبسبب الماهية الاستعمارية لهذه الإتفاقية، قام العلماء ومراجع التقليد بمعارضة قوية، وطالبوا بإلغائها. وكانت قيادة المعارضين من أهل طهران في يد المرحوم الميرزا حسن الآشتياني (ممثل آية الله الميرزا الشيرازي). وفي النتيجة أصدر الميرزا الشيرازي (مرجع تقليد الشيعة) فتوى قصيرة كما يلي: "إن استعمال التبغ والتنبك اليوم - وبأي نحو من الأنحاء كان - حرام وفي حكم محاربة إمام الزمان عليه السلام"، وحدد مصير هذه المواجهة، فقام الناس بكسر أدوات تدخين التنبك، وأحرقوا كميات كثيرة من التنبك. وفي النتيجة ألغى ناصر الدين شاه الإتفاقية بدفع غرامة حيث رأى أن عرشه في خطر.

(٣) ذكر سابقاً.

(٤) الميرزا حسن (أو محمد حسن) الآشتياني (١٢٤٣، ١٢٤٨-١٣١٩ هـ) أصولي ومجتهد مشهور في العهد الناصري، كان من تلاميذ الشيخ الأنصاري، وحصل على درجة الإجتهد في النجف الأشرف. من مؤلفاته: بحر الفوائد في شرح الفرائد، إزاحة الشكوك في حكم اللباس المشكوك، كتاب القضاء، كتاب الأواني الذهب والفضة، إحياء الموات، الوقف، رسالة في نكاح المريض. راجع: "دائرة معارف الشيعة"، ج ١، ص ١١٦.



بالمعارضة في طهران، وأعادوا الحياة إلى الحكومة الإيرانية المتهالكة آنذاك، لقد سقطت الحكومة من أجل مقدار قليل من المال، أرادوا أن يمارسوا به سفالاتهم وبذخهم، باعوا إيران للأجانب، فأصدر الميرزا الشيرازي (رضوان الله عليه) أمره، وضغط سائر علماء إيران على أنفسهم، وتحملوا العناء والمشقة، وثاروا، ودفعوا الناس إلى القيام، حتى ألغيت الاتفاقية، فكانت الثورة ضد الاستبداد.

الانتفاضة الدستورية - تلك النهضة التي بدأت من النجف وعلى يد العلماء<sup>(١)</sup> - وفي إيران على يد العلماء أيضاً. فذلك المستبد الذي كان يقوم بكل ما يشتهي، ويقتل أي شخص.. جاؤوا بهؤلاء الجنود المساكين من الضواحي، ولم يعطوهم خبزاً، وبينما كانت عربة الملك تتحرك في جانب حضرة عبد العظيم، اجتمعوا لتقديم شكواهم، فرمى أحدهم حصاة أصابت عربة الملك، فجمع على الفور، وجيء بهم بعد أن أمر الملك بختفهم جميعاً<sup>(٢)</sup> وبالفعل خنقوا العديد منهم، حتى تحرك مستوفي الممالك<sup>(٣)</sup> وذهب للتشفع لهم. كان السلاطين من أمثال هؤلاء الناس، من أمثال هؤلاء المستبدين.

الكل يعرف محمد علي ميرزا<sup>(٤)</sup> ويعرف أي نوع من البشر هو، أي حيوان هو، وغيره هكذا أيضاً. ثار العلماء ضد هذا الاستبداد، وقادوا النهضة ضد أولئك، وكانوا في الصف الأول، وأرادوا أن تحصل النتائج الإيجابية، فلم تحصل. ولو كانت تحققت بعض النتائج لكان جيداً، ولكنهم لم يتمكنوا. حسناً عندما لم يستطيعوا

---

(١) عمل على إسناد الانتفاضة نهضة الحركة الدستورية في إيران في الدرجة الأولى المرحوم الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني، وعبد الله البهبهاني، والمرحوم السيد محمد الطباطبائي. وقد جعل الآخوند الخراساني الانتفاضة الدستورية في إيران رهينة له بفتوى ضرورة اشتراط الملكية بالدستور. وكان الشيخ عبد الله المازندراني من المقربين للآخوند الخراساني في حركة "المشروطة". وجاء في البيان الذي أصدره هذان العالمان الدينيان ما يلي: "إن إرادة السلطنة والدوائر الحكومية يجب أن تكون محدودة ومشروطة في كل بلد بعدم تخطي القوانين والحدود الموضوعة طبقاً للدين الرسمي لذلك البلد.

(٢) مر ذكره سابقاً.

(٣) الميرزا يوسف الآشتياني (١٢٢٧-١٣٠٣ هـ)، ويلقب بـ"مستوفي الممالك"، ويُعرف بـ"السيد" كان من الرجال الشرفاء، وهو صائب العمل في عصر القاجارية، وكان يحظى باهتمام الميرزا تقي خان أمير كبير.

(٤) محمد علي شاه، سادس ملوك الدولة القاجارية، وابن مظفر الدين شاه، حكم في إيران ثلاث سنوات، كان في البداية موافقاً للمطالبين بـ"المشروطة"، ولكنه عارضهم فيما بعد، وضرب مجلس الشورى الوطني بالمدفعية من قبل "لياخوف" الروسي (١٣٢٦ هـ)، واعتقل علماء "المشروطة" المعروفين: آية الله البهبهاني وآية الله الطباطبائي ونفاهما، وقتل الميرزا "جهانكير خان" (مدير صحيفة "صور إسرافيل" وعدد آخر من التحريرين).

وفي عام ١٣٢٧ هـ لجأ إلى السفارة الروسية بعد دخول قوات المجاهدين إلى طهران من الضواحي، ثم أُقيل من السلطة، وأخرج من إيران. وتولى السلطة ابنه أحمد الميرزا، وعمره ١٢ سنة. وكان الروس في زمان محمد علي شاه يتدخلون عملياً في الأمور الداخلية في إيران، وقد ارتكبوا فجائع كثيرة، من ذلك ضرب المرقد المطهر للإمام الرضا عليه السلام بالمدفعية، وقتلوا هناك عدداً كبيراً.

فماذا يعملون؟ على أية حال لقد تمكنوا من تغيير الوضع قليلاً، فذلك الذي كان يقوم بأي عمل وهو ﴿لا يُسأل عما يفعل﴾ وضع في ضمن حدود حدّت من حركته، وإن كان لم يتحقق ما كانوا يريدونه.

حسناً، فإنّ صيغة متمّم الدستور قد جاءت نتيجة جهود العلماء، غي أّت الملك لم يعمل بتمّم الدستور، وهذه الحكومة الإيرانية الحالية ليست رسمية، وليست قانونية نواب إيران ليسوا قانونيين الآن، هؤلاء ليسوا رسميين، وحسب الدستور فإنّ المجلس الإيراني الحالي ليس رسمياً، مجلس إيران حسب الدستور يجب أن يشرف عليه خمسة من الفقهاء، فهل هناك فقيه واحد منهم الآن؟ هل هناك أساساً أي إشراف؟ هل هناك نيابة أساساً، أم أنه تعيين؟ إنه تعيين. أرادوا أن يحصل تغيير ولكن لم يحصل، ورغم ذلك فقد نهض العلماء. كانت همّة العلماء وتبعهم الآخرون. وطبعاً كان للآخرين حصة أيضاً، ولكن العلماء كانوا في الصف الأول. في قضية العراق، فلولا مجاهدة علماء العراق<sup>(١)</sup>.. قتل نجل السيد<sup>(٢)</sup> في الحرب، قتل نجل السيد محمد كاظم<sup>(٣)</sup>.

(١) دخلت الدولة العثمانية وألمانيا حرباً ضد القوات الإنكليزية والفرنسية في الحرب العالمية الأولى، وامتدت دائرة الحرب في العراق، وأصبح هذا البلد معرضاً لخطر جدّي. وفي هذا الوقت أعلن علماء الشيعة المقيمون في العراق الجهاد، وقام عشرات المجتهدين وطلاب العلوم الدينية بالدفاع عن البلد الإسلامي مع القوات الشعبية. وقد دفع المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي - الفقيه الكبير ومرجع العصر - المسلمين إلى الثورة بإعلانه وجوب الجهاد ضد الكفار الإنكليز. ومن العلماء الذين اشتركوا في هذا الجهاد النجل الكبير للميرزا الشيرازي، وآية الله الشيخ مصطفى الكاشاني، وابنه آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني، وآية الله السيد محسن الحكيم، وآية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وآية الله السيد محمد تقي الخوانساري.

(٢) هو آية الله السيد الطباطبائي اليزدي، نجل آية الله محمد كاظم الطباطبائي اليزدي. والسيد محمد الطباطبائي من العلماء المشهورين المقيمين في العراق، ومرجع الشيعة في تلك الديار. أعلن الجهاد ضد الإنكليز، وشارك في هذا الجهاد واستشهد. وكان من زعماء الجهاد في ثورة العشرين (١٣٣٩ هـ ق).

(٣) هو السيد محمد الطباطبائي، نجل السيد محمد كاظم، المذكور في الهامش السابق. كان السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (١٢٤٦ و ١٢٤٧ - ١٣٣٧ هـ ق) من علماء ومراجع الشيعة الكبار، وله الكتاب المعروف بـ"العروة الوثقى". كان من تلاميذ الميرزا حسن الشيرازي. وصل إلى مقام المرجعية بعد رحلة الملاً محمد كاظم الخراساني. وفي زمان مرجعيته أصدر عدة فتاوى أمر فيها المسلمين بالوقوف أمام المستعمرين الأجانب. وقد أثارت فتاوى هذا العالم الكبير الناس في حوادث احتلال العراق من قبل القوى الإنكليزية، واحتلال ليبيا من قبل القوات الإيطالية، وهجوم الروس والإنكليز على إيران لإخراج الأجانب من أراضيهم بجهادهم الباسل. وقد استشهد نجل السيد محمد الطباطبائي في ثورة العشرين على يد القوات الإنكليزية.

لقد حمل العلماء في تلك المواجهة البنادق على الأكتاف، ونزلوا إلى الميدان. وقد سجن المرحوم السيد الخوانساري، السيد محمد تقي الخوانساري<sup>(١)</sup> (رضوان الله عليه) بعد أن أسروه مع عدد آخر ونقلوه إلى الخارج، وكان يقول: "إنهم كانوا يعدوننا هكذا واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، ثم يقدموننا إلى أحد الأشخاص ويقولون إن هؤلاء من أكلة لحوم البشر، إننا نعدّهم لأنهم يأكلون لحم الإنسان، إنهم من الرعاع الذين يأكلون لحم الإنسان، وهم معتادون في بلدانهم على أكل لحوم البشر، ونحن نعدّهم لنلا يأكلونك.

الميرزا الشيرازي الثاني<sup>(٢)</sup> هذا الشخص العظيم، هذا الشخص الكبير، هذا الشخص صاحب المقام الرفيع في العلم والعمل، أصدر في قضية العراق حكم الجهاد، فأرسل هؤلاء إلى الحرب، وكانت العشائر تتبّع العلماء، فالوضع يختلف عما هو عليه الآن. فقد كان أبناء العشائر يتبعون العلماء، جاءت العشائر إليه وأصدر حكماً. أصدر حكم الجهاد، جاهدوا، أعطوا قتلى، واقتلوا. فعلوا ما فعلوا حتى حققوا للعراق استقلاله، ولو لم يكن أولئك العلماء لكنا الآن أسرى، لكننا جزء من مستعمرة إنكليزية، وذلك حصل بإخلاص العلماء. وقد نفى علماء العراق إلى إيران بسبب معارضتهم للأنظمة، ومنهم السيد أبو الحسن<sup>(٣)</sup> والمرحوم السيد النائيني<sup>(٤)</sup> والمرحوم

---

(١) السيد محمد تقي الخوانساري من علماء إيران الكبار، درس علم الأصول لدى آية الله الآخوند الخراساني. وفي الثورة الإسلامية في العراق (١٣٣٨ هـ ق / ١٩٢٠ م) حارب ضد المهاجمين الإنكليز، وبعد احتلال العراق من قبل الجيش الإنكليزي، نفى إلى جزيرة "هنكام" الواقعة في الخليج الفارسي. تولى إدارة الحوزة العلمية في قم مدة ٨ سنوات (خمس منها في حكم رضا خان، وثلاث في زمن محمد رضا بهلوي) مع اثنين من الفقهاء الكبار، أي آية الله السيد محمد حجت وآية الله صدر الدين الصدر، وكان آية الله الخوانساري من مؤيدي آية الله الكاشاني في نهضة تأميم النفط الإيراني.

(٢) مر ذكره سابقاً.

(٣) أنهى آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٧٧-١٣٦٥ هـ ق) دراسته الأولية في أصفهان، وفي عام ١٣٠٧ هـ ق ذهب إلى العراق وأكمل دراسته لدى الآخوند الملاً محمد كاظم الخراساني، والميرزا محمد تقي الشيرازي. وفي عام ١٣٣٨ هـ ق بلغ مقام المرجعية، ورسائله العملية تعرف بـ "صراط النجاة". وفي ثورة ١٣٢٠ هـ ق في العراق كان من زعماء المجتمع الشيعي، ونفي من العراق أيضاً.

(٤) آية الله الميرزا حسن النائيني (١٢٦٥-١٣٥٥ هـ ق) من كبار الفقهاء والمجتهدين المشهورين في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. كان من التلاميذ البارزين للميرزا الشيرازي. وكان للمرحوم النائيني دور مهم في تقدّم نهضة الحركة الدستورية، وكان من المراجع الإيرانيين المقيمين في النجف الأشرف. ألف كتابه المعروف "تنبيه الأمة وتنزيه الملة في أسس المشروطة" أو الحكومة بنظر الإسلام، وقد ألفه في أوائل نهضة الحركة الدستورية، كان معروفاً ببيانه وفصاحة لسانه وحسن خطه، ويعدّ أحد فحول علم الأصول.

الشهرستاني<sup>(١)</sup> والمرحوم الخالسي<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء الذين نُفّوا من العراق إلى إيران، لأنهم كانوا يعارضون هؤلاء، كانوا يعارضون تلك الأنظمة، لهذا السبب نُفّوا وأرسلوهم إلى إيران. ونحن شاهدنا ذلك، في زمان هذا الرجل الظالم، ففي عهد رضا خان - ذلك المتجبر غير النجيب - قام علماء أصفهان<sup>(٣)</sup> بانتفاضتهم، وأنا أذكر الواقعة، جاء علماء أصفهان إلى قم، واجتمع العلماء من مختلف أنحاء البلاد في قم أيضاً، ونهضوا ضد هؤلاء رغم فشل النهضة بسبب عدم امتلاكهم القوة الكافية، ولا يهمننا كيف فشلت؟ بالخدعة أو بطريقة أخرى، المهم أنهم نهضوا.

(١) آية الله علي الشهرستاني من المجتهدين المعروفين، وكان من زعماء الشيعة في ثورة العراق (١٣٣٨ هـ) وبعد احتلال العراق من قبل الإنكليز نفى إلى إيران، وأمضى بقية عمره في باخران (كرمنشاه).

(٢) آية الله الخالسي من علماء الشيعة وزعماء النهضة في العراق أيام الإحتلال الإنكليزي. وفي عهد الانتداب البريطاني على العراق. وفي عام ١٩٢٢م أخرج الملك فيصل (ملك العراق) أكثر من ٤٠ شخصاً من علماء الشيعة الإيرانيين من العراق. ونفي آية الله الخالسي إلى الحجاز بتهمة حكمه بمقاطعة الانتخابات، وكان يشك بمعارضته لزعماء العراق. وأدى نفيه إلى اعتراض العلماء والشعب الإيراني المسلم بشدة، بحيث أنّ الحكومة الإيرانية اضطرت إلى التباحث مع المسؤولين الإنكليز والعراقيين، ووافقت الحكومة العراقية على مجيء آية الله الخالسي من الحجاز إلى إيران، ورجوع بقية العلماء إلى العراق. وعند دخوله إلى إيران تعرض آية الله الخالسي إلى محاولة اغتيال في بوشهر من قبل أحد الأشخاص الإنكليز. وأما مؤلفاته فهي: العناوين في الأصول، مختصر الرسائل، والوصول إلى كفاية الأصول.

(٣) في أيلول ١٩٢٧م أصدر رضا خان أمراً منع فيه - بشكل ضمني - العلماء من بعض وظائفهم، وكذلك التدخل في أمور البلد. وكان أمره بحكم إعلان الحرب على العلماء. وكان أول رد فعل على قانون الخدمة الإلزامية هو اعتراض أهالي أصفهان، وسفر علماء أصفهان إلى قم، سافر إلى قم السيد آقا نور الله الروحاني مع حوالي ١٠٠ شخص من علماء ومجتهدي أصفهان، مع مجموعة من أهالي تلك المدينة، وقد لُقبت هذه الجماعة بـ"مهاجرو قم"، وبعد دخوله إلى قم دعا العلماء والمراجع في أنحاء إيران أن يلتحقوا به في قم، وقد لبي بهذه الدعوة ٧٠٠ من العلماء. وتزامناً مع هذه الواقعة قام الناس في المدن المختلفة بتظاهرات ضد الحكومة. وعندما رأى رضا خان أنّ الثورة في حالة اتساع، أرسل رئيس الوزراء ووزير البلاط وعدد آخر إلى قم للتحادث مع آقا نور الله وسائر العلماء، وأخيراً وافقت الحكومة على مطالب المهاجرين "إعادة النظر في قانون الخدمة الإلزامية واختيار خمسة من الأشخاص من المجلس، وتعيين ناظر على الأمور الشرعية في مختلف أنحاء إيران و.."، إلّا أنّ آقا نور الله - الذي اشترط لعودة المهاجرين إلى أصفهان بالمصادقة القانونية للمواد التي اتفق عليها - توفي في ليلة ١٩٢٧/١٢/٢٥م بصورة غامضة، ولمّا كان هو المتولي لتوجيه الأمور، فقد تشتت المهاجرون (أنظر: "عشرون عاماً من تاريخ إيران"، ج ٤، ص ٣٩٦. و"نهضة علماء إيران"، ج ٢، ص ١٥٧).

وكذلك نهضة علماء خراسان<sup>(١)</sup> إعتقلوا المرحوم آقا زادة<sup>(٢)</sup> والمرحوم السيد يونس<sup>(٣)</sup> وسائر العلماء آنذاك، وسجنوهم في طهران، وقد رأيت المرحوم الميرزا آقا زادة (رضوان الله عليه)، وكان جالساً في أحد الأماكن بدون عمامة، ومع أنه كان تحت المراقبة، إلا أنه جالساً في مكان بدون عمامة، ولم يكن من حق أحد أن يصل إليه. وكانوا يأخذونه إلى الشارع بدون عمامة، كانوا يحاكمونه في المحكمة، ولم تكن هذه الأحزاب موجودة آنذاك، لم يكن لهذه الأحزاب أي دور في تلك الحركات، كانت موجودة لكنها كانت ميتة.

(١) بعد أن أمر رضا خان بتوحيد الزي وخلع الحجاب، ثار علماء خراسان. ولكي يجمعهم رضا خان أمر بالهجوم عليهم في مسجد "جوهر شاد" والصحن المطهر، وبالفعل تم الهجوم عليهم، وقتل جمع كبير من الأبرياء، واعتقل حوالي مئة شخص من العلماء والمتنفذين، واستدعي عدد من العلماء الكبار كالسيد يونس الأردبيلي، والمرحوم آقا زادة إلى طهران. راجع: "نهضة علماء إيران"، ج ٢، ص ١٦٥.

(٢) الميرزا محمد آقا زادة النجفي الخراساني (١٢٩٤-١٣٥٦ هـ) نجل الآخوند الخراساني، تتلمذ على يد أبيه، وأخذ منه إجازة الإجتهد. في سنة ١٣٢٥ هـ سافر من النجف إلى خراسان، وأقام في مشهد المقدسة، وعمل هناك فترة في تدريس الفقه والأصول، ودعم نهضة الحركة الدستورية، وواصل مواجهة الظلم بعد مجيء رضا خان، وإقرار الاستبداد، ودعا الناس إلى الثورة على رضا خان. وبعد واقعة جوهر شاد أوقف الخراساني، وحكم عليه بالإعدام. ولكن حوزة النجف أجبرت - بخطواتها - الهيئة الحاكمة على العدول عن رأيها، وقد سجن فترة، ونفي بعد ذلك إلى طهران، وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وقيل: إن طبيبه الأحمدى قتله في أيام مرضه، ودفن في حرم حضرة عبد العظيم (س).

(٣) آية الله السيد يونس الأردبيلي (١٢٩٣-١٣٧٧ هـ). من مراجع الشيعة المعروفين، هاجر من أردبيل إلى زنجان، ودرس هناك الفقه والأصول لدى الآخوند الملا قربان علي الزنجاني، والعلوم العقلية لدى الآخوند الملا سبز علي الحكيم. وفي عام ١٣١٠ هـ ذهب إلى النجف، وانضم إلى حوزة درس فاضل الشريباني والآخوند والسيد محمد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني. وبعد ذلك ذهب إلى كربلاء حيث حضر درس الميرزا الشيرازي الثاني، ثم رجع إلى إيران، واستقر في أردبيل في عام ١٣٤٦ هـ.

وفي قضية المواجهة ضد استبداد رضا خان في عام ١٣٥٣ هـ ذهب إلى مشهد، واعتقل بعد واقعة جوهرشاد، ونُفي إلى أردبيل. وفي عام ١٣٦١ هـ عاد مرة أخرى إلى مشهد وقام بالتدريس. وكانت وفاته في مشهد ودفن في "دار السعادة" في الحرم المطهر للإمام الرضا عليه السلام. ومن مؤلفاته: دورة كاملة في الفقه، تأليف القاصر في صلاة المسافر، رسالة في قاعدة لا ضرر، رسالة في فروع العلم الإجمالي، رسالة في ترتب معتقدات القاصر في أصول العقائد، حاشية العروة، رسالة عملية (أنظر: "دائرة معارف الشيعة"، "عشرون عاماً من تاريخ إيران").

وهكذا النهضة التي حصلت في آذربيجان<sup>(١)</sup> فقد قام المرحوم الميرزا صادق آقا<sup>(٢)</sup> والمرحوم الأنكجي بنهضة، فاعتلوهما أيضاً، ونفوهما فبقيا في النفي لفترة، وعندما أطلقوا سراحه لم يذهب المرحوم الميرزا صادق إلى آذربيجان، رغم أن أهالي آذربيجان كانوا يكتنون له غاية التكريم والإحترام. لم يذهب أبداً، بل جاء إلى قم، وظل فيها حتى آخر عمره. وكنا نذهب إليه، وقد رأيت المرحوم المدرس<sup>(٣)</sup> (رحمه الله)، وكان من الذين وقفوا بوجه الظلم، وقف بوجه - ذلك الرجل الظالم - رضا خان المتجبر، وكان نائباً في المجلس.. أرسلوه إلى طهران بوصفه من علماء الطراز الأول، وجاء إلى طهران بعربة، وعلى ما نقله أحد المؤلفين فإن السيد اشترى عربة هناك، وكان يقود حصانها بنفسه أحياناً، حتى جاء إلى طهران، وهناك استأجر بيتاً صغيراً، وقد ذهبت إلى منزله عدة مرات (رضوان الله عليه) جاء بوصفه من علماء الطراز الأول، لكنه لم يعبأ بذلك، ثم أصبح نائباً وفي أي وقت كان يريد أن يصبح نائباً، كان النائب الأول في طهران.

وقف المدرس وحيداً أمام الظلم. وكان يتحدث، فيتعبه الآخرون من أمثال: ملك الشعراء<sup>(٤)</sup> وآخرون، إلا أنه كان يقف ويتحدث ضد الظلم، ويحمل على تعديات ذلك الشخص. في ذلك الوقت أرسلت الحكومة الروسية تحذيراً إلى إيران، ووصل جنودها إلى قزوین. ولا أتذكر الآن ماذا كانوا يريدون من إيران. هذا مذكور في كتب التاريخ - كانوا يريدون أسر إيران على ما أظن - وكانوا يقولون: "إن ذلك يجب أن ينقذ عبر المجلس" فعرضوا ذلك على المجلس، وتحير النواب في المجلس ماذا يفعلون؟ صمتوا وتحيروا! ماذا يفعلون؟

(١) كانت نهضة علماء آذربيجان من النهضة التحررية في عصر استبداد رضا خان. تزعم هذه النهضة اثنان من الفقهاء الكبار ومراجع التقليد آهالي آذربيجان، وهما: المرحوم الميرزا صادق آقا، والمرحوم الأنكجي. ومن أجل إخماد ثورتهم نفاهما رضا خان إلى كردستان أولاً، ثم إلى قم. وبعد فترة عاد المرحوم الأنكجي إلى تبريز، لكن المرحوم صادق آقا عاش في قم، على شكل نفي حتى آخر العمر.

(٢) الميرزا أبو الحسن الأنكجي (١٢٨٢-١٣٥٧ هـ) نجل السيد محمد شيخ الشريعة، من فقهاء ومراجع التقليد في تبريز، درس في تبريز حتى سنة ١٣٠٤ هـ لدى مير فتاح السرابي والميرزا محمود الأصولي. وفي تلك السنة ذهب إلى النجف ودرس ٤ سنوات لدى فاضل الأيرواني والميرزا حبيب الله الروشني والشيخ محمد حسن المامقاني، وفي أواخر ١٣٠٨ هـ عاد إلى تبريز، وقام بممارسة التدريس. وفي سنة ١٣٥٣ هـ أقف ونُفي إلى "سنندج"، ثم إلى قم. وقد جاء في ص ٢٥٢ من كتاب "عشرون عاماً من تاريخ إيران" أن المحل الأول لنفيه كان "سمنان". وقد توفي في تبريز. ومن مؤلفاته: كتاب الحج، تعليقة على الرياض.

(٣) مر ذكره سابقاً.

(٤) محمد تقي بهار، الملقب بـ "ملك الشعراء" ١٢٦٦-١٣٣٠ هـ، شاعر إيران كبير وأستاذ جامعي. كان في ثورة "المشروطة" من أصحاب وأتباع السيد حسن المدرس. وأدخل السجن، ونُفي مراراً بسبب مقالاته وشعره الثوري في عصر رضا خان الإرهابي. وقد انتُخب "بهار" عدة مرات لعضوية مجلس الشورى الوطني.

وكتبت في إحدى المجلات الأجنبية أنّ أحد العلماء وقف خلف المنصة ويده ترتجف قائلاً: "إذا تقرر القضاء علينا حالياً، فلماذا نقضي على أنفسنا بأنفسنا؟" عارض الإنذار الروسي، فتجرأ بقية النواب، وصوّتوا بالمعارضة، ورفضوا التحذير، ولم يتمكن أولئك من ارتكاب أية حماقة!<sup>(١)</sup> والسياسيون يتبعون هذا الأسلوب، فهم يتصرفون بحزم وحدّة بعض الشيء ليرَوْا كيف يتصرف الطرف المقابل. فإذا وقف الطرف المقابل أمامهم تراجعوا، وإذا تراجع ذلك المسكين إلى الوراء تقدّموا هم، وحتى الحيوانات هي كذلك. الحيوانات لها هذه الخصائص فتأتي إلى الأمام أولاً لترى رد فعل الإنسان، فإذا وقف أمامها ورفع يده هربت. وأما إذا هرب فإنها ستتبعه، هذا طبعٌ حيواني، لكن ذلك العالم وقف أمام مثل هذه القوة الكبيرة، قوة روسيا القيصريّة الكبيرة. وكما نقلته لكم قالوا ويده ترتجف "إذا كان من المقرر أن يقضى علينا، فلماذا نقضي على أنفسنا بأنفسنا؟ صوّت معارضاً، فتجرأ الآخرون، وصوّتوا معارضين. أفلا يجب أن تعرفوا قدر هذا العالم؟.. هذه النهضة الأخيرة التي انتهت بالخامس من حزيران<sup>(٢)</sup> وكل هؤلاء القتلى الذين سقطوا من بين الجماهير، كان أهل العلم في صفهم الأول، وإلى الآن فإن آثارها باقية، وإلى الآن أيضاً فإن أهل العلم هم غالباً الذين يعارضون ويصرخون بوجه الظلم، والطالب الجامعي طبعاً داخل الصراع حالياً أيضاً. أولئك داخلون أيضاً، وسائر الناس أيضاً يتحركون تبعاً

---

(١) في عام ١٩١١م أعطت الحكومة الإيرانية منصب المديرية العامة للخزينة إلى "مورغان شوستر" (رئيس هيئة المستشارين الماليين الأمريكيين، من أجل إصلاح أمورها المالية، وقد قوبل دخول الهيئة المذكورة إلى إيران بمعارضة شديدة من الروس، وقدمت الحكومة القيصريّة تحذيراً إلى الحكومة الإيرانية في ذي الحجة عام ١٣٢٩ هـ، وطلبت من إيران إقالة "مورغان شوستر" من منصب المدير العام للخزينة وطرده من إيران. وتعهدت الحكومة الإيرانية كذلك أن تحصل على موافقة الحكومتين الروسية والإنكليزية في المستقبل لاستخدام المستشارين الأجانب، وأن تدفع مصاريف القوات الروسية التي وصلت إلى الحدود الإيرانية! وذكر في التحذير الذي حددت له الحكومة الروسية ٤٨ ساعة، أنه في حالة رفض مطالب الحكومة القيصريّة، فإنها ستحتل طهران. وعندما شاهد نواب مجلس الشورى الوطني ثبات وشجاعة المرحوم المدرّس في رفض التحذير، تجرّأوا ورفضوا التحذير بأكثرية ساحقة (في نفس هذه الواقعة دخلت عدد من النساء بأسلحة نارية إلى المجلس، وهددن بأنهن سوف يقتلن أنفسهن وعوائلهن في حالة قبول النواب بهذا العار)، وقد انزعج الروس كثيراً من هذا العمل غير المتوقع، وأتوا بقوات جديدة إلى إيران، وضربوا بالمدفعية أهالي تبريز ورشت ومشهد وبقية المدن في شمال إيران. وأخيراً عندما رأت الحكومة المركزيّة نفسها ضعيفة، وافقت على التحذير في أول شهر محرم ١٣٢٠ هـ. وفي اليوم الثاني من محرم حل ناصر الملك - الذي كان نائب السلطنة - المجلس بسبب ناصر أحمد شاه وعطلّ كافة المؤسسات الوطنية بإعلان الأحكام العرفية (أنظر: "عشرون عاماً من تاريخ إيران" و"المدرّس بطل الحرية" و"تاريخ إيران المعاصر" و"الإرهاب في إيران").

(٢) راجع هوية الخطاب رقم ١٢.

للعلماء، وليس تبعاً للآخرين. لقد اعتقلوا وسجنوا أكثر علماء طهران تقريباً، إعتقلوا الخطباء العلماء وسجنوهم، ظلوا في السجن أيام متحملين العناء.<sup>(١)</sup>

أخي، إنّ الأمر ليس كما تتصورون: نريد الإسلام ولا نريد الملاً! وهل يمكن أن يكون الإسلام بدون الملاً؟ هل تتمكنون من العمل بدون الملاً، هؤلاء الملالّي هم الذين يتقدمون الصفوف، ويعملون ما ينبغي. هؤلاء هم الذين يعطون أنفسهم، الآن لدينا ملالّي في السجن، لدينا الآن علماء مضحّون موجودون في السجن الآن، ولا يقبلون بهذا الظلم، يذهبون إليهم ويقولون لهم: إعتذروا. علماؤنا في السجن، علماؤنا الكبار في السجن. قلت إنّ هناك أشياء شاهدتها بنفسي، ولا أتذكر كثيراً منها. وقلت قبلها: بأننا لسنا مؤرخين حتى نذكر كل شيء.

هذا هو عتبي على هؤلاء السادة المثقفين، فلا ينبغي لهم أن يُبعدوا أنفسهم عن هذا التيار الكبير الذي يقف وراءه الشعب، ثم تقولون: نحن نريد الإسلام ولا نريد الملاً. هذا خلاف العقل، وهذا خلاف السياسة. يجب أن تحتضنوا هؤلاء بحفاوة، وإذا لم تكن لديهم معلومات في المسائل السياسية إنضموا إليهم، أعطوهم معلومات سياسية. هؤلاء أفضل موقعاً منكم بين الناس، هؤلاء أفضل، فأنتم ليس لديكم نفوذ، وهم لديهم. هؤلاء لديهم نفوذ بين الناس. كل ملاً متنفّذ في محلّته، أنتم المتحمسون للإسلام، أنتم الذين تقولون: نحن نريد الإسلام، لا تقولوا: نريد الإسلام، ولا نريد الملاً، قولوا نريد الإسلام ونريد الملاً أيضاً. الملاً لا يعرف مثلاً بعض المسائل السياسية، إجتمعوا حول ذلك الملاً الذي لا يعرف المسائل السياسية، وعلموه تلك المسائل حتى يمارس نشاطه في قيادة الجماهير، ثم حتى تتمكنوا أنتم من التحرك. إذا أردتم تنصيب أنفسكم بمعزل عن الملاً، فإنكم ستبقون خاضعين إلى يوم القيامة. إجتمعوا كلكم. كونوا إخوة. لا تبعدوا هؤلاء عنكم، فإنهم يمثلون قوة أزلية هي قوة الشعب.

لا تبعدوا قوة الشعب عنكم وتقولون: نحن لا نريد هذه القوة. ولتعلموا بأنكم مهما قلتم: إنّنا لا نريد الملاً. فإنّ الناس يريدونه. أنتم عدد قليل في حين أنّ الآخرين يمثلون المجموع، فأصحاب المتاجر يريدون هؤلاء، والناس في الشوارع يريدون هؤلاء. إنني عاتب على هذه الطبقة المثقفة، رغم أنني أحبهم، فهم يخدمون الإسلام، خاصة أولئك الموجودون في خارج البلاد في أمريكا وأوروبا والهند، إنّ لدي علاقات معهم إنهم يخدمون الإسلام، إنهم يساهمون في الدفاع عن الإسلام بحزم حين تقع بعض الإشكالات هناك، إنهم يهدفون إلى رفع الظلم، إنهم يحبّون الإسلام، ولكن هؤلاء المحبين للإسلام على بعضهم أن لا يتجاهلوا خدمات علماء الإسلام، علماء الدين، ثم يقولون: نحن نريد الإسلام بدون ملاً. إنّ هذا غير ممكن يا أخي فالإسلام والملاً مرتبطان، كما لو قلتم: نحن نريد الإسلام الخالي عن السياسة! إنّ الإسلام والملاً متداخلان، ولا يمكن أن يكون الإسلام أساساً

---

(١) إعتقل حوالي ثلاثة وخمسون من العلماء في واقعة ٥ حزيران الدامية في عام ١٩٦٣م وأودعوا السجن. وللإطلاع على أسمائهم راجع "نهضة العلماء"، ج ٤.



بدون ملا، النبي ﷺ هو أحد الملالي الكبار، النبي ﷺ هو رأس جميع العلماء. الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو أحد علماء الإسلام. هؤلاء هم فقهاء الإسلام، رأس فقهاء الإسلام. فهل يصح أن تقولوا: إننا لا نريد الملا؟! إنني عاتب على هؤلاء. كما أنني عاتب على السادة العلماء الأعلام أيضاً. هؤلاء أيضاً لديهم غفلة عن كثير من الأمور. هؤلاء يقعون تحت تأثير الإعلام السيئ الذي يمارسه النظام، ذلك نتيجة لصفاء نفوسهم، فهم يثيرون في كل يوم مشكلة من أجل أمر بسيط. يغفلون عن المشكلة الكبيرة، المشكلة التي نعاني منها جميعاً، ويدفعون غيرهم إلى الغفلة عنها. إن هناك أيادي تفتعل أمراً، وتثير وراءه ضجيجاً. فبين الحين والآخر تحصل مشكلة في إيران، وبينما ينبغي على جميع الوعاظ المحترمين وجميع العلماء الأعلام أن يُنفقوا وقتهم في المسائل السياسية الإسلامية، وفي المسائل الاجتماعية الإسلامية. تراهم يستهلكون أوقاتهم في أن يزدأ كافر، وعمراً مرتد ووهابي. ويقولون عن العالم الذي قضى من عمره خمسين سنة يجلد في الدرس، ويحمل فقهاً أثقل من أكثر هؤلاء الموجودين، بأنه وهابي<sup>(١)</sup>. هذا الكلام خطأ.

أخي، لا تفرّقوا صفوفكم، إنكم تبعدون واحداً واحداً، وتقولون: إن هذا وهابي، وهذا لا دين له، وهذا لا أدري ماذا! حسناً، فماذا يبقى لنا؟! الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أسلفت بأني لا أعرف التاريخ بشكل صحيح، ولكن ما بقي في ذهني، بعد فتح حنين قام بعملين يمكن أخذ العبرة منهما، أحدهما أن أحد زعماء الكفار قد هرب وذهب إلى مدينة، وركب السفينة ليهرب، فأعطى الرسول الأكرم جَبّة المباركة - حسب هذه الرواية - إلى شخص ليعطيها إليه، ويخبره بأنه عفى عنه، ويعيده!<sup>(٢)</sup> وكذا فعل مع أبي سفيان الذي لم يُسلم حتى آخر عمره<sup>(٣)</sup> هو وأولاده أيضاً. فرغم ما كان عليه أبو سفيان وكفار قريش ترى النبي ﷺ يعطيهم من الغنائم، غنائم حنين، حينما جاؤوا بها، فأعطى مئة بغير لهذا، وثلاثمئة بغير لهذا، وكذا من الإبل لهذا.

(١) المقصود آية الله المنتظري.

(٢) هذا الشخص هو صفوان بن أمية، أحد زعماء الكفار الذي حارب المسلمين مع مجموعة أثناء فتح مكة، ثم هرب نحو جدّه حتى يصل اليمن، وعندما اطلع عمير بن وهب على قضيته جاء إلى رسول الله ﷺ. وقال: يا نبي الله، إن صفوان من زعماء هذه المدينة، وقد هرب نحو جدّه خوفاً منك كي يلقي نفسه في البحر، فأعطه الأمان. فأعطاه رسول الله ﷺ الأمان. فقال: يا رسول الله أعطه علامة على الأمان حتى يطمئن. فأعطاه النبي ﷺ العمامة التي وضعها على رأسه عند فتح مكة، فأخذ عمير تلك العمامة، وذهب إلى جدّه مسرعاً. وعندما وصل هناك هناك كان صفوان يريد الركوب في السفينة، فعاد صفوان معه إلى مكة، وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: إن هذا الرجل يقول: إنك قد أعطيتني الأمان. فأيد النبي ﷺ القول، فقال: أعطني مهلة شهرين. فأعطاه النبي مهلة أربعة أشهر.

(٣) كان أبو سفيان من أعيان قريش في الجاهلية، قيل: إن كل فتنة واضطراب في قريش كانت إما مثارة من قبله أو أنه كان يساهم فيها بشكل أو بآخر. وحسب الرواية فإنه قد فقد عينيه في حربين، وقد عارض أبو سفيان الإسلام حتى زمان فتح مكة، وأسلم بعد ذلك، وعفى عنه رسول الله ﷺ وتوفي في سنة ٣١ أو ٣٢ أو ٣٣ للهجرة.

كم من الأشياء أعطاهم، مع أنه كان يعرف جيداً أنهم كافرون وأنهم مشركون. فوقف القشريون يقولون: ماذا بقي لنا؟ فهؤلاء طماعون. فقال لهم النبي ﷺ بأن هؤلاء أخذوا إبلاً، ولكن ألا ترغبون أن يأتي رسول الله معكم بدلاً من الإبل؟<sup>(١)</sup> أنظروا كيف كان عظيماً، كيف كان هذا الرجل إنساناً عظيماً؟ بغض النظر عن كونه نبياً، ولكن أنظر إلى سموه ورجاحة عقله! فهو من جانب كان يستميل كفار قريش بذلك الشكل، فهو يهدف إلى جعل ظاهرهم إسلامياً في الأقل، رغم أنهم كانوا خبثاء في الحقيقة، أراد أن يستميلهم للإسلام. وكان يجب أولئك الذين يثيرون الإشكالات بجواب لئِنْ وَحَسَنَ وَجْمِيل، وتقنعهم. وعليه، فإن هؤلاء الذين يعملون الآن للإسلام، ويكتبون سيئاً، وقد يقعون في خطأ قطعاً. ما يجب أن يتم هو السعي لرفع خطئهم. أنتم علماء فلتسعوا لتصحيح خطئه، لا تبعدوه.

أخي، نحن نحتاج اليوم إلى الإنسان الواحد، الفرد الواحد هو غنيمة لنا الآن. في الوقت الذي تعمل ضدنا كل الأقلام، وكل الأقدام، وكل الأعلام. ليس لدينا إذاعة حتى نوصل كلامنا إلى حد، ليس لدينا صحافة، ولا توجد صحافة حرة، ليسمحوا لنا أن نكتب فيها كلمة واحدة. في مثل هذا الزمان الذي قيّدت فيه أيدينا، وأصبحنا عاجزين عن القيام بأي عمل، بمعنى أنه ليس لدينا إعلام، وليست لدينا القدرة في مثل هذا الزمان، نحن بحاجة إلى كل شخص، فهؤلاء الذين يمسكون القلم ويروجون للشيعية. أفرضوا أنهم وقعوا في عدة أخطاء، فلا ينبغي إبعادهم وطردهم، لا تخرجوه، بل ينبغي تصحيح أخطائهم، لا تبعدوا الجامعة عنكم، إن قدرات البلد مرشحة لأن تكون غداً بيد هؤلاء الجامعيين، فأنت أيها العالم لن تصبح وزيراً، أنا وأنت لن نكون وزراء، نحن نعمل بشكل آخر، أما مقدرات هذا البلد فهي بيد هؤلاء الجامعيين غداً. هؤلاء يأتون فيصبحون نواباً أو وزراء، أو يصبحون في كذا منصب. فتحفظوا هؤلاء لكم. لا تدفعوهم. لا تصعدوا المنبر وتقولون كلاماً سيئاً. إرتقوا المنبر وانصحو، لا ترتقوا المنبر وتشتموا. الشتم لا يناسب شخصية العالم! إنصحو هؤلاء، واستميلوا هذه الشريحة الكبيرة التي تمارس نشاطها الآن، إن هؤلاء قد تعرضوا للسجون أيضاً، وتعرضوا إلى الإضطهاد، ونفوا هؤلاء هم خارج بلدهم، هؤلاء أيضاً لا يتمكنون من دخول البلاد. هؤلاء الذين يكتبون شيئاً هناك وينشرون المسائل الإسلامية، ويكتبون المسائل الدينية. ينشرون ويكتبون، لا تدفعهم عنكم. غداً إذا وقعت مقدرات البلد في أيدي فئة من هؤلاء، ووجدوا أن الملائي كانوا قد زجروهم إلى هذا الحد، فماذا سيعملون مع هؤلاء الملائي عندما يأتون فيما بعد؟ تعاضدوا معاً.

أخي، البلاد بلاد إسلامية، وليست بلاد إيران، إيران هي واحدة منها. البلاد الإسلامية قريبة من السقوط في الهاوية. الله يعلم كم يعتصرني الأسى أحياناً، وأخاف وأخشى من عدم قدرة إيران على توفير مواد غذائية لعدة

---

(١) بعد انتصاره في معركة حنين، قام رسول الله ﷺ بتقسيم الغنائم على عدد من أهل قريش، وبعض الأقوام العرب الذين كان يعرف أنهم سيميلون إلى الإسلام من خلال الحصول على الغنيمة، ولم يعطِ الأنصار سهماً، وعندما اعترض الأنصار قال لهم النبي ﷺ ذلك.

أيام. فيما لو حصلت حرب - لا سمح الله - فهل ستتمكن إيران من توفير المواد الغذائية لعدة أيام؟ فهؤلاء الأجانب إذا أرادوا منع المواد الغذائية عن إيران، ومنعوا هذه السفن الحاملة للمواد الغذائية من الوصول إلى إيران، فإن إيران لا تستطيع الصمود غذائياً لأكثر من ثلاثة وثلاثين يوماً على يقول الخبراء، إن إيران التي كانت خراسان وحدها تكفيها عاماً كاملاً، فقط خراسان، والباقي يجب أن يعطى للغير، أدخلوا لها قانون الإصلاح الزراعي فماذا عملوا؟ الله يلعنهم. هؤلاء قاموا بالإصلاح الزراعي حتى يقضوا على الزراعة تماماً، طبّقوا الإصلاح الزراعي حتى آل الوضع الآن إلى أن جميع خيرات إيران لو جمعت معاً - هذا إذا كانت هذه المجلة تصدق في كلامها - فإنها ستكون لثلاثة وثلاثين يوماً، وقد يكون لأقل من ذلك، إذا لم تأت هذه السفن، وإذا لم يأت أولئك الذين فتحوا سوقاً<sup>(١)</sup> في بلادنا بأعمالهم تلك، حتى يتمكنوا من إرسال المواد الغذائية إلى هنا، أقاموا سوقاً، فالإصلاح الزراعي يعني إقامة سوق للبلدان الأجنبية، إن هؤلاء الأجانب كانوا يلقون الفائض من قمحهم في البحر، يلقونه في البحر<sup>(٢)</sup>. فهذه فائدة الإصلاح الزراعي! الآن هم يصدرون الحنطة إلى إيران، وعندما يأخذون مقابل ذلك أموالاً فلماذا يلقونه في البحر إذا؟ عملوا على شلّ الزراعة في إيران. والآن تأتي جميع الأشياء من هناك، كل شيء يأتي من الخارج، لاحظوا المجلات، هؤلاء يقولون أحياناً بمبالغة ومباهاة، إننا استوردنا حنطة بهذا المقدار، استوردنا شعيراً بهذا المقدار، استوردنا كذا، حسناً يا مساكين، يجب أن تخرجوا، أنتم الذين يجب أن تصدروا الحنطة، أنتم تكفيكم آذربيجان والباقي يجب أن تصدروه، أتباهون الآن بأنكم تستوردون؟ يجب أن تخرجوا من هذا الإصلاح الزراعي، والذي يشبه كل إصلاحاتكم.

أعتب على السادة في أن يبعدوا هذه الشرائع عنهم، لا يبعدوا هذه الشرائع، ليربطوا هذه الشرائع معاً، كما أن العلماء يجب أن يعلموا قدر هذه الجماعة التي تعمل للإسلام، تكتب للإسلام شيئاً، يجب أن تستميلوهم إلى العمل. أخي، إفتحوا أذرعكم، لا تقولوا: إن هذا الجامعي فاسق وفاجر! .. لا تفرّقوا بين جماهيركم، أولئك حاولوا التفريق بينكم، فقالوا: هذا رجعي وقديم! متى كان الملا رجعياً؟ الملا يقع في الصف الأول من التقدمية، هل هذا رجعي؟ وأنتم من جانب آخر تقولوا إن هذا جامعي، وهذا بلا دين، ولا أدري كيف، وفلان، كلا إن هذا خطأ.

مدّوا يد الأخوة، ناقشوا مسائلكم، إن الفرصة اليوم سانحة. أقول لكم: إن فرصة قد سنحت، ولولا حصولها لما حصل اليوم في إيران ما حصل، هذه فرصة، فياحبذا لو عدّ السادة الأفاضل هذه الفرصة الآن غنيمة، وكتبوا

(١) الأمريكان.

(٢) أفاد تقرير لمنظمة الأمم المتحدة، إنه في الوقت الذي يموت ملايين الناس في الدول الفقيرة بسبب نقص المواد الغذائية وسوء التغذية، قررت أمريكا عدم زراعة ملايين الهكتارات من أراضيها الزراعية من أجل الحيلولة دون انخفاض الأسعار، وتسيطر أمريكا على مقدار الحنطة المعروضة وقيمتها في العالم عن طريق إتلاف مقادير منها (ورميها في البحر) أو منع زراعتها (أنظر: "أزمة الغذاء"، ص ١٦).

واعترضوا. إن كتاب الأحزاب السياسية يكتبون الآن، يوقعون يكتبون، يعترضون، يوقعون<sup>(١)</sup> أنتم أيضاً أكتبوا، وليوقع مئة شخص من العلماء، وينتهوا إلى مسائل معينة، وليعترضوا. اليوم هو يوم يجب فيه الصراخ والتقدم إلى الأمام، وإنني أخاف - لا سمح الله - إذا ضاعت هذه الفرصة، وإذا قويت قدم هذا الرجل<sup>(٢)</sup> قليلاً، فإنه سيوجه لظمة قوية للشعب، وأول من سيتعرض لهذه اللظمة هو أنتم أيها العلماء، إنني أخاف من هذا، لا تدعوا هذه الفرصة تضيع من أيديكم. أكتبوا معاً. عارضوا وأعلنوا للعالم رأيكم، وإذا لم تتمكنوا من ذلك في داخل إيران، فأرسلوها إلى الخارج لينشروها لكم، أرسلوها إلى هنا بطريقة ما، ونحن نرسلها ونشرونها. أكتبوا ملاحظاتكم. إعترضوا عليهم، مثل ذلك الشخص.. حسناً نحن رأينا أن عدة أشخاص عارضوا - وقاموا بعمل ما، وقالوا ما لديهم أغلب ما لديهم - ووقعوا، ولم يتعرض لهم أحد. هذه فرصة لا تدعوا هذه الفرصة تذهب<sup>(٣)</sup> من

---

(١) يمكن، على سبيل المثال، ذكر أسماء: "الجمعية الإيرانية للدفاع عن حرية وحقوق الإنسان" (التابعة إلى اللجنة الدولية لحقوق الإنسان في أمريكا)، و"اتحاد الكتّاب الإيرانيين"، و"اتحاد المحامين". وفي تشرين الثاني ١٩٧٧م، أي قبل هذا الخطاب بشهرين، أصدر الكتّاب والمثقفون السياسيون الإيرانيون بياناً طالبوا فيه - بدون ذكر اسم الملك - الحكومة بالعمل بالدستور، واحترام حرية الشعب (راجع: "الحياة السياسية للإمام الخميني"، ص ٣٦٦).

(٢) الملك.

(٣) فاز "جيمي كارتر"، المرشح الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأمريكية في ٢٤/١٠/١٩٧٦م، على منافسه من الحزب الجمهوري بشعار "حقوق الإنسان". وكان من بين عوامل اختيار هذا الشعار من قبل "كارتر" هي النظرية القديمة للحزب الديمقراطي في طرح شعارات خادعة وإنسانية في ظاهرها. وزيادة الضغوط الإعلامية والنفسية على الكرمليين، واستقطاب المعارضين في الاتحاد السوفياتي، ورفع الإشتياك العميق لدى شعوب العالم بعد فجائع حرب كوريا وفيتنام للحيلولة دون الإنتفاضات الشعبية في الدول التي تدار من قبل الأنظمة الديكتاتورية المرتبطة بأمريكا. وكان الملك يميل إلى الحزب الجمهوري لانسجام ذلك مع روحانيته وسياساته الإستبدادية، وأسرع إلى دعم مرشح هذا الحزب في الانتخابات بالدولارات الأمريكية. وكان نقد الحكومة البوليسية والتعذيب من قبل النظام أداة استغلها الحزب الديمقراطي في أيام الانتخابات في عام ١٩٧٦م. ومن هنا، جعلت الحكومة الأمريكية - بعد مجيء "كارتر" - إسم إيران على رأس الدول المرتبطة التي يجب أن تطرح شعار حقوق الإنسان، وهي مطمئنة من ثبات نظام الملك، ودفعت الملك إلى إيجاد ما يسمى بالمناخ السياسي المفتوح. فعزل هويدا من رئاسة الوزراء، وحل محله "آموزكار"، وأسست جمعية الدفاع عن حقوق الإنسان بواسطة عدد من المعارضين المعتدلين، وكانت اللجنة التنفيذية للجمعية تضم كلاً من: المهندس مهدي بازركان، وحسن نزيه، وعلي أصغر السيد الجوادى، أحمد صدر السيد جوادى، ورحمة الله مقدم المراهقي، واللاهيجي والمينايجي.

أيديكم، إنني أخاف إذا ذهب هذه الفرصة، وأعاد هذا الملك حساباته مع هؤلاء، فهؤلاء يعملون الآن على إعادة الحسابات - يعملون على تقوية هذا الخادم - إنهم لا يقبلون! إنهم يريدون تقويته<sup>(١)</sup> فهم يأتون بهذا إليهم ويذهبون بأنفسهم إلى إيران، وينشطون حتى يتموا عملهم، ويحققوا هدفهم، فإذا أنجز هؤلاء عملهم - لا سمح الله - عاد هذا الرجل راسخاً، فهذه المرة ليست مثل تلك المرات، إنه سوف يوجه لكمة شديدة للإسلام. أسأل الله تعالى التوفيق لكم جميعاً، وأسأله العظمة للإسلام، اللهم أسألك بأوليائك أن اجعل الإسلام عظيماً، أعطه عظمة.. أيقظنا من نوم الغفلة.. أوصل جميع شرائحنا معاً.. مَن علينا بوحدة الكلمة.

## هوية الخطاب رقم (٢٦)

العراق/ النجف/ مسجد الشيخ الأنصاري في صفر ١٣٩٨ هـ، الموافق: ٢/ ١٩٧٨ م.<sup>(٢)</sup>

- الموضوع: جرائم الحكم غير القانوني للعائلة البهلوية خلال خمسين سنة.

- المناسبة: فاجعة مجزرة قم في التاسع عشر من شهر (دي) ١٣٥٦ هـ ش.

- الحاضرون: الطلاب والعلماء وجمع من الناس.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

اعتبر الإمام عليه السلام إستهزاء نجله الكبير من الألفاظ الخفية. ويعتقد أهل الرأي الواعون أن إستهزاء السيد مصطفى قد أسرع في انتصار نهضة الإمام - في أكثر المراحل حساسية - فقد بدلت هذه الشهادة في البداية مدينة قم إلى بركان وصلت حممه بعد ذلك إلى تبريز ويزد وأصفهان وطهران وسائر المدن الإيرانية. وقد دفعت كتابة مقالة موهنة تحت عنوان "الاستعمار الأحمر والأسود في إيران" بأمر "السافاك" وباسم مستعار هو "أحمد رشدي مطلق" في صحيفة "إطلاعات" في ١٩٧٨/١/٧م الشعب الإيراني المسلم إلى طريق أوصله إلى الإطاحة بالنظام الملكي الذي امتد عمره إلى ٢٥٠٠ سنة، وإقامة الحكومة الإسلامية.

بعد إستهزاء السيد مصطفى، قام كثير من مراجع التقليد والفضلاء والكسبة وطلبة الجامعات وبعض الأحزاب والجماعات السياسية، الذين لم تكن لديهم حتى ذلك اليوم دوافع قوية للاعتراض والهتاف ضد النظام، بإصدار بيانات متفاوتة اللهجة بين متشددة ومعتدلة. هاجموا فيها النظام الملكي.

---

(١) في البداية لم يكن لدى الرئيس الأمريكي آنذاك "جيمي كارتر" رأي مساعدة تجاه الملك، لهذا السبب قرر الملك دعوة "كارتر" إلى إيران، أو السعي للحصول يحصل على دعم ورضى الولايات المتحدة بالسفر إلى واشنطن والتحدث معه.

(٢) ذكر هذا الخطاب في صحيفة "النور"، ج ١، ص ٢٦٧، أنه كان بتاريخ ٩ كانون الثاني، وهو خطأ مؤكد بالنظر إلى كلام الإمام الذي ألقى بعد واقعة ٩ كانون الثاني، بعد ٥ أيام على الأقل.

كان النظام يهدف من نشر المقالة المذكورة تحقيق أهداف معيّنة، وفي الحقيقة الانتقام من الإمام وأنصاره، وكان الهجوم موجهاً بالدرجة الأولى إلى قيادة النهضة. فقد ذكر في جانب من المقالة الوقحة:

"بداية ثورة الملك والشعب في يوم ١٩٦٢/١/٢٦م وحدث الاستعمار الأحمر والأسود في إيران اللذين كان لكل منهما في الظاهر برنامج ومخطط خاص في بلدنا، ويتجلى هذا التعاون الصميمي في حادثة الخامس والسادس من حزيران ١٩٦٣م (٢٥٢٢ ملكي) في طهران.. وقد وجدت الرجعية الحمراء والسوداء في روح الله الخميني ضالتها المنشودة لتحقيق هذا الغرض، فهو في نظرها أنسب شخص لمواجهة الثورة الإيرانية".

لم يكن تحمّل هذه الإهانات الصريحة ممكناً لمقلّدي وأتباع الإمام. وفي يوم ٧ كانون الثاني، وبعد نشر هذه المقالة، أصبحت مدينة قم في حالة غير عادية وملتهبة. وفي اليوم التالي عطّل السوق والمدينة، وكذلك دروس الحوزة تماماً. وتجمع الناس في بيوت مراجع ومدرّسي الحوزة، وطلبوا منهم أن لا يسكتوا على هذه الإهانة الواضحة التي وجهها النظام لساحة الإمام والعلماء.

وفي يوم ٨ كانون الثاني استمرت المسيرات السلمية للطلاب والأهالي، وتواصل حضورهم في منازل المدرسين وعلى أبعاد أوسع.

وبعد ظهر يوم ٨ كانون الثاني اجتمع المتظاهرون في منزل آية الله حسين النوري<sup>(١)</sup> - من مدرّسي الحوزة العلمية في قم - والشوارع المحيطة به، فألقى سماحته خطاباً ثورياً شديداً للهجة، هاجم فيه سياسات النظام، وأشاد بشخصية الإمام وبثورة ٥ حزيران والوقائع التي تلتها، وأكد أن ثورة الشعب في دعم نهضة الإمام ستواصل حتى تحقيق النصر النهائي، وأثناء عودة الناس قام المأمورون المسلّحون للنظام بإيجاد مواجهة مفتعلة في ساحة الشهداء (تقاطع الفاطمي) وفتحوا النار على المتظاهرين. وامتدت التظاهرات إلى الشوارع المحيطة ومدرسة "الحجّية" في قم. وكانت أصوات رشاشات المأمورين وشعار "يحيى الخميني" و"الموت لعائلة البهلوي" تسمع في المناطق المركزية في قم حتى ساعات من منتصف الليل. في هذه الواقعة استشهد عدد من الطلاب وأهالي قم وجرح واعتقل عدد آخر، وذهب الناس إلى المستشفيات للتبرع بالدم. وفي الليل اختطف مأمورو النظام عدداً من المجروحين وأجساد الشهداء المطهرة من المستشفيات.

وفي "مشهد" وقعت تظاهرات شبيهة، وقد سمّت صحيفة "رستاخيز" هذه التظاهرات بـ"الإتحاد غير المقدّس بين الرجعية الحمراء والسوداء"!

وفي يوم ١٩٧٨/١/٧م - الموافق للذكرى السنوية لنزع الحجاب من قبل رضا خان - خرجت النساء والفتيات المتدينات في "مشهد" إلى الشوارع بعباءات سوداء اعتراضاً على سياسات النظام المعادية للإسلام - وكان لذلك انعكاس واسع في تقارير وكالات الأنباء العالمية.

(١) الواقع في شارع صفائية في قم (شارع البيكدلي)

وبينما كانت هذه الحوادث تقع في إيران، سافر الملك محمد رضا وزوجته فرح، فقد سافرت فرح إلى مصر لتحلّ ضيفة على جيهان السادات (زوجة أنور السادات)، في حين ذهب الملك إلى أمريكا ليظهر أنه ليس لديه تلك المعلومات عن القضايا البسيطة في إيران، وأنها ليست بالمسألة المهمة. وقبل هذا كان الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" قد زار إيران في ١٩٧٧/١٢/٣٠م، وأمضى رأس السنة الميلادية الجديدة مع الملك وعائلته. وفي ذلك الوقت أيضاً كان الملك حسين (ملك الأردن) قد دُعي إلى إيران من قبل الملك وشارك في تلك المأدبة.

وقال "كارتر" في مأدبة العشاء في كلمة له: "إنّ إيران رهينة لياقة الملك في قيادة البلد، لأنه استطاع أن يجعل إيران جزيرة من الثبات في إحدى أكثر مناطق العالم اضطراباً، وإنّ مشاعر التقدير العميق والصداقة الصميمية التي أكنّتها تجاه الملك لا أحملها لأي قائد"<sup>(١)</sup>. وقبل سفره إلى إيران قال "كارتر": "سأبني في طهران مدى أهمية العلاقة بين إيران وأمريكا."<sup>(٢)</sup>

وكان الملك قد أيد تماماً - بغرور وقوة - كلام السفير الأمريكي في إيران وهو "إنّ الصداقة بين إيران وأمريكا لم تكن أبداً على هذا المستوى من التقارب والصميمية. إنّ إيران وأمريكا سوف لا ينفصلان عن بعضهما الآخر بأي شكل من الأشكال...".<sup>(٣)</sup>

وكان السفير الإيراني في أمريكا يكرر القول بأنّ "ليس هناك أي بلد مثل إيران يراعي قواعد حقوق الإنسان".

وبعد وصول خبر مجزرة ٣٠ كانون الأول ألقى الإمام عليه السلام كلمة قوية قدّم فيها التعازي للشعب الإيراني المظلوم، وأشار إلى زيارة "كارتر"، وتناول شرح خمسين سنة من جرائم سلطنة البهلوي غير القانونية، ومفاسد الجيش والجامعات والمجلس الملكي. وفي الختام دعا جميع الطبقات إلى وحدة الكلمة لمواصلة المواجهة مع النظام، وحذّرها من التفرقة والتشتت.

وأصدر الإمام عليه السلام بياناً في تاريخ ١٩٧٨/١/٢٢م بمناسبة حادثة ٣٠ كانون الأول إستنكر فيه بشدة تدخلات أمريكا في إيران، وجرائم النظام الملكي.

إنّ الجرائم الكثيرة للملك بعد واقعة ٥ حزيران ١٩٦٣ وحتى سنة ١٩٧٧م وسعة دائرة غضب واعتراض الناس، وتحذيرات وخطابات الإمام في كشف جرائم الملك وإعداد أصحاب واعين وثوريين في هذه الأيام، وارتفاع مستوى الوعي العام. وأهم من كل ذلك، إستشهاد السيد مصطفى، أدى إلى أن تصبح مجزرة ٩ كانون

(١) صحيفة "رستاخيز" (١٩٧٧/١٢/١٦م).

(٢) "تاريخ العلاقات الخارجية الإيرانية"، ص ٣٠٤.

(٣) نفس المصدر، ٦ و ١٩٧٧/١٢/١٦م.

الثاني في قم وخطاب وبيان الإمام بهذه المناسبة بداية فصل جديد في استمرار ثورة ٥ حزيران لتعطي بالنتيجة ثمارها المختلفة منذ ١٩٧٨/١/٩م وحتى ١٩٧٩/٢/١١م، ولتنتهي أخيراً إلى النصر المؤزر.

من هنا، فإنّ أيام ٧ و ١٩٧٨/١/٩م تعتبر من بعد ٥ حزيران ١٩٦٣ و ١٩٦٤/١١/٤م نقطة تحوّل في تاريخ الثورة الإسلامية في إيران.

## الخطاب رقم (٢٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنني لفي حيرة، مَنْ أعزّي بهذه الفاجعة؟ هذه الفاجعة الكبرى<sup>(١)</sup>، هل أعزّي الرسول الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والإمام الحجة (سلام الله عليه)؟ أم أعزّي الأمة الإسلامية والمسلمين والمظلومين في جميع أقطار العالم؟ أم أعزّي الآباء والأمهات من أهل المصيبة؟ أم أعزّي حوزات العلم والعلماء الأعلام؟ مَنْ يجب أن يعزّي؟ وَمَنْ يجب أن يقدم له الشكر في هذه القضايا التي تحصل للإسلام، وهذا الشعب الإيراني الواعي الذي يستقيم أمام هذه المصائب، ويعطي القتلى ويُهتِك. لقد أطلقوا النار على الناس بلا سبب، وبدون أي مجوّر قانوني. وما أخبرنا به حتى الآن - وإن كان غير دقيق - ولكن يقال إنّ سبعين قتيلاً قد سقطوا. ونقلت بعض وكالات الأنباء بأنّ القتلى بلغ عددهم المئة. والبعض أخبرنا أيضاً بأنهم مئة قتيل أو مئتان وخمسون. وفي بعض البرقيات التي جاءت من أوروبا أو من أمريكا ذكروا أنّ العدد هو ثلاثمئة، والأمر غير واضح. كما أنّ عدد المجرّوحين غير واضح أيضاً، ولا بد أنّ إحصاءً دقيقاً سيتم فيما بعد، إذا تمكن الإخوة من ذلك. وإذا لم يحدث مثل ما حدث في الخامس من حزيران حيث ألقوا بأجساد الناس في بحيرة "حوض السلطان"<sup>(٢)</sup>. ويقال إنّ أشخاصاً ذهبوا للتبرع بالدم لهؤلاء المجرّوحين الذين كانوا بحاجة إلى الدم في المستشفيات، إلّا أنّ السلطات الأمنية اعتقلتهم. وقد تأكد هذا الأمر، وقد مات العديد من الجرحى نتيجة حرمانهم من نقل الدم. ولم

---

(١) المقصود هو مجزرة التاسع من كانون الثاني ١٩٧٨م التي وقعت بعد نشر مقالة موهنة ("الرجعية الحمراء والسوداء في إيران") في صحيفة "إطلاعات" بتاريخ ١٩٧٨/١/٧م تحت اسم مستعار ("أحمد رشيد مطلق"). في المقالة المذكورة وجّهت إهانة للإمام عليه السلام وجميع المراجع. وبعد نشر هذه المقالة غضب الناس إلى درجة أنهم قاموا مباشرة بجمع الصحف وإحراقها، وأطلقوا شعارات في الشوارع ضد النظام. وبعد يومين (في التاسع من كانون الثاني) عطّلت الحوزات في قم، وتحرك الكسبة وسائر الجماهير نحو بيوت المراجع دعماً للعلماء. ولكن المأمورين المسلّحين هاجموا الناس بشكل مفاجئ في وسط الطريق، وأطلقوا النار عليهم مباشرة.

(٢) يقع "حوض السلطان" (بحيرة قم) في أسفل قم من السهل بين طهران وقم وساوة. ومشهور أنّ المأمورين ألقوا بأجساد ضحايا الخامس من حزيران في هذه البحيرة.



تعط أجساد القتلى إلى أهاليهم، وإذا أصر شخص على أخذ جثمان شهيد، فإنهم يأخذون منه خمسمئة تومان لإعطائه الجثمان، يأخذون خمسمئة تومان لأنهم قتلوه<sup>(١)</sup> يجب أن نشكر مَنْ؟ ونعزي مَنْ؟

يجب أن نشكر الشعب الإيراني اليقظ، الشعب الواعي والمقاوم أمام الظلم، الشعب الذي يقاوم وهو يرى كل هذا الظلم، يقاوم ويعطي كل هؤلاء القتلى، ويقف هذه الوقفة التي ستوصله بلا شك إلى نتيجة. لا شك أن الشعب بعد أن وعى، وبعد أن ثار حتى النساء ضد الحكومة، وضد هؤلاء المتجبرين، لا شك أن مثل هذا الشعب سيتصر إن شاء الله.

سمعت أن المرحوم المدرس قال لرضا خان - والد هذا الملك - "سمعت أن الشيخ الرئيس<sup>(٢)</sup> قال: إنني أخاف من البقرة لأنها تمتلك أسلحة، ولا تمتلك عقلاً". هذا الكلام إذا لم يكن ثابتاً عن الشيخ الرئيس مثلاً، فهو كلام حكيم. فالأسلحة حين تقع في يد أشخاص غير صالحين وغير لائقين فإن لها مفسد، الإنسان مبتلى بهذا منذ القدم. فالأسلحة كانت في يد أشخاص غير صالحين منذ بدء نشوء الحضارة البشرية - كما يتصور الإنسان - كانت الأسلحة في أيدي غير الصالحين، وجميع مشكلات الإنسان من هذا الأمر. وما لم يُنزع السلاح من أيدي غير اللائقين هؤلاء، فإن الإنسان لن يتمكن من تحقيق نتيجة تذكر. والأنبياء جاؤوا لنزع سلاح أصحاب الأسلحة غير اللائقين الذين لا عقل لديهم، لكنهم لم يتمكنوا، لأن هؤلاء كانوا متجبرين. وبقيت هذه الأسلحة في يد غير اللائقين وغير الصالحين الذين لا عقل لديهم. جميع هذه المشكلات التي تلاحظونها هي نتيجة هذا المعنى، منذ أن جاء الإنسان إلى الدنيا، وبدأ التنازع بين الصالح وغير الصالح. في جميع تلك العصور كانت الأسلحة في يد غير الصالحين، إلا ما ندر. وأية جرائم وقعت بهذه الأسلحة؟ ولن تحتاج إلى سبر غور التاريخ البعيد، فهذه الحروب التي وقعت خلال القرن الأخير في العالم، الحرب العالمية الأولى<sup>(٣)</sup> الحرب العالمية الثانية<sup>(٤)</sup> هذه الحروب التي وقعت مؤخراً في فيتنام<sup>(١)</sup> هذا القتل للناس كان بسبب وجود الأسلحة في يد غير

---

(١) طالب مأمورو الملك رسمياً بمبلغ "تكاليف الرصاص" لإعطاء أجساد الذين قُتلوا في التظاهرات، أو أُعدموا بعد المحاكمة الشكلية.

(٢) أبو علي سينا.

(٣) بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، وانتهت عام ١٩١٨م وقد أشعلتها النمسا ضد صربيا، ودخل هذه الحرب روسيا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وإنكلترا واليابان وأمريكا وفنلندا وبلغاريا وإيطاليا والمجر وسائر الدول. وقد قُتل فيها حوالي ١٣ مليوناً ونصف المليون نسمة، ودمرت مدن كثيرة.

(٤) بدأت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م بهجوم الألمان على بولندا، وأعلنت فرنسا وإنكلترا الحرب على ألمانيا دعماً لبولندا. وشملت هذه الحرب إيطاليا والصومال والهند وليبيا ويوغسلافيا واليونان وروسيا وإيران وأمريكا واليابان والجزائر والمغرب ورومانيا وعدة دول أخرى.

وفي السادس من آب ١٩٤٥م فجرت أمريكا أول قنبلة نووية في هيروشيما وناكازاكي، لتنتهي الحرب بعد ثلاثة أيام من هذه الفاجعة، وكانت نتيجة الحرب العالمية الثانية سقوط تسعة وثلاثين قتيل.

الصالحين، كانت الأسلحة بيد غير الصالحين اللاتقيين. نحن نتذكر هذا السفك للدماء خلال الخمسين سنة الأخيرة، والمرارات من الخمسين سنة لا زالت في خاطرننا، وقد يتذكر ذلك القليل منكم. إننا نتذكر - خصوصاً كبار السن منكم - جميع تلك المعاهدات المذلة التي عقدتها السلطة غير القانونية لهؤلاء الظالمين خلال الخمسة عقود الماضية، كنا نشاهد بؤس الشعب، وهذه الجرائم، وهذه المجازر التي قام بها هؤلاء المسلحون غير الصالحين منذ الانقلاب الأول الذي وقع<sup>(٢)</sup> وكنا في ذلك الوقت في "أراك"<sup>(٣)</sup> هذا بناءً على ما

(١) إحتل الفرنسيون فيتنام عام ١٨٨٠م، وفي عام ١٩٤٠م تولى اليابانيون إدارة أمور هذا البلد بعد هزيمة فرنسا في أوروبا. وفي عام ١٩٤٥م إستسلمت اليابان للحلفاء، فاتجهت فرنسا مرة أخرى إلى فيتنام، لكنها هُزمت أمامها هذه المرة.

في عام ١٩٥٤م قُسمت فيتنام بموجب قرارات مؤتمر جنيف إلى شمالية وجنوبية، وشكلت في فيتنام الجنوبية حكومة أمريكية قامت بتعزيز النظام من خلال قمع المعارضين وإرسالهم إلى معسكرات عمل، ومنذ سنة ١٩٥٦م إلى ١٩٦٠م قَدَّمت أمريكا مليار دولار مساعدات عسكرية واقتصادية لتلك الحكومة لدعم نظام فيتنام الجنوبية. ومنذ سنة ١٩٦٠م بدأ الثوار في فيتنام الجنوبية المعروفين بـ "الفيتكونغ" بالمقاومة ضد النظام الفيتنامي العميل. وحتى سنة ١٩٦٤م إعتقلت أو قتلت القوات الحكومية والأمريكية آلاف الأشخاص. وفي تلك السنة دخلت أمريكا الحرب رسمياً مع فيتنام الشمالية و"الفيتكونغ" في فيتنام الجنوبية. ومنذ سنة ١٩٦٢م وحتى سنة ١٩٦٨م قُتل أكثر من أربعمئة ألف من "الفيتكونغ" ومقاتلي فيتنام الشمالية في الحرب والإشتباكات، وألقت الطائرات الأمريكية ٥٨٢ ألف طن من القنابل على الناس العزل في ذلك البلد! وفي العاشر من آب ١٩٦٩م أعلن عن قتل حوالي خمسمئة ألف من شباب فيتنام الشمالية في الحرب. وفي سنة ١٩٦٩م قتلت القوات الأمريكية مئات الأشخاص من قرية "ميلاء" في فيتنام الجنوبية.

وفي السنوات ١٩٧١ إلى ١٩٧٣م تمكن "الفيتكونغ" من توجيه ضربات شديدة لنظام فيتنام الجنوبية. وأخيراً وفي عام ١٩٧٥م هُزمت أمريكا، واضطرت إلى مغادرة فيتنام. وتقارن ذلك الهجوم مع الهجوم العام لـ "الفيتكونغ" وقوات فيتنام الشمالية على الجنوب، وكانت النتيجة إسقاط نظام فيتنام الجنوبية وتحريرها وتوحيد شقي فيتنام.

وطبقاً لحسابات المصادر الغربية فإن قتل كل شخص من قوات "الفيتكونغ" كلف أمريكا ثلاثمئة وخمسين ألف دولار، بينما كانت الضربات الأخلاقية والاجتماعية والنفسية التي تعرّض لها الشعب الأمريكي أكثر بكثير من الأضرار الاقتصادية.

(٢) في عام ١٩٢٠م إحتل "رضا خان ميربنج" الذي كان قائداً لقوات "القزاق" في قزوين، إحتل طهران طبقاً لبرنامج الحكومة الإنكليزية، وتمكن عبر انقلاب ناجح من إجبار أحمد شاه على تفويض أمر رئاسة الوزراء إلى السيد ضياء الدين الطباطبائي. وبالتدريج عزز رضا خان موقعه، وبادر إلى تشكيل جيش واحد. وفي عام ١٩٢٣م عيّن أحمد شاه رضا خان في رئاسة الوزراء، وتوجه إلى أوروبا. وأخيراً طرح نواب المجلس الشكلي لائحة في ١٩٦٥م - بضغط من رضا خان - أقيل بموجبها أحمد شاه من السلطة وانتُخب رضا خان للملكية، ورغم معارضة العلماء والمجاهدين مثل المدرّس لهذه اللائحة، إلّا أنّ المجلس صادق عليها.

(٣) بعد دراسته في "خمين" ذهب الإمام قَدْجَر في عام ١٣٣٩ هـق سنة وقوع انقلاب رضا خان إلى "أراك" لمواصلة الدراسة في الحوزة العلمية.

قيل في الإذاعات في ذلك الوقت. بعد ذلك بدأت الحرب الثانية، قيل هذا الموضوع في الإذاعات آنذاك، والناس كانوا يدركون ما يحصل آنذاك إلى حد ما، فالإعلام السيئ لم يسمح لهم أن يفهموا كل شيء بشكل صحيح، ولكن بعد أن تم طرد ذلك الدليل - أقصد رضا خان - بعد أن طردوه من إيران أذاعت إذاعة "دهلي" نقلاً عن هؤلاء بأنهم قد جاؤوا به إلى الحكم، ولأنه خان فقد طردوه الآن<sup>(١)</sup>. إن الإنكليز المجرمين.. الإنكليز غير الصالحين.. الذين كانت الأسلحة في أيديهم، أعطوا الأسلحة لرضا خان، وجاؤوا بهذا الإنسان العديم الأصل، وسلطوه على الناس بقوة السلاح. وأي جرائم قام بها هذا الرجل الفاسد في هذه المدة؟ إنها مما لا يمكن شرحه. لا نستطيع أن نشرح لكم مرارات تلك الأيام. هذه الجرائم محفوظة في التواريخ بشكل دقيق، وسيعلم التاريخ عن رأيه إن شاء الله بعد انقراض هذه العائلة الظالمة، وتخرج الكتابات. وسوف تطلعون على حقائق الأمور إن شاء الله، وإذا لم نطلع نحن وأنتم فإن الأجيال اللاحقة سوف تطلع على ذلك. إذا استطاعوا أن يشرحوا تلك الجرائم التي قام بها ذلك الرجل، فسيوضح مقدار الدماء التي سفكت، والعلماء الذين اعتقلهم، والضغط الذي قام به على هذا الشعب باسم توحيد الزي. والمظلومون الذين اضطهدوا، والعلماء الذين هتكوا، أو العمائم التي نزع من رؤوس أهل العلم.

وعندما زار هذا الرجل غير اللائق تركيا، رأى هناك أن أتاتورك قام بمثل هذه الممارسات والأعمال المشينة، ومن هناك أرسل برقية - على ما قيل آنذاك - إلى أزملة أن يوحدوا أزياء الناس، وقد تدرّع بذريعة أن هؤلاء المزارعين عليهم أن يضعوا غطاءً على رؤوسهم ليتقوا حر الشمس. ولكن المسألة كانت واضحة، إنها ليست لهذا السبب. فعندما عاد من تركيا بدأت الضغوط<sup>(٢)</sup>، وكانت هناك مجموعة ضغوط كثيرة وجرائم بعد

---

(١) في ١٩٤١/١١/٥م، بعد هرب رضا خان بشهرين، تحدثت إذاعة لندن علانية في أحد تحليلاتها السياسية عن الصداقة البريطانية المغرضة مع إيران، وعن الإتيان بحكومة رضا خان، فقالت: "إن سياسة إنكلترا في إيران تقوم على الصداقة، صداقة بدون غرض وصداقة ذات غرض، الصداقة مع الشعب الإيراني بدون غرض خاصة بالعلماء. أما الصداقة بين الحكومة الإنكليزية وإيران وأية حكومة أخرى فهي ليست من دون غرض، ولا يمكن أن تكون.. بعد أن رأينا أن الشعب الإيراني يسيء الظن باتفاقية ١٩١٩م ويعتبرها قائمة على غرض فاسد، ألغينا الاتفاقية. وبدلاً من ذلك عملنا على تقوية ومساعدة الحكومة الإيرانية حتى تقيم النظام في إيران، وكان هذا سر تقوية ومساعدة رضا خان.. كان الأعداء يقولون إننا نريد رضا خان وكل ما يعمل هو بأمرنا، ولكن الأمر لم يكن كذلك. فنحن عندما رأينا ما تحلى به الألمان من دهاء، والملك من غفلة، وتعرض مصالحنا للخطر، قمنا بهذا العمل - نفي رضا خان - خلافاً لرغبته! (راجع: "تاريخ إيران السياسي المعاصر"، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨).

(٢) بعد زيارة رضا خان إلى تركيا ولقائه بأتاتورك، إطلع هناك على أمور جديدة. فقد علمه أتاتورك أكبر حاجز أمام تغريب الشعب هم العلماء، وأشار له بأنه تمكن من خلال الحد من نفوذهم من إجبار الرجال على ارتداء الأربطة والقبّعات، ومنع النساء من ارتداء الحجاب. فقام رضا خان تقليداً له وبتأييد بريطانيا

وحدة المظهر هذه. كما آذوا العلماء في هذه القضايا ونَفّوا وقتلوا البعض<sup>(١)</sup> وذريعة ثانية تقليداً لأتاتورك غير اللائق، أتاتورك المسلم غير الصالح، قضية نزع الحجاب وما تبع ذلك من فضائح.

الله يعلم ماذا جرى على هذا الشعب الإيراني في نزع الحجاب هذا<sup>(٢)</sup> هؤلاء مزّقوا حجاب الإنسانية.

الله يعلم كم من المخدّرات<sup>(٣)</sup> هُتكت حرمتها على أيدي هؤلاء، وعدد الأشخاص الذين هتكوهم؟ لقد أجبروا العلماء - وبقوة الحراب - على المشاركة مع نسائهم في الاحتفالات. إنّ أمثال تلك الاحتفالات كانت تتم على حساب الجماهير، والناس تدفع ثمنها بكاءً وألماً.

بـ"إصلاحاته". فأصدر أمراً منع فيه ارتداء زي العلماء، ما عدا بعض العلماء الذين استثناهم. ومن ضمن إجراءاته - لتوحيد أزياء الناس - فرض استخدام القبعة البهلوية (ذات الحافة الواحدة) ثم قبعة "شابو"، وارتداء السروال والمعطف. وقد أبلغ حكام الولايات - من خلال مخاطبات رسمية عن طريق وزارة الداخلية - بارتداء القبعة، واختيار لون ونوع الملابس، وكيفية لبس الأحذية ونوعها! ولم يرضَ بهذا المقدار، فقد كان يفكر بخطوات أخرى للقضاء على الإسلام والمسلمين في إيران. إلّا أنّ الفرصة لم تسنح له، فحوّل تنفيذ بقية أهدافه إلى ابنه، وأقيل من هذه المهمة.

(١) في عام ١٩٣٥م أجبر رضا خان الشعب الإيراني على ترك لباسه الوطني والتراثي، وارتداء الملابس الأوروبية! ولم يستثن من هذا - الأمر الذي سمي وحدة المظهر - حتى العلماء. وقد انزعج الناس جداً من هذه الخطوات، ولجأوا إلى العلماء، فأمرهم بالثورة. ومن هذه المواجهة نُفي آية الله السيد حسين القمي إلى العتبات المقدسة في النجف الأشرف. وحوكم السيد يونس الأردبيلي والسيد المحقق الخراساني وآقازادة، وصدرت بحقهم أحكام مختلفة، وخلعوا الزي العلمي آية الله زادة الخراساني الذي توفي بعد فترة، واعتُقل وسُجن حوالي ١٠٠ شخص من العلماء والوعاظ المعروفين في البلد.

(٢) سأل رضا خان "محمود جم" - حين أمره بتشكيل الحكومة في ١٩٣٥/١٢/٢ - كيف يمكن القضاء على هذه العباءة؟ فمنذ أن ذهبت إلى تركيا، ورأيت نساءهم قد خلعن الحجاب، أصبحت لا أحب المرأة ذات العباءة. إنّ العباءة وغطاء الوجه عدوّ للرقّي والتقدم أساساً، وهي تعتبر ورماً مليئاً بالقيح يجب فتحه بحذر. وبعد التشاور مع "جم" قام في ١٩٣٦/١/٧م باصطحاب زوجته وبناته (تاج الملوك، وشمس، وأشرف) بدون حجاب ليشاركن معه في احتفال افتتاح المعهد التمهيدي، وقد شاركت في هذه المراسيم زوجات الوزراء وجمع من مسؤولي الدولة مع أزواجهن وبدون حجاب. وفي ختام المراسيم أمر رضا خان "جم" (رئيس الوزراء) أن يعقد مثل هذه الجلسات، حتى تتعرف النساء في البلد أكثر على الوضع الجديد والعشرة مع الرجال!! ومنذ ذلك الوقت أقيمت احتفالات عديدة لهذا الأمر، وأمروا رجالهم بأوامر مؤكدة أن يتعاملوا بقسوة مع النساء اللواتي يخرجن بالحجاب.

(٣) السيدات.

وهكذا، كانوا يروّجون للتبرج، ويدعون بقية الناس، مجموعة مجموعة، ويجبرونهم على أن يحتفلوا مع نسائهم دون حجاب.

كانت حرية المرأة هي هذه التي كانوا يفرضونها. يجبرون الناس المحترمين، والتجار المحترمين، والعلماء وأصحاب المهن لتنفيذ رغباتهم بقوة السلاح. بكى الناس كثيراً. ولو أنّ هؤلاء كان لديهم حياء لندموا على ذلك الاحتفال، وهكذا كان أيضاً. والله يعلم ماذا فعل البعض.

عمل آخر قاموا به، وهو المنع من ارتقاء المنابر<sup>(١)</sup> والمنع من إقامة العزاء والخطابة بأي عنوان وفي كل إيران ولعله حصل أحياناً أن تمر عاشوراء دون إقامة مجلس عزاء واحد. عدا بعض ما كان يعقده البعض - ممن كانت لديهم الجرأة - من المجالس بعد منتصف الليل أو آخر الليل، أو عند السحر لينتهي مثلاً قبل الأذان. حرموا إيران من هذا الفيض ومن ذكر مصيبة، أو حديث حتى. هل هذا إلاّ لأنّ الأسلحة كانت في يد شخص بلا عقل؟ إنّ الأسلحة يجب أن تكون بيد الأفاضل. إذا كانت الأسلحة في يد غير الصالح عند ذلك تحصل منه تلك المفساد. وتلك الجرائم، والمجازر التي وقعت في مسجد جوهر شاد، والتي بادروا بعدها إلى اعتقال علماء خراسان والمجيء بهم إلى طهران وحبسهم هناك، حبسوا العلماء الكبار. وحاكموا بعضهم، وقتلوا بعضهم، كل ذلك بسبب وجود الأسلحة في يد شخص بلا عقل. وبمجرد أن قال علماء أصفهان وعلماء آذربيجان كلمتهم، وبمجرد أن قالوا كلمة ما، وقاموا بنهضة إعتقلوهم ونفّوهم إلى أماكن بعيدة. وبقي علماء آذربيجان فترة حسب الظاهر في "سنقر"<sup>(٢)</sup> كما بقي المرحوم السيد ميرزا صادق آقا (رحمه الله) بعيداً عن تبريز<sup>(٣)</sup> حتى وفاته. كما

(١) لقد استُثني من قانون توحيد الأزياء مفتو أهل السنّة وعدد من العلماء الذين كانوا قد أخذوا قبل ذلك رخصة حكومية، أما الآخرين فلا يحق لهم ارتداء زيّ العلماء إلاّ الذين لديهم شهادة دراسية من وزراء المعارف. ومنذ لك الوقت قام مأمورو الشرطة والدرك باستجواب من يواجههم من العلماء في الطريق وفي حالة عدم حيازته للشهادة المطلوبة، كانوا ينزعون العمامة من على رأسه أمام الأنظار ويأخذونه إلى مركز الشرطة. وقد حصل أن كان رجال الشرطة لا يكثرثون حتى بالشهادة أيضاً فيوقفون المعممين ويجبرون البعض على حلق لحاهم. وقد وصلت الصعوبات إلى درجة أنّ العلماء كانوا لا يخرجون في الشوارع إلاّ قليلاً، وأحياناً يخرجون من البيوت بعد انتهاء جزء من الليل ويعبرون من الأزقة الخالية وقليلة المارة. وبعد قمع ثورة العلماء والناس في مشهد في مسجد "جوهرشاد" قام رضا خان بممارسة ضغط أكثر على طبقة العلماء.

(٢) تقع "سنقر" على بعد ٩٧ كلم شمال غرب باختران و ٥٨ كلم عن البناء التاريخي في "بيستون".

(٣) في عام ١٣١٣ هـ ش حضر وزير المعارف في حكومة رضا خان "علي أصغر حكمت" في الاحتفال الذي أقيم في شیراز، وفي هذا الاحتفال قامت عدد من الفتيات، وخلافاً لتوقع المشتركين بالرقص أمامهم، ولم يكن المدعوون يتوقعون رؤية هذا المشهد، فخرجوا من المجلس اعتراضاً، وعندما وصل خبر هذه القضية إلى الناس، قاموا بتظاهرات، واعترض السيد حسام الدين الغالي - وهو من العلماء المتنفذين في "شیراز" - بشدة

حصلت بعض الأمور في زمان ذلك الخبيث مما لا أذكره، كما أنّ من يتذكر ذلك لا يمكنه أن يذكر هذه المصائب في مجلس واحد أو مجلسين<sup>(١)</sup>، وأنتم أيضاً ابتليتُم بذي القرن هذا الذي لا عقل له<sup>(٢)</sup>. لا تتصوروا أنّ طلقة واحدة يمكن أن تطلق في إيران على إنسان دون إذن الملك. لا تتصوروا مثل هذا التصور أبداً أنّ رئيس منظمة قم<sup>(٣)</sup>، رئيس منظمة قم<sup>(٤)</sup> وشرطة قم ليس لديهم الجرأة على أن يطلقوا رصاصة واحدة ويقتلوا الناس. أي عاقل لا يسعه تقبّل هذا الموضوع وكل ما يحصل هو أنّ تقارير ترفع بأنّ الوضع هكذا ثم يأمر هذا الخبيث بصراحة أن افتحوا النار. ففي الخامس عشر من خرداد كان هذا الخبيث - وحسب ما قالوا - يقوم بالتجوال في طائرة هليكوبتر ويأمر بالهجوم، وكأنه يأمر بالهجوم على القوات العالمية الأجنبية<sup>(٥)</sup> هجمت على إيران!<sup>(٦)</sup>

على الحكومة، فاعتقل وسُجن مباشرة. فوصل خبر قضية شيراز واعتقال السيد حسام إلى أسماع علماء الحوزة العلمية في قم ومشهد وتبريز. في تبريز إعترض عالمان كبيران (وهما: آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأنكجي وآية الله العظمى السيد ميرزا صادق آقا) على الحكومة، فسُجنا أيضاً ونُفيا إلى كردستان (سندج) أولاً وبعد عدة أيام إلى قم. وبعد مدة رجع آية الله الأنكجي إلى تبريز، ولكن آية الله السيد ميرزا صادق آقا توفي في منفاه في قم.

(١) للإطلاع على ثورة علماء أصفهان راجع الهامش ٢٨، و"ثورة علماء خراسان" راجع الهامش ٣٩، وثورة علماء آذربيجان راجع الهامش ٤٢.

(٢) الملك.

(٣) في السابق كان يقال لمركز الشرطة (النظمية).

(٤) "سافاك" قم.

(٥) يسمى الإمام كناية للشعب الإيراني الذي ثار من أجل إحقاق حقه بـ "جيش الأجانب" حسب رأي الحكومة. (٦) قيل إنّ الملك أعطى قاده أمراً بإطلاق النار عن وعي في يومي الخامس عشر والسادس عشر من خرداد ١٣٤٢، وأكد أنّ على الجنود أن لا يطلقوا الرصاص عشوائياً، وإنما عليهم أن يطلقوا النار على الجزء الأعلى من البدن. كما ذكر أنّ الملك كان يلحق في هليكوبتر فوق سماء طهران في يوم الخامس عشر من خرداد ويتولى قيادة العمليات. ويذكر اللواء فردوست في مذكرات (ص ٥١): "في صباح يوم ١٥ خرداد.. إتصل "باكروان" هاتفياً بمحمد رضا، فأمر أن يتولى "أويسى" مسؤولية القمع، وأن يتصل به مباشرة.. وأخيراً إتصل "أويسى" بي هاتفياً في الساعة ١٢ ظهراً وقال: أصبحت بلا حيلة! ليس لدي حتى سرية واحدة، وإذا قامت مجموعة من المتظاهرين بمهاجمتي ومقرّي فإنهم سيقضون على الجميع! ويجب أن أضيف أنه إلى ظهر ١٥ خرداد كان محمد رضا والأمريكان والإنكليز يعتبرون التظاهرات مخططاً واسعاً ومنظماً للإنتقال، وكانوا مضطربين بشدة. وفي ذلك الوقت كان في "السافاك" مستشار أمريكي واحد يعمل في المديرية العامة الثالثة، وكان أذكى وأعرف شخص في الهيئة الإستشارية الأمريكية في "السافاك".

هؤلاء الضعفاء الذين يخضعون إلى هذا القدر أمام السلاطين أو أمام رؤساء الجمهوريات، خاصة رئيس الجمهورية الأمريكي، ويتملقون إلى هذا القدر ويعتبرون أنفسهم عبيداً ومرتبطين بهؤلاء. هؤلاء الضعفاء من ضعفهم أنهم حينما يتعاملون مع شعبهم يؤذونه بشدة لمجرد أنه يمتلكون القدرة هناك يقبلون اليد ويتملقون، وحينما يكون الأمر مع بلدهم يقومون بأعمال قبيحة. لقد ذكرت سابقاً هاهنا بأن هؤلاء وعندما كانوا يقولون سابقاً بأنهم أعطوا الحريات، قلت للسادة أن هذا الإنسان إذا عزز عمالته لـ "كارتر" الخبيث هذا<sup>(١)</sup> فإنه سيوجه صفة قوية للشعب هذه المرة أقوى مما وجه إليه سابقاً. لكننا لم نتوقع أن يصفى حساباته مع "كارتر" ويثبت عمالته بهذه السرعة. إنهم يفتعلون الذرائع ليمارسوا ظلمهم، فقد فعلوا ذلك في قم، حيث أن الناس كانوا يأتون إلى العلماء بكل هدوء - حسب ما نقل الشهود - عدا صحافتهم طبعاً، فمن كانوا هناك نقلوا بأن الجماهير كانت تأتي إلى العلماء لعرض أحوالهم، فدفح هؤلاء واحداً من بينهم فرمى حجارة فكسر شيئاً فهاجموا أزالهم وأطلقوا النار. وهكذا كان الحال في الخامس عشر من خرداد. طبعاً إفرضوا أن الناس كانوا قد ثاروا لمصلحة معينة، ولكن لم يكن هناك فوضى<sup>(٢)</sup>. هؤلاء لقد قامت مجموعة من هؤلاء بافتعال بعض الأمور في طهران، فأحرقوا مكتبة ونهبوا مكاناً ودكاناً ليتخذوا من ذلك ذريعة لإطلاق النار على الناس فهم يفتعلون ما يبرر

---

(١) "جيمز (جيمي) إيرل كارتر" الرئيس الأمريكي التاسع والثلاثين وصل إلى البيت الأبيض عام ١٩٧٧ حاملاً شعار "الدفاع عن حقوق الإنسان!" يتمثل نشاطه السياسي بالأعمال التالية: إقامة علاقات سياسية مع الصين، والعمل على عقد اتفاقية "كمب ديفيد" المخزية بين مصر و"إسرائيل"، كذلك فقد عقدت في عهده اتفاقية الحد من الأسلحة النووية "سالت ٢٠٠" مع الاتحاد السوفياتي، وقف موقفاً متشدداً من الثورة الإسلامية وشن هجوماً عسكرياً فاشلاً لإنقاذ الرهائن من السفارة الأمريكية.

(٢) حاول النظام الملكي إيجاد حالة من الرعب، وذلك عن طريق ارتكاب المجازر الجماعية للحيلولة دون اتساع نطاق نقمة الشعب الإيراني. وذلك منذ عام ١٣٤١ هـ، فكانت الجريمة المروعة التي ارتكبها في الخامس عشر من خرداد ضمن هذا السياق. وفي الخطاب الذي ألقاه الملك في ١٣٤٢/٣/١٨ هـ في همدان، برر تلك المجازر بالقول عندما كنت أعلن عن المبادئ الستة لثورتنا الوطنية للفلاحين الإيرانيين والشعب الإيراني، أيقنت أن "الرجعية السوداء والرجعية الحمراء" سوف لا تسكتان، وقد شاهدنا ممارسات الرجعية السوداء في يوم الأربعاء ١٥ خرداد في طهران. حيث قام الرجعيون بإحراق مكتبة ومنتزه المدينة والملعب الرياضي ووسائل المرور وأماكن بيع بطاقات مصلحة نقل الركاب، وهاجموا الباصات التي كانت تنتقل طالبات المدارس والنساء العزّل في شوارع طهران وقاموا باعتداءات مختلفة.. مطالبين بإعادة استراق الفلاحين المحررين. كما هاجمت الرجعية السوداء معمل الكهرباء من أجل أن تتوقف المعامل الإيرانية.

ارتكابهم جرائمهم والجريمة الأخيرة وقعت بذريعة أيضاً<sup>(١)</sup>، فالناس لم يريدوا مواجهة السلطة، ولم يكن لدى أحد أية أسلحة فالعقل لا يمكنه مواجهة ثور وهو بدون سلاح. لم تكن ثمة مواجهة في الأمر.

ولكن الملك يريد أن يفهم أولئك بأنه ليس ذلك الإنسان السابق غير المكترث وإنما، هو يمارس دوره ويعزز من عمالته لهم<sup>(٢)</sup>، كما أنه يريد أن يثبت للناس، بأنه لا زال مرتبطاً، أنه عميل، وأنه يقتل! ويعرب عن كل هذا الغضب والتهديد ليثبت للناس سطوته وعمالته لئلا يظن أحد بأنه كف عن عمالته، لكنه أخطأ. فهو لم يتوقع ماذا سيحصل له بعد هذه المجزرة. إن ذلك الذي يقول إن جميع الشعب يؤيدني<sup>(٣)</sup>، الجميع صوت مثلاً لهذه الثورة البيضاء الدامية، الكل صوت لي، ثار عليه في كل أنحاء إيران، لقد بدأت المعارضة من قم وطهران وامتدت إلى خراسان وآذربيجان ومن تلك الجهة إلى كرمان، ومن الجهة الأخرى إلى أهواز وآبادان، كل إيران

---

(١) المقصود فاجعة التاسع من "دي" التي مر شرحها. راجع الهامش ١ من هذا الخطاب.

(٢) أنفق الملك محمد رضا مبالغ ضخمة في عام ١٣٥٥ هـ لش لصالح مرشح الحزب الجمهوري في الانتخابات الأمريكية، إلا أن الحزب الديمقراطي المنافس فاز ووصل "جيمي كارتر" إلى البيت الأبيض وأعلن بأنه يعارض تسليح أياً كان أو دعمه. ولما كان الملك غير قادر على مواصلة الحكم يوماً واحداً بدون دعم أمريكا، لذا كان باستمرار يرسل رسائل لتهنئة "كارتر" ويؤيد نظرياته، غير أن "كارتر" كان يظهر له عدم اهتمامه برسائله، حتى اقترح وزير الخارجية الأمريكية آنذاك "كيسنجر" أن تسافر فرح إلى أمريكا (شهر تير ١٣٥٦) لترفع الكدورة بين الطرفين بعد ١٦ يوماً من إقامتها في واشنطن وتباحثها مع "كارتر"، وقد بلغ الإنسجام حداً جعل "كارتر" يدعو الملك لزيارة أمريكا وتم بعد ذلك عقد اتفاقيات بمليارات الدولارات بين الطرفين على أمل أن تقوم أمريكا بتقديم دعمها للنظام: كذلك فقد ضمن الملك تثبيت قيمة النفط في الأوبك، وأعطى الشركات الأمريكية امتيازات كبيرة الأمور التي أرضت "كارتر" في النتيجة ودفعته إلى زيارة إيران والإعلان عن دعمه للملك!

(٣) كان الملك قد صرح بعد حوادث شهر يور ١٣٢٠، بما أشار به إلى محبة الشعب الإيراني له، فقال: "عندما كنت ذاهباً إلى المجلس لأداء القسم الدستوري، تجلّى لي حينها مدى حب الشعب الإيراني لوطنه، فقد بادرت الجماهير لحمل الملك الشاب بسيارته لى أكتافهم إلى المجلس وثم أعادوه. وقد زودني ذلك بقوة قلبية عظيمة". وحول حوادث ١٣٣٢ هـش وعودته مرة أخرى إلى إيران، قال: لقد طالب أبناء الشعب بإعادة ملكهم مرة ثانية، وأظهروا عاطفتهم وتضامنهم معه بطريقة أشعرتني بمسؤولية إضافية، فعلاوة على ما تقتضيه مواد الدستور والحركة الدستورية، فإنني ملك طلبة الشعب مرتين للإمساك بزمام الأمور وحفظ مصالح البلد. وقال حول "الثورة البيضاء": "يجب البحث عن رمز الثورة وانسجام الملك والشعب في التاريخ الملكي الإيراني من حب لمليكتهم". وقال في كلمة أخرى: "إلى أي مكان اذهب في البلد أواجه استقبلاً حماسياً ومشاعر لا توصف من قبل أبناء الشعب، إن الشعب يحبني وأنا أشعر بالغرور من هذا الناحية". كان هذا في الوقت الذي لم تكن لديه جرأة المجيء بين الناس بدون حراسة أمهر قوات الأمن! وفي آخر أيام حكمه، عندما كان شعار "الموت للملك" قد ملأ أجواء البلد، سأل صحفي في مجلة "شبيغل" الألمانية فرح: هل كنتم تتوقعون من الشعب كل هذا الرفض؟ فأجابت أصلاً وأبدأً، وتحيرت جداً. سأل الصحفي الملك عن مشاعره؟ فقال الملك: إنه حزين جداً (أنظر: "٢٥ عاماً من سيادة أمريكا في إيران"، ص ١٠٣-١٠٦. "كلمات وبيانات الملك"، ص ٣٢٣٣، العامان الأخيران).



ثارت عليه. وهؤلاء الأشخاص الذين يزعم أنهم يؤيدونه جميعاً، وأنهم موجودون، وأنهم يريدونه والشعب الذي يريده، سينزعون جلده لو أنّ الحربة الأمريكية رفعت يوماً واحداً عن رأسه ولثم ذلك في نفس بلاطه، في نفس البلاط، ليجرب السيد "كارتر" مثل هذه التجربة يوماً واحداً، لترك هذا الشعب الضعيف، لترك هؤلاء الناس.

هذه المؤسسات التي نسمع بها، مؤسسة كذا ومؤسسة كذا، كلها لعب، ليس هناك أمن في هذا العالم حتى تكون منظمة الأمن هنا، أو أن يكون هناك أمن عام. إن كل ذلك وسائل للتحكم بالناس<sup>(١)</sup> إنهم يريدون التحكم بالناس كما تفعل الشيوعية.. وإلا فالشيوعية ليست سوى مخدرة للشعب فهي ليست بشيء، ليست بالنظرية التي يمكنها حل عقدة معيّنة، فهل يمكن لمن ليس بإنسان أن يعمل للناس. هل يمكن للمسلح غير الصالح أن يعمل للضعفاء. كنت شاهداً بنفسي على إحدى الوقائع، في الحرب العالمية<sup>(٢)</sup>، التي كان مقرراً أن يلتقي خلال فترة من فترات قادة الجيوش ورؤساء الدول في إيران<sup>(٣)</sup>، كان "ستالين"<sup>(٤)</sup> رئيساً للاتحاد السوفياتي آنذاك، "ستالين" هذا الذي أسقطوا صورته حالياً، وإن كان بلا اعتبار مؤخراً، لكنه كان رئيساً للاتحاد السوفياتي، والإثنان الآخران، وأحدهما كان من أمريكا والآخر من إنكلترا، جاء بأمر عادي، ذهبوا - حسب ما ذكر - ذهبوا إلى سفاراتهم، وكان مقرراً أن تكون لديهم جلسة في طهران، لكن "ستالين" الذي كان الجميع يقول له أخي والجميع كان يقول له رفيقي، ويتعامل معه ببساطة، وكان متحمساً للناس، وكانوا يقولون له "قاداش"، قيل إنه جلب معه البقرة التي يشرب منها الحليب لئلا يشرب حليباً من بقر إيران! كانت الطيارة التي تقلّه، تقلّ بقرة أيضاً! إنها المسلّحة التي لا عقل لها، وهو المسلّح الذي لا عقل له! والله يعلم أنه كان أسوأ من تلك البقرة. الله يعلم أنه كان كذلك. هذا

---

(١) في ١٩ دي ١٣٥٦، يوم الفاجعة التي وقعت في قم، وصل إلى إيران "كورت فالدهايم" (الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة في ذلك الوقت) للتحقيق بشأن وضع حقوق الإنسان. وبعد المشاركة في عدة مآدبات والتباحث مع الملك وفرح وأشرف، أنهى "تحقيقاته" وغادر إيران! (أنظر: الصحافة يوم ١٩-٣٠ دي ١٣٥٦).

(٢) الحرب العالمية الثانية. راجع الهامش ٦ من هذا الخطاب.

(٣) إجتمع "روزفلت" و"تشرشل" و"ستالين"، رؤساء ثلاث دول هي: أمريكا وإنكلترا والاتحاد السوفياتي، من الثاني إلى السابع من أيلول عام ١٩٤٣م في طهران (خلال الحرب العالمية الثانية) وبعد عقد مؤتمرهم أصدروا بيانين يفهم من البيان الأول حصول اتفاق كامل بين الدول الثلاث حول المخططات والعمليات الحربية. ويفهم من البيان الآخر إعطاء إيران وعداً بالمساعدة الاقتصادية خلال الحرب وبعدها. في ذلك الوقت كان شمال إيران تحت احتلال القوات الروسية والجنوب تحت سيطرة الإنكليز وطرق المرور تحت سيطرة القوات الأمريكية.

(٤) "جوزيف فيسارويو نوبج"، المعروف بـ "ستالين" (الرجل الحديدي) (١٨٧٩-١٩٥٣ م). أصبح قائداً للاتحاد السوفياتي بعد "لينين".

الإنسان جاء ودخل ومعه بقرة حلوب. وما رأيته بعيني أيضاً هو أنّ المنطقة التي تقع بين طريق خراسان - من شاهرود أو قبل ذلك قليلاً والتي كانت تحت الاحتلال السوفيتي - لقد قسّموا إيران إلى عدة مناطق، وكانت تلك المنطقة للإتحاد السوفيتي - وقد رأيت أنا وبينما كنا في حافلة كبيرة تقلّنا للزيارة - كان جنودهم يأتون ويستجدون من ركاب السيارات، وعندما يحصل أحدهم على سيجارة واحدة، يفرح إلى درجة أنه يضع يده خلفه ويبدأ بالصفير. الشيوعية جاءت للتحكم بالناس. وإلاّ هل يمكن أن لا يكون للإنسان اعتقاد بالمبادئ الغيبية ثم يفكر بالناس ويفكر بالإصلاحات؟ كل ذلك لعب. هؤلاء المسلحون تارة يمارسون أدوارهم عبر العنف وتارة بالإعلام المكثف المقترن بالعنف، وأنتم ترون الآن أنهم يقمعون الناس ويقتلونهم، ويرتكبون كل هذه الجرائم، ثم انظروا ماذا يوحون من خلال الإعلام الآن. الإعلام في أيديهم. انظروا ماذا يعمل الإعلام أنهم يحملون الناس مسؤولية كل ممارساتهم، فهم يقولون: إنّ القتلى كانوا ستة وقع عدد منهم تحت أقدام الناس ومات نتيجة الزحام، وأحدهم طفل عمره ثلاث عشرة سنة، وشيء من هذا القبيل! فليس هناك أية جريمة في الأمر، فالإعلام بأيديهم، هنا يقولون هكذا وهناك يقومون بكل هذه الجرائم، كل هذه المفاصد يرتكبها أولئك المسلحون غير الصالحاء. إنّ السلاح ينبغي أن يكون بيد الصالحاء.

الإسلام إلهه عادل، ونبيّه عادل ومعصوم أيضاً، إمامه عادل ومعصوم أيضاً، وقاضيه له اعتبار معيّن، فهو يجب أن يكون عادلاً، وفقهه معتبر أيضاً، وينبغي أن يكون عادلاً، حتى شاهد الطلاق معتبر أيضاً، فهو يجب أن يكون عادلاً، وإمام الجماعة له اعتبار ويجب أن يكون عادلاً، فابتداءً من الذات المقدسة حتى آخر من ذكرنا ينبغي أن يتحلّوا بالعدل. يجب أن يكون القائد عادلاً، والولاة يجب أن يكونوا عادلون<sup>(١)</sup>. الولاة الذين كانوا يرسلونهم في الإسلام إلى هذه الجهة وتلك الجهة، كانوا أئمة جماعة أيضاً. يجب أن يكون عادلاً. إذا لم يكن عادلاً، إذا لم تكن لدى الولاة عدالة، ظهرت أمثال هذه المفاصد التي ترونها حينما تكون الأسلحة في أيدي غير الصالحين، وغير المنصفين، عديمي العدالة. فإنهم سيمارسون القتل من جهة، ويرددون شعارات "العدالة الاجتماعية، العدالة الاجتماعية"<sup>(٢)</sup>، من جهة أخرى يمارسون ضغطاً على النساء لخلع الحجاب ثم يقولون:

---

(١) جمع "والي".

(٢) كان الملك يتلاعب باستمرار بالفاظ العدالة الاجتماعية، فمثلاً تسمعه تارة يقول: "رغم أهمية القضايا العسكرية وأولويتها فإنني بدأت بالبحث حول ضرورة إقامة العدالة الاجتماعية في البلد.."، أو يقول: "كيف يمكن القبول بأن البعض يمرضون من كثرة الأكل ويتعرض البعض إلى هذا الوضع من قلة الأكل.. إنني لم أتوقف حتى لحظة واحدة عن السعي في تأمين إقامة العدالة الاجتماعية في بلدي.. وجميع الأمور التي قتلها في طريق العدالة الاجتماعية تم العمل بها بحمد الله!! ولكن العدالة التي عمل بها كانت عبارة عن قيام طبقة بتشغيل أطفالها في معامل حياكة السجاد نتيجة شدة المسكنة ليتقاضوا يومياً أقل من ١٥ ريالاً، أو أن يمضي أعضاء أسرة كاملة الإقتيات من عائد شجرة جوز واحدة أو ماعز واحدة طوال العام. وقد طبّقت العدالة إلى

"حرية النساء، حرية النساء!" هذه مهزلة. إن هذه الحرية مضحكة، إنها ليست بحرية. يطرحون مشروع "الإصلاح الزراعي" من جهة، ثم يقيمون سوقاً لأمريكا من جانب آخر! إن كل ما أريد تحقيقه من خلال "إصلاحنا الزراعي" هو أن يصبح بلدنا - الذي كان جزءاً منه يكفي لإنتاج غذاء كافياً للشعب بأسره، بل إنه يفيض وينبغي أن يذهب الباقي إلى الخارج ليحقق عائداً مالياً لنا - على حالة تجعل كل ما تضع يدك عليه يقال لك إنه يجب أن يستورد من الخارج! ويفخرون بأنهم استوردوا قمحاً وشعيراً وبرتقالاً، أو بيض دجاج، إن هذا لمما يبعث على البكاء، ولكن لا حياء لدى أولئك، إصلاحاتهم هي هكذا إصلاحات كلها مفسدة.

آنذاك كانوا يقولون بأن كافة العلماء يؤيدون الإصلاحات التي قاموا بها، وإنهم مع "الثورة البيضاء". وإني أقول: بأنه يحق له (الملك) أن يقول ذلك إذا وجد في جميع إيران عالماً واحداً يؤيد ثورته الدموية، وليضع جانباً صنائعه من المعممين، فهؤلاء ليسوا علماء، إن كل واحد منهم هو مجرد معمم وضع عمامة على رأسه وراح ينشر الضجيج كيفما شاء، ولا شك أن هناك واحداً أو اثنين من هؤلاء في كل مكان. ولكن أطالبك بأن تعثر على واحد من أئمة الجماعة في طهران يكون مؤيداً لك، يقول إنني أؤيد مشروع الملك، إعثر على ملاً واحد في قم يقول إنه يؤيدك. ولكن هؤلاء لا حياء لهم. يقومون بكل أنواع المفساد، وبكل الممارسات الخاطئة، ثم يقولون - ومن أجل التلاعب بمشاعر الناس - بأن العلماء يؤيدونهم، وإن ليس هناك معارض واحد، سوى اثنين ممن هم ليسوا من أهل هذا البلد.<sup>(١)</sup>

إن الأسلحة بيد من لا أصل لهم وبيد غير الصلحاء، ولتأملوا في ذلك، جميع الأسلحة بيد غير الصلحاء، فالقلم مثلاً - وهو أحد الأسلحة التي ينبغي أن تكون في أيدي الصالحين والأفاضل فهو إن وقع في أيدي

---

درجة أن الفقر والألم والمرض يصرخ في شمال وجنوب وشرق وغرب إيران. لم يكن هناك ماء ولا عمران ولا كهرباء ولا صحة. بينما كان الملك وحاشيته يملكون ٥٠ بالمئة من أسهم البنوك الخاصة في مادة واحدة! (بناءً على عريضة قدمتها حكومة الجمهورية الإسلامية) سرق محمد رضا وزوجته ٣٥ مليار دولار من أموال الشعب. وكانت التجارة الخارجية الإيرانية (بناءً على تصريح وزير التجارة في الحكومة المؤقتة) تحت تصرف ٦٠ شخصاً بشكل رئيس! وكان الجزء الرئيس لأسهم الشركات تحت تصرف ٥٠ عائلة! وكانت عشرات بل مئات الصكوك المسحوبة، والتي تبلغ أقيامها عدة ملايين من الدولارات، تُصرف يومياً على أعضاء العائلة المالكة ومأموري قصر الملك والحاشية، من حساب رقم: ٢٠-٢١٤٨٩٥، اتحاد البنك السويسري في جنيف (رقم حساب مؤسسة البهلوي). (أنظر: "كلمات وبيانات الملك"، ص ٣٧٩٣-٢٩٦٦، "سربليون دولار" ص ٧، "الحكومة في إيران" ص ٢٥١-٢٦٦-٢٨١).

(١) جاء في صحيفة "كيهان" (١٣٤٢/٣/٥ هـ ش) لم يعارض المشروع الملكي سوى اثنين من علماء مدينتي قم ومشهد، مخالفين بذلك سائر العلماء الذين أيدوا الحكومة تماماً! والإثنان المقصودان هما: الإمام قدس سره وآية الله حسن القمي.

الأراذل، فإنّ المفساد ستزداد - هو في أيدي الأراذل في بعض الظروف ومن زاوية نظر معيّنة. وهؤلاء الأراذل يظهرون كل ما يقوم به ذلك الرذيل الذي يقودهم بشكل جميل، ويستعرضونه ببديع البيان. وهذه الجريمة يتعرض لها الشعب من القلم. المفساد التي يقوم بها هؤلاء، الجرائم التي يقوم بها هؤلاء، ما يسفكونه من دماء يصورها صاحب القلم غير الصالح هذا يصورها ذلك الممسك - ومن خلال ما يكتبه، وما يمارسه من الكتابة - بشكل معكوس، يقوم بعكس كل الوقائع. وهذا من المأساة، فالقلم يجب أن يكون في يد أشخاص صالحين.

الثقافة هي مبدأ جميع أنواع السعادة والبؤس بالنسبة للشعب. إذا أصبحت الثقافة غير صالحة فإنّ هؤلاء الشبان الذين ينتهلون من هذه الثقافة غير الصالحة سيمارسون الفساد في المستقبل. الثقافة الاستعمارية تقيّض للبلد شباناً استعماريين. الثقافة التي يقوم الآخرون من الأجانب بإعدادها لنا، وما يسعون لترويجها في مجتمعنا على شكل ثقافة إنما هي ثقافة استعمارية وطفيلية. وهي أسوأ من كل الأشياء، حتى من أسلحة هؤلاء المتجبرين. فأسلحة هؤلاء المتجبرين ستنكسر بعد فترة - وهي مكسورة حالياً - لكن حينما تصبح الثقافة فاسدة، فإننا نفقد شباننا الذين هم الأساس لكل شيء منهم سيصبحون طفيليين، ومتأثرين بالمغرب.

إنّ هؤلاء يطرحون منذ البداية أموراً ويضعون في أذهانهم أموراً معيّنة ليصلوا إلى أهدافهم العليا: فإذا كانت الثقافة ثقافة صحيحة فإن شباننا ينضجون بشكل صحيح. إذا كانت الثقافة ثقافة حق ثقافة إلهية، ثقافة لمصلحة أهل الشعب، لمصلحة المسلمين فإنّ في ذلك خطر عليهم، المتصدون لأمرنا الآن لم يتخرجوا من المدارس التي تبتني ثقافتها الأصلية، فالثقافة الشائعة اليوم ثقافة استعمارية وليست في أيدي الصلحاء. لا يديرها صالح.

لو كانت جامعتنا جامعة سليمة ومستقلة، ولو كان هناك من الصالحين - لو كان هناك شخص واحد صالح أيضاً - لتمكنوا من القيام بالعمل الذي يريدونه وهو الإصلاح. لما وصل وضع بلدنا إلى هنا. ولعل الجيل القادم يصبح أسوة - لا سمح الله - جامعتنا سيطر عليها الطفيليون الاستعماريون العملاء. وكل هذا مصدره إنسان واحد. هل يتمكن معلم أو أستاذ في الجامعة إذا أراد أن يقول شيئاً من قوله؟ وهل تسمح منظمة الأمن المسيّرة من قبل الملك أن يقال مثل هذا الكلام. لو كانت جامعتنا جامعة سليمة، لما تعرض شباننا هؤلاء لهجوم الشرطة، إذا ما أرادوا أن يقولوا كلاماً حقاً في الجامعة. إنّ هؤلاء يضربون الفتيات، يضربون الشبان، يسجنون ويفعلون ما يشاؤون، لأنّ جامعتنا ليست مستقلة، في الأساس نحن لا نمتلك جامعة. الجامعة التي يحكم فيها شخص واحد ليست بجامعة. فالمحيط العلمي يجب أن يكون محيطاً حراً.

لو كان مجلسنا الوطني مجلساً صالحاً، ولو كانت هذه الأداة في أيدي الصلحاء، فهل سيسمح بتقنين هذه القوانين؟ هل سيسمح بالمصادقة على حصانة المستشارين الأمريكيين التي كانت ذلة لإيران وعاراً لها؟<sup>(١)</sup> نحن ليس لدينا مجلس. جمعوا عدة مأمورين من منظمة الأمن، وأطلقوا على تجمعهم اسم "مجلس" هؤلاء كلهم

(١) لائحة الحصانة القضائية (راجع هوية الخطاب ١٦، والهامش ١).

مأمورون. لو كان هؤلاء أحراراً، ولو كان المجلس مجلساً وطنياً للناس لما سمح لهم بشراء كل هذا الأسلحة<sup>(١)</sup> يعطون نفطنا ويشترون حديداً - حديد لا يتمكنون من استعماله، أنفسهم متحIRON باستعماله. يجب أن يأتي مستشار أمريكي وأخصائي أمريكي ويوضح لهم طريقة استعماله، وهو في الغالب لا يوضح لهم شيئاً. فأولئك حيوانات لا تقبل بهذا الكلام. أولئك جاؤوا إلى هنا لتقاضي رواتب شهرية باهظة ليس لدينا إطلاع عنها ولا نتصورها أيضاً، كل واحد منهم يأخذ شهرياً مبلغاً باهظاً، يقال إن أرقامها عالية جداً. المستشارون ومرافقيهم الذين يبلغون عدة مئات من الأشخاص، أو عدة آلاف من الأشخاص، لا أعلم الآن. وفي ذلك الوقت كانوا ستين شخص - ظاهراً - كانوا يتقاضون من الرواتب المبالغ الباهظة. كل واحد كم يأخذ رواتب من هذا الشعب. يخرجون هذه الأموال من جيب هؤلاء الفقراء والمساكين ويضعونه في جيب هؤلاء الأثرياء. بعد كل هذا هل تتصورون أنهم يعطون لعسكريينا تعليماً عسكرياً؟ إن أولئك يريدون إبقاء عسكريينا هكذا ليعملوا هم ما شاؤوا.<sup>(٢)</sup>

لو لم يكن لدينا جيش طفيلي وكان جيشاً مستقلاً، لما سمح أن يأتي المستشارون وتكون جميع الأمور تحت أمر أولئك. ولا يكون عسكريونا من ذوي الرتب العالية سوى أدوات بأيديهم، فلان جيشنا، ليس بجيش

(١) تم الإتفاق بين إيران والولايات المتحدة في عام ١٩٥٩م - وبحجة خطر الشيوعية - على اتفاقية أصبحت إيران بموجبها في قبضة أمريكا بشكل كامل. وبعد هذه الإتفاقية أطلقت يد أمريكا للتدخل في جميع شؤون إيران. وبدأت موجات المحققين الأجانب تتوالى على إيران. وأصبح النظام الدفاعي للبلد وتنظيم القوات المسلحة باختصار جميع الأمور الإدارية والتنفيذية للجيش تحت تصرف المستشارين العسكريين الأمريكيين. وأصبح قادة الجيش الكبار تحت إمرة المستشارين الأمريكيين وفتحت الساحة لأمريكا إلى درجة جعلت مشتريات إيران من الأسلحة الأمريكية تصل إلى اثني عشر مليار دولار في عام ١٣٥٦ هـ قياساً إلى أربعة مليارات في عام ١٣٥٥ هـ ش (أنظر: "٢٥ عاماً من السيادة الأمريكية في إيران"، ص ٦٣).

(٢) إلى ما قبل الثورة الإسلامية كان حوالى ثلاثين ألف مستشار عسكري أمريكي يعملون في إيران! وقد ذكر تقرير للكونغرس الأمريكي أنه حتى عام ١٩٨٠ سيصل عدد المستشارين الأمريكيين في إيران إلى خمسين أو ستين ألف مستشار. وكان الأمريكيون يسكنون في شقق فخمة وقصور واسعة في شمال مدينة طهران. وكانت رواتبهم ومزاياهم تعادل عشرات أضعاف ما يتقاضاه الموظفون الإيرانيين الذين يضاھونهم في الرتبة، فقد كانت رواتبهم تتجاوز مليون ريال في الشهر! وكانت المواد الإستهلاكية للأمريكان المقيمين في إيران تقدم لهم في متاجر خاصة بهم. وفي طهران كانت هناك مدرسة كبيرة أمريكية ومستشفى ومستوصف نفسي ومركز للخدمات، وكذلك أندية خاصة بهم. كما أن إحدى محطات البث الإذاعية في إيران كانت مخصصة لهم، إضافة إلى بعض الساعات من محطة البث التلفزيوني، التي كانت تخصص ببث برامج خاصة باللغة الإنكليزية للأجانب وخاصة الأمريكيين. كان سبب هذا التواجد الكبير للأمريكان في إيران إيجاد تعاون بين منظمة C.I.A و"السافاك"، وإقامة أنظمة الإنذار المبكر على حدود الاتحاد السوفياتي في مناطق مختلفة من إيران، والقيام بنشاطات صناعية وتجارية لشركات وأشخاص أمريكيين في إيران، بالإضافة إلى المسائل العسكرية وإدارة الوسائل والتجهيزات الأمريكية في الجيش الإيراني. (أنظر: "الدولة والحكومة في إيران" ص ٢٣١، "مهمة في إيران" ص ١٥-٤٢، "اعترافات الملك" ص ٧٨، "سبعة وثلاثون يوماً بعد سبعة وثلاثين عاماً" ص ١١٠).

أصبح كله تحت إمرة شخص واحد. ولمّا كان ذلك الإنسان إنساناً فاسداً فقد أفسد كل شيء. كما يقول المثل إنّ ماعزاً أصلح يؤدي إلى صلح حظيرة. إنّ هذا الفساد، وكل أنواع الفساد هي بسبب ذلك الشخص.. ولكن إيران لا يمكنها تشخيص أنّ هذا الشخص هو سبب جميع المفاسد، وذلك لما تتعرض له من رعب واختناق. البعض يقول إنّ المأمورين هم السبب! أخي من أين يأخذ المأمورون أوامرهم بقتل الناس؟ من أين يأخذون الأوامر بمداهمة مدرسة "الحجّية" وقتل الطلبة؟ من أين يأخذون الأوامر بقتل الناس في الشوارع؟<sup>(١)</sup> وهل يتمكن أحد من إعطاء الأوامر سوى ذلك التافه؟ كل هذه المفاسد منه. هل يحق للمجلس أن يقول كلمة بدون إذن هذا التافه؟ هل يحق للجيش أن يقول كلمة بدون إذن؟ هل أنّ قضاتنا أحرار؟ هل لدينا استقلال قضائي؟ قضاتنا أيضاً يسكنون بحرية القضاء دون أن تكون لديهم اللياقة لذلك. والمشكلة تكمن في سبب ذهاب هذا الشخص ليكون قاضياً. فلتترك ذلك إذا كنت لا تتمكن من الحكم بالحق، إنك ترتكب حماقة حينما تصبح قاضياً إذا كنت غير مؤهلاً. إنك الآن إذا وضعت يدك على أي قسم من جهاز الإدارة في بلدنا، ستجد أنّ الأسلحة في يد غير الصالحين وجميع المفاسد تعود بالنتيجة إلى البلاط، إلى هذا الشخص، الذي يجب القضاء عليه. أنا لا أعلم لماذا ينام هذا الجيش؟ لماذا يتحمل هذا القدر من الذلة؟ لم يمض أكثر من عدة أيام على ذهاب "كارتز" حتى حصل كل هذا، وهذا أول الغيث، ولو أنهم سمحوا بالبقاء أكثر لساءت الأمور. إنهم إذا لم يخرجوا من غفلتهم.. فإنّ الأمر لن يتوقف عند مقتل عدة أشخاص، الأمر الذي بلغ صداه جميع أنحاء العالم وبثت الإذاعة أخباره إلى الخارج وكل مكان، والإذاعة بأيديهم أيضاً، يقولون كل ما يريدون. ولكن هل سيُخدع الناس مرة أخرى؟ الشعب أصبح واعياً. أخي إنّ الشعب أصبح واعياً. ولو لم يكن الناس واعين لما عطلوا الأسواق بهذا الشكل. فقد عطل السوق في طهران يوم الجمعة ويوم الخميس اعتراضاً على ما حصل كما يقال، وقد ذكر مسؤولو الأمن ذلك أيضاً. ومسألة تعطيل السوق في طهران أعماله ليس أمراً عادياً إنه أمر خارج عن المألوف<sup>(٢)</sup>. لا يمكن لأحد أن يقوم بهذا العمل وحيداً، إنها مشاعر الجماهير وإحساساتها هي التي أدت إلى وقوع هذا الأمر. فلينظر ذلك المحترم الذي كان يقول: إنّ الجميع يؤيدونني، فهذا سوق طهران، وذلك سوق الأهواز، وتلك أصفهان وتلك شیراز أيضاً. وهذه هي كيفية حياتنا.

---

(١) إشارة إلى واقعة قم في ١٩ دي ١٣٥٧. في ذلك اليوم هاجم مأموروا النظام الطلاب والناس وقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً.

(٢) أصدرت جمعية التجار وحرفيو سوق طهران بياناً في تاريخ ٢٧ دي ١٣٥٦، أعلنوا فيه عن إضراب عام في يوم الخميس ٢٩ دي ١٣٥٦، وهو آخر يوم من أسبوع العزاء الذي عبّر فيه جماعة العلماء عن اعتراضهم، ويوم إقامة مجالس الفاتحة على أرواح الشهداء، اعتراضاً واستنكاراً لممارسات النظام الذي قام بقتل الناس العزل، وكذلك دعماً لثورة العلماء وأهالي قم، إذ وجهت دعوة إلى كل الكسبة للإمتناع عن فتح أبواب محلاتهم التجارية في هذا اليوم. وبالفعل فقد شمل الإضراب هذا اليوم سوق طهران وأكثر المدن، وأعلن الحداد العام. ("نهضة علماء إيران"، ج ٢٧، ص ٣٨)

إننا نأمل أن يشمل الغضب كافة الطبقات، سواء العلماء والمجتهدين، أو طلبة العلوم الدينية أو الكسبة والتجار أو العسكريين ومسؤولي البلد، من هذا الخبيث. نأمل أن يمدّ كل هؤلاء أيدي الإتحاد لبعضهم، وأرجو أن تمارس أحزابنا السياسية فعاليات مستقلة، لتكن هناك علاقات بين الجميع، كما أبدى الجميع حالياً استياءهم في هذه القضية، فمؤخراً أبدت بعض الأحزاب السياسية استياءها أيضاً<sup>(١)</sup>. والعلماء وأهل السوق والجامعيون والكل، والأجانب أيضاً أرسلوا إلينا برقيات وأبدوا استياءهم من النظام، من أمريكا، من أوروبا. وكتب بعضهم أن ثلاثمئة شخص قُتلوا في الأحداث الأخيرة.

إنني آمل أن تتحد جميع الجبهات، جميع الجبهات معاً، وإذا اتحد الشعب بكل طبقاته، فإنّ هذه الأسلحة ستُنزع من أيدي هؤلاء الطالحين وستنكسر قرون هذا الثور. لا تتشتتوا، لا تهثثوا أسباب التشتت. لا تتحاربوا فيما بينكم بذرائع واهية وتافهة. لا تتنازعوا معاً. إنّ هذه الأمور هي مما يثيره أولئك لإشغال الناس، حتى يستفيدوا هم. ليعي الناس كل ذلك، وقد أصبحوا كذلك - إن شاء الله - وليصبحوا معاً. ليجتمعوا كلهم وليمدوا أيديهم لبعضهم بعضاً، وستقتلع جذور الفساد قريباً إن شاء الله بحول الله وقوته، باتحادكم وتفاهم جميع الجهات معاً، تقطع جذور الفساد قريباً إن شاء الله، إن شاء الله.

أسأل الله تعالى السلامة للجميع. وأشكر جميع الطبقات. أشكر الجميع لأنهم لم يتركوا علماء الإسلام لوحدهم. أشكر جميع الجهات، خاصة العلماء الأعلام، خاصة أصحاب المتاجر الكرام. أشكرهم جميعاً، وأطلب منهم جميعاً أن يدعوا للإسلام. يقووا جبهاتهم ويكونوا متحدين ويوحدوا كلمتهم، فإنّ كلمتهم الواحدة ستقطع أيادي الظلمة وأيادي الأجانب عن هذا البلد، عسى أن يعود النظام لبلدنا، ويباعد الأجانب عنه تعود المنافع للضعفاء وتصرف لمصالح نفس أهل البلد وتصحح كل أموره. وهذا لن يحصل ما لم يبادر الشعب إلى انتزاع السلاح من أيدي أولئك. ونأمل أن يتم ذلك قريباً إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(١) كان بيان حزب "كادحي الشعب الإيراني" مثلاً للتعبير عن استياء بعض الأحزاب، فقد قدّم هذا الحزب شكوى إلى الإدعاء العام على السلطة التنفيذية في تاريخ ٢٨ دي ١٣٥٦، وأكد على التضامن مع الشعب والإعتقاد بمرجعية الشيعة والعلماء في إيران. وكان المثال الآخر هو بيان "اتحاد قوى الجبهة الوطنية الإيرانية" الذي صدر في تاريخ ١٣٥٦/١١/١٠. وقد أكد البيان على تضامن القوى الوطنية تأييد إضراب الكسبة. وجاء في هذا البيان أنّ التجار والحرفيين في سوق طهران سيعطلون أعمالهم يوم الخميس ٢٩ دي ١٣٥٦ للإعراب عن استنكارهم للمجزرة التي تعرّض لها أهالي قم العزل ودعماً للعلماء التقدميين. وبالإضافة إلى الأحزاب المذكورة، أصدر علماء ووعاظ طهران وضواحيها، والشيرازيون في سوق طهران، والتجار والحرفيون الأصفهانيون المقيمون في العاصمة، والأذربيجانيون في سوق طهران، وأساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، وحركة المسلمين في داخل وخارج البلد. بيانات بهذه المناسبة أعلنوا فيها عن تضامنهم مع الشعب. (أنظر: "نهضة علماء إيران"، ج ٧، ص ٥٥ وما بعدها، و"الستان الأخيرتان دي وبهمن ١٣٥٦".

## هوية الخطاب رقم (٢٧)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ١٠/٣/١٣٩٨ هـ الموافق ١٨/٢/١٩٧٨م.

- الموضوع: جرائم الملك، ومدعو الدفاع عن حقوق الإنسان.

- المناسبة: أربعينية شهداء فاجعة التاسع من كانون الثاني في قم.

- الحاضرون: الطلاب والعلماء وجمع الناس.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

في ١٨/٢/١٩٧٨م حصلت في تبريز ثاني أكبر حركة إسلامية وشعبية بعد انتفاضة ٩ كانون الثاني الدامية، وذلك بمناسبة تكريم أربعينية شهداء قم، وأدت إلى شروق شمس الثورة الإسلامية في فترات لاحقة. كان لانتفاضة العلماء، ومبادرة النظام لقمعها في ٩/١/١٩٧٨م انعكاس واسع في مختلف المدن الإيرانية. فقد عبّر مراجع التقليد والأحزاب والاتحادات والحرفيون عن دعمهم للثورة، وقد عطل سوق طهران في يوم ١٩ كانون الثاني اعتراضاً على ذلك القمع. كما أضرب العاملون في دائرة بريد طهران وعمال معمل التبغ في العاصمة عن العمل، وخرج طلاب المدارس الإعدادية في "آمل" في مظاهرات واسعة، كما وقعت حوادث شبيهة في مناطق أخرى. وفي رسالته التي بعث بها في ٢٢/١/١٩٧٨م أكد الإمام الخميني على أنه: "يجب أن يعلم "كارتر" وبقية ناهبي ثروات الشعوب المظلومة أن محمد رضا خائن ومرتد، ولا بد أن يُخلع من السلطة.. إنني أبشّر الشعب الإيراني بالنصر بهذا الوعي واليقظة وهذه الروحانية القوية والشجاعة المنقطعة النظير.. نصر مقرون بالقضاء على الظالمين، وانقراض السلسلة البهلوية الظالمة"، كما أصدر سماحة الآيات: الكلبايكاني والمرعشي النجفي والشريعتمداري و"جماعة علماء إيران"، بيانات في يوم ١٨/٢/١٩٧٨م بمناسبة مرور أربعين يوماً على واقعة ٩ كانون الثاني أعلنوا فيها الحداد العام، وطالبوا بإضراب عام في هذا اليوم وقد استجاب الشعب الإيراني لطلبهم، وعطلت في هذا اليوم الحوزات العلمية والمراكز التجارية والثقافية. وفي مدينة قم وطهران وبعض المدن الإيرانية الأخرى إنتهت التظاهرات إلى مواجهة واسعة مع رجال الأمن المسلحين. وخلال ذلك كانت انتفاضة مدينة تبريز تعبر عن حالة أهالي هذه المنطقة المتكررة من النضج في الدفاع عن الإسلام وسيادة البلد، وذلك في ١٨ شباط.

كانت شمس يوم ١٨ شباط الحمراء في بداية طلوعها حيث تحرك أهالي تبريز مجموعة مجموعة إلى المساجد، وكانت جامعة تبريز، وكذلك سوق المدينة المركزي معطلين بشكل تام. إزدحم الناس في سوق تبريز، بينما كان مدخل السوق قد أغلق بأمر من الفريق "آزمودة" (محافظ أذربيجان الشرقية) بواسطة المأمورين الذين قادهم رئيس مركز الشرطة رقم ٦ في تبريز لمنع دخول الناس إلى المسجد. وكانت أعداد الحاضرين تزداد كل لحظة، وقبل الساعة العاشرة صباحاً بعدة دقائق قام رئيس مركز الشرطة رقم ٦ بإهانة مقدسات المسلمين، وهاجمهم، وفتح النار على الأهالي، وجرح عدة أشخاص.



وعلى الأثر هجمت الجماهير الغاضبة نحو الشوارع، وأحرقت - ومنذ الساعة العاشرة صباحاً وحتى الثالثة بعد الظهر - ٧٣ فرعاً مصرفياً، و٩ بنايات سينما، و٦ سيارات حكومية، و٢٢ مركز فساد، وعدداً كبيراً من محلات بيع المشروبات. وكذلك بناية حزب "رستاخيز". وأشار تقرير مركز إطفاء الحريق في تبريز إلى أن ١٣٤ حريقاً قد اندلع في المدينة، وجرح ضابطان و٩ من المأمورين. وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر، دخلت الساحة قوات جديدة للنظام، وبعد استقرارها وهبوط الظلام عاد الناس إلى بيوتهم.

وقد جرح في هذه الإنتفاضة عدد كبير نتيجة هجوم المأمورين على التظاهرات، وأدى كثرة عدد الجرحى إلى عجز المستشفيات في تبريز عن استيعابهم، وكانت ممرات وسلالم المستشفيات مملوءة بالمجروحين الذين كانوا تحت رقابة مأموري "السفاك". وقد ذكر النظام الملكي فيما بعد أن عدد القتلى هو ستة أشخاص، إلا أن شهود عيان ذكروا أن عدد الشهداء بلغ حوالى ٦٠٠ شخص.

بعد انقضاء يوم ١٨ شباط سجن خلال ٤٨ ساعة فقط ٦٢١ طالباً جامعياً، وفي ٢٨ شباط ١٩٧٨م إستدعي الفريق إسكندر آزمودة إلى طهران، وعين مكانه المشير جعفر شفتت، وأقيل رئيس شرطة المحافظة، واثان آخران من مسؤولي الشرطة.

بعد تسلم رئيس الشرطة الجديد منصبه أرسل أربعئة مأمور شرطة من طهران إلى تبريز لتعزيز قوات الشرطة، وأقيل مسؤولو "السفاك" أيضاً بسبب عدم تمكنهم من جمع المعلومات اللازمة، وتوقع حدوث التظاهرات، والمبادرة إلى منعها.

وبعد اطلاع الإمام عليه السلام على الفاجعة الدامية في ١٩ شباط في تبريز أرسل رسالة مهمة بهذه المناسبة في ١٩٧٨/٢/٢٧م خاطب فيها أهالي آذربيجان - بالإضافة إلى الخطاب القوي الذي ألقاه - وقد أشار سماحته في تلك الرسالة إلى إقامة تظاهرات مفتعلة من قبل نظام الملك، وحذر قائلاً: "يجب أن يعلم الملك أن الوقت مضى، وأن الشعب الإيراني وجد طريقه، وأنه لن يقر للشعب قرار حتى القضاء على المجرمين، والانتقام لنفسه ولآبائه من هذه العائلة السفاكة".

بعد واقعة ١٨ شباط قامت ما سُميت بهيئة رفيعة المستوى من النظام - بزيارة تبريز لتبرير إجراءات النظام الملكي والحكومة. وفي رسالته هاجم الإمام هذه الأساليب وقال: "من العجيب على ما سمعنا - أن هيئة من النظام جاءت إلى آذربيجان لتعلن عدم اطلاع الملك على هذه الجرائم! من هو المسؤول عن ذلك سوى أزام "السفاك"، وأعضاء المجلسين الذين لا يحتملون أيضاً أن يكون الملك هو المسؤول، ويتظاهرون بخلاف ذلك".

في هذا الخطاب أشاد الإمام عليه السلام بانتفاضة ٩ كانون الثاني في قم، وهاجم بشدة الحكومات الأمريكية والإنكليزية وسائر الحكومات الموقّعة على إعلان حقوق الإنسان، بينما تؤيد الآن جرائم الملك، واعتبر أن السبب في تدهور أوضاع الشعب الإيراني إنما هو تدخل الحكومة الأمريكية في الشؤون الداخلية لإيران، وقد حمل سماحته الملك المسؤولية عن مجزرة ٩ كانون الثاني وتبّه إلى خطر فكرة فصل الدين عن السياسة، وإلى جسامة مسؤولية العلماء، وضرورة تعرّضهم للمسائل السياسية في المجتمع. وشرح كيف كان الأئمة عليهم السلام

والزعماء الدينيون يتدخلون في الأمور السياسية، وهاجم بشدة المتمسكين بالانتظار السلبي، والسكوت أمام الجبارين.

وفي جزء آخر من كلامه أشار الإمام إلى الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في إيران، وشجب نهب المصادر الوطنية على يد الملك لصالح أمريكا و"إسرائيل"، واعتبر أن التعاضد مع الشعب الثائر وظيفة جميع الأحرار. وكان لحادثة ١٨/٢/١٩٧٨م في تبريز - التي أدت إلى استشهاد العديد من أهالي هذه المدينة - انعكاس واسع في أنحاء البلد، وقد التفت النظام أيضاً إلى أن انتفاضة الشعب جدية، ولهذا السبب قام باتخاذ إجراءات مختلفة. وأراد جمشيد آموزكار (رئيس الوزراء) من سفره إلى آذربيجان التودد إلى أهالي تلك الديار، ولكن دور التوعية التي مارسها الإمام، ووقوف الناس مع قائدهم أدى إلى فشل هذه المناورات في تحقيق أية نتيجة. ومن خلال إقامة مراسيم تكريم شهداء تبريز، كشف أهالي المدن جرائم النظام الملكي، ووسّعوا دائرة التظاهرات والمسيرات. واستمرت هذه النهضة حتى أيام تحقيق الثورة للنصر في ١١/٢/١٩٧٩م.

### الخطاب رقم (٢٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

بينما أنتم هنا أيها السادة فإنّ إيران - وحسبما بلغنا من أخبار - تعيش حالة الإضراب الشامل، خصوصاً في المدن الهامة مثل: طهران وتبريز ومشهد وقم<sup>(١)</sup> فبعضها معطلة تماماً مثل: قم. والبعض الآخر، تعيش أقسام منها حالة التعطيل، طهران معطلة الأسواق، سوى عدد من الذين قد يكون لديهم ارتباط مع النظام، وحسبما اطلعنا عليه فإنّ هذا التعطيل هو اعتراض على الملك نفسه، الناس عرفوا المجرم. المجرم كان معروفاً منذ السابق، إلاّ أنهم لم يتجرأوا أن يذكره. والحمد لله فقد انكسر حاجز الخوف هذا، ووضع الناس أصابعهم على موضع الداء. فشخصوا المجرم، وفهموا مصدر بؤس شعبنا.

تمر اليوم أربعينية موت شباننا من طلاب العلوم الدينية والعلماء وسائر شباننا المتدينين في قم. وكم عانى الناس في هذه الأربعين يوماً من الحزن على شبانهم، وكم أقاموا من المآتم، ولكن بأية شجاعة واجه أهل قم وطلاب العلوم الدينية هذه الحكومة وعناصر النظام. إنها شجاعة منقطعة النظير في التاريخ، لقد قدّموا الشهداء، وقاوموا إلى درجة جعلت النظام يبث مأموريه في الشوارع، بل في الأزقة وعلى مداخل الأزقة، حسبما ذكر. لقد قاوم الناس - قبل المجزرة وبعدها، وبالقدر الذي كان ممكناً - وأثبتوا أنهم أحياء، إننا أحياء لا موتى<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع هوية هذا الخطاب.

(٢) إشارة إلى فاجعة ٨/٢/١٩٧٨م.

لقد تعرض مراجع الإسلام الكبار في قم - سواء في خطاباتهم أو في بياناتهم، خصوصاً البيان الأخير الذي أصدره قبل عدة أيام - يومين أو ثلاثة أيام، داعين فيه لإقامة العزاء ولتجليل أربعين الشهداء، وداعين إلى الإضراب العام في أربعينهم، إنها مسائل تعبّر عن شجاعتهم.<sup>(١)</sup>

لقد أشاروا إلى العلة الأساسية، وإن لم يقولوها بصراحة، لكنهم أشاروا إليها بكناية أبلغ من التصريح. الله يثبتهم إن شاء الله. وعصر أمس أقام طلاب العلوم الدينية - ورغم تواجدهم في مدينة مستهدفة من قبل الأشرار - مجلس عزاء كبير جداً، وقد صرّح بعض الشبان بالكثير من الأمور من على المنبر ودون خوف. والآن، وبينما نجتمع نحن هنا، فإنّ اجتماعاً كبيراً يقام في المسجد الأعظم، حسبما وصلنا من أخبار متواترة، ولا ندري ماذا ستعمل الحكومة مع هذا الاجتماع. ولا أعلم الآن هل هاجم المأمورون الاجتماع، ومارسوا القتل والتخريب مرة أخرى أم لا؟ نحن الآن قلقون من وقوع ذلك. قلقون من ذلك، قلقون من احتمال تعرض المدن الكبيرة لما نخشاه، وأذكر من هذه المدن مشهد التي تتحسس منها الحكومة بشدة، وأذربيجان وتبريز التي تبدي الحكومة اهتماماً كبيراً بها، وقم التي تمثل مركزاً لجميع هذه الأحداث، فمن قم - وكما ذكر أهل البيت عليه السلام - ينتشر العلم إلى جميع البلاد. والأمر كذلك الآن، فهي مركز النشاط الإسلامي<sup>(٢)</sup> فالتحرك إبتدأ من قم، من نفس قم، ومن طلاب قم، ومن مدرّسي قم (حفظهم الله)، ومن جماهير قم أولئك الجنود الأوفياء للإسلام. إنّ التحرك بدأ يسري من هناك إلى كل مكان، لنرى هل يسري إلينا؟ الله العالم.

(١) طالبت "جماعة العلماء في إيران" - عبر الإعلان الذي كتب في بدايته الآية الشريفة ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله..﴾ - الشعب بالنهوض مرة أخرى ضد الممارسات المعادية للإسلام وغير القانونية التي تمارسها الحكومة الإيرانية، والمبادرة بالرد بقوة على النظام الحاكم في إيران بتعطيل الحوزات والجامعات والمحلات التجارية يوم ١٨/٢/١٩٧٨م وإعلان الحداد العام.

كما أصدر آية الله العظمى الكلبايكاني بياناً في ذلك اليوم جاء في جانب منه ما يلي: "قامت الجهات المسؤولة - وبدلاً من التنبّه وجبر الأخطاء السابقة - بنفي جمع من الفضلاء والمؤمنين بدون سبب".

كما طالب آية الله العظمى النجفي المرعشي في بيانات له المسؤولين بالتخلي عن الظلم والتعدي على الناس. وفي بيانات المراجع أعلن يوم ١٨ شباط حداداً عاماً. وكان السيد الشريعتمداري قد أعلن في بيان له: "أنّ السبت، العاشر من ربيع الأول ١٣٩٨ هـ، بوصفه أربعين هذه المصيبة الكبيرة، هو يوم حداد عام. ونأمل أن يراعي عامة المسلمين الهدوء التام في إقامة هذه المراسيم".

(٢) كتب العلامة المجلسي يقول: "قال الإمام الصادق: ستخلو الكوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحية عن جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها: قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين، حتى المخدّرات في الحجال. وذلك قرب ظهور قائمنا" ("بحار الأنوار"، ج ٥٧، ص ٢١٣).

إنّ جميع أنواع البؤس، الذي عانينا ونعاني وما سنعاني منه، هو بسبب زعماء هذه الدول الذين وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان. إنّ الموقعين على إعلان حقوق الإنسان هم أولئك الذين سلبوا حرية الإنسان في جميع الفترات التي أمكتهم فيها الفرص. إنّ أهم ما في إعلان حقوق الإنسان هو حرية الأفراد. فكل فرد من أفراد البشر حر، ويجب أن يكون حراً، ويجب أن يكون الجميع متساوين أمام القانون، الجميع يجب أن يكونوا أحراراً في بلدانهم، وأحراراً في عملهم، وأحراراً في مشيهم. هذا هو إعلان حقوق الإنسان المتضمن لهذه المسألة. إنّ المسلمين، بل جميع البشر، كانوا يعانون من هؤلاء الذين وقّعوا وصادقوا على إعلان حقوق الإنسان. وأمريكا هي إحدى الدول التي صادقت على هذا الإعلان الذي يضمن حفظ حقوق الإنسان، وأحد حقوق الإنسان هي الحرية. أنظروا ماذا ارتكب هؤلاء الأمريكيان الذين وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان من جرائم تجاه هذا الإنسان في السنوات الأخيرة، والتي أذكرها أكثر منكم لكبر سني، ماذا حصل للإنسان من مشكلات على يد أمريكا، وهي من الدول التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان. لقد نصّبت أمريكا في كل بلد من بلدان المسلمين مأموراً لها سلب الحرية من جميع الأشخاص الموجودين في ذلك المكان. إنّ هؤلاء ينادون بحرية الإنسان! من أجل تخدير الجماهير، غير أنّ الجماهير حالياً لا يمكن تخديرها. إنّ الأمور التي يقومون بها - بما في ذلك إعلان حقوق الإنسان - يقصد منها استغلال الجماهير، تلك الأمور ليست حقيقة. يكتبون شيئاً جميلاً مزخرفاً، يكتبون ثلاثين مادة كلها لصالح الإنسان ، ولا يعملون بواحدة منها! لا تطبق واحدة منها عملياً. هذا هو الإستغلال، وهذا هو الأفيون للجماهير وللشعب.

ونحن نرى أنّ هذا المعنى ينطبق على أمريكا التي وقّعت إعلان حقوق الإنسان، وعلى إنكلترا التي يبالغون في وصف حضارتها، ويبالغون في وصف ديمقراطيتها، وهذا إعلام كاذب، وشيطنة منهم ليس إلّا. حيث أنهم دفعوا الناس بالشيطنة والإعلام إلى التصديق بأنّ إنكلترا تقف على هرم الديمقراطية. وأنّ الملكية الدستورية مطبقة بمعناها الحقيقي في إنكلترا. إنّ هؤلاء أوهموا الناس بقبول هذا المعنى بواسطة إعلامهم. فنحن رأينا الجرائم التي ارتكبتها إنكلترا في الهند والباكستان ومستعمراتها الأخرى<sup>(١)</sup> رأينا ماذا فعلت أمريكا مع

---

(١) في عام ١٦١٥م سجل سفير بريطانيا في الهند حق التجارة لدولته، وحصلت على امتياز تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية التجارية. وهكذا بدأ نفوذ إنكلترا في شبه القارة الهندية. وقد عملت هذه الشركة الاستعمارية على تعزيز سلطة إنكلترا في الهند بتقوية نشاطها، وقد أدى التنوع العرقي والديني واللغوي، وخاصة الخلافات الشديدة بين الهندوس والمسلمين في الهند إلى تقوية الاستعمار البريطاني الجديد، وبالنتيجة أصبحت الهند في عام ١٨٣٩م تحت الوصاية الإنكليزية.

وبعد ذلك سيطرت الحكومة الإنكليزية - نتيجة لشدة نشاطها - على أوضاع الهند، ومنذ عام ١٨٥٧م أصبحت الهند تابعة لمستعمرات إنكلترا. وفي الحرب العالمية الأولى إشترك مليون جندي هندي في جبهات الحرب لصالح بريطانيا، وقتل منهم عشرات الآلاف. وقد أدى إجبار الهنود على توفير الغذاء للجيش الإنكليزي إلى قحط شديد في الهند. وأخيراً صادق مجلس العموم البريطاني في ٤ حزيران ١٩٤٧م على قانون استقلال شبه القارة الهندية، وبموجب ذلك أسست دولتا الباكستان والهند في شبه القارة الهندية في آب من نفس العام.

المسلمين، وما تقدمه من الدعم حالياً لريبيتها "إسرائيل" التي أقاموا لها كيئناً هناك<sup>(١)</sup> نرى أية جرائم قاموا بها ضد المسلمين وخاصة الشيعة. ومن ناحية أخرى وضعوا عملياً لهم في مصر إسمه السادات<sup>(٢)</sup> الحاكم الناشط في تطبيق مخططات الاستعمار، ولكننا نعلم بزيارته لإسرائيل.

ومن ناحية أخرى، ففي الخمسين سنة التي نتذكرها، في هذه الخمسين سنة التي تمثل حالة العزاء، الخمسين سنة التي تمثل المصيبة لإيران جراء ما تعرض له الشعب من هذه الأسرة الظالمة، قامت إنكلترا -

---

(١) في مؤتمر عام ١٩٠٧م أعلنت إنكلترا - وهي أقوى دولة استعمارية في ذلك الوقت - لرؤساء دول هولندا وبلجيكا والبرتغال وإسبانيا وإيطاليا أن سواحل البحر المتوسط الواقعة بين الشرق والغرب - والتي هي في أيدي المسلمين - إذا كانت فستشكل خطراً جدياً على الدول المذكورة. وقد أدت هذه المسألة إلى تفكير الدول الاستعمارية آنذاك بتشكيل وتأسيس دولة تختلف تماماً وتعارض البلدان الإسلامية لغرض إيجاد شرح في وحدة المسلمين. وتقع في مسير دائرة البحر المتوسط. ومن جهة أخرى، أقام "هرتزل" - وهو صحفي وناشر لصحيفة "دي فولت" الناطقة بلسان الصهيونية - مؤتمراً في مدينة "بال" بسويسرا في عام ١٨٩٧م للبحث في إقامة "دولة إسرائيل"، وكتب كتاباً تحت عنوان "دولة اليهود"، وطلب من قومه أن يشكلوا دولة في الأراضي الفلسطينية أو الأرجنتين. ومع بداية الحرب العالمية الأولى إشتراط الزعماء الأمريكيان الذين كانوا عملاء لليهود، أن تقوم إنكلترا بالعمل على استقرار اليهود في فلسطين، وتشكيل دولة مستقلة لهم مقابل إشتراك أمريكا في الحرب لصالح إنكلترا. من ناحية أخرى، أعطى سقوط الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى فرصة لإنكلترا لنقل عدد كبير من اليهود إلى الأراضي الفلسطينية، وفي عام ١٩٤٨م دعمت الحكومة الأمريكية علناً تأسيس دولة باسم "إسرائيل" في فلسطين، وإثر ذلك بدأت حرب دامية بين العرب واليهود الساكنين في فلسطين - وبحجة الحيلولة دون القتل وإنهاء الحرب بين العرب و"إسرائيل" - صادقت منظمة الأمم المتحدة في اجتماع مجلس الأمن على تقسيم فلسطين إلى منطقة للمسلمين ومنطقة لليهود، وتأسست رسمياً "دولة إسرائيل" بدعم من الدول الاستعمارية، وقد احتلت "دولة إسرائيل" الغاصبة مناطق واسعة من أراضي المسلمين، كما شردت مليون ومئتي ألف مسلم من أراضيهم.

(٢) ولد أنور السادات في مصر عام ١٩١٨م، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية دخل الكلية العسكرية، وانضم إلى جماعة ضباط جمال عبد الناصر (الضباط الأحرار)، وكان للضباط المذكورين نشاط سرّي، وفيما بعد اعتُقل أنور السادات، وأُخرج من الجيش وسُجن، وبعد فترة أُطلق سراحه، وأصبح عضواً في القوات الحديديّة التي كانت وظيفتها المحافظة على حياة ملك مصر، وقمع قوات المعارضة، وبعد ذلك إنضم مرة أخرى - بإصرار من عبد الناصر إلى حركة الضباط الأحرار التي كانت تقوم بنشاط سرّي ضد الحكومة آنذاك. وبعد انتصار الثورة في مصر سنة ١٩٥٢م أصبح عبد الناصر رئيساً للجمهورية، وأنور السادات رئيساً للمجلس، وبعد مرض عبد الناصر أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، وبعد وفاة عبد الناصر في سنة ١٩٧٠م تولى أنور السادات - بموجب الدستور - أمور الدولة لفترة ٦٠ يوماً، ثم انتُخب رئيساً لجمهورية مصر بشكل رسمي. قام بإلغاء المعاهدة مع الاتحاد السوفياتي. ورغم أن مصر كانت تتولى قيادة العرب في حربهم ضد "إسرائيل" فإنه عقد معاهدة شاملة مع أميركا، وأفشل أهداف مصر بعقده الصلح المنفرد مع "إسرائيل". وأخيراً اغتيل السادات على يد ضابط مسلم شاب هو خالد الإسلامبولي.

المحبة للإنسان! - إنكلترا الديمقراطية التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان بإيصال رضا خان إلى السلطة<sup>(١)</sup> وذلك بحسب إقرارها هي، وجعلتنا عرضة للعناء حوالي عشرين سنة، وجعلت الشعب المسلم في مشقة. فـ "رضا خان" كان يريد محو آثار الشريعة الإسلامية، وهو وإن لم ينجح، إلا أنّ المقرر كان هذا، لأنه كان يجمع بشدة كل ما كان يشم منه رائحة الإسلام، وكل تبليغ كانت تأتي منه رائحة الإسلام.

وأمریکا هذه التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان سلّطت علينا - على إيران - إنساناً هو الخلف الصالح لذلك الأب! إنّ مَلَكَنَا الحالي هذا الذي كان على رأس الحكومة، والذي جعل إيران مستعمرة رسمية لأمريكا، ارتكب جرائم فظيعة خلال فترة خدمته لها، لقد تم تعيين هذا الأب والابن بواسطة أولئك الذين وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان! لقد ارتكب أولئك معنا هذه الجرائم.

إنّ الموقعين على إعلان حقوق الإنسان عرضوا الإنسان لكل هذا العناء، ومارسوا كل هذا الضغط على الإنسان، وقد شاهدنا بعض ذلك أو سمعنا عن بعضه، وإن كان يصعب على الإنسان أن يفهم كل شيء بشكل صحيح من خلال السماع فقط. فأنتم الآن تسمعون سماعاً عما جرى على الشعب في زمان رضا خان، ولكن لا يمكنكم أن تدركوا قسوة ذلك بشكل صحيح كما أدركه أبناء الشعب ولمسوه آنذاك. ماذا رأى الشعب الإيراني من هؤلاء الناس؟ أنتم الآن تلمسون ليس لمساً بالمعنى الدقيق للكلمة طبعاً، فأنتم موجودون الآن هنا. لقد أصبحت الاتصالات الآن بشكل يمكنكم من فهم ما يجري بشكل صحيح. لذا يمكنكم أن تدركوا ماذا عمل هذا الإنسان خلال هذه الأيام بالشعب الإيراني. وإني لا أستبعد أن تكون هناك الآن حرب ونزاع. فليس لدينا إطلاع، نحن على اطلاع أنهم قد داهموا مدخل مسجد الملك<sup>(٢)</sup> وفتحوا عدة دكاكين بالقوة. أما السوق فلم يستسلم لهم. ومع أنّ الحكومة أصدرت بياناً وزعته على جميع المحلات في أسواق طهران يحذرهم بأنّ كل من يعطل سوف يواجه كذا وكذا، ومع ذلك فإنّ الأسواق، حتى سوق طهران القريب منهم، لم يهتم بهذا الكلام. الشعب لم يعد يهتم بهذا الكلام. لم يعد يهتم الآن بهذا الكلام. لم يعد يهتم الآن بهذا، كان الإهتمام في السابق حيث كانوا يخيفون الناس، وحيث كان الناس يتصورون صحة ذلك أيضاً. الناس يقدمون القتلى حالياً، ومع ذلك لا يهتمون بهذا الكلام.

والآن ونتيجة لهذا القتل الذي حصل في إيران، وفي قم بالتحديد، حيث قتل كثير من أهل العلم والمتدينين الشبان القمّيون، وتقام الآن أربعينهم، فالشعب الإيراني أحياء الله إن شاء الله، وهو حي، وسيسجل التاريخ حيويته هذه إلى الأبد، وأحى الله الحوزة العلمية في قم، وسوف يسجل التاريخ حياتها هذه إلى الأبد. إنّ هؤلاء في نشاط وتحرك، بينما نحن الآن جالسون هنا بهدوء، والله العالم ما هو حال مشهد الآن، ولا أعلم ما هو حالها، لكنها كانت تعيش حالة الإضراب. الله العالم ما هو حال آذربيجان، أنا لا أعلم، لكنها كانت تعيش

(١) مر ذكره سابقاً.

(٢) يقع مسجد "الملك" في طهران (مسجد الإمام الخميني رحمته الله حالياً) إلى جانب السوق الكبير في طهران.

الإضراب، كذلك فإن قم كلها - وحسبما ذكروا - تعيش حالة الإضراب، فليس هناك من محل مفتوح، ولا بقال واحد، كل قم في عطلة عامة، لقد شلّ الإضراب ٩٠ بالمئة من طهران، إنّ التعطيل في طهران ليس أمراً سهلاً كما نتوهم، إنّ التعطيل في طهران يوجه صفة إلى هؤلاء الثرثارين الذين كانوا يقولون إنّ ستة ملايين شخص يؤيدوننا، وصوّتوا للثورة البيضاء<sup>(١)</sup> قولهم هذا لم يكن سوى كذب محض. لقد أرسلت شخصاً إلى طهران، عندما كنت في إيران، لمعرفة حقيقة الوضع في ذلك اليوم الذي أجري فيه الاستفتاء، فأخبرني أنه لم يأت إلى هناك أكثر من ألفي شخص، وهؤلاء الألفان من مأموريهم أيضاً. في حين أنّ أولئك كانوا يقولون: إنّ ستة ملايين شخص في إيران معنا، والباقي ممن لم يصوّتوا هم الشيوخ والنساء والأطفال. وبالنتيجة فإنّ الاستفتاء - كما يقولون - كان بالإجماع. وبعد ذلك يقول الملك أينما ذهب أنّ الشعب معه، وأنّ هناك عدة أشخاص، وهم ماركسيون إسلاميون<sup>(٢)</sup> يقولون شيئاً آخر، وإلاّ فالشعب معي!! ولكنكم سوف ترون ماذا سيحصل لهم بعد هذا التعطيل العام. سيقومون بلعبة في قم كما قاموا بذلك سابقاً، فبعد ذلك الإضراب السابق الذي استمر أسبوعاً في قم، وأسبوعاً في أصفهان، أو ثمانية أيام - كما قيل - ويومين أو ثلاثة في طهران، وفي أحد تلك الأيام كان الجميع قد أضربوا واعترضوا، حينها قاموا بملء باصات النقل بهؤلاء المساكين الذين لا اطلاع لديهم، ترافقهم مجموعة من مأموريهم، وأصدروا كتاباً رسمياً أبلغوه إلى جميع الدوائر والمدارس طالبوهم فيه بتعطيل أعمالهم، وركوب حافلات النقل. هذه هي الحرية! يقولون لهم: يجب أن يأتي الجميع بشكل حرّ، فأنتم أحرار! ومع أنهم

(١) مر ذكره سابقاً.

(٢) "الماركسية الإسلامية" من افتعال الملك، حيث عرفت من كتابه المنسوب إليه ما يلي: "يوجد عدد من الأشخاص يقومون بالتخريب ضد وطنهم وأحياناً بقتل الناس. إنّ الديمقراطية المتقدمة والمنضبطة في إيران لا تسمح لأحد بالتخريب والخيانة، ولا تسمح بالمساعي الرجعية والقهقرائية. وغالباً كان هناك اتحاد غير مقدّس بين هذين القطبين المعارضين، حيث حصل تركيب غير متجانس ولا يصدّق وهو "الماركسية الإسلامية" بين منكري وجود الله وأنصار ادعاء الأصول الدينية. وبقدر ابتعاد التحررية الثورية للمجموعة الأولى عن الحرية الحقيقية وعن الثورة الأصلية يبتعد الإسلام الذي تدّعيه المجموعة الثانية عن روح ومعنى الإسلام". وبعد ذلك استخدم الملك هذا المصطلح مراراً. وفي إحدى الخطابات - حيث نسي أنّ هذه "الإيديولوجية" كانت من ابتكاره - سمّاها بصراحة "إيديولوجية حمقاء"! قائلاً: "هناك عدد من المخدوعين أو المغرضين أو المجانين من صنف الأشخاص الموجودين في كثير من الدول المتقدمة أيضاً ويشكلون - للأسف - نوعاً من التخريب الدولي، ليس لديهم رخصة عمل في هذا البلد، هؤلاء الأشخاص يقومون بذريعة حمقاء مثل "الماركسية الإسلامية" بالتخريب ضد وطنهم وقتل الناس!" هذا المصطلح المضحك كان حربة في يد مأموري الملك لاعتقال وتعذيب أي معارض لا توجد وثيقة ضده بجرم الإنتساب إلى مسلك وإيديولوجية "الماركسية الإسلامية" الحمقاء.

أصدروا كتاباً رسمياً إلى جميع الدوائر، إلا أنّ الدوائر لم تكثرث بهم. هؤلاء المساكين الذين أجلسوهم في باصات النقل وجأؤوا بهم وقالوا لهم - بحسب ما اطلعت عليه - بأننا نود إرسالكم لزيارة مرقد المعصومة عليها السلام في قم، وعندما أدركوا في وسط الطريق أنّ الأمر ليس كذلك، فرّ من استطاع منهم الفرار، أما البقية فكانوا وكأنهم يشيِّعون جثماناً، فكلما قالوا لهم: قولوا "يحيى الملك". لم يجيبوا، تماماً كما لو أنهم يشيِّعون جثماناً. كان الناس ساكتين إلى درجة كأنهم يشيِّعون جثماناً! إنه تشييع لجثمان الملك. (١)

إنّ هؤلاء لا يفهمون. كما أننا عاجزون عن جعلهم أناساً بحق، وإلاّ لو كانوا قد ساروا مع الشعب، ولو كانوا اهتموا بمطالب الشعب، ولو كانوا عملوا بمسؤولياتهم، ولو كانت لديهم نزعة إلى الإسلام والقواعد الإسلامية، فلماذا يعارضهم الناس؟ أينما وضع الناس أيديهم يروا أنّ الملك معارض لهم. يعارض التاريخ الإسلامي، أي أنه يعارض الإسلام. إنّ أسوأ ما حصل في عهد هذا الإنسان هو تغيير التاريخ (٢) إنه لم يوفق، لكنه أراد أن يكون. إنه أسوأ عمل قام به، أسوأ حتى من هذه المجازر، فهذا لعب بكرامة رسول الله صلى الله عليه وآله. أينما وضع الناس أيديهم، يجدوا أنّ الملك قد وضع يده عليه وعبث به. هكذا فعل لتاريخهم، وهكذا فعل لمدارسهم

---

(١) بعد عدة أيام على فاجعة ١٩٧٨/١/٩م قام "السافاك"، وبدون سابق إنذار، بنقل العاملين في التربية والتعليم، وأعضاء حزب "رستاخيز"، وعدد آخر من موظفي بعض الدوائر، في عدة باصات نقل، وقالوا لهم بأنهم ذاهبون لزيارة السيدة معصومة! ولكنهم أنزلوهم من الباصات قبل منطقة الحرم، وطلبوا منهم القيام بمسيرة نحو الحرم، وأن يبدوا خلال المسيرة مشاعرهم الحماسية تجاه الملك، ويهتفوا عالياً: "الخلود للملك!" ورغم تهديدات المأمورين، فإنّ هذه التظاهرات حصلت بخمود وبرود، وكأنهم - حسب تعبير الإمام - كانوا يشاركون في تشييع جثمان! وفي ختام هذه التظاهرات أصدر المأمورون بياناً ختامياً إستنكروا فيه التحريكات الأجنبية، وأعلنوا: "نحن أعضاء حزب "رستاخيز"، الشعب الإيراني نعاهد في مدينة قم المقدسة لا نسمح لأعداء ثورة الملك والشعب بالتجاوز أبداً" (صحيفة "خراسان"، ١٩٧٨/١/٣م).

وجرت أيضاً تظاهرات شبيهة ومفتعلة من قبل منظمة نساء خراسان في مشهد في مواجهة المسيرة الضخمة للنساء المسلمات في مشهد في يوم ٧ كانون الثاني (صحيفة "خراسان"، ١٩٧٨/١/١٢م). وفي تلك الأيام أقيمت تظاهرات شبيهة في مدينة تبريز، وقال أحد المتلبسين بلباس العلماء: "إنّ الاستعمار يريد تهديد اتحاد واتفاق الشعب الإيراني في لباس الدين والمذهب"، وقالت ممثلة النساء أيضاً: "إنّ النساء الإيرانيات سيخنقن صوت الرجعية في الحنجرة"، وقد ذكرت سائر الأقوال والوقائع الشبيهة في الصحف الصادرة في تلك الأيام نقلاً عن وكالة "أنباء فارس".

(٢) في بداية عام ١٩٧٦م، وفي الذكرى السنوية لولادة رضا خان، صادق مجلسا الشورى والشيوخ في اجتماع مشترك على تغيير التاريخ الرسمي لإيران، من الهجري الشمسي إلى التاريخ الإمبراطوري الذي يبدأ مع بداية الملكية الإيرانية، الذي يحسب من تأسيس دولة الهخامنشيين الملكية من قبل "كورش"، الموافقة لـ ٥٢٩ سنة ق.م، وبموجب كتاب رسمي أصبحت جميع المؤسسات الحكومية والوطنية ملزمة باستخدام التاريخ الإمبراطوري الجديد في مراسلاتها، ولم يمضِ كثير على هذه الحادثة حتى انهار نظام الملكية الإستبدادي في إيران.



العلمية. فحتى الآن تعرضت مدارسنا لعدة غارات<sup>(١)</sup> وداهموا مدارسنا عدة مرات حتى الآن. في ذلك الوقت داهموا المدرسة "الفيضية" عدة مرات، وارتكبوا عدة جرائم، وهم يهاجمون الآن المدرسة "الحجّية" ومدرسة "الخان". الآن هذه المدارس هي أهداف هجومهم. كذلك فهم يهاجمون مدرسة "الحقاني"، وكل مدرسة مفتوحة الأبواب، ويجتمع فيها الطلاب. أطلقوا النار - حسبما قيل - على جميع أبواب ونوافذ مدرسة "الخان"، وحطموها. في مدرسة "الحجّية" قتلوا أحد الأشخاص، أطلقوا عليه الرصاص، رمّوه بالرصاص وسال الدم، وذهب أحد العلماء إلى هناك ثم رجع، وقال: "إننا ذهبنا ورأينا سقوط الدم في ذلك المحل الذي ضرب فيه هذا الشاب برصاصة، سال الدم حتى بلغ حافة الحوض".<sup>(٢)</sup>

هل تحتملون أنّ رئيس شرطة قم يقوم بمثل هذا العمل دون إذن؟ إنه لا يتمكن أن يقوم بمثل هذا العمل. لا تقولوا إنّ المأمورين قاموا بهذا العمل. إنّ الذي يقوم بهذه الأعمال هو الملك نفسه. أي أنّ الملك نفسه يأمر بذلك، الملك نفسه يقول: أقتلوا. وما لم يقل، فإنّ المأمورين لن يقوموا بذلك. وإلاّ هل هو أمر سهل ضرب شعب بالبندقية والرصاص؟ أهو أمر سهل أن تضرب الحوزة العلمية التي يحبها الناس ويعتبرونها مؤسسة مقدسة؟ هل هو أمر سهل أن تقوم شرطة طهران وشرطة قم ورئيس "سافاك" طهران ورئيس "سافاك" قم، ولا أدري رئيس وزراء طهران، ورئيس وزراء ماذا، هل يتمكن هؤلاء من القيام بمثل هذا العمل دون إذن؟ كل ما يحصل هو من شخص الملك. المجرم الأصلي هو نفس هذا الرجل، فمن الذي عينه ملكاً؟ نفسه كتب في كتابه يقول<sup>(٣)</sup> - طبعاً لقد حذفوا هذا الكلام بعد أن أدركوا أنهم أخطأوا بنشره - نفسه كتب أنّ: "الحلفاء"<sup>(٤)</sup> هم من الذين وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان، نصبوا لنا مثل هؤلاء الأشخاص، وعرضونا لمثل هذا الضغط. الإنسان حراً ولكن كيف هي إيران؟ نصبوا شخصاً هناك، نصبوه منذ ذلك الحين<sup>(٥)</sup> وسلّبو جميع الحريات، هذا الاجتماع الذي يضمنا حالياً لم يكن متيسراً عقده آنذاك. فإنّ الناس لم تقدم على عقد مثل هذه الاجتماعات، أو أنها كانت غير واعية لأهميته. لقد أعادت حوزة قم الحياة لإيران. لقد قدّمت حوزة قم خدمة للإسلام ستبقى

---

(١) راجع هوية الخطاب رقم ١٩، الذي دوّن بهذه المناسبة: إحتلال المدرسة الفيضية، مدرسة خان ومدرسة الحقاني، بواسطة "السافاك".

(٢) في يوم ١٩٧٨/١/٩م أطلق مأمورو الملك النار على صفوف المسيرة السلمية لطلاب وأهالي قم الذين تحركوا من ميدان "جهارراه بيمارستان" اعتراضاً على كتابة مقالة مهينة في صحيفة "إطلاعات"، في هذه الحادثة جرح طالب شاب برصاص المأمورين عندما كان يردد شعاراً من الطابق العلوي لمدرسة الحجّية، وحُمِل على أيدي الطلاب إلى حوض المدرسة الحجّية، واستشهد هناك.

(٣) الملك في كتاب "مهمة لوطني".

(٤) مر ذكره سابقاً.

(٥) رضا خان.

خالدة لمئات السنين، لا تستصغروا ما قامت به الحوزة هناك أيها السادة. أدعوا لحوزة قم، وادعوا أن نصبح نحن هكذا أيضاً. سيظل اسم حوزة قم في التاريخ، بينما سوف ينساها نحن الموتى<sup>(١)</sup> لقد أعادت الحوزة العلمية في قم الحياة للإسلام، لقد أيقظت الجهود التبليغية للحوزة العلمية في قم وبيانات مراجع قم وعلمائها الجامعات التي كانت تعتبرنا أفيون الشعب، وتعتبرنا عملاء لإنكلترا والمستعمرين، لقد ظهر أن هذا إعلام يروّجه أولئك، الإنكليز والألمان والسوفييات يقولون في إعلامهم إن حوزات الدين، الحوزات العلمية وعلماء الدين هم أفيون، إن أولئك يروّجون لذلك، لأنهم يعلمون ما هي نشاطات هؤلاء وما تحركاتهم، فالإسلام دين متحرك، وهؤلاء يعلمون بذلك، إنهم يريدون إسقاط هيبة هذه المؤسسات لدى الشعب. وكم سنة روّجوا لذلك؟ حيث أننا المملّائي صدقنا أيضاً. نفس المملّائي صدقوا أيضاً. نفس المملّائي صدقوا أيضاً، فالبعض منا يقول: "ما نحن والسياسة". إن "ما نحن والسياسة" معناه أن نضع الإسلام جانباً، أن يُدفن الإسلام في غرفتنا هذه، يُدفن في كتبنا هذه.

إن هؤلاء يتمنون أن يكون الدين مفصلاً عن السياسة، وهذا أمر ابتدعه السياسيون منذ زمن، وروّجوه بين الناس بحيث أننا الموجودين هنا قد صدّقنا بأن لا علاقة لنا بالسياسة. وراح البعض يقول: أتركوا السياسة لأهلها، نحن مختصون بالمسائل الدينية، إذا صفّعونا على الجبين الأيمن، ندير لهم الجبين الأيسر<sup>(٢)</sup>، قد نسبوا هذا خطأ إلى عيسى عليه السلام. هؤلاء نسبوا هذا إلى حضرة عيسى عليه السلام، حضرة عيسى عليه السلام نبي، والنبى لا يمكن أن يكون منطقته هكذا. أنتم رأيتم الأنبياء، إلا أن حضرة عيسى عليه السلام عاش قليلاً بين الشعب، ثم رُفِعَ بالمعراج إلى السماء<sup>(٣)</sup> أنتم كلكم تعلمون تاريخ الأنبياء. كان حضرة إبراهيم عليه السلام، الذي يمثل تقريباً رأس أنبياء السلف، قام بفأسه وحطّم تلك الأصنام كلها، ولم يخَفْ أبداً من الإلقاء في النار، لم يكن لديه خوف من هذا الكلام، ولو كان لديه خوف لما كان نبياً. هذا منطق ذلك الإنسان الذي حارب القوى الكبرى في زمانه، ووقف لوحده أمام تلك القوى التي سعت لإحراقه فيما بعد، لم يكن منطقته أنه إذا صفّعوك على هذا الجانب أدر وجهك ليصفّعوك على الجانب الثاني. هذا منطق الكسالى الذين لا يعرفون الله. هؤلاء لم يقرأوا القرآن. فهذا موسى عليه السلام كان شخصاً واحداً راعياً، وقف بعصاه مقابل مَنْ؟ مقابل فرعون الذين كان يدّعي الألوهية. هؤلاء أيضاً يريدون ادعاء الألوهية، يرون أنه ليس هناك مَنْ يعبأ بهم. ولو تراخيتم قليلاً لقال هؤلاء أيضاً ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(٤)</sup>. إن هذه

(١) إشارة إلى جو السكوت في حوزة النجف. ويدل خطاب الإمام على صعوبة ظروف حوزة النجف وعدم اهتمامها.

(٢) جاء في إنجيل "متى": "سمعت أنه قيل العين بالعين والسن بالسن، لكني أقول لكم: لا تقاوموا الشرير، وكل مَنْ صفّعك على خدك الأيمن فأدر نحوه الآخر. وإذا تخاصم معك شخص ليأخذ رداءك، فأعطه رداءك أيضاً".

(٣) إشارة من الإمام إلى سورة "آل عمران"، الآية ٥٥: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾.

(٤) سورة "النازعات"، الآية ٢٤.

الأكاذيب كانت موجودة في العالم، وهي موجودة حالياً أيضاً، وسوف تبقى إلى ما بعد، فذلك موسى عليه السلام، وذلك أيضاً الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي تعرفون تاريخه جيداً، فقد بعث وحيداً، وخطط ثلاث عشرة سنة، وحارب عشر سنوات. لم يقل: ما نحن والسياسة. أدار بلداناً، ولم يقل: ما علاقتنا بالسياسة. وتلك أيضاً حكومة أمير المؤمنين، وكلكم تعرفون وضع حكومته ووضع سياسته ووضع حروبه. لم يقل: إن علينا أن نجلس في بيوتنا، نقرأ الدعاء ونزور، لا علاقة لنا بهذه الأمور.

أحد العلماء كان يقول: "لو أن حضرة صاحب الزمان (سلام الله عليه) رأى أن الأمر يقتضي المبادرة لجاء بنفسه" رحمه الله، كان يقول: "إن قلبي لا يحترق على الإسلام أكثر من صاحب الزمان (سلام الله عليه)، وهو يرى كل شيء، فليات هو بنفسه، فلماذا أقوم أنا بذلك؟"، هذا منطق الذين يريدون التنصل من عبء المسؤولية<sup>(١)</sup>. الإسلام لا يقبل هؤلاء، الإسلام لا يقيم أي اعتبار لهؤلاء، إنهم يريدون التنصل من المسؤولية، يقومون بعمل ما، يبحثون عن روايتين من هنا وهناك، فيتوصلون إلى نتيجة مؤداها ضرورة التنسيق مع السلاطين مثلاً، والدعاء للسلاطين. وهذا خلاف للقرآن. هؤلاء لم يقرأوا القرآن، لو جاءت مئة رواية تشير إلى هذا المعنى، فيجب أن تضرب عرض الجدار<sup>(٢)</sup> فهي خلاف القرآن، خلاف سيرة الأنبياء، مع أنه ليست هناك رواية تقول بهذا. لاحظوا أنتم كل تلك الروايات التي تشير إلى أن شخصاً إذا أحب سلطاناً، فهو محشور معه<sup>(٣)</sup> هل يمكن أن يرغب المسلم في أن يحيي الله أحد الظلمة القاتلين؟ هل يمكن أن تكون لديه محبة لشخص يقتل إنساناً، يقتل عالماً؟ يقتل العلماء؟ كم لدينا الآن من العلماء الكبار والمدرسين العظام يرزحون في السجون وفي المنفى؟ هل تعلمون كم من العلماء يرزحون الآن في السجون؟ وكم من هؤلاء العلماء منفيون؟ مع ذلك فإن هؤلاء الذين نُفوا سابقاً جاؤوا الآن وشدوا قبضاتهم، وعارضوا الحكومة والملك، فوقعوا في مشكلة مرة ثانية، فهذا الأخ الشاب المحترم الذي تكلم أمس في مراسم الفاتحة كان معتقلاً ومنفياً، وأظن - بل أحتمل بدرجة تفوق الظن - أنه اعتقل مرة أخرى، أو أنه سيُعتقل غداً. جاء من السجن وشد قبضته. وهذا هو ابن الإسلام. المسلم هكذا، المسلم إذا لم يكن لديه اهتمام بأمور المسلمين فليس بمسلم "من أصبح ولم يهتم بأمور

---

(١) توجد مجموعة من بينها علماء اعتقدت - بموجب التفسير الخاطئ لأصل الانتظار - أنه ليس في عاتق أحد تكليف أمام الظلم والمفاسد وتعطيل الأحكام الإسلامية، ويجب الانتظار حتى يصل الظلم والجور والفساد إلى النهاية، وعند ذلك يظهر حضرة صاحب الزمان عليه السلام ويملاً العالم بالعدل. وقام أصحاب هذا الرأي في الفترة الأخيرة بأعمال تنظيمية واسعة، وقاموا بإيجاد جمعية، وبسبب فساد أصولها التنظيمية، وعدم كونها قابلة للدفاع، فقد اضطروا إلى التخلي عن النشاطات العلنية.

(٢) تضرب عرض الجدار: أي أنها بلا اعتبار، حيث ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أمراً بهذا المضمون.

(٣) الآية ١١٣ من سورة "هود": ﴿ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾.

المسلمين فليس بمسلم" (١)، وليقل هؤلاء "لا إله إلا الله، كيف لا يكون مسلماً؟". الإسلام هو ما ينفع المسلمين. المسلم هو مَنْ ينفع المسلمين. المسلم يهتم ويتألم حينما يسمع بأنهم قتلوا شبابنا. أينبغي أن لا نكثر لذلك؟ قتلوا علماءنا، ثم لا نكثر؟ قتلوا المؤمنين والمسلمين، ثم لا نكثر؟! يجب أن نغير أنفسنا، هؤلاء الشبان الذين سجنوا نُفُوًا، وهم الآن منفيون، هؤلاء بعد أن قضوا فترة نفيهم وسجنهم وأعيدوا مرة ثانية إلى قم، بادروا من جديد لممارسة نفس دورهم في التبليغ، فتعرضوا من جديد لنفس المصائب، فأعيدوا مرة أخرى إلى المنفى، ولو أعيدوا عشر مرات، فهم كذلك، لأنهم تربوا تربية إسلامية. ولو قتل حضرة أمير المؤمنين عليه السلام مئة مرة وأحيي، فهو يظل أمير المؤمنين بعظمته. ولو قُتلت أنا - الإنسان الكسول - مئة مرة، أو مرة واحدة، فإنني سأبقى ذلك الإنسان الكسول.

إن جميع مصائبنا هي من أولئك الزعماء الذين وقَّعوا على إعلان حقوق الإنسان، وأعلنوا عن تأييدهم لحرية الإنسان. مصائبنا من إنكلترا - وإلى الوقت الذي ضعفت فيه قوتها إلى قدر ما - ومن الاتحاد السوفيتي ومن أمريكا حالياً. جميع مشكلاتنا من هؤلاء. إن هؤلاء العملاء لو أن القوى الكبرى رفعت دعمها عنهم، فإن الناس ستسلخ جلودهم. أعطوا الأمريكان حصانة، وجعلوهم مصانين من كل شيء. وأخذوا مقابل ذلك عدة دولارات. والآن تلاحظون كم من ذوي المناصب الأمريكان في إيران، وبأية رواتب يعملون، بأية رواتب ضخمة. هذه المشكلات التي تعترضنا، فثرواتنا يجب أن تذهب إلى جيوب الأمريكان، وإذا بقي قليل منها، فيجب أن يذهب إلى جيب الملك وحاشيته. فهؤلاء يشترون قصوراً في الخارج أيضاً، ويشترون ماذا وماذا؟ كدسوا أموال الناس في البنوك، وهم يروجون أن الدولة الإيرانية الآن هي من الدول المتقدمة في العالم، وهي الآن في مستوى أمريكا واليابان! بل إنها قد تقدمت الآن على اليابان قليلاً! إلا أن هذا الكلام قد اتضح فساده. فحتى البقال البسيط يقول بأن الملك يتكلم كلاماً فارغاً، لكنه وقح وسترون ماذا ستقول الصحف غداً بعد هذه الوقائع التي وقعت. إن الصحف ستشرع مرة ثانية في القول: بأن جميع الشعب يؤيدنا، وجميع الناس معنا، وهناك عدة أشخاص لديهم انحراف! كل مسلم وكل عالم صحيح يؤيدنا! العالم المثقف الصحيح يؤيدنا! هؤلاء العلماء رجعيون علماء قم هؤلاء رجعيون، مراجع قم الكبار الذين أعلنوا إضراباً عاماً، هؤلاء من الرجعيين! العلماء الكبار المدركون لخفايا الأمور يؤيدوننا! العلماء الحقيقيون يؤيدوننا - يسمونهم العلماء الحقيقيين - وإنك لتعجز عن العثور على أولئك العلماء الحقيقيين، إنك لن تجد هؤلاء العلماء الحقيقيين إلا في الصحيفة. فأَي علماء هؤلاء؟ هل يمكن للمسلم أن يكون مؤيداً لك؟ هل يمكن أن يكون المسلم راضياً بقتل هؤلاء؟ (٢) ولكن المسلم أو العالم يخاف أحياناً فيسكت، وأحياناً لا يخاف فيتكلم. في بعض الأحيان يخاف أحد الطلبة ولا يخرج من بيته، وأحياناً لا يخاف فيتكلم. أما أنهم يؤيدون فهذا كلام فارغ لا معنى له. أي عالم يمكنه أن يكون

(١) مروي عن الإمام الصادق عليه السلام. "أصول الكافي"، كتاب الإيمان والكفر، باب الإهتمام بأمور المسلمين.

(٢) الطلاب والأهالي الذين استشهدوا في واقعة ٩ كانون الثاني.

مؤيداً لك؟ هل يمكن أن يكون أحد عالماً، ويسمى نفسه عالماً، ويكون مؤيداً للمجزرة؟ هل يمكن أن يكون الإنسان مسلماً ولديه اعتقاد بالإسلام ويكون مؤيداً لتغيير التاريخ الإسلامي إلى تاريخ الكفار؟ هل يمكن أن يكون الإنسان مسلماً ويكون مؤيداً لنزع الحجاب؟<sup>(١)</sup> لقد ثارت النساء الإيرانيات أيضاً ضده، وسخرن منه، وقلن بأنهن لا يردن مثل هذا الشيء. يجب أن نكون أحراراً، وهذا التافه يقول: أنتن حرات، ولكن يجب حتماً أن تذهبن إلى المدارس بدون عباءة وبدون غطاء رأس! هل هذه حرية؟! في إيران من الغرائب ما لا أستطيع فهمها، فهذه الحكومة الإيرانية وملك إيران يمثلان مجموعة من المتناقضات غير الواضحة "جمل، ثور، نمر"<sup>(٢)</sup> في إيران هناك ما لا يفهم، أنا لا أعلم ما هي القضية. هذه مشكلتنا. طبعاً لدينا مشكلات كثيرة لا نتمكن من عرضها جميعاً. مشكلاتنا هذه هي من هؤلاء المصادقين والموقعين على إعلان حقوق الإنسان. نحن وأمثالنا وأنتم وأمثالكم رجعيون ومتخلفون، وأمثال ذلك، وأولئك تقدميون، والبلد في غاية التقدم؟!!

الله وحده يعلم كم من الناس يراجعونني في أمور بسيطة، مثلاً: إننا نريد أن نبني في المكان الفلاني مخزناً للماء. فالأهالي هناك ليس لديهم ماء، والنساء يذهبن فرسحاً لجلب الماء، ليس لديهم ماء. وعندما لا يكون لديهم ماء، فهل يُعقل أن يكون لديهم كهرباء مثلاً؟ هل أت الطرق عندهم معبدة بالإسفلت؟ كلا حتماً ليس لديهم أي شيء، لا تنظروا إلى طهران من أحد جوانبها، فهم يبنون هذا الجانب فقط، اذهبوا إلى الجانب الآخر من طهران، اذهبوا إلى تلك المستنقعات الموجودة، وشاهدوا الوضع. بعض المناطق يضطر أهلها إلى النزول مئة درجة من درجات السلم لكي يصلوا بيوتهم، ﷺ 1608: أقام البعض بيتاً له هناك، ولكن أي بيت؟ إما بالحصير أو بالطين، بنوا بيتاً ليسكن هؤلاء الأطفال المساكين هناك. أتكلم عن طهران لا عن المناطق البعيدة، طهران هي هكذا، عندما تدخلون إلى طهران ترون أنها مكتظة بالسيارات وكذا وكذا... ﷺ ١٦٠٨: لكنكم لم تذهبوا إلى الجانب الآخر من طهران لتروا ما هو الوضع، ليس لديهم ماء للشرب، يجب عليهم أن يجلبوا جرارهم ويصعدوا من ذلك السلم، قلت إن مئة درجة يصعدها النساء إلى الأعلى ليصلن إلى إحدى المناطق التي وضعوا فيها حنفية الماء، وهناك يملأن جرارهن بالماء، ثم يجب أن تعود هذه المرأة المسكينة مرة أخرى. وفي الشتاء البارد هكذا ينبغي أن تتصرف النساء لتجلب الماء لأطفالها. فما هو مستوى الفقر الذي تعاني منه هذه العوائل؟ بعض هؤلاء أخرجوهم من هناك - كان أحد البيوت لأحدهم، وكانت إحدى غرفه مؤجرة لعدة أشخاص - جاؤوا ثم أخرجوهم، وذلك في شارع بامنار<sup>(٣)</sup> وألقوا بهم في وسط الشارع، ألقوه هو وزوجته وطفله في وسط الشارع.

(١) الأغطية، وفي النص تعني الألبسة.

(٢) مصطلح لكل شيء مضطرب وغير منتظم يؤدي اضطرابه إلى وضع غير عادي "جمل، ثور، نمر"، مصطلح يُستخدم في اللغة الفارسية في مجال مجموعة غير متجانسة أو شيء مركب بلا تناسب (أمثال وحكم.. لفظ جمل).

(٣) بامنار من أقدم شوارع طهران، يقع في مركز المدينة، قرب سوق طهران.

ذلك ما نقله لي أحد من أثق بهم، وهو إمام جماعة بامنار، وقال: "إن هؤلاء المساكين، أخذوا منه ذلك المنخفض، وجاء الآن إلى بامنار، وجلس المسكين هنا في الشارع مع أطفاله، فاجتمع الناس وبَنُوا له شيئاً ليسكنه في البداية.

هذا هو البلد المتقدم، ومركز المدينة، مركز البلد هو طهران، هكذا هو مركز البلد! كتب في الصحف - ولا أتذكر في أية صحيفة قرأت ذلك - أنه في أطراف شوشتر<sup>(١)</sup> حينما يستيقظ الأطفال صباحاً فإنّ عيونهم لا تنفتح بسبب التصاقها نتيجة "التراخوما" الناجمة عن عدم توفر الماء، وإنهم يغسلون وجوه الأطفال وعيونهم بالبول! هذا هو وضع بلدنا! هل هذا بلد متقدم؟! ذلك البلد الذي يضطر بعض أبنائه لغسل عيونهم بالبول! وإذا كان لديهم مقدار من الماء، فإنهم يريدون أن يشربوه. كتب في الصحيفة: إنهم يغسلون عيون أطفالهم بالبول حتى تفتح! هذا "بلد متقدم"! أين تذهب أمواله؟ هل إن بلدنا فقير؟ إن في بلدنا نفطاً، بل بحر من نفط، بلدنا لديه حديد، لديه كل شيء، لديه جواهر، بلدنا بلد غني، ولكن هؤلاء "المحبون للإنسان!" وضعوا مأموراً هناك على رأس هذا البلد، حتى لا يدع هذه المنافع تصل إلى أيدي الفقراء، كلها يجب أن تذهب إلى جيوبهم، وتُصرف على ملذاتهم. وإذا بقي مقدار من ذلك فإنّ ذلك المقدار هو حصة هؤلاء العملاء، ومع أنّ حصتهم قليلة، إلا أنّ هذا القليل جعلهم يملكون قصوراً في كل الأماكن التي يذهبون إليها، جعلهم يمتلكون الأراضي<sup>(٢)</sup> والأموال في المصارف، وجعل لديهم كل شيء. فهم أثرياء جداً<sup>(٣)</sup> "كارتير" خدع الناس فترة، فوعد بأنه إذا

---

(١) شوشتر من مدن محافظة خوزستان، وكانت في أحد الأزمنة أكثر مدن هذه المحافظة عمراناً. تبلغ مساحة شوشتر ٣٥٢٨ كلم<sup>٢</sup>، وتبعد عن الأهواز (مركز خوزستان) ١٢٨ كلم.

(٢) إنّ إعداد إحصاء دقيق عن أملاك الملك وأفراد عائلته - من الدرجة الأولى - في خارج البلد ليس أمراً سهلاً، ولا يتوفر فهرس كامل عن ذلك. ومن الأمثلة على الأملاك المؤكدة ملكيتها للملك ما يلي: عدة هكتارات من الأراضي في أستراليا، عدة جزر كبيرة في إيطاليا في ملكية فرح، أراضٍ واسعة في سواحل بحيرة جنيف، أربعة قصور ضخمة في المناطق الراقية في باريس وسويسرا، قرية "سن موريس"، ساحة كاملة للتزلج وقصر شتوي في سويسرا، عدة قصور كبيرة في كاليفورنيا وتكساس وفلوريدا الأمريكية. أنظر: "أنا وعائلة البهلوي" (لمسعود الأنصاري) و"بعد السقوط" (للأنصاري)، و"ظهور وسقوط السلطة البهلوية" (لحسين فردوست) وصحيفة "كيهان" (١٩٧٩/٢/٢٥م) و"آخر سفر للملك" (لوليم شوركراس) و..

(٣) في الهوامش القادمة سوف نشير إلى ثروة الملك من العملات الصعبة، وقد أشار تقرير رسمي للبنك المركزي أنه خرج مقدار غير قليل من العملة الصعبة خارج البلد خلال شهري آب وأيلول ١٩٧٨م فقط، و١٧ فقرة من الأموال المرسلة برمز سياسي إلى أرقام حسابات خاصة في البنوك السويسرية والفرنسية والأمريكية والبالغة ٣٠،٧٥٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال (ما يعادل حينها أكثر من ملياري دولار للملك) (كتاب "خطوة خطوة مع الثورة"، ص ٩٥-١٠٢).

جاء إلى الحكم، فسوف يقوم بكذا وكذا<sup>(١)</sup> قال بصراحة - والكذاب ينسى - قال: "يجب عدم الحديث عن مسألة حقوق الإنسان في المناطق التي نمتلك فيها قواعد، إن الأماكن عسكرية"، هذا الأمريكي يتحدث بهذا القدر عن حقوق الإنسان، ماذا فعل من الأفاعيل بحق الشعوب؟ في نفس أمريكا وفي أمريكا اللاتينية<sup>(٢)</sup> فقد وضع له هناك عملاء، وقد تصرف في لبنان بالشكل الذي ترونه الآن. وذل الرجل (الملك) يذهب إلى هناك، ويصدق كلامه، يصدق أن المسألة تكمن في المصالحة مع "إسرائيل"، وهو قد اعترف<sup>(٣)</sup> بـ"إسرائيل" قبل عشرين سنة، وحينما كنا في قم إعراف رسمياً بـ"إسرائيل" أمام جميع المسلمين، أمام القرآن. يعترف رسمياً بدولة الكفر، وأي كفر؟ كفر اليهود! في البداية لم يذكروا الاسم بشكل صريح، ثم ذكروا ذلك بوضوح. إن ذلك الرجل خادم منذ البداية، وبعد ذلك أعلن عن حقيقته! ومنذ البداية كانت المسألة هكذا، إعراف رسمياً منذ البداية بـ"إسرائيل" متحدياً القرآن والإسلام والحكومات الإسلامية والمسلمين. وذلك الرجل الذي تساءل

---

(١) بعد مرور عشر سنوات على التدخل العسكري في فيتنام ولاوس وكمبوديا، وإرسال مئات الآلاف من القوات العسكرية المنتخبة، واستخدام تجهيزات متقدمة في هذه الحرب، خسرت أمريكا وأجبرت في عام ١٩٧٥م على ترك ذلك البلد بعد أن قدّمت عشرات الآلاف من القتلى والجرحى والأسرى، وصرفت عشرات المليارات من الدولارات. وقد أدى فشل هذا العمل العسكري والجرائم المرتكبة هناك والأعمال اللاإنسانية للعسكريين الأمريكيين والعوارض الأخلاقية والنفسية والاجتماعية للحرب إلى أن يصبح الشعب الأمريكي مؤيداً بقوة لحكومة تريد السلام، وتدافع عن حقوق الإنسان.

ومن جهة أخرى، كانت الحكومة الأمريكية التي شهدت سقوط عملائها بعد انتهاء الحرب في دول الجنوب الشرقي من آسيا مثل فيتنام وكمبوديا ولاوس، ترى أن الحل هو في إيجاد مناخ سياسي مفتوح، ومجيء تيارات معتدلة في دول العالم الثالث، وفي ذلك الوقت كان الحزب الجمهوري قد فقد اعتباره تماماً في أمريكا وفي أنحاء العالم بعد قضية "ووترغيت" في ١٩٧٤م وكانت الحكومة الأمريكية مضطرة إلى إشراك ممثل عن الحزب الديمقراطي في انتخابات رئاسة الجمهورية لتحقيق أهدافها بهذا العمل، وبموجب هذه السياسة أرسل التيار الصهيوني والرأسمالي العالمي "كارتر" إلى ساحة السياسة بنظرية حقوق الإنسان.

(٢) قامت الحكومة الأمريكية المدافعة عن حقوق الإنسان بانقلاب في تشيلي بمجرد أن تأسست حركة تحررية فيها، وقتل "سلفادور آلنده"، وسيطرت مرة أخرى على تشيلي. وتقوم المنظمات التجسسية والإرهابية الأمريكية بنشاطات ضد الشعب التحرري في نيكاراغوا والسلفادور. وقد أدى الإعتداء العسكري الأمريكي إلى سقوط النظام الثوري في غرينادا، ومع هذا تدّعي هذه الدولة أنها تحترم حقوق الإنسان.

(٣) الملك.

بصراحة عن ماذا تعنيه قضية حقوق الإنسان<sup>(١)</sup>؟ كان صادقاً، فماذا تعني قضية حقوق الإنسان؟ فالمسألة ليست مسألة حقوق الإنسان، إنما منطق الأقوياء! منطق الأقوياء هو القوة، البندقية والرشاش، وضرب علماء الدين بالرشاش، هذا هو منطق هؤلاء، منطقهم هو تخريب المدرسة الفيزيائية، الأخذ وعدم الإعطاء. الآن المدرسة الفيزيائية معطلة، مع ذلك وفي نفس الوقت الذي هجموا فيه على المدرسة الفيزيائية ونهبوها، وضربوا الطلبة، وأحرقوا عمائمهم وكتبهم، وأهانوا القرآن. في نفس ذلك الوقت جعلوا مركز هذه الجماعة في مدرسة الحجتية، وهم حالياً في مدرسة الخان يتعرضون للهجوم من جديد، وإن كان كل ذلك لا ينفع، فلو أنهم تعرضوا للضرب مرة أخرى في مئة مدرسة أخرى فلا فائدة من ذلك. فهؤلاء قد أصبحوا أحياء، هؤلاء قد أصبحوا واعين، على أية حال فهذه المشكلات تقلقنا الآن، ونحن حيث نجلس هاهنا لا نعلم ماذا يجري على إخواننا. أنا قلق، وقد تحصل الآن، أو حتى العصر، أو حتى غداً حادثة هنا أو هناك، ولنر ماذا يحصل. ما أعلمه أن مجلساً ضخماً قد أقيم لهؤلاء الأسلاف عليه السلام. واليوم - وحسب ما أخبرونا - كان المسجد الأعظم<sup>(٢)</sup> مكتظاً بالحاضرين، والأسواق معطلة، سوق قم كله مغلق، والشوارع خالية، هذا بالنسبة لقم، أما شيراز وأصفهان، فلم تصلنا أخبار عنها، وسوف تصلنا أخبارها حتماً، ولا أدري ماذا سنفعل إزاء هذا الوضع؟ واقعاً إننا في حيرة من هذه الأمور.

هؤلاء منطقهم الرشاش، ومنطقنا نحن السكوت! يجب أن نسكت؟ ليس هناك حل! منطق أولئك هو الصفع، ومنطقنا هو تلقّي الصفعات! لينسبوا إلى عيسى عليه السلام أنه قال: "إذا صفعك أحدهم على الخد الأيمن،

(١) رداً على انتقادات "كارتر" - الذي قام ضمن دعايته الانتخابية بانتقاد قوي للأعمال الوحشية والديكتاتورية للملك - أعلن الملك في ١٩٧٦/١١/٣م إعتقاده حول "حقوق الإنسان" و"الديمقراطية" بشكل واضح جداً! فقد قال في مقابلة مع "كيهان": "يريد الإستفسار منا حول الديمقراطية وحقوق الإنسان. إنها مهزلة حقيقية. هل أن الديمقراطية هي الشتم فقط؟ هل أن الديمقراطية هي لعب الهوجي فقط؟ هل أن الديمقراطية هي القتل فقط؟ الديمقراطية - إذا كان لها وجود - ماذا يمكن أن تعني غير الذي نقوم به نحن"، وبعد تولي "كارتر" الحكم وإجبار الملك على القبول بنظرية "كارتر"، وإعلان المناخ السياسي المفتوح في البلد، ثم تصاعد تظاهرات الشعب، وعجز الملك عن السيطرة على الأمور.

إعترف الملك في مقابلة بتاريخ ١٩٧٧/٦/١٩م مع الإذاعة الفرنسية: "إذا كان مقرر أن يدفعنا الدفاع عن حقوق الإنسان إلى الفشل والتبعية، فعند ذلك ليس اسم ذلك حقوق الإنسان!". ثم هدد أمريكا قائلاً: "نحن نتمكن أن نشترى من أي مكان نرغب، ولكن من الذي يمكنه أن يصبح خليفة لإيران الصديقة لأمريكا؟!".

(٢) أسس المسجد الأعظم في قم في سنة ١٣٧٤ هـ بق بهمة المرحوم آية الله البروجردي إلى وار الصحن المطهر لحضرة المعصومة عليها السلام. وأشرف على عمارته حسين لرزادة، وزينه بالكاشي حسين البرهاني الأصفهاني، وتبلغ مساحة أرض المسجد حوالى ١١,٠٠٠ م<sup>٢</sup>، بني منها ٤,٠٠٠ م<sup>٢</sup>، وكانت خطابات الإمام في السنوات ١٩٦٢-١٩٦٤م تلقى في هذا المسجد.



فأعطه الخد الأيسر". ونحن لا نريد الإعتقاد بعيسى عليه السلام إذا كان كذلك. ولا شك أن عيسى عليه السلام لا يقول مثل هذا الكلام. فهذا هو منطق الكسالى. عيسى عليه السلام نبي عظيم، فمن بدأ بالتكلم في مهده؟ وبعث نبياً في المهدي - حسبما أخبرنا به القرآن؟<sup>(١)</sup> - مثل هذا الكائن لا يتكلم كلام الكسالى! لا يتكلم كلام الضعفاء، ولا يقول بأن أحداً لو صفحك على هذا الجانب فعليك أن تعطي الجانب الآخر. إن هذا هو كلام أولئك المنتسبين لعيسى عليه السلام، وهؤلاء ليسوا عيسويين. إنهم ينسبون أنفسهم إليه، هؤلاء الأشخاص قاموا بهذا العمل للتلاعب بهؤلاء العيسويين وهؤلاء الكاثوليك، وقد صدق أولئك الحمقى بهذه الأقوال، لذا فهم لا يقومون بأية فعالية ضد حكومتهم، وبنفس الطريقة فإن هناك أشخاصاً يبنون يقولون بأن علينا طاعة أولي الأمر مهما كانت سلوكياتهم، ومهما كانوا سيئين، أولوا الأمر بمعنى الظالمين! ويجب عدم التكلم مع الظالم، حسناً إذاً لماذا الإمام الحسن عليه السلام؟ لماذا عارض الإمام الحسين عليه السلام أولي الأمر؟ كان أولو الأمر آنذاك هم يزيد<sup>(٢)</sup> وأمثاله. كتب لي أحد الملالي قبل عدة سنوات ليسألني لماذا أعارض الملك؟ فالله تعالى قال: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾<sup>(٣)</sup> وهذا البلد أعطاه الله للملك، فلم أجبه، لم يكن يستحق حتى مجرد الجواب. إلا أن هذا تكذيب للقرآن، فهل أن أحداً غير الله كان قد أعطى الملك لفرعون؟ الله هو الذي أعطاه الملك أيضاً، إذاً لماذا ذهب موسى عليه السلام وعارضه؟ هل أن أحداً آخر أعطى الملك للنمرود؟<sup>(٤)</sup> كان ذلك أيضاً من قبل الله، إذاً لماذا يذهب إبراهيم لمعارضته؟ لماذا يعارض النبي ذلك؟ لماذا كان أمير المؤمنين عليه السلام معارضاً لمعاوية؟ لقد كان معاوية والياً للأمر هناك. حسناً، لماذا عارضه الإمام الحسن عليه السلام؟ لقد ألحق الإمام الحسن بالغ الأذى بمعاوية، لماذا؟ لماذا نهض الإمام الحسين عليه السلام مع عدة أشخاص من عياله، مع خمسين أو ستين شخصاً، وذهب هناك وعارض أولي الأمر؟ هذا كلام فارغ. إن أولي الأمر أولئك الذين يمثلون الإمتداد لحكومة الله والرسول ﷺ ويجب أن يكونوا إلى جانب الله والرسول، يجب أن يكون مثل الله والرسول ﷺ - مع الفارق - أي يجب أن يكونوا ظل الله ورسوله ﷺ. إن

(١) راجع الآيات ٢٩-٣٣ من سورة "مريم".

(٢) تولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٢٦-٦٤ هـ) الخلافة بعد معاوية، وفي السنة الأولى من خلافته ارتكب مجزرة كربلاء، وفي السنة الثانية نهب المدينة في واقعة الحرة، وفي السنة الثالثة هاجم مكة، وفي تلك الواقعة تعرضت الكعبة إلى حريق. وتوفي يزيد في تلك السنة.

(٣) سورة "آل عمران"، الآية ٢٦ ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ وقد استدلت جماعة بهذه الآية على أن كل ولي أمر - ولو كان شخصاً مثل يزيد - واجب الطاعة.

(٤) كان نمرود يحكم في كلدة ويسمى "كيكاووس"، وكان رجلاً يعبد الأوثان وظالماً للغاية، وكانت لديه أصنام من ذهب وثروة كبيرة، وجيش جرار ("تاريخ الأنبياء من آدم حتى الخاتم"، ص ٢٨٩).

حكومة سلطان الإسلام هي ظل الله<sup>(١)</sup>. فمعنى الظل هو أنه ليس لديه حركة من نفسه، حركته بحركة الأصل. ظل الإنسان ليس لديه حركة من نفسه، كل حركة يقوم بها الإنسان يتحرك الظل أيضاً تبعاً لها، يحرك يده هكذا، فيتحرك الظل هكذا أيضاً، وكذلك "ظل الله" فهو الشخص الذي عرف الإسلام بـ"الظل الإلهي" هو أنه لا يضع شيئاً من عنده، بل يتحرك تبعاً للأحكام الإسلامية، وتكون الحركة حركة تبعية. ولما كان رسول الله هكذا، كان "ظل الله". فهل هذا الرجل هو ظل الله؟! أولو الأمر؟! طائفة منا غفلوا واعتقدوا أن الأمر هكذا، هل أن يزيداً هو من أولي الأمر؟ وهل إذا ثار أحد ضد يزيد، فقتله واجب؟! هل يعتبر أن سيد الشهداء عليه السلام واجب القتل؟ قضاتهم حكموا بأنه واجب القتل! واعتبروا قيامه مخالفاً لمصالح المسلمين! وأنه واجب القتل! حسناً، أولاً نعلم القرآن والسنة؟ أولاً نعلم ماذا يجب عمله؟ إذا لم نكن مطلعين على القرآن، وجب أن نقرأ القرآن لنرى ماذا يقول القرآن. قبل كل شيء القرآن يعين وظيفتنا وتكليفنا، القرآن يعين وظيفتنا مع السلطان، وإلا فهل أراد الله أن يروي لنا قصة فقط؟

لقد تكررت قصة موسى عليه السلام كثيراً في القرآن، ولو كان الباري يريد أن يقول قصة لقال قصة واحدة وكفى، لماذا يكرر ذلك عدة مرات؟ لماذا كل هذا التأكيد في القرآن؟ ولماذا يكرر سبحانه في كل عدة صفحات قصة موسى عليه السلام ومعارضته لفرعون، إن الله تعالى يكرر ذلك ليقول: يا سيد افهم تكليفك، فالقرآن لم يذكر كل ما ذكره عن القتال مع الكفار، وعن القتال مع المنافقين وغيرهم لمجرد السرد القصصي. ولو كان كذلك لذكر القصة مرة واحدة وكفى، ناهيك عن أن القرآن ليس كتاب قصة، القرآن كتاب بناء للإنسان، كتاب الإنسان المتحرك، كتاب الآدمي، الكتاب الذي يحوي كل ما يتعلق بحركة الإنسان من هنا حتى آخر الدنيا، وحتى آخر المراتب. إنه كتاب يبني معنويات الإنسان، ويبني الحكومة أيضاً كل شيء موجود في القرآن، وفي سنة النبي ﷺ وفي الأخبار الواصلة إلينا، وعلينا أن نطالع لنرى ما هو تكليفنا، ماذا قال لنا القرآن؟ ماذا يجب أن نعمل؟ قرأنا في القرآن كثيراً أن فرعون كذا وكذا، وموسى كذا كذا، لم تندبر أن ذلك الشيء الذي قاله لماذا قاله؟ قاله من أجل أن تكون أنت أيضاً مثل موسى عليه السلام بالنسبة إلى فرعون عصرك، أنت أيضاً خذ عصاك وعارض هذا التافه<sup>(٢)</sup> على الأقل لا تؤيد هذا الجهاز.

وفقكم الله جميعاً إن شاء الله، ورفع الله هذا الشر عن رؤوس المسلمين إن شاء الله. حفظ الله (تبارك وتعالى) هؤلاء الناس الذين قد يكونون الآن في مشكلة. ختم الله (تبارك وتعالى) هذه القضية لصالح المسلمين ولصالح الدين.

---

(١) إذا كان الحاكم الإسلامي شخصاً مثل رسول الله ﷺ فإن حكومته هي ظل إلهي، ومن هنا عبر عن السلطان والحاكم الإسلامي في بعض الروايات بـ"ظل الله" وقد فسّر الإمام ذلك باستنتاج عرفاني بديع.

(٢) الملك.

## هوية الخطاب رقم (٢٨)

العراق / النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ٥ ج ٢ / ١٣٩٢ هـ، الموافق ١٣/٥/١٩٧٨ م.

- الموضوع: الملك سبب لجميع الجرائم.
- المناسبة: المجزرة الظالمة للنظام في أوائل عام ١٩٧٨ م.
- الحاضرون: الطلاب والعلماء وجمع من الإيرانيين المقيمين في العراق.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

لم تمض أكثر من أربعة أيام من سنة ١٩٧٨م حتى أصدر الإمام عليه السلام رسالة تعزية موجهة إلى الشعب الإيراني بمناسبة أربعينية شهداء تبريز، كشف فيها عن جرائم النظام الملكي ومنها المجزرة الظالمة لأهالي قم من قبل عناصر "السافاك"، والتي أدت إلى ثورة أهالي تبريز، وأكد قائلاً: "إن الإسلام العزيز يستغيث بكم أيها المسلمون في أي لباس وموقع كنتم، إن على الجميع أن يسعوا لإنقاذه، والرد على الضربات التي تلقيتوها وما زلتم من سلاطين الجور، خاصة في هذه العقود الخمسة الأخيرة من حكم العائلة البهلوية المعادية للإسلام والوطنية".

وفي جانب آخر من هذه الرسالة حذر الإمام قائلاً: "إن ثورة تبريز إسلامية، مثل نهضة إيران، وقد تفجرت للدفاع عن الحق والأحكام الإسلامية، وإن قيام أجهزة إعلام النظام بنسبتها إلى الماركسيين أو الماركسيين الإسلاميين، ليس إلا خدعة، ودليل على حرمان العقائد المنحرفة من أية قاعدة في إيران، وإلا لما ذكرها الملك..".

وفي تلك الحال، وحيث كان محمد رضا خان يرى نفسه منتصراً بعد قيامه بتنفيذ مجزرة تبريز، أشار في خطابه في ١٩٧٨/٣/٢٠م إلى إعطاء حريات سياسية، وذكر الثوار بكلمات موهنة فقال: ".. قررنا إعطاء الناس في إيران مزيداً من الحريات الفردية، وقد تستغل - الديدان المريضة للرجعية القديمة، أو الفراخ الزغب الحمراء - هذه الحرية، فتنتفض هنا وهناك..". إلا أن هذه التصريحات الميتة لم تترك أي أثر على هذا الشعب الإيراني المقدم.

وقد أدت الحرب بين العرب و"إسرائيل"، وما نجم عنها من قطع النفط عن الدول الغربية، الأمر الذي استتبع رفع إيران لإنتاجها النفطي حتى ستة ملايين برميل في اليوم، وزيادة العائدات من العملة الصعبة في إيران، إلى شعور الملك بالغرور إلى درجة جعلته يعد بأن تصبح إيران في المستقبل القريب في مصاف الدول الصناعية الكبيرة في العالم، ويرم الوعود للشعب بالحضارة الكبرى؛ هذا في الوقت الذي كانت فيه إيران قد افترضت في عام ١٩٧٧م فقط حوالي ٤,٥ مليار دولار من الدول الغربية والبنوك المتعددة الجنسيات، على ما

ذكره مسؤول رسمي في الجمهورية الإسلامية في إيران، فإنّ معدل فوائد القروض الأمريكية لإيران ٢٠ بالمئة<sup>(١)</sup> وفي الذكرى السنوية لولادة أبيه، قام الملك بمناورة إعلامية، وأطلق سراح ٣٤٨ سجيناً سياسياً. في حين أنه قال في مقابلة سابقة مع الصحفيين الأجانب: "ليس لدينا سجين سياسي واحد في إيران! وأولئك المعتقلون هم إرهابيون قاموا بالتخريب!".

وفي تظاهرات تبريز التي أقيمت لتكريم أربعينية الشهداء، اعتقلت عناصر "السافاك" والشرطة عدداً كبيراً، وقدّموهم إلى المحاكمة. وفي نفس الوقت شملت التظاهرات المعادية - للنظام والمؤيدة للإمام الخميني - أنحاء البلد. وفي طهران وبابل وقزوین وكاشان أحرقت عدة دُور للسينما ومراكز لحزب "رستاخيز". وتعرض النظام الملكي إلى ضغط شديد، وكانت رسائل الإمام عليه السلام تصل بشكل منظم من النجف إلى طهران. وكانت عناوين أخبار الصحف - رغم الرقابة الشديدة - وفي الحد الذي كان "السافاك" يسمح بنشره، في تلك الأيام هي:

- إعتقال ٤٣ شخصاً في تظاهرات واضطرابات ٢٧ مدينة أخرى.
  - قام مهاجمون بإسقاط جهاز تقوية البث التلفزيوني في كاشمر.
  - إعتقل في طهران ١٩ شخصاً كانوا يقومون بتوزيع المنشورات.
  - هجوم على مكتب الإذاعة والتلفزيون الإيراني في ألمانيا.<sup>(٢)</sup>
- وقد نُشر في الصفحة الأولى من الصحف خبر ملفت يقول: "إنّ اللجان الوطنية تواجه المتظاهرين ومثيري الاضطرابات"<sup>(٣)</sup>، وكان المقصود من اللجان الوطنية هم عناصر "السافاك".
- استمرت التظاهرات بأمر الإمام عليه السلام، وكانت الصحف تنشر "أنّ شخصاً واحداً قُتل في تظاهرات الأهواز، واعتُقل ٧ أشخاص". إلا أنّ المراقبين السياسيين يذكرون أنّ عدد القتلى هو عشرات الأشخاص، غير أنّ "السافاك" كان يأمر بذكر أعداد قليلة.
- فجّر أهالي كرمشاه قنبلة في بناية حزب "رستاخيز".

كان الملك و"شهبانو" قد ذهبا إلى "كيش" في زيارة ترفيهية، غير مكترئين بهذه التظاهرات. وفي مقابلة مع صحفي أجنبي، قال عباس علي خلعتبري (وزير الخارجية الإيراني): "إنّ التظاهرات السلمية في إيران حرة"، ولكنه لم يذكر أبداً سبب تظاهرات الناس الإستنكارية وسقوطهم قتلى برصاص قوات الأمن.

الواقعة التي هزت النظام الملكي، كانت في الاستفتاء الذي بعث به جمع من أفراد القوات المسلحة، إلى الإمام عليه السلام، وهذا هو نص الاستفتاء:

(١) "النفط وأزمة الطاقة"، ص ٢٠٨.

(٢) صحيفة "كيهان"، ١٩٧٨/٤/٣ م.

(٣) صحف "كيهان" و"إطلاعات" و...، ١٩٧٨/٤/٤ م.

"لا يخفى على سماحتكم بأنّ العادة جرت على أن يقوم جميع أفراد الجيش بأداء القَسَم بالله والقرآن الكريم عند أخذهم الرتب العسكرية، وذلك للتعهد في المحافظة على عرش النظام الملكي. يرجى أن تبَيّنوا رأيكم وفتواكم في مسألة العدول عن هذا القَسَم، وفي مسألة الانضمام إلى صفوف النهضة الإسلامية العظيمة".

جمع من أفراد القوات المسلحة

م ١٩٧٨/٢/٢١

وكان جواب الإمام كالاتي:

باسمه تعالى

"إنّ القَسَم في المحافظة على السلطة الطاغوتية ليس صحيحاً، ومخالفته واجبة، وعلى جميع من قاموا بأداء هذا القَسَم أن يخالفوه عملياً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

روح الله الموسوي الخميني

وبعد توزيع جواب الإمام، اضطربت أقطاب النظام، وراحوا يبحثون عن حل لهذه المعضلة. فأصدر ما يسمى بالتيار الإصلاحي في حزب "رستاخيز" بياناً تهديدياً قال فيه: "في أجواء العنف ستكون الهراوة، جواباً للهراوة فقط. إنّ أكثرية شعبنا لا يقبلون السكوت ولا الضجيج وكسر الزجاج".

وبعد هذا البيان توالى الأخبار تعلن عن تشكيل مجموعات لمواجهة الاضطرابات، فأعلن عن "تشكيل مجموعات لمواجهة مثيري الاضطرابات".

وتشكيل مجموعات لمواجهة التخريب في خراسان. وأعلن عبد العظيم الوليان الذي كان محافظاً لخراسان: "إنّ مشهد المقدسة، هي أول مدينة يتطوع أهاليها عملياً في مجموعات منسّقة لمنع أعمال الاضطراب".<sup>(١)</sup>

كان لتظاهرات تبريز، وقتل أهالي هذه المدينة العزل صدى واسع بين الناس، وسعت الحكومة للعثور على طريقة لمعالجة الموقف - حسب اصطلاحها - لذا فقد قررت القيام بتظاهرات لصالح النظام في تلك المدينة. وأعلن عبد المجيد المجيدي، أحد القادة الرئيسيين لحزب "رستاخيز" في مقابلة مع الصحفيين: "إنّ مجلس الوزراء يشارك في تظاهرات تبريز".

وأقيمت في تبريز التظاهرات التي كانت تحتاجها الحكومة، بحضور "جمشيد آموزكار" (رئيس الوزراء)، وقال رئيس الوزراء في الاجتماع - الذي أعلن أنّ ٣٠٠ ألف شخص قد حضروه - "إنّ الحكومة ساعية في تشخيص العناصر المثيرة للشغب، وسوف تقوم باطلاع أبناء الشعب على مجريات الأحداث".

ودخل الساحة المهندس "شريف الإمامي" (رئيس مجلس الشيوخ)، الذي كان قليل الكلام في تلك الأيام، وقال في الجلسة العلنية للمجلس: "إنّ الشعب الإيراني سيقوم برفع أي حاجز يمنعه من التقدم".

(١) صحيفة "كيهان"، ١٩٧٨/٤/٦ م.

وقال "جمشيد آموزكار" (رئيس الوزراء التكنوقراطي العريق في خدمة الملك) بعد التظاهرات المصطفة في تبريز للصحفيين: "إن سبب قيام هذه التظاهرات هو رغبة أهالي آذربيجان - عن طريق حزب "رستاخيز" - بتوضيح أن المشاركين في التظاهرات التي جرت قبل ٥٠ يوماً لم يكونوا آذربيجانيين، ولما كان القيام بهذا الأمر غير ممكن قبل أعياد النوروز، فقد أوكل الأمر إلى هذا اليوم. وقد تمكنا اليوم - ومن خلال الإستجابة إلى طلب الأهالي - من مشاهدة مشاعرهم".

وفي تلك الأيام شكّلت منظمة مؤلفة من "السافاكين" والملكيين إسمها "منظمة الإنتقام"، قامت في أول خطوة بتفجير منزلي ومكتبي اثنين من المحامين اللذين أعلنوا عن معارضتهما للنظام. وفي الجمعة الأخيرة من شهر أيار ١٩٧٨م شهدت مدينة أصفهان أكبر تظاهرات ضد النظام. وفي هذه التظاهرات التي انتهت إلى اشتباك بين رجال الأمن والناس، جرح عشرات الأشخاص، وهاجم أهالي أصفهان الغاضبين بناية "اتحاد النساء" وعدة فروع مصرفية وأحرقوها. وكان الوضع في سائر المدن على هذا المنوال تقريباً.

في تلك الأوضاع، كان "فالتشرل" (رئيس جمهورية ألمانيا الغربية) يقوم بزيارة للبلاد، مؤكداً في لقائه بالملك على ضرورة تعزيز العلاقات الوطيدة مع إيران! وفي يوم الإثنين ١٩٧٨/٤/٢٤م قال الملك في مقابلة مع الصحفيين الألمان المرافقين لـ "فالتشرل" (رئيس جمهورية ألمانيا الغربية) سوف نبذل أقصى وسعنا للسيطرة على كل شيء. ولن نتراجع ما أمكننا ذلك، وسوف نواصل سياستنا التحررية لأنني كنت أريد هذا".

ومن أجل استمالة الدول الغربية، أضاف قائلاً: "نحن لا نعتزم المطالبة برفع أسعار النفط.. عندما قلنا لشعبنا أنه حر في كلامه، كنا ندرك وجود ائتلاف غير مقدس بين الرجعيين الحمر والسود.. نحن نسعى إلى إشراك أكثرية الشعب في جميع مسائل حياتهم اليومية، بل حتى الموضوعات السياسية".

ولكن الجميع - حتى الصحفيين الألمان - كانوا يعلمون أن الملك كان يكذب. وفي الصفحة الأولى من نفس الصحيفة نشر في اليوم التالي هذا الخبر: "تم اعتقال القائمين بتوزيع الكتب والمنشورات الضارة"، والمقصود من "الكتب الضارة" هي رسالة سماحة الإمام، أما المنشورات، فهي رسائل وبيانات سماحة الإمام عليه السلام حول أربعينية الفاجعة الدامية في تبريز.

وقد خصصت الصحف الصادرة يوم الخميس ١٩٧٨/٤/٢٧م عناوينها الرئيسية للأخبار التالية:

- دخلت إيران مقادير كثيرة من الأسلحة بصورة غير قانونية.
- تم الكشف عن خفايا قضية تهريب الأسلحة إلى إيران والعربية السعودية، وقضية مقتل سائقين في طريق يوغسلافيا.

- حمل سائق نمساوي أسلحة وعتاد ومتفجرات من طهران إلى نقطة مجهولة.

- أخرجت سفارة النمسا سائق السيارة - الحاملة للعتاد - من إيران.

- حملت إلى إيران أسلحة ومتفجرات نقلت في سيارة.

وفي اليوم التالي، أعلنت سفارة النمسا في بيان لها: "إن المتفجرات التي هربت إلى داخل إيران استُعملت في إحراق بنوك تبريز".

هذه الأخبار افتُعلت ونُشرت من أجل توثيق كلمة "جمشيد آموزكار" الذي كان قد قال: "إن المتظاهرين التبريزيين لم يكونوا من أهالي آذربيجان، وقد جاؤوا من خارج الحدود".

وفي تلك الأيام كانت جامعة "آذربايجان" في تبريز تعاني من التوتر. وقد أدى الاعتصام والتظاهرات العامة لطلبة بقية الجامعات إلى أن يصبح النظام في موقع سيئ، وقد عطّلت الدراسة، وقد تجلّى عجز النظام عن مواجهة الطلبة الجامعيين بشكل لم يسبق له مثيل.

في شهر أيار ١٩٧٨م قام نور الدين تركي (عميل الإتحاد السوفياتي) في أفغانستان بانقلاب شيوعي ناجح. وأدى إلى ضعف الإهتمام بالأخبار المتعلقة بتظاهرات الشعب الإيراني في الصحافة المحلية. إلا أن المقابلة الهامة للإمام قَالَ مع مجلة "لوموند" الفرنسية جاءت على أجهزة تلکس الصحف الهامة في البلد، وقام الصحفيون الملتزمون بترجمتها مباشرة وتوزيع نصها بسرعة بواسطة مؤيدي وأتباع الإمام.

في هذه المقابلة أجاب الإمام بشكل مفصّل على أسئلة "إريك رولو" الصحفي في "لوموند". وعندما سئل: ما هو مقصودكم من الحكومة الإسلامية، حيث تخطر على ذهن من هذا التعبير - بشكل تلقائي - الإمبراطورية العثمانية أو العربية السعودية؟ أجاب الإمام: "مرجع استنادنا الوحيد هو زمان النبي وزمان الإمام علي (عليه السلام)".

من ناحية أخرى، كان السيد كاظم الشريعتمداري يجري مقابلات يومية مع الصحفيين الإيرانيين والأجانب. وعندما سأله صحفي فرنسي عن رأيه حول الحكومة الإسلامية التي كان يؤكد عليها الإمام، أجاب: "إن الحكومة الإسلامية هي موضع حبنا الشديد والعميق، ولكن الظروف الراهنة غير مناسبة لذلك، وقد يكون تحقيق ذلك حالياً بمثابة الأمنية، نحن نطالب قبل كل شيء بتطبيق الدستور".<sup>(١)</sup>

كان الإمام قَالَ مطلعاً بصورة دقيقة على النهضة الشاملة في إيران، وكانت تقارير التظاهرات الواسعة للشعب الإيراني تصله بانتظام، وكان يدعو الشعب باستمرار إلى مواصلة النهضة. وفي الخطاب هذا الذي ألقاه في ١٣/٥/١٩٧٨م بحضور جمع من الطلاب والعلماء وجمع من الإيرانيين المقيمين في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف، شجب ممارسات القتل الظالم في أوائل عام ١٩٧٨م وبشّر سماحته الشعب: "... هذه هي مصائبنا، وهذه هي البشارات، في كل هذه بشارة.. بشارة بانتصار الشعب، بشارة بقطع أيادي الأجانب إن شاء الله، بشارة بالقضاء على هذه العائلة وطردها من هذا البلد، بل من هذا العالم. هذه كلها بشارات، ويجب أن يكون الناس أقوياء، مسرورين غير خائفين".

(١) "نهضة علماء إيران"، ج ٧، ص ١٦٤ و ١٦٥.

وضمن تبشيريه بالنصر القريب، اعتبر الإمام في كلمته مجازر النظام ناجمة عن الجنون الذي يصيب الديكتاتوريين في آخر العمر. وأشار إلى مكائد الملك الأخيرة، فهو يواصل القتل وفي نفس الوقت يبدي الندم، فقال سماحته في وصف هذا الأمر مخاطباً الملك: "إنّ توبتك بالموت فقط. توبة الذنب هي الموت". وفي قسم آخر من كلمته اعتبر قائد الثورة أنّ الدعم الأمريكي سبب في دفع الملك لمواصلة جرائمه. وفي ختام كلمته، أكد على ريادة الحوزة العلمية في قم والعلماء في النهضة الأخيرة، وضرورة وحدة كلمة الطبقات كافة، وتجنّب النزعات الحزبية، ودعا الجميع إلى الإنضواء تحت لواء "حزب الله".

من الخصائص الهامة لهذه الكلمة: إهتمام الإمام وتأكيده على لزوم تنظيم مسائل المواجهة في الحوزات العلمية، وإيجاد التشكيلات والإرتباط التنظيمي بين العلماء والحوزات العلمية من أجل تقدم المواجهة، وقد أدى هذا الخطاب إلى استخدام أساليب جديدة في طريقة المواجهة في داخل البلد. يقول سماحة الإمام بهذا الصدد: ".. الآن وقد انتفضت إيران ينبغي أن لا تكون الإنتفاضة عشوائية، يجب أن تكون هناك علاقات بين حوزة بين حوزة قم وحوزة طهران وجميع المدن، إنّ الأمر يتطلب وجود التنسيق، يجب أن تنظموا صفوف هذه الثورة".

وصل خطاب الإمام هذا إلى إيران بسرعة، وتم استنساخ مئات الآلاف من النسخ بين طبقات المجتمع المختلفة. وقد فزع الملك بشدة، وألغى سفره المزمع إلى بلغاريا والمجر، وأعلنت وزارة البلاط الملكي في بيان أصدرته: "إنّ سفر الملك قد تأخر"، وبدأ الرأسماليون الكبار يفكرون بإخراج رساميلهم من البلاد. قام الملك - الذي خسر أوراقه تماماً - بدفع زوجته فرح إلى الواجهة، وبشرّ في مقابلة بـ "حريات أكثر للجامعات" وقال بحركة متحمسة: "إنني أشعر بالذنب إذا كان هناك أي نقص تعاني منه أية منطقة بعيدة".

عطلت الجامعات، واستمرت تظاهرات الجماهير وطلبة الجامعات. وكان هروب الرأسماليين الكبار من البلد قد بدأ، ولم يتخل الملك عن سعيه غير المثمر. وما عدا الإمام الذي كان يبشّر بثقة بذهاب الملك وانتصار الشعب، والمعتقدين بأقواله بوصفه عارفاً مجاهداً ومرجعاً واعياً، فإنّ بقية المحللين الأجانب وسياسيي النظام، وحتى الأحزاب والشخصيات الدينية والسياسية المعارضة للنظام عموماً كانت تعتبر أنّ إمكانية إسقاط الملك، وأهم من ذلك القضاء على السلطة في إيران أمراً غير ممكن، نظراً لقوة أمريكا. إلّا أنّ الإمام قدس سره لم يتأخر في أداء التكليف الكبير الذي أخذه على عاتقه. الاعتبار من التجربة الهامة في ٥ حزيران، جاء الشعب الإيراني الكبير، هذه المرة بكل وجوده إلى الساحة حتى يتحقق الوعد الإلهي "إن تنصروا الله ينصركم...".



## الخطاب رقم (٢٨)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أدري من أين أبدأ، هل أبدأ بذكر المصائب أم بذكر البشائر. الآن في كل مكان من إيران مصيبة وبشارة<sup>(١)</sup>. لقد وقع ما توقعته سابقاً، فالديكتاتوريون وأصحاب الهراوات يصابون بالجنون في أواخر أعمارهم، وعندما يتوقعون سقوطهم، وحينما يرون أنهم يواجهون الموت أو السقوط عن المقام السياسي، فإنهم يفقدون أعصابهم تماماً، ويتعاملون مع الناس بطريقة جنونية. الآن فإن الشعب الإيراني يعاين هذه المسألة، وأنتم أيها السادة تذوقون لوعة ذلك من بعيد.

إن مدينة قم، مركز العلماء، ومركز الفقه الإسلامي في قبضة جيش المغول الجرار الآن، الجيش الجرار لمحمد رضا خان الأسوأ من "جنكيز خان"، إنهم يسيطرون على المدينة، ويقودون حملات التفتيش من منزل إلى منزل - على ما أخبروني - ومن غير الواضح عن ماذا يبحثون. الجيش الآن مستقر في قم بمدافعه ودباباته ورشاشاته، وجميع المدارس ومنازل السادة تخضع للمراقبة المتواصلة من قبل الشرطة. لقد هاجموا منازل المراجع، وقتلوا البعض في داخل منازلهم، وارتكبوا الجرائم<sup>(٢)</sup> - حسبما بلغنا اليوم - أن السادة هم الآن في المستشفى<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو الجنون الذي عرض لهذا الشخص، ولا أعلم إلى أين سينتهي به. هذا هو حال العصبي الذي يتوقع سقوطه، وهو ساقط لدى الشعب منذ البداية، منذ ذلك اليوم الذي هاجم فيه رضا خان طهران، وقام بانقلاب بأمر من إنكلترا. المطلعون كانوا يفهمون ذلك منذ البداية، ثم وبعد أن بدأ بالتعامل مع الناس بأراذله

---

(١) راجع هوية هذا الخطاب.

(٢) أعلن الإمام عليه السلام، وسائر المراجع يوم ١٩٧٨/٥/٩م إضراباً عاماً بمناسبة إقامة أربعينية شهداء يزد وجهرم وقزوین والأهواز وأصفهان وبعض المدن الأخرى في إيران وأقام أبناء الشعب مراسم العزاء. وشارك أهالي قم في مجالس عديدة أقيمت في منازل المراجع. وفي ذلك الوقت هاجم عناصر النظام الناس العزل فلجأ عدد من الناس إلى منزل آية الله الكلبيكاني، فاقترح عملاء النظام منزله وضربوا وجرحوا العديد هناك. وعلى أثر هذه الحادثة أصيب آية الله الكلبيكاني، فاقترح عملاء النظام منزله وضربوا وجرحوا العديد هناك. وعلى أثر هذه الحادثة أصيب آية الله الكلبيكاني بنوبة قلبية، ونقل إلى المستشفى. وفي اليوم التالي هاجم المأمورون المسلحون الناس في ساحة أرم، وانهالوا عليهم بالشتم والضرب. ولجأ البعض إلى منزل السيد الشريعتمداري، فداهم المأمورون المنزل، وأطلقوا النار، وقتلوا أحد الطلبة الشبان.

(٣) المقصود هو آية الله الكلبيكاني.

وأوباشه وشرطته بتلك الأساليب، وبعد أن تعامل مع العلماء ومع النساء ومع المدارس الدينية ومع التبليغ الديني بتلك الطرق، عرف الناس مع أية مأساة وأي حيوان يعانون. كانت هذه الأسرة ساقطة لدى الشعب من البداية. فالسقوط لم يلحقها الآن. كان هؤلاء ساقطين لدى الشعب قبل خمسين عاماً. إلا أن حركة حدثت لدى الشعب الإيراني الآن. وحسبما قيل فإن الناس خرجوا في أكثر من ثلاثين مدينة في إيران ضد هذا الرجل، وقالوا: "الموت للملك".

هذه الثلاثون مدينة، وكل إيران دخلت إيران من خارج البلد ببطاقة تهريب حسب منطق الملك! هؤلاء الناس هم عدد قليل من مثيري الشغب!<sup>(١)</sup> جميع مراجع الإسلام وجميع علماء البلاد، من أولهم حتى آخرهم ممن ثاروا ضد هذا الشخص، كل هؤلاء جاؤوا من الخارج ببطاقة تهريب! وحسبما ذكر اليوم فإن ستة وخمسين عالماً من علماء طهران إمتنعوا عن الذهاب إلى المساجد اعتراضاً على هذه الممارسات، وأعلنوا أنهم لن يذهبوا إلى المسجد اعتراضاً على ممارسات هؤلاء<sup>(٢)</sup> كل هؤلاء هم عدد من مثيري الشغب! مخلّون بالنظام! علماء طهران، علماء قم، علماء خراسان، علماء آذربيجان، علماء يزد، علماء كرمان، علماء إيران بأسرها هم مجموعة من مثيري الشغب!! ومحمد رضا خان ليس مثيراً للشغب! هو ليس مثيراً للشغب! هو مصلح بدأ يدخلنا إلى بوابة الحضارة الكبيرة! لو أن شخصاً طالع هذا الكتاب الذي كُتب له<sup>(٣)</sup> فهو لا يعرف الكتابة، وهم يكتبون

---

(١) في اتصال هاتفي أجراه الملك مع "كارتر" في أيلول ١٩٧٨ أن اعتبر ثورة الشعب أعمال شغب وقعت على أساس مخططات شيطانية. وقال الوزير المستشار في الأمور البرلمانية: "غير واضح من هي عناصر أعمال الشغب في تبريز، ومن أي حدود دخلت إيران!"، واعتبر منظر حزب "رستاخيز" (جعفریان) أن أعمال الشغب في تبريز قام بها أعداء الشعب الإيراني. وقال أحد نواب تبريز المتلبسين بلباس العلماء: "إن الإسلام لا يسمح أبداً بأعمال الشغب!". وقال السيناتور علي الرضائي في المجلس: "كان القائمون بأعمال الشغب مجموعة من الشبان الذين لا تجربة لديهم، وغير واضح من أي حدود دخلوا إيران، وبأية هوية!" (نقلاً عن "مذكرات بريجنسكي"، ص ١٣).

(٢) راجع هوية هذا الخطاب.

(٣) صدر كتاب "نحو حضارة كبيرة" باسم محمد رضا البهلوي، ومن قبل "مركز شرطة تحقيق ونشر الثقافة السياسية في عصر البهلوي" في عام ١٩٧٧م (أو حسب اعتقاد البعض عام ١٩٧٦م)، وقد تعرضت المسائل غير الواقعية والكذب وأوهام الملك في هذا الكتاب إلى انتقاد حتى الخدم والعملاء والمرافقين الأجانب له. وذكر "فريدون هويدا" الذي ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية: "إن كتاب نحو حضارة كبيرة هو برأيي لم يكن أكثر من عالم خيالي.. يبعد عن الحقائق فراسخ"، واعتبر سفير إيران في إنكلترا الكتاب نوعاً من "الهذيان"، ونتيجة لترشحات عقل شخص مجنون وعليل.

له<sup>(١)</sup> ولا أعلم هل طالعة الآن حتى يفهم أية ثرثرة طبعت في هذا الكتاب، أم أنه لم يطالعه؛ حقيقة لو أنه طالعه لخرجل من القلم الذي يكتب عن الحريات في إيران! بهذا الشكل من عدم الالتزام، وهذا الظلم، وكل هذه المعاناة لدى الناس، وكل هذا القتل، وكل هذا الضرب والقيود، وكل هذا البيع للشعب إلى الأجانب، وكل هذه الخيانة للشعب الإيراني المسلم، وكل هذا "خدمة"! حرية لا يعلم بها أي شخص! مَنْ يقرأ هذا الكتاب سيتصور - وإن كان قد جاء من كوكب المشتري - بأن ما فيه هو من نفس نمط فكر أفلاطون!<sup>(٢)</sup> سيتضح له بأن إيران هي عالم آخر، عالم وراء هذا العالم، ولكن حين يأتي ويدخل إيران، ويرى نمط الحكومة الإيرانية، وكيف هو نمط حكم الملك، عندئذ يفهم أن كل ذلك هراء وكلام فارغ. إقرأوا هذا الكتاب. طبعاً الكاتب الحقيقي شخص مطلع. ولا أعلم الآن هل طالعه أم لا، ولكن الإنسان الذي كتبه مطلع، لكنه جلس وكتب شيئاً عما وراء الطبيعة، عما وراء هذا العالم، وهو يريد أن يوصلنا إلى بوابة الحضارة الكبيرة! أي أن هذا العمل قد حصل! نحن في بوابة الحضارة! نحن الآن دخلنا مدينة ما وراء الطبيعة! دخلنا الآن في الحضارة الكبيرة! ولكن ماذا لدينا؟ ما الذي لدينا غير الكذب والهراء الذي ننسجه بأنفسنا، ماذا لدينا وراء ذلك؟ ماذا لدينا غير هذه الجرائم؟ غير القتل، غير الظلم، غير الكذب. حتى مراسلي الصحف - مع أن وضعهم هو هذا منذ أربعين أو خمسين سنة - إعترضوا الآن وطالبوا بعدم إجبارهم على الكذب إلى هذا الحد، وحسبما قيل فإن أساتذة الجامعات إعترضوا أيضاً، وامتنعوا عن الذهاب إلى الصفوف الدراسية، وهي بهذا الوضع الذي أوجدوه في الجامعات<sup>(٣)</sup> هل هؤلاء مجموعة من الأراذل؟!

هل أن علماء طهران الذين قرروا الآن - حسبما وصلنا اليوم - عدم الذهاب لأداء صلاة الجماعة اعتراضاً على الأوضاع، وحوزة قم المعطلة الآن، يمثلون مجموعة من الأراذل الذين جاؤوا إلى إيران ببطاقات مزورة!

(١) اعتبر الملك نفسه مؤلفاً لثلاثة كتب "مهمة وكبيرة"، وكان يعتقد أن رؤساء الشعوب المتخلفة يجب أن يقرأوا هذه الكتب ويوصلوا شعوبهم إلى الرفاه والتقدم بالاستفادة من أسسه ونظرياته السياسية الاجتماعية. وهذه الكتب التي كان كل منها حصيلة لفترة خاصة من حكم الملك، هي: مهمة لوطني، الثورة البيضاء، ونحو الحضارة الكبيرة. ويبدو ظاهراً أن الكاتب الحقيقي للكتاب الأخير هو "شجاع الدين شفا" مسؤول الأمور الثقافية في زمان رضا خان، وسفير الملك في لندن.

(٢) أي أن كل مَنْ يقرأ ذلك الكتاب يتصور أن المدينة الفاضلة التي كان أفلاطون يريد أن يحققها أوجدتها الملك في إيران.

(٣) في أيار ١٩٧٨م عطّلت أكثر الجامعات الإيرانية، وامتنع الأساتذة عن الحضور في الصفوف الدراسية. وقد كتبت "كيهان" بتاريخ ١٣/٥/١٩٧٨م كتب ١٧٠ شخصاً من أساتذة الكليات المختلفة في جامعة آذربيجان رسالة موجهة إلى رئيس الجامعة أبدوا فيها أسفهم من الوضع الأخير (هجمات النظام على التظاهرات الجامعية، وعدم الإهتمام بمطالبهم)، وأشاروا إلى أن هذا الوضع إذا استمر فإننا سَنَمْتَنع عن الذهاب إلى الصفوف الدراسية.

الأذربيجانيون الذين ثاروا تلك الثورة المنقطعة النظير، ونفذوا ذلك الإضراب الذي ليس سابق له<sup>(١)</sup> هؤلاء كانوا مجموعة من الأراذل! وهكذا اليزديون<sup>(٢)</sup> كل إيران، جميع من في إيران هم مجموعة أراذل حسب رأي هؤلاء. هؤلاء لا يفهمون ماذا يقولون! إن كل من يعارض الديكتاتورية ويعارض خونة الإسلام، وخونة هذا الشعب، وكل من يعارض هؤلاء، هم مجموعة أراذل جاؤوا من الخارج في رأي هؤلاء!

والآن مع كل هذه الأحداث الجارية في إيران، وكل هذه المعارضة في جميع المدن، في ثلاثين وثلاثين من المدن، بل ينبغي أن نقول جميع المدن الإيرانية، في ثلاثين وثلاثين من المدن فقط، هذا غير القرى، فالقرى أيضاً - على ما يقال - تفجرت هي الأخرى هي الأخرى. الآن مع جميع هذه المسائل التي يواجهها هؤلاء، فإنهم حين يتحدثون لا يتخلّون أبداً عن قولهم السابق: "جميع إيران تؤيدنا! جميع الحرفيين يؤيدوننا!" في الليلة الماضية ذكر أن مئة وعشرين وثلاثاً من رؤساء الحرفيين قالوا: إن الحرفيين كافة في طهران أوفياء لكم! ويؤيدون ثورة الملك والشعب! ويستنكرون ما يقوم به مثيرو الشغب! وطلبوا من الحكومة معاقبتهم!<sup>(٣)</sup> هل هؤلاء المئة والعشرين وثلاثين من أهل الحرف هم من خارج إيران! إما أن يكونوا من أهالي طهران أو سوق طهران، فإن السوق في طهران مغلق حالياً منذ أربعة أيام - كما يقال - فهم معترضون، والضجة ترتفع من السوق. مبدأ

---

(١) في ١٩٧٨/٢/١٨م، الموافق لأربعينية شهداء قم، أعلن العلماء في تبريز إضراباً عاماً، وفي ذلك اليوم قرر الناس الاجتماع في مسجد ميرزا يوسف آقا، ولكن عملاء النظام أغلقوا باب المسجد بوجه الناس. وأمام رد فعلهم القوي قامت قوات الشرطة بإطلاق النار عليهم، فهاجم الناس رجال الأمن، فهربوا. ثم رفع الناس أجساد الشهداء ورددوا شعار "الموت للملك" وانطلقت التظاهرات تجوب الشوارع، وحطم المتظاهرون في طريقهم بنوك الصادات التابعة للرأسماليين البهائيين، والبنية المركزية لحزب "رستاخيز"، وتمثال الملك في ميدان الخاقاني، ومعمل الـ"بيسي كولا" (التابع للبهائيين) وعدة دور سينما، ومحلات بيع المشروبات، وأحرقوا عدة سيارات لقوى الأمن، وسيطرت الجماهير على المدينة عدة ساعات. ولكن قوات جديدة للنظام والجيش قامت بهجوم جديد، واحتلت المدينة، وجرح مئات الأشخاص. وفي نهاية ذلك اليوم كانت تبريز تبدو وكأنها مدينة أضرت بها الحرب.

(٢) بعد ثورة تبريز أعلن علماء إيران حداداً عاماً في أربعينية هؤلاء الشهداء، وتجمع الناس في أكثر المدن الإيرانية في الشوارع، وقاموا بتظاهرات ضد الملك. وفي ١٩٧٨/٣/٣٠م وبعد انتهاء مراسيم الفاتحة التي أقامها أهالي يزد في مسجد "الروضة المحمدية" حاصر العسكر الجماهير التي خرجت إلى الشوارع، واستشهد وجرح عدد منهم، ورداً على هذا العمل حطّم الناس الغاضبون زجاج المراكز الحكومية، وبنية حزب "رستاخيز"، وأسقطوا تمثال الملك.

(٣) كتب في صحيفة "إطلاعات" بتاريخ ١٩٧٨/٥/١٣م: "بعد صدور إعلان الحكومة في معاقبة مثيري الشغب والمخلّين بالنظام، أصدر رؤساء وممثلو ١٤٥ نقابة مهنية في طهران يوم ١٣ أيار، إعلاناً عن الحوادث الأخيرة والشغب في طهران والمدن الأخرى عبّروا فيه عن استنكارهم، وطلبوا الحكومة بقمع مثيري الشغب ومعاقبتهم - وجاء في الإعلان المزعوم أن المهنيين في العاصمة مستعدون جميعاً وبصوت واحد لكل أنواع التضحية والنداء من أجل قمع المخلّين وأعداء هذا البلد، وكل نقابة مهنية في طهران هي بمثابة خندق للمحافظة على النظام الملكي والدستور وثورة الملك والشعب!".

الضجة هو الجامعة والسوق. هل جاء الجامعيون من الخارج؟! هل جاء سوق طهران من الخارج أيضاً؟! هل أت أولئك الحرفيين والمئة والعشرين وتيف من الحرفيين الذين أبدوا كلهم الوفاء جاؤوا هم من تحت الأرض؟! نحن في الخارج لكننا لا نرى هؤلاء! ابن الحلال لا يمكنه أن يرى هؤلاء! هؤلاء كلهم مؤيدون!! كل نفوس إيران البالغة ثلاثين وتيف مليون مؤيدون!! عدة آلاف، عدة أشخاص! في البداية كانوا يقولون إنهم بعدد أصابع يد الإنسان مثلاً، ثم زادوا ذلك شيئاً فشيئاً، الآن وصل إلى عدة آلاف، ألفان أو ثلاثة آلاف نسمة يعارضون هؤلاء! وعدة ملايين نسمة كلهم مؤيدون! لكن أين هؤلاء المؤيدون؟ نحن لا نعلم! هل هؤلاء في يزد؟ في قم؟ في طهران؟ في مشهد؟ آذربيجان؟ كردستان؟ أهواز؟ أين هؤلاء الموجودون في ما وراء السكان الفعليين في إيران؟! السكان الموجودون الآن في إيران، الجميع يعلم.. جميع وكالات الأنباء قالت ما ينبغي عليها قوله، فأعلنت أن عشرين وتيفاً – والبعض يقول خمس وعشرون مدينة، والبعض قال: ثلاث وثلاثون مدينة – من مدن إيران شملها الإضراب، والجميع تظاهروا ضد الملك. وفي الإذاعة أيضاً قيلت بعض الأمور ضد الملك وقيلت كلمة أيضاً من قبل هؤلاء، من قبل الملك أو جهازه، قيل إنهم يرون أن كل ما يحدث هو بسبب أحد طلبة العلوم الدينية، يشيرون إليّ، ولكني أقول: إن كل ما حدث هو بسببه. جميع هذه الثلاثين وتيف من المدن التي ثارت، ثارت بتحريك منه. فإنّ اللص إذا قال إنّ الحاكم قطع يدي، يجب أن يقال له: كلا أنت قطعته، الحاكم يقوم بإجراء القانون، أنت نفسك قطعت يدك، أنت سرق. الشخص الذي يسرق تقطع يده.

فكر أنت بذلك، إذا كانت قد بقيت لك قوة على التفكير، فأنت ترى سقوطك بهذه الطريقة من أجل إعادة انتخابهم في المجلس لسنة أخرى – هم أنفسهم قالوا بأنهم سيقون في المجلس إلى سنة أخرى – أنظر أي كلام يتكلمون، حتى نائب أهالي آذربيجان يقول: "إنّ هؤلاء المشاغبين ليسوا آذربيجانيين، فالآذربيجاني لا يمكن أن يعارض الملك". إذًا، من أين جاء هؤلاء؟ من أي جاء المتظاهرون التبريزيون يا أيها السيد النائب؟! ذلك هو وضع مجلسنا، وذلك هو الإنحطاط الذي ظهر في المجلس. تارة يكون السيد المدرّس نائباً في المجلس، وتارة يكون هؤلاء الذين ترونهم. مرة يقف السيد المدرّس ويتكلم أمام الجميع، ويقف أمام رضا خان. وقف معارضاً حتى آخر نفس، وبعد ذلك قتلوه طبعاً. ومرة يكون هؤلاء الذين يتكلمون هذا الكلام من أجل أن يصبحوا نواباً لفترة أخرى، وهم يعلمون أنهم يكذبون، ومع ذلك يقولون. ومن أجل نفعهم وكسب رضا خان ومحمد رضا خان. إنهم بذلك يشتررون لأنفسهم سخط الله (تبارك وتعالى). هذا هو وضع قوانيننا، وهذا هو وضع أحكامنا الشرعية، وهذا هو وضع أسواقنا وهذا هو وضع نفطنا، وهذا هو وضع استقلالنا.

الله يعلم أن بعض أصحاب المناصب هؤلاء يأتون أحياناً لي بصورة سرّية، ويشكون آلامهم من هؤلاء المستشارين الأمريكيين الذين تَفدُّ منهم بين حين وآخر دفعات جديدة إلى هنا، وتقوم بكذا وكذا، ثم يتحدث عن طبيعة المعاملات التي يبرمها أقطاب النظام الفاسدين معهم. وإنّي لا أعلم حقاً، فهو لغز محير بالنسبة لي، لماذا يكون المسؤولون ضعفاء إلى هذا القدر؟ لماذا هم ضعفاء إلى هذا القدر؟ لماذا تقاعسوا وسمحوا بأن يفرض عليهم مثل تلك الفروض؟ لماذا يسمحون للمستشارين الأمريكيين أن يتعاملوا معهم بهذا الشكل؟ لماذا لا

يخرجوا هذا التافه؟<sup>(١)</sup> يقولون: "حسناً، إذا ذهب هذا، مَنْ يأتي مكانه، وما الذي سيحصل؟"، أقول: "إذا ذهب هذا وجاء عبيد الله<sup>(٢)</sup> فهو أفضل" لأنّ أياً كان - إذا جاء سيفكر بطريقة أخرى. فهذا أصبح عاجزاً عن العمل، وهو في أواخر عمره، وأصبح عصبياً ومجنوناً، ويضرب كل مكان، ويقتل ولا أعلم إلى ماذا سيؤول به المصير ومن يأتي، كل مَنْ تتصورونه يأتي، فإنه سيريح الناس على الأقل في أول الأمر. أما إذا بقي هذا، فليست هناك ساعة راحة واحدة. لا تتصوروا أنه إذا ذهب فإنّ الدنيا ستضطرب، كلا لن يضطرب أي شيء. أين هؤلاء المسؤولون الكبار؟ أين المشير الكذائي، والفريق الكذائي واللواء الكذائي، كل ذلك كلام فارغ، هؤلاء يشبهون النواب. فلان يقول: أنا نائب! أي نائب أنت! أين أنت كنائب من هذا الشعب! كل منهم يتحدث عن الشعب، وذلك التافه موجود لوحده، ويقول: نحن وجميع الشعب! هل أنّ هذا الشعب الذي ثار كله ضد هذا التافه، هذا الشعب الذي يرى أنه فقد كل شيء على يده، هذا الشعب الذي يرى أنّ شبّانه قد انجروا إلى الفساد، فهذا الرجل يريد أن يجرّ فتياتهم إلى الفساد، هل أنّ الشعب كله موافق على أصل الثورة؟! (ثورة الملك والشعب)؟! لا يخجلون! يقولون ثورة الملك والشعب!! ليقولوا ثورة أمريكا، وليرحوا أنفسهم. ليقولوا أمر أمريكا، ثورة أمريكا، ولكن لا أدري ماذا يجب أن نفعل. لقد قال في إحدى كتاباته: "إنهم (أي الأجانب) رأوا من الصلاح أن آتي أنا، أولئك الحلفاء رأوا من الصلاح أن آتي للحكم".

الآن أعلنت الأحكام العرفية في قم، حسبما قيل وفي تبريز أحكام عرفية، وفي مشهد أحكام عرفية، أو أسوأ من الأحكام العرفية. الأحكام العرفية ليست هكذا، فالأحكام العرفية على ما هو معلوم أن يأتي عسكري ويصبح حاكماً، ويمنع التجوال بشكل نسبي، ويمنع بعض الاجتماعات. ولكن هل مدهمة بيوت الناس هي أحكام عرفية؟! يدهمون بيوت الناس ويفتشونها! يقال إنّ جميع محلات قم محاط بها هكذا، وهم منشغلون بالتفتيش. يبحثون عن الأسلحة. هؤلاء المساكين يخافون من ظلالهم! لا تتصوروا أنّ هؤلاء الظالمين هم شيء يذكر، لا تظنوا أبداً بأنّ هؤلاء شيء. هؤلاء يخافون الآن من ظلالهم. لقد سيطر الخوف عليهم بحيث أنهم الآن مثل القطة التي تهجم على كل شيء نتيجة ما أصابها من الذعر. هؤلاء أيضاً وصلوا إلى تلك المرتبة، بحيث أنهم يهاجمون الناس العزل باليد والركل، وبكل شيء بالرشاش والدبابة والمدفع وغيره. يبحثون في بيوت قم. قيل إنهم يعتزمون القيام بهذا العمل في آذربيجان أيضاً، يجب أن يفتشوا كل إيران، يجب أن يبحثوا في كل إيران.

كل هذا بتحريك منه، لا بتحريك مني. أنا أحد الطلبة البسطاء مثل سائر السادة الطلاب، مثل سائر السادة في المدن، أنا أيضاً أتألم من ذلك. إنّ أساس المسألة، أساس هذه الثورات، أساس هذه الانفجارات هو نفس

---

(١) الملك.

(٢) المقصود عبيد الله بن زياد، حاكم الكوفة في زمان يزيد، الذي تسبّب في وقوع فاجعة كربلاء نتيجة لتأمره وتدخله المباشر.

هذا السيد، نفس هذا الإنسان. الأساس هو هذا الخائن، فإذا جاؤوا وقالوا خيانة، أنت المحرك، بخيانتك حرّكت الناس. أنت خنت هؤلاء الناس. والناس وقفوا أمامك وتكلموا. ماذا يعمل المساكين الآن. لقد أفقدت هذا البلد الإسلامي كل اعتبار، ولا زلت إلى الآن نشطاً من أجل المزيد من التخریب لهذا البلد.

الناس ضجروا، الناس ضجروا حتى من أنفسهم. فشبّانهم يُقتلون في قم مثلاً، يُقتل الناس، ويتعرض أطفالهم وكبارهم في مختلف المحلات إلى الهجوم، الناس قد سئموا حتى أنفسهم، فنتيجة هذا الوضع، وهذه الأعمال التي قمت بها أنت هنا، إفتقد الجميع أي نوع من الراحة؟ فهل هناك راحة ليوم واحد؟ هل هناك راحة لساعة واحدة حتى تكون لديه حياة؟ حسناً الناس يرجّحون أن لا تكون الحياة هكذا في هذه الدنيا. إذًا، فالتقصير منك أنت، ولا يمكنك أن تصلحه. وتوبتك غير مقبولة لدى الشعب. من الممكن أن تتوب توبة حقيقية، وتعيد للناس أموالهم، وتكفّر عن جميع الذنوب التي ارتكبتها، ومن الممكن أن يقبل الله ذلك منك، فالله عظيم. لكن الشعب لا يقبل. نحن لا نتمكن أن نقبل توبتك. وتوبتك لا تتحقق إلّا بالموت. توبة الذنب هي الموت. أخيراً فكّر في إصدار الأوامر في أن لا يعملوا مع الناس كذا. كان يقول في الليلة الماضية "أمرت عمرو في أن يعاملون الناس بكذا) هذا أيضاً لا تكفره سوى توبة الذنب وهي الموت، إنك تريد أن تفتح طريقاً آخر للجرائم، تريد ارتكاب الجرائم بطريقة أخرى، وإلّا فأنت لا يمكنك التخلي عن جرائمك، تريد ارتكاب الجرائم بطريقة أخرى، وإلّا فأنت لا يمكنك التخلي عن جرائمك. إنّ من تحطمت أعصابه إلى هذا الحد، ويرى أنّ كل الشعب يعارضه، ويخاف أن يتخلى عنه الأسياد نتيجة استمرار معارضة الشعب، والله يعلم أنّ أمريكا الخبيثة هذه لو رفعت يدها عنه يوماً واحداً، لما بقي له شيء، فسوف يأكله المحيطون به.

ولكن ماذا يعمل الشعب الآن؟ المستشارون الأجانب جاؤوا إلى هنا وكل شيء في أيديهم، السلطة في أيديهم. هؤلاء الأشخاص الذين يتكلمون عن حقوق الإنسان، هؤلاء هم الذين أوقعوا شعبنا في مثل هذا اللون من المعاناة. ماذا يعمل شعب ضعيف ليس لديه أسلحة، ليس لديه شيء؟ ولكن لا تتمكن أية أسلحة من مقابلة الإيمان، ولا تتمكن أية أسلحة من مقابلة ثورة الشعب. جميع الأسلحة لا يمكنها اليوم الوقوف بوجه ثورة الجماهير، لا يتمكنون من شيء مهما قتلوا. ومهما صبّوا من هذه المصائب التي تشاهدونها في جميع المدن الآن، وما يتعرض له الناس من الشرطة أو من الجنود والعسكريين المدججين بالدبابات والمدافع والرشاشات، وما يعانونه من تلك المجاميع التي تأتي لتتظاهر وتهتف: يعيش، ويخلد فلان.. أحد التافهين ذهب إلى بيوت بعض المراجع وسحب بندقيته، وهدد بالقول: سأقتلكم جميعاً إذا لم تقولوا: "الخلود لكذا..". ولم يقل أولئك، وسخروا منه - حسبما سمعت - إنّ إخواننا يعانون من هذه الأمور، يأتيهم من يفرض عليهم أن يقولوا: "الخلود لكذا..". هل يصبح من يريدون له الخلود خالداً بمجرد قول الخلود لفلان؟ لقد انتهى كل شيء، فليذهب لشأنه. ليهرب بصمت إذا تمكن أن ينقذ نفسه من أيدي هذا الشعب. بلا معنى قام بإلغاء برنامج سفره إلى خارج البلد

لكي يستطيع أن يمسك بزمام السلطة<sup>(١)</sup> بنفسه، وليشرف بنفسه على قتل الناس، إلا أنه لا يريد أن يترك مكانه لأحد غيره، ليقوم بذلك سواء اذهبت في سفرك هذا أم لم تذهب، فأنت ذاهب لا محالة يا مسكين، وأنت أوصلت الأمور إلى هذا الحد، ولسنا نحن، الشعب لم يوصل الأمور إلى هذا الحد، أنت أوصلتها، لو كانت الحكومة صحيحة، ولو كانت السلطة صحيحة، ولو كان منفذ السلطة صحيحاً ومحجاً للشعب، وكان إسلامياً، أكان من الممكن أن تحصل هذه المسائل؟ أكان من الممكن أن يتظاهر بخلافها، حتماً لم يكن ممكناً وقوع مثل ذلك. وحين ترى أن الجميع قلب واحد، وجهة واحدة، يتظاهرون ضدك. فاعلم أن هذه المسائل هي من تحت رأسك، وأنت أنت السبب في ذلك.

هذه مصائبنا، وهذه هي البشارات. إن في كل ذلك بشائر، بشائر انتصار الشعب، بشائر قطع أيادي الأجانب إن شاء الله تعالى، بشائر القضاء على هذه الأسرة، وطردها من هذا البلد، بل من هذا العالم. هذه كلها بشائر، ويجب أن يكون الناس أقوياء مسرورين غير خائفين.

إن كل ثورة إسلامية لا بد أن يقع فيها مثل هذه الأمور، لا بد أن يقع فيها قتل، ولا بد أن يكون فيها ألم، يجب أن نرى كيف تمكن الإسلام من الانتصار في بداية أمره. هذا الإسلام، وهذا النبي الأكرم ﷺ عندما قام بالاجتماعات، وتمكن أن يثور ضد الشرك والكفر وضد الظلم، عانى من المصائب أمرها، وخاض حروباً، وأعطى شهداء، وتحمل المشقات والجراحات، وعندما ولد الإسلام أعلن منذ يومه الأول عن وجوب الثورة على هؤلاء. فمنذ ذلك الوقت كان برنامجه يعتمد على القتل وتقديم القتلى من أجل إصلاح حال المجتمع، من أجل قطع أيادي هؤلاء اللصوص وهؤلاء الخونة، وإنهاء حياتهم، فهؤلاء مضرّون بالمجتمع. أصحاب البساتين وأصحاب القوافل في قريش مضرّون بالمجتمع. هؤلاء يجب أن ينتهوا، لقد وضع الإسلام منذ البداية أساساً لذلك، ولكنه عندما وصل إلى أيدينا، أصبح بهذا الشكل، وصار المفهوم عنه أنه لا يعدو مطالعة الكتاب دون الإقدام على أي عمل آخر.

الله يعلم كم أنني آسف على الحوزات. أنا آسف على حوزة النجف. أخي إن حوزة النجف بدأت تفقد اعتبارها، تفقد اعتبارها لدى المسلمين. أنا آسف على هذا. الأشخاص ليسوا أي شيء، أنا آسف على الحوزة التي عمرت ألفاً وعدة مئات من السنين، وبدأت تفقد اعتبارها. لاحظوا ما يجري في إيران. اذهبوا واطالعوا الأمور من البداية حتى النهاية. طالعوا إعلاناتهم كافة، طالعوا إعلان التيار المتدين أو التيار المثقف أو تيار أهل العلم، فلن تجدوا للنجف اسم، النجف منسية. أغثوا هذه النجف أيها السادة.

(١) قرر الملك في أيار ١٩٧٨م القيام بزيارة رسمية إلى بلغاريا، لكن اتساع وتصاعد الثورة أدى إلى إلغاء تلك الزيارة، وأعلن في ١١/٥/١٩٧٨م أن الملك أخر زيارته الرسمية إلى بلغاريا بسبب الإصابة بالزكام. وقد كتب "برويز راجي" (آخر سفير للملك في لندن) في كتابه بسخرية: "الجميع يعتقدون بأنهم المحتمل أن تكون جرثومة هذا الزكام قد جاءت من قم!".



حوزة قم هي حوزة حية، تقدّم القتلى، وتُقتل، أقول: إذا تمكنت تُقتل. وهي الآن تتعرض للضغط، ومع ذلك فهي حية، مع ذلك فهي صامدة. طلبة قم صامدون، القمّي صامد، أهل قم صامدون، ولهذا فهم أحياء. هذه هي الصورة التي التصقت في أذهان الناس وهي: قم تبقى هكذا مهما حصل. وأنا آسف على النجف. أنا قمّي، ولكنني آسف على النجف. نحن نحب كل هؤلاء. نحن نحب مثل هذه الحوزة التي ناهز عمرها ألفاً وعدة مئات من السنين. لا تدعوا هذه الحوزة تزول. لا تدعوا هذه الحوزة تُنسى.

وحالياً، حيث ثارت إيران - والله يوفق أولئك الثائرين - يجب أن يكون لهذا القيام نظام، يجب أن لا تكون الحركة مضطربة وبدون نظام. يجب أن تكون هناك علاقات بين حوزة قم وحوزة طهران وجميع المدن الأخرى. المسألة تتطلب علاقات. يجب أن تنظموا هذه الثورة. لا تكن هناك حركات متفرقة. لتكن الحركة منظمة، فإذا وقفت قم يوماً واحداً، فليقف كل الشعب. لا تكونوا متفرقين. لتصبح التيارات<sup>(١)</sup> متحدة. إن من الخطأ أن تقف بعض التيارات - حسب الورقة التي وصلتني مؤخراً من بعض السادة - إنهم يحاولون عزل موقفهم عن العلماء. هؤلاء لا يفهمون، لا يعلمون أنهم بدون العلماء لا يساؤون شاهياً واحداً، وإذا لم تكن وراء هذا الأمر يد تدفع هؤلاء لتسقيط العلماء في كتاباتهم، وإذا لم يكن المقصود بث الفرقة بين التيارات المختلفة وإشاعة حالة التشّت، وإذا كانت ناجمة عن عدم الفهم، وعدم الإدراك، وكانت ناجمة عن هوى النفس، فليرتدع هؤلاء، وليصلحوا، ولتتحد جميع التيارات، وليكونوا منظمة واحدة، حزباً إلهياً واحداً أمام حزب "رستاخيز"<sup>(٢)</sup> ليكونوا معاً حزب الله<sup>(٣)</sup>. كونوا متّحدين، تكلموا معاً. ثوروا معاً. واقعدوا معاً. إن من الخطأ أن تتحرك كل مجموعة على حدة، وأن يتحرك ذلك لنفسه وهذا لنفسه. العلماء مع أولئك، وأولئك مع العلماء. الجامعي معكم، وأنتم مع الجامعي. الكاسب مع الجميع، وهكذا.

(١) الأحزاب والفئات الوطنية والدينية.

(٢) كان الملك قد أمر بتشكيل أحزاب متنوعة، مثل: حزب الشعب، الوطنيون، إيران الحديثة. ولكن في عام ١٩٧٤م أعلن أنّ حزب "رستاخيز" هو الحزب القانوني الوحيد في البلد وجعل العضوية فيه إلزامية، وألّح إلى أنّ على المعارض لهذا الحزب أن يخرج من إيران! كان هذا الحزب يقوم على ثلاثة أسس: الوفاء للدستور، الوفاء للنظام الملكي، الوفاء لثورة الملك والشعب. وانتخب رئيس الوزراء آنذاك، هويدا أميناً عاماً لحزب "رستاخيز"، وأصبح "رستاخيز" مركزاً لتجمع الطامعين في المناصب المختلفة. وبمجرد تأسيس حزب "رستاخيز" اعتبر الإمام ذلك مخالفاً للشرع، وأفتى بحرمة الإنتماء إليه، واعتبر إجبار الناس على الإنتماء إليه نقضاً للدستور. وفي الذكرى السنوية الأولى لتشكيل الحزب، أعلن النظام أنّ أعضاءه هم ثلاثة وعشرون مليون شخص! (كان عدد نفوس إيران آنذاك ٣٣ مليون نسمة)، ولم يسمح الملك أبداً أن تكون للأعضاء جلسات ومباحثات حول النفط والدراسة الإصلاحية أو النقدية للثورة البيضاء، وشراء الأسلحة والتجهيزات، والسياسة الخارجية. وبعد ستة أشهر من تشكيل الحزب أخبر مسؤولو السفارة الأمريكية في إيران واشنطن أنّ الحزب ليس له دور في السياسة الإيرانية عملياً (أنظر: "تاريخ إيران الحديث"، ص ٢٥٧).

(٣) سورة "المائدة"، الآية ٥٦: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وسورة "المجادلة"، الآية ٢٢: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام ما معناه: نحن وشيعتنا حزب الله، وحزب الله منتصر.

أنتم جميعاً تتعرضون لمصيبة واحدة، كلكم تعاونون من مصيبة واحدة. المصيبة هي مصيبة مشتركة. كلنا أصحاب مصاب. ليس أمراً مختصاً بالعلماء، ولا مختصاً بالأحزاب، أو بطلبة الجامعات. هذه ليست مسألة خاصة. إذا أخذ الأعداء النفط، فإنهم يأخذون نفط الجميع، إذا استورد النظام حفنة من الخردة<sup>(١)</sup> بلا معنى إلى البلد، فهذه مصيبة الجميع، إذا جاؤوا بالمستشارين الأمريكيين إلى هنا، فهذه مصيبة للجميع، ليست لواحد أو اثنين، إذا أقاموا قاعدة لأمريكا، فهذه تؤثر على الجميع، إذا خانونا وخانوا الشعب، فهي خيانة للجميع. على الجميع أن يمدّوا أيديهم معاً، من الخطأ أن يعمل كل واحد لنفسه وعلى حدة، هذه خسارة. يجب أن تنظم هذه الثورة، هذه النهضة الموجودة الآن بالفعل. يجب أن ينظمها عقلاء القوم ورؤساء القوم. أي أن تقام العلاقات بين جميع التيارات. يجب أن تكون لدى الجميع علاقات مع بعضهم البعض. يجب أن تكون المجالس في يوم واحد. أحد أنواع التنسيق في العمل التي كنت أريد أن أنفذها في قم، ولم يسمحوا بذلك - أصلحهم الله تعالى - أردت أن يكون في جميع أنحاء إيران يوم واحد للإضراب والتعطيل، يوم واحد للاجتماع، اجتماع أهل العلم. أي إفترضوا أن يوم السبت أو ليلة السبت يكون في طهران اجتماع لأهل العلم، وفي خراسان، وفي القرية الفلانية، وهكذا في جميع الأماكن، كان هذا نوعاً من التنظيم، ولكنهم لم يسمحوا، لأنهم لم يفهموا.<sup>(٢)</sup>

إستيقظوا الآن أيها السادة، كونوا واعين، عدوكم قوي الآن أيضاً. جاء إلى الساحة مسلحاً بالدبابة وبالرشاش. لكن لا تخافوا من هذه الرشاشات، الرشاشات ليست شيئاً، فأنتم على حق، والحق معكم، والله تعالى معكم. نظّموا هذه النهضة التي ظهرت الآن في إيران. نظّموا علاقاتكم وكونوا معاً. ليكن السادة العلماء مع جميع التيارات، ولتكن جميع التيارات مع السادة العلماء. ليكن جميع الشعب في حركة واحدة. ليكن لدى رؤساء القوم اجتماع في وقت معيّن، إفترضوا أن كلمة صدرت يوماً من مكان ما، فليكن الجميع متفقين عليها، ليكن أهالي إيران حركة واحدة. إني أبشّر جميع التيارات التي ثارت في إيران من أجل الإسلام، من أجل إحقاق الحق، إن الصبح لقريب<sup>(٣)</sup> قريب إن شاء الله.

أنتم متصرون إن شاء الله، ولكن بشرط أن لا تكون في البين عوامل مختلفة، بشرط أن لا تؤثر الأهواء النفسانية. هذا يجرّ لنفسه، وذلك يجرّ لنفسه. لا تسمحوا لذلك أن يؤثر على حركتكم. نحن إخوة معاً. أنا من

---

(١) الأسلحة والتجهيزات العسكرية.

(٢) في سنة ١٩٦٣م بعد إطلاق سراح الإمام الخميني من السجن ووقائع سنة ١٩٦٢م، وفي قضية لائحة المجالس المحلية، إقترح تشكيل جلسات أسبوعية للعلماء في يوم خاص في أنحاء البلد، وتحليل المسائل السياسية وارتباط الحوزات مع بعضها، ولكن هذا الاقتراح المؤثر لم يطبق - إلا في عدة حالات - بسبب عدم إطلاع العلماء والمراجع على النتائج الإيجابية لهذا العمل، وعدم تعاون، بل وحتى معارضة بعضهم، وقد نسي هذا الأمر بعد نفي الإمام.

(٣) إشارة إلى الآية ٨١ من سورة "هود" قال تعالى: ﴿أليس الصبح بقريب﴾.

الطلبة، وأنت سيد في قومك، وذلك كاسب، وذلك جامعي، وذلك دكتور، وذلك مهندس، وذلك مثقف. كلنا جميعاً لدينا مصيبة واحدة يجب أن نجلس معاً، ونبكي على مصابنا.  
وفق الله جميع التيارات، وأعطى السلامة للجميع، وقطع الله أيادي الأجانب عن بلادنا الإسلامية إن شاء الله وعن جميع البلدان الإسلامية.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### هوية الخطاب رقم (٢٩)

- العراق/ النجف / مسجد الشيخ الأنصاري، في ٢٣ ج ٢ / ١٣٩٨ هـ، الموافق ١٩٧٨/٥/٣١ م.
- الموضوع: الثورة ضد الملك وضد التدخل الأمريكي في إيران تكليف شرعي.
  - المناسبة: حلول الذكرى السنوية لثورة الخامس من حزيران الدامية.
  - الحاضرون: الطلاب والعلماء، وجمع من الإيرانيين المقيمين في العراق.

### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كانت سنة ١٩٧٨م في منتصفها ونهضة الشعب الإيراني تبلغ ذروتها، وكانت توجيهات الإمام عليه السلام تصل إلى إيران على أشرطة التسجيل وفي صفحات مكتوبة باليد، وبشكل متوال.

التظاهرات متواصلة في طهران والمدن الكبيرة والصغيرة وحتى القرى. والملك ورجال حكمه في وضع صعب للغاية، ومع أنّ الصحف كانت تحت رقابة شديدة من قبل "السافاك"، إلا أنه كان ممكناً إدراك عمق الفاجعة حتى في ثنايا الأخبار الخاضعة للرقابة. الرأسماليون الكبار قاموا الواحد تلو الآخر بنقل ثرواتهم الكبيرة التي جمعوها خلال سنين طويلة من النهب واستغلال المستضعفين، أو بسبب ارتباطهم بالبلاط، وذلك ببيع الأملاك، أو رهنها في البنوك.

إنّ إبداع الإمام عليه السلام في القيادة والتفاعل الإيجابي للشعب في إقامة أربعينيات متتالية، وتحويلها إلى تظاهرات لمئات الآلاف من الأشخاص، أدى إلى حيرة الملك وأعوانه، وكذلك الخبراء الأجانب وبشكل تام. ففي كل أربعينية تعقد في كل مدينة، كان عدد من الأشخاص يُستشهد، الأمر الذي يصبح من جديد عاملاً لتكريم الشهداء في مدينة أخرى، وهكذا.

في ١٨/٢/١٩٧٨م أقيمت مراسم أربعينية الشهداء الذين سقطوا في تبريز، وفي عدة مدن، منها: قم ومشهد ويزد. وفي المراسيم التي أقيمت في يزد في ٣٠ آذار ١٩٧٨م وقع اشتباك شديد بين رجال الشرطة والمتظاهرين، أدى إلى سقوط جمع من الناس بين قتيل وجريح. وبعد هذه الحادثة قدّم الشهيد آية الله الصدوقي شكوى على تلك الجريمة إلى الإدعاء العام في محافظة يزد، واعترض بشدة على تعذيب المتظاهرين

الذين اعتقلوا، واعتبر التعذيب الذي تعرّض له المعتقلون، عملاً وحشياً. كما كتب الشهيد الصدوقي رسائل إلى علماء قم، وأطلعهم على خبر استشهاد وجرح عدد كبير من الأشخاص.

وفي ١٩٧٨/٤/٩م أضرب السجناء السياسيون في سجن "قزل حصار" في كرج عن الطعام بعد إطلاعهم على الحوادث المؤلمة في يزد والمدن الأخرى. وبهذه المناسبة تظاهر الطلبة في جامعات طهران والجامعة التقنية والجامعة الوطنية (جامعة الشهيد البهشتي حالياً) وبعد يومين تظاهر طلبة كلية العلم والصناعة في طهران، وجرح خلال ذلك عدد منهم على أيدي عناصر قوات الشرطة، وفي ١٢ نيسان تظاهر طلبة جامعة تبريز، واستشهد خلال ذلك أحد الطلبة. وفي اليوم التالي أضرب التجار والكسبة في سوق تبريز اعتراضاً على ذلك. وتوترت الأوضاع في بقية المدن أيضاً، وكان الغضب الجماهيري تجاه النظام يزداد باستمرار. وأحرق المتظاهرون دور السينما، وكان إحراق دور السينما، التي كانت مراكز لعرض الأفلام المبتذلة والإعلام الملكي، يدل على اتجاه الناس إلى القيم الإسلامية، وغضبهم من الفن الموظف لخدمة الطاغوت.

وقد أطلق النظام الملكي مصطلح "السجناء المخلون بالأمن" على السجناء السياسيين، وأعلنت الإذاعة البريطانية (B.B.C) في أثناء التظاهرات والإضرابات أنه تم العفو عن ٢٦٠٠ سجين من المشايخين بعد تحسن وضع السجناء في إيران، كما ورد ضمن هذا الخبر أن عدد السجناء المخليين بالأمن قد انخفض إلى ٢٠٠٠ شخص فقط.<sup>(١)</sup>

في يومي ٩ و ١٠ أيار ١٩٧٨ بلغت التظاهرات في قم وتبريز ذروتها وحسبما كتب في الصحف، فإنه بالإضافة إلى هاتين المدينتين، فقد جرت تظاهرات واضطرابات في ٢٣ مدينة أخرى، واعتُقل مئات المتظاهرين في المدن المختلفة، وجُرح عشرات الأشخاص جروحاً بليغة<sup>(٢)</sup>، هذه الأخبار كانت تشير إلى ازدياد قسوة النظام مع المتظاهرين. وحسبما ذكره بعض الصحفيون، فإن المراسلين الذين كانوا يرسلون تقارير من قم وتبريز، ذكروا أن عدد الشهداء هو آلاف الأشخاص. وفي مثل تلك الظروف، كانت العناوين الرئيسية المفتعلة تشير إلى "اضطراب في شيراز تحت الراية الحمراء"، الأمر الذي يدل على ذروة حيرة النظام، وفشل الجهود المكثفة لـ "السافاك".<sup>(٣)</sup>

---

(١) يذكر أن الإذاعة البريطانية وسائر الإذاعات الأجنبية كانت تنشر أخبارها وتحليلاتها في حوادث الثورة الإسلامية بشكل ذكي لصالح أهدافها، ولصالح النظام الملكي، وكانت تقلل من أهمية الوقائع الحاسمة للنهضة، إلا أن الرقابة الشديدة على وسائل الإعلام المحلية، وقيام بعض الإذاعات الأجنبية بنقل وقائع الثورة أدى إلى توجه الناس إلى الاستماع إليها.

(٢) صحيفة "كيهان"، ١٠/٥/١٩٧٨م.

(٣) نفس المصدر.

وبعد التظاهرات الدامية في قم وتبريز وبقية المدن، أصدرت الحكومة بياناً شديداً للهجة أعلنت فيه: "إنّ المخليين بالأمن سيقمعون بشدة". وقد ورد في قسم آخر من هذا البيان: "لقد تصور مثيرون الشعب أنّ الحكومة تتحلى بصبر غير محدود!"، وفي ذلك الحال أعلن المشير "جعفر شفقت" (محافظ آذربيجان الشرقية): "إنّ تبريز هادئة، وكانت جامعة آذربيجان مضطربة فقط يوم الإثنين". وكانت تلك الإدعاءات الفارغة تطرح في وقت كان فيه طلبة جامعات تبريز يقومون باعتصام كامل، فقد كانت جميع الصفوف معطلة، والتظاهرات والإشتباكات تتواصل كل يوم.

كان من المقرر أن يغادر الملك البلد، إلّا أنّ الأوضاع الداخلية أجبرته على إلغاء سفره، فقد أصدر أمير عباس هويدا (وزير البلاط الملكي) بياناً أعلن فيه عن إلغاء الملك سفره، ودون ذكر سبب لذلك. ومرة أخرى شهدت مدينة قم تظاهرات كبيرة، وقام أزام النظام بملاحقة المتظاهرين، واستشهد أحد الطلاب، ويدعى "ستار الكساني"، في منزل السيد الشريعتمداري، وقد أبرق الإمام عليه السلام ببرقية تعزية إليه. وادعى الناطق بلسان الحكومة ما يلي: "تم التعرف على العناصر المثيرة للشغب، وعلى أوكارهم، ولقد أدت مرونة الحكومة في الأشهر الثلاثة الأخيرة! إلى إتاحة الفرصة لمثيري الشغب غير أنّ المسؤولين أصدروا الأوامر الأكيدة على التعامل بمنتهى الشدة مع كل أنواع الشغب". في حين أنّ الحكومة كانت تدّعي أنها تسيطر على الأوضاع بشكل تام وتتخذ الإحتياطات اللازمة. غير أنّ الصحف كانت تذكر: "إنّ الصفوف الدراسية معطلة في أكثر الجامعات".

وبينما كانت جامعة طهران ساحة للإشتباك بين الطلبة الجامعيين ورجال الأمن في ١٩٧٨/٥/٦م، وكانت الأخبار المتعلقة بالتظاهرات والاضطرابات في جامعات آذربيجان وأصفهان والجامعة الوطنية وجامعة العلم والصناعة والجامعة التقنية تنشر في الصفحات الأولى للصحف الصادرة يوم ١٩٧٨/٥/١٦م، وكان رؤساء الجامعات قد اجتمعوا في طهران للبحث عن حل، ذكر في الصحف أنّ الملك وزوجته (فرح) سيذهبان إلى أوروبا الشرقية.

نعم، إنّ تدابير وتوجيهات الإمام قد أثمرت، وأدت إلى وحدة طبقات الشعب كافة مع العلماء، فقد التحم رواد نهضة ٥ حزيران مع طلبة الجامعات بشكل لم يسبق له مثيل، وضمّوا أصواتهم مع قائد الثورة في عدم الرضى بشيء أقل من انهيار النظام الملكي، وإقامة الحكومة الإسلامية.

وقد دخلت الحكومة الإنكليزية - التي يثير اسمها ذكريات مرة لدى الشعب الإيراني - دخلت ساحة الأحداث، فقد أعلن رئيس الوزراء الإنكليزي دعمه للملك، وقال في كلمة ألقاها في مجلس العموم في ١٩٧٨/٥/١٧م: "نحن ندعم إطلاق الحريات في إيران، الأمر الذي يحظى بتأييد الملك، كما ندعم ثبات الأوضاع الأمنية في هذا البلد"، وبعد سماع الملك لهذا الخبر صرّح مباشرة خلال كلمة له: "لا يمكننا الغفلة عن تأمين حاجاتنا الدفاعية!".

وفي ١٩٧٨/٥/٦م أجرى مراسل صحيفة "اللوموند" الصادرة في باريس، مقابلة مع الإمام عليه السلام وسأله عن رأيه في "الحكومة الإسلامية"، وعما يحصل في إيران. وقد كتب في مقدمة مقابله: "التقينا بآية الله الخميني في غرفة صغيرة في قلب مدينة النجف (إحدى المناطق الحارة في صحراء العراق) وفي هذه المقابلة أكد الإمام على عدم تعاونه مع الماركسيين من أجل إسقاط النظام الملكي، واعتبر أن أقصى غاية يسعى إليها هو وشعبه هي إيجاد حكومة إسلامية، وأكد في نفس الوقت أن الرغبة الأولى تنصب على إسقاط النظام الملكي المستبد". وأمام المواقف الحازمة للإمام، كان كثير من الفئات السياسية والأحزاب وشخصيات علمائية - شملت بعض المراجع - تطرح شعار العمل بالدستور والملكية المشروطة والمشروعة، وأن النظام الملكي يعدّ أفضل وسيلة للسيطرة على الأوضاع في الظروف الحالية المتأزمة. ولكن مواقف الإمام كانت تقود المواجهة، وترسم أهدافها بدقة مستندة إلى الدعم الشامل للشعب.

وحل حزيران ١٩٧٨، في وقت كانت إيران بمثابة مرجل يغلي بالدم والنار، وكان الناس يطالبون بسقوط النظام الملكي، ويرددون هتافات: "ما لم يمت الملك، لن يصبح هذا الوطن وطناً"، الوقت الذي كان فيه الملك يتمتع بدعم الشرق والغرب، وكان النظام البعثي في العراق قد بدأ بممارسة الضغط على الإمام عليه السلام ووضعه تحت المراقبة التامة. حذر قائد الثورة الإسلامية من مغبة الإستمرار في مواصلة برامجيه السياسية. ولما وصلت الذكرى السنوية للفاجمة الدائمة في ٥ حزيران ١٩٦٣ توفرت أرضية مناسبة لإلقاء الإمام كلمة تاريخية ليبحث في أهالي هذا البلد روح الثورة من جديد.

ألقي الإمام كلمة شديدة في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف بحضور مئات الطلاب والدارسين في الحوزة العلمية. في البداية قارن بين الحكام المغول ونظام الملك، وشرح أخطاءه ومفاسده، ثم أشار إلى "يوم الله" (٥ حزيران)، واعتبر سياسة إعطاء الحرية الشكلية من قبل النظام حيلة لإنقاذ النظام، وأن أمريكا هي المجرم الحقيقي، وقال في هذا الصدد: "كل ما لدينا من معاناة هي من أمريكا.. المجرم الأول هو أمريكا، والمجرم الثاني هو هذا الملك".

وفي قسم آخر من خطابه، أشار الإمام عليه السلام إلى أوهام الملك في الوصول إلى بوابة الحضارة الكبيرة، وذكر بالتفصيل أمثلة لنهب المصادر الوطنية في إيران على أيدي الغربيين وأمريكا و"إسرائيل"، وما أدى إليه ذلك من الفقر الذي صار أكثرية الشعب يعانون منه. وقال الإمام في تكريم شهداء حادثة ٥ حزيران ١٩٦٣: "يجب أن تظل ٥ حزيران حية.. يجب أن لا ينسى الشعب الإيراني، الخامس عشر من خرداد". كذلك فقد كان تجنّب التفرفة، محوراً آخر اعتمد عليه قائد الثورة في خطابه فقال: "إنه تكليف إلهي، يجب أن تكونوا معاً.. إذا كان المسلمون يداً واحدة، فإنّ أحداً لا يمكنه الوقوف أمام هذا العدد، لا يمكنهم أن يرتكبوا أية حماقة".

وأشار الإمام إلى المواقف التساومية لبعض السياسيين والزعماء الدينيين، وقال: "يجب أن يشار إلى الجاني، بصراحة إن أمكن، وتلويحاً إن لم يكن ذلك ممكناً، وإلا فلا يمكن إلقاء المسؤولية عن هذه الجرائم إلى شخص آخر.. وإذا رأيتم أنّ حزباً يصرّح بأنه يريد الدستور، فهذا معناه أنهم يريدون الملك، وهذه خيانة".

كان هذا آخر خطاب للإمام في النجف الأشرف، إذ قد عطلت دروس الحوزة في النجف بمناسبة حلول العطلة الصيفية، وبعد ذلك - وحتى زمان الهجرة إلى باريس - وكانت تصدر عن سماحة الإمام بعض البيانات التي كان يوجه الثورة من خلالها ويقود الثوار.

## الخطاب رقم (٢٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ إيران بلد نموذجي، وأنا أستبعد أن يكون هناك بلد في جميع بلدان العالم مثل إيران، وشعب مظلوم مثل الشعب الإيراني. ولعل ما يتعرض له لم تكن له سابقة إلا قليلاً. وفي التاريخ أنّ "جنكيز" رغم طبعه الوحشي والصحراوي، ومع سفكه للدماء، كان يتبع قانوناً يسمى ذلك القانون "ياسانامة الكبيرة"<sup>(١)</sup>. ولم يخالف المغول وجنكيز وسائر المغول ذلك القانون. حتى أنّ البعض يقول إنّ احترام ذلك القانون لدى المغول كان كاحترام المسلمين للقرآن في صدر الإسلام. فقد كانت مخالفة ذلك القانون تعني الموت. فالمغول وجنكيز كانوا يتبعون قانوناً، إلا أننا نرى هذا النظام الإيراني، والملك الإيراني هذا، لا يتبعون أي قانون في هذا الزمان، فهل هناك أي قانون يحكم في إيران؟ هل ترون احتراماً لأي قانون؟ هل يقيم هذا النظام وزعيم هذا النظام احتراماً لطبقات الشعب؟ ولندرس الأمور واحداً واحداً، لننظر فيها - بقدر ما نستطيع - واحداً واحداً، لنرى هل أنّ إيران وهذا النظام الإيراني يتبع القانون الإسلامي؟ يقولون إنّ محلات بيع المشروبات في أنحاء طهران هي أكثر من محلات بيع الكتب، وهؤلاء يمارسون نشاطهم بحرية وأمن، وبأي شكل يشاؤون. وإذا تعرّض لهم أحد أقاموا عليه دعوى قضائية، فأيّ من القوانين الإسلامية يجري تطبيقه في إيران، وفي ظل النظام الإيراني؟ هل أنّ النظام الحاكم في إيران يعمل على إجراء العدالة والقضاء على الظلم الذي تكلم عنه الباري (عز وجل) في آيات القرآن، وتعرّض له في الأحكام الإسلامية، وبذلك القدر؟ هل أنّ النظام يعمل على تطبيق العدالة الاجتماعية؟ العدالة الإسلامية؟ هل يخدعون أنفسهم أم أنهم يريدون خداع الشعب؟ ما هو الإحترام الذي يبدیه الملك وحاشيته للقرآن؟ إنّ احترامهم للقرآن ليس إلا للخداع، فهم يطبعونه ويوزعونه على الناس لاستغفالهم<sup>(٢)</sup> تماماً

---

(١) "ياسا" كانت مجموعة قوانين جنكيز، وكان السلاطين المغول يجرونها باسمه. وبموجب هذا القانون كانت بعض الأعمال مثل: الزنا، السرقة، اللواط، شهادة الكذب والسحر، تستوجب الموت. وهناك عقوبات شديدة لعدم احترام الوالدين أو العصيان، وسوء ظن المرأة والزوج ببعضهما الآخر، والإمتناع عن مساعدة المحتاجين. وقانون الحرب كان يقول: إنّ قبائل المغول تساعد بعضها الآخر في الحرب، وكل شخص عسكري كان مسموحاً له أن يأخذ الغنائم التي يحصل عليها.

(٢) من أجل جعل نفسه وجيه الملة، كان الملك يقوم بممارسات مرائية، منها: زيارة بيت الله وحرّم الأئمة (عليهم السلام)، والتباحث مع علماء الدين، وتشكيل مجالس العزاء باسم البلاط، وتشكيل كتائب الدين، وتقوية

كالإحترام الذي تعامل به معاوية مع القرآن حينما أمر برفعه على أسنة الرماح، وقال: تعالوا نعمل بالقرآن<sup>(١)</sup>. هل يحترم هؤلاء القرآن؟ هل يحترم هؤلاء العلماء؟ كم كرم الإسلام العلماء، وأوصى بهم، فهل يحترم هؤلاء العلماء؟ هل أنهم يحترمون مراجع الإسلام؟ حسناً، قبل عدة أيام داهموا منازل السادة المراجع، وكسروا الأبواب والنوافذ، وقتلوا البعض، وعربدوا<sup>(٢)</sup>، والآن فإن القوات الخاصة موجودة في منزل بعض السادة. يقال إنهم موجودون، ويراقبون أولئك المراجع. ماذا فعل السادة الأجلاء حتى يهانوا هكذا؟

هل أن أفراد النظام يعملون بالدستور؟ كان جنكيز يعمل بـ"ياسا" وكان الجنكيزيون والمغول يعملون به. هل أن جنكيز عصرنا<sup>(٣)</sup> وهؤلاء المغول يحترمون الدستور؟ وهل يعملون بالدستور؟ هل انتخاباتهم على أساس القوانين؟ هل تتوفر في النواب الشروط القانونية؟<sup>(٤)</sup> هل أن المجلس يقوم على أساس قانوني؟<sup>(٥)</sup> أي هل يمكن أن يشم من أعمال هؤلاء أية رائحة للقوانين؟ سواء القوانين الشرعية أم القوانين العرفية والدستورية؟ هل

---

البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون، وإعادة بناء أماكن الزيارة. ومن مسرحياته الخادعة: طبع القرآن المختوم بختمه.

(١) مر ذكره سابقاً.

(٢) مر ذكره سابقاً.

(٣) الملك.

(٤) لم يكن انتخاب أكثر النواب في المجلس يتم طبقاً للضوابط القانونية وعلى أساس آراء الشعب، بل أن أغلبهم كانوا يفرضون على الناس. وكان هؤلاء النواب منفذين لأوامر الملك. وكان هناك عرف في أن يذهب النواب في أيام خاصة لزيارة محمد رضا بهلوي للإطلاع على رأيه، ووضعه في جدول أعمالهم للمصادقة عليه. وكان هؤلاء النواب يسمحون للسلطة التنفيذية أن تتدخل في الشؤون المتعلقة بالسلطة التشريعية. لذا صادق المجلسان على كثير من اللوائح المخالفة للدستور (راجع: "تاريخ إيران السياسي المعاصر"، ج ١، ص ١٢١. صحيفة "كيهان" (١٠/١٠/١٩٧٨م). مقالة: "الدستور الإيراني إغتيال بعد الولادة" صحيفة "كيهان" (٩/١٠/١٩٧٨م)، مقابلة مع المظهري نائب المجلس).

(٥) قال أحد نواب مجلس الملك، ويدعى المظهري، في تصريح صحفي بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٧٨م: إن رئيس المجلس تصرف دوماً بشكل يحول دون طرح أية أسئلة في أي وقت. إن الحكومة، وطبقاً للنظام الداخلي للمجلس، كانت تعلن استعدادها للإجابة، ولكن رئيس المجلس كان يعدّ برنامج الجلسة مكثفاً إلى درجة أنه لا تبقى فرصة لطرح الأسئلة، حتى وصل الأمر حدّاً أن أحد أبرز نواب المجلس هدد أن كل من يسأل سوف يُحرم من فرصة الترشيح مستقبلاً! لأنّ الحكومة والحزب في أيدينا! وقال عباس الأخباري (نائب آخر): "عندما كان البحث حول لائحة ضريبة السيارات التي وافق عليها عدة نواب فقط، أعلن المهندس الرياضي أن اللائحة قد أقرت! وحين اعترض رستم الرفعتي أنه لم يوافق أحد، فكيف أقرت؟ قيل له: لا تمزح، قد أقرت في الجلسة العلنية!



لثقافة احترام لدى هؤلاء؟<sup>(١)</sup>، وإذا كان للثقافة احترام لدى هؤلاء فلماذا تعاني مدارس إيران من التعطيل التام أو شبه التام؟ ولماذا يمتنع أساتذة الجامعة عن إلقاء محاضراتهم؟<sup>(٢)</sup> لأنّ محيط الجامعة لا تسمح الحكومة أن يكون هادئاً لأنّ الحكومة لا تسمح أن يكون محيط الجامعة هادئاً. ماذا فعل هؤلاء الطلبة الجامعيون حتى يُحرموا من الدراسة؟ أي احترام يراه هؤلاء للثقافة؟ أي احترام يرونه للجيش؟ هؤلاء الذين يتصورون أنّ الجيش هو من حاشيتهم، ماذا يرون للجيش من احترام؟ الجيش الذي وضعوه تحت أسر المستشارين الأميركيين، الجيش الذي يستخدمونه للحفاظ على نظامهم، ويضعونه تحت سيطرة أولئك المستشارين، وفي أكبر إهانة للجيش الإيراني، وأكبر ذل للجيش الإيراني، ولجميع المسؤولين. لماذا يقبل هؤلاء المسؤولون بهذا القدر من الذل؟ ماذا حصل حتى لا يستيقظوا ويوقفوا ممارسات هذا الإنسان<sup>(٣)</sup> يرسلوه إلى ما هو أهله؟ لأي شيء يرى هؤلاء احتراماً؟ بأي قانون يعمل هؤلاء؟ ليأتوا ويعملوا معنا بقانون جنكيزي. ليكن هناك أساس ما في التعامل، ليكن هناك قانون. ليس هناك غير الفوضى! إيران تسير الآن بالفوضى.

قبل الخامس من حزيران بعدة أيام انشغلوا باعتقال الناس من أجل أن لا يبكي عدة أشخاص في الخامس من حزيران ويشتكوا من المجزرة التي حصلت في الخامس من حزيران، ومن الجريمة التي حصلت بأمر

---

(١) كتب سماحة الإمام قدس سره في قسم من وصيته الإلهية السياسية حول ضربات الناظم البهلوي للثقافة الوطنية والدينية في إيران: من مؤامرات المستعمرين الكبيرة تسلّم مراكز التعليم والتربية، وخاصة الجامعات التي يؤمل أن يسيطر خريجوها على مقدّرات البلاد.. الخطة في الجامعة هي أن يحرفوا الشباب عن ثقافتهم وأدبهم، وقيمهم ويجرّوهم إلى الشرق أو الغرب، وينتخبوا رجال الدولة من بين هؤلاء، ويسلّمونهم الحكم على مصير البلاد حتى ينفذوا بأيدي هؤلاء كل ما يريدون.. ومن المخططات التي تركت مع الأسف تأثيراً كبيراً في الدول وفي دولتنا العزيزة.. إبعاد الدول المستعمرة عن هويتها، وجعلها متغرّبة أو متشرّقة، بحيث أنها تعتبر نفسها وثقافتها وقوتها لا شيء، وأنّ الغرب والشرق القطبين القويين، أنهما أفضل، وثقافتهم أرفع.. إنّ هؤلاء أبقوا الشعوب المظلومة - التي تحت سيطرتهم - متخلّفة في كل شيء، وأصبحت دولهم دولاً مستهلكة، وقد أخافونا من تقدّمهم وقوتهم الشيطانية إلى درجة أننا صرنا لا تجرؤ على القيام بأي ابتكار. وكل شيء لدينا سلّمناه لهم، وسلّمناهم مصيرنا ودولنا، وأصبحنا مطيعين للأوامر طاعة عمياء، وقد أدى هذا الفراغ العقلي المفتعل إلى عدم اعتمادنا على فكرنا وعلمنا في أي أمر، وتقليدنا للشرق والغرب بشكل أعمى، وإذا كانت لدينا ثقافة وأدب وصناعة وابتكار، فإنّ الكتاب والخطباء المتغرّبين والمتشرّقين الذين ليس لديهم ثقافة، إستهزأوا بها، وقمعوا فكرنا وقوتنا المحلية، وعملوا ويعملون على زرع اليأس ونشر العادات الأجنبية - مهما كانت مبتذلة ومخزية - بالعمل والكلام والكتابة، وقدموها ويقدمونها للشعوب بمدحها والإشادة بها.

(٢) مر ذكرى سابقاً.

(٣) الملك.

الملك، بأمر الملك نفسه. فقد كان نفسه قائداً للقوات التي مارست أبشع القتل، أخذوا أعداداً كبيرة من الطلاب والأهالي من قم من أجل أن لا يقوموا بالبكاء، لئلا يتكلم الناس. إعتقلوا حتى الشباب الصغار والأطفال. هؤلاء يأخذون كل مَنْ في الطريق، ويقال إنه ليس في شرطة قم مكان من كثرة المعتقلين هناك.

أي وضع موجود في إيران؟ أية حرية هذه التي أعطوها<sup>(١)</sup> هل الحرية تعطي؟! نفس هذه الكلمة هي جرم. إن كلمة "أعطينا الحرية" جرم. الحرية هي للناس، القانون أعطى الحرية، الله أعطى الحرية للناس، الإسلام أعطى الحرية، الدستور أعطى الحرية للناس، يقولون "أعطينا" أية حماقة هذه؟ ما شأنك أنت حتى تعطي؟ ما هو عملك أساساً؟ "أعطينا الحرية للناس!!" الحرية المعطاة هي هذه التي ترونها. الحرية المعطاة ليست حرية في الحقيقة، إنها حيلة يستخدمونها من أجل استغلال الناس.

إن البعض - من حاشيتهم - راحوا يكتبون أحياناً شيئاً، يكتبون كلمة فيوحدون إلى الآخرين بأن هناك نوعاً من الحرية، وأنّ الأقلام حرة. وطبعاً بين هؤلاء الذين يكتبون يوجد بعض الشرفاء يكتبون عن هموم جميع الطبقات، فهم الآن - ورغم الأخطار الموجودة - يقولون رأيهم. وفي قم أيضاً يوجد عدد كبير من الفضلاء ومن المدرسين (أيدهم الله) يكتبون عن الفجائع، يكتبون عن جميع المسائل تقريباً، وينشرون ويوقعون، ويوجد في التيارات السياسية والحزبية مَنْ يكتبون وينشرون ويقولون رأيهم في المسائل الجارية، يقولون رأيهم بجرأة حتى لو تعرضوا إلى الإهانة والخطر، لكن يوجد أحياناً بين التيارات التي تسمى بالسياسية، أشخاص - وليس من المستبعد أن يكونوا من حاشية الملك ويريدون حرف الأذهان عن المجرم الأصلي متهمين الأدنى منه، الحكومة مثلاً - يتمنون من الله أن يكون الكلام كله موجهاً للحكومة، ويضعون الملك جانباً، ويضعون المجرم الأساسي والأصلي جانباً. وليقل عن الحكومة ما يقال. مرة كنا نريد أن نخطب في الناس، أرسلوا إلينا مبعوثاً طلب أن لا نتكلم عن الأمريكان، حتى وإن مسسنا في الحديث الملك. قلت إن كل مشكلاتنا من الأمريكان، كل ما لدينا من معاناة هي من أمريكا.

هل نضع ذلك المجرم الأصلي جانباً، ونتجه إلى هؤلاء الذين هم تبع وأدوات بيده؟ الآن في إيران طبعاً، المجرم الثاني هو الملك، المجرم الأول هو أمريكا، ونحن الآن نعاني من هذا المجرم، والآخر لا شيء! أو الآخرون ليسوا بالشكل الذي يمثلون شيئاً: لا رئيس وزرائه يستحق الذكرى، ولا وزرائه، ولا نوابه، كلهم لا يستحقون الذكر أساساً، وهو نفسه لا يستحق الذكر، ولكن ماذا نفعل نحن نعاني منه شخصياً. علماء إيران يعانون الآن. أخي إن الشعب الإيراني يعاني الآن. وحسبنا نقل لنا: جاء أشخاص قبل يومين أو ثلاثة أيام وقالوا: "إن القوات الخاصة موجودون في بيوت السادة العلماء، وموجودون بين الناس. ولكن ذلك لن ينفعهم،

---

(١) بعد ثورة تبريز، وعندما تعرض الملك لضغط شديد، قرر "إعطاء الحريات السياسية" وقال في آذار ١٩٧٨م في خطاب له: "قرنا أن نعطي الناس في إيران مزيداً من الحريات الفردية، وقد أساء البعض الاستفادة من هذه الحرية، إلا أن هذه الحركات الفاشلة ليس لها تأثير حتى لحظة واحدة أمام الشعب الإيراني المقتدر!".

فقبل هذا كانوا يستعملون الرشاش والدبابة أيضاً، ولكن ماذا حصل من كل ذلك؟ وماذا فعل هذا الشعب أساساً حتى يعامل هكذا، ماذا فعل؟ قال: دعونا نتنفس.

هذا السيد صاحب بوابة الحضارة الكبيرة!<sup>(١)</sup> ألم يشاهد طهران؟ كتب السادة أنّ أربعين وثيافاً من المناطق السكنية في طهران يسكن أهلها في الأكواخ، ليست لديهم بيوت أساساً، أو أنهم وجدوا ثقباً تحت الأرض وراحوا يعيشون فيها مثل الحيوانات. مناطق كثيرة - ذكروا أربعين وثيافاً من المناطق السكنية وصوروها الآن عندي - هذا السيد لم ينظر إلى الحضارة الكبيرة، إلى طهران هذه التي فيها أربعون وثيافاً من المناطق السكنية المحرومة من كل آثار الحضارة.. ليس فيها ماء ولا كهرباء. ولا طرق معبّدة، ولا أي شيء. ليس لديهم أي شيء، مساكين. أخرجوهم من الأرياف، وأخذوا منهم أراضيهم، وألقوا بهم في طهران. طهران يعيش أربعون وثيافاً من مناطقها هكذا، هؤلاء من سكان الأكواخ يعيشون ببؤس وبمشقة، يعيشون ببؤس. كتبوا لنا أنهم حين يريدون الحصول على الماء لأنفسهم، من المحل القريب من محلّتهم هناك مئة درجة أو أكثر، عليهم أن يرتقوها ليصلوا إلى محل الماء، هؤلاء النساء المسكينات يجب أن يتحملن كل هذا العناء لأخذ الماء. ويحملن الجرات، ويرتقن تلك السلالم.. فكروا بشتاء إيران، يجب أن ينزلن من السلالم، كم مرة يقعن، كم عليهن أن يتحملن من المسكنة حتى يأخذن قليلاً من الماء لأطفالهن. أين سيد الحضارة الكبيرة هذا حتى يرى بنفسه؟ هل أنّ هؤلاء يجهلون ذلك، أم أنهم يتجاهلون؟ قبل يومين أو ثلاثة أيام، ثلاثة أو أربعة أيام ذهب إلى مشهد، ودخل الحرم المطهر. ثم جاء وألقى كلمة على هؤلاء المساكين الذين جمعوهم هناك، وقال: "إننا سنصل بعد عدة سنوات خمسة وستين مليون نسمة، ولا يوجد نفط أيضاً."<sup>(٢)</sup> أخي من الذين يستهلك النفط؟ تكرر القول: لا يوجد نفط. النفط موجود، أنت بدأت تقضي على النفط. أنت الذي وضعت النفط في حلقوم أمريكا والآخرين، لا أنه

---

(١) الملك.

(٢) ذكر خبر سفر الملك وفرح باهتمام كبير في صحيفة "إطلاعات" بتاريخ ١٩٧٨/٥/٢٩م، وكتبت الصحيفة تقول: إستقبل الملك من قبل مجموعة من السادة العلماء! في الرواق المبارك في دار الزهد في الحرم المطهر، وفي هذا المحل رحب السيد النوقاني بالملك، وقال: "وبالإضافة إلى هذا نلاحظ هذه الآثار المعنوية الشهر يارية في بقية البلدان الإسلامية في العالم وفي كل مكان، وهي جذابة كثيراً وتثير الإهتمام في كل مكان مع اسم ملك الملوك البارز!! يا ملك الملوك.. يا شهريار.. إنّ ما هو أمام أعيننا يدفعنا إلى القول: ظل حتى يشرق صبح حكومتك، فهذا إلى الآن من نتائج السحر!!"، وأجاب الملك آريامهر السيد النوقاني بكلمة هذا نصها!!:

"جميعكم لديكم اطلاع على اعتقاداتي الخاصة بالدين الإسلامي المبين، وكذلك نمط إدارة البلد، وحتى عشرين سنة أخرى عندما يصل عدد سكان بلدنا إلى الحد الأقصى تقريباً أي ٦٥ مليون نسمة، وقت انتهاء نفطنا..".

لا يوجد نفط. نحن لدينا مخازن كثيرة، وأتم بدآتكم تبددون هذه المخازن، وأفرغتموها من النفط حتى يصبح الناس مساكين آنذاك. حضرته يريد الاستفادة من الطاقة الشمسية! أخي لماذا.. ما هذا الكلام الذي تقوله؟ عليك أن تخجل من هذا الكلام! أنت تريد الاستفادة من الطاقة الشمسية؟ وبعد ذلك تكون الاستفادة من النفط غير لازمة! لمن تقول هذا الكلام؟! فلنأمر أن لا يقولوا هذا الهراء في الإذاعة. إمنعهم من هذا الهراء الذي يقولونه ويسمعه الناس، وتسمعه النجف أيضاً، وتسمعه أوروبا وتضحك. سكان الأكواخ الذين كتبوا لي أنهم يشكلون سكان أربعين وثييف منطقة من مناطق طهران، وأسماؤها وصورها موجودة الآن عندي، فطهران تشمل حضرة عبد العظيم وحتى شميران. فهذه الضواحي كلها تعدّ من طهران، وكلها من سكان الأكواخ. وهناك أماكن أخرى في طهران وضعها أسوأ. قال لي بعض المحترمين من التجار الذي وفدوا إليّ، بأنّ هناك أماكن أخرى أسوأ، وطلبوا الإجازة في عمل مخزن ماء من سهم الإمام الذي بذمتهم، وإضافة الباقي من عندهم لهؤلاء المساكين الذين يتحمّ على نسائهم الذهاب فرسخاً - ظاهراً كان تعبيره هذا - لجلب الماء إلى بيوتهم، وإرواء أطفالهم. وقد سمحنا نحن بذلك. ولا أدري هل شرعوا بذلك أم لا. جميع المناطق هي هكذا. أنتم حينما ترون مجموعة من العملاء والمرتبطين يتحركون في طهران، وحينما ترون الإزدحام، وترون بعض البضائع الأجنبية والمحلية، وعندما يذهب بعض الغافلين ويرونها، يتصورون أنّ إيران عامرة. ويقولون: الحمد لله، والجميع لديهم سيارات، والجميع لديهم متنزهات، الجميع ماذا. أخي هؤلاء هم حاشية البلاط، هؤلاء هم ناهبون ينهاون الناس. متى كان الناس العاديون هكذا؟ اذهبوا لاحظوا سكان الأكواخ، اذهبوا لاحظوا سكان المخيمات. اذهبوا لاحظوا جنوب المدينة. بل لاحظوا حتى شمال المدينة، في الشمال أيضاً. في شارع "آيزنهاور"<sup>(١)</sup> وهو من المناطق التي يقطنها سكان خيم أو سكان أكواخ. اذهبوا وانظروا إلى هؤلاء، ثم قولوا إنّ البلد متقدمة، وإننا سنصل قريباً إلى بوابة الحضارة الكبيرة، وإننا سنحتفل بها في هذه الأيام!!

هذا من ناحية، فسكان الأكواخ هؤلاء يعانون من هذا البؤس في إيران، ومن ناحية أخرى فإنهم أعطوا جميع الأماكن الجيدة إلى الشركات الأمريكية أو الصهيونية أو الإنكليزية الكبيرة. كتبوا لي - والرسالة عندي الآن - كتبوا أنه عندما جاء زوج ملكة إنكلترا، ذهب وزار سهل "أرجن"<sup>(٢)</sup> فقال إنه أفضل مكان في العالم، إنه أفضل مرتفع لتربية الدواجن بكل أنواعها، وفور ذلك أتّموا هذا السهل، ثم أعطوه للإنكليز. والآن - وحسبما كتبوا لي والرسالة موجودة الآن - إنّ ملكة إنكلترا بدأت مع عدد من الأثرياء والشركات بتنفيذ مشروع هناك لتربية الدواجن حتى يحصلوا على اللحوم. والله يعلم هل سيصدّرون كل ذلك للخارج، أم أنهم سيعطوننا منه.

---

(١) شارع "الحرية" حالياً.

(٢) سهل "أرجن" (أرزن) سهل واسع تابع لمصايف مدينة كازرون. وهو سهل محاط بجبل، وتصب فيه من الأطراف أنهر كثيرة على شكل شلالات تتجمع في بحيرة عذبة المياه في وسطه، وهناك مناطق خضراء جميلة شبيهة بهذه المنطقة كانت تحت تصرف الإنكليز.

سهل عمران<sup>(١)</sup> أيضاً يقع عند أطراف قزوين، يقال إنه أفضل مكان للزراعة. قاموا بترحيل الأهالي القاطنين هناك، وأعطوه لليهود، للصهاينة، أعطوه لهؤلاء، وهؤلاء الآن يستثمرونه. الشركات الأمريكية والصهيونية بدأت تستثمر تلك المناطق. فهذه الأراضي التي تمثل أفضل الأراضي الزراعية هي في أيدي أولئك، وهذا الشعب المسكين يجب أن يظل جائعاً، ويظل مسكيناً ولا يدري ماذا يفعل. هذه هي "حضارتنا الكبيرة"!! الناس ليس لديهم خبز يأكلونه، والسيد يقول حضارة! وإننا نعيش حضارة كبيرة! ونريد أن نوصلكم إلى حضارة كبيرة. وسهل "مغان"<sup>(٢)</sup> أيضاً من السهول التي أمموها، وطردها سكانه، وقضوا على أصحاب مزارع الدواجن فيه. وأعطوه لمجموعة أخرى. وسد "الدز"<sup>(٣)</sup>، هذا الذي صُرف لبنائه سبعمئة مليون، وصرفوا ملياراً ومئتي مليون أيضاً للقناة التي توصل الماء إلى هناك، هذا أيضاً يقدمه الملك وحاشيته إلى أولئك. مئة وخمسون قرية انتهت، أنهوها وأمموها تلك الأماكن، أي أنها لجميع الشعب، لكنها الآن بيد الملك وحاشيته. هذه أشياء كتبت وقيلت، وهناك شواهد على كل ذلك.

نحن نعيش مثل هذه الحياة، نحن نعيش في مثل هذه الحضارة الكبيرة، حيث يأخذون شباننا قبل مجيء الخامس من حزيران ويسجنونهم. ولا ندري هل أن قانون الغاب هو هكذا، المغول أيضاً لم يكونوا هكذا. هؤلاء كان لديهم "ياسا" كان لديهم قانون يتبعونه. بأي قانون يجب أخذ فلان، بأي قانون يجب قتل فلان، بأي قانون يُفعل كل هذا؟ أنتم تقتلون الناس، وتذهبون بلا قانون إلى منازل علماء الإسلام. ما أن ينهض ويقول: "نحن لم نفعل شيئاً"، إلا ويضربه أحد أزمكم ويقتله، ولا يوجد من يقول: لماذا؟! لا أدري هل أن هناك مثيلاً في التاريخ للجريمة التي ارتكبها هذا الرجل في الخامس من حزيران، لا أظن أن ذلك وقع إلا نادراً، أربعوا الناس الأبرياء هكذا. وقال شهود العيان إنهم جاؤوا، وجاءت سياراتهم، وقامت المدرعات بملاحقة الناس، وتركهم مجندين في الشوارع، ولا يسمحون لأحد أن يتأوه على ما حصل في الخامس من حزيران. ولكن يجب أن لا ينسى

---

(١) سهل "عمران" (سهل قزوين) يقع في شمال منطقة "بوتين زهرا"، وهو من السهول الخصبة جداً في إيران في محافظة زنجان، تم تسليمه إلى "إسرائيل" بموافقة الملك، من أجل مشاريع زراعية متقدمة (كتاب "من سيد ضياء حتى بختيار"، ص ٤٩٥).

(٢) يقع سهل "مغان" الذي تبلغ مساحته حوالي مئة ألف هكتار في محافظة آذربيجان، وإلى جانب نهر "أرس". وهذا السهل الواسع والمنبسط هو من أنسب المراتع لتربية المواشي. وتمضي "الأغنام المغانية" - التي هي من أنقى وأفضل أنواع السلالات، والتي تنتشر تربيتها بين قبيلة "شاهسون" - فصل الشتاء في هذا السهل ("جغرافية إيران المفصلة"، ج ٣).

(٣) بُني سد "دز" على بعد ١٥ كلم شمال ديزفول على نهر "دز"، وتم إنجازه في سنة ١٩٦٢م (نفس المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٨).

الشعب الإيراني الخامس من حزيران هذا. يجب أن يبقى الخامس من حزيران هذا حياً<sup>(١)</sup> يجب أن لا ينسى الشعب الإيراني الخامس عشر من خرداد. ويجب أن لا ينسى الشعب الإيراني أياً من الجرائم التي حصلت في الخامس عشر من خرداد وما بعده، وحتى ما قبله على يد رضا خان. يجب أن تكون هذه الجريمة على رأس قائمة قضايانا، ومن أجل أن تكون مبدءاً للتفكير، يجب أن يفكر سادة القوم في هذه الأمور. يجب أن يحافظوا على الخامس عشر من خرداد. إذا تمنّوا أن يعبروا عن ذلك بالضجيج والتظاهرات، وإذا لم يتمكنوا بالمقاومة السلبية وعدم الخروج من المنازل. وإذا رأوا أنّ هؤلاء هاجموا الناس مثل الذئاب، وأرادوا أن يقتلوا شبانهم، فليبقوا في المنازل، ليبقوا في المنازل يوماً واحداً إستنكاراً لهذا النظام، ولممارسات هذا الإنسان، واعتراضاً على هذا الإنسان. إذا تمكنوا فليظاهروا. ولكن يجب عدم النسيان، يجب أن يبقى هذا اليوم حياً وإن شاء الله لن ينسى.

ما هو مهم بعد هذا الموضوع هو أنّ على جميع التيارات الموجودة في إيران بدءاً من المرجعية والعلماء، ومروراً بالجيش والكسبة في السوق، إلى أبناء المدارس بمختلف مستوياتهم من طلاب الثانويات إلى طلاب الجامعات، وسكان الصحاري، وسكان الأكواخ، كل هؤلاء يجب أن يفكروا في التنسيق فيما بينهم، ينبغي أن تكون هناك علاقات بين سادة القوم، يجب أن لا يكونوا متفرقين. فاليوم ليس يوماً يصح فيه العمل بفرق. إذا كنتم متفرقين، فستظلون على هذه الحال حتى النهاية، بل إنّ حالكم ستسوء أكثر، إنه تكليف إلهي، يحتم عليكم أن تكونوا معاً. يجب أن تكون بين كل قادة هذه التيارات علاقات سرّية لا علنية، فإذا تقرر التصريح بشيء أحياناً، فليصرّح الجميع معاً. وإذا تقرر أن يهجموا أحياناً فليهجم الجميع. وإذا تقرر أحياناً أن يسكتوا، فليسكت الجميع. ليكونوا يداً واحدة لا أيد متفرقة. ذلك يريد أن يشكّل حزباً، وذلك مثلاً ماذا يريد أن يعمل، هذا غير صحيح. يجب أن نكون يداً واحدة، يجب أن يكون المسلمون يداً واحدة. إذا كان المسلمون يداً واحدة، فلن يتمكن أحد من الوقوف أمام هذا الجمع، لن يتمكن من ارتكاب أية حماقة. ليس هؤلاء فقط، بل حتى البلدان الكبيرة أيضاً لن تتمكن من ارتكاب أية حماقة. لكن المشكلة هي أنّ أولئك يزرعون بذور التفرقة فيما بيننا، ونحن نصدّق أيضاً. يجب أن نكفّ عن تصديقهم، يجب أن لا نخدع بالظاهر الصالح لهم. هذا المحتال يذهب إلى مشهد مرة أو مرتين في كل عام، ويقف أمام الإمام عليه السلام علينا أن ننظر ماذا يقول الإمام عليه السلام لمثل هذا الإنسان. الله يعلم لو أنّ الإمام عليه السلام كان حياً لما سمح له بالدخول إلى حرمة؟ هل يمكن أن يسمح الإمام الرضا عليه السلام لفاسق فاجر بالدخول إلى حرمة؟ هل يسمح بدخول إنسان قاتل جان؟ ولكنه الآن غائب، لذا فإنهم يوعزون لأحد الملالي ليقوم بدور التمجيد، وإثارة الصخب، ونثر الأكاذيب، وأنّ الناس جميعاً يحبّون الملك.. إلى غير ذلك، وهو نفسه ذهب أيضاً إلى مكان آخر، فانظر ماذا عمل! وماذا قال من كلام!

---

(١) في رسالة للإمام قدس سره بمناسبة الخامس من حزيران ١٩٧٩، اعتبر يوم الخامس من حزيران ١٩٦٣ بداية الثورة الإسلامية، وأعلن الذكرى السنوية للخامس من حزيران حداداً عاماً إلى الأبد.

يجب أن تكون هناك علاقات، يجب أن تكون أعمالكم وفق علاقات وضوابط. يجب أن تكون أعمال المسلمين وفق برنامج محسوب. يجب أن تتعاون الأحزاب معاً. لا ينبغي أن يتصرف كل حزب بطريقة الخاصة، هذا الحزب موقفه كذا، ذلك الحزب موقفه كذا، ذلك الحزب لا أدري ماذا، كل منهم يعمل لنفسه، يجب أن يسيروا إلى الجاني، إذا أمكن أن يفعلوا ذلك بصراحة فيها، وإلا فليكن ذلك بالتلويح، وإن لم يمكنهم القيام بذلك فلا يلصقوا الجريمة بشخص آخر، ليقولوا إن هناك جريمة. فلا يقولوا إن الحكومة قامت بهذا العمل، ما هي الحكومة؟ أو أن الشرطة قامت بهذا العمل، ما هي الشرطة؟ مساكين من يقولون هكذا.

بالأمس، أو أول أمس.. جاءني بعض السادة وقال: إن الحكومة بعثت بسبعة عشر شخصاً - إما أنهم كانوا من المسؤولين المهمين في جهاز الدولة أو أنهم كانوا بعض المهمين بالإضافة إلى أشخاص آخرين - إلى قم لتنفيذ بعض الجرائم، إلا أن هؤلاء السبعة عشر شخصاً إختفوا فجأة. وأن ما لوحظ من الدوريات التي قاموا بها في قم، وعمليات التفتيش في كل مكان إنما كان للعثور على هؤلاء المسلحين، هؤلاء كانوا قد إختفوا مع أسلحتهم. وفي الجيش هكذا أيضاً الآن. أنتم تتصورون أن أفراد الجيش مرتاحون من هؤلاء! حينما يقوم هذا الشخص بتسليم زمام الجيش بأسره إلى أيدي أربعة مستشارين أمريكيين، فيكون جميع ما يخص الجيش في أيديهم، ويكون جميع هؤلاء المساكين تحت الضغط، فهل يمكن أن يكونوا بعد ذلك مسرورين؟ إلا اللهم أن يكونوا عديمي الغيرة أساساً، وإلا إذا كان الشخص غيوراً، فلا يمكنه أن يكون مسروراً بهذا الوضع. هؤلاء أيضاً ينبغي أن لا يسكتوا، ويجب أن تكون لديهم علاقات أيضاً مع سائر الفصائل المعارضة. يجب أن تكون هناك علاقات بين الأحزاب والعسكريين، بين العسكريين والعلماء، ويقوم الجميع معاً بالتخطيط لإزاحة هذا الإنسان. إن الأمة الإسلامية والشعب الإيراني لن يكفّا عن هذا الإنسان. وإذا قال شخص بالصلح معه، فهو خائن<sup>(١)</sup>. إن شعبنا لن يتصلح معه. ليس هناك أي عالم دين يفكر بالصلح مع هذا الإنسان، وليس هناك أي كاسب، وأي مسلم يفكر بالصلح معه. لم يبقَ طريق للصلح. ما هو السبيل الذي تركوه؟ أي طريق تركوه لهم؟ قتلوا كل هؤلاء الشبان، ثم يريدون أن يتم الصلح! وكل هذه الإهانة لمقدساتنا، ثم نتصلح! أي صلح هذا؟ ليس لدينا صلح. لقد افترأوا على السادة بأنهم قالوا بالصلح. إنهم يفترون كذباً. ليس لدى أحد نية للصلح مع هؤلاء. لا يمكن أن يقع مثل هذا الشيء. الشعب الذي ذهب كل ما لديه أدراج الرياح، والشعب الذي ضاع اعتباره وسائر الجوانب المعنوية المؤثرة في حياته، مضافاً إلى ما فقدته من ثرواته على يد هذا الإنسان، كيف يتصلح معه؟ أحد كبار السياسيين<sup>(٢)</sup> يقول: "إن المسلمين الإيرانيين لديهم أحد طريقين: إما الحصول على الحرية أو بقاء هذا

(١) أنظر هوية هذا الخطاب.

(٢) المراد هو المهندس مهدي بازركان. فقد أجاب في معرض ردّه على سؤال وجهه إليه مراسل التلفزيون البلجيكي في مقابلة معه: هل هناك صلح بين النظام الحالي والحرية أم لا؟ قائلاً: كلا! يجب أن يضخى بأحدهما في سبيل الآخر، فما دام هذا الملك موجوداً في إيران فإنها لن ترى وجه الحرية (راجع: "تاريخ إيران المعاصر"، ج ٩، ص ٢٢٩). ومن الجدير بالذكر فإن المهندس بازركان لم يكن يطالب بإقالة الملك وسقوط النظام الملكي بنفس الحزم والسرعة التي كان يطالب بها الإمام. فقد اعترف في مقابلة مع حامد الكار أنه ومن يشاطره في الفكر (عالم وغير عالم) لا يرون من الصلاح أن يقال الملك من الملكية فوراً (راجع "نهج المساومة"، ص ١٠٢، وهوية محاضرات باريس).

الملك. إما أن يختاروا وجود هذا ويعيشوا تحت ضغطه وتعسفّه إلى النهاية، أو يختاروا الحرية، ويخرجوه من حياتهم، وبما أنهم سوف يختارون الحرية بالتأكيد. إذاً فهم سيطردونه بالتأكيد إن شاء الله تعالى".  
أخي، يقع علينا جميعاً تكليف معيّن.. تكليف إلهي. فالشعب بدأ يفقد كل ما لديه، بل إنه فقد كل شيء، والإهتمام بأمور المسلمين من أوجب الواجبات. يجب أن تكونوا مهتمين بهذه الأمور، وإلاّ فلستم بمسلمين<sup>(١)</sup>.  
إنّ من الأمور اللازمة علينا جميعاً، ونحن جميعاً مكلفون بحفظ كيان الإسلام في إيران. إنّ هذا الشخص لا هو جيد مع الإسلام، ولا مع القرآن، ولا مع الإمام الرضا عليه السلام. فإنّ مَنْ لديه معرفة بالإسلام لا يرتكب مثل هذه التطاولات.

نحن جميعاً مكلفون أن نشور ضد هذا الشخص، ثورة بالأقلام وبالخطاب والكلام، وفي الوقت المناسب بالسلاح. وعندما يحين الوقت المناسب فأنا أول مَنْ يحمل السلاح. ولكن إذا لم نستطع فعلينا أن نتكلم ونتحدث.

بعد أن قضوا على كل اعتباراتنا، وبعد أن قضوا على جميع مراتعنا. سمعت أن حوالي أربعين ألف قناة جفّت في إيران، لأنهم أغلقوا هذه السدود جفّت هذه القنوات، وعندما تجفّ القنوات تنتفي الزراعة، وعندما تنتفي الزراعة فإنّ أهلها يرحلون إلى مكان آخر ليواجهوا الفقر والبؤس، فهم يرحلون إلى طهران أو إلى أية مدينة أخرى. وهناك تعمّد في هذه الأعمال، فهم يقومون بذلك حتى يجمعوا الناس في المدن ويسيطروا عليهم، وحتى يقضوا على أية معارضة يمكن أن تظهر في الأرياف، فهناك في الأرياف تصعب السيطرة على الأوضاع. وهذا ما يقوله كل مَنْ لديهم معرفة بالسياسة، إنهم يقولون بأنّ هؤلاء يريدون ترحيل أهالي الأرياف، وأهالي المناطق الجبلية، فهم يخططون لترحيل "البختاريين" الموجودين في المنطقة الجبلية، و"البلوش" الموجودين في الصحاري والمناطق الجبلية إلى المدن حتى يستطيعوا السيطرة عليهم هناك. أي أنهم إذا أرادوا أن ينسوا ببنت شفة في أي وقت، فإنهم يتمكنون من السيطرة عليهم بالمدفع والدبابة. ولكنهم إذا كانوا يعيشون في المرتفعات فلا يمكن السيطرة عليهم هناك. أحياناً ترى أنّ جميع الطبقات تشور على السلطة، وفي ذلك الوقت تسري الثورة إلى كل مكان. على أية حال فإنّ المهم في الأمر هو أنّ "الفائدة" من كل ذلك تذهب إلى الغرب والشرق، فكل ما هو موجود يصير إلى أولئك.

إنّ وضع إيران الآن هو وضع لا مثيل له، وحتى لو كان له مثيل من حيث ما يقع فيه من الجرائم وقتل الناس، فلا مثيل له من حيث ضياع الثروات في إيران. طالعوا في العصور السابقة وإلى أي مدى، فإنكم لن تجدوا مثل هذه الحالة، حيث تعطى جميع المراتع الجيدة في إيران للغير وللشركات الأجنبية، جميع ثرواتنا

---

(١) روى الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله أنه قال: "مَنْ أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم. ومَنْ سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين، فلم يجبه فليس بمسلم" ("أصول الكافي"، كتاب الإيمان والكفر، باب الإهتمام بأمور المسلمين).



السلمكية في الجنوب والشمال أخذوها من أيدي الناس، وأصبحت الشركات الأجنبية تسيطر عليها. ذكر أنّ سبعة آلاف شخص قُتلوا في الشمال<sup>(١)</sup> حتى تم تأمين الثروة السلمكية - حسب اصطلاحهم - واستولى النظام عليها، وأعطاهما لشركات أجنبية كبيرة.

إذاً، فهذا نفطنا، وهذه ثروتنا السلمكية، وتلك مراتعنا، وتلك غاباتنا الغنية، كلها تفوّض إلى الأجانب. قد تتصورون بأنّ تأمين الغابات هو أمر في صالح الشعب! كلا إنّ هذا مجرد لفظ التأميم، هو مثل بداية الحضارة التي يقول عنها، فهذه كلمات جوفاء، ليس لها حقيقة. فقد أعطوه بعض الغابات الجيدة جداً، والتي يعتبر ما فيها من الخشب من الأنواع الجيدة الصالحة، إلى شركة رومانية، وهي تواصل إبتلاع الأرباح. قال في كلمته: إنّ إيران كانت قبل هذا بعدة سنوات قد قسّمت إلى منطقتين لنفوذ الروس والإنكليز، وقد جننا نحن وعملنا كذا وكذا. أنا لا افهم هذا الكلام، كيف لا يشعر هذا الإنسان بما يقول؟! أو أنه يشعر، ويريد استغلال البعض. فلماذا يقول في الإذاعة: إنّنا أنقذنا إيران من هاتين الدولتين؟! حسناً كيف أنقذتم إيران؟ أنتم تفوّضون الآن مراتعكم إلى الآخرين، فبعضها تأكل منها السيدة الإنكليزية<sup>(٢)</sup> وحاشيتها، وبعضها الآخر يأكل منه الأميركيان والصهاينة، والبعض الثالث تأكلونه أنتم وأطفالكم وأبنائكم. أي تأمين هذا؟! أي إنقاذ هذا؟ نعطي لأولئك جميع ثروات بلدنا، ونكون نحن خداماً لديهم؟ شعبنا يجب أن يكون خادماً، ويسلم لأولئك جميع ثرواته، وجميع ما يحصل من كد أيديهم، ومن ذكائهم؟ "نحن أنقذنا إيران!" كيف أنقذتم إيران؟! أنتم أضعتم إيران إلى الأبد، أنتم قضيتم على الثقافة الإيرانية تماماً. نحن الآن إذا أردنا طبيباً، فيجب علينا أن نذهب إلى إنكلترا، وفي كل عدة أيام يذهب شخص إلى إنكلترا للمعالجة. إذا كان لدينا أطباء فلماذا نذهب إلى إنكلترا؟ وأنتم قضيتم على الجامعات. ليس لدينا الآن جامعة حقيقية. إنها صورة جامعة، أنتم لا تسمحون حتى لهذه الصورة أن تحفظ. ماذا يعمل الجامعيون المساكين؟ وماذا يعمل أساتذة الجامعات وهم يواجهون الهولولات؟ إنّ كل ما لإيران من اعتبار أصبح طفيفاً. جميع اعتبار إيران أضاعه هذا الإنسان. وجعل إيران طفيلية، أعطى الشركات الكبيرة ما يمكن الإستفادة منه، وأكل هو وحاشيته قسماً منه بإذن من أولئك، ورخل هؤلاء المساكين الذين كانوا في القرى.

(١) قام النظام بإيجاد قوات ساحلية للثروة السلمكية مع نظام أمني لها من أجل أن يحصر صيد الأسماك في إيران بيده، وكذلك من أجل تأمين الشركات الأجنبية في إنتاج بيض الأسماك، وكان مسموحاً لهم قتل الصيادين غير المرخص لهم بالصيد. من هنا كانت تحصل أحياناً اشتباكات بين الصيادين من أهل المنطقة الذين لم يكن لديهم طريق للعيش غير الصيد من دون رخصة من جهة، وبين خفر السواحل من جهة أخرى. وفي إحدى الليالي قام عدد من الصيادين في الشمال مع نسائهم وأبنائهم بالذهاب إلى البحر وإلقاء الشباك، فأطلقت القوات النار عليهم، وقتلت عدداً كبيراً منهم. وبأمر من "السافاك" منع ذووهم حتى من إقامة مراسم العزاء (أنظر: "من سيد ضياء إلى بختيار"، ص ٥٦١).

(٢) ملكة إنكلترا.

ويقول صنعنا الفلاح! هؤلاء الفلاحون المساكين رحّلواهم من تلك الأماكن. فأهل المخيمات الواقعة في أطراف طهران، وأهل الأكواخ فيها، هؤلاء المساكين كانوا فلاحين، يقومون بتربية المواشي، ويهيئون لإيران الصوف والدهن واللحم. كل هذه الأمور انتهت الآن، وحالياً يجب أن تُستورد كلها من الخارج. فاللحم يُستورد من الخارج، والحنطة تُستورد من الخارج. لقد أنهى هذا الشخص زراعتنا تماماً، وأنهى ثقافتنا، وأنهى جيشنا، وأنهى اعتبار جيشنا، ويتصور أنه يستطيع أن ينهي علماءنا، لكنه لن ينجح إن شاء الله.

تكليفنا الآن كمسلمين أن نوحّد كلمتنا، وأول الكلام هو أن يرحل هذا الرجل، وبعد ذلك نقوم نحن بإعادة البناء. على رأس جميع الأمور التي يجب أن نتفق عليها هي أن يرحل هذا الشخص. وإذا خالف أحد فإنه يخون الإسلام. إذا رأيتم أحد الأحزاب يقول أو يكتب: بأننا نريد الدستور – وهذا القول بشكل مطلق معناه أنه يجب أن يظل هذا الشخص – فاعلموا بأنه خائن. يجب على أولئك الذين يقولون بتطبيق الدستور، ويطالبون بحقوق الإنسان، أن يقولوا بالدستور بعد إصلاح تلك المواد التي تمت المصادقة عليها بقوة الحراب. فنحن شاهدنا القضية أنّ هذه المواد التي وضعت في الدستور، وأوصلت هؤلاء إلى هذه السلطة المنحوسة، فرضت بقوة الحراب، لا أنّ الناس مثلاً أقاموا مجلساً تشريعياً أو شيئاً من هذا القبيل، لم يكن للناس أي اختيار، والحراب هي التي قامت بهذه الأعمال. هذه المواد ليست مواد مقبولة لدى الشعب، وهذه المواد التي تثبت أركان حكومة هؤلاء يجب أن تزول. وإلا فلا اعتراض لدينا على الدستور، أو تنمة الدستور، أو الإصلاحات على تنمة الدستور. ولكن بعد أن يتم إصلاحه ويقول بالدستور، ولا يقيد هذا المعنى بالإصلاح فإنه – وإن كان ما يقوله مبهماً في إشارة إلى ما بعد الإصلاح – يسير باتجاه غير صحيح، أو أنه قد يكون غير ملتفت. والآن وبعد أن أوضحت الأمر، فعليه أن يلتفت.<sup>(١)</sup>

نحن كلنا موظفون أن تكون لدينا علاقات فيما بيننا وفيما بيننا، وبين الآخرين، ينبغي أن تكون هناك علاقات بين التيارات العاملة في الداخل والخارج، بين علماء الإسلام مع سائر العلماء، بين المراجع وسائر علماء البلاد، بين علماء الإسلام مع الأحزاب. فاليوم ليس يوماً مناسباً لأن يكون الحزب الفلاني على حدة والعالم على حدة. الحزب لا يمكنه القيام بأي عمل. والعالم يحتاج أيضاً أن تساعد الأحزاب في عمله. هاتان الطائفتان يجب أن تتعاونوا على تحريك المسلمين في إيران. ويجب أن يكون هناك تنسيق بين الجميع. ويجب أن تكون لديهم علاقات مع المسؤولين الذين لم يفقدوا شرفهم بعد، فكثير منهم يتألمون من هذا العناء، يجب

---

(١) من الذين لم يكن لديهم مسير صحيح هو السيد كاظم الشريعتمداري. كان في ذلك الوقت بوصفه أحد مراجع التقليد من ذوي القوة والنفوذ، وكان راضياً بإجراء مضمون الدستور لعام ١٩٠٦م الذي كان يعطي العلماء حق الإشراف على القوانين الصادرة، ولم يكن يريد شيئاً أكثر من ذلك. وللإطلاع على الإتصالات السرية لهذا الشخص مع عملاء الملك و"السافاك" والأجانب، والعراقيل التي وضعها في أهم مرحلة من مراحل ثورة الشعب الإيراني المسلم (راجع: "الشريعتمداري في محكمة التاريخ" (مكتب وثائق الثورة الإسلامية – سنة ١٩٨٢م).

أن تكون لديهم علاقات مع أولئك، حتى تحصل الثورة يوماً ما. وبالثورة يتم القضاء على هذا الإنسان إن شاء الله، وتشكل الحكومة الإسلامية، وتجري أحكام الإسلام إن شاء الله. الآن لا وجود للأحكام الإسلامية في إيران. هل الطلاق الواقع في إيران يطابق الأحكام الإسلامية؟ هل أنّ النكاح فيها مطابق للأحكام الإسلامية؟ هل أنّ المعاملات فيها مطابقة للأحكام الإسلامية؟ أي شيء فيها إسلامي؟ هل يكفي أن يذهب جنبه لزيارة الإمام الرضا عليه السلام؟ هل يكفي أن يرأى فيخدع الناس؟!

نسأل الله أن يوقظ الإيرانيين، وأكثر يقظة من هذا، ويحفظ الحوزات الدينية، ويحفظ الحوزات الإسلامية.

نسأل الله أن يُبعد أيادي الأجانب عن هذا البلد، ويوحّد جميع البلدان الإسلامية معاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### هوية الخطاب رقم (٣٠)

فرنسا/ باريس / محل إقامة الإمام المؤقتة في باريس، في باريس ٦ ذي القعدة ١٣٩٨ هـ، الموافق: ٩ تشرين الثاني ١٩٧٨ م.

- الموضوع: النظام الملكي سبب جميع المفسد، وأمريكا هي الحامية للنظام.

- المناسبة: إلقاء الإيرانيين المقيمين في فرنسا بعد رفع الحظر الفرنسي على نشاطات الإمام السياسية (أول خطاب في فرنسا).

- الحاضرون: جمع من الطلبة الجامعيين والإيرانيين المقيمين في الدول الأجنبية.

#### الظروف السياسية وأهمية الخطاب ونتائجه

كان الشعب الإيراني يقترب مع مرور كل يوم وأسبوع وشهر من عام ١٩٧٨م، من حالة تحقق توقعات الإمام في ما يتعلق بانتهاء النظام الملكي، في وقت كان المحللون السياسيون في العالم والحكومات الأوروبية وأمريكا تظهر حالة من الاطمئنان وتأمل في نجاح الملك في مواجهته للثورة الإسلامية، بل حتى الشخصيات الوطنية والدينية في داخل البلد كانت تعتقد وحتى الأيام الأخيرة بأن أمريكا سوف لا تسمح بسقوط الملك عن أريكة السلطة، فضلاً عن انهيار النظام الملكي. وكان أصحاب هذا التحليل يؤكدون في لقاءاتهم مع سماحة الإمام في باريس على رأيهم، وكانوا يطالبون بتغيير أسلوب الإمام في المواجهة.

في الوقت الذي كان فيه الشعب الإيراني بأسره يسعى ويرغب في إسقاط النظام الملكي، وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يتعرضون كل يوم لرصاصة جلادي الملك، في أزقة وشوارع المدن المختلفة، وفي الوقت الذي طالب فيه الإمام عليه السلام بعدم إقامة احتفالات الثالث والخامس عشر من شعبان جرياً على العادة في

الأعوام السابقة<sup>(١)</sup> كانت بعض الأحزاب وبعض السياسيين التقليديين يتحدثون عن انتخابات حرة، وعن أسلوب المواجهة التدريجية والمواجهة السلبية<sup>(٢)</sup> .. وفي الحوزة العلمية اعتبر السيد كاظم الشريعتمداري، خلال مقابلة مع الصحافة الأجنبية في ١٩٧٨/٧/٢٠م، أن حل الأزمة يكمن في "تطبيق الدستور". وبعبارة أخرى في بقاء الملك وسلطته ودون أن يشير أدنى إشارة إلى المطلب الأساسي الذي كان الناس يؤكدون عليه، وهو القضاء على النظام الملكي، وإقامة الجمهورية الإسلامية، فقد قال: "لذا عندما تؤكد أنه يجب مراعاة الدستور وتطبيقه بشكل كامل، فإن أحد الأمور الهامة في ذلك هي الانتخابات، فالانتخابات يجب أن تجري بشكل صحيح وحر

(١) جاء في قسم من رسالة الإمام عليه السلام: "إننا نشهد الضربات المؤلمة التي يوجهها الملك للإسلام العظيم والبلدان الإسلامية، لذا فلا احتفال لدينا.. ويمكننا الاحتفال بالعيد في ذلك اليوم الذي ندمر فيه أساس وبنیان الظلم والظالم، ونقطع يد العائلة البهلوية الظالمة عن البلد، وذلك اليوم قريب إن شاء الله تعالى".

(٢) أرسل مسؤول نهضة الحرية في آب ١٩٧٨م اقتراحاته إلى الإمام عليه السلام في النجف الأشرف على أساس ما كتب في كراس "ملاحح الحكومة المؤقتة من الولادة وحتى الرحلة"، وهذه فقرات منها: .. والأفضل أن تكون الحافة الحادة للهجوم على الإستبداد لا الاستعمار! الحرب في جبهتين مانع للنصر، والمصلحة سوف لا تكون في إثارة حفيظة أمريكا وأوروبا التي تقف ضدنا مع الملك.. جميع الحركات الوطنية والدينية الأخيرة بدأت بالمطالبة بضرورة إقامة الانتخابات الحرة من قبل الحكومة. وقد رحب القادة بذلك، وتمكنوا من الدخول في النشاطات الإنتخابية، ومن طرح آرائهم بشكل أفضل. الهدف النهائي طبعاً هو إسقاط النظام الملكي، ولكن في المرحلة الأولى يتم التأكيد على ذهاب الملك، ثم التأكيد في المرحلة الثانية على إشراف ومحدودية صلاحيات الذين يحلّون محلّه في إطار القوانين الموجودة، وعلى إطلاق الحريات!! أما المرحلة الثالثة فهي العمل على.. يجب أن تكون الحكومة الإسلامية الهدف الوحيد والمقصود النهائي لكل مسلم. إن الدقة في المواقف المذكورة والعبارات الواردة أدناه تبين الكثير من حقائق الثورة في عامي ٧٧ و ٧٨ مع الأخذ بنظر الاعتبار المتكلمين، وتاريخ تحدّثهم بهذا الكلام: "إن الحكومة الإسلامية وإقامة نظام عادل في إيران يحظى بتأييدنا الشديد والعميق، ولكن ما نطالب به حالياً وفي الظروف الراهنة وننتحدث عنه هو العمل بالدستور.. ومن أهم الأمور التي نؤكد عليها هي الانتخابات" مقابلة مع السيد الشريعتمداري ١٩٧٨/٦/٣٠م "يجب أن تشيروا إلى الجاني.. أمريكا هي المجرم الأول، والمجرم الثاني هو الملك.. إذا رأيتم في كتابة أحد الأحزاب ما يخرج منها أننا نريد الدستور، فإن قول هذا بشكل مطلق، معناه أن الملك يجب أن يبقى" (خطاب الإمام الخميني "س"، بتاريخ ١٩٧٨/٥/٣١م). قال السيد بازركان: "الملكية في إيران من الناحية التاريخية كانت مؤسسة إستبدادية وليست مشروطة..". وقال: "إن نهضة الحرية تعتقد بالدستور. إذا كان الملك مستعداً لإجراء جميع مواد الدستور، فنحن مستعدون أن نقبل الملكية..". وقال بازركان: "توجد هناك مسألتان إحداها نظرية وهي: هل سيقبل الملك بالدستور؟ والأخرى سياسية وهي: هل أنه سيراعي ذلك؟". هل هو مستعد أن يسلم مقدار من السلطة إلى المجموعات التي من الممكن أن تتقدم؟". قال توكلي: "إن باعتقاد نهضة الحرية أنه لا يقوم بهذا العمل..". لقد كان أولئك يأملون باستمرار المباحثات المفصلة والصادقة (وأكد على كلمة "صادقة")، ويشير بذلك إلى مقابلة المهندس مهدي بازركان والمهندس محمد توكلي من "نهضة الحرية" مع "جان دي ستمبل" (موظف في القسم السياسي في السفارة الأمريكية) في ١٩٧٨/٥/٣٠م في "دروّس" في طهران (مجموعة وثائق وكر التجسس، الأحزاب السياسية في إيران" ج ٢، ص ٢٠٣).

ووطني، وبالشكل الذي يتمكن فيه المسلمون من انتخاب ممثليهم الحقيقيين بدون أي ضغط، حتى يتشكل مجلس وطني وشعبي بحضور الممثلين الحقيقيين للناس. ومن المسلم به آنذاك أنّ مجلساً كهذا سيراقي الدستور، وسيحول دون المصادقة على ما هو خلاف الشرع..<sup>(١)</sup>

كانت إيران آنذاك تلهبها التظاهرات المضادة للنظام. وحتى جيران قصر الملك، كانوا يلعنون الملك: "قل: الموت للملك" و"وليمت ولي عهدك أيها الملك الخائن" - كان شعار الزقاق والسوق - الذي كان يبين عمق استياء الناس. الرجل الذي كان يصبح قبل عدة سنوات على ذلك - في حضور مئات رؤساء الدول وملوك بلدان العالم وآلاف الأشخاص من الذين قام بتربيتهم بغرور تمثلاً بقوة أمريكا - "يا كورش، يا ملك الملوك، نم مرتاح البال فنحن يقظون". كان قد حُرِم النوم في تلك الأيام والليالي، ولم تعد لديه قدرة على التفكير، كان مستعداً للقيام بأي عمل من أجل البقاء.

وفي مقابلة أجريت معه في ١٧/٨/١٩٧٨م عبّر الملك عن عمق حقه وبغضه للشعب الإيراني المسلم، الذي رزح تحت ظلمة سنين طويلة، وثار عليه الآن بأمر رجل من سلالة الحسين عليه السلام وهدده في هذه المقابلة، مظهراً خيالاته المجنونة بهذا التعبير: "نحن نعدّ الناس بحضارة كبيرة، وأعداؤنا يعدّونهم بخوف كبير".

وبعد يومين، لمس الناس عمق كلام الملك هذا بشكل مفعج. ففي ١٩/٨/١٩٧٨م - الذكرى السنوية للإنتقال الأمريكي ١٩٥٣ - أحرقت سينما "ركس" في آبادان، بينما كان مئات النساء والرجال والصغار والشيوخ والشبان يشاهدون فيلم "كوزنها"<sup>(٢)</sup>. وقد كان إحراق السينما تفسيراً جيداً. في هذا اليوم - وكما أقر بذلك باضطراب مسؤولو النظام وبشكل متفرق في مقابلاتهم - قام مأمورو "السافاك" بتوزيع مواد محرقة في صالة العرض وإقفال أبوابها من الخلف، وأحرقوا السينما مع جميع المشاهدين فيها، وعند إطفائها أرسلوا سيارات بدون ماء، ومنعوا الناس من مساعدة المصابين! في هذه الحادثة المؤلمة، احترق حوالي ٨٠٠ شخص من النساء والرجال والكبار وهم أحياء، وتحقق الوعد الذي أعطاه الملك (الخوف الكبير من الأعداء).

بعد وقوع هذه الفاجعة، جرت في آبادان تظاهرات واسعة، وقال الإمام قدس سره في رسالة موجهة إلى الشعب الإيراني في ٢٢/٨/١٩٧٨م وضمن تقديمه التعازي إلى المفجوعين: "... تبين القرائن أنّ قضية آبادان المؤلمة، هي مثل المجازر في سائر المدن الإيرانية، حصلت من مصدر واحد، وهل لغير الملك وذويه نفع من هذه الجريمة؟ في ٢٧/٨/١٩٧٨م أقدم الملك على إقالة "جمشيد آموزكار"، وعيّن المهندس جعفر شريف الإمامي رئيساً للوزراء محلّه. وكان الإمامي - وقبل أن يتولى هذا المنصب - رئيساً لمجلس الشيوخ، وهو من أهم عناصر

(١) "نهضة علماء إيران"، ج ٧، ص ٢٢٤.

(٢) فيلم "كوزنها" من إنتاج مسعود الكيمائي، كان من الأفلام البعيدة عن الإبتدال إلى حد كبير، وكان يصوّر ملامح من المفاسد الأخلاقية والضغط البوليسي. كان فيلم "كوزنها" قد عرض عام ١٩٧٨م في أكثر دُور السينما في إيران. وقد عرضت سينما "ركس" في آبادان هذا الفيلم أيضاً.

النظام الملكي، ومن الماسونيين المعروفين؛ وقد أطلق على وزارته اسم "وزارة المصالحة الوطنية"، وأعلن عن مواجهة شكلية وإعلامية مع العناصر الفاسدة في النظام هادفاً من ذلك - بشكك رئيسي - إعطاء الإمتيازات إلى بعض الشخصيات المعارضة، وشق صفوف المعارضة، وكسب الأشخاص والمجموعات المعتدلة إلى جانبه، وهو مشروع ناجح نفذته الحكومة الأمريكية سابقاً في كثير من الأزمات السياسية والاجتماعية في دول العالم الثالث.

وبعد تولي مقام الصدارة، أقدم شريف الإمامي فوراً على إرسال رسالة خاطب فيها الشعب الإيراني بالقول: "إنّ الوطن في خطر، إنهضوا أيها الناس!". في هذه الرسالة ألغى الإمامي التاريخ الملكي المزيف، وأصبحت هجرة حضرة الرسول الأكرم ﷺ مبدأ التاريخ الرسمي مرة ثانية، وأعلن عن حرية نشاط الأحزاب السياسية.

وحول حكومة شريف الإمامي قال الدكتور يد الله السحابي - وهو من مؤسسي جمعية "الدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان" ومن مؤسسي "نهضة الحرية في إيران" - إذا قامت الحكومة الجديدة بمراعاة حقوق الناس، واحترمت الحريات المقررة في الدستور، وأطلقت سراح السجناء السياسيين، وأعادت العلماء من المنفى.. فنحن نرحب بإجرائها، وسوف نطرح المشكلات على الحكومة بدلاً من مراجعة المراجع والمنظمات الدولية! كما صرّح الدكتور كريم السنجابي بالقول: إنّ الجبهة الوطنية تحرس الدستور دائماً وتعتبر مواده - التي لا تقبل التجزئة - مواد راقية جداً، وممكنة التنفيذ!! على أن يتم تطبيق جميع هذه المواد معاً.<sup>(١)</sup>

وقال المهندس بازركان في مقابلة مع وكالات الأنباء الفرنسية: "القلق هو في أن يتغلب الإستياء العام على الأحزاب المعارضة، وفي النتيجة يزول كل أمل في إمكانية بلورة الحوادث المقبلة. هذه حركة قوية ومفاجئة وتلقائية، وبإمكاننا متابعتها، لا أن نسيطر عليها، لأنهم لم يسمحوا أن نبين رأينا عن طريق الصحافة، وعن طريق المؤسسات السياسية".<sup>(٢)</sup>

وفي ١٩٧٨/٨/٣٠م أعلن شريف الإمامي: "إننا نحاول رفع الاختلاف مع مراجع التقليد، ونتباحث مع زعماء الفئات المختلفة ونقبل آراءهم". وفي نفس ذلك اليوم أعلن السيد الشريعتمداري في مقابلة أجريت معه: "إنّ إجراء الدستور هو مطلب العلماء في الوقت الراهن".

واتخذت الجبهة الوطنية أسلوباً سياسياً، وأعلنت ١٢ مطلباً لها، أهمها: حل منظمة الإستخبارات والأمن في البلاد (السافاك)، وإطلاق سراح السجناء السياسيين، وعودة المنفيين، وإطلاق حرية النشاطات السياسية.

(١) صحيفة "إطلاعات" (١٤/١١/١٩٧٨م).

(٢) صحيفة "كيهان" (٢٧/٨/١٩٧٨م).

ولأول مرة منذ سنة ١٩٦٣ - حيث نشر في الصحف خبر نفي الإمام عليه السلام - نشرت صحيفة "كيهان" صورة كبيرة للإمام من ثلاثة أعمدة وزينت صفحتها الأولى باسم الإمام، الثلاثاء ٢٩/٨/١٩٧٨م، واختارت هذا العنوان: "مباحثة لعودة سماحة آية الله العظمى الخميني".

وكتبت "كيهان" - والتي كانت قد طبعت منها طبعة ثانية في نفس اليوم نتيجة الإقبال على شرائها لاحتوائها على صورة الإمام - "تشير التقارير غير الرسمية إلى أن هيئة - من قبل الحكومة - توجهت إلى النجف، تسعى إلى استحصال موافقة سماحة آية الله العظمى الخميني على العودة، ولكن لم يتوفر حتى الآن خبر عن ردة فعل سماحة آية الله العظمى".

وفي ذلك اليوم وصل عدد نسخ الصحيفة إلى حد لم يسبق له مثيل، بسبب نشر صورة الإمام عليه السلام وذكر اسمه في الصحيفة، فقد عملت ستة أجهزة كبيرة للطباعة في "كيهان" دفعة واحدة من الساعة ١٢ ظهراً حتى الساعة ١٠ مساءً، ووصل عدد نسخ الصحيفة إلى مليون ومئتي ألف نسخة، وفي بعض الأحيان تم شراء نسخة واحدة من "كيهان" بمئة ضعف قيمتها، ووقف الناس ساعات طويلة صفوفاً منتظمة من أجل شراء الصحيفة، ونشرت صحيفة "إطلاعات" أيضاً صورة الإمام في طبعتها الثانية.

وأصدر الإمام عليه السلام في ٧/٩/١٩٧٨م بياناً اعتبر فيه تعيين شريف الإمامي تديلاً لعنصر بعنصر آخر، ورفض كل أنواع المصالحة مع النظام، وأكد: "أن الشعب يطالب في تظاهراته بتنحية الملك والعائلة البهلوية. فهذا هو مطلب الشعب، لا الوعد الفارغ باحترام العلماء والإغلاق المؤقت لأماكن القمار، ولا الأمر الذي لا قيمة له في استخدام التاريخ الإسلامي بشكل خادع ومؤقت..".

وقد سد الموقف القوي للإمام عليه السلام الطريق على كل أنواع الأعمال والمصالحات من قبل الشخصيات الدينية والسياسية والتيارات المعتدلة.

كان ٤/٩/١٩٧٨م مصادفاً لعيد الفطر السعيد. وأقيمت صلاة عيد الفطر بحضور مئات الآلاف من أهالي طهران في تلال القيطرية، بإمامة الشهيد الدكتور محمد مفتّح. وكان اجتماعاً عظيماً لم يسبق له مثيل في إيران حتى ذلك اليوم. وبعد إقامة صلاة العيد، سارت مسيرة ضمت مئات الآلاف من الناس وهم يهتفون "تحية للخميني" ويحملون لافتات تطالب بـ "زوال نظام الملك" و "إقامة الحكومة الإسلامية" استمرت إلى ساحة الحرية (شهياد).

وفي ٦ أيلول، أرسل الإمام عليه السلام رسالة شكر للشعب الإيراني على تظاهراته الرائعة، واعتبر أن من الصلاح للحكومة أن تستقيل، وأكد في رسالته: "إن شعبنا الآن أمام طريقين، الانتصار والنجاح في إخراج الملك، أو الموت تحت أحذية الجلادين بعزة ورأس مرفوع أمام الخالق والخلق، أو الذلة الدائمة لا سمح الله. وإن الشعب الإيراني المسلم لن يقبل بالذلة أبداً.. إطمئنوا إن شاء الله فالنصر والرفعة قريبة".

كتب "وليم سوليفان" (آخر سفير أمريكي في إيران) في كتابه: "إن المسيرة العظيمة في عيد الفطر هزت الملك أيضاً. وفي السابع من أيلول وقعت تظاهرات واسعة أخرى في طهران، وتقرر إقامة تظاهرات ومسيرة

أخرى لليوم التالي في ميدان "جالة" في طهران (ساحة الشهداء حالياً). كان الملك قلقاً من سرعة سير الأحداث. فاستدعى في اليوم السابع من أيلول قادة القوات المسلحة، وعقد معهم اجتماعاً مطولاً. وفي ختام هذا الاجتماع، تقرر إعلان الأحكام العرفية في طهران وعدة مدن أخرى، وحدد صباح اليوم الثامن من أيلول تاريخاً لإجراء تلك المقررات".

وفي يوم الجمعة، الثامن من أيلول، وبينما لم يطلع أكثر الناس على إعلان الأحكام العرفية، اجتمع في ساحة "جالة" آلاف الأشخاص لينظموا تظاهرات أخرى، ففوجئوا بعناصر الأمن الذين حاصروا الساحة والشوارع المحيطة بها، وانهاكوا بسيل من رصاص أسلحتهم الأوتوماتيكية، وكان للنساء المسلمات مع أطفالهن حضور كبير في تلك التظاهرات. فسقط الأبرياء مخرجون بدمائهم بينما كانوا يرددون شعار "الموت للملك، تحية للخميني"، واستمرت التظاهرات، بحيث أنه كتب فيما بعد بأن عدد الشهداء في ساحة "جالة" والشوارع المحيطة بها، كان أكثر من أربعة آلاف، ولم يحدد أبداً العدد الدقيق للشهداء والمجروحين في تلك "الجمعة الدامية".

كتب "سوليفان": "في تلك الأيام كان هناك مؤتمر في أمريكا لرؤساء أمريكا ومصر و"إسرائيل" في "كامب ديفيد"، ووصلت إلى "جيمي كارتر" الأخبار المتعلقة بالأحداث الجارية في إيران، خلال تلك المباحثات، واطلع عليها زعماء مصر و"إسرائيل" أيضاً. كان أنور السادات من الأصدقاء المقربين للملك، فقرر الإتصال هاتفياً بالملك من هناك وإبلاغه مواساته ودعمه. وبعد هذا الإتصال الهاتفي بقليل، إتصل الرئيس "كارتر" أيضاً بالملك، وليس لدي اطلاع عن تفاصيل تلك المكالمات، ولكني أبلغت في ما بعد أن "كارتر" عبّر في هذه المكالمات الهاتفية عن دعمه للملك، وكان هذا الإتصال الهاتفي في الحقيقة بديلاً للرسالة التي حُمِلت بها من قبل رئيس الجمهورية للملك. واستقبل الملك بعد ظهر اليوم - الذي حصلت فيه تلك المكالمات الهاتفية مع الملك - مجموعة من التجار الأمريكيين الذين كانوا يزورون إيران في تلك الأيام. وبعد اللقاء بالملك، جاءت هذه المجموعة إلى محل إقامتي في السفارة للمشاركة في مأدبة غداء، وذكرت قضية لقاءها ومباحثاتها مع الملك. قال هؤلاء إن الملك استقبلهم بعد عدة دقائق من الوقت المحدد. وقال موضحاً هذا التأخير أنه كان منشغلاً بالتحدث مع الرئيس "كارتر". ويظهر أن اضطراب الملك خف قليلاً بعد هذا الإتصال الهاتفي، وكان مرتاحاً إلى حد ما خلال لقائه مع ممثلي الشركات والتجار الأمريكيين. على أية حال، كان الإتصال الهاتفي لرئيس الجمهورية الأمريكية بالملك في تلك الظروف يعتبر أفضل تقوية روحية له، ولم أسمع بعد ذلك من الملك أبداً اتهام منظمة C.I.A بالتآمر لإسقاطه".<sup>(١)</sup>

بعد ذلك زار طهران الجنرال ضياء الحق (رئيس الحكومة العسكرية في باكستان)، والتقى بالملك، ولكن نص المباحثات لم ينشر.

(١) "مهمة في إيران"، ص ١١٥.



وبعد يومين من الجمعة السوداء ٨ أيلول، ومقتل مئات الأشخاص في ساحة "جالة"، قدّم شريف الإمامي برنامجه للمجلس، وأعلن خلال ذلك: "إننا سنقطع جذور الإستياء". وبعد البحوث التي جرت في المجلس، صوّت المجلس بالثقة بشريف الإمامي بـ ١٧٦ صوتاً، وأعلن مباشرة أنّ الماركسيين كانوا عاملاً أساسياً في أحداث العنف! وفي تلك الحال قام الإمامي بمناورة سياسية، وأصدر أمراً باعتقال فريدون المهدي (وزير التجارة السابق)، ومنصور الروحاني (وزير الزراعة السابق) من قبل القائمة في طهران.

وقد غطى وقوع زلزلة "طبس" على بقية الأخبار، في هذه الواقعة توفي أكثر من عشرين ألف شخص، وجرح وصدم آلاف الأشخاص. وتوجهت إلى "طبس" هيئة يرأسها الشهيد آية الله الصدوقي بالنيابة عن الإمام عليه السلام.

قال أحد الصحفيين في تقرير هاتفي له أرسله من مشهد، وحفظ في أرشيف "كيهان" بسبب منعه من الصدور إستناداً إلى المادة الخامسة من قانون الأحكام العرفية، وتطبيق قانون رقابة المطبوعات "مع وجود الحاجة الشديدة إلى المساعدة لدى الناس، فإنهم لم يُبدوا رغبة كبيرة في قبول مساعدات الحكومة، ولكن وجود آية الله الصدوقي الذي جاء إلى المنطقة من قبل الإمام عليه السلام كان مؤثراً إلى درجة أنّ جميع الناس طرحوا عليه مطالبهم".

في ٢٥ أيلول ١٩٧٨م أعلن عن حل تشكيلات حزب "رستاخيز"، وقال رئيس الوزراء: "إنّ مشاركة جميع الأحزاب القانونية في الانتخابات ستكون حرة".

ومع وجود الأحكام العرفية في طهران وإحدى عشرة مدينة في البلد، فإنّ التظاهرات والمسيرات إستمرت بنفس القوة، ولكن الصحف لم تتمكن من نشر هذه الأخبار.

ومن أجل إخماد غضب الجماهير، كان الملك يقوم كل يوم بمناورة جديدة، ففي ٢٦ أيلول ١٩٧٨م أعلن الدكتور علي قلي أردلان (الذي كان قد أصبح وزيراً للبلاط الملكي بدلاً من أمير عباس هويدا): "يمنع استخدام نفوذ العائلة المالكة في المعاملات الحكومية، وقد منع أفراد العائلة المالكة من كل أنواع التوصيات، واستخدام النفوذ والمعاملة والمشاركة في الأمور المتعلقة بالحكومة، والمؤسسات والشركات المتعاملة مع الحكومة، وتتحول ملكية المؤسسات والجمعيات وهيئات الأمان التي يشرف عليها أفراد العائلة المالكة إلى الحكومة".

في أواخر شهر أيلول، علم - وعبر اتصال هاتفي تم بين النجف وإيران - بأنّ منزل سماحة الإمام تحاصره قوات الشرطة العراقية، الإجراء الذي تم نتيجة جهود صدام حسين (نائب رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر)، وقد أدى هذا الخبر إلى قلق وغضب الجماهير والحوزات العلمية، وأرسل المراجع والعلماء (سماحة السادة: النجفي المرعشي والشريعتمداري والسيد عبد الله الشيرازي) والناس برقيات إلى رئيس الجمهورية العراقية وبرقيات إلى الإمام عليه السلام وآية الله الخوئي في النجف، وصدرت بيانات من قبل فضلاء الحوزة العلمية وأهالي قم، ورسالة مشتركة من قبل مراجع قم سماحة الآيات: الكليكاني، النجفي المرعشي والشريعتمداري، وجاء في قسم من البيان "نعلن للحكومة الإيرانية أنها إذا لم تكن متفقة مع الحكومة العراقية في هذا العمل الذي

عرّض حرية سماحة آية الله الخميني إلى التقييد، والذي يعدّ إهانة مباشرة للشعب الإيراني والعلماء والشيعة فلتعلن رسمياً عدم رضاها بعمل الحكومة العراقية".

في الصحف الصادرة يوم ١٩٧٨/٩/٢٦م ذكر هذا الخبر القصير: "إنتهت قضية محاصرة بيت سماحة آية الله العظمى الخميني في النجف من قبل الجيش العراقي، وقال المسؤولون العراقيون بأن سوء التفاهم قد ارتفع!". تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم تصل إلى إيران من قبل الإمام - بسبب محاصرة منزله في النجف - توجيهات ومع هذا قام العمال والعمالون في مصفى آبادان بالإضراب يوم ٢٤ أيلول، وأضرب العاملون في البريد في يوم ٢٥ أيلول، وأضرب العاملون في المنشآت النفطية في جزيرة "خارك" وبقية المؤسسات الحكومية المهمة في يوم ٢٧ أيلول. وأدى هذا الأمر إلى إيفاد هيئة من قبل "السافاك" إلى بغداد إلتقت بسعدون شاعر (رئيس منظمة الأمن العراقية)، وكان الإمام عليه السلام قد قال رداً على تحذيرات المسؤولين العراقيين: "أنا من أهل السياسة والدين أيضاً، ولن أعدل، ولن أتنازل أبداً عن آرائي السياسية".<sup>(١)</sup>

وبعد تصريحات الإمام هذه قرر المسؤولون العراقيون بالتنسيق مع الهيئة الموفدة من "السافاك"، إخراج الإمام من النجف. كان مقرراً أن يذهب الإمام إلى الكويت، إلا أن المسؤولين الكويتيين عارضوا ذلك، فاضطر الإمام ومرافقوه إلى العودة من حدود الكويت إلى بغداد بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٥م وسافر من هناك جواً إلى باريس بتاريخ ١٩٧٨/١٠/٦م. وفي الهوية اللاحقة سنشرح كيفية سفر الإمام إلى باريس، والمضايقات التي تعرّض لها من قبل المسؤولين الفرنسيين في بداية دخوله. والخطاب هذا كان أول خطاب للإمام في فرنسا بعد رفع تلك المضايقات، وقد ألقاه في ١٩٧٨/١٠/٩م في حضور جمع من طلبة الجامعات والإيرانيين المقيمين في الدول الأجنبية، وأشار فيه إلى جرائم الملك واستمرار الثورة الإلهية للشعب الإيراني. وأكد على أن سبب المفاصد في إيران هو النظام الملكي، وأن الحراب الأمريكية هي التي تحفظ هذا النظام. وقد خاطب الإمام عليه السلام متواضعاً جميع طبقات الشعب الإيراني الثائر قائلاً: "إنني وبصفتي أحد طلبة العلوم الدينية البسطاء أؤدي تكليفي تجاه الشعب".

وأشار الإمام إلى واقعة ٩ أيلول العظيمة، وشجب بشدة زيارة "هو أكوفنك" (زعيم الصين) إلى إيران، وقال في فقرة أخرى: "نحن لا نريد أن تكون أمريكا وصية علينا، نحن لا نريد أن تأخذ أمريكا جميع ثمرات هذا الشعب.. ولا نقبل أن يأخذ الإتحاد السوفيتي الغاز، وأمريكا النفط.. نحن لا نحتاج إلى مشرف.. وما لم تذهب أمريكا، وما لم ترفع أيدي هذه القوى الكبرى عن بلدنا، فإن نهضتنا قائمة.. لا تخافوا من هذه القوى الكبرى".

وفي ختام خطابه بشّر الإمام عليه السلام بالنصر القريب، واعتبر الابتعاد عن التفرقة والمحافظة على الوحدة والأخوة بين الطبقات الثائرة في داخل وخارج البلد هو الضامن الوحيد لاستمرار النهضة وديمومتها.

(١) "الحياة السياسية للإمام الخميني"، ص ٤٨٠.

## الخطاب رقم (٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

على ما قيل، يبدو أنّ بعض السادة قد جاؤوا إلى هنا ولم أكن موجوداً، ويبدو أنهم توهموا أنّ عدم وجودي كان مقصوداً<sup>(١)</sup> غير أنّ الأمر لم يكن هكذا. أولاً فإنّ حالتني لا تحتمل الجلوس هنا كثيراً، لذا فقد نقلت إلى مكان آخر من أجل أن أستريح، واليوم سمعت أنّ السادة جاؤوا إلى هنا<sup>(٢)</sup> لذا جئت في خدمة السادة. إنني غير معتاد على التشريفات، فتكون هناك واسطة أو حجاب بيني وبين شخص، فهذا خلاف للأدب الإسلامي. أنا في خدمة جميع السادة ما استطعت ذلك، وأحياناً أعاني من بعض التعب نتيجة كبر سني، أنتم الآن شبانٌ ما شاء الله، وعندما تصلون إلى الشيخوخة ستعلمون في ذلك الوقت أنّ قدرات الشباب غير موجودة لدى الشيخ. إننا الآن نعيش أواخر أيامنا، ونأمل أن نتمكن جميعنا من خدمة الإسلام، وخدمة المسلمين، وخدمة وطننا.

إيران الآن مضطربة، ولعل إيران لم تعان من اضطراب كهذا طوال التاريخ. ولو أنكم طالعتم التاريخ، لوجدتم أنّ ثورات قد حصلت، وأنّ أموراً أخرى حصلت، ولكنها لم تكن بهذا الشكل، حيث يهاجم جنود

---

(١) كتب سماحة السيد أحمد الخميني في هذا الصدد: "بعد وصول الإمام إلى منزل غضنفر بور، تقرر تهيئة منزل للإمام، فقال السيد بني صدر: بأنّ لدى أحد الأصدقاء، ويدعى السيد العسكري منزلاً في ضواحي باريس لا بأس بمراجعته في هذا الشأن، لذا ذهبنا أنا والسيد العسكري وبني صدر وشاهدنا ذلك المنزل، وكان في ضاحية "نوفل لوشاتو" التي تبعد عن باريس فراسخ. وفي اليوم التالي ذهبنا مع سماحة الإمام لرؤية المحل. وقد وافق الإمام على ذلك من ناحية أنه خارج باريس، ومن ناحية أنه ليست هناك مضايقة لصاحب البيت، وكانت مساحته كافية، وبقي هناك. وفي اليوم اللاحق إنتشر خبر استقرار الإمام في باريس بين الطلبة الجامعيين، فذهب الجميع إلى منزل السيد غضنفر بور، وعندما لم يجدوا الإمام تصوروا أنّ السادة: الدكتور اليزدي وبني صدر وغضنفر بور وقطب زادة، أخذوا الإمام إلى مكان لا يصل إليه الطلبة الجامعيون. إنتشر الخبر بين الأفراد، وكان لذلك انعكاس غير جيد. في اليوم التالي عاد الإمام إلى باريس إلى منزل السيد غضنفر بور، وأخبر بالذهاب إلى "نوفل لوشاتو"، وقال: إنني لا أقع تحت تأثير أحد، الجميع يمكنهم أن يأتوا إلى منزلي، فقط أنّ عمري لا يسمح لي أن أكون بينكم دائماً.

(٢) كانت هناك في "نوفل لوشاتو" (الواقعة على بعد ٢٥ كم عن باريس) ثلاثة منازل تحت تصرّف الإمام عليه السلام ومرافقيه. في المنزل رقم واحد - والذي كان صغيراً جداً - كان الإمام يسكن مع أفراد عائلته. والمنزل رقم اثنين، الواقع في مقابل المنزل الأول كان خاصاً بالاجتماعات والطلبة الجامعيين الإيرانيين وأعضاء المكتب، وكان الإمام يصلي هناك صلاة الجماعة وصلاة الليل. والمنزل رقم ثلاثة كان لاستراحة ونوم الطلبة الجامعيين وبقية أتباع الإمام الذين كانوا يأتون من باريس. وكل من كان يأتي إلى باريس لزيارة الإمام يحق له أن يبقى في هذا المنزل ٤٨ ساعة فقط.

إبليس الناس بتلك الطريقة، ولم يقدم الشعب قتلى بهذا الشكل؟ ولم يقدم شبانه ويقاوم بهذه الصورة؟ فوضع إيران الآن هو هكذا، وكل مكان تنظرون إليه تجدون أنه يعيش حالة ثورة. إنّ إيران تعيش حالة ثورة، فأينما ذهبتم تجدون ثورة – كما ينقلون لنا – فمن الأطفال الصغار وحتى الكبار والشبان والشيوخ ومن البنات والصبيان، حتى النساء والسيدات الكبار إلى سائر الناس.. كلهم يتحركون، وكأنّ هناك إرادة إلهية تحركهم. فيد البشر ليس لديها مثل هذه القدرة التي توقظ الناس، هكذا حيث تسير جميع الطبقات وجميع الأطفال والكبار معاً في طريق واحد. هذا موضوع غير عادي، فكأنه لطف من قبل الله (تبارك وتعالى) شمل به الشعب الإيراني الذي سيستمر في المقاومة إن شاء الله، وسيواصل النهضة التي قام بها بوحدة الكلمة هذه.

إنّ الفساد الذي عمّ إيران، وجميع أنواع الفساد كان بسبب النظام الملكي. فمنذ بداية ظهور النظام الملكي وحتى الوقت الحاضر الذي نعيشه نحن كان النظام الملكي هو السبب في كل المفساد، ولكن الفساد كان في كل وقت بطريقة معيّنة، فأحياناً كان بشكل معيّن؛ ففي العصر الذي أدركناه نحن – وأظن أنّ أياً من السادة لم يدركه – وهو عصر الإبتلاء برضا خان الذي جاء به الإنكليز في ذلك الوقت، قاموا بانقلاب وسلطوا رضا خان على الشعب<sup>(١)</sup> وكان رضا خان عميلاً جيء به لتنفيذ أهداف الأجانب، لذا فإنه كان يرى أنّ تنفيذ أهدافهم يتوقف على أن يقمع وينهي طبقة المثقفين وطبقة العلماء وطبقة المتدينين<sup>(٢)</sup> من جهة أخرى كان يقوم بهذا العمل لأنّ الحصول على تلك الثروات كان يتوقف على هذا لكي يتمكن من إفراغ تلك الثروات في جيوبهم، والله وحده يعلم ما هي المصائب التي تحملناها في زمان ذلك الأب. والآن فإننا جميعاً نعاني من حكومة هذا الابن الذي هو خلف لذلك الأب. إنّ هذا حقاً ابن رضا خان، أي أنّ جميع الخصائص الفاسدة التي كانت في

---

(١) في زمان أحمد شاه القاجاري (رئيس الوزراء آنذاك)، عقدت الإتفاقية المعروفة بـ"اتفاقية وثوق الدولة" بين إيران وإنكلترا (١٩١٩م) تعهدت على أساسها الحكومة الإنكليزية بإقراض إيران مبلغ مليوني ليرة، على أن تتولى تنظيم وإدارة الجيش، وأصبحت إيران بعد هذه الإتفاقية تحت سيطرة الإنكليز عملياً، وعن هذا الطريق كانت بريطانيا تحافظ على هذا البلد أمام الاتحاد السوفيات. وقد عارض أحمد شاه القاجار هذه الإتفاقية لأسباب لا يتسع لها المجال المختصر. ودفعت معارضته الحكومة الإنكليزية إلى العمل على تنحيته من طريقها، لذا قامت بانقلاب في سنة ١٩٢٠م على يد رضا خان مير بنج، وأقال أحمد شاه عن السلطة، وهيات السبيل لانقراض سلطة القاجار، وتشكيل السلسلة البهلوية، وبعد فترة أوصلت رضا خان إلى الحكم.

(٢) بدأ رضا خان حكمه بالتخويف والإغتيال. فكان كل من يعارضه من الأحرار يواجه حراب مأموريه، كما كان من يشتكي أو يعترض من الصحفيين على الظلم وخرق القانون يواجه تهديداته. وقد سمع منه مراراً قوله: "سوف أكسر قلم المعارضين! وأقطع لسان الناقدين! وأحطم أسنان المعارضين!". وفي الأسبوع الأول من الإنقلاب إعتقل وسجن عدداً كبيراً من الثوار المثقفين والعلماء، منهم السيد حسن المدرّس، والشيخ محمد حسين اليزدي، والشيخ محمد حسين الإسترآبادي وآخرون.

الأب موجودة في هذا الابن أيضاً، مضافاً إليها أمور أخرى: فهو يتمتع بقابليات ماهرة. رضا خان كان إنساناً متجبراً، والشعب في ذلك الوقت لم يكن لديه أي قدرة للوقوف بوجهه. طبعاً كانت لديه القدرة، ولكنها ضعيفة. فلم تكن الأمور آنذاك بالشكل الموجود حالياً. كان رضا خان متجبراً لكنه لم يتلبس بالإسلام وبالقرآن وبالأحكام الإسلامية المبيّنة؛ لم يكن يرأى<sup>(١)</sup> كان مستبدّاً يضرب ويرهب. كان يقمع الناس بالحراب. ومهما ارتكب من القتل فإنّ هذا الابن ارتكب أكثر، فذلك الأب ارتكب مجزرة في مسجد جوهر شاد، وبعد ذلك ارتكب مجازر أخرى بواسطة بعض الأشرار. لكن هذا السيد<sup>(٢)</sup> ارتكب مجازر عديدة، وسوف يرتكب غيرها إذا أمهله الله (تبارك وتعالى) - لا سمح الله -

فمن ناحية يقضي على شباننا، ومن ناحية أخرى فهو يصرّح في كل يوم، قبل يومين أو ثلاثة أيام تكلم في المجلس فقال: "يجب المحافظة على الأحكام الإسلامية"، يجب لا أدري ماذا<sup>(٣)</sup> حسناً أيها المجنون بالأمس رفعت التاريخ الإسلامي الذي كان تاريخ شرف الشعب، ووضعت مكانه تاريخاً آخر، حتى تعرّضت لصفعات الشعب، فوضعت ذلك التاريخ جانباً<sup>(٤)</sup> الحرية! يتكلم كثيراً عن الحرية<sup>(٥)</sup>! أنت كررت القول في تصريحاتك

(١) إشارة إلى عصر قوة وأواخر ملكية رضا خان. وكان في فترة القيادة العامة للقوات يتظاهر بالعقائد الدينية، ويشترك أحياناً في مجالس التعزية.

(٢) الملك.

(٣) في شهر أيلول ١٩٧٨م قال الملك، بمناسبة افتتاح مجلس الشورى الوطني: "بديهي أنّ أتباع الشعائر والأصول الإسلامية السامية ستكون دائماً أكبر مرشد وملهم لنا جميعاً في طريق تعزيز الأسس المعنوية. وسوف تتضح وتحدد الخطوط الأساسية للسياسات التي ستطبق في السنة القادمة للتشريع على أساس المسير والأهداف العامة للبلد.. بديهي أننا بوصفنا بلداً إسلامياً فإنّ من أهم أهدافنا وبرامجنا هو السعي لرفعة العالم الإسلامي وبلوغه المجد". وقال في مناسبة الذكرى السنوية الثالثة والسبعين للحركة الدستورية: "منذ طفولتي كنت أهتم بأمور الدين والإسلام، أي أنني مسلم عقائدي، وأقول بوصفي رئيس البلد: إنّ كل مجتمع يحتاج إلى المعنوية، والدين فوق الجميع، لأنه يعطي قواماً للشعب. فأنا الذي أقسمت أن أحافظ على الدستور، وأحافظ على حدود وثغور البلد، وأحافظ على المذهب الشيعي الإثني عشري، لدي مسؤوليات أخرى تجاهكم أيها الناس!".

(٤) بعد فاجعة سينما "ركس" في عبادان (١٩٧٨/٥/١٩م) أقيلت حكومة جمشيد آموزكار في أواخر آب ١٩٧٨م وشكّل شريف الإمامي حكومته في ١٩٧٨/٨/٢٧م. وفي أول يوم مجيء شريف الإمامي إلى الحكم غير - وعبر بيان رسمي - مبدأ التاريخ الملكي، واعتبر التاريخ الهجري الشمسي، الذي كان قد صودق عليه في ١٩٢٥/٣/٣١م رسمياً مرة ثانية!

(٥) راجع الصحف الصادرة عصرًا في طهران بتاريخ ١٩٧٨/٨/٦م (كلمة الملك بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة والسبعين للحركة الدستورية) و١٩٧٨/٨/١٩م (مقابلة صحفية مع الملك بمناسبة انقلاب ١٩ آب).

حول حزب "رستاخيز" بأنّ على الجميع أن ينتموا إلى هذا الحزب. وإنّ كل من يرفض الإنتماء إلى هذا الحزب، فإنكم ستضربونه إن كانت لديه نية سوء، وأنك سوف تعمل كذا وكذا، وأنك سوف تعاقبه وترسله إلى الخارج<sup>(١)</sup> الحرية! أين توجد الحرية في هذا البلد؟ هل يتمتع الناس بحرية القلم؟ هل يتمتعون بحرية البيان؟ أية حرية يتمتعون بها حتى يتكلم عن الحرية؟ هل هناك حرية للأحكام الإسلامية! الدين الإسلامي المبين، الأحكام الإسلامية! ماذا لديك من الإسلام؟ ماذا لديك من الإسلام حتى تتكلم عن الدين الإسلامي المبين؟ إنك تسعى في القضاء على الإسلام.

هذا ما نحن مبتلون به جميعاً الآن. شباننا في إيران مبتلون الآن بهذا النظام الفاسد، ويقدمون دماءهم، ويقدمون القتلى. قبل عدة أيام قتل عدد كبير في كرمنشاه<sup>(٢)</sup> وفي كردستان أيضاً. في سائر أماكن كردستان يقال إنّ الأمر كان هكذا أيضاً. وقبل أيام رأيتم ماذا فعلوا في طهران، وماذا فعلوا في تبريز، وفي مشهد، وإنّ المرء ليعجز عن إحصاء المدن التي قاموا فيها بمجازر جماعية، وعملوا فيها ما أرادوا<sup>(٣)</sup> والآن فهو يحافظ على

---

(١) قال الملك: "إنّ كل من لا يدخل في حزب "رستاخيز" لا يحب إيران!!" (راجع الهوامش السابقة).  
(٢) الخبر ذكر في صحيفة "إطلاعات" بتاريخ ١٠/٢/١٩٧٨م في تاريخ الأحد ١٠/١/١٩٧٨م، قام أكثر من ثمانية آلاف شخص من أهالي باختران بتظاهرات ومسيرات، وتجمع المتظاهرون في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم في مسجد البروجردي والشوارع المحيطة به اعتراضاً على محاصرة منزل سماحة الإمام قائِم في النجف الأشرف. هذه المجموعة قامت بمسيرة وترديد شعارات في الساعة السادسة من بعد الظهر، وكانت تنوي الذهاب إلى المسجد الجامع في المدينة، حيث واجهت عناصر النظام. وقد فتح الأعلام النار على الناس الأبرياء، وقتل وجرح في هذه الفاجعة ٣٤ شخصاً، كما انتهت مراسيم الليلة الثالثة للشهداء المذكورين إلى اشتباك جديد بين الناس وعناصر الأمن. وفي هذه الحادثة قتل وجرح عدد آخر.

(٣) كتبت الصحف في ذلك الوقت أنّ تظاهرات واسعة إنطلقت في ٨/٣١ و ١٩٧٨/٩/١م في المدن الإيرانية الكبيرة، وقد قتل خلالها وجرح عدد كبير، واعتقل جمع آخر. ومع أنّ تظاهرات سلمية أقيمت في عدة مدن فإنها انتهت في أغلب مناطق البلاد إلى اشتباكات واصطدامات بين رجال الأمن والجماهير. ولم يكن واضحاً العدد الدقيق، وطبقاً لأخبار الصحف الصادرة عصرًا فإنّ عدد القتلى بلغ العشرات. ومن هذه المدن: طهران، ميانة، شهریار، كرمنشاه، أردبیل، تبریز، بابلسر، مشهد، آمل، آبادان، زنجان، قزوین، کاشان، شیراز، همدان، کرمان، جهرم، أراك، ایلام، رفسنجان، زاهدان و.. وفي تظاهرات يوم الإثنين ١٩٧٨/٩/٤م قتل وجرح عدد كبير في مدن: طهران، کرمان، مشهد، شیراز، تبریز، واعتقل جمع كبير، وقد انتهت هذه الحوادث إلى المجزرة الدامية في ١٩٧٨/٩/٨م، حيث سقط الآلاف بين قتيل وجريح. وبعد هذه الحوادث قتل وجرح عدد من الأشخاص في تبریز في يوم الأربعاء ١٩٧٨/٩/١٦م وفي ١ و ١٩٧٨/١٠/٢م وقعت تظاهرات واشتباكات كبيرة في عدد من المدن المهمة في إيران، حيث قتل وجرح واعتقل عدد كبير. وفي هذين اليومين جرت تظاهرات أخرى في: زنجان، أرومية، بانه، درود، کاشان، سمنان، کرمنشاه، أفلید، أرسنجان فارس، دیزفول، آمل و.. حيث قتل وجرح عدد من الأشخاص.

سلطته بالأحكام العرفية<sup>(١)</sup>، ولو أن الأحكام العرفية رفعت، لو أن أمريكا الخبيثة رفعت حربتها عن هذا الشرير عشرة أيام، فإن رجال البلاط هؤلاء سيأكلونه، لا حاجة لكم أنتم، فإن هؤلاء المتواجدين في نفس البلاط، ويقومون بحراسته، هؤلاء ذاتهم سيقضون عليه بمجرد أن ترفع أمريكا سلاحها عن حماية هذا الإنسان، وهو يفتقر إلى أية حماية<sup>(٢)</sup>.

ولتعلموا بأننا - أنا وأنتم - أكثر راحة منه الآن، فهو يعاني من ظروف صعبة للغاية، وإن كان هو قد أوقع الناس في ظروف مأساوية، لكنه هو يعاني الآن من وضع أشد مأساوية، ليس لديه الآن ليل أو نهار. لعله محروم من لذة النوم، وهو حين يتكلم يرتجف، بل أنه لا يتمكن أن يتكلم أربع كلمات صحيحة<sup>(٣)</sup> هذا حالة، وأن عاقبته أسوأ من هذا إن شاء الله، وسوف يلاقي مصيراً<sup>(١)</sup> أسوأ من هذا.

(١) أول مدينة أعلنت فيها الأحكام العرفية كانت أصفهان، ففي يوم الخميس والجمعة ١٠/٨/١٩٧٨م جرت مسيرة وتظاهرات واسعة في أصفهان، إنتهت نتيجة تدخل رجال الأمن بقتل وجرح عدد كبير من المتظاهرين واعتقال عدد آخر أيضاً، وبعد ذلك أعلنت الأحكام العرفية في يوم ١١/٨/١٩٧٨م. وطبقاً لأول بيان للقائمقامية العسكرية في أصفهان وضواحيها (اللواء رضا ناجي) منع التجوال من الساعة الثامنة حتى السادسة صباحاً، ومنع أي اجتماع لأكثر من ثلاثة أشخاص لأي سبب كان، وبعد ذلك أعلنت الأحكام العرفية في نجف آباد في يوم السبت ١٢/٨/١٩٧٨م. وبعد اتساع النهضة وإقامة التظاهرات أعلنت الحكومة الأحكام العرفية في طهران في بيان لها في ٨/٩/١٩٧٨م، وشملت الأحكام العرفية مدن: قم، تبريز، مشهد، شيراز، كازرون، آبادان، أهواز، كرج، قزوین وجهرم، بالإضافة إلى أصفهان، وأصدرت القائمقامية العسكرية في طهران من الساعة الثانية بعد الظهر من يوم السبت ٩/٢/١٩٧٩م حتى صباح يوم الأحد ١٠ شباط أربعة بيانات تحت الأرقام (٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣)، وطبقاً للبيان رقم (٤٠) أعلن أن ساعات منع التجوال هي من الساعة ٤/٣٠ بعد الظهر حتى الخامسة من صباح اليوم التالي. ولكن قيل فجأة في المدينة إن الإمام عليه السلام اعتبر القائمقامية العسكرية غير قانونية، ويجب أن لا يطيع الناس هذه المقررات. ومع استلام هذا الخبر بدأ الناس بجمع الرمل والأكياس وأقاموا الحواجز والموانع في الشوارع، وأفسلوا الأحكام العرفية عملياً. وكان البعض متسلحاً بالسلاح الأبيض، وكانت مجموعة من الشباب تحميمهم بأسلحة نارية، هذه المجموعة عملت على إقامة تظاهرات في كثير من الشوارع في ساعات منع التجوال.

(٢) أطلق أحد حراس قصر مرمر النار على الملك في ١٠/٤/١٩٦٥م.

(٣) كتب "وليم سوليفان" آخر سفير أمريكي في إيران في كتاب "مهمة في إيران": "في اليوم الذي ذهبت لرؤية الملك، كان يبدو متعباً جداً.. كان الملك منهكاً ومضطرباً طوال الاجتماع، وكان على عكس عادته في السابق - إذ كان يسعى أن يكون وحده متكلماً ويتكلم عن الموضوعات التي يحبها - يكتفي بأجوبة مقتضبة ومختلطة، وأحياناً لا معنى لها". وفي الأيام الأخيرة التي قضاها الملك في إيران أجرى مراسل مجلة "شبيغل" - الذي كان

هذا هو وضع إيران في الوقت الحاضر. وعلينا نحن الموجودين هنا، وعليكم أتمم أيها السادة الموجودون في خارج إيران مسؤوليات معيّنة. فنحن لسنا معفوين من المسؤولية لأننا خرجنا. نحن جميعاً مسؤولون، مكلّفون بمسؤوليات عقلية ووجدانية وشرعية. مسؤوليتنا وفي أي مكان كنا - سواء أ كنا مجموعات أم أفراد - أن نساعد هذه النهضة المقدسة في إيران. إنّ أولئك الموجودين في الداخل يقدمون دماءهم في ساحة المواجهة، ونحن الموجودون في الخارج، ولا نتمكن من الذهاب إلى هناك، يجب أن نؤدي دورنا في المواجهة أيضاً. نحن يجب أن نؤدي دورنا جميعاً وبالمستوى الذي نستطيعه بكلامنا، بأقلامنا، بتظاهراتنا. فعلى كل شخص أن يؤدي ما يستطيع من دور.

إنّ في أعناقنا ديناً لإيران. إننا مدينون لأبناء شعبنا، لأنهم يضحون في سبيل تحقيق مصالح الإسلام ومصالح الشعب، ونحن جزء من الشعب، نحن أيضاً من الشعب الإيراني، فهؤلاء ضحّوا من أجلنا، أعطوا دماً، وتعرّضوا للسجن. فكم من علمائنا من يروح الآن في السجون، فالكثير من العلماء والمثقفين، والأطباء والمهندسين، والطلبة والكسّبة، ومن جميع الطبقات هم في السجون الآن، لقد قتل العديد وسجن. وكل هذا من أجل هذا الشعب، ومن أجل الإسلام. نحن مسلمون ووطنيون مرتبطون بهذا الشعب، وفي أعناقنا دين لهذه الأمة. وعلينا أن نؤدي ديننا. أنا أحد طلبة العلوم الدينية عليّ أن أؤدي ديني بأن أكتب وأتحدث إليكم، كذلك فإنكم أيها السادة الطلاب وفي أي فرع علمي كنتم يجب أن تؤدوا دينكم لهذا الشعب. لقد سحقوا هؤلاء بأقدامهم، والله يسحقهم إن شاء الله، عليه فنحن جميعاً موظفون بأن نلتفت إلى هؤلاء، ونتحرك بما نستطيع. طبعاً نحن لا نتمكن من القيام بكل الأعمال غير أننا نستطيع أن نقوم بدور معيّن لخدمة هذا الشعب، ولخدمة هذا الخلق، ونؤدي الدين الذي في أعناقنا.

فضلاً عن ذلك، فنحن من هذا الشعب، ونرى بأنّ جميع ثرواتنا تصبّ في جيب أمريكا وربائبها. إنّ نفطنا يكاد ينفد، ولو لم يبدده محمد رضا هكذا.. فإنّ نفطنا لا ينفد بهذه السرعة، وثرواتنا لا تنفد بهذه السرعة، لكنهم

---

مقرباً للملك - مقابلة معه وكتب: "الملك الطاعن في السن والمنكسر بشعر أبيض ووجه شاحب وأجفان حمراء، تبسم بسمه حزينه بمشقة، وقال إنه كان يثبت نفسه بالدواء. قال الملك: الناس حقيقة لا يشكرون ولا يقدرّون، ليس لديهم صبر وقوة تعقل"، وحين سأله المراسل حول أصدقائه أجاب: "صديق؟ أي صديق؟ الأصدقاء تركونا منذ أشهر، وذهبوا بالأموال التي سرقوها إلى أمريكا وأوروبا، والآن يتجولون في "شانزليزه" وكاليفورنيا، والأصدقاء الأجانب قطعوا دعمهم، وكأنهم لم يرونا ولم يعرفونا، كلما رأوني أداروا وجوههم، أنا الآن وحيد وليس معي شخص، بقي عدة أشخاص حولي، هؤلاء بدورهم وحيدون، الذين حولي حزموا حملهم بمقدار ما تمكنوا، وحتى أفراد العائلة لم يرحموني، سرقوا ما استطاعوا، نهبوا وشوهوا سمعتي أنا و"شهبانو" المسكينة، وإنه لتجب معاقبتهم على ذلك".

(١) عالم الآخرة.



استخرجوا النفط وباعوه بسعر قليل<sup>(١)</sup> والجميع ينهب، الإنكليز من هذا الجانب، وغيرهم من الجوانب الأخرى، والأمريكان أسوأ من الجميع<sup>(٢)</sup> والاتحاد السوفيتي من تلك الجهة<sup>(٣)</sup> الجميع هاجم هذا الشعب، واتحد الجميع

(١) إكتُشف النفط في إيران أوائل القرن العشرين الميلادي من قبل الإنكليز. وكانت الآبار التي استثمرها الإنكليز غنية جداً. وفي الحرب العالمية الأولى حيث استبدل وقود السفن الحربية الإنكليزية من الفحم الحجري إلى المواد النفطية، كان النفط الإيراني أهم مصدر تعتمد عليه هذه السفن، لذا فإن من أهم العوامل التي دفعت الإنكليز لاحتلال إيران في أوائل الحرب العالمية الثانية كانت مسألة النفط. وفي عام ١٩٠٩م تأسست شركة النفط الإيرانية الإنكليزية، وارتفع معدل استخراج النفط في إيران بسرعة. ولم تؤد استثمارات ونشاطات شركة النفط الإيرانية الإنكليزية إلى نمو الاقتصاد والصناعة الإيرانية، بل إنها أصبحت من عوامل انحطاط وتبعية الاقتصاد الإيراني. كانت شركة النفط الإيرانية الإنكليزية تبيع النفط في إيران بسعر يفوق قيمته في إنكلترا، وكانت المواد النفطية تصل إلى المستهلك بفائدة خمسمئة بالمئة، وقد استمر نهب النفط الإيراني في فترة سلطة رضا خان، بحيث أن شركة النفط الإيرانية الإنكليزية صدرت ٣٣٨ مليون طن من النفط الإيراني خلال فترة ٣٩ سنة، ودفعت ١١٨ مليون ليرة إلى الحكومة الإنكليزية، وكان يصل متوسط ذلك ٧ شيلينك لكل طن، أو ١٩ ستناً للبرميل، وكان كل رأس مال شركة النفط الإنكليزية في إيران ٢١,٦ مليون ليرة. وإزاء هذا المبلغ تسلّم أصحاب أسهم الشركة ١١٥ مليون ليرة، ودفعوا ١٧٥ مليون ليرة ضرائب إلى الحكومة الإنكليزية. وكان يصرف ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مليون ليرة من مصالح الشركة لتنمية منشآت وأموال الشركة في أنحاء العالم. وبعد عقد "إتفاقية كنسرسيوم" كان سهم إنكلترا من الثروة النفطية في إيران لا يزال كبيراً. وقد أخذت كنسرسيوم طيلة فترة ١٨ سنة ١٣,٣ مليار برميل من النفط الإيراني.

(٢) بعد إنقلاب ١٩ آب، وضع النفط الإيراني تحت تصرف شركة كنسرسيوم. وكانت الشركات النفطية الأمريكية والإنكليزية لها معظم الأسهم، وكانت تشترك معاً لمساعدة بعضهما الآخر في استخراج واستثمار وبيع النفط الإيراني. وفي سنة ١٩٥٤م تأسست إلى جوار كنسرسيوم (شركة النفط الوطنية الإيرانية) وتولت بشكل رئيسي الأمور الإدارية للشركة، ولم تشترك بأي شكل في عمليات استخراج وتصفية النفط. وكان سهم الشركة الوطنية للنفط "راني" من سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٣م في صادرات النفط الإيراني ثلاثة في العشرة في المئة (٣,٠ بالمئة)، بينما كان سهم كنسرسيوم في تلك المدة يصل إلى ٩٢ بالمئة! (وكانت البقية تتعلق بسائر الشركات الأجنبية خارج كنسرسيوم)، وقد وصل الدخل الإيراني في سنة ١٩٧٥م إلى ١٧٤٤١ مليون دولار، و١٥٨٦٧ مليون دولار من هذا المبلغ عن طريق تصدير النفط بواسطة كنسرسيوم، وكان سهم شركة النفط الوطنية الإيرانية ٨٧٤ مليون دولار، وسهم بقية الشركات النفطية ٧٠٠ مليون دولار! ويتضح من مقارنة هذه الأرقام أن كنسرسيوم حافظت على قوتها بعد "تأميم" صناعة النفط! في سنة ١٩٧٣م، وكما يتضح مدى ما مارسه أمريكا وإنكلترا من النهب للمخازن النفطية في إيران.

لإبقاء هذا التافه في منصبه حتى ينهبوا هم كل هذا النهب<sup>(٢)</sup> وقد رأيت قبل عدة أيام كيف قام زعيم الصين بزيارة إيران، وزعيم الصين هذا، زعيم لعدة مئات من الملايين من البشر، قد يصل تعدادهم إلى مليار نسمة، إنه زعيم الشعب الصيني ومدعي الشيوعية، ومدعي كذا وكذا! هذا التافه زار إيران، زار ذلك الذي ارتكب كل تلك المجازر الجماعية، ومر بالهيليكوبتر فوق فتلانا، فهم لم يتمكنوا من أخذه في الشارع، لأن الناس كانوا يقومون بضجة، كانا يصيحون ويتكلمون. كل هذه كان يعلم بها هذا التافه. لم يكن جاهلاً بذلك، كم كان معه من الناس. مرروه فوق فتلانا، وأخذوه إلى هناك، وتصافحوا، وفعلوا كذا وكذا وبمنتهى السرور. إن هؤلاء يتلاعبون بالبشر<sup>(٣)</sup> من جانب آخر، كلنا رأيناكم من المواطنين قتلوا في الخامس من حزيران، ورأينا كيف أيدت صحف الإتحاد السوفيتي هؤلاء، وقالت: إن المنتفضين مجموعة رجعية، مجموعة كانت تريد أن تعمل كذا وكذا<sup>(٤)</sup>، والآن أيضاً فإن الإتحاد السوفيتي يؤيد الملك، كما أن أمريكا تقف هي الأخرى بوضوح إلى جانبه.

---

(١) كان الغاز الإيراني يصدر إلى الاتحاد السوفياتي بعد مد خط أنابيب الغاز طبقاً للإتفاقية التي أبرمت لمدة ١٥ سنة، والتي عقدت سنة ١٩٦٧م بين إيران والاتحاد السوفياتي، ووصل مقدار ما صدر من الغاز سنة ١٩٧٥م إلى ١٠ مليارات متر مكعب وكان هذا المقدار يضاعف كل عام. وقد تعهد الاتحاد السوفياتي أن يدفع لإيران مبلغ ٦ دولار و٦ سنتات مقابل كل ألف متر مكعب.

(٢) إستقبل "كارتر" ولي العهد الإيراني رضا البهلوي، في البيت الأبيض، وقال له: إن صداقتنا واتحادنا مع إيران يعتبر ركناً أساسياً في سياستنا الخارجية. وهنا الملك بمناسبة ١٠/٢٦ وأعلن دعمه له مرة أخرى. وفي أيام الأزمة في تشرين الثاني ١٩٧٨م عقد مجلس الأمن القومي الأمريكي اجتماعاً، وأمر "وليم سوليفان" أن يبلغ الملك أن الولايات المتحدة الأمريكية ستدعمه في الأزمة الحالية بدون أي قيد وشرط. وقال "ديفيد أوين" (وزير الخارجية البريطاني) حول لزوم دعم الملك: "إن الأصدقاء الحقيقيين هم الذين يفكرون بمساعدة بعضهم الآخر عند الحاجة. أنا أظن أن علينا أن نختار، وأعتقد أن علينا أن ندعم ملك إيران. إن سقوط النظام الإيراني يعني سقوط هدف حقوق الإنسان! زار إيران "هواكوفنك" (زعيم الصين) في الأيام الأخيرة من عمر النظام، وأعلن عملياً ورسمياً دعمه للملك. وفي ٢٦ تشرين الثاني هنا الزعيم السوفياتي "بريجنيف" الملك، وأعلن دعم الاتحاد السوفياتي له".

(٣) زار "هواكوفنك" (زعيم الصين) إيران في ١٩٧٨/٨/٢٩م في فترة تصاعد النهضة، بدعوة من الملك، لمدة ٤ أيام، وكان سفره متزامناً مع إقالة حكومة "جمشيد آموزكار"، ومجيء حكومة جعفر شريف الإمامي، وفاجعة الحريق في سينما "ركس" في آبادان. وكان الملك يظهر أن دول كبيرة مثل الصين تعتبره حتى ذلك الوقت ملكاً قوياً وتدعمه، وكان "هواكوفنك" - بقبوله لدعوة الملك - يأمل في الحصول على امتيازات مهمة من إيران.

(٤) مر ذكره سابقاً.

هؤلاء يريدون أن ينهبوا كل ثرواتنا. وماذا يجب أن يفعل هذا الشعب المسكين بعد أن يذهب نفطه وتنتهي مصادره؟ الله يعلم ماذا يجب أن يفعل. هذا السيد يقول يجب أن نعتمد على طاقة الشمس! أنت لا تتمكن من أن توقد مدفأة نفطية، وتريد أن تأخذ طاقة الشمس؟! ما هذا الكلام؟! هذا الكلام هو لاستغلال الناس. كل هذه القضايا المفتعلة التي يقومون بها هي من أجل أن يحافظوا على هذا التافه.

إن كل من يقول في الداخل بأن هذا الرجل يجب أن يبقى، أو أن من الحسن أن يبقى فهو خائن، لأن الكل رأوا ماذا عمل هذا الشخص في الداخل، وماذا عمل مع الناس، وماذا عمل بمخازننا، ماذا عمل بمالنا، كم نهبت هذه العائلة من أموال الناس، هم يمتلكون الآن القصور والأموال في الخارج، هم يمتلكون كذا وكذا، وكل هذا من أموال الشعب.<sup>(١)</sup>

حسناً، رضا خان كان جندياً بلا رداء، في حين أن كل واحد من أفراد عائلته أصبح صاحب مليارات المليارات<sup>(٢)</sup>، وهذا هو من أموال هذا الشعب. هؤلاء يشاركون في جميع الشركات. كل شركة تأسست في إيران فيها أسهم لهؤلاء<sup>(٣)</sup> ولهم نسبة من النفط أيضاً، إنهم يأخذون مقداراً، يأخذون مقداراً قليلاً، وهذا المقدار

---

(١) مر ذكره سابقاً.

(٢) كان رضا خان قبل الإنقلاب أحد الجنود البسطاء، وبعد الإستيلاء على السلطة أصبح صاحب ثروة كبيرة، وقد أسس مجموعة تدعى "دائرة الأملاك الملكية"، وأمر أن تُشترى له أفضل مناطق شمال البلد بأسعار زهيدة، وكان مستعداً لأية جريمة من أجل مصادرة أملاك الناس. وقد بلغت أملاكه عند النفي: ٤٤ ألف قطعة أرض عامرة، و ٣٦٠ مليون دولار نقد في البنوك في الخارج، و ٦٨ مليون تومان إيداع داخلي، ومراكز مثل معمل حياكة الحرير في "جالوس"، وعدة معامل لتصفية الرز، والقطن، ومقالع استخراج الحجر، ومعمل النسيج في "علي آباد" وغيرها. وقد كتب أحد نواب المجلس الإنكليزي الذي كان من المقربين لرضا خان: "إن رضا خان طهر الطرق في إيران من اللصوص وقطاع الطرق، وأخبر الشعب الإيراني أنه اعتباراً من الآن فصاعداً لا يوجد في إيران غير قاطع طريق واحد!" (راجع "الحياة السياسية للإمام الخميني"، ص ٨٨ وظهور وسقوط سلطة البهلوي، ج ١، ص ١١١).

(٣) لا توجد في إيران أية مؤسسة اقتصادية مهمة - سواء في القسم التجاري أم في أقسام الزراعة والصناعة - ليس للملك وعشيرته سهم فيها. كان الملك نفسه من المساهمين الرئيسيين في بنوك: العمران، إيران شهر، داريوش، التنمية والاستثمار في إيران والصناعي في شهریار، وشركة كورش للتوفير، وقروض السكن، شركة توفير، قرض إكباتان وغيرها. وقد ساهم فيها جميعاً عن طريق "مؤسسة البهلوي" أو "المؤسسة الملكية" و"الخدمات الاجتماعية". وكان للملك رأس مال مهم في بعض الشركات والمؤسسات مثل: شركة "جنرال موتورز" الإيرانية، شركة "برشيان متال فورمرز" ومجمع معامل أنابيب الألمنيوم. بالإضافة إلى هذا كان صاحب سهم مهم في الشركات التجارية الإنتاجية والصناعية والتوزيعية أيضاً. ومن ذلك: شركة الأنابيب في الأهواز، شركة "بريجستون" الإيرانية، شركة "كيان تاير" الإنتاجية، مجمع ورق بارس الصناعي، شركة توزيع الأدوية،

يحوّلونه حديداً<sup>(١)</sup> وأشياء لا تنفع. نعم هذه الرشاشات تنفعه في ضرب الناس وقتلهم. فهذه الأسلحة لا تفيد شعبنا، ويذهب مقدار منه في جيوبهم وفي جيوب العائلة، فيصرفونه على الإعلام في الخارج. والله يعلم كم هي.. يقال إن ما يصرفه على إعلامه بلغ مئة مليون. ولماذا على الإعلام؟ لأن هذا السيد يريد أن يثبت أنه هام الوجود في إيران، وأنه إذا ذهب فإن الشيوعية ستكتسح إيران!<sup>(٢)</sup> لماذا يصبح الشعب الإيراني شيوعياً؟ فالشعب الإيراني شعب مسلم، وشعاره الإسلام، وشعاره الدين. إنهم ينشرون هذه الأقاويل الفارغة، وأخيراً يقال إنهم يريدون أن ينظموا مجموعة تردد شعارات الشيوعية في الجامعة عندما تفتح الجامعة أبوابها سعياً في إفهام الناس بأن الشيوعيين هم الذين يثيرون الضجة. ولكن الجميع يعلم بأن هؤلاء من منظمة الأمن، وأن هؤلاء ليسوا شيوعيين. فهؤلاء يريدون إبقاءه في منصبه بأية حيلة. هم يسعون لذلك من أجل استمراره في خدمتهم أفضل من الجميع.

إن ما قلناه منذ البداية وحتى الآن هو أن لدينا بلداً نريده لأنفسنا. نحن لا نريد أن تكون أمريكا وصية علينا. نحن لا نريد أن تأخذ أمريكا جميع ثروات هذا الشعب، ويأخذ الاتحاد السوفيتي جميع ثروات هذا البلد،

---

شركة توزيع الإسمنت في فارس وخوزستان، شركة "آبيك" في قزوین، شركة الإسمنت في طهران، شركة صناعات الإسمنت في الغرب، شركة الجص في طهران، شركة إيرانيت، مؤسسة بناء وعمران الأراضي في غرب طهران، مؤسسة عمران كيش، شركة "آتي ساز"، شركة بناء البيوت السكنية، شركة إنتاج السكر المكعب في كرج، شركة بارس للسكر المكعب، شركة مروذشت، الشركة الإنتاجية لمعمل السكر المكعب وتصفية السكر في الأهواز، شركة السكر المكعب في ديزفول، شركة السكر المكعب في شاه آباد، السكر المكعب في فسا، السكر المكعب في كرمانشاه، السكر المكعب في لرستان، شركة الزراعة والصناعة في جيرفت، الزراعة والصناعة الإيرانية الأمريكية، شركة زياران لإنتاج وتعليب اللحوم، شركة الزراعة والصناعة في كارون، شركة حفر السدود في إيران، شركة الخدمات البحرية في إيران، شركة أوفست و.. لم يكن الملك غافلاً حتى عن الاستثمار في الفنادق والمطاعم أيضاً! وكان لهذا الحاكم المستبد سهم كبير من عائدات فنادق: بابلسر، ونك، رامسر، آرياشرايتون، جالوس، كامرون، بندر عباس، نوشهر، هایت خزر، هایت مشهد، هيلتون طهران، وعشرات الفنادق والمطاعم ومحلات القمار والأندية الليلية! وكان كل فرد من العائلة البهلوية يمارس نشاطاً مالياً وتجارياً بشكل من الأشكال.

(١) الأسلحة والتجهيزات العسكرية.

(٢) كان الملك وعمالؤه يسمّون الشعب الإيراني الثائر شيوعياً! ففي جواب للملك بتاريخ ١٩٧٨/٨/١٩ قال: "بالتأكيد شيوعيون إسلاميون دون شك"، وبعد مجزرة ٩/٨ الدامية قال شريف الإمامي: "هناك وثائق وقرائن أكيدة أن الماركسيين كانوا وراء أحداث العنف"، وقال وزير الإعلام والسياحة الدكتور العاملي: "لا شك في وجود أيادٍ شيوعية توجه هذه الحركة.. وشعاراتها شيوعية".

الإتحاد السوفيتي يأخذ الغاز، وأمريكا تأخذ النفط. هل هي مائدة مجانية يأكل منها كل من هبّ ودبّ كل ما ريد! نحن لا نريد أن يكون الأمر هكذا. نحن نريد أن نكون سادة أنفسنا، ومهما أردنا أن نفعل فلا علاقة لكم بذلك. فكيفما كنا، نريد أن نستفيد من أرضنا ومن مائتنا ومن نفطنا ومن مخازننا - وهي غنية كلها - ونقضي على اللصوص الذين يأكلون ويأخذون كل شيء، ثم ندير بلدنا كيفما شئنا. نحن لا نحتاج إلى مشرف، أسأنا الإدارة أم أحسنّاها فهذا شأننا وعملنا. هذا هو كلامنا. فمن يستطيع أن يقول: كلا، يجب أن يأتي شخص آخر ويديركم؟ وما هي علاقتكم؟ نحن أصحاب بلد، مخازنه لنا أيضاً، نحن نريد أن ندير بلدنا. تقولون إنكم لا تستطيعون؟ لا نستطيع. فما هو شأنكم؟ نحن لا نستطيع أن ندير؟ لا نريد أن ندير؟ إننا نريدكم أن تخرجوا وكفى. والحال إذا خرج هؤلاء، وإذا وضعنا هؤلاء والطفيليون جانباً، وهم ناهبوا النفط من تلك القوى الكبرى الطفيلية الناهبة للنفط وعائلة البهلوي الطفيلية أيضاً، وجميع من كانت لديهم علاقات مع هؤلاء في الخمسين سنة الماضية هذه. هؤلاء الطفيليون، من أية طبقة كانوا، يتهبون ثروة هذا البلد، ويمرون على جثث شباننا، نحن نقول إننا إذا أخرجنا ناهبي النفط هؤلاء والطفيليين، فإنّ لدينا بلداً غنياً نتمكن أن نديره حتى النهاية. إنّ ثروات بلدنا ليست قليلة، ولكنّ الناهبين كثيرون! الثروة ليست قليلة بل الذين يأكلون منها كثيرون! فهي تنفق على الأجانب وعلى الإعلام، وتنفق على هؤلاء الموجودين في الداخل من أجل المحافظة عليه، وأمثال ذلك. هؤلاء المستشارون والذين يأتون من الخارج، هؤلاء يأكلون كثيراً. كل هؤلاء جاؤوا إلى هذا البلد من أجل نهب ثرواتنا.

إذا قطعنا أيديهم - وسنقطعها إن شاء الله - والشعب ثار إن شاء الله، وسوف يقطع أياديهم وسوف يخرجهم إن شاء الله، وإذا نجحنا في ذلك فإنّ نفطنا كثير، ونحن قادرون على إدارة بلدنا، ولن يطلب أحد منكم أن تأتوا وتديروا بلدنا.

ماذا نريد أن نفعل بكل هؤلاء المستشارين؟<sup>(١)</sup> هؤلاء المستشارين كلهم جاؤوا من أجل أن يحافظوا عليه وينهبونا. المحافظة عليه للنهب. هم أنفسهم يريدون أن ينهبوا أيضاً، وإلا لو كانوا يعلمون أنهم يتمكنون

---

(١) كتب أحد المحققين الأمريكيين: "ذكر أنّ عدد الأمريكان الذين كانوا يعملون في إيران في تموز عام ١٩٧٦ هو أربعة وعشرون ألف شخص، وهو في تزايد مضطرد. وكان عدد منهم يعمل مباشرة تحت إدارة رؤسائهم الأمريكان، فقد كان العاملون في شركة صناعة طائرات الهليكوبتر - وعددهم ١٧٠٠ شخص - لا يملكون أي اتصال مع الإيرانيين، ولكن أكثرية الأمريكان كانوا يعملون مع الضباط والموظفين الإيرانيين، سواء في المؤسسات العسكرية أم في التشكيلات الفنية، وكان الاختلاف في مستوى الرواتب والمزايا والرفاه المادي بينهم وبين الإيرانيين فاحشاً ومغيضاً، وقد جاء في تقرير لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكي أنّ عدد الأمريكيين المقيمين في إيران إرتفع من ٢٤,٠٠٠ شخص في السنة التي صدر فيها التقرير ١٩٧٦م إلى خمسين أو ستين ألف شخص في سنة ١٩٨٠م.

بأن يأتوا بأحد أفضل من هذا، فإنهم يستبدلوه. إنهم لا يحبونه لسواد عينيه وحواجه. لكنهم لا يتمكنون الآن أن يزيحوه. وأي شخص يجيئون به، فنحن على موقفنا.

وإذا تقرر أن يقوموا بانقلاب، ويجيئون بعسكري إلى الحكم، فهو مهدد إما بالموت أو الفرار<sup>(١)</sup> كما هو حال الملك الآن، فهو إما أن يقتل جميع أبناء الشعب، أو أن يذهب جانباً. وما لم تذهب أمريكا، وما لم ترفع هذه القوى الكبرى أيديها عن بلدنا، فإن نهضتنا مستمرة، وهتافنا مستمر، وجهادنا مستمر، وسوف ننجح إن شاء الله.

أيها السادة لا تخافوا من هذه القوى الكبرى. إذا ثار شعب من أجل مصالحه.. أحياناً نريد أن نقوم بحرب خارجية، في الحرب الخارجية نحن لا شيء، وأولئك لديهم كل شيء. وأحياناً يكون لدى شعب كلام يقبله العالم أجمع، وهو أننا شعب لا نريد الأجانب، لا نريدهم في بيتنا، ونريد إخراجهم من بيتنا. فإنّ أحداً لا يمكنه أن يعارض ذلك، وإذا عارض فإنه يتمكن من ذلك لأمد قصير جداً، وإلا فإنه سيواجه الرأي العام العالمي. ولا يمكن لأية قوة أن تواجه الرأي العام العالمي، نحن الآن لفتنا اهتمام الرأي العام إلى إيران، وإيران الآن تحظى باهتمام الجميع. إنّ الشأن الإيراني الآن يهتم به الجميع، وهؤلاء الناهبون فقط مهتمون به من أجل مواصلة النهب، ولعل هناك من الخيرين الذين يهتمون بما يحدث في إيران، ويتساءلون لماذا الشعب هكذا؟ ماذا حصل؟ لماذا يجب أن يكون هكذا؟ الجميع التفت شيئاً فشيئاً إلى شعب نهض، وإنه يقول إنني أريد حقي، لا يقول إنني أريد حق الآخرين. لا بد أن يتم الإذعان لذلك.

وأنا أبشركم، أنكم إن شاء الله إذا اتحدتم - كما هو حالكم الآن، وكانت أيديكم متحدة، ووضعتم الخلافات جانباً، وأصبحتم أصدقاء وتحركتم معاً - فسوف تحصلون على نتيجة، وسوف تفشلون مخططاتهم إن شاء الله، وسوف يصبح البلد لكم.

وأقول لكم - أيها السادة الموجودون في خارج البلد - كلمة وهي: إنني أسمع أحياناً، عندما كنت في إيران كنت أسمع أحياناً، وهنا لعلّي قد سمعت أيضاً، وهي أنه توجد اختلافات بسيطة، وكدورات بسيطة بين السادة. برأيي هذا غير صحيح<sup>(٢)</sup> أنتم كلكم إخوة. لماذا؟ على أي شيء تختلفون؟ يجب أن نضع أيدينا في

---

(١) من الحلول التي فكر بها حماة الملك في الأشهر الأخيرة لمواجهة التظاهرات الشعبية والثورة الإسلامية، وكانت محط بحث الأوساط السياسية، هو تنفيذ انقلاب عسكري، وتولي حكومة عسكرية السلطة. إلا أنّ خطأ الملك في تشكيل حكومة المشير الأزهاري العسكرية من جهة، وتحذير الإمام بأنّ "الإنقلاب العسكري لا يمكنه التأثير على الأوضاع أكثر من الحكومة العسكرية" لم يعط هذا المشروع مهلة للتنفيذ.

(٢) كانت الاختلافات في خارج البلد أكثر بدرجات منها في داخل البلد بسبب عدم وجود ضغط للحكومة في الخارج، وكانت هناك اختلافات بين الجبهة الوطنية، وكان بني صدر في تلك المجموعة، ونهضة الحرية في خارج البلد فرع أمريكا، ومجموعات دينية وغير دينية أخرى. وكانت ذروة الاختلاف في أوروبا بين السادة: قطب زادة، بني صدر والدكتور اليزدي. وإشارة سماحة الإمام كانت موجهة إلى اختلافات أولئك.

أيدي بعضنا الآخر، ونقضي على عدونا المشترك. وإذا تقرر أن نختلف فيما بيننا، فإنه سيبقى في مكانه مرتاحاً، وسوف نستنفد قوانا على أنفسنا. وهذه حيلة استخدموها دوماً، وهي إثارة الاختلاف بين مختلف طبقات الشعب. فهم يشكّلون حزبين، ذلك حزب كذا، والآخر حزب كذا، ويشيرون الاختلاف بين هذين الحزبين، ويشكّلون الناس. أو مثلاً يدفعون بشخص إلى الإمام، ويعملون منه شيئاً، ثم ينشغل الناس به، ويتنازعون على هذا فترة، وتحلل قواهم، ويستفيد أولئك بالنتيجة.

أنتم - أيها السادة الموجودون في الخارج كونوا إخوة - حلّوا خلافاتكم. إذا رأيتم أحياناً كدورة من أحد الإخوة، فاذهبوا إليه بأخوية، وقولوا إنّ الأمر الفلاني حصل، وأنا لدي كدورة بواسطة هذا، لرفع سوء التفاهم. على أية حال، أنا أسأل الله (تبارك وتعالى) التوفيق لكم، لجميع السادة! وآمل أن تنهوا دراساتكم هنا برفعة، وتتمكنوا أن تعودوا إلى وطنكم، وتمسكوا بزمام أمور الوطن كأشخاص مهذبين صحيحي المسلك، وتكونوا جميعكم خداماً. فجميعنا خدام لهؤلاء الناس، ولوطننا وللإسلام.

وأقول أيضاً: إنّ حالتي الصحية لا تسمح لي أن أجيء إلى هنا كل يوم، فبوضعي الصحي أشعر الآن بالتعب، لكنني جئت إلى هنا رأيته أنه لا بد لي أن أتكلّم مع السادة. أنا أعتذر من السادة، فلن أتمكن أن أجيء. أولاً أقول: إنني، من بداية دخولي في هذا الباب، لم أسمح لأحد أن يتدخل، لم أسمح لأقربائي أيضاً بالتدخل، في أي وقت كنت مستقلاً في أعمالي، كنت أقدم على أي عمل أريده، وأمتنع عن أي عمل لا أريده، وكنت أقوم بالأعمال حسب تشخيصي وتفكيري. لا تتصوروا أنني جئت إلى هنا مثلاً، وأنّ لدي ارتباط خاصاً مع أحد، أو أنّ أحداً يتدخل في أعمالي وأن أقبل منه. هذا الكلام غير وارد، لا تكن لديكم كدورة من هذه الناحية، وهي أنني إذا ذهبت إلى الخارج للإستراحة، فإنني مثلاً لا أتابع السادة، ولا آتي في خدمتهم. أنا في خدمة جميع السادة، وهناك أيضاً بيتي بابه مفتوح، ليأت إلى هناك من يريد من السادة. لكنني أعتذر من أن أجيء في هذا المحل وأكون هنا، أو أن أنهض كل يوم من هناك وأجيء هنا، ذلك لأنّ وضعي الصحي لا يسمح بذلك، وأنا يجب أن أعود إلى هناك وأستريح. وإن شاء الله أهبط نفسي لخدمة جميع السادة.

إحدى السيدات الحاضرات في الجلسة: "مسألة الحجاب هذه، تألمت منها بعض الشيء الأخوات الموجودات في هذا المحيط، أي أنهن يُردن حقيقةً أن يرين هل أنّ هذا الحجاب بهذا الشكل صحيح أم لا؟".

الإمام: بهذا الشكل الذي أنت الآن؟

السيدة: نعم.

الإمام: لا مانع من هذا، إذا لم تكن مفسدة على ذلك فلا مانع. يجب أن تحددن بأنفسكن هل أنّ ذهابكن بهذا الشكل له مفسدة مثلاً؟ إفرضي أنه يؤدي إلى هتك احترامك من قبل الآخرين، حينها يمكنك أن تقول لا بأس بذلك. ولكن إذا لم يترتب عليه مثل ذلك فإنّ حجاب الإسلام ليس أكثر من هذا، نفس الشيء.

السيدة: في إيران أيضاً..؟

الإمام: إيران الآن يختلف وضعها مع هذا المكان. هناك قد تكون المفسد أكثر، فليس هناك حجاب خاص بإيران مثلاً، الحجاب حجاب الإسلام، هو بهذه الصورة، الإسلام ليس لديه هنا وهناك. لكن هناك أحياناً جوانب خارجية في الأمر، بحيث تكون هناك مفسدة، فقد يحصل اختلاف أخلاقي، أقول قد تكون هناك أمور، وطبعاً في ذلك الوقت يجب الحيلولة دون ذلك. أما إذا لم تكن هناك مفسد، وكان الحجاب بسيطاً، فلا مانع من عدم ارتداء العباءة.



## محتويات الكتاب

هوية الخطاب رقم (١) .....	٢
هوية الخطاب رقم (٢) .....	٧
هوية الخطاب رقم (٣) .....	١٠
هوية الخطاب رقم (٤) .....	١٣
هوية الخطاب رقم (٥) .....	٢٨
هوية الخطاب رقم (٦) .....	٣٥
هوية الخطاب رقم (٧) .....	٣٨
هوية الخطاب رقم (٨) .....	٤٢
هوية الخطاب رقم (٩) .....	٤٤
هوية الخطاب رقم (١٠) .....	٤٨
هوية الخطاب رقم (١١) .....	٥٠
هوية الخطاب رقم (١٢) .....	٧١
هوية الخطاب رقم (١٣) .....	٨٢
هوية الخطاب رقم (١٤) .....	٩٣
هوية الخطاب رقم (١٥) .....	١١٧
هوية الخطاب رقم (١٦) .....	١٣٩
هوية الخطاب رقم (١٧) .....	١٥٥
هوية الخطاب رقم (١٨) .....	١٧٠
هوية الخطاب رقم (١٩) .....	١٨٦
هوية الخطاب رقم (٢٠) .....	١٩٢
هوية الخطاب رقم (٢١) .....	١٩٥
هوية الخطاب رقم (٢٢) .....	٢١٨
هوية الخطاب رقم (٢٣) .....	٢٢١
هوية الخطاب رقم (٢٤) .....	٢٢٨
هوية الخطاب رقم (٢٥) .....	٢٤٦
هوية الخطاب رقم (٢٦) .....	٢٦٩
هوية الخطاب رقم (٢٧) .....	٢٨٨

٣٠٧ .....	هوية الخطاب رقم (٢٨)
٣٢٣ .....	هوية الخطاب رقم (٢٩)
٣٣٩ .....	هوية الخطاب رقم (٣٠)
٣٦١ .....	محتويات الكتاب